





مطبوعات المجمع العلمي العراقي

# الفرات الأوسط

رحلة وصفية ودراسات تاريخية

تأليف  
الوالد ميسيل

ترجمة

الأستاذ عبدالمطلب عبد الرحمن داود

الدكتور صديقي حمدي

مراجعة

الدكتور علي محمد التايح

مضو المجمع العلمي العراقي

الدكتور صالح احمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي





## تتلب بهم

انه كتاب «الفرات الاوسط» هو أحد الكتب التي اختارها المجمع العلمي العراقي لتنتقل الى العربية تحقيقاً لأهدافه .

وقد ألفه الواو موزيل، وهو بحاثة جيک وسلوفاكى ولد في سنة ١٨٦٨ وأجاد ومارس الحياة الاكاديمية دراسة وادريسا وأجاد لغات اهل البلاد العربية القديمة ، واتفق اللغة العربية قراءة وحديثا ، واستوعب ماكتب فيها وخاصة عن تاريخ وأحوال المناطق الواقعة في شسالي نجد ، والاردن وبادية الشام والفرات الاوسط ، ولم يقصر حياته على قاعات الدرس ومكتباتها المحصورة، وانما عمل على مزج العلم بالعمل ، وعلى فحص شخصي دقيق للمناطق التي عنى بدراستها ، محاولا بذلك تحديد مرقع المعالم التي ورد ذكرها في المصادر وتحديد اهميتها التاريخية ، واقتضاه تحقيق ذلك القيام بعدد من الرحلات امتدت قرابة عشرين سنة ، بدأها في سنة ١٨٩٦ برحلة علمية الى جنوبي الاردن ، في المنطقة التي كانت تسمى عند الاقدمين «العربية الصخرية» التي ينحت اهلها من الجبال بيوتا وامتدت رحلته في دراستها الي سنة ١٩٠٢ ، ثم اعقبها في سنتي ١٩٠٨ و ١٩٠٩ برحلة الى بادية الشام وتدمر ، واتبعها برحلة ثالثة ارتاد فيها الاطراف الشمالية من الحجاز ، ثم عاد في سنة ١٩١٢ الى ارتياد المنطقة المستدة في شرقي تدمر وأواسط الفرات ، وفي سنة ١٩١٤ — ١٩١٥ قام برحلته الاخيرة التي ارتاد فيها بادية السماوة والاطراف الشمالية من نجد . وقد أتاح له رحلاته دراسات ميدانية عززت مكائنها اجادته اللغة العربية ، وافاقه السكرية الواسعة التي امتدت الى الاهتمام بالمعالم الطبوغرافية والآثرية ، وبما في البيئة من ظواهر نباتية وبشرية ، ويسرت له استقامته واماتته واخلاصه في تحري المعرفة من اجل العلم والاتصال بأهل المناطق التي زارها وكسب ثقتهم والافادة من معلوماتهم في ضبط تسمية المواضع ووصف الاحوال ، فأضافت انى ما تميز به من دقة الملاحظة ، وسعة الافق ، وغني المعلومات ، وعمق التفكير ، وشمول المعرفة ، والاتزان في

في الحكم ، وسجل ثمار معرفته في كتب أفرد لكل منطقة منها مجلدا خاصا ، شملت « شمالي نجد » و « شمالي الحجاز » و « العربية الصحيرية » ( بلاد الانباط ) و « الصحراء العربية » ( بادية الشام ) و « الفرات الاوسط » ، وخص بمجلد ضخيم خاص « الرولة » وهي عشيرة من عنزة تقيم في اطراف الاردن ، فوصف احوالهم وعاداتهم وتقاليدهم .

وقد قامت الجمعية الجغرافية الامريكية بطبع معظم كتبه بالانكليزية في نيويورك بين سنتي ١٩٢٦ و ١٩٢٨ وظلت منذ صدورهما مرجعا معتمدا واساسا لكل دراسة متصلة بالمنطقة ، ولم يظهر اي كتاب عن المنطقة يدانيها او يحل محلها ، ولم ينقل منها الى العربية الا بعض كتاب «شمال الحجاز» .

وكل هذه الكتب تجري على نسق واحد ، يخصص القسم الاول منها لوصف المنطقة التي يبحثها وصفاً دقيقاً مستوعباً ، ويورد في القسم الثاني المعلومات التاريخية لبعض المواضع الواقعة في المنطقة التي يدرسها ، فيورد كافة ما يتيسر عن المواضع من المعلومات المذكورة في النقوش البابلية والاشورية والكلدانية ، وما في كتب الاغريق والرومان ، والآراميين والسريان ، ثم ما في الكتب الجغرافية والتاريخية العربية المؤلفة في عهود الازدهار الاسلامي ، ثم يعقب ذلك بما ذكره الرحالون المحدثون . وقد استوعب المعلومات في الكتب التي توفرت له ، فكون منها صورة صادقة قد تغنيها ، ولكن لا تبدلها ، المصادر التي طبعت حديثاً بعد ظهور دراساته .

وافرد في كل كتاب بحث حدث مهم في التاريخ العربي متصل بتلك المنطقة ، فاستوعب المعلومات التاريخية عن ذلك الحدث وفصل في دراسة اسسه الجغرافية واثرها في سير الاحداث ، وناقش الدراسات التي كانت معتمدة في حينها ، وخاصة دراسات الامير ليوكايتاني ، واستنبط من كل ذلك نتائج تثبت او تعدل او تصحيح الروايات العربية المتباينة عن ذلك الحدث .

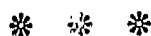
وصف موسيل الاحوال الجغرافية والعمرائية التي كانت قائمة عند زيارته لها ، وضبط أسماء المواضع التي ذكرها بالتلفظ الذي سمعه من اهلها ، ولذلك فان كثيراً من هذه الاسماء تختلف عن اللفظ المتداول في الكتب العربية ، وابرز ذلك في استعماله « ك » مكان « ق » و « چ » « مكان » « ك » وقد رأينا ان ثبت اللفظ الفعيج الشائع مكان اللفظ المحلي الذي ثبتته .

ثم انه في ترجمة النصوص العربية القديمة استعمل تعابير لها حالياً مفهوم محدد جغرافياً يختلف عن المفهوم المذكور في الكتب العربية القديمة . ومن امثلة ذلك استعماله تعبير « القنوات » لما كان يسميه العرب « انهاراً » ، واستعماله « المستوطنات » ( Settlement ) مقابل ما نسميه اليوم « المدن » و « القرى » ، وقد آثرنا استعمال النعابير الواردة في الكتب العربية التي قد يختلف مفهومها عما هو سائد حالياً .

ان المعلومات الواردة في الكتاب تصف ما كان قائماً في السنة التي حدثت فيها الرحلة ، ومن المعلوم ان تسميات وأحوال كثير من هذه المواضع تبدلت بالتبدل الواسع الذي حدث في الاحوال العامة للبلاد ، وقد آثرنا إبقاء وصفه وتسمياته لانها تعبر عن الاوضاع في حينها ، ونحن نعتقد ان القارئ يدرك ذلك ، علماً بأنه لاتزال تعوزنا الدراسات والخرائط المفصلة عن الاوضاع الحالية .

ان المجمع العلمي العراقي باختياره كتاب « القرات الاوسط » اذ ينقل الى العربية ، يدرك اهمية معلوماته وسعتها والتوازن في عرضها ، فإنه يبحث منطقة واسعة من ارض العراق ، وهو جدير بان يطلع عليه ابناء الامة لانه يدون ذخيرة من المعلومات تفيد الباحثين في الاحوال المعاصرة ، وتلقي ضوءاً على المواضع المذكورة في ثنايا حوادث الماضي ، وهي تقدم انموذجاً للبحث المتزن الدقيق يمكن ان يكون قاعدة صلبة للابحاث التالية ، ومثالاً يحتذى لدراسة المناطق الاخرى في العراق والوطن العربي .

وقد شارك في ترجمة كل من الدكتور صدقي حمدي الذي نيطت به  
ترجمة القسم الاول من الكتاب ، الاستاذ عبد المطلب عبد الرحمن الذي  
ترجم القسم الثاني من الكتاب \* ومن اجل توخي الدقة والضبط فقد دقق  
الدكتور على محمد المياح ترجمة القسم الاول ، ودقق الدكتور صالح احمد  
العلي ترجمة القسم الثاني ، ولاريب في ان الفضل الاول يرجع للمترجمين  
اللذين بذلا جهداً يستحق التقدير في التنسيق بين دقة الترجمة ووضوح  
العرض ، ونرجو الله ان يوفقنا لمتابعة العمل في نشر « الامهات » من الكتب  
التي توضح معالم بلادنا وتاريخها ، والله من وراء القصد \*



## مقدمة المؤلف

انّ الكشف التي قمت بها في ونيان بادية الشام في عامي ١٩٠٨ و ١٩١٢ اوصلتني الى الضفة اليمنى من الفرات الاوسط ، التي اتبعتها اثناء رحلتي عام ١٩١٢ (١) ومما حفزني على مواصلة عملي ما كتبه الباحثون القدامى والعرب عن النهرين الغامضين : سو كوراس والثرار ، فتوغذت في داخل بلاد ما بين النهرين الجنوبية في عامي ١٩١٢ و ١٩١٥ . وفي السنة الأخيرة ، وعند عودتي من رحلة موسعة في اواسط جزيرة العرب ( وسنأتي على وصفها في كتابي « شمالي نجد » وهو الحلقة القادمة من هذه السلسلة ) لم اقتصر في بحثي على شبكة الجداول المتاخمة لمصبّ الفرات الاول فحسب ، بل انني تنبعت في طريق عودتي الى سوريا ضفة الفرات اليسرى شمالاً من الوشاش الى الدبر متبّعاً طريقاً دفعني اليه دراسة الروايات التاريخية القديمة التي تثبت ان الضفة اليسرى كانت في العصور القديمة أكثر أهمية حتى من الضفة اليمنى كطريق تجاري وعسكري . ان هذه الكشف على طول ضفتي النهر العظيم والمناطق المجاورة له تكون حقاً موضوع الدراسة الحالية .

وسيجد القارئ مناقشة للطريقة التي بها رسمت خريطتي لشمال بادية الشام ، والتي تصور جزءاً من متن هذا المجلد ، في مقدمة كتابي « بادية الشام » ( نيويورك ١٩٢٧ ) ص ١٣ - ١٦ . اما المعلومات لخريطتي عن بلاد ما بين النهرين الجنوبية ، الملحق بهذا المجلد فقد جمعت بالطريقة نفسها الى حدّ

---

(١) راجع كتابي بادية الشام وهو الجزء الثاني من هذه السلسلة ، نيويورك ١٩٢٧ ص ٤٤ - ٧٣ ، ١٢١ - ٢٧٣ ، ٣٥٧ - ٣٧٣ .



كبير . . وقد طُبعت خريطة شمال بادية الشام في معهد الخرائط في فينا ( وهو المعهد الجغرافي العسكري سابقاً ) ، اما خريطة جنوبي ما بين النهرين فقد تولى طبعا المعهد الجغرافي العسكري في براغ .

كان الدافع الاول لباحثي دافعا تاريخياً ولا صلة له بعلم الخرائط ، ولهذا حاولت جمع ما امكن جمعه من الاسماء الطبوغرافية لتكون اساساً لأبحاثي التاريخية ، وتحقيقاً لذلك وجهت عناية خاصة الى التهجئة . وعند نقل الحروف العربية [ الى اللاتينية ] استعملت نفس العلامات المستخدمة في كتابي " شمالي الحجاز " و " بادية الشام " حيث حاولت التعبير عن كل صوت بحرف او رمز واحد . وسيجد المتخصصون معنى كل من الرموز المختلفة تحت البيانات الموجودة في خريطة ما بين النهرين الملحقة بهذا الكتاب . وأودُّ ان أُبين للقارئ العادي ان ( g ) يلفظ كما يلفظ ( g ) في ( gem ) الانكليزية [ =ج في كلمة جمل بالنطق العراقي ] ، s مثل ش ، z مثل z في azure [ =ر ] ، c مثل ch في chief [ =ج ] و j مثل y في yoke [ =ي في يوم ] وانخيراً f يدل على صوت حلقي مشدد [ =ع بالعربية ] .

اما العلامات الباقية فلا ينبغي له ان يزعم نفسه بها .

وحرصت في تضاعيف هذا الكتاب على نقل معظم الاسماء الواردة في الكتابات الآشورية والكتاب المقدس وفقاً للنظام المستعمل في نقل الاسماء العربية ولهذا اختلفت الاشكال الواردة في الكتاب المقدس ، الى حد ما ، عما نعهده في ترجمة الملك جيمس ، ولكن ما جاء في هذه الترجمة يمكن بسهولة التثبت منه بالرجوع الى الكتاب المقدس نفسه . اما الاسماء الأغريقية فانها تذكر وفقاً لشكلها اللاتيني بوجه عام وليست منقولة عن الأغريقية ( ٢ ) .

(٢) هناك حالات مستثناة من هذه القواعد العامة فيما يتعلق باسماء الاملام التي اتخذت في الانكليزية اشكالا متداولة ، وقد احتفظنا بها خشية الاتهام بالتدخل .

ان الاشارات الى الكتاب المقدس يتصلد بها طبعة رودلف كتل الثانية للنص العبري . ليبسزغ عام ١٩١٣ . . وسيلاحظ القارئ ان هذه الاشارات تخالف احياناً ما ورد في نصّ ترجمة الملك جيمس . وهذه الخلافات ترجع الى ان تفسيرى لمعنى الأصل العبري يحرف عن التفسير الذي اعتمده مترجمو نسخة الملك جيمس .

اما الاشارات الى المراجع في الحواشي فقد وُضعت بشكل موجز . ويمكن الوقوف على الاشارات الكاملة ، مع ما يتبعها من تواريخ المؤلفين العرب والقدماء ، في قائمة المراجع . .

ان معظم المصطلحات العربية المستخدمة في المتن يتضح معناها من سياق الكلام . على ان هناك لفظين ورد ذكرهما كثيراً من غير ايضاح : شعيب ( وجمعه شعيبان ) : مجرى مائي صغير نسبياً او واد يشغله نهر صغير متقطع . الوادي : ( وجمعه وُديان ) مجرى مائي كبير نسبياً او وادٍ يشغله نهر صغير متقطع . اما المصطلحات النباتية الواردة في المتن فقصده ذكرت في الفهرس مع اوصاف موجزة وما يقابلها باللاتينية ان امكن . .

وقد ضمّ الى المجلد مخطط يبين الطريق الذي اتبعه المؤلف كما يشير الى صفحات هذا المجلد التي بُحِثَتْ فيها مختلف اقسام رحلته .

ولابد من عرفان الجليل للمديرين وسائر الموظفين في المكتبة الوطنية ( فينا ) ، مكتبة جامعة كارل ( براغ ) . مكتبة جامعة كولمبيا ( نيويورك ) ، مكتبة الجمعية الجغرافية الأمريكية ( نيويورك ) . لما قدموه لي من التسهيلات للاستفادة من كنوزهم . والى السيد ساندني سمث ( المتحف البريطاني - لندن ) لاقتراحاته فيما يتعلق بالفهارس . والى الدكتور ج . لك رايت ، المحرر . لمعونه الجوهرية ، وخاصة عند اعادة ترتيب الفهارس وتنقيحها . والى الآتسة انا بليجوا ، سكرتيرة الحلقات الدراسية الشرقية بجامعة كارل ( براغ ) ، لدقة عملها في قراءة المسودات واعداد الفهرس . والى السيد كارل ديرلث . المشرف الفني على منشأة الطباعة العامة تي براغ لاتقان اشرافه على طبع هذا المجلد .

## المساهمون في ترجمة هذا الكتاب

المرجم : الدكتور صدقي حمدي

ولد ببغداد ، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمدارسها . واكمل قسماً من دراسته العالية بجامعة بيروت الاميركية .

حصل على الماجستير في الاسلاميات من جامعة لندن سنة ١٩٤٨ ، وعلى الدكتوراه من جامعة توبنكن بالمانيا الغربية سنة ١٩٥٨ .

اشتغل عدة سنوات بالتعليم في المدارس الثانوية وكلية الآداب بجامعة بغداد . وعمل مفتشاً اختصاصياً بوزارة التربية ، ثم ملحقاً ثقافياً بسفارة الجمهورية في : براغ ، الرباط ، بون ، بروكسل ، باريس . وعمل اخيراً رئيساً لقسم التاريخ بمعهد التربية للمعلمين في الكويت لعدة سنوات .

له ابحاث وترجمات في التاريخ الاسلامي .

ترجم عن الانكليزية كتاب ( الرحلة والتنوع في الحضارة الاسلامية ) ( في ٥٠٠ صفحة ونيف ) وهو مجموعة قيمة من المحاضرات والمناقشات لأكابر المستشرقين باشراف الاستاذ الامريكي كرونباوم .

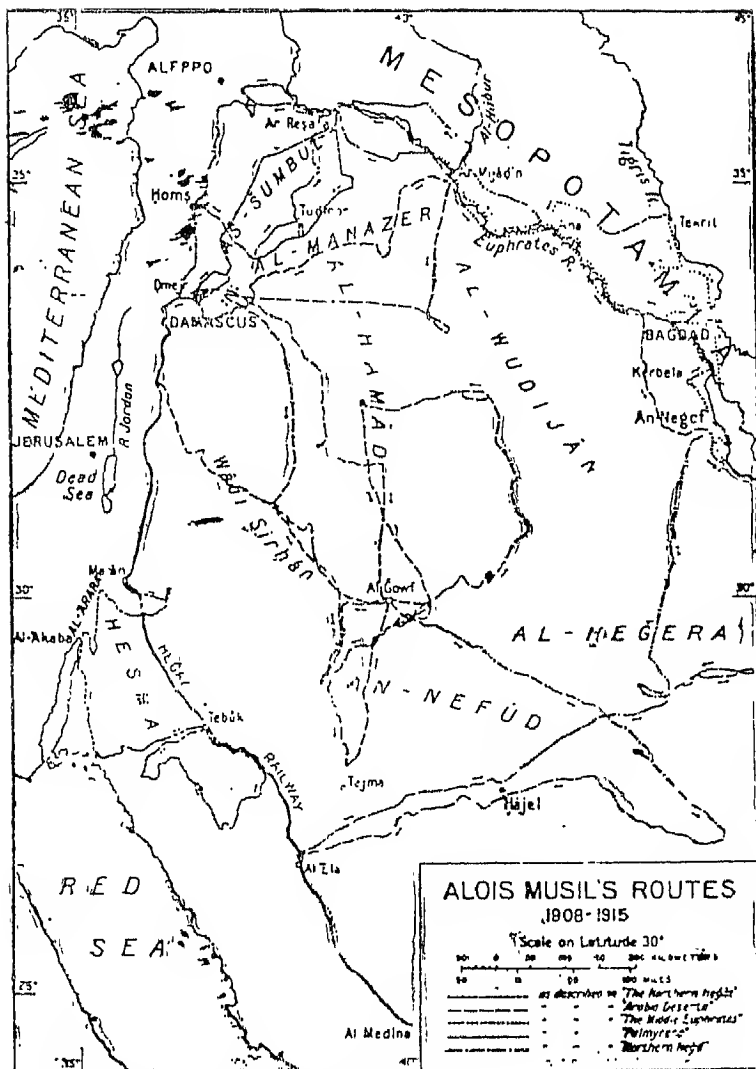
## المترجم : عبدالمطلب عبدالرحمن داود

ولد في الموصل عام ١٩٢٩ وتخرج في دار المعلمين العالية عام ١٩٥٠ بدرجة شرف من قسم اللغة الانكليزية . ثم ضمّ الى البعثة العلية الى انكلترا عام ١٩٥٣ فحصل على شهادة بكالوريوس شرف بتقدير جيد جداً في الأدب الانكليزي ثم الماجستير من جامعة مانچستر . وعين بعد عودته الى الوطن مدرساً في كلية التربية بجامعة بغداد ثم نقل مديراً للتأليف والترجمة والنشر فمديراً للتبادل الثقافي في وزارة التربية والتعليم . بعدها عاد الى جامعة بغداد وانتخب رئيساً لقسم اللغات الاجنبية في كلية التربية واول رئيس عراقي لدائرة اللغات الاجنبية في جامعة بغداد . ثم نقل الى وزارة التربية ثانية بوظيفة ملحق ثقافي في سفارة الجمهورية العراقية في لندن وبعدها مديراً عاماً للشؤون الفنية . وفي عام ١٩٧١ اصبح اول استاذ مشارك في الادب الانكليزي بجامعة بغداد . وفي عام ١٩٨٠ تفرغ للتدريس في المعهد الدبلوماسي التابع لوزارة الخارجية مدة خمس سنوات . ويقوم حالياً بتدريس الادب الانكليزي في كلية التراث الجامعة .

ترجم الى العربية بالمشاركة مع الاستاذ علاء الدين حمودي كتاب تاريخ الادب المسرحي الانكليزي للبروفسور ايفانز استاذ الادب الانكليزي في جامعة لندن . كما اسهم مع جماعة من الاساتذة في ترجمة موسوعة معارف الانسان عن العالم الحديث باشراف ليتمان برايس .

كذلك اسهم المترجم بتكليف من وزارة التعليم العالم في تأليف المدخل الى الشعر الانكليزي باللغة الانكليزية والمدخل الى الشعر والنثر الانكليزي باللغة الانكليزية ايضاً .

وللمترجم بحوث ودراسات نشرت في مجلة كلية الآداب وفي مجلة الاستاذ التي تصدرها كلية التربية — جامعة بغداد وفي مجلة الجامعة المستنصرية وفي المعلم الجديد التي تصدرها وزارة التربية العراقية .



القسم الاول

١٩١٢





## الفصل الاول دير الزور الى الفجيمي

قُمتُ في آذار واولئ نيسان من عام ١٩١٢ بصحبة ( البرنس ) سكتس آل بوربون ، الذي سمّيناه الأمير . برحلة بالميرينا (١) . والتحق برفقتنا رودلف توما سبركر أحد موظفي المعهد الجغرافي العسكري في فينا ، بصفة مساعد علمي وكان واجبه العناية باجهزتنا العلمية ورسم مسار رحلتنا . وتولى ناصر بن عبيد المغلوق ومحمد بن سعد الدين الحموت العناية بنوفا التسع وما حملته من متاعنا . كما تولى الأخير مهمة الطبخ والغسيل كذلك .

ومن بالمرينا اجتزنا سلسلة البشرى . ووصلنا في ٨ نيسان عام ١٩١٢ الى مدينة دير الزور (٢) .

### دير الزور الى الساحل

تقع دير الزور ( شكل ١ ) التي تعرف أيضاً بدير الشعر او الدير باختصار ، على الضفة اليمنى من الفرات . قبالة جزيرة خضراء صغيرة . ويصلها جسر ثابت بضفته اليسرى وتعلل ستّ مآذن بيضاء على مجموعة قباب بيضاء وسلوح بيوت مستوية سمراء . وتظهر الى شرق البيوت كنلة خضراء من البساتين والمزارع ، بينما لانجا، هي الغرب سوى ساحات خالية قاحلة . وترى الى الشمال ثكنة كبيرة .

(١) تناول هذا الجزء من الرحلة في كتاب ( بالمرينا ) الذي سيظهر قريباً في هذه السلسلة .

(٢) للوقوف على دليل باسماء الاماكن الواردة في هذا المجلد والمبينة على خرائط سبه جزيرة العرب الشمالية وبلاد الرافدين الجنوبية المنشورة في هذه السلسلة يراجع الفهرس . انظر كذلك فهرس الخرائط .

تقوم وراءها محلة الجراكسة ، وفيما يلي ذلك من ناحية الشمال بساتين الصالحية التي يملكها صالح باشا . وتتميز البيوت التي في القسم الشمالي الشرقي من المدينة بعلوها عما سواها . أما الاحياء الرئيسة في المدينة وتسمى ( المحلات ) فهي : الشيخ ياسين ، ابو عبد ، الرشدية ، الجامع الكبير ، الوسط ، وعبد العزيز . ويقع مبنى الحكومة ( السراية ) على الفسرات بين محلة عبدالعزيز ومحلة الشيخ ياسين . وقد بنى الجامع الكبير ، او الحميدي سنة ١٩٠٠ ، والجامع العمري قديم يشغل مركز المدينة . وتوجد فضلاً عن ذلك عدة مدارس عامة هي الرشدية ( مدرسة متعددة التقنيات ) والاعدادية ( المدرسة الثانوية ) . ويمكن ان اذكر من بين العائلات الرئيسة : بيت فتیح . بيت عبدالعزيز وبيت خطّار .

ويعيش السكان في الأغلب من التجارة . يشترون الصوف ، ويصنعون السجاجيد والبطانيات لأنصاف الفلاحين وحتى للبدو ، يشترون كذلك زبد الأغنام والماعز ، الذي يصدّرونه غالباً الى دمشق . ويستوردون من المدينة الأخيرة ومن حلب السلع الاوربية ولا سيما المنسوجات القطنية والكتانية ، ومن بغداد يأتون بالتمباك ( الطباق المستعمل للتركيبة ) والعباءات الجيدة للأهالي . ويتعاونون في بيرجيك أرمائاً صغيرة يحملونها حنطة وشعيراً . وكانوا يسافرون نهاراً ويستريحون ليلاً بحيث ان رحلتهم الى القلوجة كانت تستغرق مدة تتراوح من ثمانية الى عشرة أيام . وهناك تحمل الحبوب بعربات على ظهور الحمير ، ويبيعون الأرمات بنحو ٢٠٠ قرش ( ٩ دولارات ) ، ثم يعودون الى اماكن سكناهم . يشترون الزبد الرخيص احياناً وسلعاً اخرى في العراق يحملونها في قوارب شراعية يرحلون بها من قرية الى أخرى عارضين بضاعتهم للبيع . تستغرق هذه الرحلة ، بمثل هذا القارب ، نحو شهرين صعوداً في النهر للوصول من القلوجة الى دير الزور .

وفيما عدا السكان المسلمين الذين يبلغ عددهم أربعة آلاف كان يسكن الى جانبهم في دير الزور منذ وقت طويل مسيحيون ايضاً معظمهم من الارمن والسرمان . وقد زاد عدد هؤلاء المهاجرين بحيث اصبحت سنة ١٩١٢ ( ٨٠٠ ) من السريان

و ( ٦٠٠ ) من الكاثوليك الأرمن ، فضلاً عن مائتين من اليهود . وكان للأرمن والسريان كنيسة صغیرتان .

وتخضع لقيادة دير الزور ثكنات الدرك (الجندرمه) غربی الفرات على الطريق العام من حلب الى بغداد ، وذلك في البضا وتلمر ، وأرك ، السخنة ، الییدی . القباجب ، والقُصْبِيَّة ؛ وتوجد مثل هذه الثكنات على الطريق العام من حلب الى بغداد كذلك : في الكساره (او الكسرة) ، المعدان ، التبنی ، الشمیطية ، بوحسن (او الصور) ، الميادين الصالحية ، أبو كمال (او ابو جمال) ، والقائم . وكان الدركي (الجندرمه) يتقاضى راتباً شهرياً يتراوح من ١٦٠-١٨٠ قرشاً (من ٧٢٠-٨١٠ دولاراً) ، علاوة على ١٢٠-١٥٠ قرشاً (٧٠-٦٧٥ دولاراً) لعلف حصانة . وكانت حامية دير الزور تتكون من ٤٠٠ بغالة (راكبو البغال) ، وقد عهد بواجب الدورية الى ١٢٠ دركياً . والحقيقة ان العدول عن ارسال البريد من دمشق الى بغداد مروراً (بدرب الساعي) ، وقله من حلب بطريق يحاذي الضفة اليمنى من الفرات الى هيت وبغداد ، كان له فائدة عظيمة لسكان الدير ، اذ كانت المسافة من حلب الى بغداد تقطع في ثمانية أيام .

وكانت كل ساعة من التأخير تستوجب غرامة دينار تركي واحد (٥٠٠ دولاراً) . وكان العقد الخاص بحمل البريد بيد الحاج نيمخو من أهل دير الزور ، يتقاضى شهرياً بموجبه ١٠٥ دنائير تركية (٤٧٥٠٠ دولاراً) لقاء خدماته . وكان يحتفظ بخيول معدة للسفر في جميع المحطات . وكان ساعي البريد ينقل حقائب الرسائل الى خيول جديدة ثم يسافر على الفور ثانية . سائراً خصباً طول الوقت . ولم يكن يقبل نقل البقود او الرزم .

وكانت (العربات) القادمة من بغداد تنف بالليل عادةً في المحطات الآتية : الفلوجة ، الرمادي ، هيت ، البغدادی ، الحديثة ، عانة ، النهسية ، القايم ، الصالحية . الميادين ، دير الزور ، التبنی ، الصبيخة ، الحمّام ، المسكنة ، نهر الذهب ، وحلب .

لا نستطيع بطريقة جازمة ان نحدد اسم دير الزور القديم (٣) .

(٣) استنادا الى معجم ياقوت ( طبعة وستفد ) مجلد ٢ ص ٦٦٢ ، ومرصد الانلاخ لأبي الفضائل ( طبعة Juynboll ) مجلد ١ ، ص ٣٠ يمكن اعتبار دير الزور هي دير الرمان ، اذ كانت هذه مدينة كبيرة وفيها أسواق للبدو بين الرقة والخابور ، حيث كانت القوافل القادمة من العراق الى سوريا تتوقف للاستراحة .

وسيجب ان الرقة والخابور ( قرفيسيا ) يقعان على الضفة اليسرى من الفرات ، بينما يقع دير الزور على الضفة اليمنى ، الا ان ياقوت قلما كان يحدد مواقع الأماكن بدقة كبيرة ، كما اننا لانجد بين البلدين المذكورتين على الضفة اليسرى اي انهر لمدينة كبيرة تسمى الدير . . . وكنت القوافل تنزل للراحة في دير الرمان ، لانه في هذا الموضع كان يوجد سهل طريق يؤدي من تدمر الى دمشق ، متفرعا من الطريق المذهب الى سوريا بمحاذاة الضفة اليمنى للفرات .

ويذكر اوينهايم في كتابه ( من البحر المتوسط الى الخليج « العربي » ) ( ١٨٩٩ ) مجلد ١ ص ٣٣٠ : ان اول نص ورد فيه ذكر الدير كان في تاريخ ابي الفدا لسنة ١٣٣١م وفيه رواية هدم السد عند البسر - وهذه العبارة التي اشار اليها اوينهايم ولم يذكر نصها موجود في طبعة القاهرة سنة ١٩٠٥ مجلد ٤ ص ١٠٦ .

ويروي ابن كثير في البداية ( في فهرست ) مجلد ٧ ورقية ٢٠ يدين ، انه حدث في عام ١٣٣١ فبضان كبير في الفرات ، دام اثنى عشر يوما ، وانه بسببه لحق ضرر كبير بالاملاك المجاورة للرجة . وجرف النهر الهائج جسر القوارب في دير البسر ، ونتج عن ذلك ارتفاع عظيم في اسعار الحبوب . وقام الاهلون باصلاح الجسر ، ولكن المياه قونسته مرة اخرى .

ويؤخذ من سياق الرواية ان الجسر المذكور كان قريبا من الرحبة ( الميازين الحالية ) على خمسة واربعين كيلو مترا من الدير . ولعل الحبوب كانت تجلب اليها من بلاد الرافدين بطريق الخابور ، وكذلك من المنطقة المنحبة التي حول نهر دورين القديمة . ويجب ان يعين موقع دير البسر ، وفقا لهذا التفسير ، بالقرب من الميازين وليس عند دير الزور حيث وضعها اوينهايم وموريتس ( بالميرينا [ ١٨٨٩ ] ص ٣٥ ) ويكتفى ابن كثير بالاسارة الى تدمير جسر القوارب فقط . ومن الممكن ايضا ان يكون اسم البلدة الحديثة « البسيرة » مشتقا من « بسير » .

==

وقمنا بزيارة المتصرف ( حاكم السنجق ) بعد وصولنا فوراً ، ولكنه كان نائماً ، فناولنا رسائل النوصية لقائد الدرك ، وواصلنا السفر ثانية في الساعة ٢٢٠ بعد الزوال ، اذ لم تكن توجد حول المدينة مراع مطلقاً ترعاها جبالنا . وكانت البغال قد أتت على الحشائش القليلة ، ولا توجد مناطق خضراء أخرى سوى الحقول . وكانت تمتد على الشاطي الأيمن ، جنوبي المدينة بساتين الجفرة ، وعلى الأيسر بساتين الحُصينية والهطالة . وكانت ترتفع الى يميننا مجموعة تلال التردده . وفي الساعة ٣٤٥ مررنا بثلاث خرائب صغيرة : الخضر وفي الساعة ٤٣٥ نزلنا للاستراحة بالقرب من خرائب ( الساحل ) على الفرات ،

ويذكر حاج خليفة في « جهان نوما » ( استانبول ١١٤٥ هـ ) ص ٤٤٤ ، ان بلدي الرحبة والدير كانتا تابعتين لدائرة الرقة السياسية . كما يؤكد ان قلعة الدير كانت تقع على مرتفع في منطقة الرحبة الادارية . ويتبر اوليا جلبي في تاريخه ( ترجمة فون همر ) مجلد ١ ، ص ٩٥ الى سنجق دير رحبة .

وفي سنة ١٨٠٧ اغار سعود بن عبد العزيز وجماعته الوهابيون على عانة ودير الزور ( روسو ، باشوية بغداد ، [ ١٨٠٩ ] ص ١٧٩ وما بعدها ) .

وفي سنة ١٨٥٧ احتل عمر باشا [ حاكم حلب ] هذه البلدة . ونجح خلفه خليل بك في اقامة نوع من النظام هناك ، وفي المنطقة المجاورة كلها ، وكانت النتيجة انه بعد خمس سنوات فقط انشئت متصرفية فيها ( والمتصرفية كلمة عربية تقابل سنجق التركية ) . وكان اول متصرف هو حسني باشا . ودخل خلفه ارسلان باسا في حروب مسنمرة بينه وبين عشائر الجبور ، والعقيدات ، وشمر ، وعنز ، وهكذا وسع نفوذه ، ولكنه بعد سنة ونصف استدعي [ الى استانبول ] وارسل مكانه عمر باشا الميال الى السلم ، فشيّد في منبلكته السياسية : المدارس ، والثكنات العسكرية ، والمستشفيات ، وجسراً يصل الى الضفة اليسرى من الفرات ، وقد جرفت مياه الفيضان القسم الشرقي من هذا الجسر بعد فترة قصيرة ( سنة ١٨٨٦ ) . وفي سنة ١٨٩٠ في أيام حافظ باشا اقيمت المواصلات البرقية واصبح الطريق آمناً من حلب الى بغداد .

وحال الفلاحين في المراءة يثير الشفقة لما يتجشمون من عمل مرهق ضروري لري اراضيهم . ذلك انهم يرفعون الماء من النهر طول الليل بمعونة أبقارهم ، ويوجهونه خلال مشاعب صغيرة الى الحقول ، ثم يحفرونها بمجارف عريضة لايصاله الى الحقول . انه عمل قاسٍ ، ومن نوع لا يمكن لفلاحينا في اواسط اوربا أن يتصوروه . .

### الساحل الى الشيخ علي

في ٩ نيسان ١٩١٢ ، في الساعة ٤٥ صباحاً دخلنا بقاع مزارق الحشل والمريعية . وهي بقاع غرينية زراعية . وكان النهر يجري هادئاً تحت غطاء ضباب خفيف ، وقد اندمجت السفوح الصخرية المحيطة بها مع الافق بلونه البنفسجي ولا ترى في الشرق الا وهجاً أحمر يزيد تألقاً باستمرار ، حتى ظهرت الشمس للعيان وهي تتوهج كالذهب حتى ليلد انرا بزغت من النهر الآن حتى اذا ما ظهرت اخيراً اخذت تنخلر حولها باستغراب الى الريف الهادي النائم . وارتفعت خيوط رفيعة من الدخان على يمين الشمس ويسارها لم تلبث ان تلاشت في زرقة السماء المصطبغة بلون الورد . ولم يكن ثمة شيء يتحرك . سوى رافعة خشبية تحت مجموعة من اشجار الجوز تقع على يسارنا ينطاق صريرها كلما رُفع الماء لري الاراضي المجاورة .

في الساعة ٦٣١٠ كان الى اليسار منا ثلاثة تلول وهي الخرائب المعروفة بـ (الصرة) ، وفي الساعة ٧٥ ظهرت امام ابصارنا ثلاثة بساتين كبيرة المساحة نوعاً ما تنمو فيها اشجار الحرر يسمى الغربي منها ( بو حسن ) ، ويعرف القسم الشرقي منها الواقع على الضفة اليسرى بالطابية . والى الجهة الجنوبية الشرقية ظهرت القبة الرمادية لمشهد ابو نهود الصغير . (٤)

(٤) اميل الى القول بأن ابو نهود هو مشهد فم سعيد . ويقول ابن سرايون في ( العجائب - مخطوط المتحف البريطاني ورقة ٣٣ يمين ) و ( لوسترنج ) ص ١٤ ان نهر سعيد يتفرع من الفرات عند المشهد الصغير المسمى فم سعيد ، ويجري بازاء قرى كثيرة على



شكل ١ - دير الزور

في الساعة ٧:١٨ بدت على يسارنا هضبة صغيرة ممدودة فيها خرائب الشناقية، وفي الثامنة ظهرت خرائب الطالع . ويقع مرقد ابو نهود الصغير جنوبي قرية

الضفة اليمنى ، ويروى مزارع بلدة الرحبة ، ثم تخرج منها بعض الفروع الى مزارع البلدة الصغيرة : الدالية ، حتى تصب في الفرات فيما وراء هذا الموضع المسمى دالية مالك بن طوق .

وكذلك يشير ياقوت ( المعجم - ويستفد ، مجلد ٤ ص ٨٤٠ ) الى نهر سعيد فيما دون بلدة الرقة . وقد سميت باسمه نسبة الى احد ابناء الخليفة عبد الملك ، الذي اطلقوا عليه ايضا اسم سفير الخير لتقواه . وكانت الاراضي التي يخترقها نهر سعيد مغطاة بالادغال مما جعلها مأوى للأسود . وقد حصل عليها سعيد بطريق الاقطاع من اخيه الوليد بن عبد الملك . وهو الذي أمر بشق هذا النهر ، وباسكان الناس فيما حوله من الاراضي .

ويذكر ابو الفدا ( التكوين - رينو وديسلان ، ص ٢٨١ ) ان سكان هذه القلعة الصغيرة والرحبة يستقون ماء الشرب من الترععة الآخذة من نهر سعيد .



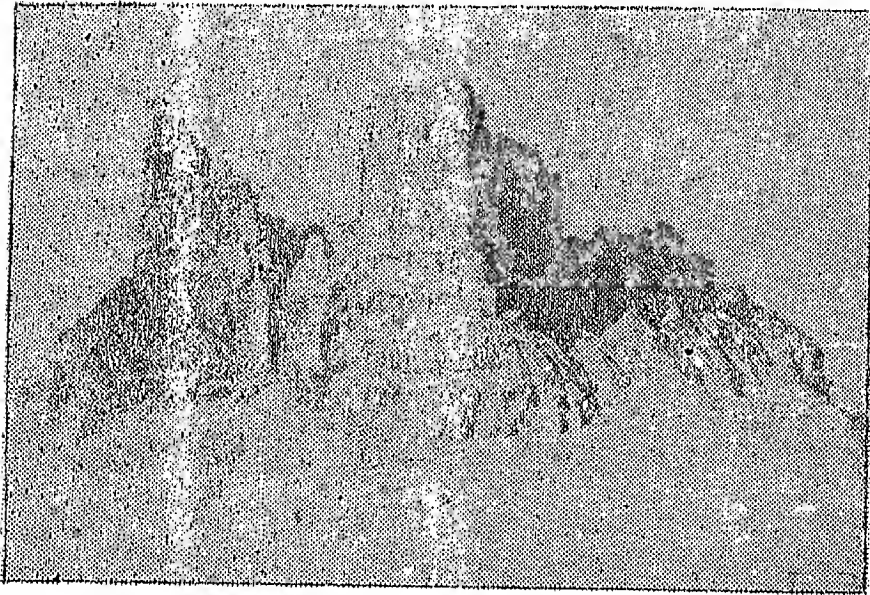
القطعة على كومة خرائب منخفضة . وإلى الشرق منها ارتفعت عدة اكوام خرائب غطى الرمل نصفها تسمى طعوس الخبز وما وراء ذلك يمتد سهل متدرج تقع فيه خرائب ( الحريم ) وقرية صغيرة تسمى ( الصور ) وهي ملك لأسرة (بوليل) من (العضيدات) . وتكون (الحريم) تسلاً مستطيلاً مستوياً ، ينقب الفلاحون عاديات مختلفة فيه خلال أشهر الشتاء . وإلى اليمين ، على مسافة ٣ كيلومترات جنوباً ، يرتفع جرف صخري شديد الانحدار ، يخلق الوادي الذي حفره الفرات لنفسه خلال عصور لا تحصى في هضبات الصحراء الغربية . وترتفع إلى الشمال الغربي امام هذا الجرف ربوة ( نيشان التيس ) . وإلى الجنوب الغربي منا انبسط سهل ( المدورة ) الأجرد وإلى الشرق يرتفع تل ( الجبيل ) . وفي نحو الساعة الثامنة أخذت تهب ريح شمالية غربية باردة . وفي ١٩٤٠ مررنا باكوام من الخرائب . وفي ١٩٢٠ اجتزنا خرائب (أم الذكر) ، وفي ١٩٣٣ كنا نجوز خلال الخرائب الواقعة غربي قرية ( الثوب ) . وظهرت ( البسيرة ) إلى شرق - الجنوب الشرقي ، وهي قرية صغيرة تقوم على حافة منخفضة طويلة تمتد إلى الفرات ، أما إلى الجنوب فيرتفع قصر ( الرحبة ) . وكان السهل إلى يميننا مغطى بنبات العرج . وفي ١٩٢٠ بدت خرائب ( الصليح ) على يسارنا ، وتمتد إلى وراء منها مزارع ( السعاه ) ، وإلى الجنوب الشرقي ( الزباري ) و ( المملحة ) . وفي ١٩٣٥ اجتزنا سهول ( الخريسه ) و ( بغروس ) . وتغمر هذه السهول المياه اوقات الفيضان عادة .

من ١٩٥٥ إلى ١٩٥٦ أخذنا نصيغنا من الراحة في حقول لا يرض ، ورسمنا خارطة للمناطق المجاورة . وفي ١٩٥٠ بعد الظهر بدت على اليمين بقايا برج مشيد بالآجر وعلى اليسار مزارع (البلعوم) و(السياحات) . وفي ١٩٥٢ مررنا بخرائب .

وينخر الفرات ضفته اليمنى ، وتنشأ من جراء ذلك بصورة دائمة جزر صغيرة جديدة تسمى الحويجة ( والجمع حوائج ) تغطيها اشجار الحور . وعلى اليسار بدت للعيان منادلتان ونخلتان ، مما دل على موقع بلدة صغيرة تسمى ( المياذين ) اختلفت وسط المزارع ، ويسكن هذه البلدة نحو ٤٠٠ مسلم ، و ١٥ من المسيحيين

السريان وثلاث عائلات يهودية . وكان المسيحيون قد هاجروا اليها من ماردين منذ زمن غير طويل . وفي الجملة كان يسكن هناك ٢٥٠٠ نسمة في نحو ٣٨٠ بيتاً وهذه البلدة مقرّ ( القايمقام — حاكم القضاء ) ايضاً . وكان يقوم بحفظ النظام والأمن عشرة بغّالة ، ١٢ جنادرمة ، وعشرة شرطة . ويوجد بها كذلك مدرسة للبنين (٥) .

والى جنوب المياذين تقع قرى ( الفارسة ) و ( المحكان ) (٦) و ( تل القرية ) (والجزيرة ) . وقد استخرجت بالقرب من المحكان والقرية مخلفات أثرية .



شكل ٢ قلعة الرحبة

- (٥) انظر فيما بعد ، الملحق ١٥ .
- (٦) أحدد موقع البلدة القديمة سرقى في الخرائب التي بين المحكان والقرية . حينما خيم الملك الأششوري توكلتي انورتا الثاني (٨٨٩ - ٨٨٤ ق.م) في حقول اقتربنى ، قدم اليه مدده ، حاكم أرض ( لقي ) ، مائتي كبش مخصي ، ثلاثين رأس ماشية ، سبع حبوب وتبن وخبز وشراب . وعندما اقترب من سرقى ارسل اليه ملك تلك المدينة ثلاثة امان من الذهب ، وسبعة امان من الفضة الخالصة ، واربعين اناء من النحاس ، وطالنا من المر ، ومدة مئات من الاغنام ، و ١٤٠ رأس

==

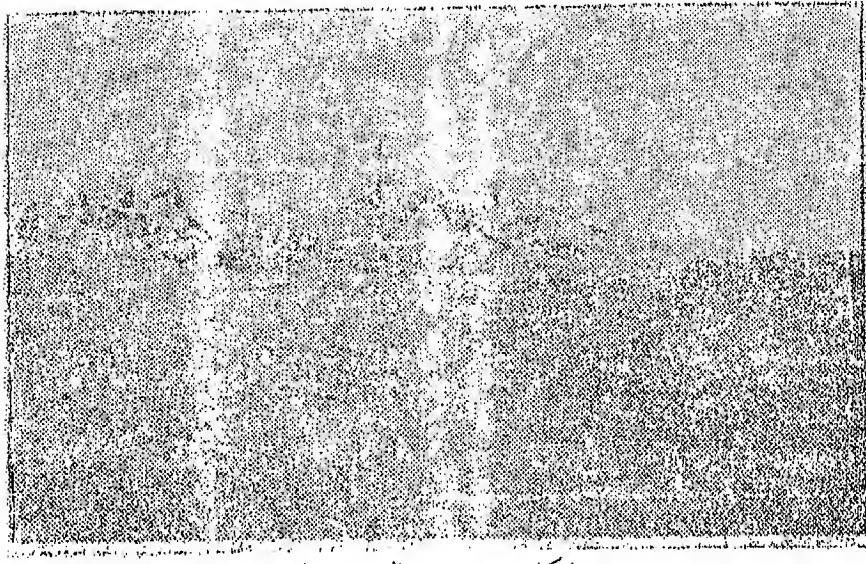
وكانت ترتفع الى يميننا أطلال قصر الرحبة فوق تل اصطناعي ينفصل عن الأجراف الشديدة الانحدار وكأنها تحدّق من علّ على السهل الفيضي . وقد بنيت على نتوء ، يفصله عن سهل يمتد الى الغرب منه ، خندق بصورة تجعله يكون تلاً منعزلاً . وكان التلّ محاطاً بسور حجري متين ، أنشئ عليه طريق متعرج يوصل الى القصر . اما المواد التي بني منها السور فقد هدمت منذ ذلك الوقت ونُقلت الى المياذين واختفت بذلك معالم الطريق . واصبح من العسير الصعود الى القصر . ولا تزال في حالة جيدة الاقبية الواسعة المبنية بالآجر تحت ارضية القصر وجدار عال يحيط بباحة مستطيلة الشكل . و يقوم في مركز هذه الباحة بناء واسع سميك الجدران بداخله باحة ثانية . وقد تهدمت جزئياً جميع هذه الجدران تقريباً ، اما بعضها فقد نُقل بكامله . و الى شمال تلّ القصر وشرقه يمكن مشاهدة بقايا ابنية قديمة من الآجر واكوام كبيرة من قطع فخار مهشم ليست لها اهمية تذكر وتدل الحفر التي حفرت حديثاً هنا وهناك على ان التنقيب في هذه الخرائب كان يجري اما للحصول على مواد البناء او للعثور على كنز (٧) .

ماشية ، وعشرين حمارة ، وعشرين طائراً ، كذلك كميات من الحنطة والتبن والعلف .

( الحوليات [ شاييل ، الحوليات (١٩٠٩) ، اللوحة ٤ ] ، الوجه المعاكس ، اسطر ٢ وما بعد ، ٨ - ١٠ ؛ شاييل ، المرجع المذكور ، ص ٢٠ ) .

(٧) يؤكد ابو الفدا ( التقويم رينو و دى سلان ص ٢٨١ ) ان رحبة مالك بن طوق قد تهدمت ، ولم يبق منها سوى مستوطنة برزت منها مآذن الجوامع و معالم المباني الاخرى التي تمثل المخلقات الوحيدة من البلدة القديمة . وقد شيد شيركوه بن احمد بن شيركوه ، حاكم حمص ، الرحبة الجديدة في جنوب البلدة القديمة على بعد فرسخ من الفرات ، ويقال ان هذه [ الرحبة ] كانت مستوطنة صغيرة ولها قلعة على تل صغير من التراب ، وكان أهلها يستقون الماء من ساقية تأخذ من نهر سعيد . وكانت حوالي سنة ١٣٣٠ محطة للقوافل الآتية من العراق وسوريا وثور من ثغور

وتقوم شرقي قصر الرحبة ، وفوق الجروف مباشرة ، ثلاثة مشاهد صغيرة . ولا تزال مئذنتان في هذه المشاهد سالمتين ، أما الثالثة فقد تهدم جزء منها ويسمى المشهد الشمالي ( الشبلي ) . ويحيطه جنوباً الشريخ وفي أقصى الجنوب : الشيخ علي او علي الحصين . وأقمنا خيامنا الى الجنوب من هذا في الساعة ١٢ ر٥ وذلك بجانب مزارع عالية المقلات عند كف جرف شديد الانحدار . وبعد ان تسلقنا هذه الاجراف بشيء من الصعوبة ، تحررنا هذين المشهدين . ويقع [ مشهد ] على الحصين في القسم الجنوبي من قرية كبيرة خربة [ شكل ٣ ]



شكل ٣ مرقد الشيخ علي

المسلمين . ويذكر ابو الفدا بهذا الصدد ، نقلا عن ( العيزري ) ان المسافة بين الرحبة وقرقيسيا ثلاثة فراسخ . ويروي ديلفاله في رحلته ( البندقية ١٦٦٤ ) مجلد ١ ص ٥٧١ انه شاهد عند المساء قلعة الرحبة على مسافة غير قليلة من الفرات ، واخبروه بانها لا تزال هناك آثار قديمة كثيرة . ويقول في مكان آخر ( المصدر نفسه ص ٥٧٤ ) انه خيم في بلدة لم تكن مسورة تسمى مسجد علي ، وهذا الاسم كان يطلق اذ ذاك على مراكز سكانية كثيرة في بادية الشام ( شمالي جزيرة العرب )

مختفية في منخفض صغير ينحدر نحو الجنوب الشرقي الى نبع غزير مرّ المياه في وادي الخور . والأكواخ مبنية من الحجر والآجر والطين ولكن لا يسكن فيها أحد . والمسجد بناية صغيرة يتكون اسفله من مربع لا يلبث ان يتحول الى شكل مشتمل في أعلاه تسالوه قُبّة . وترتفع الى الشمال الشرقي من المسجد منارة مشتملة الشكل . اما الشريح فهو مشهد بسيط يتكون من مسجد واسع ومنارة خربة ، وقد بُني على نبع ماء عذب . وهاتان القريتان الصغيرتان ( على والشريح ) حديثا العهد . وفي لحف الاجراف التي تقوم على حافتها خربة على والشريح تقع مزارع خصبة تعود لرجلين مسيحين هما جرجي وعبدالمسيح من اهل دير الزور ، ويوسف من أهل ماردين الذين ابتاعوها من عبد الله وعلى ابنتي حفل من عائلة نجرس التي تملك سهل الفرات الفيضي بأسره من المياذين حتى قرية ابو جمال وان عبد الله وعليا كليهما من شيوخ عشيرة ابو جمال . اذ تخضع لعباد الله جماعة شبه فلاحية تستقر على الضفة اليسرى ، ولعلي من كان منهم على الضفة اليمنى . وقيمان في قرية العشارة .

### الشيخ علي الى الصالحية

وفي ١٠ نيسان (ابريل) ١٩١٢ بدأنا سيرنا ثانية في الساعة ٥:٥٥ صباحاً وكانت ريح باردة تهب من جهة الشمال الشرقي . وعلى يميننا وادي ( الخور ) الواسع الذي قطع ماؤه مسافة عظيمة من الصحراء العربية ، وظهرت الى يسارنا خرائب قديمة على تلّ اسود يقع قريباً من النهر ، حيث تجسعت فوقه اكواخ قرية ( العشارة ) الكبيرة او تلّ العشارة . وهي اكواخ غبراء تقطنها نحو مئتي عائلة ، وهذا تل اصطناعي يبلغ علوه نحو ٢٠ متراً . قد جرف النهر قسمه الشرقي . وكان في هذه القرية ديوان للحكومة في بادي الأمر ، ولكنه نقل سنة ١٨٦٢ الى دير الزور ، بعد ان تمّ بناء ثكنات عسكرية على الطريق المار من دمشق الى تدمر فدمّر الزور ومن ثمّ الى الصوار .

تسمى الاراضي التي تروىها مياه الامطار فقط ( السيل ) ، في حين تسمى الاراضي التي تسقى من الفرات بطريقة صناعية او طبيعية ( السراء ) .

والى جنوبي ( العشارة ) تتجمع : السويدان ، الكسره . الرغبة .  
السوراني ، سور الحسرب ( وتسمى سور الحرم ايضاً ) ، السبيحان ،  
المعيزيلة ، المسيفة ، الكشمة ، عين ابو سويمر والدوير .

وفي الساعة ٩٣٧ كنا نسرّ على امتداد لحف جرف القمر ، وهو جرف  
صخري يبلغ ارتفاعه نحو ٣٥ متراً ويسدّ وادي الفرات من جهة الجنوب الغربي  
وفي الساعة ١٠٢٠ اخترقنا مزارع ( سراة ابو شويمر ) ، وفي ١٠٤٧  
صعدنا مرتفع القسراطي ، حيث يصل الفرات عند هذه النقطة جرف الانذرة  
الذي يُطلّ على السهل الفيضي من الناحية الجنوبية . ومن ١١٢٧ الى ١٢٤٠  
بعد الزوال أخذنا قسطننا من الراحة . وفي ١٢٥٢ عبرنا فج اب الحاسم  
وهو شقّ عميق في أرض صخرية . وتقع الى يمينه بالقرب من الفرات  
قرية الدوير . وكان شيخ عشيرة البوجمال من هذا الموضع حتى القائم جنوباً  
هو : محمد الدندل وكان يقيم عادة في البوجمال .

وفي الساعة ١٥٤ ظهرت للعيان حصون الصالحية الضخمة . وهي أبنية  
صفراء اللون كبيرة تلفها طبقات هواء غير مستقرة حتى انها كانت تظهر وتختفي  
لمجرد حركة خفيفة من رأس الراصد . وخيّل لنا ان هذه الهضبة السمراء  
الحصوية التي سفعتها الشمس وكنا نخترقها الان قد جعلت الجدران تقرب منا  
تارة وتراجع تارة أخرى — وهكذا خدعنا ( السراب ) . وفي ٢٣٠ كنا عند قبور  
وبقيتنا نمر خلالها حتى بلغت الساعة ٢٥٢ ، عندها أخذنا جبالنا داخل الركن  
الشالي الغربي من خرائب الصالحية الواسعة ( شكل ٤ ، ٥ ) .

وفي القسم الجنوبي الشرقي من هذه الخرائب ، التي كانت تكون اسوار  
مدينة ( الدورة ) القديمة ، خدّ الكتاب العرب موقع قرية ( الدالية ) ( ٨ ) .

(٨) في سنة ٩٠٣ - ٩٠٤ م هرب ابو شامة زعيم القرامطة مع ابنه الصغير  
واحد اعمامه من جوار حما وعبروا الصحراء الى الكوفة بمساعدة دليل  
من ابناء المنطقة . ولما وصل الى مقربة من الدالية في منطقة طريق  
الفرات ، ارسل صاحبه لشراء بعض المؤونة لجماعته وعلفا لماشيتهم .

ويقوم شمالي خرائب الصالحية ، فوق الفرات مباشرة ، مشهد شيخ  
بدر وهو مشهد صغير . ويليه شمالاً نقتو ( المشتقة ) الاسود ، وإلى شمال ذلك  
تقع صخور ( الشبية ) و ( الاربعين ) ، حيث ينفرج وراءها شق ( ابو البرادع )  
وفي ١٠ره قطعنا الطريق العام المؤدي الى الفرات ، ونصبنا خيامنا في الساعة  
٢٢ره في مستنقعات ( الجزلة ) التي تغطيها الطرفة ( الطرفاء ) - في موضع  
غير بعيد عن مخيم البوجمال ، ومنه اشترى ( الجندومة ) المصاحب لنا شعيراً  
لحصانه . ولا يزال جدول قديم يظهر للعيان اسفل الجرف الصخري المنحدر الذي

ودخل صاحبه البلدة المسماة الدالية ابن طوق لكنه كشف امره بطريقة  
كلامه فاقتادوه الى قائد تلك الحامية . فأخبره بمكان زعيم القرامطة حيث  
كان في انتظار عودته . ومضى القائد مع جماعة من جنده الى ذلك  
المكان ، وهو تل صغير غير بعيد ، فوجدوا جماعة القرامطة واتوا بهم  
الى الرقة ، حيث كان مقر اقامة الخليفة المكتفي اذ ذاك ( تاريخ الطبري -  
دى خويه : سلسلة ٣ ، ص ٢٢٣٧ فما بعد ) وفي يناير ( كانون الثاني )  
سنة ٩٠٦م اتى فريق من جند القرامطة الى الدالية بقرب طريق الفرات ،  
وبعد ان التحق بهم بعض البدو قاموا بغارة نحو دمشق ( غرب :  
الصلة - دى خويه ، ص ٩ ) .

وفي سنة ٩٠٨ - ٩٠٩م سار جيش من قرقيسيا : بطريق الرحبة  
الى الدالية ( الطبري السابق الذكر ص ٢٢٨٤ ) .  
وفي سنة ٩٢٨م قدم ابو طاهر الزعيم القرمطي الى بلدة الدالية في  
منطقة تكرت الفرات وقتل الكثير من اهلها . ولكنه لم يحصل على غنائم  
اذ لم يكن ثمة شيء يذكر . ثم سار الى الرحبة فدخلها في ٣ آذار  
سنة ٩٢٨ ، وقتل الكثير من اهلها هناك ( تجارب ابن مسكويه - امدروث ،  
مجلد ١ ص ١٨٢ ، والكامل لابن الاثير - تورنبيرغ - مجلد ٨ ص ١٣٢ )  
ويقول ياقوت ( المعجم - وستنفلد - م ٢ ص ٥٣٨ ) ان الدالية هي البلدة  
الصغيرة على الضفة اليمنى من الفرات بين عانة والرحبة ، حيث قبض  
على زعيم القرامطة .

ويلاحظ ابو الفضائل ( المرصد - يوينبول - مجلد ١ ص ٣٨٦ ) عند  
نقله هذه الرواية ان هذه البلدة لم تكن معروفة في زمانه .  
ويقوم دير حنظلة بين الدالية والبنسنة ، على الضفة اليسرى من  
الفرات اسفل من رحبة مالك بن طوق ( ياقوت مجلد ٢ ص ٦٥٥ ،  
ابو الفضائل السابق ذكره مجلد ١ ص ٤٢٨ ) .



بُنيت عليه بلدة الصحية . غير ان الفرات قطعها في بعض المواضع . وبالقرب من الشاطئ الأيمن واليسر توجد جزر كبيرة وصغيرة ، مما يدل على ان الفرات قد غير مجراه خلال القرون القلائل الأخيرة . ولا يزال مجرى الفرات القديم باقياً في السهل الفيضي الى الشرق من قاع النهر . ويمتد المجرى على الضفة اليمنى الى الجنوب الشرقي ، بحيث يروي مزارع عدد كبير من القرى ولا تزال آثارها ظاهرة بين الصالحية والبيضة .

### الصالحية الى القسائم

في ١١ نيسان من عام ١٩١٢ اخترقنا الأجمة الى الطريق العام . وفي ٢٣ صباحاً ظهر صلدع واسع في الاجراف الصخرية الممتدة على اليمين يسمى ( شعيب السويحل ) . وتبرز في وادي الفرات شرقي السويحل آخر ما تبقى من طبقة كانت سميكة يوماً ما ولكن عوامل التعرية لم تعمل على ازلتها حتى الان . في ٢٤ ظهرت على يميننا محطة ( درك ) المسماة الصالحية وخان يملكه أحد أهالي دبر الزور . وبجانب الفرات تشاهد رافعات المياه المعروفة بـ ( الجرد ) . وتتكون أبسط أنواعها من عمودين يحملان محور البكرة ، وعلى البكرة حبل يتحرك ، في احد طرفيه دلو جلدي كبير ، وفي الطرف الآخر من الحبل رُبُطت بقرة ترفع الدلو عند امتلائه .

واخترقنا الآن سهل اللايح حيث ينتهي ( شعيب الورد ) (٩) . وهذا السهل مزروع في بعض الأماكن وفي أخرى تغطيه شجيرات طرفةاء كبيرة (١٠) في ٧١٠ مررنا بقرية ( السرويط ) . وفي الساعة الثامنة : ( بالقطعة ) وما وراء ذلك قامت اكواخ قليلة — تعرف بـ ( الخريطة ) و ( الدميم ) ، اما الى الغرب

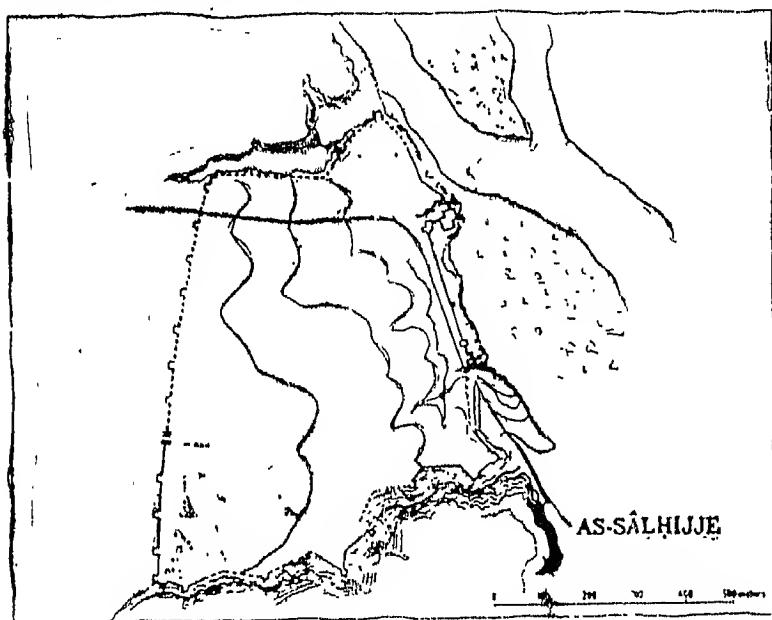
---

(٩) ان المصطلحات العربية ( ماعدا النباتية ) التي لم يحدد معناها في النص قد ورد ايضاحها في المقدمة .  
(١٠) المرادفات اللاتينية والبيانات الموجزة لكثير من المصطلحات النباتية العربية الواردة في النص يمكن الوقوف عليها في الفهرس .

فتوجد خرائب (النصورية) ، وتمتد وراءها الاجراف المعروفة بـ (رقبيصة اليهودي) . وفي ٨٤٥ شاهدنا على اليمين خرائب (المصلحة) ، وإلى الجنوب الغربي منها تلاً عريضاً من الخرائب يسمى (الجحش) مع قرية الرمادي أو (رمادي الزور) . وابتداء من الساعة ٩٤٥ اجتزنا مزارع (سراة ابو قبيع) ومررنا بخرائب شعبان وام زناد ، والحريري : الواقعة غربي قُرى : الحسرات ، السيال ، والحلبية . وفي الساعة الحادية عشرة وصلنا إلى تل كبير كونه خرائب المدقوق وخرائب رسول الاصغر منها .

ولحاجتنا إلى مرعى لجمالنا ، انعطفنا في الساعة ١١٢٥ إلى اليمين واسترحنا من الساعة الثانية عشرة إلى الواحدة بالقرب من خرائب (ابو سييات) . وكان الحرّ شديد الوطأة . وكانت الرياح تهب من الجنوب الشرقي محملة بسحب رمل ناعم هبّج الأعصاب .

وظهر للعيان على الشاطئ الأيسر نتوء صخري هائل يسمى (العرضي) ينحدر



شكل ٤ - الصالحية مخطط الخرائب

الى الفرات انحداراً شديداً . وتظهر الغبرة على جهة اليمين فيما وراء ( سراة ابو قرامس ) ، وهي محطة ( درك ) مهدامة ، وبقايا أبنية قديمة . وكنا في هذه الأثناء نخترق مزارع العشائر والسكرية والبيضة .

في الساعة ٢١٥ بعد الظهر شاهدنا قرية ابو جمال الجديدة بمسجدها الصغير نوعاً ما ومنارتها الرشيقة ومبسانٍ قليلة أكبر حجماً في القسم الجنوب الشرقي . وتندمج في ( ابو جمال ) الاراضي المرتفعة الغربية مع السهل الفيضي الزراعي . هناك مكثنا من ٢٣٢ الى ٢٥٨ ونحن نفاوض القائم مقام للحصول على خفراء . وفي ٢٣١٢ عبرنا ( شعيب الرثقة ) عند مزار ( او قصر ) علي ، غربي قرية ام عياش ، ونصبنا الخيام في الساعة الرابعة عند مزارع ( السويعة ) شمالي مرتفع ( الصفر ) .

وفي ١٢ نيسان ١٩١٢ بدأنا الرحلة في الساعة ٥٣٨ قبل الظهر مخترقين مزارع السويعة . وفي ٦٤١ شبرنا ( شعيب الحميضة ) ، وبعدها مباشرة ( شعيب الفهيدة ) . والى جنوب هذا الموضع ، برزت على مسافة بعيدة من الفرات ( ظهور المانعي ) . وهي تساء الأفق . وهي صخرة عالية مائدية الشكل . وكانت على يسارنا من جهة الشمال مقبرة قديمة تسمى ( قبور علي ) . وظلت تظهر للعيان لوقت طويل مضطربة العرضي وبقايا خرائب كبيرة وصغيرة وقبور على هيئة أبراج باعداد كبيرة . وسرنا عبر حقول ( سراة ابو الجرس ) ، جنوبي الحصبية والهلي . وخرائب العنقا ( ١١ ) والرحلات .

( ١١ ) ارى ان خرائب عنقا لها صلة بقايم عنقا .

ويروي ابو الفدا ( التقويم - رينو و ديسلان ص ٥١ ) نقلا عن سليمان بن مهنا انه كان يمتد على جانبي الفرات سهل فسيح يبلغ قايم عنقا ، حيث يضيق الوادي مؤدياً الى عانة ، والحديثة ، وهيت ، والانبار . وفيما وراء بلدة هيت يجري الفرات خلال سهل العراق ، الذي يسفح بالري - والقايم هو دير القايم ، ومحطة القايم الحالية ، وينتهي سهل الفرات الفيضي على بعد خمسة كيلومترات غربي عانة ، وعلى اكثر من عشرين كيلومتراً غربي القايم .

وبعد عبورنا ( شعيب المانعي ) في الساعة ٧٥٦ وجدنا انفسنا في خرائب  
( تل الجابرية ) -- او الشيخ جابر ، وهو مرقد صغير بُني وسط خرائب الى جانب  
الفرات ( شكل ٦ ، ٧ ، ٨ ) . وقد مكنا هناك من ٨١٠ الى ٨٥٢ ( ١٢ ) .

( ١٢ ) ان موقع خرائب الجابرية تضطربنا الى ان نجعلها مطابقة لبلدة خندانو  
القديمة .

ولقد قدم امة الربيه ، ملك خندانو ، الى الملك الآشوري توكلتي انروتا  
الثاني ( ٨٨٩ - ٨٨٤ ق م ) عشرة امنان من الذهب ، وعشرة امنان من  
الفضة ، وطلالين من الرصاص ، وطلالين من المر ، وستين قطعة نحاسية ،  
وعشرة امنان من نبات زديدو ، ونمانيه امنان من حجر شمزيده ، وثلاثين  
جملاً ، وخمسين رأس ماشية ، وثلاثين حملاً ، واربعه عشر طائراً  
كبيراً ، ومائتي رأس غنم ، وخيلاً ، وشراباً ، وتبناً وعلفاً .

وتبين من ذكر المر والجمال ان خندانو كانت لها معاملات تجارية مع  
تجار كانوا يستوردون منتجات مختلفة من جنوب جزيرة العرب بطريق  
الخليج العربي .

وحيثما كان آشور ناصر بال ، بعد ارتقائه العرش بزمان قصير ، مشغولاً  
بأخماد العصيان في مدينة سوري في بلاد بيت خدييه ، ارسل اليه  
خيانى - وهو حاكم خندانى ( كذا ) - جزية من فضة ، وذهب ، ورصاص ،  
وبرونز ، واحجار كريمه وجمال للركوب . وللدلالة على انه يعترف  
بسلطانه عليه ، اقام له تمثالا في قصره وعليه كتابة منقوشة كما نصب  
لوحة بكتابة مماثلة عند مدخل المدينة .

وفي سنة ٨٧٨ دفع سكان خندانو الى آشور ناصر بال الثالث : فضة ،  
وذهب ، ورصاص ، واوانى ، ونايصة وقطعانا .

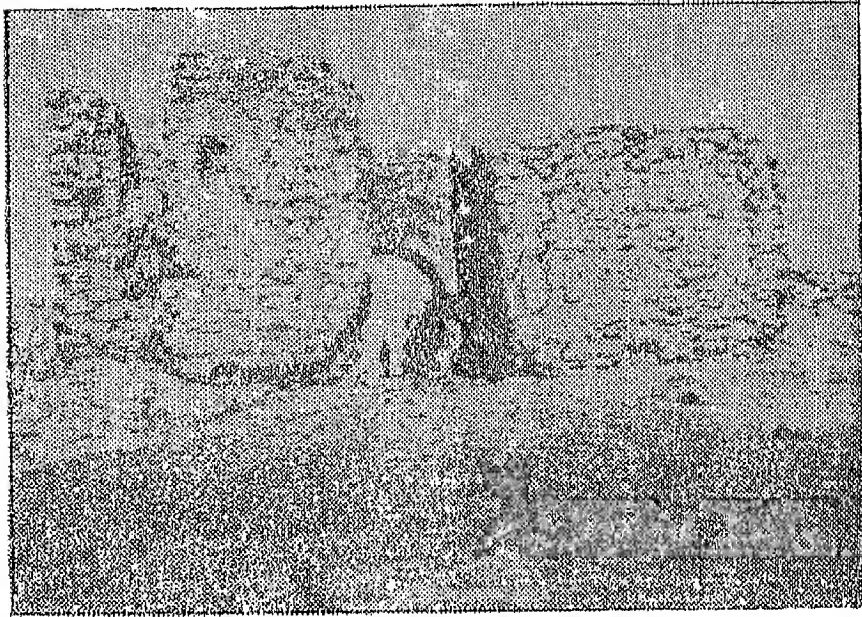
ويذكر شمسى - ادد السابع ( ٨٢٤ - ٨١١ ق م ) ان حاكم خندانو انضم  
الى آشور دانيال الذى تمرد على ابيه شلمانيسر الثالث ( ٨٥٩ - ٨٢٤ ق م )  
غير انه تم اخماد العصيان ودخلت بلاد آشور من مدينة اريدى حتى  
بلاد سوخى في طاعة ( شمسى - ادد ) مرة اخرى .

وفي نحو سنة ٦٥٣ ق م كان سن سار اسور واليا في خندانو ، وثمة  
بعض السجلات المؤرخة من عهده .

وفي سنة ٦١٦ اغار نبوبو لاسر ، ملك بابل ، على خندانو وانهبها .  
وقد علم ايسيدور الكرخي ص ٢٤٧ بوجود مدينة كدن التي ينبغي ان  
تكون - وفقاً لوصفه - مطابقة لـ ( خندانو ) .

ويسمى اسطيفان البيزنطى ص ٢٦ ، مدينة ادنه على الفرات بلدة  
فينيقية سميت كذلك نسبة الى الدوكس ادانون . والقول بان ادنه ،

في ٩١٥ عبرنا (شعيب سعيذة)، وفي ٩٥٠ (شعيب الساه) . وفيما وراء ذلك تقترب الأجراف الوعرة من الفرات ثانية . ورأينا في الطريق عدداً من الفلاحين يركبون الحمير . وكان آخرهم رجلاً مسنّاً اعور، أخذ يلعننا باستمرار ويكرر مائة مرة على الأقل : « ليتكم تموتون اليوم ، ليت هذا اليوم آخر يوم لكم في هذه الدنيا » .



شكل ٥ - الصالحية ، باب القايم الى عانة

التي تطابق خندانو ، هي بلدة فينيقية يدل على اهميتها التجارية . ويقول ياقوت ( المعجم - فستنقلد مجلد ٣ ص ٦٦٨ ) ان عزان الواقعة على الفرات كانت في حوزة الملكة الزباء ، وعدان التي علي الضفة الاخرى من الفرات في حوزة أختها . وتشير عدان - من جهة النطق - الى [ الكلمات ] ادنه ، كدن ، وخندان ، بينما نجد في عزان استمرارا للكلمة الارامية خنزان .

ويذكر القزويني ( المجائب - فستنقلد ، مجلد ٢ حرص ٢٨٣ وما بعدها ) ان عزان كانت ملكا للزباء ، التي بنت بلدين علي ضفتي الفرات احدهما تجاه الاخرى وانشأت بينهما نفقا تحت النهر .

ولقد همّ خادمنا محمد بضربه لكننا امرناه بالمحافظة على هدوئه ، وتحولنا من الطريق العام الى (شعيب الخويخل) عند محطة القايم ، حيث مكثنا من الساعة ١٠.٠٠ صباحاً الى ١٢.٢٠ بعد الظهر .

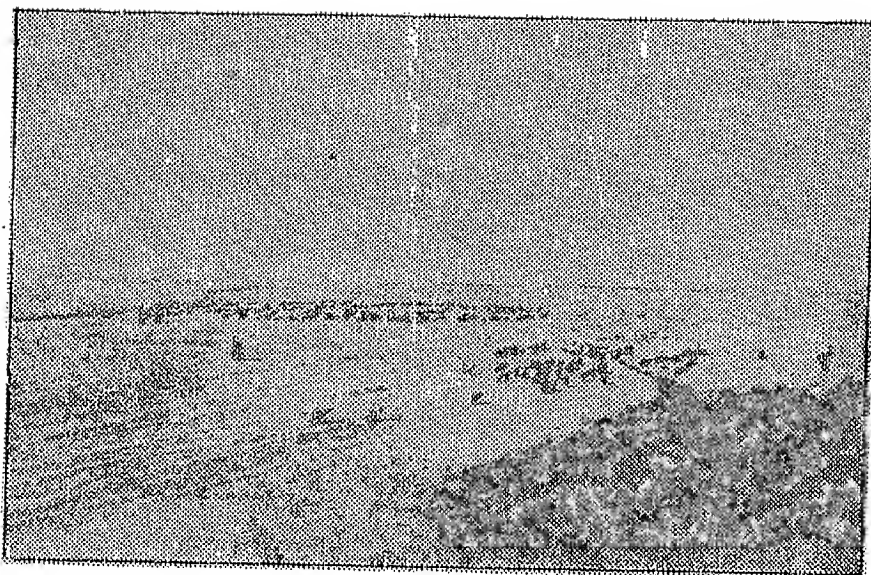
### القائم الى عانة

يقع مخفر (درك) القائم على مرتفع في الضفة اليمنى من (شعيب الخويخل) أو القائم . وإلى الغرب منه بُني (خان) بجانب الطريق العام ، وتقوم الى شرقيّه كومة خرائب تبرز فوقها بقايا برج (١٣) .

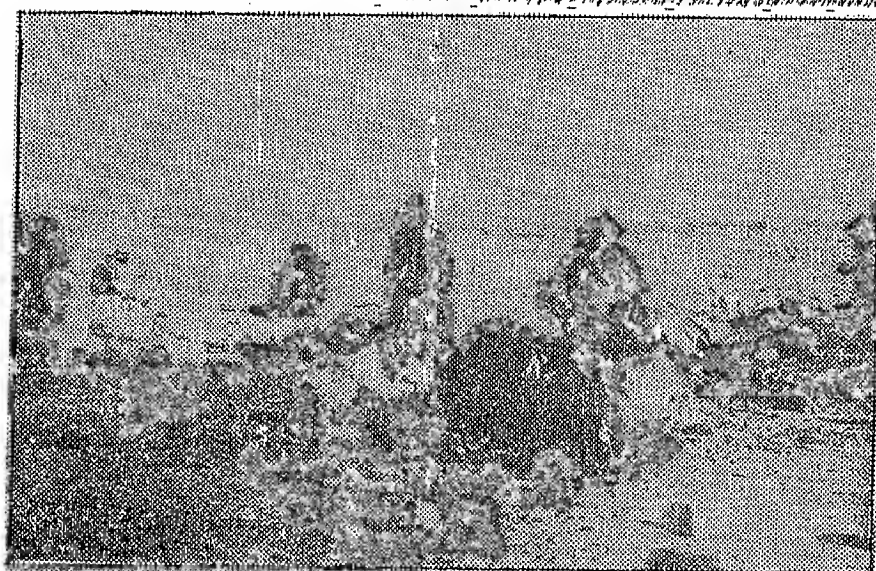
(١٣) كان القائم مدينة ثغرية .

ويذكر ابو الفرج ( الاغانى ، بولاق ١٢٨٥ هـ ) مجلد ٥ ص ١٢٣ وما بعدها - ( البكرى : المعجم وستنقلد ص ٣٥٩ وما بعدها ) انه زار دير القايم الاقصى ، الذى يقع على الضفة الغربية من الفرات على الطريق المؤدية الى الرقة . ويذكر انه كان في الاصل برجاً للمراقبة على غرار الابراج التى اعتاد الفرس والاعريق اقامتها عند الحدود . ثم بنى ديسر بالقرب منه ، ولكنه سرعان ما أصبح بغير سطح أو باب في منتصف القرن العاشر . وكان لا يزال مسكوناً تحت حكم المخليفة هرون الرشيد ( ٢٨٦ - ٢٨٩ م ) حيث اقام ثلاثة ايام اثناء سفره الى الرقة وكان مما اجتذبه كثرة الازهار ولاسيما شقائق النعمان هناك ، وقد اعجب الخليفة بكرم ضيافتهم ايما اعجاب ، حتى انه اعفاهم من الخراج ( ضريبة الارض ) ، وامرهم بدفع عشرة دنانير فقط سنوياً عن جميع ممتلكاتهم .

وقد اورد ياقوت ( المصدر السابق ) مجلد ٢ ص ٦٨٤ ، وابو الفضائل ( المراسد - يوينبول مجلد ١ ص ٤٣٧ ) كلمات ابي الفرج في هذا الموضوع وزادا عليها انهما شاهدا هذا الدير ايضا . ويقال انه سمي القايم لارتفاع برجه ، الذى امكن منه مراقبة خطوط الحدود الفارسية والرومانية على السواء . وقد زعموا ان هذا البرج يشبه عقرقوف عند بغداد ، واصبع خفان بضواحي الكوفة .



شكل ٦ - من الجابرية ناظرا الى الجنوب الشرقي

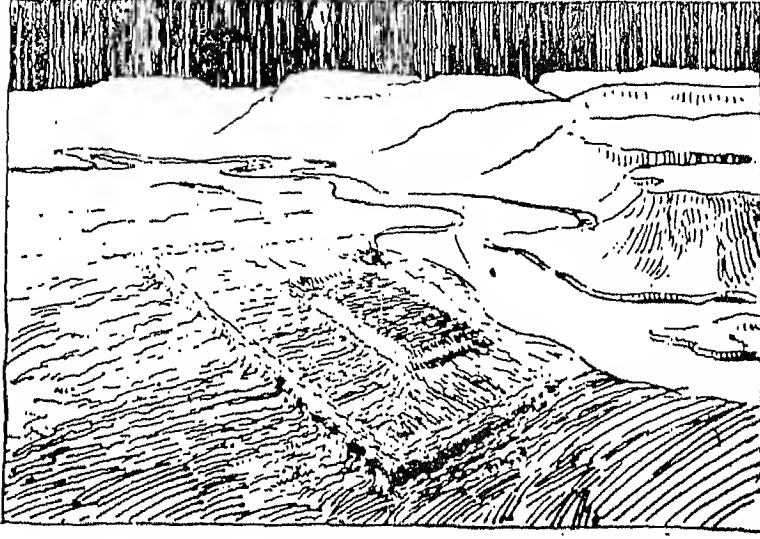


شكل ٧ - حلب الماعز في الجابرية

في ١٠ بعد الظهر كان على يسارنا سهل الفياضية ، وعلى اليمين منحدر التريجية الصخري . وفي ٤٤١٢ عبرنا شعيب سلمان الذي ترتفع على ضفته اليمنى ظهور القنيطرة وهي عدة تلال صغيرة مستطيلة منبسطة السطح . وفي الساعة الثانية كنا في شعيب أبو ربيع حيث كانت قافلة تجارية كبيرة تعجلب التمر والزبد من عانة الى حلب تحط رحالها . اما ابو ربيع فيبدأ عند سفح (طرق ابو سعد ) ويتخذ طريقه بين تلال ( الرخيمات ) و ( التريجية ) . وفي ١٢٢٢ غادرنا سهل الفريضية الرسوبي وائجهنا شرقاً فوق مرتفع ( مفازة الشنانة ) ، متحاشين الدوران حول اربع اشباه جزر كوئها مجرى النهر . وتقع على مقربة من ضفة الفرات اليمنى قرى الفريضية ، والقنيطرة ، والعبيدي ، والمطرزية ، والمشعل ، البرد ( البريد ) ، الحصيم ( الحميص ) ، الشفيرة ، الجروه الشقاقية ، الرافدة ، الجرن ، الصفر ، الوضاحية ، الهفة ( الهبة ) العماري ( العمارية ) ، الزعفران ، الزلّة ، الشفوانية ، والنهاية . وتوجد بالقرب من قرية الصغيرة خرائب (الحصير) ، وهي خرائب واسعة يعثر الفلاحون فيها على مختلف العاديات وعند ( الجروة ) ينتهي شعيب ابو الجروة حيث تشاهد على الجانب الايسر منه خرائب اخرى تبعد مسافة ستة كيلومترات من النهر . يرتفع في الجنوب تلال صغيران هما تلال ( القرون ) وينتهيان من الجهة الجنوبية الشرقية بمرتفع طويل . في الساعة ١٠٣٢ كان تل (رجم القرس) على يسارنا وفي ٤٠٣٢ دخلنا ثانية سهل الفرات قرب ( البريد ) وقطعنا وادي ( ابو الجروة ) وفي ٤١٤٥ خيّمنا على الجانب الايسر من الطريق العام وسط اجمة ، نيرة من الطرفاء . ومن مخيم الدليمي عند خرائب ( الشفيرة ) ، حيث يتولى الرئاسة فرحان بن شرجي ، كنا نسمع طوال الليل قرعاً رتيباً على طبل كبير . لقد كانوا يستعدون لحفل ختان رقص فيه الرجال والنساء من المساء حتى الصباح . واجتزنا ثانية في الساعة ٤٦٥٢ صباحاً من يوم ١٣ نيسان سنة ١٩١٢ الهضبة التي يقطعها ( شعيبان الصخرة ) . وظهرت



خرائب ارتاجه الى اليسار على جرف شديد الانحدار . وفي ٦٤٤ شاهدنا في حقول الهضبة اول رافعة ماء من نوعها المعروفة ( بالناعور ) ( شكل ٩ ) وتتكون من دولا ب كبير رُكبت على حافته أوعية فخارية مستطيلة . ويظل الدولا ب



شكل ٨ الجابرية

غائصاً في النهر الى عمق كبير ويستند محوره على دعامتين من الحجر ويرتبط بضفّة النهر بصفّ من الدعائم تحمل عقوداً (قناطر) وضع عليها حوض . ويحرك الماء المتدفق الدولا ب ، فتمتلئ الجرار بالماء وينصب في الحوض ، ومنه يتدفق الى المزارع . ويسمع صرير هذه الدواليب ليلَ نهار .

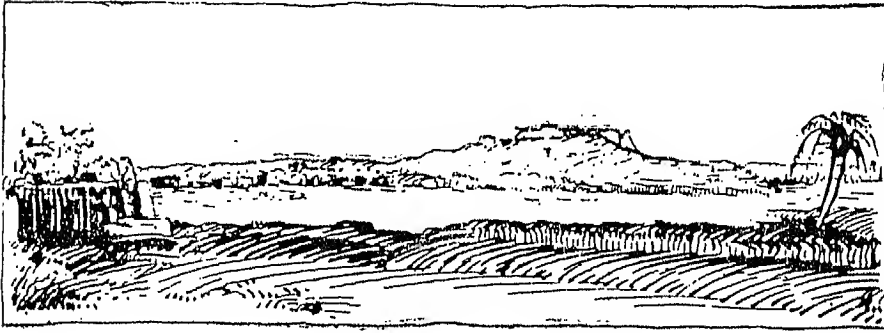
وفي الساعة ٦.٥٥ بدت للعيان مزرعة قصر المشوَّخ الى الشمال في مزارع الزعفرانة. في ٧.٢٨ انحدروا الى الفرات بقرب مزارع الزلّة . ثم استرحنا في



شكل ٩ - ناعور حقول الحافي

الزاوية من الساعة ٨ ، حتى ٨ر٥٠ وبمسارنا مررنا بسهل الريضة الفيضاني الذي تحيط به من الجنوب روابي اذينه حيث تشاهد جمالاً كثيرة ترعى . وكانت هذه قطعان عشيرة العبيد . حيث كانوا يخيمون في شعبيان الفحميات . وفي الساعة ١٠٣٠ وصلنا الى مخفر (جنادرمة) النهاية الواقع في جنوب الطريق قرب كومة مواد بناء قديم وكان يوجد الى الشرق منه مخيم كبير للدليم ، يمتد وسط مزارع البرقنية والافطارية . وفي ١١ر١٠ صعدنا مرتفعات مسقط الجبال الوعرة . وتقع على النهر من الناحية اليسرى خرائب الدينية ، تليها بقليل قرستان صغيرتان هما : المهيدية ، الابراهيمية ، وخرائب الخلاوي والنزالية ، ومزارع الهلرية . ولقد عُثر في المدينة على آثار مختلفة من الزجاج ، والأباريق ، وأوعية فخارية كبيرة . وظهرت الى الجنوب هضبات قور البطاطيح المنخفضة والى شمالها روابي الغزويات ، والى الشرق من الأخيرة هضبة كنف المغر حتى اذ ابعدنا ناحية الشرق ظهرت

سلسلة منبسطة هي سلسلة الحميديات واسترحنا من ١١٣٥ الى ١١٠ بعد الظهر حتى اذا بلغت الساعة ٣١٠ كنا بجانب النهر مرة اخرى ، قرب مزارع الابرجية . وعلى اليسار كانت الفجوات التي كونتها ( شعبان الخضكة ) تبدو سوداء اللون . وفي الساعة ٤٣٠ أقمنا مخيماً قرب مزارع العونية شمالي الحميديات .



#### شكل ١٠ - راوة من الجنوب الغربي

وفي ١٤ نيسان سنة ١٩١٢ مررنا خلال روابي الهاليات جنوبي قرى الحسينية ، الشروانية ، السويودة ، الشرحلية ، والمنظرية . ومن ٦٣٠ حتى ٧٠٠ صباحاً كانت جمالنا ترعى في شعيب الحصى ، حيث تطفح مياه نبع الرخيصى ، وشاهدنا امامنا مجموعة أبنية نصف مهدمة تعرف بالمشهد ( أو المشهد الكبير ) ، والى الشمال منه توجد مطحنة وتمتد في شرقه بسايتين قرية ( راوه ) يُطلّ عليها نوء صخري وثكنة جنود ومزار الشيخ ( رجب بن احمد ) الرفاعي . وفي ٨٢٣ كنا عند المشهد الكبير . وهو قرية صغيرة خربة تقع قرب مسجد تعلوه قبة كبيرة وقبتان صغيرتان (١٤) .

(١٤) كان المشهد الكبير فيما مضى ديراً مسيحياً ، وكان مقراً لمعين لمدة سبع سنوات ، ومعين هذا كان في وقت ما قائداً تحت حكم الملك الساساني سابور الثاني ( ٣٠٩ - ٣٧٩ م )

لقد رأينا بقرب المشهد الكبير اول بقرات مُسَنَّمَةٍ . وكانت على يسارنا جزيرة ( الكرابلة ) الصغيرة ببيوتها الخمس واشجار نخيلها الجميلة . وفي الساعة ٩٦ كان الى يسارنا مرقد علي ، وما وراء ذلك ضريح الشيخ محمد ، وجزيرة صغيرة تسمى اللباد . وفي ٩٣٨ عبرنا شعيب [ الكهف ] ، ومن ٩٢٤ الى ٩٣٨ توقفنا أسفل اجراف صخرية شديدة الانحدار رأينا منها روعة منظر الشمال الشرقي . وتتوج الضفة اليسرى من الفرات بساتين يانعة ترتفع فوقها مدرجات اكواخ قرية راوة (شكل ١٠) وتعلمو هذه ثكنة القليعة العسكرية العظيمة . وفوق القليعة من جهة اليسار مشهد يؤمّه الزوّار يسمى مزار الشيخ رجب الذي يعلو على الأفق . وهنا ترتطم مياه الفرات بجزر صغيرة متعددة تغطيها اشجار النخيل . وترتفع على الضفة اليمنى أجرف صخرية صفراء متحدرة ، تُخفي الى حد ما نخيل عانسة واكواخها . وقد بنى القليعة مدحت باشا سنة ١٨٧٢ ، لكنها مهجورة الآن ، لأنها اصبحت مكاناً للاشباح على ما يقال .



شكل ١١ عانة من الجنوب العربي

في الساعة ٥٠ر٩ وصلنا الى بسانين قرية ( عانة ) ( ١٥ ) . ومن بين الخضراوات التي تزرع هنا كان البصل والثوم اكثرها وفرة . اما فيما يتعلق بالاشجار ، فقد كان هناك ، فضلاً عن النخيل : الرمان ، والتين ، والتوت ، وفي حالات نادرة : الزيتون . وسرنا اول الامر خلال البساتين وعلى امتداد المنحدر الصخري الذي توجد فيه مغارات كثيرة ، ما بين طبيعية ، وصناعية . وتابعنا السير بعدئذ في درب ضيق بين البساتين والاكوخ التي تراءت كأنها لصقت بالصخور ، اذ لم يكن في القرية الا شارع واحد يمتد خمسة كيلومترات تقريباً ، وينحصر بين صقع شديد الانحدار في الجنوب والفرات في الشمال . وانتظرنا من الساعة ٥٣ر١٠ الى ٤١ر١١ لمقابلة ممثل القائمقام ولكنه كان غائباً . ويتقوم مبنى الحكومة بجانب ( شعيب القنطرة ) . ولما واصلنا السير رأينا على اليمين في الساعة الثامنة عشرة قبة البرمكية ، ثم عبرنا شعيب الشبخ خضر ، حتى وصلنا في الساعة ٧ر١٢ بعد الظهر الى جسر مهديم ( شكل ١١ ) يصل القرية بجزيرة حويجة القلعة — وتعرف فيما عدا ذلك بعانة العتيقة أو عانة العتيقة — حيث لا تزال هناك بقايا قلعة حصينة .

ولم نغادر محلة الهداهدة الا في الساعة ٣٢ر١٢ ويطلق هذا الاسم على المحلة الشرقية من عانة .

وأقام محلة في عانة هي القسم الغربي : بيت الكعلى . ثم يتبعه الحممران ، الصاغة . السراية . بجميلة . العوجة . الشريعة -- وتسمى ايضاً الدلابحة — السدة . والهداهدة . ويسكن عانة نحو ٧٠٠ عائلة مسلحة ، و ٥٠٠ عائلة يهودية . ويقطن اليهود في محلاتي العوجة والشريعة ، ولهم كنيسة ، ورئيسهم خوجه روبين بن مناحيم . . وكثير من البيوت في الشريعة مبنية على طراز قديم (شكل ١٢) وهي اما ان تؤلف مربعاً او مستطيلاً . يضيق في أعلاه ، ويغطي سقف مستوي

(١٥) انظر فيما بعد ، الملحق ١٦ .

يحيط به جدار منخفض تنتظمه بعض الكُؤَى . والكثير منها تتألف من ثلاثة طوابق ، ولكن الطابق الارضي لا توجد فيه نوافذ . وتسمى الجُزُر التي بقرب عانة : لباد ، الحضرة ، المسجد ، البشن ، الخراب ، الشيخ نُصَّار .

### عسانة الى الفحيمي

وبعد ان تجاوزنا القرية سرنا في مزارع صغيرة زُرعتُ شعيراً ، ونخيلنا في الساعة ١٣٠ بعد الظهر قُبالة شعيب ابى الجرابعة ( شكل ١٣ ) . وارتفعت امامنا على الضفة اليسرى منارة ( المفتول ) التابعة لدير الملوثة المهْدَم بالقرب من قرية صغيرة مهجورة تعرف بالحابولية .

في ١٥ نيسان سنة ١٩١٢ بدأنا الرحلة في الساعة ٥٥٠ صباحاً على شريط من السهل الفيضي الواقع بين الاجراف الصخرية العالية جنوباً وبين النهر . والسهلُ الفيضي في هذا الموضع ضيق صخري . وفي الساعة السادسة شاهدنا على اليمين مزرعة مهْدَمَة بجانب مرقد يسمى القصر أو المشهد الصغير ، وعلى اليمين الثغرة التي كوَّنها شعيب القصر ، الذي ينبع فرعاه : الطويل وأبوتين بين طرق ابو سعد وخشم الوعرية . وفي الساعة ٢٥٠ عبرنا ( شعيب المحدر ) ، وفي مقابل جزيرة تلبس الصغيرة المأهولة بدأنا الصعود الى هضبة ( الراحانة ) وتعرف ايضاً بالريحانة ، التي تحدّها جنوباً روابي منخفضة يتعرج خلالها وادي نخجلان . وفي الساعة ٣٠٠ شاهدنا من خلال شعيب العوصية نخيل قرية الحجين على الضفة اليسرى . ثم تركنا جمالنا ترعى من الساعة ٣٠٠ الى ٣٨٠ . وقبل الساعة الحادية عشرة بقليل التقينا بالقائمقام يصحبه عسكري برتبة رائد مع عشرين جندياً على ظهور البغال ( البغالة ) ، يخفرون اثنين من رؤساء عشيرة الدليم قيل لنا انهما رفضا ان يدفعا للمرة الثانية بعض المستحقّات التي سبق ان اختلسها جابي الضريبة في قرية الحديثة . وفي الساعة ٣٥٠ وصلنا الى الفرات . وتقع في الشمال مزارع الاشويمية ، البيجان ، والعوصية ، وفي جنوبها امتدّ شريط طويل من شجيرات الطرفاء والعوسج محاذياً النهر بعرض يبلغ نحو ٣٠ متراً .

وقد اكسب تفتح عدد لا يحصى من الأزهار جميع الشجيرات لوناً احمر واييض .  
وتغطي السطح ببساط أخضر من مختلف النباتات السنوية والدائمة . وكانت  
جمالنا متعبة وجائعة ، وكنا نتوق الى حمّام جيّد . ولذلك نصبنا خيامنا في  
الساعة ١١:١٨ على الجهة اليسرى من الطريق العام ، بقرب الفرات نفسه .

لقد امضينا يومي السادس عشر والسابع عشر من نيسان في فحص ملاحظتنا  
الطبوغرافية ، واستكمال نواقص خرائطنا ، وفي جمع النباتات ، وترتيب الصور  
الشمسية . وكم كنت أودُّ أن أضع قائمة خاصة بكل عشائر الدليم ، غير اني  
لم استطع ان اجد اثنين من المخبرين يتفقان بهذا الصدد . فقد يختزلون مكانة  
العشائر المعروفة لهم الى مجموعات صغيرة أو حتى الى اسرة واحدة . أو لعلهم  
يصورون بعض الأسر المنفردة في هيئة عشائر عظيمة في حين يجعلون العشائر  
التي لا يعلمون عنها الاّ النزر اليسير في عداد الأسر غير المهمة .

## الفصل الثاني الفحيمي الى الرمادي الفحيمي الى وادي حوران

بدأنا رحلتنا في ١٨ نيسان سنة ١٩١٢ في الساعة ٥٤٩ صباحاً . وفي ٢٠ عبرنا شعبياً واسعاً هو شعيب الفحيمي ( ويسمى أيضاً الحضر ) وصعدنا الى مرتفع العوسجات . وعلى اليسار يقوم مخفر الفحيمي ، وأمامه كومتان عاليتان من الاحجار للدلالة على الطريق . ويسمى الشريط الضيق من المزارع التي تحاذي النهر ( الجرن ) حتى اذا بعدنا شرقاً ظهرت مياه النهر وهي تنخر الاجراف الصخرية الجنوبية مكونة عدة جزر صغيرة . ثم برزت بعد الساعة الثامنة على يسارنا جزيرة المرزوقية . وتقع على شواطئها الشمالية والشرقية قرى صغيرة هي : جرنه ، الشامه ، ترنانه ( وفيها خرائب ) ، شغياته ، ترناسه ، سوسه ، وشجال . ويجري الفرات بطيئاً متعرجاً بين شواطئ مزروعة واطنة وكثير من الجزر . والى الجنوب تظهر روابي العمري وابو شابور وهي روابي واطنة داكنة اللون . وفي الساعة ٩١٦ عبرنا شعيب السكة ، وفي ١٠٢ شعيب البارج . وعند قرية الباهية اقتربنا ثانية من الفرات . وظهرت الى الجنوب الروابي التي ينبع منها ناييب أبو شابور . الذي اجتزناه في ١١٢٨ . أما على اليسار فكانت قرى صغيرة هي : البشتية ، طيمانية ، بني حارثة والجزل . وتركنا جمالنا ترعى من الساعة ١١٣٨ الى ١٢٤٦ في وادي الحجر .

في الساعة ١٠١٠ بعد الظهر مررنا بقرية البطينة ومرقد الشيخ حديد (شكل ١٤) والأخير مبني على قاعدة مربعة تستقر عليها خمس درجات مستديرة ؛ ويرتفع مخروط على الخامسة منها . ورأينا في الساعة ١٠٢٦ على يميننا ضريح السيد



محمد (شكل ١٥) ، وهو شكل مثمن الأضلاع يحمل ثماناني درجات مستديرة ومعروطا . وكانت المزارع التي على اليسار تسمى : الخمسة ، علاته ، حبيب ، والمخاضة . وفي الساعة ٤٠ ر١ وصلنا الى قرية الحديثة .

تقع الحديثة على جزيرة . وقد بُنيت بيوت القسم الشمالي منها بعضها قرب بعض وتنمو في قسمها الجنوبي انواع جياة من النخيل ، وثمة جسر يؤدي الى الضفة اليمنى . ويقع بالقرب منه مخفر و ( خان ) ، ونشاهد على الروابي المحيطة بهما قبور بيضاء كثيرة (١٦) .

(١٦) روى البلاذري ( الفتوح - دى خويه ص ١٧٩ ) انه حدث في خلافة عمر بن الخطاب ان سار مدليج بن عمرو السلمى من الكوفة متجها الى هيت وحصون اخرى في تلك الناحية . وفتحها ، واسس الحديثة على الفرات . وقد زعموا ان ابنه ولد في هيت . وفي النصف الاول من كانون الثانى ( يناير ) سنة ١٠٦٠ م وصل الخليفة القائم من منفاه في عانة الى بلدة حديثة عانة ، ومنها عاد الى بغداد ( ابن القلائس - الدليل - امدروز ، ص ٨٩٠ ، ابو الفدا : المختصر - ادلره - مجلد ٣ ، ص ١٧٢ ) .

وفي سنة ١١٢٢ - ١١٢٣ م كان عامل بلدة الحديثة لعله الامير سليمان بن مهارش العقيلي ( نسبة الى قبيلة عقيل ) ، وقد أجاز الوزير المعزول : جلال الدين بن صدقة الذى مالبت ان اعلن العصيان على الخليفة ( ابن الاثير : الكامل - تورنبرغ - مجلد ١٠ ص ٤٢٥ ) .

اتابك ان اهل حديثة عانة كانوا بسبيل العصيان عليه وجه اليهم الجنود ، اتابك ان اهل حديثة عانة كانوا بسبيل العصيان عليه وجه اليهم الجنود ، فاستولوا على البلدة ، وقتلوا اشخاصا كثيرين ، وانتهبوا كل ما وجدوا هناك ( ابن القلائس كالسابق ص ٢٨٠ ) .

وفي سنة ١١٩٠ م استولى الناصر لدين الله على حديثة عانة ، لكن بعد مقاومة عنيدة ، وعلى ان يقطعوا الاراضي في مناطق اخرى ( ابن الاثير كالسابق مجلد ١٢ ص ٣٨ ) .

ويذكر ياقوت ( المعجم ، مجلد ٢ ص ٢٢٣ ) ان حديثة الفرات ( وتسمى ايضا حديثة الثورة ) تقع على بعد عدة فراسخ من الانبار على جزيرة في الفرات ، وكانت بمنابة حصن ذى اهمية ملحوظة ، وينقل عن السمعاني ( توفى سنة ١١٦٦ - ١١٦٧ م ) قوله ان الحديثة كانت مقرا لطائفة النصرية .

ويعين ابو الفداء ( التقويم - رينو وديسلان - ص ٢٨٧ ) موضع بلدة الحديثة بين الانبار وعانة .

وتتجمع جنوبيّ الحديثة قرى : المحسّة ، القايد ، حندول ، ميلان ، سرو ، معجود ، النجمي ، الحجر ، بني ظاهر ، قرهيفة ، والشرونة ، وعند الأخيرة ينتهي وادي خجلان ويعلوها مرقد الامام علي (ع) . وكل هذه القرى تسمى ايضاً بني ظاهر . وعندما اصبحنا مقابل جزيرة الوردان في الساعة ٢٤٧ صعدنا الى مرتفع مفازة الدبس . وفي الساعة الثالثة اجتزنا وادي خجلان العميق حيث يمكن رؤية جزيرة التيمية . وهي جزيرة صغيرة في الفرات تقع الى الاسفل منه : وقادنا طريقنا الى سهل القائد وهو سهل اجرد سفعته الشمس لا توجد نباتات سنوية فيه الا في بعض المواضع السفلى منه ( حمري ) . وفي الساعة الرابعة عبرنا شعيب الزغادان وفي ٢٠٥ شعيب اليهودي ، وفي ٥٥٥ انطلقنا يساراً ثم انحدرنا على الجانب الغربي من أخدود قصير يهبط الى النهر مقابل جزيرة ( ألوس ) ، حيث خيمنا لقضاء الليلة فيه . ويوجد في هذه الجزيرة عشرون بيتاً مرتفعاً متين البنيان كما تنمو فيها اشجار نخيل ضخمة ( ١٧ ) . وفي اسفل الأجراف الصخرية المطلة على الضفة اليمنى تقوم قلعة مهدمة . وكان البرق يوسض في تلك الليلة على بلاد الرافدين .

١٩ نيسان سنة ١٩١٢ . . منذ ساعة مبكرة اي في ١٧٦ قبل الظهر حملتنا الجمال خلال سهل متموج نخترقه شعبان الخفاجيات ، وتنتظم سنوحه كثير من المغارات . وفي ١٨٦ اطلعنا الدرك بالقرب من شعيب بنات الحسن على بعض هياكل عظمية لخيل وجمال ، وهي بقايا معركة نشبت بين ( الدرك ) ومحاربي قبيلة الظفير . وكانت الظفير ، التي تقع مخيماتها بالقرب من الخليج العربي ، قد هاجمت قافلة تابعة لتجار من اهل عازة كانوا يعجلون تمباكاً ( التبغ للركيلة ) وعباءات فاخرة من بغداد . وقد قُتل دركيان ، وجرح ثلاثة ، وسلبت القافلة كل ما معها من متاع . اما التجار فقد لاذوا بالفرار ، ولكن الجمال وما عليها من احمال استحوذ عليها رجال الظفير بأسرها . اما الحيوانات التي وقعت فقد

(١٧) ويشير ياقوت ( المصدر السابق ، مجلد ١ ، ص ١٦٥ ، ٣٥٢ ) الى قرية الوس او الوس بالقرب من عانة والحديثة على الفرات . ويضيف ابو الفضائل ( الراصد - يونبول - مجلد ١ ص ٨٨ ) قوله ان الوس تقع اسفل من عانات ، غير بعيد من الحديثة .

سليخ جلودها الفلاحون واشباههم واقتطعوا خير اجزاء لحومها ، وتركوا ما بقي منها فريسة للحيوانات . في ٨١٥ عبرنا وادي حوران (١٨) .

### وادي حوران الى هيت

في الساعة ٩٢٨ تراءت لنا في الجنوب الشرقي اشجار النخيل في قرية الجبة الى الجنوب الشرقي ، أما الى الشرق، فكانت بساتين القرى واكواخها تحتضن المنحدر الصخري على الضفة اليمنى من النهر عند جزيرة آلوس . وهذه القرى الصغيرة هي : الفيليلي ، السبورت ، القصب ، الجديدة ، جنفه ، الوردية ، الربيعي ، عناية ، الصوينخ ، ابلي ، ابو العلا ، الابرازية ، الجودفيه ، السمعانيه . والمروانية ، والأخيرة تقع قريباً من جبة . وفي ٩٣٩ شاهدنا الجزيرة — وعليها قرية الجبة — الى الشرق منها مباشرة ، وكنا آنذاك نقرب ثانية من الفرات (١٩) .

والى الجنوب من جبة تقع قرى الجداميه ، ام دويل (وتسمى أيضاً جَنَفْتَه) ، المشهد ، المهيريّة ، بيت خلف ، والحلبسية .

وقضينا فترة استراحة من ١٠٢٥ صباحاً الى ١٢٣٠ بعد الظهر . وفي ١٩ اجتزنا شعيب القصر ، ويقوم على مقربة منه مخفر ( درك ) وخان البغدادي على ضفاف الفرات . وفي ١٢٠ كان على يسارنا بستان كبير هو ملك فهد بن هذا آل شيخ قبيلة العمارات . وينتهي شعيب العشلي في هذا البستان . ثم تابعنا

---

(١٨) بطليموس ( الجغرافيا ) م ٢٠ ، ٣ يشير الى منطقة اورانتس بالقرب من الفرات في بلاد بابل . - فاذا كانت كلمة اوران لم تنسخ خطأ من ارام ، فيجب ان نبحث عن اورانتس في المنطقة المجاورة لوادي حوران ، ولو ان هذه المنطقة لم تكن في بلاد بابل وانما كانت في بادية الشام . يسد ان بطليموس كان في الغالب يضع الاماكن في البلاد المتاخمة ، ولعله فعل ذلك بالنسبة الى اورانتس . وكان الجزء الشمالي الغربي من بابل يسمى ارامتس

(١٩) ويدكر ياقوت ( المصدر السابق ) مجلد ٢ ، ص ١٣ وابو الفضائل ( المصدر السابق ) مجلد ١ ص ٢٤٠ جزيرة تسمى الجبة بالقرب من هيت .

طريقنا متجاوزين روابي البيادر على اليمين ، بينما بدت على يسارنا بساتين وقرى  
سحاقيّة ، الجديدة ، الوسيطة ، لمّاع . المجاول ، الدرعة ، البشري ، الزويّة ،  
الزريج ، الدويلية ، وخرائب الجابرية الواقعة عند مضيق من الأرض . وتقع  
وراء المضيق : الجنانية ، الزراعة ، العيايسة ، اللسيّة ، المشقوقة ، القطبية ،  
القرابية ، الضخيفة ، النغاشة ، البازية ، النوبعم ، الفالح ، الورشانية ، الحريدية ،  
الخضارم ، بني خزرج ، المفردات ، الدّبيّة ، سعدان ، الشيخ ظاهر ، السكارية ،  
البسطامية ، البثنية ، الابردية ، السليّة ، الخولدية ، السريدية ، السمعانية ،  
المشخن ، جزيرة غانم ، البلاتية ، الحسنية ، الشيخ السليّة ، القاميّة ، الدليّة ،  
الحجر ، وكنان القرية من بلدة هيت .

واسترحنا من ٢١٨ الى ٢٥٦ في موضع غير بعيد من جزيرة ( ناووسه )  
المأهولة ( ٢٠ ) .

كان الحر شديد الوطأة ، وخاصة لأن شبه جزيرة ( المعيزيلة ) باعدت بيننا  
وبين برودة النور عندما كنا نقطع سهل سيباط الأجرد الذي لفتحته الشمس .  
وفي الساعة الخامسة عسكرنا في منحنى من غربيّ الطريق العام .

في ٢٠ نيسان سنة ١٩١٢ كنّا نسير في ارض صخرية وعرة ترتفع فيها روابي  
مخروطية الشكل تتوزع هنا وهناك . وفي الساعة ٦ قبل الظهر اجتزنا شعيب  
الفالج الأول وفي ٢٨ عبرنا شعيب النالغ الثاني ، حيث ننمو نباتات الشحيح  
والعنسل بكثرة . وإلى الشرق منا بدا للعيان مرقد الامام ابو الزين قرب قرية  
الشيخ ظاهر ، وإلى الجنوب الشرقي ارتفعت من مدينة هيت سُحُب دخان اسود

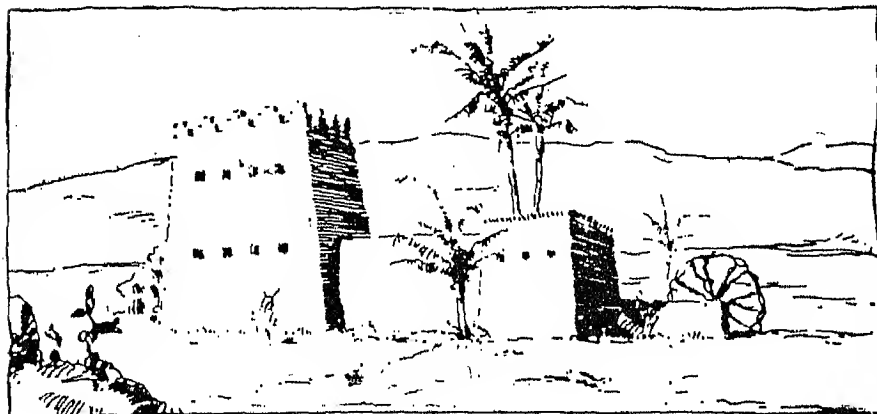
---

( ٢٠ ) الناووسة محطة قديمة على الطريق من بغداد الى الرقة .

ويقول الادريسي ( النزهة - ترجمة جوبير ، مجلد ٢ ، ص ١٤٤ )  
ان الناووسة بلدة صغيرة كثيرة السكان على جزيرة في الفرات ، وينمو  
في البساتين المحيطة بها انواع فاخرة من الفواكة والخضروات المختلفة .  
ويلاحظ ابو الفضائل ( المصدر السابق ، مجلد ٣ ص ١٩٢ ) ان  
مسنوطة الناووسة تقع في منطقة هيت الادارية .

وفي الساعة ٦ر٥٧ دخلنا أراضي السهلية والحسينية المالحة . وفي ٧ر١٢ تجاوزنا جزيرة صغيرة تسمى الافليسي ( او الفليوي ) ، التي حولت الى بستان . ومن ٧ر٣٢ الى ٧ر٥٢٠ ملأنا قربنا ماء في بساتين الشيخ محمد السليّة . وفي ٨ر١ تركنا الفرات وسرنا بين روابي واطئة جرداء ، وفي ٨ر٢٨ مررنا خلال شعيب واسع هو شعيب المرج يمتد بين أجراف بيضاء شديدة الانحدار . واسترحنا من ٨ر٣٤ الى ٩ر٢٢ .

وأخيراً ظهرت للعيان بلدة هيت (٢١) وقد تصاعدت منها أعمدة دخان تزداد علواً وسواداً . وتحجب كثافة خضرة بساتين قتان و( البصاير ) و( القندي ) هذه البلدة ، ولسم يكن يُسرى من ناحيتها الشرقية سنوى عسدد من البيوت القاتمة ومثدنة مائلة تنذر بالخطر . وإلى الجنوب امتدت حافة عريضة واطئة هي حافة ( قوس السن ) ، وبرزت الى الجنوب منها منارة الميميرة ( المعمورة ) العالية . وفي ١٠ر٥٣٠ وصلنا الى سكة حديد ضيقة ، استخدمت لنقل احجار البناء من المقالع القديمة في الميميرة الى الفرات . وكانت الأحجار تنقل في قوارب الى الهندية لاستخدامها في بناء سدة على الفرات . ويظهر الى غربي سكة الحديد هذه ، وعلى طرف البساتين ، مقام علي وهو مرقع صغير نصف مهدم

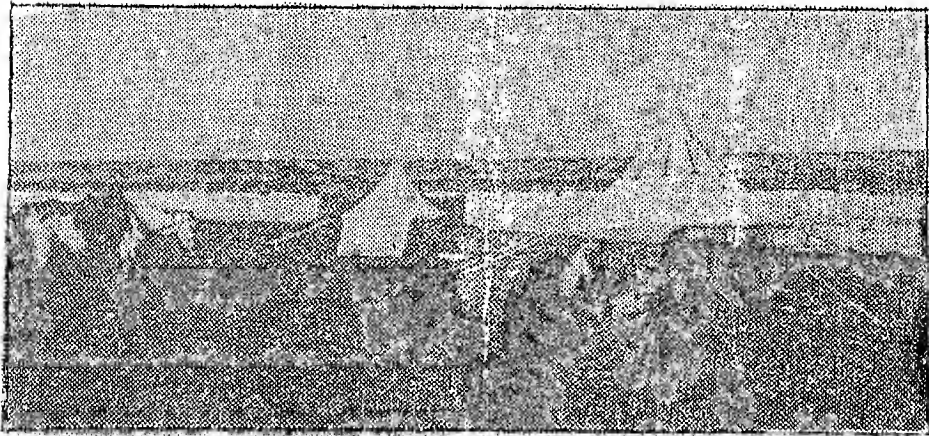


شكل ١٢ - بيت رجل يهودي في عانة

(٢١) انظر فيما بعد ، الملحق ١٧ .

يقع على مسافة قصيرة من نبع يطفح بالماء . ومن ١١١٠ الى ١٢١٥ بعد الظهر توقفنا عند بساتين الدوارة الواقعة في الجهة الجنوبية من المدينة . وذهب ناصر لشراء الملح ، وبعض الخضراوات وشي من الشعير ايضاً لحصان الدركي .

أن البيوت السمراء الغامقة في مدينة هيت تغطي ربوة مصفّرة اللون مخروطية الشكل من اعلاها الى ادناها ، ويبلغ ارتفاعها نحو ثلاثين متراً . وتقع اوسع البيوت واعلاها في الجانب الشرقي ، حيث يقوم المسجد القديم ومنارته المائلة ايضاً . ويفصل المدينة القائمة الربوة المخروطية عن ( الخانات ) والمخازن التي في لحفها الجنوبي الغربي شارع عريض . وتوجد بين الضاحية وبساتين الدوارة افران تستخدم لصهر القار وتصفيته . ويبلغ سكان هيت نحو خمسة آلاف نسمة ، ينتمي ثلثهم الى قبيلة الدليم ، ونحو خمسمهم فقط ينتسب الى قبيلة عقيل . وتتألف بيوتهم عادة من طابقين ، والشوارع ضيقة ، ملتوية وقدرة ، اذ أنها لا تغسل الا اثناء سقوط امطار الشتاء الغزيرة . وترتفع المنارة الطويلة فوق البيوت . وتوجد بين السكان عائلات يهودية متعددة عاشت هناك منذ أزمنة قديمة . وعائلة ( الياسين ) ابرز عوائل المدينة وعلى رأسها محمد بن ذياب . والمهن الرئيسية للسكان هي : جمع القار والنافثا ، قلع الحجر ، البستنة ، وبناء ( الشخاتير ) . والمواد



شكل ١٣ مخيمنا على الجهة المتعابلة لشعيب ( أبو الجرايع )

المستعملة في صنع هذه القوارب هي الخشب وجريد النخيل ، والقار الذي يستخدم لطلائها من الخارج والداخل . وسعر القارب ستة او سبعة ليرات تركية ( ٢٧ أو ٣١٥٠ دولاراً ) . وكل عيون النافثا والملح ملك للحكومة وتؤجر لقاء مئة يجيدي ( ٩٠ دولار ) حتى مئتي مجيدي ( ١٨٠ دولاراً ) . ويستعمل القار ( الجير ) في البناء ، كما يستخدم في طلاء سطوح القوارب التي تُصدّر الى كربلاء بصفة خاصة . وبساتين هيت ضيقة جداً وتقع على ضفة النهر فقط . إذ على مسافة قليلة منها تصبح التربة مشبعة بالمالح الى حد يمنع نمو أي شيء فيها . أما بستان الحمادي ، الذي يجاور بساتين ( بنان ) فقد غرس حديثاً في شرق الدوارة .

ان الاراضي الواقعة بجوار هيت تتكون من حجر كلسي أصفر ، تغطيه طبقة جبس سميكه تبلورت بصورة غير منتظمة تنبثق منها عيون كثيرة مجة او مرّة الماء نوعاً ما . ومن مثل هذه العيون تشم رائحة الكبريت وتسرب من هذه العيون غازات مختلفة ، مكوّنة فقاعات كبيرة . ويشبه القار الذي يتدفق على السطح زبداء قدراً . ويتسرب الملح على حافات العيون محاطاً بوحل وردي اللون . ويُعرف القار بسعف النخيل ، ويعزن في شكل قطع كبيرة ، ثم يُخفّف باضافة الكلس اليه ويصدّر في القوارب . وتُنسج في هيت أو عيه من القش وسعف النخيل كذلك وتُطلّى بالقار من الداخل والخارج ؛ ثم انها تُعلّق على دواليب ونواير تستخدم لرفع الماء من الفرات لريّ البساتين . ويبلغ قطر هذه الدواليب من عشرة الى خمسة عشر متراً . وتوجد جنوبيّ هيت منطقة واسعة مستوية فيها عدد لا يحصى من عيون مجة الماء ، ويجري الماء الى خزانات مربعة الشكل ، حيث يستخلص منه الملح بطريقة التبخير . وأهم عيون القار هي : عين لطيف ، الدروبي ، لايح المعمورة ، المرج ، والجرب ( عين الجربة ) .

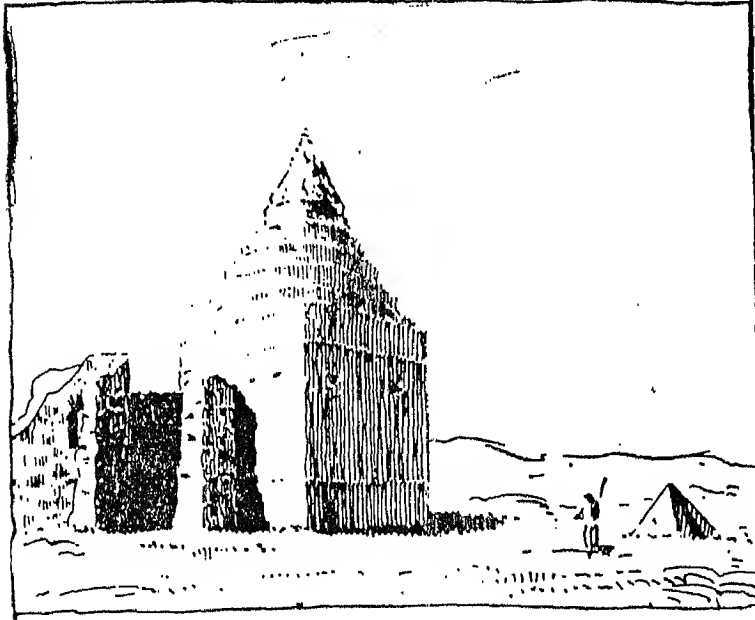
المعميرة قرية غربيّ هيت ، لم يبق منها سوى مسجد . فقد انتقل سكانها الى قرية ( الكيسة ) .

ويروي ان رجلاً من قبيلة الدليم تزوج فتاة من هيت واتى بها الى خيمته حيث جعلها تعاونه في حلب غنمه وبقراته غير ان الحياة في المرعى المشمس لم ترق لهذه

الفتاة . فقد تشوقت الى مسقط رأسها وقات لزوجها : حتى وان كنت تحب  
هذه الارض المشمسة ، فاني لا أحبها ، إعطني صوت النواخير وبساتين النخيل  
في هيت .

ومن هيت كان طريق النقل القديم الى دمشق يتجه غرباً . وكانت قرية  
( كبيسة ) التي تبعد خمسة عشر كيلومتراً تقريباً الى الغرب هي نقطة البدء الفعلية .  
ويسكن ( كبيسة ) نحو تسعمائة عائلة اقواها بيت راضي وعلى رأسه فرج  
ابو الحافظ . وهناك عيون كثيرة : واعذب المياه ينبع من عين العذي .

والاراضي المجاورة كلها تحولت الى بساتين واسعة كثيرة النخيل ليس للزيتون  
أثر فيها . ومعظم السكان يعيشون على التجارة مع البدو ، ومن هنا اشتقت كلمة  
الكبيسي ( وجمعه كبيسات ) ومعناها البائع المتجول .



( شكل ١٤ - قبر الشيخ حديد )



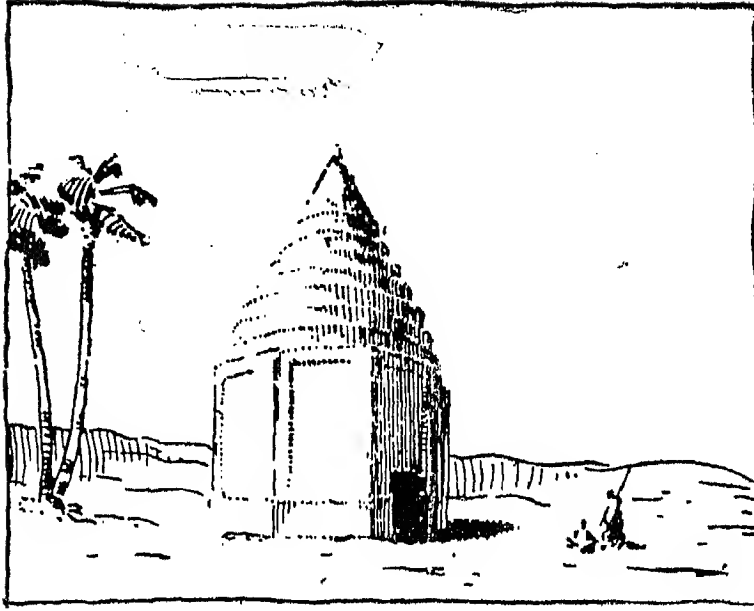
تقع قرية (كبيسة) شمالي وادي الشعير (٢٢) ، الذي يعرف بـ (شعيب البزم) حينما يبدأ في سهل فيضة العايح عند غدير العرج ورجم الصابولن ثم يسير متعرجاً بين هضبيات المظاهر المنحدرة الجوانب . ويتصل بهذا الوادي من الجهة اليمنى بـ (شعبان) أبو العفين ، الشواء . وإبو جلاطة . وتقع على طريق النقل في القسم الرئيسي من وادي الشعير خرائب تقصر خبّاز ؛ كما تتدفق مياه عيني الزعزوع والعذي كذلك بالقرب من هذا الوادي ؛ وتوجد في شعب ابو العفين : عين العواسل ، وفي شعيب ابو جلاط : عين الشيخ والعصفورية .

وعلى بعد ثلاثين كيلو متراً تقريباً جنوبي الكبيسة تتدفق عين القار المسماة بـ (ابوالجير) ، تحيط بها مزارع عشيرة جايب (كليب) . وإذا بعدنا جنوباً وجدنا هذه العشيرة تزرع المحاصيل ايضاً بالقرب من آبار (التميل) . وليس هناك بيوت بل بضعة اكواخ بائسة .

(٢٢) ذكر ياقوت (المعجم - مجلد ٤ ص ٢٣٥) ان كبيسة على في طريق برية السماوة على اربعة اميال من هيت . منها تسلك البرية وهناك عدة قرى اهلها على غاية الفقر والفاقة وضيق العيش لانهم في جوار البادية وفي ربيع سنة ١٣٢٠ اجبر الزعيم الرئيسي منها مع قبيلة العيسى على الخروج من الاراضى المجاورة للسلامية ، فاقاموا خيامهم في المنطقة المحيطة بعانة والحديثة على الفرات . ولم يلبث الجنود السوريون ان طاردوهم حتى بلغوا الرحبة وحتي دمانه : ومن هناك هربوا الى الصحراء التي ماوراء الكبيسات ( ابو الفدا : المختصر - ادلر ص ٣٤٠ فما بعد ) وتدل الكبيسات على مجموعات من الاكواخ في واحة الكبيسة ، على بعد خمسة وستين كيلو مترا من الحديثة .

ان اسم عين (العط) يومئذ الى اسم (العصا) ، الذي يقول ياقوت عنه ( في المصدر السابق مجلد ٣ ص ٦٨٣ ) انه موضع على شاطئ الفرات بين هيت والرحبة ، ونسبه الى العصا فرس جديمة الابرش التي نجا عليها قصير وكانت الملكة الزباء قد قتلت جديمه غيلة . واشتهر بين قبائل العرب امر هذه المعركة المعروفة بيوم العصا والخيفق .

ان موقع عين العلي الموجودة اليوم بالقرب من هيت او الرقة حيث كانت تقيم الملكة المشهورة الزباء ، يتفق وموقع عين العصا . ولعل هذا الاسم الوارد في رواية ياقوت كان ينبغي ان يكتب ( ادا ) بدلا من العصا ، وهو خطأ ليس من الصعب وقوعه في الخط العربي . كما ان اسم العصا يشير الى اسم قرية القوصية .



شكل ١٥ - ضريح السيد محمد

### هيت الى الرمادي

في الساعة ١٢ر٥٠ بعد الظهر وصلنا الى الحافة الجنوبية لمستنقع السبخة المالح. حيث استرحنا حتى ٢ر٢٨ ومرض اميرنا (البرنس سكستس آل بوربون) من الحرّ ورائحة القبار. ثم تقدمنا بعدئذ حتى ٣ر١٠ مخترقين سهلاً صحرياً، ابيض، متموجاً. واختفت الأجراف التي تطلّ على ضفة الفرات اليمنى عند خرائب (كلكه) الواقعة الى الشمال الغربي من هيت، ولا تظهر للعيان ثانية الا عند الطرف الجنوبي الغربي لبساتين (بتان)، حيث يقطعها مرتفع المرج والعقبة (العُكْبَة) وحوالي الساعة ٣ر٢٠ كنا في ممر المضيق [المضيق] المحصور بين الأجراف والنهر. وتدفق على سطح المرج الشمالي الغربي عين الرّيان. وبعد الساعة الرابعة سرنا مخترقين اخواض ملح الشعير، الخوجه، والمحمّدي التي استغلت في الزراعة جزئياً. وفي الساعة ٤ر٥ شرعنا في صعود بروز العقبة

الصخري ، حيث أقمنا خيامنا على سفحه الجنوبي في ١٠ ر٥ . واندفعنا فوراً الى  
النهر للاغتسال من غبار الملح الذي غدلنا تماماً . وكانت الحرارة محرقة ،  
والرياح شرقية منهكة .

ويتفرع أسفل نتوء العقبة مباشرة نهر قديم مطمور يمتد نحو الجنوب  
الشرقي مخترقاً سهل ( ابو طيبان ) الخصيب وقد رصفت ضفاف هذا النهر  
عند بدايته بالحجر رصفاً محكماً . ولعلّ السبب في ان الضفة اليسرى قد  
دعّمت بجدار متسع العرض يرجع الى حاجة سهل ابو طيبان الى سد يحميه  
من التآكل بفعل مياه الفرات .

وفي ٢١ نيسان سنة ١٩١٢ كنا على سروجتنا في وقت مبكر ابتداءً من الساعة ٢٧ ر٥  
صباحاً . وقد سكنت الرياح تماماً والتفت الشرق كله بوهج ذهبي اللون . وتراءت النخلات  
كأنها اشجار هائلة الحجم وقد برزت اعاليها فوق الأذق وكادت تلمس السماء .  
وسرنا بمحاذاة الجانب الشرقي من ( جدول كري سعده ) خلال حقول تكون  
جزءاً من سهل ابو طيبان . وانخفض ارتفاع الاجراف التي تسد وادي الفرات من  
جهة الغرب الى جنوب العقبة واخذت تبتعد عن النهر . وترفع على اليمين في  
وسط السهل الخصيب ربوة خرائب ( نابل العسدة ) ؛ وفي ٢٥ ر٦ كان الى  
الغرب منا ، والى الشرق منا يتصل جدول ( كري سعده ) بالفرات ثانية . حيث  
يلاطم ماؤه نتوءاً صخرياً يسمى ( الاسود ) . ثم يعطف انعطافاً كبيراً نحو الجنوب  
وفي ٤٧ ر٧ بلغنا مزرعة و ( خان ) ابو ريات ، وتوجد هنا عدة برك صغيرة  
مملوءة بمياه الفرات . وظهرت شمال النهر نخيل القطنية كما ظلت جمالنا ترعى من الساعة  
٣٥ ر٨ الى ٤٠ ر٩ . وكانت القطا قد تجددت على بركة تطفئ ظمأها . . وقد أخذت  
تهوي من طيرانها في صف طويل الى سطح الماء وتشرب واحدة بعد أخرى  
من المكان نفسه دون ان تكف عن طيرانها ، ثم تستدير ، وترجع لتشرب  
مرة أخرى . ولم تغادر المكان الا بعد أن ارتوت واخذت كفايتها من الماء . وكان  
ثمة آلاف من هذه الطيور تكون شكلاً بيضياً عظيماً . .

في الساعة العاشرة وصلنا الى سلسلة روابي (السرّج) . وتقع هذه على مسافة قليلة فيما وراء ضريح الإمام وَيَسّ وتمتد هذه جنوب الاجراف شمالاً على مسافة قريبة جداً من الفرات . ويتكون ضريح الإمام وَيَسّ من قبة بيضاء ناصعة تقوم على قاعدة مربعة ومن فناء . ومن ١٠٣٠ الى ١١٤٥ توقفنا في سهل المياذين الذي تقطعه جداول صغيرة ضحلة . ولقد أفرعنا كذلك عظة (أرول) هربت امامنا بسرعة البرق حتى انّ محمداً نفسه - وهو العداء الماهر - لم يستطع اللحاق بها . وكان الفلاحون في حقول (الخرفشة) قد بدأوا حصادهم . بعد ان نضج القمح نضجاً تاماً . ولكن الحبوب كانت صغيرة ، وفضلاً عن ذلك لم يتمكن الفلاحون من طرد اسراب القطا وهي تطير من حقل الى آخر وتتلف سنابل القمح . وأخذت بساتين مدينة (الرمادي) اليانعة تومئ اليها من بعيد . وفي الساعة ٢٥٣ بعد الظهر عبرنا جدول الرور ثم جدول الشريعة في ٢٤٠ . وفي الساعة الثالثة عبرنا جدول العزيزية ودخلنا بساتين نخيل الرمادي وبلدتها . وفي ٣٣٠ خيمنا في مرج مستنقع يقع الى الشمال الشرقي من البلدة .

والرمادي بلدة غنيّة ، يقطنها نحو ١٥٠٠ نسمة ، يملكون جميع المزارع الممتدة من (بنّان) الى الفلوجة . واغنى اسرة فيها بيت عريم يمثلها الحاج علي . وقد عاش في هذه البلدة ، مدة اربعين سنة ، او منذ ايام مدحت باشا ، الذي زاد في عمرانها كثيراً ، بل يمكن القول بانه أسسها . ويعيش في البلدة نحو ١٥٠ يهودياً مع المسلمين ، وكان لهم كنيسهم . وقد بنى على بن سليمان البكر ، شيخ الدليم ، بيتاً كثيرة في القسم الجنوبي من البلدة . ومع انّ البلدة والمنطقة المحيطة بها كانتا تداران من قبل القائمقام ، او موظف تركي من درجة ثانوية ، فقد اطلق الفلاحون عليها اسم (الولاية) وعلى غرار ذلك اطلقوا اسم (الولاية) على هيت وكربلاء ، مع انه لم يكن هناك وال او محافظ يقيم فيها .

وتفاوضنا مع القائمقام لتزويدنا بخفير يصاحبنا لرحلتنا المقبلة ، وأكملنا تجهيزاتنا ، واشترينا شعيراً لخيسول اللرك . وإلى جانب ذلك قمت بترتيب وثائق الخرائط ورسمت خريطة اولية للاقليم الذي كنا سنمر فيه .

والى الشرق من الرمادي تقع بساتين حقول القطنية ، الجربية ، الصوفية ، المشيهد ، السحلات . والى الجنوب منها ترتفع ربوة عليها مشهد قديم . (٢٣) ويفصلها منخفض ( المنسربة ) عن روابي ( المظاهرات ) التي تسد من ناحية الجنوب سهل الفرات الفيضي وقُرى السرة ، القصيبة ، والسطيح . والى الجنوب الشرقي من القرية الأخيرة ، تقوم على اجراف ( الرعيان ) الصخرية ، خرائب الرحايا (٢٤) .

(٢٣) ان ضريح المشهد ببقية من قرية سندودا . وفي سنة ٦٨٢ - ٦٨٥ م سار سعد بن حذيفة بن اليمان من ترقيسيا بطريق هيت وانضم الى المشيهد بن مخربه العبادى عند سندودا ، حيث مكثوا يوما وليلة ( تاريخ الطبرى سلسلة ٢ ص ٥٦٨ ) .

ويروى ابن منقذ ( الاعتبار : دير تيبورغ ، مجلد ٢ ص ١٢٨ فما بعد ) ان الخليفة المكتفى بأمر الله زار في سنة ١١٥٩ - ١١٦٠ الجامع الذى بنى اكراما لامير المؤمنين في ضواحي الانبار على الضفة اليمنى من الفرات وكان ذلك في سندودا .

ويذكر ابو الفضائل ( المراسد : مجلد ٢ ص ١٦٨ ) ان سندودا كانت قرية في غربي الفرات فوق الانبار خربت وبها مشهد لعل بن ابي طالب ( رض ) .

وقد لاحظ الرحالة بدرو يتخيرا عندما كان على بعد فرسخين خارج ام الروس - جامعا يسميه العرب مكست سنداديه على مسافة نحو ثلاثة فراسخ عن يساره ( يتخيرا : الرحلات - ترجمة سنكلير ص ٧٥ ) وتقع ام الروس على نحو اثنى عشر كيلو مترا شرقي الشمال الشرقي من المشهد .

(٢٤) وبالاعتماد على خط رحلة توكولنى انورتا الثانى يمكن ان نعد هذه الخرائب بقايا المدينة الحدودية القديمة : ربيقى ( المحوليات : شيل سنة ١٩٠٩ ، شيكل ٢ المقابل ٢ - ٥٦ - ٥٧ ، شيل [ السابق ] ص ١٦ ) .

واستولى حمورابى في القرن الحادى عشر على بلدتى ربقو وشليبي ( كنغ : التواريخ ، ١٩٠٧ مجلد ٢ ص ٩٩ ) .

ويقول ادنيرارى الاول ( حوالى ١٣٢٥ ق م ) في تاريخه رولسون : نقرش مسمارية مجلد ٤ شكل ٤١ ، المقابل ١ ، ٧

وجنوب خرائب الرحايا ، يتسع سهل ( شط العتيق ) [ العتيق ] ، وترويه  
سواقي الفلاجات ، نصّاف الزوير ، والزعيرية . وشمال حقول الفلاحات ،  
التي تقوم في وسطها خرائب البارود ، يرتفع جرف الحمر والحيطان ومقعد صغير  
للشيخ مسعود ، وإلى الشرق من ذلك تقترب صخور ( المؤيد ) من الفرات . حيث  
يحدّها شعيب الخضر من الجنوب . ومن الرمادي سافرنا عن طريق ( عين التمر )  
إلى النجف . ( ٢٥ )

الحوليات : بادج وكنج ١٩٠٢ ص ٥ ) ان ربيقو موضع من مواضع النفور  
على حدود الامبراطورية الاشورية .

تكلات بلاسر الاول ( ١١٢٠ - ١١٠٠ ق م ) فتح المدن العظيمة التالية  
مع حصونها : دور - كوريكالزو ، سبر شاشمش ، بابل ، اوبى ، وانتهب  
اكرسلو حتى بلغ لبدي ، وكذلك شوخي حتى ربيقو وقد فتحها جميعا .  
في المصدر السابق مجلد ٣ ص ٤ رقم ٣ عمود ١٨٢ - ٤٢ و شرايدر  
المصدر السابق مجلد ١ ص ١٩٨ ) .  
مجلد ١ ص ١٩٨ ) .

ويذكر شتريك ( ابحاث في الخط السامري : سنة  
١٩٠٦ ص ٣٦ فما بعد ) ان اسم ربيقو التي على حدود شوخي قد ورد  
لاول مرة اثناء حكم مردوك ناديناكه ( حوالي ١١٠٠ ق م ) .  
ويفتخر اشور ناصر بال ( نفس مخير : رولنسن : المصدر السابق مجلد ٥  
لوحة شكل ٦٩ ، المقابل ١ ، ٩ - لا يارد : نقوش معتمدة سنة ١٨٥٢ لوحة ١  
وما بعدها - تواريخ ، رولنسن : المصدر السابق مجلد ١ : لوحات ١٧ - ٢٦ ،  
عمود ٢ ، ١ ، ١٢٨ - المصدر السابق صفحات ١٦٣ ، ١٦٩ ، ٢٥٤ )  
بأنه اصبح سيدا على جميع بلاد لقى وبلاد شوخي التي فيها مدينة ربيقو .

ويذكر سرفون ( نقوش اسطوانية : رولنسن في المصدر السابق  
مجلد ١ لوحة ٣٦ ، ص ١٢ وما بعدها - باشراف شرايدر  
مكتبة النقوش السامرية مجلد ٢ ص ٤٠ ) انه فتح دور - كوريكالزو ،  
ربيقو ، وجميع الصحراء الى حد غدیر مصر .

( ٢٥ ) لما كان هذا الجزء من رحلتنا قد استلزم توغلنا في الصحراء وابتعادنا  
عن الفرات فاننا اتينا على وصفه في كتابنا الصحراء العربية  
نيويورك سنة ١٩٢٧ الصفحات ٢٣٠ - ٣٣٥ .

## الفصل الثالث

### النجف الى بغداد مرورا بكر بلاء

النجف الى خان المصطفى

في ٢٧ نيسان سنة ١٩١٢ زرنا مدينة النجف في الصباح الباكر . يمتد من بابها الشمالي شارع السوق ، وهو شارع عريض يتجه نحو الجنوب ، ويسمى جزء المدينة الواقع غرب السوق ( شسرت ) والجزء الواقع شرقية ( زقرت ) . وباجتيازنا السوق تصل الى الجامع العظيم الرائع جامع الامام علي ، حيث دفن علي ( عليه السلام ) ، صهر النبي ( ص ) ، وان السيد جواد ، ( كليدار الحضرة ) اي رئيس ادارة جامع الامام علي ( المسمى بالحضرة ) هو اقوى رجل في المدينة وما جاورها . وقد بنت الحكومة التركية ثكنتين عسكريتين في النجف : احدهما في الشمرت ( اي القسم الرئيسي من المدينة ) والاخرى في ضاحيتها الجنوبية الغربية ( الحويش ) حيث ينزل ، فضلاً عن الترك ، نحو ٢٥٠ من الجنود المشاة وراكبي البغال . وتوجد فوق الباب الشمالية الغربية للمدينة : الادارة المحلية ( البلدية ) . ويلحق سكان النجف مساحات من الأراضى بأملأهم كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا . ولكن اكبر مصادر رزقهم يأتي من [ الزوار ] .

ان المرتفع الأجرد ، الذي بنيت عليه المدينة يسمى ( النجف ) ، وسميت به المدينة نفسها . ويسمى البدو : النجف ، أو المشهد ( المشهد ) او مشهد علي ( ٢٦ ) .

( ٣٦ ) يذكر اليعقوبي ( البلدان - دى خويه ، ص ٣٠٩ ) ان الحيرة منها ( الكوفة ) على ثلاثة اميال والحيرة على النجف والنجف كان ساحل بحر الملح وكان في قديم الزمان يبلغ الحيرة وهي منازل آل بقريلة وغيرهم .

في الساعة ٤٠ره بعد الظهر ارتحلنا في الطريق المحاذي لترام الخيل المؤدي

ومن الحيرة الى قصر الخوورنق ثلاثة اميال في اتجاه شرقي . وبني السدر في الصحراء بقرب الحيرة . يتحدد ويتعين مركز الحيرة في الجنوب الشرقي من ربوه خربة الكنيدرة ، والمسافة بين الكنيدرة وخرائب الكوفة تماثل المسافة بينها وبين الخوورنق . ويقول الادريسي ( النزهة : ص ٦ ) انه قد بنيت قبة عظيمة على بعد ستة اميال من الكوفة ، تقوم على اعمدة ، وعلى كل جانب منها باب . وكانت جميع جدرانها مغطاة بالسجاد الفاخر ، كما فرشت الارضية بسط ثمين . ويقال ان الامام علي بن ابي طالب (ع) وسالته قد دفن هناك . ويروي ابن جبير ( الرحلة : دى غويه ص ٢١٠ ) ان النجف بظهر الكوفة كانه حد بينها وبين الصحراء وهو صلب من الارض منفسح متسع للعين فيه مزاد استحسان وانسراح . وعلى نحو فرسخ واحد غربي الكوفة يوجد المشهد الدائع الصيت الذي يحمل اسم الامام علي (ع) . ويقوم هذا المشهد على الموضع الذي بركت فيه الناقة التي كانت تحمل رفات الامام . والمعتقد انه مدفون هناك .

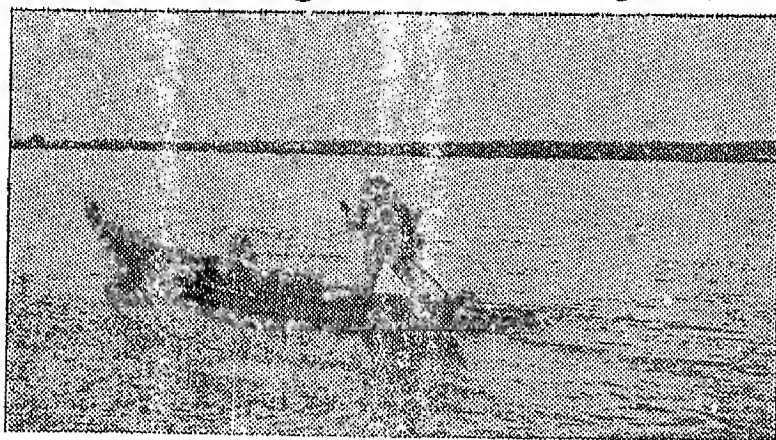
ويقول ابن بطوطة (التحفة : فريمرى وسانكونينى ، مجلد ١ ص ٤١٤ وما بعد ) انه بات ليلته في مشهد على بن ابي طالب في سهل النجف . ويذكر انها بلدة رائعة تقوم على ارض مستوية صلبة ، وبالنظر الى عدد سكانها وعمارتها فانها تبد من البلدان الكبرى في العراق . وكذلك فيها اسواق واسعة نظيفة يدخلون اليها من باب الحضرة : وهذا المدخل يؤدى ايضا الى مرقد الامام على .

وفي سنة ١٢٦٣م امر والى بغداد المغولي بحفر نهر من الفرات الى النجف ، ولكن سرعان ما ردمته الرمال . وفي سنة ١٥٠٨ جرى تنظيف هذا النهر وبناء قبة عليه بأمر الشاه اسماعيل : وقد عملوا في السطح المععب ثقبوا يسحب الماء منها الى اعلى . وكان اسمه اول الامر نهر الشاه ويسمى في الوقت الحاضر القنا ( لغة العرب : مجلد ٢ : ١٣٣٠ - ١٣٣١هـ ( ١٩١٢م ) ص ٤٥٨ .

وفي سنة ١٧٩٣م شق نهر جديد ، ولكن سرعان ما ردمته الرمال كذلك . وحفر بعد ذلك كري حفر الشيخ ، كما حفر زمن حكم السلطان عبد الحميد الثاني نهر الحديدية ، ولكن الرمال ملأت كليهما في سنوات قليلة . وفي سنة ١٩١٢م بدأوا بوضع انابيب حديدية لنقل الماء الى النجف مباشرة من الفرات . ( المصدر ص ٤٥٨ ، ٤٩١ ) .



الى الكوفة . وقد مُدَّت سكة الترام على نفقة المجلس سنة ١٩٠٩ . وتوجد بعض المقابر البسيطة على جانبي الطريق : الحفّانة في الجنوب ، والكُميل الى الشمال وتركنا جمالنا ترعى من الساعة ٦:٣٠ الى ٧:١٢ . وبعد ذلك عبرنا خط الترام واتجهنا شرقاً بين اكوام الخرائب . وفي الساعة الثامنة كان على يسارنا ( قصير القنا ) الى جانب قناة باطنية . وفي ٨:١٠ مررنا فوق نهر قديم ، وفي ٨:٥٨ خيمنا بجانب الفرات تحت اشجار النخيل في حقول عشيرة ( ابن براق ) . وكان رئيس العشيرة ، دغيم بن براق ، في السجن آنذاك ، وقد أُلقي فيه بطلب من اهل النجف الذين كانوا يضمرون له كرهاً شديداً سواء أكان ذلك حقاً أم باطلاً . وفي اثناء غيابه ، رحّب بنا أخوه الذي كان ينوب عنه . مظهرّاً لنا الودّ وعارضاً علينا حمايته بوصفنا ضيوفه . وكنا في حاجة الى هذه الحماية فعلاً اذ كانت عشيرة ابن براق تابعة لقبيلة الخزاعل الذين سبق ان وقعت مناوشة بين الجند الذين كانوا معنا وبين مقاتليه قبل ذلك بقليل . على مرتفع ( اللسان ) ( ٢٧ ) وقد



شكل ١٦ قارب على الفرات قرب الكوفة

بيناً له ما حدث ، فاجاب ان هذا الأمر قد دُفِن واصبح نسيّاً منسياً ، لقد ارتكبت الخزاعل ذنباً اذهاجموكم ، والذي فعلتموه لم يكن الا دفاعاً عن

( ٢٧ ) انظر كتابنا : الصحراء العربية ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

النفس ، واضاف يقول : وشاء الله ان تكون بنادقكم أبعد مرمى من اسلحتهم .

في ٢٨ نيسان سنة ١٩١٢ اكملنا ما لدينا من مذكرات ومخططات ، ووضعنا قائمة بالقبائل المتواجدة في الأقليم المحصور بين الرُحبة والمسيب .

وفي ٢٩ نيسان سنة ١٩١٢ تركنا مخيمنا في الساعة ٢٠ صباحاً باتجاه شمالي غربي . وفي ٦٠٥ مررنا بخرائب ( تلّ السيّار ) ، حيث يبحث اهل الكوفة عن عاديّات فيها . وقد بنيت العقود والجدران بالآجر . وفي ٦٢٥ شاهلنا على يسارنا ( مرقده مسلم ) الذي لا يزال بحالة جيدة ، وهو محاط بجدران عالية تذكرنا بجدران قلعة ( الأخضر ) ، وإلى يميننا تقع خرائب السحالة ، وتقع من ناحية الشرق وراءها جدران بساتين الكوفة الغائرة . وإلى الجنوب أصبح من الممكن رؤية ربوة خرائب طولها نحو كيلومتر واحد ، وعرضها ٤٠٠ متر .

وفيما يلي ذلك شمالاً لم نجد أية بقايا مهمة أخرى . وكان هذا كلّ ما بقي من الكوفة التي كانت مدينة عظيمة في عصر مضى . ( ٢٨ )

ويرتفع تلريجيّاً سفح صخري مغطى بالرمال غرب نهر سعده القديم حيث توقفنا من ٧٢٠ الى ٧٣٠ والتقطنا صوراً شمسية لجسر قديم بني بالآجر يصل بين جانبي النهر ( شكل ١٧ ) . وفي ٧٤٨ عبرنا عند مزرعة قصر ابو

---

( ٢٨ ) يقول ابن العبري ، التاريخ السرباني ، - بيجان ص ١٠٦ ، ان الكوفة مطابقة للعاقولا .

ويروى ايليا النصيبي كتاب الحوليات . بروكس ص ١٧٣ ، انه بنيت سنة ٧٥١ - ٧٥٢م عدة ابراج على طول طريق النقل من الكوفة الى مكة لتكون معالم يهتدى بها الحجاج .

وروى ابن الفقيه ( البلدان : دي خويه ص ١٦٥ ) ان عدة اهل الكوفة ثمانون الفا ومقاتليهم اربعون الفا . وأشار الى مسجد ظفر ( المصدر نفسه ص ١٧٤ ) الذي يسمى أيضا مسجد السهلة .

ويحكى ابن جبير ( الرحلة : دي خويه ص ٢١٣ ) من اسباب خراب الكوفة قبيلة خفاجة المجاورة لها فهي لاتزال تضربها .

فشيخة جدولاً غائراً آخر . وتنفرع من الفرات قناة جوفية تجلب الماء الآن الى مدينة النجف . ويمتد في ناحية الغرب سهل المغموطة ، وهو أرض مقفرة جرداء . وتبرز على سطحه هنا وهناك رواابي منفردة . أما من ناحية الشرق فقد أشار دليلنا الى قرية صغيرة تسمى قصر بيك اهامي ، والى شمالها قرية ام سوارى . وتوجد ، اذ ابعدنا عن ذلك الى الجهة الشمالية الشرقية ، بساكن نخيل قرية ( عناب ) ، ونرتفع الى شمال — شمالها الشرقي منارة قرية الكفل من فوق أشجار النخيل ( ٢٩ )

### خان المصلي الى كربلاء

في الساعة التاسعة كان خان المصلي على يميننا . وهو بناء كبير مستطيل تحيط به جدران عالية من الآجر . ويدعم كل جدار في وسطه برج نصف دائري وينفتح الباب على الشرق . وقد بنيت أروقة على امتداد جدران باحته . وتوجد الى الشرق ثلاثة خانات اصغر مساحة ، وبعض المقاهي ، وأبنية أخرى وقبر . وتركنا جمالنا ترعى من ٩٢٦ ر الى ١٠٥٠ ر : ومن ١٠٣٠ ر الى الساعة الحادية عشرة ملأنا قيربنا ماءً من بركة متصلة بالفرات وقد طغت عليها مياه الفيضان . وفي ١٠٣٥ ر رأينا على الضفة اليمنى قرية ام العجة التي تحيط بها مياه ( هور بني حسن ) وفيما وراءها شرقاً : قرية ( الكفل ) الكبيرة . وكان عرض الفرات هنا يبلغ نحو كيلومتر واحد تنتشر فيه عدة جزر صغيرة . وكانت اعداد كثيرة من قطعان الجاموس تتحرك في الماء هنا وهناك . وينتقل الأهليون من جزيرة الى أخرى على قرب جلدية منفوخة .

وفي الساعة ١٢٢٠ ر بعد الظهر كان الى الغرب منا ( خان جدعان ) المهجور والى الشرق قرية ( المجر ) وفيما وراءها الملوية ومن ١٢٤٣ ر الى ١٤٧ ر استرحنا

---

( ٢٩ ) يروى ياقوت ( المعجم : وستفيلد ، مجلد ٣ ص ٣٣٥ ) ان قرية شونة بارض بابل ( العراق ) اسفل من حلة بنى مزيد . وبها قبر القاسم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، وبالقرب منها قبر ذى الكفل وهو حزيل في بر ملاحه .  
ويذكر حاجي خليفة ( جهان نامه : استانبول ١١٤٥ هـ ، ص ١٦٤ ) ان ذا الكفل على مسيرة ثلاث ساعات من الكوفة التي اشتهرت بسبب قبر النبي ذى الكفل .

في موضع مقابل لقريتي : فليفل وام الرجي ثم ظهرت للعيان فوق اشجار النخيل من الناحية الشمالية خرائب البرس . والنظر اليها من الجنوب يذكرنا بمبنى (الروتندا) في فينا، وتقوم على خربة هائلة تشبه قبّة مائلة الى الشرق ، بقايا جدران قديمة ضيقة طويلة (٣٠) من جهة الغرب .

وعلى يسارنا امتد من جهة الغرب سهل متموج هو سهل (مرور المحيميد) كما ظهرت بقايا حصن قديم يعرف بـ (ايشان المحيميد)، ورأينا على اليمين عندها من أفران كور الآجر المهذمة ، حيث سبق ان أعدوا فيها آجر (خان زبّار) وفي ٣٢٠ شاهدنا ، مقابل قرية الأجدة مدخل (كري سعده) . وعلى مسافة غير بعيدة شمالاً يقوم (خان زبّار) وهو بناء واسع بابراج نصف دائرية . وتحيط به من ناحية الشرق ثلاثة خانات صغيرة ، وعدة مقاهي واكواخ وبعض البيوت الخربة . وعلى الشمال الشرقي تراعت اشجار نخيل قرى : المنيزر ، أم هلال الخميسانية وأعيلة وكلها سوداء اللون . وتبرز [ قرية ] البرس بصورة واضحة بين نخيل القريتين الأخيرتين ، تدل حين نظرنا اليها من هذا الجانب ، هرماً منتظم الشكل مع ملحقه .

وقد تجمعت الى الشرق منها وما بعدها اكداس عالية من مواد بناء قديمة . اما من الناحية الشمالية فقد سد الأفق بنخيل قرى : شنتونية ، الحرقة ، والقضبان ، كانت الابنية العالية في القرية الأخيرة تتألق في اشعة الشمس الغاربة .

(٣٠) البلاذري في فتوحه (دى خويه ص ٢٥٥) يسميها برس او اجمة برس ، ويروى ان رستم حينما خرج للقاء المسلمين نزل برس ثم سار فأقام بين الحيرة والسيلحين اربعة اشهر لا يقدم على المسلمين ولا يقاتلهم والمسلمون معسكرون بين العذيب والقادسية . وبعث سعد خالد بن غريطة على خيل الطلب فجعلوا يقتلون من لحقوا حتى انتهوا . وهرب الفرس الى المدائن (المصدر نفسه ص ٢٥٩) . ويروى عن الحسين بن صالح قال : بلغني ان عليا رحمه الله الزم اهل اجمة برس اربعة الاف درهم وكتب لهم بذلك كتابا في قطعة ازيم . واجمة برس بحضرة صرح نمرود ببابل . (المصدر نفسه ٢٧٤) . ويشير تدمه في (الخراج : دى خويه ص ٢٣٨) الى برس العليا وبرس السفلى .

وقد نصبنا خيامنا في الساعة ٥٥ (البرس) بالقرب من احد فروع الفرات .

في ٣٠ نيسان سنة ١٩١٢ ، بدأنا الرحلة في الساعة ٥ صباحاً . وكانت الشمس قد أخذت في الشروق وراء قرية (البرس) تضرب الخرائب بأشعتها مرسله أعمدة طويلة لا تحصى [ من النور ] . وأينا في سهل (عمو شويج) الاجرد الواقع الى الغرب ، ربوة خرائب (عطشان) ، وعندها يتجه الطريق الى الغرب ماراً بـ (نیشان السحر) و (خربة الموجاة) مؤدياً الى حصن (قصر الأخيضور) وإلى شمال نیشان السحر يقع (سهل الزيدتي) ، وإلى الشرق من هذا السهل تقع مزارع قصر نور والرخيطه ، ثم يلي ذلك شمالاً مزرعة الثمانية . وإلى الشمال الشرقي منها توجد قرية ابو روية . وفي الساعة السابعة كانت الى شرقنا اكواخ (الرجية) و (الزبدية) ، وما وراءهما قرية (طويريج) — أو كما تسمى رسمياً الهندية — وإلى الشمال الغربي منهما قرية أبو عبدعونيّات . وبينما كنا نسير راكبين في سهل (المجاهيل) صادفنا الكثير من الزوار مسافرين على ظهور الحمير في طريقهم الى النجف . ويكثر الزوار هذه الحيوانات من رجال بينداد : ينقلونهم الى كربلاء ، ثم يعودون الى محل سكناهم وهم يحملون مسافرين جدداً ، بينما ينقل اهل كربلاء الزوار الى النجف . ويعودون بهم الى مدينتهم ثانية . وفي نظير كراء الحمار يدفع الزائر من ١٥ الى ٢٠ قرشاً (٧٣ الى ٩٠ سنتاً) لرحلة واحدة .

وفي الساعة الثامنة ظهرت للعيان من ناحية الغرب أجراف سديرة صبخان . وفي ١٠ ربيعاً بلغنا خان (نزل) ابن-نخيلة . وبجانب الخان الكبير توجد ثلاثة خانات اصغر منه (٣١) .

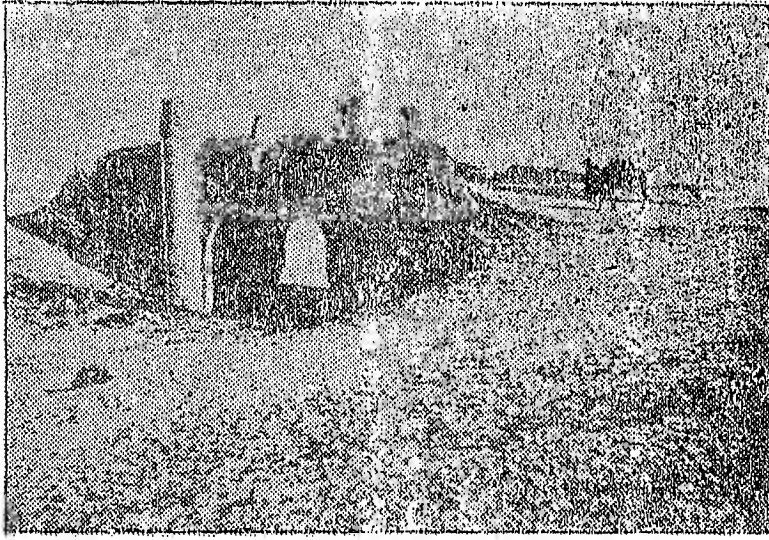
---

(٣١) لعل خان ابن نخيله هو المخفر العسكري للمسلمين بالنخيلة . ذكر ياقوت (المعجم : وستنفلد مجلد ٤ ص ٧٧١ أن النخيلة تقع بقرب الكوفة على حدود الشام .

وفيما وراء خان ابن نخيلة تبدأ بحيرة ( هور براز ) ، وتقع الى الشرق منه  
قرى العبوري ، الهندي ، الزبيلية ، والسليمانية . وتمتد الى الغرب سهول جرداء  
متموجة ، وتعرف بسهول المليحة ، والطامحات .

والى شمال - الشمال الغربي ظهرت لنا الخطوط العامة السوداء لبساتين كربلاء ،  
وتألفت القبة الذهبية لجامع سيدنا الحسين .

واسترحنا من الساعة العاشرة الى الحادية عشرة . وفي ١١٤٥ رأينا في الغرب ربوة  
يقطعها صدى الى قسمين تسمى ( ابو راسين ) ، كما شاهنا امامنا عدة كُور  
( افران ) لصنع الجص .



( شكل ١٧ - جسر فوق نهر سعدة )

وفي الساعة ١٢١٣٥ بعد الظهر دخلنا بساتين كربلاء عند قصر الهندي .  
وبعد مسيرة قصيرة على سهل الملح المسمى ( الحجيمة ) وصلنا في ١٠٥ الى  
المدينة نفسها . ولما كان ساء جداول الحسينية قد تهدم في موضع واحد ، وغمرت  
المياه كثيراً من الشوارع ، لذا واجهنا بعض المشقة في قيادة جمالنا خلال المدينة  
لبلوغ بساتين الشمال حيث نخيمنا ، في الساعة ٢٢٤ ، بجانب خرائب ( أم تل ) .

تضم كربلاء نحو ثلاثين ألف نسمة ، نصفهم من الفرس . وبرز القبائل بين السكان هم : بني سعد ، سلاله ، الوزوم ، التهامزة ، والناصرية . واغنى الأسر فيها أسرة دده . فهم الذين حنّسوا نهر الحسينية ، وكافأهم السلطان سليم على ذلك بمنحهم مساحات واسعة من الأراضي . واعظمها : وجاهة أسرة البويج ، لانهم قاموا بدفن الامام الحسين . والمشهد الرئيسي يقوم في القسم الغربي من المدينة ويعرف بالصحن ، او الامام سيدنا الحسين ، وتعلوه قبة ذهبية . اما الجامع الذي في القسم الشرقي فيسمى سيدنا العباس . وكان العمل قد بدأ بمبنى الحكومة سنة ١٨٧١ عند الطرف الجنوبي من المدينة بأمر من الوالي مدحت باشا ، ولكنه لم يكتمل بعد . وقد وسّع هذا الوالي سوق المدينة وبدأ عند مبنى الحكومة . وكان يطلق اسم كربلاء للدلالة على القسم الشرقي من البساتين فقط . أما المدينة الرئيسية فكانت تسمى المشهد او مشهده الحسين . وإلى شمال بساتين كربلاء تقع ضواحي البقيرة وبساتينها وحقولها . وإلى الشمال الغربي : بساتين قرّة ؛ وإلى الجنوب بساتين الغاضرية ؛ وإلى الغرب من هذه الأخيرة تقع غرة ثم غلطاوية ، نهر ( الحر ) ، نهر العيساوي ، وأخيراً الحيلرية في الغرب ، ومن هذا الموضع الى الجنوب الشرقي تقع قرى : البازول البديواني ، الشريفة . الهندي . البابل ، وكربلاء ( ٣٢ ) .

( ٣٢ ) في سنة ٦٨٤م سار سليمان بن صرد رعيم التوابين باتباعه من النحيلة وبات ليلته في دير الاعور . وفي البوم التالي نصبوا خيامهم في الاقساس ، او اقساس مالك ، ومكنوا هناك يوما وليلة ، ثم ساروا على الحصاة ، والانبار ، والصدود ، والقيارة ( تاريخ الطبري ٦ سنة ٢ ص ٥٤٥ ) .

ويذكر الاصطخري ( المسالك : دي خوية ص ٨٥ ) وكربلاء من غربي الفرات فيما يحاذي قصر ابن هبيرة .

ويقول ابن حوقل ( المسالك : دي خوية ص ١٦٦ ) هذا الكلام نفسه ، ويزيد عليه وبها قبر الحسين بن علي وله مشهد عظيم وحيط في اوقات من السنة بزيارته .

ويسعد الادريسي ( النزهة : مجلد ١ ص ٦ ) كلام ابن سوقل .

• • • • •

وبين المقدسي ( احسن التقاسيم : دي خوية ص ١٣٠ ) ان ضريح الحسين شيد على الموضع الذي قتل فيه في كربلاء ، خلف قصر ابن هبيرة .

وفي سنة ١٠١٦ - ١٠١٧م ثبت النار في ضريح الحسين بكربلا من شمعين ، فسوته بالارض . اما-الحسن بن فضل الذي امر ببناء حائط حول الضريح فقد توفي حوالي سنة ١٠٢٣ - ١٠٢٤م ( النجوم : لابن تفردي بردي مجلد ٢ ص ١٢٣ ، ١٤١ . وطبقا لرواية ابن الاثير في الكامل ( تورنبورك ، مجلد ٩ ص ١٥٤ ) امر الحسن بن فضل ايضا ببناء سور حول مشهد الامام علي .

ويذكر ياقوت ( المعجم : مجلد ٤ ص ٨٧٠ ) بسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين ( رض ) . وانتهك ضبة بن محمد الاسدي من اهل مين التمر ، وكان الرئيس الاعلى لكثير من العشائر ، حرمة مشهد الحسين عند الحائر ( بكربلا ) . وفي سنة ٩٨٠م ارسل الجند الى عين التمر ، فهرب الى الصحراء خوفا ( تجارب ابن مسكويه - امدرود - مجلد ٢ ص ٣٣٨ ، ٤١٤ ) .

وسافر ابن بطوطة ( التحفة : مجلد ٢ ص ٩٩ وما بعدها ) من الحلة الى كربلا ، ويقول انها بلدة اقرب الى الصفر واقعة بين بساتين النخيل التي تسقي الماء من الفرات . وتقع الروضة الحسينية في مركز المدينة بجانب مبنى مدرسة كبيرة ودير مشهور حيث يقدمون الطعام للزوار . والمدخل الى الضريح تحت الحراسة ، ولا يمكن الدخول اليه بغير اذن الحرس . والزوار يقبلون الضريح المصنوع من الفضة ، وقد علقت فوقه مصابيح معمولة من الذهب والفضة . وعلى جميع الابواب ستائر من الحرير . وينقسم السكان الى فريقين : اولاد رخيرك واولاد فايز ، وبينهما صدام مستمر . وهذه المنازعات الداخلية يعزى اليها ما اصاب المدينة من الفساد والانحلال .

ويذكر المقرئ في المواعظ ( يمين ورقة رقم ٩٠٨ مخطوط فينا ) ٨٢ ان كربلا التي فيها ضريح الحسين، يتبعها مزارع كثيرة . وفي آذار سنة ١٥٣٥ زار السلطان سليمان كربلا والنجف كليهما ، وأمر بحفر جدول الحسينية ( شياها اقليم بغداد [ بالفرنسية ] ص ٣٤ ، همر برغشتال : الامبراطورية العثمانية : [ ١٨٢٧ - ١٨٣٥ ] مجلد ٣ ص ١٥٤ ) .

ويذكر حاجي خليفة ( جهان نامه ص ٤٦٤ ) ان البلدة التي تحوي ضريح الامام الحسين تقع في منطقة كربلا على مسيرة يوم واحد شمالي



\* \* \* \* \*

الحلة . وهي مشهورة بتمورها .  
وبجوار كربلاء احدى موقع دير الجماجم ودير قرّة التين برزنا في  
حملة عام ٦٣٥م بين المسلمين والفرس . اما اسم قرّة فقد حفظ لنا  
في القسم الشمالي الغربي من الساتين .  
وعقب هزيمة القادسية عام ٦٣٥م هرب قسم من الجيش الفارسي  
الى دير قرّة ، وحينما اشتد السيف عليه واصلوا الانسحاب الى المداين  
( تاريخ الطبري سلسلة ١ ص ٢٣٥٧ وما بعدها ) .  
والواضح انه ينبغي لنا البحث عن دير قرّة شمالي القادسية او في  
شمالها الغربي ، على ا الجانب الغربي من الفرات . ولم يكن يتسنى  
للفرس الهرب الى الجنوب او الجنوب الشرقي ، لان هذه المناطق كانت  
تحت نفوذ قبيلة بكر بن وائل الحليفة للمسلمين . وامتدت اراضي هذه  
القبيلة حتى بلغت القادسية . وابتداء من هذا الموضع نحو الشمال  
كانت تقع الاراضي التي خبئت فيها قبيلة تنلب . وبهذا هيأت  
ملجأ للهاربين .

في سنة ٧٠١م سار الحجاج بن يوسف ، والى العراق ، من البصرة  
ووصل الى المنطقة التي بين العذيب والقادسية . ودفع اليه عدوه ابن  
الاشعث بفرقة قوية من الفرسان الذين تعقبوه من القادسية حتى بلغوا  
دير قرّة ثم خيموا .. وكان ابن الاشعث نفسه قد التحق بالجنود عند  
دير الجماجم . ولكن قبل بلوغه دير الجماجم تلقى الحجاج امدادا من  
الخليفة عبد الملك في الشام . وكانت الخطة التي اعدّها هي الهرب من  
طريق هيت الى بلاد الرافدين وبهذا يكون اقرب  
الى بلاد الشام ، ولكنه خيم اولا عند دير قرّة بالقرب من الفلاليج وعين  
التمر . وكلا الجيشين تاهبا للحرب ، فنشبت معركة بينهما ( تاريخ  
الطبري سلسلة ٢ ص ١٠٧٢ فيما بعد ) .

وهزم ابن الاشعث ، وفي اثناء هربه وصل الى قرية صغيرة  
لبنى جعدة في الفلوجة ، حيث سار الفرات في قارب ( المصدر نفسه  
ص ١٠٩٥ ) .

وتدل هذه الرواية ايضا على ان دير قرّة كانت تقع شمالي القادسية  
او في شمالها الغربي . وكان الحجاج ينوي الهرب الى هيت : لذلك  
انصرف من القادسية متجها الى الغرب ، ودار حول الكوفة حتى التحق  
بفرقة الامداد التي سارعت لنجدة من الشام . ولكنه لم يصل الى  
هيت ، اذ كان ابن الاشعث مع جنود اخرين قد انضم الى اعدائه وسد  
عليه طريق التقدم . وكان دير قرّة في منطقة الفلاليج الادارية غير بعيد

## كربلاء الى حسان المحاصيل

### خرائب يسابل

زارنا بعض الفلاحين العاملين في البساتين المجاورة ورسموا لي على الرمل خريطة المنطقة المحيطة بنا . وهكذا تمكنت من اكمال مذكراتي الطبوغرافية عن المنطقة الواقعة بين كربلاء وشفائنة ، والرمادي .

وكان احد الفلاحين مخيماً غربياً الامام الحرّ : وهو مرقد صغير بُني في الطرف الجنوبي الغربي من البساتين ، بجانب بئر ( الخيفس ) والى جنوب هذا الموضع تقع قرية ( شريعة السليب ) ، والى جنوب هذه القرية ( الرزاة ) ، وفي الغرب

---

من عين التمر . ويظهر ان الحجاج لم يتقدم في اتجاه عين التمر ( فلو انه فعل ذلك لآخبرتنا الرواية بانه تحصن في هذا الحصن ) ، لكنه توقف في منتصف الطريق بين فرى الفلايح الواقعة مباشرة على الفرات وبين عين تمر - اي في نفس الموضع التي تقع فيه بساتين كربلاء الآن . واتقطاع مواصلات الحجاج مع الجزيرة الفراتية يتبين كذلك من افتقاره الى المؤن ، لامتناع الناس عن تزويده بأي شيء ، بينما كان عدوه ابن الاشعث على اتصال لم ينقطع بالعراق . وينبغي ان يكون دير الجماجم واقعا في جنوب دير قرّة ، وعلى مسيرة يوم واحد في الاقل من الفرات ، اذ نجد ابن الاشعث عند هروبه لا يصل الى النهر الا بصعوبة وذلك بعد مسيرة طويلة مضنية ، وقد عبره بقارب . ويعين ياقوت المصدر السابق ( مجلد ٢ ص ٦٥٢ ) موقع دير الجماجم على طرف الصحراء على مقربة من الكوفة ، وتبعد عنها بنحو سبعة فراسخ على طريق البصرة . اما ابو الفضائل ( المراسد : مجلد ١ ص ٤٢٧ ) فانه يكرر ماجاء في رواية ياقوت .

لانعلم المصدر الذي استقى منه ياقوت لتعيين المسافة بين الكوفة ودير الجماجم ، اما ان يكون دير الجماجم على الطريق المؤدي من الكوفة الى البصرة فهذا غير وارد . ان مسيرة خمسة فراسخ الى جنوب الكوفة او جنوبها الشرقي تؤدي بنا الى اراضي قبيلة بكر بن وائل ، بعيداً عن هبت ، التي اسرع الحجاج للوصول اليها ، وكذلك بعيداً عن الفلايح وعين النمر ، وبين هذين الموضعين الآخرين - اي عند دير قرّة ودير الجماجم - تحصن الحجاج .

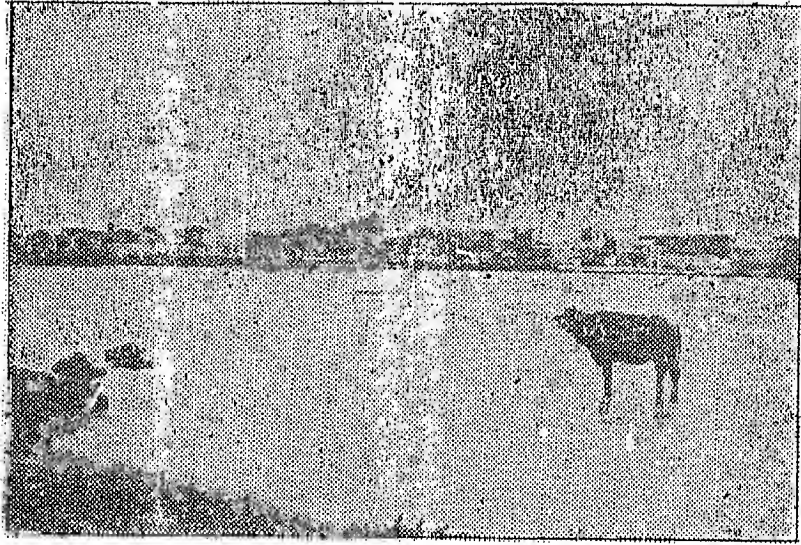
الراشدية والضُحى . أما نهر القاضى فيستهي بعد أن يزود من القرى جدياً بالماء ، الى هور ابي دبس جنوبي تل - حصان . وفي المساء تأكدنا من شتط العرض ، وقد امضينا ليلة مزعجة جداً بسبب كثرة البعوض .

في ( ١ ) أيار سنة ١٩١٢ غادرنا في الساعة ١٦هـ صباحاً فترأى لنا من ناحية الغرب اشجار قرية القرطة الخضراء ، والى الجنوب الشرقي من هذه القرية تألق مشهد الامام الحرّ بقبته الزرقاء . وفي ٢٢هـ عبرنا نهر القاضى ، وفي ٤٥هـ عبرنا نهر الحر . وانهمكت جمالنا الحائفة في الرعي من ٥٥هـ الى ١٧هـ . وفي ٢٠هـ عبرنا ركوباً نهر الجمالية . يرتفع الى الشمال ، على نتوء الجنوب الغربي من مرتفع واسع مشهد الامام عون . وفي ١٠هـ شاهدنا بعض الخرائب الى الشمال الغربي ، والى اليمين بساتين القرّة . وتقع الى الجنوب الغربي من الأخيرة بساتين الغاضرية . وفي ٤٥هـ اخترقنا ارضاً رملية غير مزروعة مارين بمشهد الامام عون بقبته الخضراء وبابه الاخضر المطعم . والى شمالنا الغربي رأينا مرتفع ام الهوا ، وفي الشمال الشرقي مرتفع المرقده ، وفي الساعة الثامنة كنا في نهر العلقمي القديم الذي كان ينقل الماء من الفرات خلال تلال الدعالج الى كربلاء ، وكان يرتبط بالجدول الذي يمتد الى هور رايد . وفي ١٨هـ رأينا في الشرق بعض الخرائب الصغيرة نوعاً ما ، وقرية الاوند ، والى الشمال مرتفع مرقدة . ويسد الجانب الغربي من مستنقعات العنب والبحيرة طار عويد وتلال ( المغراير ) . وها نحن اولاء نتقدم بين روابي الدعالج وبين سهول الملح النني تسمى سهول الجازية والسوارج . وتقطع هذه جداول كثيرة نصف غائرة . وفي ٥٨هـ رأينا خرائب أخرى الى اليمين ، ونزلنا للاستراحة من ١٠٠٥ الى ١٠٥٢هـ وفي ٢٠هـ كنا في سهل البوبهاني ، وتحمي هذه المنطقة من الفيضان سدود ترابية ، وقد زُرعت فيها بساتين واسعة يزرع فيها القثاء ( الخيار ) على نطاق واسع بصورة خاصة :

في الساعة ١٢:٤٠ بعد الظهر عبرنا -جسر قوارب مقام على الفرات ودخلنا مدينة المسيب (شكل ١٨) وكانت تبدو كأنها متوجة بأكليل من النخيل . وبعد ان استندرنا متجهين نحو جنوب - الجنوب الشرقي ، انتظرنا من ١٢:٢٠ الى ٢:٥٠ . وكنا نشاهد الى الشمال قباب مشهد ( اولاد مسلم ) (٣٣) وكان يتعهد بالمحافظة على الأمن في الطرق المجاورة للمسيب الشيخ ابن فيحال رئيس عشيرة المعامرة . وتروي الحقول هنا بوساطة نهر الناصرية الطويل ، ونهر القطع الأفصر منه . وفي ٣:١٧ كان على يميننا تلّ مسعود الكبير وخرائب ( العجيني ) ؛ وتوالت بعدها خرائب أخرى : منها مشهد السيا . ابراهيم و إيشان نينوا . وإلى الشرق تقع ربوة خرائب إيشان المنصورية (٣٤) .

(٣٣) يؤم الزوار ضريحاً فيها يقال ان المسيب بن نجبد قد دفن فيه . وكان المسيب من قبيلة فزارة ، عاش بالكوفة ، وكان شيعياً متحمساً يرغب في الثار لمقتل الحسين (تاريخ الطبري : سلسلة ٢ ص ٤٩٧ ٥٥١) . (٣٤) ان قسماً من هذه الخرائب :لواسعة بقية المدينة الاسلامية : قصر ابن هبيرة . كان يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات فلما اتاه كتاب مروان يأمره باجتناب مجاورة اهل الكوفة فتركها وبنى القصر الذي يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا . ( البلاذري ، الفتوح دي خويه ص ٢٨٧ ) . ويبين المفدسي ( احسن التقاسم : ذي خويه ص ١٢١ ) اما قصر هبيرة فمدينة كبيرة جيدة الاسواق يجيئهم الماء من الفرات كثيرة الحاكة واليهود والجامع في السوق . ويقول ابو الفدا ( التقويم رينوو ديسلان ، ص ٣٠٥ ) ان قصر ابن هبيرة يقع بالقرب من الفرات الحقيقي : الذي تخرج منه كثير من الجداول الصغيرة التي تؤدي اليه . وعلى الجانب المقابل ، الى جهة الغرب في الصحراء ، تقع كربلا . وقد بنى ابن هبيرة ، عامل العراق للخليفة الاموي مروان الثاني ، هذه البلدة بالقرب من جسر القوارب المسمى سورا ، ومدينة بابل القديمة . وقد ورد في كتاب العريزي ، الذي اقتبس منه ابو الفدا ، ان المسافة بين قصر ابن هبيرة والفرات الحقيقي تبلغ فرسخين . واشان نينوى هو نينوى الذي يذكره الطبري ( التاريخ سلسلة ٣ ، ص ٢١٩٠ ) . ويقول ياقوت ( المعجم : مجلد ٤ ص ٨٧٠ ) ان كربلا بلدة في منطقة نينوى ، التي تقع في الاراضي الخصبة حول الكوفة .

وكان بإمكاننا ان نرى سبيل الجدول القديمة من جهتي اليمين واليسار على السواء . وفي ٣٥٥٠م ظهرت خرائب إيشان الحصى إلى يسارنا ، وإلى شرقها بدا إيشان العوفي ، وإلى جنوب غربه إيشان السيد عباس .



شكل ١٨ : منظر المسيب من الغرب

ان الصعوبة التي لقيناها في عبور جدول من جداول الري ، سبب تأخرنا من ٤٣٠م إلى ٥٢٠م . وفي ٢٠٥٠م رأينا على يسارنا إيشان البد ، وإلى شرقه إيشان ام الورد . وفي ١٥٠٦م عبرنا فوق جدول قديم عريض . وفي ٤٣٠٦م نصبنا الخيام وراء خان المحاويل . وكان في هذا المكان الكبير مركز للدرك ، وقد تجمع خلفه نحو ثلاثين كوشاً . وتقع قرية قصر المحاويل الى الشرق من ذلك . واصابتني نوبة حمى شديدة أزعجتني طول الليل ، ولم تتركني حتى الصباح .

وفي الساعة ١٦٥٠م صباحاً في الثاني من ايار سنة ١٩١٢م واصلنا السير متجهين جنوباً . في ٣٣٠٥م بدت على اليمين خرائب إيشان ابو رولة . وإلى الجنوب الشرقي : إيشان الخاتونية ، وإلى الجنوب : خرائب القريني والزل ، وإلى الجنوب الغربي : بساتين النخيل في البطة . وفي الساعة ٥٠٦٠م اجتزنا جدول ( بدعة السياحية ) ،

ثم جدول ( الفندية ) ( الذي يجلب الماء الى مشهد ام حمدان . والمنطقة تملكها عوائل الجسر والجراونة والجدي . وفي ٧٣٧٧ عبرنا الجسر المنسوب على ( نهر النيل ) . ووصلنا الى خرائب ( بابل ) العالية المتهدمة . وفي ٨٢٥٠ توقفنا بالقرب من ضريح علي بن الحسن ، وسرنا على اقدمنا الى الخرائب ، التي كان يجري فيها تنقيب آثاري آنذاك بإشراف الاستاذ روبرت كولدوي . ورحب بنا هذا الرجل بطريقة ودية ، وتحدث الينا عن نتائج الحفريات ، واطلعنا على مختلف اقسام المدينة القديمة ، ثم ودّعنا بعد ان قدم لنا المرطبات المنعشة ، ورجعنا الى جماننا .

وفي ٢١٥٠ بعد الظهر غادرنا علي بن الحسن ، ووصلنا الى خان المحاويل في ٤٥٠٤ .

### خان المحاويل الى بغداد

في ٣ أيار سنة ١٩١٢ بدأنا رحلتنا باتجاه شمالي في الساعة ١٧٠٥ صباحاً . وفي ١٢٠٦ رأينا على اليمين مشهد الامام الخضر ، وعلى اليسار خرائب ( الضباع ) . وفي ١٢٠٧ عبرنا نهر الناصرية ، وفي ١٢٠٧ وصلنا الى خان الناصرية المهجور . ويرتفع الى الشمال الشرقي منه إيشان ابو شعير . ومن ٨٠٥٠ الى ٨٥٢٠ كانت الجمال ترعى . والتربة هنا مختلطة بكثير من الرمل وصغار الحصى ، ويغطيها نبات ( العجروش ) بنوع خاص ، غير أن الاماكن التي تروى بصورة كافية من النهر او العيون تغطيها حشائش وافرة ، أمّا المواضع التي تعتمد على المطر وحده فسرعان ما تجف وتصبح ابتداءً من آذار فصاعداً صحراء قاحلة تحرقها الشمس . وفي ٨٥٥٠ عبرنا ( نهر المسيب ) . وفي ٩٢٠٠ . بدأ الى يسارنا ( مزار كاظم العوفي ) ، وفي ٩٣٥٠ اجتزنا خرائب الطوية التي كونت هضبتين متفردتين ، ولحقنا الى الشمال الغربي ( إيشان الصليبي ) .

والتقينا بعدة مئات من الجنود يزحفون لإنخضاع فلاحي ( البعيج ) اصحاب الاراضي الواقعة جنوب شرق خان المحاويل ، فقد هاجم هؤلاء قبل أيام قلائل قائمقام ( الحلقة ) وقتلوا الضابط رئيس الدرك وعدة من رجاله . وفي الساعة

الحادية عشرة وصلنا الى الخان ومركز الدرك في (الحصوة) . وتقع الى الغرب من الطريق العام الآتي من المسيب مزرعة ( الهراوي ) . وفي ١٦١٧ عبرنا نهـر السكندرية ( او الاسكندرية ) ، الى الغرب منه يقع على الطريق العام الخان الذي يحمل الاسم نفسه . وفي ١٤٤٤ ينحطف الطريق المار بهذا الخان، والمؤدي الى المسيب وكربلاء، الى اليسار . وواصلنا السير في ارض مقفرة مخترقين مجموعة خرائب ، وفي الساعة ١٣٤ بعد الظهر وصلنا الى خان البيض والى جواره تقع اكوام خرائب قديمة . ومن ١٤٨ الى ٢٣٥ استرحنا عند نهر اللطيفية . وعلى اليمين كانت أطلال ( شيشبار ) . وفي ٣٥٨ وصلنا الى نهر ( المحمودية ) وخانها ومركز دركها . وتشتمل هذه القرية على عشرين ( نُزْلاً ) ، ومقاهي وحوانيت وعدد قليل من دور السكن . وبدا الى الغرب ( إيشان ابو حبة ) الضخم . والى شماله الشرقي خربة ( المقاميد ) . وفي ٤٤٠ كان إيشان الدير على يسارنا .

وبعدئذ عبرنا نهر الملك القديم . وفي ٥٢٠ شاهدنا على يسارنا خاناً مهجوراً يعرف بخان الزاد . وعلى مقربة منه تقع خيام ( البر عامر ) وهم فرع من قبيلة ( المعدان ) . ان هذا أقليم موحش لا يمكن العيش فيه . توجد على جانبيه ربوات خرائب تحضر بينها ارضاً مقفرة سفعتها الشمس ينمو فيها العجش بصورة ضعيفة مبعثرة هنا وهناك ، وحتى هذه الاماكن كان يغطيها غبار داكن ومادي اللون . وأثارت الرياح أمامنا الغبار والرمل مكونة من ذلك اعمدة عالية تتحرك من مكان الى مكان تغطيها من حين لآخر من رؤسنا الى أخمص القدم . فلا غرو اننا كنا حريصين على التقدم بسرعة ذاكرين ما قاسيناه من جفاف الهواء ، وحرارة الشمس ، والرياح الجنوبية الشرقية المحرقة . ومن ٥٠٠ الى ٦٢٧ كانت جمالنا ترعى جنوباً شرقياً ( الابيض ) ، وبعد ذلك ظلمنا على سروجنا الى ٨٥٥ ، حين أقمنا الخيام في ساقية الى يسار الطريق العام . ولم نستطع اشعال النار اذ لم يكن لدينا وقود وخشينا ان تلفت النار انتباه اللصوص اليـنا . ولم يكن نهر دجلة بعيداً عنا فقد علمنا ذلك من اسراب البعوض التي اهدت اليـنا بأسرع من لمح البصر .

وفي ٤ أيار ، ١٩١٢ بدأنا الرحلة في الساعة ١١ صباحاً فظهرت لنا على اليمين قوارب زراعية تتهدى متباطئة على ماء دجلة ، حيث تحف اشجار النخيل النهر هنا من الجانبين . وأرسلت الشمس اولى اشعتها كأنها تستطلع الارض وخيل لي انها خرجت من الماء . وذلك اشعة قريبة من الانق . كان الطريق مكتظاً بالناس . وكانت زُمر الفلاحين والفلاحات تحمل الخضروات ، والدجاج ، والحبوب الى السوق . ورأينا الزوار في طرقتهم الى الاماكن المقدسة او عائدين منها ، ورأينا جماعة جمعيات من المسلمين يحملون وتاهم الى كربلاء او النجف لدفنهم هناك . وكان بيننا رجل بنادي يرافقه مع ١٠ منهم في رحلة الى مزارعهم في الريف . كما كانت جماعة من تجار الماشية يسيرون امامنا الجواميس والاغنام للقصابين ببغداد . كل هذا النشاط والجلجلة كانت سلامات لا تعطينا العين تدل على اننا نقرب من مدينة كبيرة . غير ان بغداد نفسها انما تليها الى الشمال بقلعة سبكية من الضباب . مستغرقة في النوم على جانبي نهر جديس الى الشمال . ظهرت فوق المدينة . ومن خلال سحب البخار قباب مشهد الكاظمين المذهبة .

وفي الساعة ١٥ صعدنا سدة ( الخر ) الطويل الذي بنى لسكة الحديد سابقاً واصبح الآن طريةً عاماً . وعبرنا الجسر الحديدي ، ودُرنّا الى جهة الشمال واخترقنا سهلاً أجرد لا شيء فيه غير العجروش ، للوصول الى الطريق العام الذاهب الى الموصل . وعلى مسافة غير بعيدة من ضريح الست زبيدة كان جماعة من الجنود تتدرب على السلاح ( البندقية ) . وسمح لنا الضابط الأمر بالمرور بين جماعة الرماة والهدف ، لكنه وجه تأنيباً شديداً الى الدركي الذي قادنا الى هذا الطريق . مسكين هذا الدركي لقد كان رجلاً مُسنّاً من أهل المحاول . وقد أبقيناه في خدمتنا لعله يستطيع شراء ملابس لاحفاده بدلاً من اسمالهم الممزقة . وكان ابنه قد قتل قبل هذا بأيام قلائل على ايدي البعيج .



وفي الساعة الثامنة بلغنا الطريق العام المؤدي الى الموصل ، وخبسنا تحت النخيل في بستان على حاج طعمة . وكانت اقامتنا في هذا الموضع ممتعة جداً . كانت الارض جافة ، والنخيل تنشر علينا ظلالها ، واشجار التوت تمنحنا من ثمارها الجنية ، ومع ان الماء كان قليلاً في دجلة القريب منها ، فان الضفاف كانت مغطاة بكثير من الاعشاب مكونة منظرًا ساراً لجمالنا التي لم نحصل الا على القليل مما تأكله منذ عدة أيام . لهذا لم يكن ينقصنا شيء لنستجم بصورة تامة . وكان الاستجمام اشد ما نحتاج اليه آنذاك .

\* \* \*

## الفصل الرابع بغداد الى تكريت بغداد الى بئر الحصبيني

في ٨ أيار ١٩١٢ تقدمنا نحو الغرب ، وسرنا أولاً خلال البساتين ، ثم في حقول الطّف . وزادت رطوبة التربة كلما اقتربنا من هور الدهنة . يجفّ هذا الهور في الخريف ، غير انه يمتلئ ثانية في الربيع . وعلى ساحله الغربي والجنوبي على السواء نصبت عشيرة البطة خيامهم - مع زعيمهم ضاري بن محمود . وهم فرع من قبيلة زوبع . وفي ٢٠ صباحاً استدرنا نحو الشمال الغربي ، ثم عبرنا في ٧٤٠ جدول نهر البجاج الذي يتجه الى الجنوب الشرقي ناقلاً الماء من هور الدهنة الى دجلة . وتألفت امامنا في ضوء الصباح قمة برج ( عقرقوف ) القديم ، والى الجنوب خرائب البضاغ . والى الغرب تلال السراجه وهور ابو جلايد .

ومن ٢٠ الى ٢٥ توقفنا في عقرقوف . وهي بقايا زاقورة ضخمة ، واكوام آجر قديم . وقد شيدت الزاقورة من لبن وآجر كبير الحجم وضع فيما بينها سعف النخيل يُلصق بالقار . ( ٣٥ ) .

---

( ٣٥ ) عقرقوف هو الحصن الثغري القديم دور كوريغالزو الذي بناه الملك البابلي كوريغالزو الاول ( ١٤٦٠ - ١٤٤٥ ق م ) ( ونكر السواح فخارية في شريد : مكتبة النقوش السامرية [ ١٨٨٩ - ١٩٠٠ ] ، المجلد ٥ ، ص ١٦ ) ، حيث كان معبد الاله بل .  
ويقول ياقوت ( المعجم : مجلد ٣ ص ٦١٧ ) والقزويني ( العجائب مجلد ٢ ، ص ٢٨٤ ) ان عقرقوف قرية في اعمال الدجيل ، على بعد خمسة فراسخ من بغداد . وبالقرب منها يقوم تل مرتفع يمكن رؤيته من مسافة خمسة فراسخ .

والى الشمال الغربي من عقرقوف تقوم بؤمة خرائب تسمى البيوض ، وعلى مسافة قصيرة الى الجنوب منها توجد خرائب الاسمر والقرّس ، والى الغرب من ذلك مشهد ( الصالحين ) الذي تزيّنه قبة صغيرة . وفي ١١٢٥ رأينا الأخير الى جنوبنا (٣٦) .

وسرنا الى الشمال الغربي بمحاذاة الطرف الجاف من هور الدم . وكان الشلغم من المحاصيل التي زرعت فيه . واسترحنا من الساعة ١٢ الى ١٠ بعد الظهر . وفي ١٣٥ كنا عند الآبار المعروفة بـ ( بيار الكرمة ) وعبرنا ، بعد ان جاوزناها ، نهر القرمة الذي يتفرع من الفرات غربي الصقلاوية . وعمق هذا النهر لا يكاد يبلغ مترين ، ولم يتجاوز عمق الماء فيه - حينذاك ٢٠ سنتيمتراً . والى الغرب والجنوب من موقفنا الذي كنا فيه قامت خرائب البياض والأشهبى ، والى شمالنا خرائب العقلة والمقيّر .

في ١٥٥ كان الى يسارنا مشهد سيدنا ابراهيم الخليل . وفي ١٠٠ مررنا الى شرق ربوة خرائب يقوم عليها مشهذان ابيضان يسميان ( بنات الحسن ) ، وخيّمنا في الساعة ٣١٠ عند لحف هضبة ( حمرة بني سعد ) الى شرق تلّ المجصّة الابيض . وكان على مسافة قصيرة منسا مخيّم للديلم ، وكانت هذه القبيلة تكنّ عداءً مريراً للحكرمة . والغريب انها ناصبتنا العداء أيضاً لان اللوك كانوا بصحبتنا . وقد اخذوا علينا اننا كنا السبب في القاء زعيمهم نجرس بن كعود ( قعود ) في السجن . وكانوا يرون انه لم يرتكب ذنباً على الاطلاق ، وانما خدعه

---

(٣٦) كانت الصالحين محطة على الطريق العام من بغداد الى الانبار . وذكر الطبري ( التاريخ سلسلة ٣ ، ص ١٦٠٠ ) انه في عام ٨٦٥م امتلأ خندق بلدة الانبار بالماء من الفرات حتى فاض على الاراضي المجاورة كلها ، حتى بلغ الصالحين . - وأغلب الاحتمال انه جرى في مجرى القرمة حتى غمر الفيضان الاراضي القريبة من الصالحين ، كما حدث سنة ١٩١٥ . . .

ذكر ياقوت المصدر السابق ( مجلد ٣ ، ص ١٣ ) ان اسم الموضع يكتب « الصالحين » ويقرأ « الصالحين » وكلاهما خطأ ، والصواب هو : سيلحين نطقاً وكتابة . فضلاً عن ذلك يقول ابو الفخائل ( المراقص : مجلد ٢ ، ص ٤ ) ان هذه البلدة تقع على نهر عيسى .

جاني الضرائب الذي اراد منه ان يدفع الضريبة ثانية بالرغم من انه سبق ان اداها دون ان يأخذ ايصالاً منه . اما الدرك فلم تغمض لهم عين طوال الليل خوفاً من الدليم ، والواقع ان أحدهم اطلق طلقة عليهم بعد منتصف الليل . فبادرنا الى السلاح فوراً ، ولكن بغير طائل ، اذ لم يظهر أحد . . وبالرغم من الهدوء التام الذي ساد بعدئذ ، لم نستطع النوم ثانية .

في ٩ أيار سنة ١٩١٢ سرنا في الساعة ١٦هـ صباحاً نحو الشمال الغربي على امتداد الطرف الشرقي لـ (هور ابو رويس) ، حيث تألق تل المجصبة المائدي الشكل ، وظهر لنا فيما وراء ذلك في موضع من ناحية الغرب مشهد ايض يسمى (مكان المهدي) . وفي ٢٠ مررنا بحلال هور ابو العويجيلة ، الذي يرتفع الى شماله (تل غرب) .

وأعلمنا دليلنا ، وهو من أهل تكريت ، أن الدليم أخبروه بان (شمر) اعلنت عصيانها على الحكومة وانها تشن غاراتها الآن على الطريق العام الذي يربط بغداد بالفلوجة . وعلى الطريق الناهب من بغداد الى تكريت فالموصل كذلك . والسبب في ذلك ان الحكومة سبق أن خلعت زعيمها مجبول بن فرحان قبل ٢٠ يوماً ، ونصبت مكانه اخاه حميدي . فثارت ثائرة مجبول لذلك ، فتحالف مع أخيه الآخر فبصيل ، واندلجا في طريق الحرب . وكان فيصل في الشتاء السابق في نجد ، وسقط الجزيرة العربية ، وهي المأوى الاصلي لقبيلة شمر التي تقطن بلاد الرافدين ، وذلك لاسترضاء (تومان) الذي كان قد اختلف مع أبيه فرحان فهاجر الى نجد مع اتباعه . ونجحت مهمة فبصيل الى حد انه اعادهم الى بلاد الرافدين . وما ان استقروا هناك حتى أصبح من الميؤر كسبهم الى جانب الثوار ، اذ كانوا يكرهون حميدي اشد الكره لانه كان الامن المفضل لدى أبيه فرحان .

وقد أدخلت هذه الحكاية الرعب في ناوب دركيينا حتى كادا يجنّان هاجاً . واتخذ كل منهما يدب خطه التعس الذي كتبه الله له . لم تكن نساfer الآن في هذه الارض التي لا بد ان تدبر بها شمر اذا ارادت الغارة على المسافرين في طريق بغداد - الفلوجة ؟ قريباً سندخل طريق تكريت حيث يصبح بإمكان هذه العشيرة أن

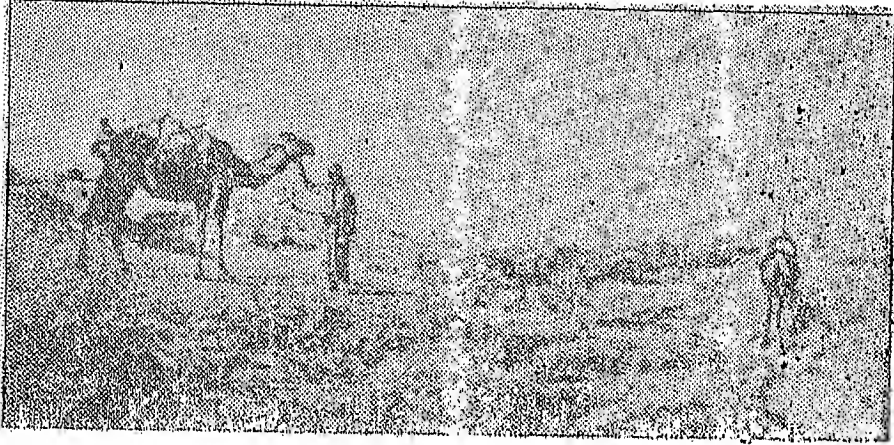
تعيث فيها ايضاً . ومن المؤكد انهم لن يُبتوا على الدرك ، الذين يمثلون الحكومة .  
وقد بذلنا وسعنا للتخفيف عنهم ، ولكن دون جدوى . وظلّوا يندبون حظهم .  
وسرنا في سهل متموج يرتفع بالتدريج نحو الغرب . وكانت تنتشر هنا وهناك  
روابٍ قبايية منخفضة . ولم تكن النباتات الدائمة والسنوية تنمو الا في المواضع  
الواظئة . وفي احدى هذه الاراضي المستوية الواقعة عند اللحف الجنوبي لهضبة  
(ردايف ) رعتُ جمالنا من ٨٤٠ الى ٩٢٠ . ولفت الدليل نظرنا غرباً الى بئر  
الكيفيات ، وشمالاً الى بئر الرشراش .

ولم يكن بامكاننا تهدئة الدركيين فقد بقيا يتحدثان طوال الوقت عن اولادهم  
واقربائهم ، واخوانهم ، ويصرّان على ان هلاكنا بات محتملاً في الصحراء حيث  
ستذهب دماؤنا هدرًا إذا ما من احد سيعرف شيئاً عن القتلة . كان الهواء ممتلئاً بالغبار ،  
وكانت الشمس طالعة ولكنها ضعيفة النور . وكان الحرّ شديد الوطأة . واسترحنا  
من الساعة ١١:٠٢ الى ١١:٥٥ في منطقة الثريثر . وحيثما رجّعت نظرنا لا ترى  
تلاً او ربوة او شجرة سوى سهل متموج يمتد امامنا ووراءنا بما فيه من اماكن  
مرتفعة واسعة ومنخفضات غير عميقة وكان من الصعب أن نسير في خط مستقيم ،  
حتى ان الدليل نفسه التمس منا اللجوء الى البوصلة لتحديد الاتجاه .

### بئر الحصيني الى كهف الكلب

والى الغرب من بئر الحصيني رعتُ جمالنا من ٣٤٢ الى ٤٢٠ بعد الظهر .  
وفي الجنوب شوهدت تلال عكّار الواظئة التي يقع الى شرقها ( بئر السبعة )  
مع ماء ( عكّية البنات ) في الجنوب . والى الشمال عند لحف مرتفع ردايف :  
بئر ( الخسيفات ) . وفجأة رفض التركيان ان يتقدّما أبعد من ذلك . حتى انهما  
عمدا الى التهديد بعودتهما الى دجلة اذا واصلنا السير في هذا الطريق . وانضم  
الدليل اليهما ، فلم يكن لنا مندوحة عن التفاوض . وطوال ذلك اليوم لم يقع بصرنا  
على خيمة او كائن بشري . وكان يمكننا الاستغناء عن الدركيين ، اما عن الدليل  
فلا . . . . . واتفقنا آخر الأمر على المسير الى دجلة ولكن باتجاه شمالي وليس باتجاه

شرقي ، ولهذا انعطفنا الى شمال - الشمال الغربي نحو تل ترابي هائل لاح لنا على الأفق . وإلى غربنا كانت آبار خنفسان ، الرضوي ، وحليج الذيب ، وإلى الشرق بشر السبعة . وفي ٢٥٠٠م أقمنا خيامنا في واد مغطى بأعشاب ونباتات دائمية .



( شكل ١٩ - ركام سور (جلو) قرب بشر ابو ظهير )

في ١٠ ايار سنة ١٩١٢ امتطينا السروج في الساعة ٥.٠٢ صباحاً ، وفي الساعة السادسة حينما كنا شمالي بشر الغردقية ، وصلنا الى ركام سور (جلو) يتراوح ارتفاعه بين اربعة وستة امتار ، ويبلغ عرضه في اسفله ٣٠ متراً ، و١٥ متراً . وبرزت في بعض المواضع نتوءات دائرية كأنها بقايا ابراج . ويمتد الى جانبه الغربي منخفض غير عميق ، لعلهم اخذوا ترابه لعمل الربوة ، وهذا يوضح كذلك ليم كان الركام في جانبه الغربي اعلى بكثير مما هو في جانبه الشرقي . وواصلنا السير الى الجانب الشرقي من الركام على الأغلب . وقد نبت في الاراضي المجاورة : الرمث والأرطة . وإلى الغرب بدت هضبة الشنانات العريضة ، حيث توجد آبار الأبد والبراغيث . وإلى شرق - الشمال الشرقي من الغردقية ماء ( ابو عظام ) . ومن ٨٢٥٠ الى ٨٥٣٠م عتّ جمالنا بين بشر ابو ظهير وبشر ابو

شراطة ، (شكل ١٩) وإلى الشرق كانت تلال (المطبّق) العريضة الواطئة تسدّ الأفق ، وبجانبيها تقع بئر العتيق والشّاطيط . وإلى الغرب بدا ضريح الحجرية للعيان .

في الساعة الحادية عشرة ظهرت فوق الأفق مئذنة عالية ، وبالقرب منها تألقت قبة كالذهب في مدينة سامراء .

وبدأت تظهر قبب أخرى وبعض الأبنية من خلال الوهج مما يخيّل للنّاظر انّ بريقها وموقعها وشكلها يتغير باستمرار . واخذت اشعة الشمس المحرقة تلمحنا بدون رحمة ، وسرت رعشة في الهواء ، وما لبث ان كون الوهج طبقات كثيفة انعقدت على الافق الواسع ، وتبدل مظهر المنطقة كلها في فترات متقاربة . وشوهدت الى الشرق ، على ضفاف دجلة ، خرائب الاصطبلات وخرائب وقرى : القبّان ، المعير ، ام شعيقة ، تلّ المصايح ، الغضاخير ، البحيرية . الحباب ، تل ذهب ، التويثة .

في الساعة ١٢:٤٥ بعد الظهر استندنا قايلاً الى اليمين من ربوة السدّ ، وعبرنا في الساعة الواحدة جلولاً قديماً ، واخترقنا سهلاً مقفراً ابيض مغطى بنباتات العيجرش والشفّلح واشجار السدر . واسترحنا بين قريتي شريعة الغزال والمعوجيل بجانب الطريق العام المؤدي من بغداد الى نكريت . وإلى الغرب منا كانت نهاية ربوة السدّ ، وإلى الشرق : خيام فرق العمال المكلفة ببناء سكة الحديد . وهنا تابعنا الطريق العام المتجه الى الشمال . وكان الى يسارنا سفح مغمري يرتفع ارتفاعاً تدريجياً سرعان ما تحوّل الى صنف من الاجراف العالية تطلّ على وادي دجلة وتحجب الرؤية من الناحية الغربية . وفي القسم الجنوبي من هذه الاجراف المسماة كهف كلب يوجد بئر قصير وبئر ابو شنين . وفي ٣:٥٥ كانت ربوة كهف كلب ترى من جهة اليسار ، وإلى شمالها خرائب الصليبية . حتى اذا بعدنا عما يلي ذلك شمالاً فوق الاجراف العالية ظهر قصر الخليفة او العاشق ، وإلى جهة الشمال الشرقي توجد بضعة أكواخ تتألف منها قرية عابد .

وفي السهل المتموج المعروف باسم ذمّوم : غربيّ العاشق ، يوجد البئر الطبيعيّ المسمى الاجودي وربة خرائب الحويّات .

### كهف كلب الي تكريت

في الساعة ٤:٢٠ كانت على يسارنا أجراف كهف كلب والمغارة التي تحمل الاسم نفسه . وكانت الأرض التي اخترقناها أرضاً زراعية . وكان نهر الاسحافي القديم يمتد بين الطريق ولحف الاجراف . وعلى اليمين ، رأينا مدينة سامراء الحديثة ، وخرائب المدينة القديمة ، المهجورة منذ وقت طويل . ولا بد ان تكون العاصمة بغداد قد بلغت درجة هائلة من الاتساع والعظمة فيما مضى بعد ان اسسها وزيتها عدد كبير من الخلفاء ، إذ ان سامراء ، التي انشئت لتكون مقراً مؤقتاً لهم ، كانت تتباهى بمثل هذه السعة . ان سامراء حافلة بآثار عهودها التي خلّت منذ عصور طويلة ، بينما لا نجد في بغداد بناية واحدة من الابنية القديمة الرائعة قائمة الى اليوم . هناك هدموا كل شيء ودمّروه ، واستعملوا انقاض العصور الضخمة في اصلاح بيوت اليوم وأكواخه . .

وفي ٥:٠٥ خيّمنا على بروز صغير يطل على النهر مباشرة ، اسفل قصر العاشق (٣٧) . .

(٣٧) يذكر ابن جبير (الرحلة : ٢٣٣) انه نزل مع الصباح بمقربة من قرية تعرف بالحربة من اخصب القرى وأفسحها ، ورحلنا من ذلك الموضع ، واسرنا الليل كله ، ونزلنا مع الصباح على شط دجلة بمقربة من حصن يعرف بالمعشوق ، ويقال انه كان متفرجاً لزبيدة ابنة عم الرشيد وزوجه رحمه الله . والمسافة بين هذا الموضع وتكريت تبلغ مسيرة يوم واحد . وقد شاهد ثفنو ( الرحلات باريس ١٦٨٩ مجلد ٢ ، ص ٢٠٦ ) الى اليمين قرية تسمى عشوق ، واخرى تدعى المعشوق الى اليسار . واخبره الاهلون انه كان في كل من القريتين برج : وكان يقيم في احدهما العاشق ، وتقيم حبيبته في الآخر . وهنا كانت المحطة السادسة للقوافل القادمة من الموصل الى بغداد .



ومن الضفة اليمنى الصخرية تنبع على حافة النهر تماماً ، عين يتدفق منها ماء عذب ، احسن وابرد كثيراً من ماء دجلة . وعلى مسافة قريبة من هذا المكان كانت جماعة من اصحاب الرمث ( الاكلاك ) العائدين من بغداد قد استلقوا على الارض طلباً لراحة قصيرة . وكانت حميرهم محملة بسلال كبيرة مملؤها باكياس مخيطة من جلد الماعز المدبوغ . ويرحل اصحاب الرمث بهذه الاكياس حتى كردستان حيث يتعاون الخشب ، والحبوب ، والصوف والزبد ، ثم يصنعون ارامناً صغيرة من الخشب ، يربطون في أسفلها قرناً جلسدية منفوخة ، ثم ينحسرون بها في دجلة الى بغداد . وهناك يبيعون كل شيء ، ما عدا قرب الجلد . وتحمل هذه القرب مرة ثانية على حمير يجلبونها معهم أو يشترونها في طريقهم ، ويعودون ادراجهم للمتاجرة مع الاكراد كما فعلوا اول مرة .

في الساعة ٥٨ر٤ صباحاً من يوم ١١ أيار سنة ١٩١٢ سافرنا بمحاذاة الضفة الشرقية لنهر الاسحاقى (٣٨) . الى اليسين منا ، على الضفة اليسرى من دجلة ،

---

(٣٨) ويذكر ابن سراييون : العجائب ، مخدولة المتحف البريطاني ، ورقة ٣٦ يمين .

الاسحاقى اوله اسفل من تكريت بشي ، يسير يمر في غربي دجلة عليه ضياع وعمارات ، ويمر بطبرهان ويحجى الى قصر المعتصم بالله المعروف بقصر الجص ويسقى الضياع التي هناك في غربي مدينة سر من رأى المعروفات بالاولى والثانية والثالثة الى السابعة ويصب في دجلة ازاء المطيرة

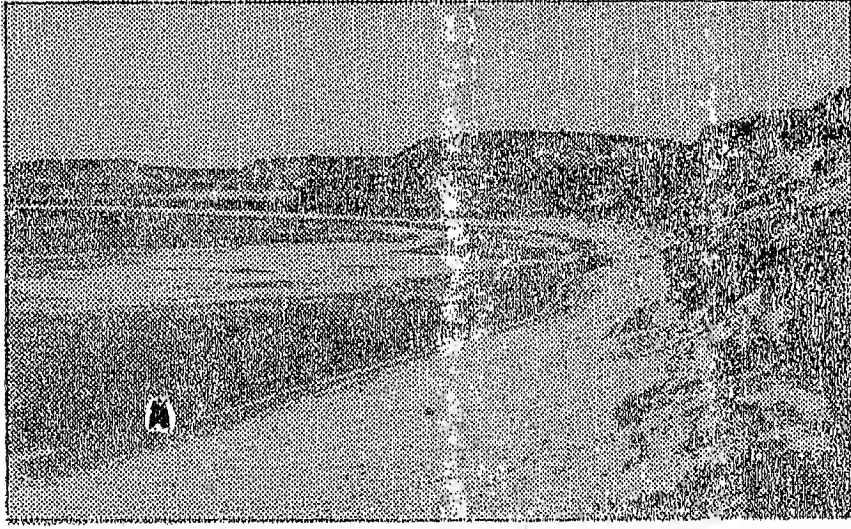
وكان قصر الجص يقع على الضفة اليمنى فوق قصر الهاروني ، وهذا الاخير يقابله على الضفة اليسرى قصر المعشوق ، وهو مطابق لقصر العاشق اليوم . وكانت المطيرة متنزها لاهل بغداد وسامراء ، وكانت تقع على نحو فرسخين اسفل من القصر الاخير ( ياقوت : المعجم - مجلد ٤ ص ٥٦٨ ) . ويحدد موقع طيران شمالي قصر الهاروني ، ولعله في خربة .

ويحدد الضفة اليمنى لنهر الاسحاقى يمر طريق الاسحاقى المؤدي من سامراء الى الانبار ( الطبري سلسلة ٣ ، ص ١٦٠٠ ) .

ولما كان الجدول الرئيسي لنهر الاسحاقى ، في اي موضع كان لا يقترب

=

ارتفعت اسوار اشناس وماذن ابي دلف وإمام دور (\*) وفي الساعة ٦١٥  
شاهدنا على جرف الى يميننا ، ركاب خرائب الحويصلات ؛ وكانت على  
اليمن حقول بر عباس الزراعية .



( شكل ٢٠ - الضفة دجلة اليمنى الصخرية قرب قصر العاشق )

وهنا يأخذ السهل الفيضي في الاتساع حيث تتراجع أجراف الضباعي الى  
الغرب . وبعد الساعة السابعة اخترقنا مزارع كان يحصد فيها الشعير . وفي ٧١٥  
كانت قُريّة عباس على يميننا ؛ وقد ارتفعت وراءها على الضفة اليسرى منارة

من الانبار اكثر من ثمانين كيلومترا ، فانه ينبغي لنا ان نفترض ان هذا  
الطريق كان يتابع الضفة اليمنى لفرع من هذا الجدول . ولا بد ان يكون  
الطريق المذكور قد استمر في جريانه على مرتفع الردايف تفاديا لخنادق  
السري [ المشبوتة هنا وهناك ] . وينبغي ان يكون هذا الفرع من الجدول  
قد ترك الاسحاقي غربي الاصطبلات الحالية ، ومضى جنوبا ، بينما عاد  
الفرع الكبير من الاسحاقي للاتصال بدجلة في جنوب شرقي الاصطبلات .  
اما الفرع فهو في نظري جدول الفرخاتية المردومة في الوقت الحاضر .  
\* يقصد به المشهد المعروف في مدينة الدور .

أبي دلف بشكلها المستطيل. ومن ٨٣٢ الى ٨٥٥ رعت جمالنا بالترب من طريق يهبط من هضبة الضباعي التي تقع فيها خرائب ( المكيشفة ) ، وعين الهويرة ، وبئر الخيزرة . وفي ٩٢٠ رأينا على يمين الطريق خرائب رسم المحيجر . حيث يبلغ عرض السهل الفيضي كيلومتراً واحداً فقط. وفي ١٠٥٠ كنا عند قبر العروس أسفل أجراف خشم الجذمة والمزارع الواقعة الى الشمال الشرقي من هذا القبر ، المعروفة باسم حاوى العوجة ، ملك لعشيرة البيجات . وملاأنا الترب من النهر الفائض من الساعة ١٢ الى ١٢٣٠ بعد الظهر ، بالقرب من مزارع المجيرة ، وكانت مياه الفيضان قد بلغت الأجراف الصخرية العالية الواقعة في الغرب مما أدى الى قطع الطريق المؤدي مباشرة الى تكرت . ولهذا أخذنا الطريق العام الذي يخترق شعيب الفحل ( الذي يفيض من ماء الشجيمي ) وصعدنا الى هضبة المطلع في الغرب . وبدأت في النهر جزر متعددة مغطاة بأشجار الحور كأنها قطع سوداء ، غير أن الصفوتين ، ابتداء من العاشق ، كانتا عاريتين من اي اثر للأشجار أو الشجيرات . وفي ١١٥ عبرنا شعيب الرومية العميق ، وفي ١٢٥ شعيب شيشين ، وفي ٢٠٢ شعيب شعبية . وكنا نرى أسفل منا شرقاً جزيرة حيوان الكبيرة نسبياً ، وهي ملك البوعجيل ؛ وظهرت من مسافة بعيدة على الافق الشمالي الشرقي سلسلة حميرين ؛ وإلى الغرب منا مرقد الأربعين : وإلى شماله ضريح محمد الباسر ، وبدأت امامنا خرائب تلؤل الكهفة ، التي سرعان ما تركناها على يميننا .

ان بيوت تكرت الحديثة (٣٩) تغطي نتوءاً صخرياً من مرتفع يقع في الربع الشمالي الشرقي لبقعة كثيرة الاطلال . ويهبط النتوء الى النهر بانحدار شديد من ناحية الشرق ويغور الى الجنوب في -جوف عميق قاسماً الاطلال الى قسمين . وإلى الشمال ندمج بالتدرج في خليج صغير في ضفة النهر ، بينما نجد في الغرب ضلعاً شديداً الانحدار يصل بينه وبين المستويات العليا للهضبة . ويعرف

(٣٩) انظر فيما بعد ، الملحق ٢١ .

القسم الجنوبي من المدينة ، بالقلعة ، والقسم الشمالي بالحارة(\*) . وتوجد مقبرة في ضلع الجبل المذكور ، حيث توقفنا في ٢٢٧ ر . ويقسم المنخفض الجنوبي ، المسمى بالمسيل ، الخرائب الى قسمين . وترتفع تلال القسم الجنوبي المعروفة بـ (أَلِكْهَيْفَة) أعلى من المعتاد . وثمة ربوة خرائب واسعة أخرى تسمى تل السكن ، وتقع الى الشمال الغربي من المدينة الحاضرة . ويسكن تكريت نحو الف عائلة ، من بينهم كثير من اليهود ، (\*\*) ولكن ليس منهم أسرة مسيحية واحدة . ووسائل المعيشة الرئيسة للسكان هي المتاجرة مع الاكراد ، ومع مدينتي سامراء وبغداد .

---

(\*) يبدو ان المؤلف قد خلط بين موقعي المحتلين - المراجع  
 (\*\*) لم تكن في تكريت آنذاك سوى أسرة واحدة لصائغ يهودي - المراجع

## الفصل الخامس

### تكريت الى راوه مروراً بالشرثار

### تكريت الى شعيب شيششي ، منطقة شمالي تكريت

بعد ان وجدنا دليلاً يعتمد عليه يسمى احمد الخطّاب ، وتزودنا بمقدار من الشعير يكفي خيل الدرك ، غادرنا مدينة تكريت المهجلة في الساعة ٢٥ره وانطلقنا في سهل مقفر متجهين غرباً . وتحاوزنا مرقد محمد البلر ومشهد الاربعين الكبير الخرب ، الذي كان ديراً في عهده سابق - حتى بلغنا وادياً واسعاً قليل العمق يعرف بوادي شيشين حيث نصبنا خيامنا في ٢٠ر . وقد وجدت جمالنا الجائعة هناك مرغى جيداً ، بينما كان جو المكان النقي وهادئ التام متعة لنا .

ورسم لنا الدليل في الرمل خارطة لهذه المنطقة .

وتقوم الى الشمال من تكريت التلول المسماة (تلول جحا) . وينتهي شعيب (درب) الحمر في السهل الفيضي شمال هذه التلول . وبالقرب منها تقع خرائب (الثويت) ، (الثبوت) والكهف المسمى (مغارة السعاوة) ؛ وأبعد من ذلك يوجد شعيب (الجريم) (الكريم) مع بئر يحمل الاسم نفسه . ويلي ذلك شعيب (ابو رياش) ، الجيسات مع آبار ابو قطب والريضة ، وأخيراً الشريمية مع عين الشبيهة . ويقع مركز الشرطة المسمى (نقطة الشريمية) على الضفة النهر بجانب الشعيب الاخيسر ، ويقع بجانب الجيسات خان الخرفينة . وبالقرب من شعيب الكريم يوجد الضريح المسمى قبة ابو خلخال (خلخال) وإلى الشمال من الشريمية تمتد جبال المكحول (٤٠) والمجيجيل من دجلة باتجاه شمال الشمال

(٤٠) ان سلسلة مكحول هي جزء من سلسلة الجبال التي كانت تسمى بارما قديماً . ولعلها سميت باسمها الحاضر نسبة الى قرية كحيل وخليجها الصغير .

=

الغربي ، وتفصل بينها الفجوة المسماة ( جفرة الحار ) ، ويتعرج خلالها شعيب جهنم ، الذي يتصل بدجلة بالقرب من اطلال قلعة قصر البنات .

=

ويشير ابو الفرج في اغانيه ( بولاق - مجلد ٢ ، ص ٥٨ ) وابن الاثير في الكامل ( مجلد ٤ ، ص ٢٦٠ ) الى شعيب الكحيل على بعد عشرين فرسخا جنوبي الموصل . وفي هذا الموضع اثناء خلافة عبد الملك ( ٦٨٥ - ٧٠٥ ) قاتلت بنو تغلب وحلفاؤهم من قبائل اليمن قبيلة قيس - وان عشرين فرسخا من الموصل تؤدي بنا الى جبل مكحول .

وكان والد الاسقف العلامة ميسى بارسيفا المتوفي سنة ٩٠٣ ، من ابناء قرية الكحيل على دجلة ( اسيدانوس - المكتبة الشرقية - روما ١٧١٩ - ١٧٢٨ مجلد ٢ ورقة ٢١٨ ) .

ويذكر الاصطخري في مسالكه ( ص ٧٥ ) والسن على شرقي دجلة وهي مدينة صغيرة بقربها جبل بارما على مرحلة . وجبل بارما يمتد الى وسط الجزيرة مما يلي المغرب . ويقال انه مما يلي المشرق يمتد الى حد كرمان .

ويقول ابو الفضائل في مراصده ( مجلد ٢ ، ص ٤٨٠ ) ان الكحيل قرية تحت الموصل على شاطئ دجلة الغربي مقابل الحديثة . به مشهد يعرف بمشهد الكحيل قبل كان مدينة عظيمة .

وسافر زنفو ( الرحلات : باريس ١٦٨٩ مجلد ٢ ، ص ١٧٩ ) من الموصل الى بغداد بجذاء ضلع جبلي يقال ان احد الفرنجة بنى قلعة فيه ، وفقا للرواية المحكية ، تسمى مكحول قلعي ( قلعة مكحول ) . وتعرف قلعة مكحول ايضا بقصر البنات . وفي موضع اسفل منها مباشرة يتلقى نهر دجلة شعيب جهنم ، الذي ربما كان مطابقا لشعيب الكحيل . وهذا يتفق مع المسافة عشرين فرسخا من الموصل .

ولعل مكحولا يطابق كذلك بلدة العقر الاقدم منه عهدا .

وقد وصل ابن بطوطة ( التحفة - مجلد ٢ ، ص ١٢٣ ) بعد مسيرة مرحلتين من تكريت الى بلدة العقر على شطر دجلة وباعلاها ربوة كان بها حصن .

حصن . وبأسفلها الخان المعروف بخان الحديد له ابراج ، وبنائه حافل ، والقرى والعمارة متصلة من هنالك الى الموصل .

ويقول ابو الفضائل ( المصدر انسابي مجلد ٢ ، ص ٢٦٧ ) ان هذه البلدة كانت تسمى عقر ابن زعلا .

ان التآكل الذي أحدثته نهر دجلة في النصف الجنوبي من جبل مكحول هو الذي كوّن الممر الضيق المعروف بالخانوقة . وبالقرب من هذا الممر بُني خان النمل بجانب النهر ؛ وتقع الى الشمال منها خرائب قلعة شرقا ، او آشور القديمة . وعلى امتداد السفح الغربي لجبل مكحول يتعرج وادي الثرثار الذي يبدأ من الشمال الغربي لنهاية الجبل بالقرب من التلّول المسماة (تلّ عبده) (٤١) والمريةيص ، والنجمه .

ويحدّد الأهليون رأس الثرثار في شعيب الثريشر ، الذي يتصل به من اليمين : العبدان ، ونخور مّ ، والخنيفس . شعيب فويعة ، ومن اليسار : شعيب الحمر . وفي الشعيب الأخير هذا توجد مياه (سحل حمد) والصليبات ، والدبشبة ؛ وفي شعيب الثريشر توجد مياه الجمل . وعند ملتقى الحمر بالثريشر توجد بقايا جسر القنطرة ، وتقع الى الجنوب الغربي منها خرائب الحضر . والى الشرق من هذه الخرائب ، قريبا من مجرى نهر الثرثار ، توجد اطلال الأسرب . ويخرج من جبل مكحول شعيب الصفاء والعنية وجهفت (كهفة) الخيل ، والسويسه ، والعجارب (مع عين مطلق) ، أمّ الغرّبه ، المنجور ، والزبيدي . وفي هذا الأخير توجد آثار طبيعية هي : الزبيدي ، بلايج (٤٢) ، ابو شاطن ، وتحدون .

وتبرز اكمة خربة هي تلّ بكر غربيّ بئر خردن ، ويقوم الى الجنوب منه ضريح الشيخ حديد . وتوجد على جبل مكحول ، شمّال دجلة ، خرائب المسّحق والجبار ، والى الجنوب بئر المرس وشعيب وضريح المصلّحة . وينضم الى

---

(٤١) يذكر الاخطل ( الديوان - الصالحاني ص ٣٢ ) تل عبده بالقرب من الحشاك على نهر الثرثار .

(٤٢) يقول ياقوت ( المعجم : مجلد ١ ص ٧١١ ) ان البلايسق موضع بين تكريت والموصل ، وانها كانت تسمى البلايج ايضا . . . مع ابدال القاف بالجيم - ان الجيم هنا تمثل نطقا خناسا لحرف القاف من اعلى الحنك ( اعلى باطن الفم ) : وهذا النطق في لهجة الروله يختلف عن صوت الجيم [ المؤلف ] .

الثرثار ، جنوبيّ الزبيدي من جهة اليمار شعيبان الحميرات ، ابا القدور ، السمومة ، ام غربة ( مع بشر الخيل ) ، الافيتح ، ابو جدعه ، ويقطع الشعيب الأخير الطريق المؤدي الى عانة . اما الشعيبان التي تنضم الى الثرثار من جانب اليمين فهي ضحلة وقصيرة . والى الجنوب من الحضر توجد شعيبان السدة ، والدباغية ، الثيلية ، وهذا الأخير يأتي من آبار الشوه ، الكحيفات ، الأعظميات . ويوجد في شعيب الجحران بئرٌ يسمى بهذا الاسم ، والى الغرب منه تقع بشر النفعة ، والى الجنوب منهل السحريات . وفي الشرق من هذا توجد آبار الغريرات ، مع بشر الشطيطات الى الجنوب منها . وفي الجزء الاسفل من شعيب الزبيدي ينضم الى الثرثار شعيب الحبة ، وعند رأسه تقع بئر ابي ذكير وخربة بنية الفاج . والى الجنوب الغربي من هذه الأخيرة توجد آبار الحاث ، السملان ، أبو زبير ، ام طوق ، اللولحية ، الهلبي ، . والى الجنوب الشرقي من ابي زبير توجد آبار المروان ، والتمليات ، والمصطفيات ، والمرّة . وتوجد في غرب التمرات آبار العرسة ، المانعة ، بنية الملمحة . وأسفل من ملتقى شعيب ام غربه الثرثار - مباشرة - يوجد شعيب الطليشية ، وبالقرب من فم شعيب الافيتح وقبر الصلبي يوجد شعيب ينحدر من عيون الجريبيات .

### شعيب شيشين الى الجمه

في ١٢ ايار سنة ١٩١٢ بدأنا السير في الساعة ١٢ صباحاً في اتجاه غربيّ مخترقين منطقة متموجة تقطعها أودية واسعة . وظهر لنا الى الجنوب الغربي معروط منخفض نسبياً حيث يقع بشر الغربان ؛ كما توجد من جهة الشمال الغربي اكوام صغيرة من الحجر لتدل على موضع نبع صغير هو نبع البيجات وفي الساعة ٢٥ كانت الى الجنوب منا خرائب الجبران وبشره ، وفي الساعة ١٠ و٧



اخترقنا شعيب البستين الذي يقع في صدره ماء البستين ، وتقع اسفل منه عيون الدريجة ، والغزلاني ، والحريس ، والأبطح ، والشيوخ ، والخماش . وحوالي الساعة ٨ر٧ كنا عند آبار الحمراني (٤٣) ، وتقع هذه في واد عريض ينحدر الى الجنوب وتحفّ بها روابي : قارت الحصى الواطئة . وماء الحمراني مَـجّ والمنطقة المجاورة له قفراء ، وتربتها مفتتة رمادية قاتمة اللون . وعلى بعد خمسة كيلو مترات الى الجنوب يمكن مشاهدة خرائب خان الاخوان على طريق عانة الذي يتجه غرباً ، ويمرّ بآبار : ابو جدعة ، الصّلبّي ، المعالف ، أم ركية ، ابو درج ، الاهليه ، المجباش ، النخيلة ، ساحل الطويل ، ساحل ابو خريبة ، الطفاقة ، والصفاء .

ويلتقي شعيب الحمراني وشعيب البستين ؛ وتقع الى الجنوب من الأخير آبار ابو جحاش ، المنقوب ، الشقرة والسدة . ومن ٨ر٢٥ الى ٨ر٥٦ اخذنا قسماً من الراحة . ثم انعطفنا الى الجنوب الغربي فوصلنا الى بئر الحياضية في ١٠ر١٠ ، وفي الساعة الحادية عشرة رأينا امامنا ، على بعد ٢٥ كيلو مترا ، الضفة اليمنى من وادي الثرثار ، وعلى حافته صفّ من اشجار السدر . وفي ١٢ر٢٠ بعد الظهر اخترقنا شعيب المرير الذي تكثّر فيه آبار مجّة الماء ثم استرحنا من الساعة ١٢ر٣٠ الى ١٣ر٣١ . .

ويجري المرير في اتجاه الجنوب الغربي بين تلال مرقب فرحان ومرقب الحمه في الغرب والعوسجية في الشرق . وتقع كل من بئر ابو زمايل والعوسجية في هذا الوادي . والى الجنوب من هذه الأخيرة يرتفع تلّ المالحات وبالقرب

---

(٤٣) يبين ياقوت ( المصدر السابق : مجلد ٢ ، ص ٣٣٣ ) ان قصر حمرانة يطلق على بلدة تبعد مسيرة يوم واحد من تكريت بالقرب من المعشوق غربي سامراء . والظاهر ان مزرعة حمرانه كانت تقع على الطريق من تكريت ، لهذا يمكن القول انها تطابق حمراني التي ذكرناها آنفا .

منه تقع بئر المالحه ، بينما تجري العين المعروفة بعين الأريب الى الغرب من ذلك . ومن هذه العين ومن آبار المميطح ، والقريده ، وام الحياه ، تنحدر عدة أخاديد صغيرة قصيرة الى الثرثار . وفي ٣٥ ر ٢ كان على اليمين منا عين النخيلة التي تقع في لحف السفح الجنوبي لتلّ صغير يعرف باسم أبوجذع . ووصلنا في الساعة ٤٥ و ٢ الى الحافة الغربية لهضبة تمتد بين دجلة ووادي الثرثار الفسيح ، الذي شاهدناه أمامنا -- : يحفّ به غرباً سفح رمادي تغطّيه بساتين داكنة الخضرة وبرك صغيرة متألّثة بلونها الضارب الى الحمرة . واختفى الوادي بعد مسافة بعيدة الى الجنوب وراء مخروط الحصيصي المرتفع الاحمر وتبيّن فيه سطح مائي مالح لامع لا يختلف شكله عن بركة متجمدة . وتبيّن للدليل ان يكون ذلك ام رحّل . ويأتي الناس من جميع القرى المجاورة ومن تكرت كذلك للحصول على الملح من هذه البحيرة ، زاعمين انه احسن طعماً من الملح المستخرج من (منخفض) ملح العسكر شماليّ عانه ، او من منخفضات الملح الأخرى غربيّ الثرثار . وكان الهبوط لا يخلو من صعوبة كبيرة ، وخاصة في أول الأمر اذ كانت الارض الصفراء قد تأكلت الى عمق غير قليل واصبحت جميع المنحدرات شديدة الانحدار . وفي ٢٥ ر ٣ مررنا بعين الحصى وكانت آنذاك مليئة بالجراد وبعد أن تعرج طريقنا بين عدد لا يحصى من تلال ترابية استطعنا الهبوط الى حوض (الثرثار) اللينير (وينبغي ان لا نخلط بينه وبين الشعب الذي يحمل الاسم نفسه الواقع في صدر الثرثار) ، المغطّى بطبقة كثيفة من الحشائش ، حيث أقمنا خيامنا في الساعة الخامسة من بعد الظهر وقد اخذت الشمس النارية تتوارى وراء الهضبة الغربية وكنا لانزال نرى الى الشمال هضبة الحمّر الغليشية وام ركيية . وفي الساعة ١٥ ر ٦ من صباح يوم ١٣ أيار سنة ١٩١٢ تابعنا طريقنا مرة أخرى . وهنا يتسع شعيب الثرثار فيصبح سهلاً تحفه من الشرق حافة عالية مكونة من طبقات صخرية مالحية . وظهر في الشمال قبر ابيض، يسمى قبر الصلبي وفي ٤٠ ر ٥ كنا على ضفة مجرى الثرثار ويترواح عرض وادي الثرثار بين ستة الى عشرة كيلومترات .

وهو قليل العمق كثير المستنقعات ، بحيث ان النهر يغطي مساحة شاسعة وقت الفيضان . وقد يصعب عبوره في مثل هذه الاوقات ، لأن الحيوانات لا يمكن ان تتجنب المستنقعات . ولا توجد أرض صخرية تصل قريباً من مجرى النهر . تجعل العبور ممكناً الا على الضفة اليسرى من شعيب الشريثير . وعلى الضفة اليمنى « جد بشر الجمّة التي لا يكاد يبلغ عمقها متراً واحداً ، شأنها كشأن جميع الآبار الأخرى التي على طريقنا . وهنا توقفنا من ٦ الى ٦١٨ ر . ولما لم يكن بمقدورنا التأكد من ان الآبار الأخرى غير ملوثة بالجراد كهله البشر ، فقد رمينا الماء منها جانباً ، وملاًنا قربنا بذلك الماء الأصفر المجرى الكروية الرائحة . ( ٤٤ ) .

( ٤٤ ) نهر الثرثار كان معروفا لدى الكتاب القدماء . واصطاد [ الملك ] توكلتي انورتا الثاني تسعة من الثيران البرية بالقرب من الثرثار ( الحوليات - شيل ١٩٠٦ ، لوحة ٢ ، الوجه المقابل ، ص ٤٥ فما بعد ؛ شيل : المصدر نفسه ص ١٤ ) . ويرى شيل ( المصدر السابق ص ٣٥ ) ان توكلتي ننب (توكلتي انورتا) الثاني أمر بسحب مياه الامطار من الخزانات الصناعية ، التي سماها جبو المحاذية للثرثار . وكلمة جبو مطابقة لكلمة الجب الحديثة التي تدل على بئر صناعية فيها عين ماء ، ويوجد من هذه الأخيرة عدد كبير على امتداد الثرثار . ويشير بطليموس ( الجغرافيا مجلد ٥ ، ١٨ : ٣ ) الى نهر يقال له سوكوراس بين الفرات ودجلة . ويتفرع من خابوراس ( الخابور ) ويصب منفردا في الفرات . ونهر سوكوراس الذي لم يرد ذكره في أي مصدر كلاسيكي آخر ، مطابق لجدول اراكسس ( دورين الحالية ) الذي يتفرع من الخابور عند قرية السكير التي هي سوكوراس القديمة اما فيما يخص نهر الثرثار فان بطليموس لا يذكره البتة ، مع ان بلدة الحضر المحصنة ، وكانت مركزا تجاريا هاما ، كانت تقع عليه . ولابد ان يكون بطليموس قد عرف الحضر التي اوردها بصورتها المحرفة : بيسترا ( وهي أرجح من بتهترا ) . وقد اخذ الكتاب العرب بالايضاح الذي اورده بطليموس عن أصل سوكوراس - على انه يخرج من الخابور - فأوضحوا أصل الثرثار بالطريقة نفسها .

وفي خلافة عبد الملك الأموي ( ٦٨٥ - ٧٠٥ م ) تثبت المعارك غالباً على ضفاف الثرثار بين القبيلتين المتنافستين : ثلب وقيس . ويذكر ابو

الفرج في أغانيه ( مجلد ٢ ، ص ٦٢ ) ان قيسا وتغلب أتوا نهر الثرثار بين رأس الاثيل ، ص ٦ والكحيل . وعبرت فرقة من تغلب نهر دجلة عند قرية ابا بين تكريت والموصل ، فوصلوا الى دجلة كذلك .  
ويذكر الاخل ( الديران - صالحاني - ص ٢٢ ) الحمر البرية عند الثرثار .

ويذكر ابن الاثير ( الكامل مجلد ٤ ، ص ٢٥٥ وما بعدها ) ان نهر الثرثار ينبع شرقي بلدة سنجار بالقرب من بلدة سرق ويصب في دجلة بين الكحيل ورأس الايل ، وكلاهما تابع لمقاطعة الفرج الادارية - وبلدة رأس الايل مطابقة لقرية الاثيل ، والثرثار لم يصب في دجلة على الاطلاق .  
ويروى ابن خرداذبة ( المسالك ص ١٧٥ ) ان الثرثار يتفرع من نهر الهرماس ، ويجري حول الحضر ، ثم يصب في دجلة . والهرماس فرع من الخابور . ولايين ابن خرداذبة الموضع الذي يدخل فيه الثرثار دجلة .

وكذلك يصف ابن الفقيه ( البلدان ص ١٢٩ ) نهر الثرثار ويقول انه يخرج من سنجار ، ويشق مدينة الحضر الى شطرين ، وعلى حافتي الثرثار القرى والجنات ، ويصب في الفرات ويحمل عليه السفن . غير انه لم توجد مستوطنات كثيرة بحذاء الثرثار ، وربما وجد بستان صغير هنا وهناك . كما ان القوارب لم تكن تجري فيه ، لانه كان يتخلل من الماء فعلا لمدة اشهر متعددة ، والى هذا كان مجراه على درجة غير قليلة من الانحدار .

ويقول ابن سرايون ( العجائب ص ١٨ ، لوسترنج ) ان نهر الثرثار اوله من نهر الهرماس ( نهر نصيبين ) فيقطع جيلا معترضا له ويجيء في البرية ويمر بالحضر ويجيء في بركة سنجار ويصب في دجلة فوق تكريت ، بفرسخين . ومن الغريب ان ابن سرايون ، الذي كان على معرفة تامة حتى بالمناطق البعيدة التي تحيط ببغداد ، لم يكن يعلم ان نهر الثرثار لا يصب في دجلة ولا في الفرات .

ويروى ابو الفدا ( التقويم ص ٥٢ ) ان الفرات يتلقى المياه من نهر الهرماس الذي ينبع من منطقة نصيبين . وبعدئذ يتفرع الثرثار من الهرماس ، فيجري بحذاء بلدة الحضر مخترقا صحراء سنجار ، ويصب في دجلة في موضع غير بعيد من تكريت . غير ان نهر الهرماس - بعد ان يتفرع منه الثرثار - ينعطف نحو الخابور ، ويتصل به قبل وصوله الى قرقيسيا . ولا يلبث ابو الفدا ان يلاحظ بعد قليل ان نهر الثرثار يصب في دجلة اسفل من تكريت ، وفي رواية اخرى فوق هذه البلدة ، على مسافة فرسخين منها .

## الجمعة الى المستفيض

تقع بشر الجمعة على الطريق القديم المتجه شمالاً من بغداد الى مسكنين فالخضر . وبعد ان يترك الكاظمين يمرّ هذا الطريق بـ ( تلّ غريب ) وآبار السبعة ، والوشيل ، وام الحيايه ، وعين الفرس ، والجمعة ، وبنية حماد ، والجريبيعات ، وبنية المالحه ، والمروان ، بنية الفاج ، وبنية الثيلية ، الخضر ، شريعة . سفرة ثرثار ، وتل عبده . وقد انشئت على امتداد هذا الطريق كله ، وعلى مراحل يتباعده بعضها عن بعض نحو ثلاثين كيلومتراً انشئت اماكن للتوقف او نزل للمسافرين ( تسمى بنية ) . في ١٣٠٦ لاحت لأبصارنا الضفة الشرقية لوادي الثرثار ( شكل ٢٢ ) كونها جرف شديد الانحدار يبلغ ارتفاعه نحو عشرين متراً . ثم مررنا خلال سهل الطبلات المتموج ، الذي يأخذ في الارتفاع نحو الغرب ، وتتناثر فيه تلّ وقباب صغيرة طبيعية وجميعها مجوفة ( شكل ٢١ ) - نتيجة لذوبان الرواسب الجبسية وتعريتها . والكثير منها تهدم او تساقطت اجزأؤه تماماً .



شكل ٢١ قبة مجوفة في الثرثار نشأت بفعل ذوبان الجبس وتعريته

ولكن بعضها لا يزال سليماً . ويمكن الزحف الى داخل بعضها وتوجد طبقة تراب وحصى متماسك يبلغ ارتفاعها خمسين سنتيمتراً مكوّنة ما يشبه القبة ترتفع على حيز مغطى ببقايا جبس متبلور . وتستعمل هذه القباب ملاذاً عند سقوط المطر اذ يتسع بعضها لايواء عشرين شخصاً . وبين هذه القباب الشبيهة بالفقاعات ، التي ترفع على ارض مكوّنة من جبس متبلور ، فجسوات فاغرة الافواه مختلفة الاحجام تتجنيها الجمال وتحذر منها .

في الساعة ٨:٣٠ وصلنا الى آبار ابو قبره ، وفي ٩:٢٣ :آبار ابوسماج (شكل ٢٣) حيث بقينا حتى الساعة ١١:٠٥ . وكان الدليم في ذلك الحين يخيمون هناك . وكان يرأسهم ابن زعيمهم السجين نجوس بن كعود الذي بدأنا التفاوض معه لكي نضمن حمايته لنا . وكانت العشائر التي تحت سلطته تخيم احياناً على اطراف المنطقة الزراعية بين هيت وسامراء ، حيث توجد لهم ارض يملكونها . وكان [ الابن ] قد توغل في عمق الصحراء واتخذ موقفاً يساعده على مهاجمة موظفي الحكومة ومن يحتمي بها فني كل فرصة ممكنة . وقد وعدته باننا سنبدل جهداً لمعاونة ابيه السجين ، اذا ما ضمن لنا الحماية من مضايقات اتباعه . فوافق على ارسال أحسن خدمه معنا للدلالة على اننا في حمايته ؛ ولكن طلب الينا -- مقابل ذلك -- ان نعيده بارجاع خادمه اليه فوراً عندما تبادول أعيننا ضفاف الفرات . ولما كان على دراية ممتازة بالمنطقة الواقعة بين مملحة ام رحل والفرات فانه رسم لي على الرمل مواقع الاماكن المختلفة ، مما ساعدني على رسم خريطة يمكن استعمالها عندما اطرح اسئلة اضافية . وكان ابن قعود قد خيم اثناء الأشهر الستة الأخيرة قرب معظم الآبار الواقعة بين الخابور وتكريت تقريباً ، ولهذا كان يعرف أسماء الآبار الواقعة بجانب الطرق الرئيسية ، وقد اعطاني هذا فكرة واضحة دقيقة عن موقع كل منها ، المسافات التي تفصل بعضها عن بعض .

وينتهي شعيب ابو سماج الضحل في الثرثار مقابل الشعيب الذي ينحدر من عين القرس . والى الجنوب من ابو سماج يتصل الثرثار بالشطبية ( حيث ماء الدقوقي ) ويلي ذلك جنوباً ام الطبول ، وابو شنيه ، والاعوج . وهذه كلها

تنبع من منطقة عالية واسعة يخترقها الطريق المؤدي من أبو سماج إلى هيت ، وفي هذه المنطقة توجد آبار : أبو تريجية ، والفزِيل ، والطويل ، والعيدي ، والقميصم . كما يوجد في الجنوب الغربي منهل البرّجمة ، وإلى الجنوب منه تقع آبار أم طويق والمويجيه ، والمغيزل . وإلى الجنوب الغربي من هذه الأخيرة يقع أبو صفيحة . وإلى الغرب من الرجمة يوجد ماء صالح للشرب في بئر العقابي ، وإلى الغرب منه سهل متموج تخترقه ( شِعْبَان ) من أحجام مختلفة تتحدر إلى الفرات .

ويتدفق الماء في بئر أبو سماج من الأرض بقوة عظيمة مكوناً فقاعات حتى لقد قيل أنه يقذف الأسماك إلى السطح أحياناً ، ومن هنا سمي أبو سماج . وطعم مائه معجّ شأنه كشأن جميع المياه في البرّجمة — وهو اسم المنطقة الممتدة بين الخابور ودجلة ومن سلسلة سنجار إلى الفرات . والمقصود بالبرّيج إمّا الملح الصخري وأمّا المايكا الذي يبرق عندما يتعرض لأشعة الشمس .

في الساعة ١٢٢٣ بعد الظهر ظهر للعيان من ناحية الغرب مرقب الأحيمر ومن ١٢٣٥ استرحنا أسفل بئر الأحيمر . حتى الساعة ١٣٠٠ وعندها ارتحلنا مرة أخرى في اتجاه غربي — شمالي غربي . وفي ٢٤٠ كانت بئر الربيعة على يميننا ، وفي ٣٢٠ كان بإمكاننا مشاهدة بعض التلال الصغيرة إلى الجنوب الغربي : وكان من بينها منهل الكزيتيم . وإلى الشمال تقع آبار أبو قلايد وعين المارواح . وتتدفق مياه الأخيرة بضووة عظيمة بحيث يسمع هديرها من مسافة بعيدة . وتقوم بالقرب منها خرائب بناء صغير . وإلى شمال المارواح ترتفع حافة أم ركييه ( رُقَيْبَة ) بينما كانت الشمس الغاربة في الشمال الغربي تلقى آخر أشعتها على حافة مماثلة هي حافة اللولحية . وتمتد اللولحية من الشمال الغربي ، حيث تعرف بقرائن فاطمة ، إلى الجنوب الشرقي حيث يسمى هذا القسم أم الطوس وحمير الطليشية . وإلى الشمال منها توجد مجموعة هُضْبَات صغيرة منخفضة — قور أم الدلي — تواجه الجنوب بحافة مماثلة أقصر منها . وتوجد بين الحافة الأخيرة واللولحية ، ابتداءً من الجنوب ، الآبار التالية :

اللؤلحية ، الهلهي ، أمّ طبوق ، ابر زبير ، السمدان ، وامّ الدّلي .  
وانعطفنا الآن بدرجة اكبر نحو الشمال الغربي ، فوصلنا في الساعة ١٠ره  
الى بئر المستفيض ، حيث أقمنا خيامنا بجانبها الغربي .

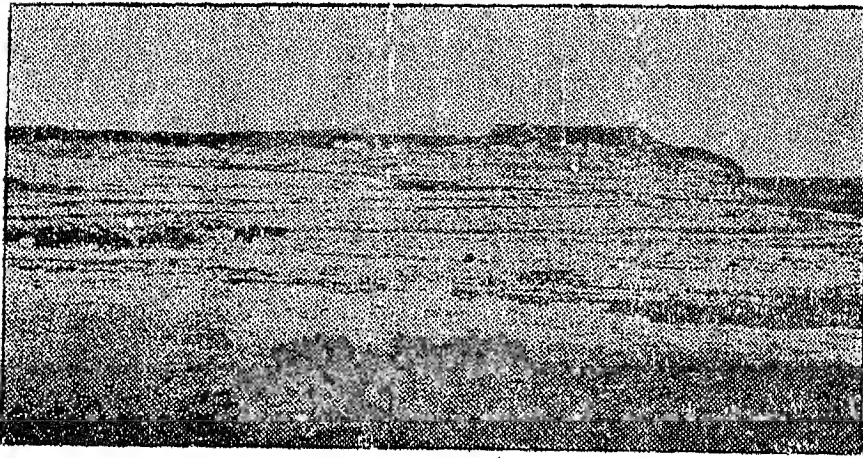
### المستفيض الى بئر ابو درج

كانت المنطقة ذات طبيعة متناسقة — مكونة من ارض صخرية مصقولة  
ملساء فيها حفر وهضبات صغيرة معجوفة . وقد نمت في الاماكن الواطئة منها  
نباتات سنوية نصف جافة . ونباتات دائمية رديئة جداً ، وخاصة الرمث ،  
والروثة ، والزريجة ، والشيح ، والنيصوم .

وكان ديلنا احمد الخطاب من عشيرة البيجات . وكان اخوه قد اقي مصرعه  
على يد رقيب ( عسكري ) على أثر شجار بينهما . وقد ثار احمد لأخيه بقتل  
الرقيب واثنين من الترك ووثى هارباً الى داخل الصحراء مع عشرين من الخيالة  
وعائلاتهم . وكانت اراضي مضاربهم المعتادة تنحصر بين الثرثار ودجلة ، ومن  
هنا شنوا غاراتهم على الطرق العامة . وكان يزور تكريت ليلاً ، اذ كانت حبيته  
تقيم هناك ، ولكن والديها رفضا زواجه منها خوفاً من الحكومة . وأخيراً بدأ الاب  
بالتفاوض مع الضابط الأمر وعرض عليه تعويضاً عما أريق من دماء . . وطالب  
الأمر بعشرة أفراس ( حجر ) وبغل واحد.. ولكن أحمد أبى ان يقدم الا حجراً  
واحداً . وفي ذلك الحين تماماً بلغ الضابط ان أحمد مخيم بجوار تكريت ، وينوي  
زيارة حبيته فجمع دركه وذهب للقبض عليه . ولكن احمد أثبت انه اعظم  
دهاء ومكرأ منه . فقد عرف من ابناء بلده باي ليلة يترك فيها الترك  
خياماتهم الثلاث التي اقاموها بجانب النهر قريباً من تكريت ، وداهمهم  
بفرسانه ، وقتل اثنين من حراس الترك . واخذ الخيام وستة من البغال ، وارسل  
بهذه الغنائم الى جماعته في الصحراء ، ثم نصب كميناً لأمر الترك ومن بقي من  
رجالهم . ولقي الضابط حتفه وجرح عدد من رجال الترك ،



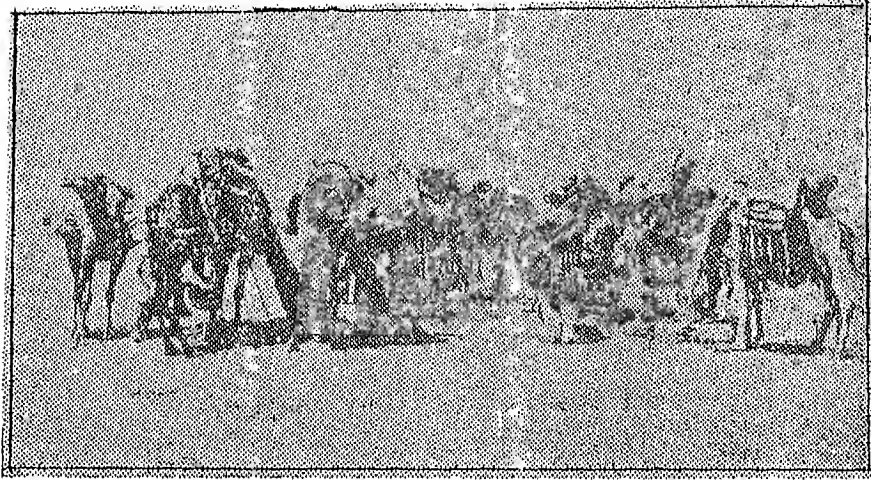
وفراً الباقون . . وفي السنوات التالية سلب ما يزيد على عشرين عربة في الطريق العام ، وغنم نحو ( ٣٦ ) من بغال الحكومة ، وملاً صدور الدرك هبة منسه ، الى حدّ انهم لم يقوموا بمحاولات أخرى للقبض عليه . وفي عام ١٩٠٩ ، بعد سقوط السلطان عبد الحميد ، صدر العفو عن أحمد وغيره من الثوار ، اما احمد فقد تزوج المرأة التي أحبّها ، وانتقل الى تكريت . وفي عام ١٩١١ انتخب عضواً في المحكمة العليا واستطاع ان يلتزم جمع الضرائب .



شكل ٢٢ الضفة اليسرى من الثرار

وغادرتنا في الساعة ٥:٠٧ صباح يوم ١٤ أيار سنة ١٩١٢ الساعة صباحاً متجهين الى الشمال الغربي ، وفي ٥:٥١ وصلنا خط تقسيم المياه بين الثرار والفرات . ويمتدّ الى جهة الجنوب - اي نحو الفرات - اقليم صخري فيه مناطق عالية ووديان غير عميقة ، وتكاد تكثر المضايق مقفرة ولكن نباتات دائمية مختلفة الانواع تنمو نمواً جيداً في المنخفضات الغرينية . اما النباتات السنوية فلم يكن لها وجود . ويسمى القسم الجنوبي الشرقي من هذه المنطقة سكران ؛ والأوسط علاوى ؛ والقسم الشمالي الغربي يسمى وتاحة . وبين القسمين الاخيرين توجد تلال مائدية الشكل تُعرف بـ ( قُرّت الغين ) . ويسدّ المنطقة الواقعة الى الجنوب الغربي من الفرات خط واضح من أجراف منخفضة ، وتقع الى الغرب من

وتاحة تلال منعزلة مائدية الشكل تفصل بينها منخفضات عميقة تسمى السحول (جمعها سحول) والشحول عبارة عن مجاري ضيقة يتجمع ماء المطر فيها تحت طبقة من الحصى بيدان الممخور عمات على سد مجاريها . وعلى الطريق من تكريت الى عانة توجد سحول : الطويل ، أبو خريبة ، الطقاقة والصفاء ؛ وإلى الشمال الغربي من الأخير : سحل التين ، وإلى الأسفل من الطقاقة : سحل الحدثن ، وشمال سحل أبو خريبة : سحول الزقيط والرمضاني . وفي الموضع الأخير توجد بئر عادية أيضاً .



شكل ٢٣ - قافلتنا عند أبو سماج

واخذت تهب الآن ريح شمالية قارسة البرد ، وكنا نحاول عبثاً ان نحتمي انفسنا منها . لقد نفذت نحلال ملابسنا الخفيفة الى الجلد مباشرة . ولما لم يعد باستطاعتنا البقاء على السروج حيث كانت الريح الشديدة لا تكف عن رفع عبااتنا واغطية رؤوسنا ، لذا اضطررنا أن نمشي معظم الوقت . وفي هـ صرنا لمحنا الى الشمال الغربي تلال ام رقية ، بل استطعنا رؤية حمر الطيشية ايضاً وتقع الى الشمال منها هضبة مركب الفاج ، وبجوارها توجد بئراً ملححة الفاج ، وبيضات الفاج .

لم يتغير مظهر المنطقة . ولا تقع العين في أي جهة الا على تلال معجرفة (الطبيلات) ، بينها حُفَرٌ مختلفة الاحجام ، أما النبات فلا اثر له الا في بعض الوديان الصغيرة هنا وهناك حيث تنمو نباتات ، ائمية منها . ونظراً لأنجباس المطر في فصل الشتاء الماضي فقد كان من النادر أن تقع العين على نبات سنوي . ومن (٨٢٠) الى (٩١٨) رعت جمالنا . . وفي ١٠٥٥ كنا عند بئر ابو دراج على الطريق من تكريت الى عانة . والى الشمال الشرقي من هذه البئر تنخفض حافة ام رقية الى مستوى يمكن المرء ان يرى ما يقع خلفها الى حد اللالحية وأم الطاس ، والى الشمال الغربي منا ظهر نلّ قليب المغزل ، وخلفه نتوء (رؤوس السحول) ، ويليه على مسافة أخرى حافة رمادية اللون هي قَرَّت الطماشة .

### بئر ابو درج الى طريق الموصل العام

ولم يتوقف هبوب الريح بل تغير اتجاهها فجأة ، واخذت تهب في وجوهنا مباشرة من الغرب . واختفت السماء وراء سحب كثيفة ، ولم تعد الشمس تبعث الينا ولو بقليل من الدفء ، وجمدت اصابعنا من البرد ، واسترحنا من ١٢١٠ الى ١١١١ بعد الظهر . ولم يكن دليلاً الدليمي يرغب في الذهاب أبعد من ذلك ، وأبدى أحمد الخطاب كذلك رغبة كبيرة في العودة . وكان احمد يخشى ولاريب ان يلتقي باحد الفلاحين من راوه ، أو بتاجر من اهل عانة ممن سبق ان نهب اموالهم عدة مرات ، فيحتجزوا فرسه عوضاً عن ذلك . اما الدليمي فكان قد جرح رجلاً من اهل راوه ، ولما يدفع تعويضاً عن الضرر الذي ألحقه كما اتفقوا عليه . لهذا أخذ القلق على ناقته . وكان هو و احمد كلاهما يشكوان شدة البرد . كان احمد ، يسافر بقميصه وكان الدليمي يلتف بعباءة ممزقة وكل منهما يتوق الى خيمة يلوذ بها ودفء نار يدفع عنه البرد . وكان الدرك يرتجفون من البرد كذلك ، ولكنهم ارادوا مواصلة الرحلة ، ولم يريدوا العودة ، لانهم سيجدون في عانة من الدرك من يتوب عنهم . ولذلك استحثونا على المضي قدماً ، حتى انهم هددوا الدليمي و احمد باطلاق النار عليهما ، اذا ما تخليا عنا قبل بلوغ الطريق المؤدي من عانة الى الموصل .

لم تكن رحلة مريحة . . كان الدليلان ساخطين ، وكلنا يكاد يجمد من البرد ، والمنطقة على نسق لا يتغير : فالى الشمال توجد حافات منخفضة ، والى الجنوب سهل منبسط تماماً ، وامامنا تلال المغيزل ، وحواليها قباب مجوفة او فقاعات ( طبقات ) فيها حُفَر مدوّرة كانت جملنا تخطو بينها بخوف ظاهر . ويبلغ ارتفاع بعض هذه ( الفقاعات ) ثلاثة امتار ، ويترواح محيطها بين عشرة وخمسة عشر متراً وتد انهيار الكثير منها ، ولكن الاخريات كانت لا تزال بحالة سليمة ، ويبدأ الانهيار عادة في أوطأ اقسامها لأنها تتعرض لرمال تسفيها الرياح اكثر من غيرها . ويقل سمك قشرة كل ( فقاعة ) بالتدرج حتى تنهدم اخيراً بفعل الريح او المطر ، وينشأ عن ذلك حفرة تأخذ في التوسع حتى تنهار كلها . وقطع هذه ( الفقاعات ) حادة الاطراف ، وتلتصق كما لو كانت مخلوطة بزجاج مرآة . من ٢٥٠ الى ٣١٢ رعت الجمال . واصبحت النباتات الدائمة الخضراء اكثر ندرة كلما تقدمنا في رحلتنا . . كنا تقترب الآن من منطقة لسم يسقط عليها مقدار كاف من المطر لعدة سنوات مضت . . وفي ٥٢ ره ساقط الريح الغربية الباردة الينا رذاذاً من المطر ، لهذا خيمنا بين مرتفعات الحمام الى الجنوب وقارت الطمّاشة الى الشمال . وأشار احمد الى موقع بئر التينير في شرقي مخيمنا ، وبئر الحمام الى الجنوب من الشقيق . وفي قارت الطمّاشة يمكن الحصول على ماء جيد من بئر النقيّد . وبالرغم من المطر جمعنا كومة كبيرة من النباتات السنوية الجافة ، واوقدنا ناراً عظيمة وتدقنا على خير وجه ممكن ، وشربنا شاياً ساخناً وسرعان مانسينا البرد الشديد الذي قاسينا منه طوال اليوم ، غير ان شدة الريح لم تتناقص ، وكانت تقوّض خيامنا باستمرار طوال الليل ، لذلك لم نستطيع النوم الا غرارا . .

في ١٥ أيار سنة ١٩١٢ حوالي الساعة ٤٠ ره صباحاً كنا على الطريق . انقطع المطر ، ولكن استمرّ هبوب الريح الباردة وكانت السماء مبدّة بسحب رمادية وكان يحوم على السهل ضباب كثيف . وأصابنا الملل من الرتابة مرة أخرى ، لا تغيير في المناظر اينما وجهت البصر . والارض المستوية الصقيلة نفسها و ( فقاعات ) مماثلة ،

وحفر ، تلال منخفضة ، ومرتفعات مائدية الشكل ، ولكن  
لا شيء يستحق الذكر .

في الساعة ٤٠ ر٦ بلغنا الطريق العام : الدرب السلطاني ، الذي يؤدي الى  
الموصل عن طريق النجمة .

### منطقة شمال عمانة

الدرب السلطاني طريق عريض مطروق مما يدل على انه لا يزال يستخدم كثيراً  
في السفر . ويرتفع الطريق من الفرات بصعود حاد تماماً فوق سفوح علو جبريت ،  
ومصباح الكريّم ، وقرت الخزرّار والسناجرة ، ومن ثمّ يقطع سهل البرّيجة  
في اتجاه شمالي - شمالي شرقي .

وفي هذا السهل نمرّ بآبار : ام المناطين ، الصبغة ، فاطمة ، التويسان ،  
السدعان ، الطريفاي ، قايب الملاح ، ام غيره ، ام الذياية ، والى الغرب من  
الحضر نمرّ بآبار : شريعة ، فويعة ، الجمال ، الدبشيّة ، سجل عطايف  
والمتياهة . وفيما وراء بئر الصبغة يصعد الطريق في منحدر قارت الطماشية ، وفيما  
وراء فاطمة يدخل وادي هور المويعد ، وبعد الطويسان يفتقر منخفض  
نقرة العوين ، ويدور فيما وراء السدعان حول مملحة الطريفاي . وينتهي  
قرت الطماشية غربيّ الطريق العام بالقرب من بئر الشلالة ، والى الجنوب من  
هذا الموضع تبدأ حافة أخرى : قرت ابو السون ، ثم حزم بن بويته الذي يمتد  
غرباً حتى مملحة العسديد وتتصل حافة قرّين فاطمة في الغسرب بد ( قرت الهور )  
وكعود الشارد ، والقاعدين ، و بد ( قرت الزير ) قرب مملحة العايد . وتوجد  
بالقرب من قارت الزير آبار : ابو عراجي ، ولعمه ، والغربيّات ، والدخول ،  
والقراي ، والصفويات ، والمالحة . وتنحصر نقرة العوين من الجهة الشمالية  
الغربية بحافتي : القطار ، وقرت المجادح ، اللذين تقع بينهما مملحة القطار ،  
والى الجنوب الغربي من الأخيرة توجد بئر الشقمة . وتوجد في شماليّ مملحة  
القطار ، وغربيّ مملحة الطريفاي آبار : الطمانخيات ، عقيلة الضلان ، ابو شامة ،

والشرير ، وشمالياً الأخيرة تقع آبار الجنيف . الجويل . وبلي ذلك الطماخيات  
 في منخفض ام الديابة . وتشغل مملكة العسكر النصف الغربي من هذا السهل  
 المنخفض ، الذي يقع على مسافة نحو عشرين كيلومتراً شمالياً حافة قارت المجادح ،  
 ويسدها من جهة الغرب كتف الجبل وخشمة البصالة وقرت الروشة ، بينما تدخله  
 ( حزم الملح ) من الشمال . اما مملكة الأشقر فانها اوسع ما تكون عند جانبيها  
 الشمالي ، والى الشمال تنقسم الى فرعين - الشرقي ويعرف بملاح حسان والغربي  
 ويسمى السنبلة - وتحيط هذه بحزم الملح كما لو كانت شبه جزيرة . وفي  
 فرع السنبلة تنتهي الشعبان التي تنحدر اليها مياه آبار ثرى القراج ، والوسط والملاح .  
 وتوجد بين فرعي المملكة : مياه البويضى وسحل ابو قيصومة . وعلى الطرف  
 الجنوبي من الأشقر عدة آبار مجة المياه على الارجح . وفضل المياه تستقى من  
 آبار مالحه المطوية ، والفوارات ، ابو جرد وفي الغرب ابو جدح وابو خويمسة .  
 ويرتفع جنوبي ابو جدح ، على خشمة البصالة ، مخروطاً المنايف وكزيز نعام .  
 ويوجد طريق آخر من عانة الى الموصل ماراً بسنجار . ويسمى على سفوح  
 وادي الفرات : درب الملا (الملاي) أما على الهضبة فانه يعرف باسم درب سنجار .  
 ويتجه الى الشمال الغربي صُعداً الى مكسر الجمل ، وقرت الصوفي ، وابو  
 غرب ، والمحروق ، الى أن يصل السهل عند الموضع الأخير ، وهنا يستدير  
 شمالاً بصورة تامة تقريباً . وعلى طول هذا الطريق تقع آبار : سحل الأمير .  
 الزرقاب ، الحجل ، نخيلة ابو غراب ، المالح ، شريعات الغربية ، شريعات  
 عبدالله ، الأعشى ، الدخول ، ابو راسين ، عقلة الخصيان . الشيعة ، المنخر .  
 ثرى الملاح . والى الغرب من ثرى الملاح تقريباً يرتفع تل عال يعرف بـ (تليل السقار)  
 والى جنوبيه آثار الحزدية ، الغزيل . المالح ، الرذله ، وابو حيايه . والى غربي  
 هذه الآبار تمتد من الهضبة العالية سلسلة واطئة تسمى [ الكبد ] وترتفع  
 نوهها عدة تلال صغيرة مدورة . والى الجنوب الغربي من الكبد ينتهي  
 شغب العجيج في منخفض الروضة الذي ينحدر من تليل الصقار الواقع الى الشمال  
 الشرقي . وتوجد عين العسيلة عند مدخل هذا الوادي . ويتصل بالعجيج من جهة

اليسار : شعيبان هما الحويسية والتجارية الواقعين غربي رجم العيار حيث توجد عينان للمياه معروفتان بهذين الاسمين أيضاً . ويتصل بالعجيج من جهة اليمين شعيب : البديعة ، والمجمّع ، والمُغلّقة ، وعقيلة الحليب . والسهل ، وام غُربيه ، وبها جميعاً مناهل ماء . وإلى الشرق من بئر أم غربية يوجد منهل قلبان ( جلبان ) الصُّلبي عند لحف ( الكبد )

ومن طريق ملّان ( الملاي ) ينعطف غرباً طريق " عند شريعة عبد الله يتجه الى الخابور فيبلغه اسنل ( جنوب ) قرية الدشيشة . وعلى امتداد هذا الطريق تقع آبار : الصفويات ، والطريفاي الملاح ، وحسيان الغليسيّة ، والخبيرة . وفي الشمال الشرقي من الصفويات يوجد ماء جيد في بئر الغراي الواقعة في منتصف الطريق تقريباً بني الصفويات والدحول . وفي الشمال الغربي من الغراي توجد بئر الثرّان ، يرتفع فوقه تل ذو قِمَتين : يسمى ابر راسين . ويمرّ الطريق بين الصفويات وطريفاي الملاح بالقرب من منخفض العديد ، وشمالاً مملحة الروضة .

### قوت السناجرة الى راوة

اراد كل من الدليمي واحمد أن يعودا الآن، ولما كنا في حاجة اليهما لمعرفة اسماء الاماكن المختلفة التي تصادفنا ونحن ننحدر الى القرات ، لذا لم نسمح لهما بذلك وواصلنا السير في الطريق العام باتجاه غربي - جنوبي غربي . وهنا تبدأ الهضبة في الانحدار نحو النهر ، ولكن على شكل سلسلة مدرجات واضحة تؤلف قوت السناجرة ابعدها واحدة منها شمالاً وتتصل الحافة الواقعة في الجنوب الشرقي بقوت ابو القسوة ، وقوت الغيين ، وفي الغرب تتصل بقوت المحروق ، وقور طويسان الملاح ، وقور الطيارات بالقرب منخفض العديد . وعلى السطح الجنوبي من قوت السناجرة يوجد منهل الزعيرع ، وفي اسفل من المحروق : مياه ام عضه والقصيعة ، والخويخه .

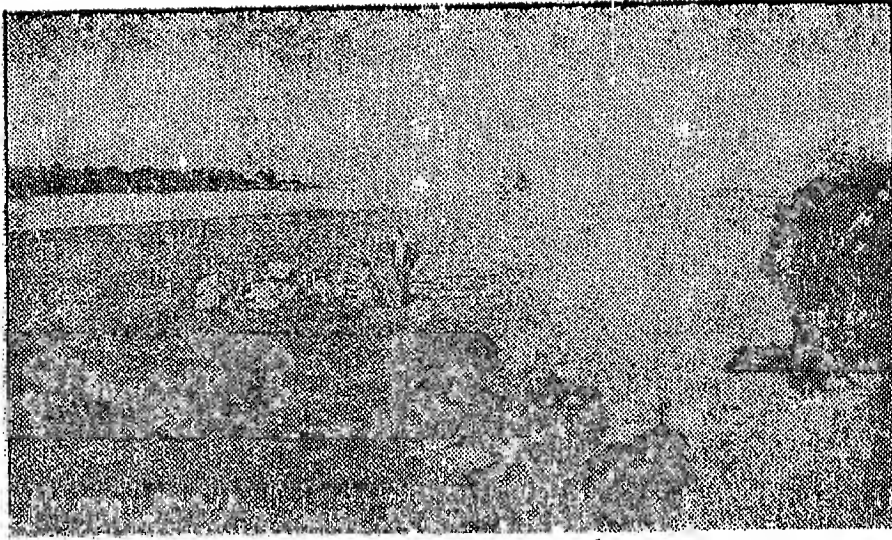
\* قوت الدم كنصر يبس بعضه عن بعض ، او اخضر تحت الجلد من الضرب ، وقوت كفرج تغير وجهه من حزن او غيظ .  
والقارت من المسك اجوده واجفه ، والذي يأكل كل شيء وجده .  
القاموس المحيط - فصل الفاء والقاف - باب التاء - المراجع .

من الساعة ٧:٥٠ الى ٨:٢٥ استرحنا على قمرت السناجرة والتمس الدليمي ان نسمح له بالذهاب قبل ان يراه احد من الفلاحين من اهل راوه . وقد تكفلنا بحمايته ، ولكنه خشي ان يكون اعداؤه قد نصبوا كميناً له ليأخذوا ناقته بعد اطلاق سراحه . لذلك دفعنا اليه أجره وذهب مغادراً على الفور . اما احمد فقد اراد الذهاب معه ، ولم يبق معنا إلا حين اعلمناه انه لن ينال ( بارة ) ( قرشاً ) واحداً قبل ان تظهر بساتين راوه للعيان ، ومهما يكن فانه اقدر على الهرب من اعدائه وهو على صهوة حصانه من الدليمي على ظهر ناقته .

في الساعة ٩:٢٨ كنا على الحافة العليا لقمرت الخرار ، ومن هنا شاهدنا لأول مرة المنطقة الوعرة المجاورة للفرات ، لاذ يتجمع الى الجنوب الغربي والجنوب الشرقي عدد لا يحصى من الهضاب والتلال والهضيبات تفصل بينها فجاج ووديان عميقة ضيقة . وتظهر هنا وهناك أرض منبسطة بيضاء صغيرة المساحة ولكن كان من العسير جداً الانتقال من واحدة الى أخرى . وينفتح الى الشرق فج عانه حيث يقع ماء زعيزع . والى يمين هذا الوادي يرتفع قمرت أبو بطيحه وبه بئر مقرابي بطيحه وما يتجمع به من مياه الامطار والى اليسار: ام غيرة ، وقمرت العناب وهنا يبرز تلّ الفرس الى الجنوب تقريباً ، والى الجنوب الغربي تمتد سلسلة تلال قمرت الصوفي الصفراء وتلّ مكسر الجمل الطويل وتظهر مواضع كثيرة مقدار ما بذله الناس من جهود ليشقوا طريقهم في الصخور وليجعلوا الهبوط أسهل ، وبعد ان قطعنا مثل هذه المواضع في مدرج مصباح الكريّم العالي وصلنا في الساعة ١١:٢٠ الى سهل التين الحجري ، وفي الساعة الثانية عشرة كنا على طريق فرعي يوصل الى تكريت . ومن هنا كان علينا ان نقود الجمال بمقاودها للدوران حول المخاريط المنعزلة والهضاب المعوّقة في فجاج عميقة ، وهو أمر عسير التحقيق غالباً حتى على الراجلين .

كان وادي الفرات مغموراً بأبخرة رمادية كثيفة وقد خفت وطأة الريح ولم يكن في الامكان رؤية الشمس ، التي كانت تبعث حرارة مثل حرارة الفرن من خلال طبقة هواء مثقلة بغبار ورمل ناعم . وتاقت نفوسنا الى ماء نقي ناعش والى برودة بساتين ظليلة ، وكنا نعلم ان كليهما على مقربة منا الآن ، ولكن لم





شكل ٢٤ - مخيمنا قرب راوة

نستطيع ان نحث خطى الجمال المحملة . وحيثما وجهنا البصر شاهدنا صخوراً بيضاء وصُفراً فككبتها عوامل المناخ من غير اثر لخضرة ولا ملجأ يصلح لحمايتنا من هجوم داهم .

وفي الساعة ١٢ر٤٠ بعد الظهر رأينا الى اليمين على سفح الزرقاب شجرتي سدر ، وأسفل منا كانت ثكنات القلعة الخربة تطل على قرية راوة .

وهنا توقفت احمد الخطّاب ، وبعد أن تسلّم أجره توجه بأسرع ما يمكن الى طريق تكريت . وفي الساعة الواحدة استدرنا غرباً ، وهبطنا من الجرف المنحدر الذي يقوم فوقه فمريح الشيخ رجب ، ورأينا اسفل منا بساتين الخريبة . ولما كانت الجمال لا تستطيع النزول كما نزلنا تحتم ان نتبع طريقاً ثانوياً يفي بالمرام . واخيراً توقفنا في الخريبة في الساعة ١٤ر٤٠ بقرب ثلاث شجيرات توت وشجرتي سدر ( شكل ٢٤ ) . ولم يكن ثمة اشجار أخرى لأن النساس كانوا قد هدموا حائط البستان وقطعوا الاشجار والشجيرات . وتمتد البساتين الرئيسية الى الشرق من الخريبة وتسمى اعيميرة ، الدراجية ، [ المسكينة ] ، الهاللية ، عبيد الله ، الزعفرانه ، الهليج ، واخيراً تأتي بلدة راوة .

وبعد استراحة قصيرة ، وتناول شيء من الشاي الساخن ، صرّفنا الدرك ، فذهبوا مسرعين بانفسهم الى عانة في الضفة الأخرى . وتلقينا بعد الظهر زيارة من شريف بن علي ، الذي رافقني في رحلتي الى الحجاز سنة ١٩١٠ . وكان بصحبته بعض الرجال الذين لهم خبرة بأحوال البرّيجه كلها . وقد ساعدوني في رسم خريطة للطرق المختلفة هناك ، وشغاني هذا العمل الى ساعة متأخرة من الليل .

ان بلدة راوة تتألف من المناطق التالية :

السادة السواهيك

السراحنة ابو عبيد

والزعيم الأول هو محسن بن محمد من السادة . وقد زار اخوه ابراهيم القسطنطينية ثلاث مرات لمقابلة السلطان .

ان زراعة بساتين التخيل باهظة التكاليف فالذراع المربع (= ٥٨ دسمتر مربعاً) من هذه الارض تكلف نصف مجيدي على الاقل ( ٤٥ سنتاً ) ، وتكلف النخلة الكاملة النمو من ليرتين الى ثلاث ليرات تركية ( ٩ دولارات الى ١٣٥٠ ) . ومن راوة تُحْمَل سِلْعٌ كثيرة على ظهور الجمال والحمير الى الموصل . وتشحن القهوة ، والبترول . والثياب . وغيرها من المصنوعات الاوربية بالقوارب من بيره جيک الى راوه ، حيث يعاد تحميلها على الجمال لمواصلة نقلها الى الموصل ومن هنا يُنْقَل كذلك تبغ الغليون والزبيب الى حلب ودمشق . ويحتاج الجمل ، اذا كان حملة معتدلاً ، الى ثماني ليال ليقطع المسافة بين راوه وبغداد ، او تسع مسيرات كل مسيرة تباع ثلاثين كيلومتراً ؛ ويكلف كل جمل ليرة تركية واحدة ( ٥٠٠ دولارات ) . وتحمل الجمال من بغداد : الودك ( الشحم ) ، والتمور وعسل العنب ( الدبس ) ، والتمن ( الرز ) .

وغالباً ما تتعرض هذه القوافل لغارات اثناء سيرها .

في اليوم ١٦ من ايار سنة ١٩١٢ بدأت عملي مبكراً في الساعة الخامسة صباحاً لجمع المعلومات لخريطتي . . وفي كثير من هذه المناطق [ التي مررت بها ]

كنت أسأل خمسة أو ستة من المخبرين . كلاً على حدة ، بحيث لم يكن احد منهم ليعرف ما رسمه او قاله الباكون . وبهذه الطريقة استطعت — الى حد ما على الاقل — ان اضمن صحة المعلومات الواردة في بياناتهم . وفي المساء جاءني شريف برجلين من الدليم من: نجوار هيت، اللذين اكملتا الخريطة التي رسمتها من المعلومات التي زودني بها ابن نجرس . وتبين لي انهم لا يتأقص بعضهم بعضاً بصورة ملموسة .

\* \* \*

## الفصل السادس

### راوة الى الرقة بطريق الصوار

### راوه الى سهل اراقوته

### قبيلة العقيدات

في ١٧ ايار سنة ١٩١٢ . . في الساعة ١٥ره صباحاً ارتحلنا متجهين غرباً ،  
بمحاذاة الضفة اليسرى للفرات . وفي الساعة ٣٠ره كانت مزارع العميرية على  
يسارنا . ويحد هذه المزارع من الشمال تلال البغادين ؛ التي ترتفع فوقها مخاريط  
دعيباه ، ولسدان ، وطويرين . وفي ٥٠ره رأينا على اليسار اكواخ ابو كوه ،  
وبقايا دواليب ناعور في الفرات ( شكل ٢٥ ) وعلى اليمين شعيب الحصبوان ،  
والى يمينه نتوء خشمة النهل وعليه تقع خرائب قيسة القراطية ، ويصل هذا النتوء الى النهر ؛  
وبعد ان غادرنا الضفة استدرنا الى الهضبة . وفي ٤٠ره اقتربنا من حقول العريّة ،  
ثم عبرنا شعيب جباله في ٨٠٧ . وتوجد على سفحه المغاور المعرونة بـ ( كهف  
السويلم ) . وكانت حقول الناطرية على يميننا في الساعة ٣٠٧ ، وفي الساعة  
الثامنة سلكننا الطريق المؤدي الى مملحة العليد . وقابلنا في هذا الطريق جماعة مهاجرة  
من عشيرة الجغايفة التي تزرع حقول الناطرية والعريّة . والجغايفة ينتسبون الى  
قبيلة العقيدات .

تملك العقيدات ضفاف الفرات من التبنّي الى الفحيمي . وضاف الخابور  
حتى تلّ الشيخ حمد . وهم ينقسمون على النحو الآتي :

ابو جامل [ كامل ] ، البكيّر وهذا القسم يخيم على الخابور من البُسيرة  
الى تلّ الشيخ حمد .

## عشائر أبو كامل

( رئيسهم : تيان بن حفلة )	الظواهرية
( رئيسهم "دوثر، بن عدّاد )	الدعيجل
( رئيسهم حسين بن خضبل )	الشهباء
( رئيسهم عبدالله بن علي )	الطلاّع
( رئيسهم منادى الخليل )	الزيبّ
( رئيسهم عبد بن عيسى )	القرعان
( رئيسهم اجارت بن خليل )	أبو رحمة
( رئيسهم حمد أبو سيع )	الشعيطات
( رئيسهم حاج بن خلف )	المشاهدة
( رئيسهم خلف بن عجبل )	الجهيش
( الرئيس : احمد بن علي )	الزباري
( الرئيس : حمود بن شلاش )	أبوسرايا
( الرئيس : عبدالله بن حاج )	الذباب
( الرئيس : ساري بن عبدالجريم )	أبو عز الدين

## عشائر أبو كمال :

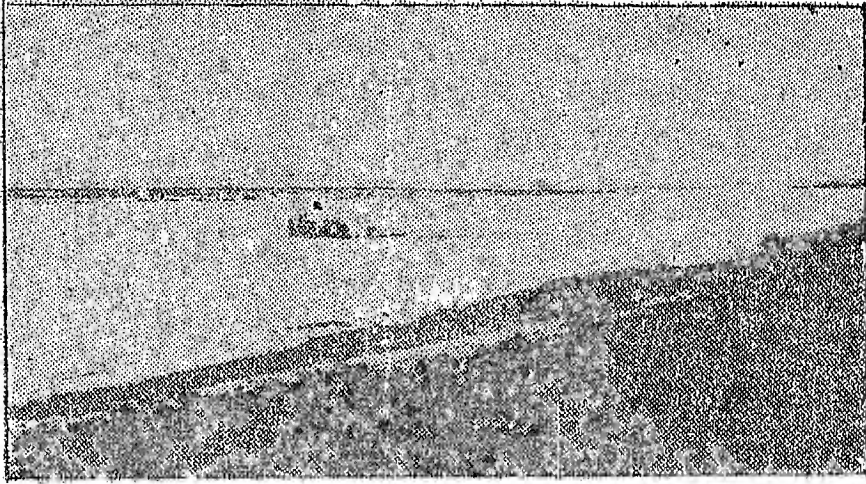
( الرئيس احمد بن محمد بن نجرس )	العضاء
( الرئيس علي بن حسين )	الدميسم
( الرئيس محمد بن دندل )	الحسون
( الرئيس : شياح بن عبدالله )	الجراح
( الرئيس سليمان بن صبيحان )	أبو حردان
( الرئيس : هزاع بن مهلاّ )	المروح
	الجغايقة
( الرئيس : حمد الشمر )	المجاودة

## عشائر افخاذ البكثير :

( الرئيس : حمّاج بن حربي )	الهنيدي
( الرئيس : جدعان بن حسين )	المشرف
( الرئيس : كبن بن جارا الله )	المشرف
( الرئيس : شرور بن عفيف )	الكبيسة
( الرئيس : فرحان بن كسار )	الشعبان
( الرئيس : فرحان بن ملحم )	الفرج
( الرئيس : موسى بن صالح )	البوليل
( الرئيس : اخزام بن علي )	البو هليل
( الرئيس : دموك بن علي )	البو معيط

الى الشمال من مخاريط طويرين ترتفع هضبة الجانه ، الى الشمال الغربي منها هضبة ابو مخامر . وبالقرب من الأخيرة توجد بشر قليلة العمق جداً تحمل الاسم نفسه ، وتتردد عليها الحمر الوحشية بين الحين والحين . وهذه الحيوانات النادرة ترعى في سهل البرّيج ، وتوجد مخاوي لها في الفجاج الضيقة العميقة بقرب ( مخامر ) ، حيث يكمن لها الصيادون في الغالب . وزعم دليلنا جميل انه صادف مرة قطعاً من الحُمُر الوحشية يبلغ عددها الستين ، بين صغيرة وكبيرة . وقد اصاب احدها بنار بندقية بالقرب من بشر ابو طبل ، وحاول الحيوان الهرب والفرار ولكنّ احد الرّجال لحق به بسهولة على صهوة حصانه . ويزعم الدليل ان بعضهم يأكل لحم الخمار الوحشي ، وتصنع ادوات مختلفة من جلده . وفي ٨٢٢ عبرنا شعب الدهاريج الذي ينبع بالقرب من ابو مخامر ويتصل بالفرات عند قرية صريصر . وكان طريقنا في الصعرديمر بين أجراف شديدة الانحدار وعبر فجاج عميقة ضيقة . وكانت المدرجات التي تهبط من الهضبة نحو الفرات لا تزال ظاهرة للعيان اما طبقات الملح الصخري ، التي سمّاها دليلنا الجبجابه ، فتصبح اكثر سمكاً كلّما زاد ارتفاعنا . وبقيت جمالنا ترعى من ٩٢٥ الى ٩٥٧ بالقرب من شعب عود السدة . وإلى الغرب ظهرت هضبة المصاد الواطئة وبقايا قلعة فوقها .

في الساعة ١٠:٤٠ من شرقي عين الصقرة عبرنا شعيب الحمبابي العميق ،  
ويبدو أنه قد نشأ من تاكل صخور بيضاء ؛ ويتصل به شعب صغير يسمى ابو  
ذكر كنا نمر فيه آنذاك . ويبدأ الحنابي من فج سحل خويخه ويصل الى الفرات



شكل ٢٥

عند قرية الشمسية . وتتخلل مجراه حفر كثيرة يبلغ عمقها احياناً ثلاثين متراً ،  
ولكن المياه لا تتجمع فيها لانها سرعان ما تتبخر او تترشح خلال التربة الجبسية .  
وفي الساعة ١١:٤٥ وصلنا سدّ خرّبه . ويتكون هذا السدّ من حائط حجري يبلغ سمكه  
ثمانين سنتماً وقد بُني في عرض اضيق مكان من الشعيب ، والى الشمال الغربي  
من الجدار يتسع الشعيب مكوناً حوضاً كبير الحجم من السهل نحويّه الى بركة .  
وعلى مرّ الزمن امتلأ هذا الحوض بالطمي ، وانهدم السدّ ، واخذ الماء يشق لنفسه  
الآن مجرى جديداً عميقاً . وينمو النيتول كثيراً - وسماه دليانا يتنان - في كل  
أنحاء الحوض . والدليم تغلي هذا النبات ليعملوا منه مرهماً كثيفاً يفركون به  
صوف اغنامهم المصابة بالجرب . ان فجاج شمال راوه تكون مخابي فيها كثير  
من احيوانات الضارية : الذئب ، والنمر ، والغريز . وفي موضع شمال العميرية  
قتلت بالرصاص ثلاثة نمر في صيف عام ١٩٦١ . والغريز حيوان بطول الكلب

تقريباً ، لكنه أقل ارتفاعاً منه ، وله ظهر عريض ابيض ، وجانبان اسودان ، ونظم قصير كأنف العنز . وحكى دليانا أن غريراً هاجمه ذات مرة ، ولم يستطع ان يرغمه على الفرار الا بمشقة عظيمة .

وفي الساعة ١٢٣٠ بعد الظهر شاهدنا الى الشمال الغربي بشر المذكار ، وخلفه حافة قور الطيارات ، والى الغرب منها هضبة المسطاح . ومن ١٢٣٥ الى ١٤٠ اطلقنا جمالنا لترعى . وفي ١٤٧ ظهر الى يسارنا بجانب الطريق قبر جابر ، وتليه غرباً هضبة المصايا . مع مناهل سحل الفلاحية شمالاً ؛ وابو برايج الى الجنوب . وفي ٢١٠ رأينا على اليمين رأس شعيب ابو ذكر . وفي ٢٢٣ صعدنا الى هضبة فيضات العلوي الواسعة ، وهي هضبة تنتظمها منخفضات عريضة قليلة العمق او ( السوخ ) وجمعها ( سياخ ) يغطيها نبات الصر . وتحدها من الشمال مرتفعات منبسطة السطح وفور طويسان الملاح وقور الطيارات . وفي ٢٢٥ تراءت لنا قيمة قمرت [ السكة ] الى الجنوب الغربي ، وفي ٢٣٨ اخذنا في الهبوط الى السهل الواسع المعروف بالآقرة . وينمو هناك كثير من الصبر والجزار ، والشنان والعفو . والخنشب المأخوذ من هذا الأخير يشتعل مدة طويلة . وشوهدت على الافق من جهة الغرب وجنوب - الجنوب الغربي حافات منبسطة بنفسجية هي حافات السكة وقمرت ام غدير وقد امتدت امامها ثلاثة صفوف من تلال صغيرة مسطحة القمة ، اما الى الشمال الغربي فترتفع حافة الطيارات المنحنية التي تسد سهل الآقرة المنخفض . وتربة سهل الآقرة مفككة ومالحة المذاق . وفي الساعة الخامسة خيمنا عند بشر العويجة ( شكل ٢٦ ) .

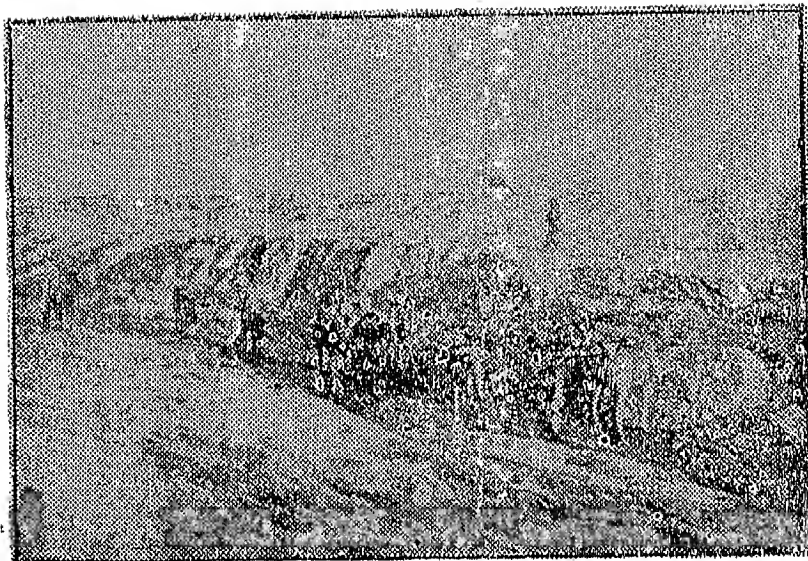
ولعله لم يكن في المنطقة كلها اي اثر لنبات سنوي ، ما عدا بضعة براعم جديدة نامية على نباتات دائمة هنا وهناك ، ومع ذلك فان الجراد وجد الطريق حتى الى هذه البئر ، وان لم يكن باعداد كبيرة لحسن الحظ . واذا ما سقطت بضعة الآف من هذه الحشرات في بئر عميقة تسمم مأواه . والويل لأولئك الحجاج الذين لا يتزودون من الماء الا بما يكفي حاجتهم بين محطة واخرى ، ثم يجدون البئر التالية قد امتلأت جراداً .



ولقد قاد دالينا جميل ذات مرة قافلة كبيرة تحمل صوفاً وزبدا من سنجار الى عانة في الوقت الذي امتلأت فيه جميع الآبار التي في طريقه بالجراد (مجرود). واخيراً نفدت الماء لدى المسافرين ، ولما اخذ العطش منهم مأخذة توقفوا عند بئر ابو رأسين ، ليستقوا منها الماء بالرغم من اختلاطه بجراد متفسخ . ونزلوا في البئر واحداً بعد الآخر وقد سدوا افوفهم بالبصل ( وكان عمق البئر نحو ثلاثة امتار ) ، واغترفوا من هذا العصير العفن بوعاء يستعمل في طبخ طعامهم ، وارسلوه الى الاعلى بحبلين فتلقاه رفاقهم ، وافرغوا هذا المحلول الخبيث الرائحة وادلوا الوعاء في البئر مرة أخرى . وكان الرجل الذي قام بالمهمة داخل البئر قد ربط بحبل اضافي حتى يصبح بالامكان سحبه الى الهواء الطلق فوراً عندما يعطى اشارة معلومة . غير ان رجلين من هؤلاء لم يفعلوا ذلك ، فسقطا مغشياً عليهما ثم ماتا قبل ان يتمكن احد من سحبهما الى خارج البئر . واخيراً ، بعد ان بذلوا قصارى جهدهم في تنظيف البئر ، كان جزاؤهم الحصول على شربة ماء صالح للشرب . وبعد فترة قصيرة امتلأت البئر ثانية .

وقبل بضع سنوات بنت الحكومة مراكز للدرك عند بئر العويجة وبجوار مملحة العديد للحيلولة دون جمع الملح بحرية مطلقة . وعندئذ بدأ الأهليون على ضفتي الفرات يقصدون أم رحال الواقعة في نهاية وادي الثرثار للحصول على الملح . ولما رأت الحكومة انه لم يعد أحد يشتري الملح من العديدي ، سحبت الحرس . وما ان فعلوا ذلك حتى اسرع الفلاحون بالعودة الى هناك ، بل ان تجار راوه اكتروا ٢٥٠ حماراً و ٣٠ جملاً لحمل كمية كبيرة من الملح تفيض عن الحاجة المعتادة بعد ان ارتفعت ارتفاعاً كبيراً .

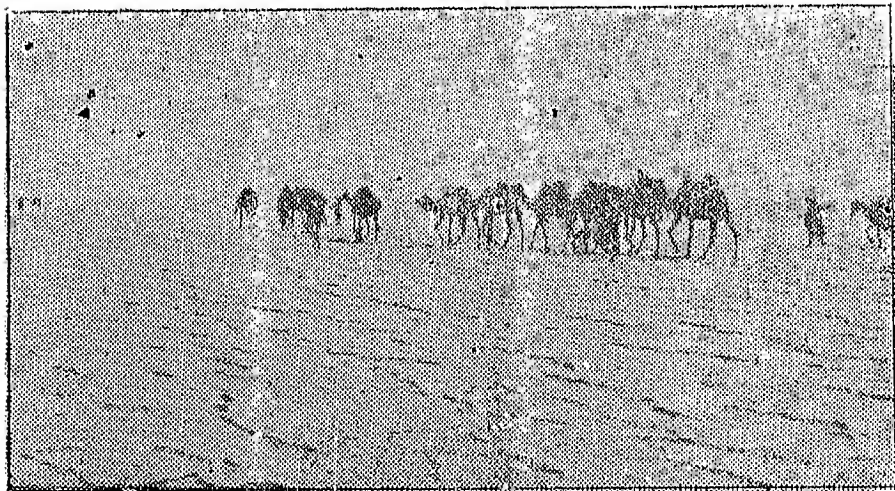
ولما بلغ الحكومة نبأ هذه الحملة ، ارسلت خمسين رجلاً من راكبي البغال ، سرعان ما لحقوا بالقافلة وقتلوا رجلين وخمسة جمال واثنى عشر حماراً واستولوا على ١٠٦ من الحمير ، وسبعة عشر من الجمال . اما رجال القافلة فقد القوا الملح عن ظهور ما بقي من دوابهم ، وهربوا معها الى الشعبان . وعقب هذا الحادث ، اخذت الحكومة تجبي عن كل قنطار ( نحو ٢٠٠ كيلو غرام ) مجيدياً واحداً ( ٩٠ سنتاً ) ، ومع ذلك فقد حدث بعد نحو شهرين أن أحاط القادمان بحراس الملح ، وقتلوا سبعة منهم ، وفرّ الباقيون . . ومنذ ذلك الوقت تركت الممالح دون



( شكل ٢٦ - بئر العويجة )

حراسة. ويكلف قنطار ونصف من الملح في راوة عادة ستة مجيديات ( ٤٠٠٠ دولار ) وكانت الحكومة تفتش عن الملح باستمرار في جميع القرى ، وكلما عثرت على شيء منه صادرتة وفرضت غرامة عليه .

وكان السعر - على اثر ذلك - يرتفع بوجه عام .  
في المساء تأكلنا من خط العرض .

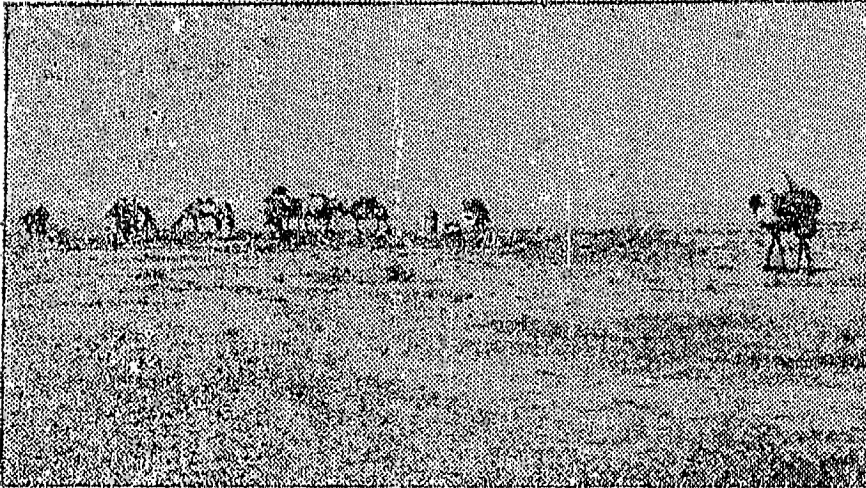


شكل ٢٧ - مملحة العديد

### سهل الاقرقة الى الخابور

في ١٨ من ايار سنة ١٩١٢ بدأنا السير ببطء شديد في الساعة ٥:٣٠ صباحاً متجهين غرباً خلال سهل الاقرقة . وفي ٥:٤٥ تركنا طريق درب الملح الذي يتجه شمالاً تقريباً مؤدياً الى التلّول المائدية الشكل التي تعرف بد (قور القنطرة) . وهذه التلّول مبعثرة بين سطوح الملح ، ولما كانت غير محاطة بستنعات فان جميع الملح على مقربة منها كان أمراً يسيراً . والى شمالي القنطرة توجد بئراً المغيريات والمالحة ، وعلى بعد منها تأتي عين الطريفاي الملاح . وهي عين مملحة ويسمى باسمها احياناً القسم الشمالي من مملحة العديد . وفي ايام الشتاء ، ولاسيما بعد سقوط الامطار حين تتسرب مياه جميع الاودية الى المسطحات المملحية السفلى يذوب الملح ويختفي تماماً . ويتبخّر الماء في الصيف ويكون الملح قشرة سمكها خمسون سنتيمتراً تقريباً تغطي سطح الأرض . وملح العديد ناصع البياض ، ناعم ولذيذ الطعم . اما الملح المستخرج من الأشقر ، او السنيصلة ، او القطار فانه مرّ المذاق شديد الصلابة لذا يلزم تكسيه وطحنه حتى يصبح مسحوقاً .

ويحدّ مملحة العديد من الجنوب الشرقي تلال مائدية الشكل تسمى بد (قرت الشقيق) ، ومن الجنوب (ظهر دبدب) ، ومن الجنوب الغربي قرّت ام غدير



شكل ٢٨ قرّت الحصان من الجنوب

والمسيجرة . ويسد المملحة من الشمال الغربي سفح الحداجه . ويتصل هذا السفح من ناحية الغرب بمرتفع هائل هو مرتفع حزم العوجة . وفي الساعة الثامنة مررنا راكبين بين مرتفعات الطويرات بسطوحها المنبسطة ، ومن احدى المغارات العميقة الموجودة هناك — حسب الاعتقاد المحلي — تخرج الاشباح من الكهوف العميقة الموجودة هناك لتقوم بدعاباتها مع الناس . ومن الساعة ٨ الى ٨ر٢٨ تركنا جمالنا ترعى . وكان المرعى رديئاً ليس فيه غير الشيح والعناده ، والشنان ، والرغل ، والجزار ، بمقادير غير كثيرة . وظهرت على مسافة بعيدة من ناحية الجنوب سلسلة ظهر دبدب ، وهضبية قرت الشقيق الداكنة الى جهة شمال — الشمال الشرقي .

وفي الساعة التاسعة ظهر للعيان الى يميننا سطح ملح العُدي ممتداً من الجنوب الى الشمال ، وبعد وصولنا اليه في ٩ر١٤ بدأنا في اختراقه في اتجاه شمالي غربي (الشكلان ٢٧ ، ٢٩) . وكانت قشرة الملح تتكسر وتتقصف تحت وطأتنا . وحيثما كانت القشرة سميكة بدرجة كافية كان العبور ميسوراً لنا ولدوابنا ، ولكن عندما تنقوض لم يمكن بمقدور الجمال ان يتبع بعضها بعضاً ، بل تغطس في الرجل وتنزل باستمرار . ولم يكن مستوى سطح الملح متماثلاً في كل مكان ، فهناك مناطق كبيرة مستوية وملساء تماماً . ، في حين توجد مساحات تتكون من ضلوع حادة لا حصر لها ترتفع نحو عشرة سنتيمترات .

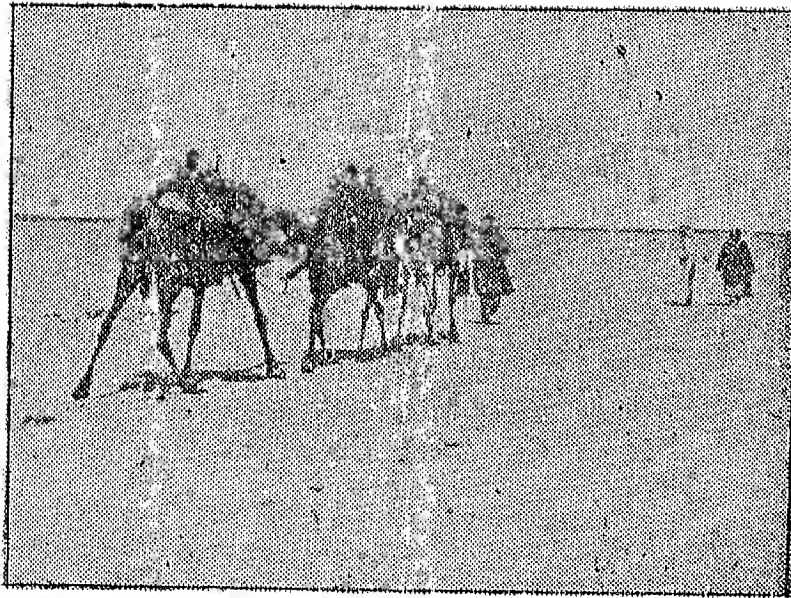
في الساعة ١٠ر٢٥ بلغنا أرضاً صلبة مرة أخرى ومررنا فوق نتوء قارت ام غددير ، وتلوى المسيجرة ، ثم استرحنا من ١١ر٢٣ الى ١٢ر٣٠ بعد الظهر . وظهرت الى الشمال حافة قور الطوال ، وخلفها سفح حزم الحداجه الطويل الذي يتميز بانحدار شديد الى حذما . وفي ١٢ر٤٨ أتينا بئر السبع ، حيث استقينا من مائها المر الى ٢ر٢٥ . ومن ٣ر٠٧ الى ٣ر٣٠ اخترقنا مستنقع الملح المعروف بسبخة السبع . وتحد هذا المستنقع من الشمال الشرقي تلال قور الطوال المسطحة ، ومن الشمال نتوءات العوجة ، ومن الغرب طار الدميم ، ومن الجنوب نتوءات العجاج . ويقع الى الشمال منه غددير القعيد ، وإلى الشمال الغربي آبار : المويلح ، والبرغوث ، والدميم .

من ٣٤٠ الى ٤٢٠ رعت جمالنا شمالي بثر الشعطات . وبرزت على الأفق من جهة الشمال هضبية قارت الحصان ( شكل ٢٨ ) . وفي ٥٢٤ رء شاهدنا الى غرب الشمال الغربي فيما وراء الفسرات خرائب الصالحية ، الى الشمال الشرقي روايي بطانة الدميم الواطئة . وفي الساعة ٥٥٥ نصبنا الخيام .

في الساعة ٤٥ صباحاً من ١٩ ايار سنة ١٩١٢ — كنا على سروجنا . كانت ليلة دافئة ، ولم تكن هناك نسمة هواء . . كنا نمرّ الان باراضي لم يسقط فيها مطر يذكر منذ اربع سنوات . لذا لا تكاد ترى نباتات سنوية ، رطبة او يابسة ، في اي مكان . فالنباتات الدائمة جفت تماماً ، بل ان الريح اقتلعتها من جذورها وتراكمت في اكوام ترتفع ١٥ سنتيمتراً وراء كل صخرة كبيرة ، وظهرت الى جنوب — الجنوب الشرقي روايي عين على البيضاء وفيها عين ماء تحمل الاسم نفسه . وفي الساعة السابعة انعطفنا نحو الشمال الغربي ، في موضع غير بعيد من كدس أحجار رجم الحويطي . اما الافق الشمالي فقد حجبه طار الدميم ومن ورائه ( حزم العوجة ) بحجمه الهائل .

وظلت جمالنا ترعى من الساعة ١٨ الى ٤٥ رء على ( النيتول ) الجاف القائم اللون الى الجنوب الغربي من بثر الدميم ، حيث تلتقي طرق كثيرة وعرة من جميع الجهات .

والى الجنوب والغرب ينحدر سهل ( أزدفة الزور ) المتموج هابطاً الى حافات قارت ابو زلة وقارت الغنمية . وتنتشر نحو الشمال سهول ( سيلة الوردة ) ، والفقارة ، وفيضه الجزر ، حيث تقع آبار الحدّاج والعابطة . ومن ١٠٠ الى ٢٠٠ توقفنا عند شجرات العليّ ( من فصيلة belladonna ) ولاحظنا ان جمالنا تلتهم اغصانها الصغيرة ( التي لم تزل خضرة ) بشهية بالغة . . ومن ١٠ الى ١٢ بعد الظهر الى ١٢٥٢ اخذنا فترة استراحة . وقد مرّت بنا قافلة من العقيدات في طريقها للحصول على الملح . وكان يرتفع من شدة حرارة الارض غبار ملح ناعم . وقد سبب ذلك تهيج الغشاء المخاطي بصورة مؤلمة . ولم يكن في المنظر ثمة شيء يلفت انظارنا . ولقد تركنا الفقاعات



( شكل ٢٩ - مملحة العديد )

( الطبول ) وراءنا ، وفيما عدا بريق الملح الحجري في بعض المواضع لم يكن هناك شيء يذكرنا بها . ولم نشاهد أثراً للنباتات السنوية او الدائمة في اي مكان فقد اصبح ( النيتول ) أسود اللون ، وذهبت الرياح بالشيخ والشنان . وكانت ضفة الفرات اليسرى آخذة بالاختفاء ولكن اجراف الضفة اليمنى كانت لا تزال تُرى بوضوح تام . وظهر من بعد في ٢٣٠٠ مشهد رائع لقلعة الرحبة الخربة وهي تعلو فوق الأفق الغربي . ومن ٣٣٥ الى ٤١٢ ، ثم من ٤٤٥ الى ٥٣٨ راحت الجمال ترعى . وفي الساعة ٧:٠٥ خيمنا في سهل منبسط مقفر لم نجد فيه شيئاً نوقد به ناراً .

في ٢٠ أيار سنة ١٩١٢ بدأنا السير في الساعة ٤:٥٨ صباحاً متجهين نحو الشمال الغربي ، وشاهدنا في ٥:٢٠ من خلال صدى نهر الخابور بالقرب من

قرية [ الصقر ] (٤٥) ثم انعطفنا شمالاً عند خرائب تل حنه والشيخ سالم .

### وادي الخابور ، قبيلة الجبور

لقد نحتت عوامل التعرية وادي الخابور دون مستوى الهضبة بالطريقة نفسها التي تكون بها وادي الفرات ودجلة ، على الجانب الغربي من هضبة الانحدار شديداً الى السهل الفيضي ويتثنى النهر خلال مجراه العميق . وتنتشر على طول ضفافه اكوام خرائب مختلفة الاحجام .

اما في الجانب الشرقي فتتصدر الهضبة بصورة تدريجية نسبه . ونتميز قريباً من النهر اشجار حور منحدرة مع اشربة من اراضي خصبة خضراء واكواخ صغيرة صفراء تنتشر بينها وبين جدران الوادي . وعلى الضفة اليسرى من الخابور ، الى الشمال من مصب في الفرات ، تقع خرائب وقرى : الزر ، ثاعو ، العوينه ، الماشخ ، الصجر . وبالقرب من الموضع الأخير يتفرع جدول دورين . اما على الضفة اليمنى من الخابور فتوجد قرى وخرائب البسيرة . والصالحه ، وتل الجهن ، وبرشم ، وتل البنيات ، والطالعة مقابل تل الحجة . وفي ٦١٥ هـ هبطنا الى الضفة اليسرى عند قرية طيبة الفال . والسفح الايسر من الوادي ليس شديداً الانحدار ، والانحاديث التي حفرتها عوامل التعرية قصيرة وقليلة العمق . ومن ٧٠٥ الى ٧٤٥ رعت حقلنا جنوبي قرية تلفيس . التي تقع على شتعة أرض صغيرة تبرز من الضفة اليمنى باتجاه الشمال تقريباً من خرائب الهندي .

(٤٥) يروي ابن الاثير ( الكامل مجلد ٤ ، ص ٢٥٧ ) انه نشب القتال في خلافة عبد الملك (٦٨٥ - ٧٠٥م) بين قبائل قيس وتغلب عند السكر او - كما سمي هذا الموضع احياناً - عند سكر الساس على نهر الخابور . وقد هزمت تغلب وحلفاؤها النمر .

ويذكر ياقوت ( المعجم مجلد ٣ ، ص ١٠٩ ) ان سكر الساس بلدة اميل الى الصفر ، على نهر الخابور ، وفيها منبر وسوق .

ورأينا الى شمالنا خرائب تلّ فدين ( أو الفديّين ) ( ٤٦ ) وهي تطل على الضفة اليمنى من النهر ، ممتدة من الجنوب الى الشمال .

( ٤٦ ) الفدين هي الفدانا او الابدانا عند بطليموس ( الجغرافيا مجلد ٥ ، ص ١٨ : ٦ ، ١٣ ، ولعلها ابدنا المذكورة في - ٣٦ رقم ٨ . وفي أيام عبدالملك هاجم عمير بن الحباب مستوطنة الفدين على الخابور وقتل من وجده من التفلبين سنالك . ويذكر النقيع الشاعر هذه البلدة ومعها الصور ( ابن الاثير : المصدر السابق مجلد ٤ ، ص ٢٥٦ ) . ويضع ابن خرداذبة ( المسالك : ص ٧١ ) أسماء هذه البلدان في مقاطعة الخابور الادارية : الصور ، الفدين ، ماكسين ، الشمشانية والسكير . ويقول ياقوت ( المعجم مجلد ٣ ، ص ٨٥٨ ) ان بلدة الفدين تقع بجانب الخابور بين ماكسين وقرقيسيا .

وكانت الفدين من غير شك محطة على الطريق من قرقيسيا الى الموصل ، اذ كان هناك طريق هام على طول الخابور يصل العراق بالشام اذ ذلك . وتعزز هذه الحقيقة روايات كثيرة وصلت الينا . على ان هذه الروايات تعرضت للتصحيف من قبل النساخين بحيث لم يعد في الامكان تعيين مواقع المحطات المختلفة .

ويصف ابن خرداذبة ( المصدر السابق ص ٩٦ ) الطريق من الموصل نحو الغرب مخترقا الصحراء حتى يبلغ محطة سكير العباس الواقعة على الخابور . والمسافة من هناك الى الفدين هي خمسة فراسخ ، ومنها الى ماكسين ستة فراسخ ، ومن ماكسين الى قرقيسيا حيث يتصل الخابور بالفرات : سبعة فراسخ . وظل اسم الفدين باقيا في الفدين الحالية على بعد حوالي ٢٧ كيلومترا من قرقيسيا القديمة . بيد انه وفقا لابن خرداذبة تبلغ المسافة من قرقيسيا الى الفدين ١٣ فرسخا اي ٦٥ كيلومترا . لذا يمكن ان نفترض بان ترتيب المحطات لم يتغير فحسب ، بل تغيرت المسافات التي بينها كذلك .

والمسافة من قرقيسيا الى سكير - السكير القديمة او سكير العباس هي ١٧ كم ( اربعة فراسخ ) .

ومن السكير الى الفدين ١٠ كم .

ويسرد قدامة ( الخراج ص ٢١٦ ) هذه الاسماء بترتيب غير صحيح كذلك ، مع ذكر المسافات [ السابقة ] نفسها .



## داوة الى الرقة

في الساعة ٨٣٠ بدأت على اليمين قرية المجبيرة المجاورة لتلّ فدين ، كما بدت في الساعة ٩٤٥ على الضفة اليسرى قرية الخريجة وفي الساعة ٩٤٥ مزرعة النملة . ويقترب النهر في هذا الموضع من الاجراف الشرقية للوادي . ومن ١٠١٥ سرنا خلال صخور مثلمة ، لم نغادرها حتى الساعة ١١٢٥ . ويأخذ السهل الفيضي الخصب بالاتساع فيما وراء قرية النملية حتى يصل في النهاية الى التواء الجبلي [ سنّ الجبل ] الذي تقوم عليه خرائب الصوّار المطلّة على النهر . وعلى الضفة اليسرى ابتداء من صخور النملة البيضاء يمتد قسم آخر من السهل الفيضي الخصب الى الشمال الى الموضع الذي تطل منه عليه ربوت خرائب الشيخ حماد .

وتوجد شمال هذا الموضع على الخابور ، وعلى الضفة اليمنى من دجلة بين المكحول وتكريت كذلك ، مخيمات قبيلة الجبور . ويسمى القسم الغربي من هذه القبيلة : الحجّاج ، والقسم الشرقي الهياجن (او الهياجل) . وعشائر قبيلة الجبور كما يأتي :

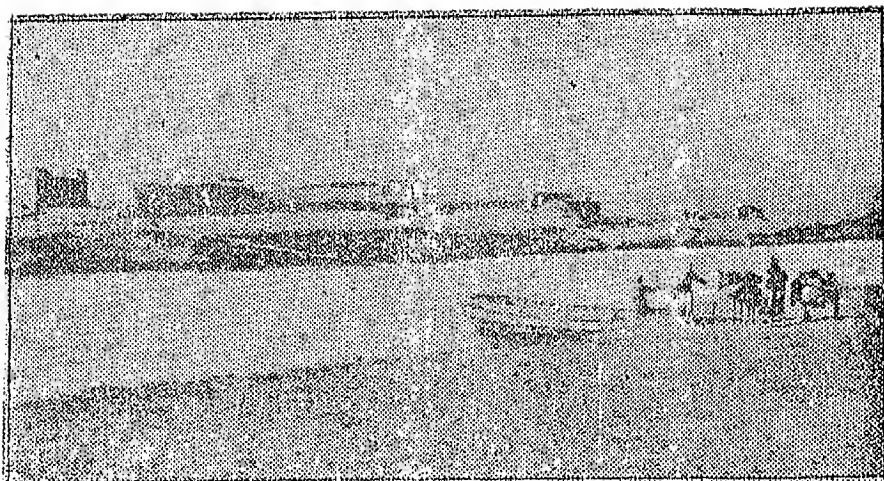
الهياجل	( الرئيس : مسلا بن محمد أمين )
الشويخ	( الرئيس : شمر العيمر )
الجاموس	( الرئيس : عبد الرحمن بن داغر )

ويذكر المقدسي ( احسن التقاسيم : ص ١٥٠ ) من قرقيسيا الى فدين مرحلة ثم الى السكير مرحلة .

ويذكر الادريسي ( النزهة : ترجمة جوير مجلد ٢ ، ص ١٥٤ ) فما بعدها ان المسافة من قرقيسيا الى ماكسين ب ( ٢١ ) ميلا ، ومن هناك الى الفدين ( ١٨ ) ميلا ، ومنها الى سكير العباس ( ١٥ ) ميلا . وفيما يتعلق بالترتيب والمسافات فانها تتفق والمعلومات الواردة في ابن خرداذبة وقديمة كلها : ٥٤ ميلا ، ١٨ ميلا ، او ٩٠ ميلا .

(الرئيس عبيد بن هلّوش )	ابو خطاب
( الرئيس وقاع بن زرزور )	العجل
( الرئيس عبدالعزيز المهيري )	ابو نجاد
( الرئيس حمود بن عبدربه )	الناصر
( الرئيس بشير بن جابر )	البقارة
( الرئيس عجل بن علاوي )	العبيدات
( الرئيس بشير )	العايد
( الرئيس محمود بن قحيط )	هرآشد
( الرئيس دبوس بن ضويح )	البو حسن
( الرئيس وادي بن شواش )	البو حمدان
( الرئيس عبدالله السمين )	البر رحمة
( الرئيس محيّد بن قحيط )	العبد الكريم
( الرئيس على الرمضان )	المشهور
( الرئيس سطلّام المحمد )	الخنجر

وتابعنا السير في السهل الفيضي المزروع على الضفة الشرقية في اتجاه الشمال تقريباً حتى الساعة ١٠ - ١٢ بعد الظهر وعندما بلغنا موضعاً حرجاً في النهر استلّنا الى الغرب . وفي الساعة ١٢:٢٠ خيّمنا بجانب مخاضة مقابل مركز الدرك وخان الصوار ( شكل ٣٠ ) الواقع على الطريق العام المؤدي من دير الزور الى الموصل . وثمة جزيرة صغيرة شماليّ المخاضة المذكورة والى الجنوب الشرقي غيضة اشجار حور . وفوق الجزيرة ( ناعورة ) كبيرة ترفع الماء من النهر لريّ المزارع الممتدة على الضفاف ، حيث كانت تنتشر عليها خيام عشيرتي العقيدات والجبور . وسرعان ما أقبل عدة رجال من الخيام لزيارتنا ، وقد حاولت الحصول على دليل من بينهم . لذلك انتحيت بهم ناحية ، كلاً على انفراد . وطلبت الى كل منهم ان يرسم على الأرض خارطة الخابور والفرات . وان يضع حصاةً على كل موضع يدكر اسمه . ولم يكن لبعضهم



شكل ٣٠ - خان الصوار من الشرق

فكرة عن الجهات ولا يستطيع التفريق بين الشمال والجنوب ولم أضيع وقتي ثانية على مثل هذا الأمر . ثم اني طلبت الى الشخص الذي اصاب في تعيين المواضع التي كنت أعرفها أن يبين لي خط سير الطرق من الصوار الى دير الزور . او من الصوار مباشرة الى الرقة او من الصوار الى ملح الأشتر او العبيد . . الخ وبعد ان أحطت بالمنطقة التي كنت أعني بها مع الشخص الاول ، عدت اليها مع الثاني . والثالث ، والرابع وهكذا حتى وضعت اساساً ثابتاً لجميع المعلومات عن الطرق الأخرى وعن المنطقة المحيطة بها . وعلى هذا النحو اكملت خارطتي ورسمت طريق رحلتي التي ازمنت اتباعها .

وأضينا يوم ٢١ ايار ( من عام ١٩١٢ ) بتمامه في رسم الخرائط ليس للاراضي التي مررنا بها حتى الآن فحسب ، بل المناطق التي كنا ننوي زيارتها بين الخابور والرقة كذلك . ويندمج السهل الفيضي الذي على الضفة اليسرى من الخابور بهضبة خشم المعيجل . حيث ترتفع الى شمال - الشمال الشرقي من الصوار بهضبة تقطع امتداده . ويزيد عرض القسم المنخفض من السهل الفيضي على كياو مترين ، ويمكن ريه أو غمره بالماء تماماً ، وتراه في بعض المواضع مزروعاً بأكمله ، ولكن الحقول في اما كن انحسرت تمتد على ضفاف النهر ذاتها .

حيث شقّ الخابور لنفسه مجرى عميقاً . وتوجد هنا وهناك مجموعات اشجار الحور تعمل على تنوع المشهد وعندها يسير المرء صعداً مع ضفة النهر حيث يختفي السهل الفيضي تقريباً ، ولا يتسع مرة اخرى الا بعد ان يتخطى خرائب تلّ الحصين (٤٧) حتى اذا جاوز تلّ مرقدة يصبح اوسع من سهل الضفة اليسرى وينتهي بالقرب من تلّ مرقدة شعب الحِمّة الذي يسد بانحداره من الغرب - جنوب منطقة المعزة البركانية ببراكينها الثلاثة الخامدة . والى الجنوب الغربي من هذه الأخيرة والحِمّة تقع آبار المعامرة ، والجويّف ، والمربّة والعُمير . والى غرب البراكين الخامدة والشمال الغربي من هذه الآبار توجد مناهل الفيّاض ، وسهلان ، وابو النوق والطاران ، والرُغيّان ، والرميلان ، والمليحان ، والبقة . ويتصدرها جميعاً شعب جَهيد الذي يجري ملتوياً بجوار منطقة حِمّة المعزة البركانية في الشمال ، وينتهي مقابل قرية الدليجمية شماليّ تلّ الفدغمي . ويخرج من هنا طريق يؤدي شرقاً الى الموصل ماراً ببشر ابو حمزة والبديعة . وعلى الضفة اليمنى من الخابور جنوبّيّ تلّ الفدغمي يقع تلّ الشيساني وقرية الدشيشة ؛ وعلى الضفة اليسرى جنوبّيّ تلّ المرقدة تقع قرية سايّتح وتلّ الشيخ حمد . وفي المساء حددنا خطّ العرض .

وفي ٢٢ أيار سنة ١٩١٢ حمّلنا مالدينا من امتعة السفر في قارب كبير عبرنا به الى الضفة اليمنى . اما الجمال فقد عبرت مخاضة في النهر تبعد نحو نصف كيلو متر الى الجنوب . وكانت اجرة العبور خمسة مجيديّات ( ٥٠ - ٤ دولار ) . وتقع خرائب الصّور على الضفة اليمنى : ويقع الاخر على اللحف الجنوبي لتتوء صخري . ومع ان هذه الخرائب لا تلفت النظر الا انها واسعة الى حد كبير ويظهر انها نقبت مراراً ، ونُقلت منها مراد البناء الجيدة

---

(٤٧) يروى ياقوت ( المعجم : مجلد ٢ ، ص ٢٨١ ) ان الحصين بلدة صغيرة على الخابور . وكان الزوار يؤمونها ، فيما مضى في كل عام لزيارة قبر الشيخ ابي بكر ، المدفون بقرب هذه البلدة .

ولكن روابي خرائب حملا التي على الضفة اليسرى ، وتلّ الحصين على الضفة اليمنى شماليّ ، وقل فدكي الى الجنوب ، اكثر منها سحراً وخلاصة (٤٨) .

(٤٨) الصوار هي سورى المذكورة في الكتابات ، الاشورية ، وهي مركز بلاد لقي

حينما جاء توكتي نيب ( توكتي انورثا ) الثانى الى حيرى ( لعلها خرائب الصرقا الحالية ) ، ارسل اليه حمثاى ، والى منطقة لقي ، بالانواة المطلوبة منه : ٢٠٠ رأس غنم ، خمسين رأس ماشية ، وخبز ، وشراب ، وحبوب ، وثبن . ولما اقترب الملك العظيم من مقر اقامته : بلدة سورى في خدبة على الخابور ، قدم اليه الوالى عشرين منا من الذهب ، وعشرين منا من الفضة ، واثنتين وثلاثين طالنا من الرصاص ، ومائة وثلاثين طالنا من النحاس ، وطالنا واحدا من القطن الازرق الداكن ، وخمسة امنان من نبات ( الزيدو ) ، وطالنا واحدا من الحديد وزيتا زائقا ، والفا ومائتى خروف ، مائة رأس ماشية ، وطيورا كبيرة ، واثنتين من زوجاته مع مهر كبير ( حوليات شيل المقابل ٢ ، ٤ فما بعد ، ١٥ - ٢ ، دنى المصدر نفسه ص ٢٠ ، ٢٢ ) .

وبعد ان ارتقى اشور ناصر بال الثالث ( ٨٨٤ - ٨٥٩ ق م ) العرش بمدة قصيرة ، ظهر فجأة امام بلدة سورى في منطقة بيت خدبة ، ليعاقب سكانها على مقتل الوالى حمثاى ، الذى عينه الملك الاشورى حاكما عليهم من قبله ، والاستبدادهم حمثاى برجل يسمى اخيا بابا من بلاد بيت ادينى . واستلم كبار الموظفين واعيان البلد بدون قيد أو شرط . وأمر الملك الاعظم باستباحة القصر والمعابد فحصل على الفنائم الاتية :

تمثيل ( الالهة ، النساء ، العذارى ، الفضة ، الذهب ، البرنز ، الحديد ، الرصاص ، اواني برنز مختلفة ، البستر ، حجر كريم من الجبال ، عريبات ، معدات الخيل ، فرق خيل ، خيل ، منسوجات مختلفة الالوان ، خشب الارز ، الواح مطعمة ، ارجوان ، صوف ، ثوابل معطرة ، ماشية ، ماعز ، الخ . . . واقامت منصة خارج مدخل البلدة ، وعلقوا عليها ماسلخوه من جلود عدد من العصاة البارزين واخرون منهم شنقوا على المنصة ، وقتل بعضهم حولها بالخنازوق . ( رولنسن : كتابات سماوية مجلد ١ ، عمود ١ ، ٢ ، ٧٩ - ٩٢ ، برج و كنك : حوليات - ١٩٠٢ ، ص ٢٨١ - ٢٨٤ ) .

وتسلم اشور ناصر بال الثالث في سنة ٨٧٨ من سكان البلدة في بخدبه ( التى تقابل الصوار عندنا ) : فضة ، وذهبا ، ورصاصا ، اوعية برنز ،

=

## نهر الخابور الى بير الزهمك

في الساعة ٧:٤٥ غادرنا السّوار واخذنا اتجاهاً شمالاً غربياً نحو سهل الظهرة المتموج المقفر . وهو في واقعه يعد استمراراً للهضبة الفسيحة المرتفعة التي تطلّ على الضفاف اليسرى لنهري الخابور والفرات . يمر الطريق العام الى دير الزور باتجاه غربيّ — جنوبي غربيّ مخترقاً سهل فيضة الشنّانة والتّسوّات الجنوبية لـ ( حمة ابو صالح ) . ويوجد في القسم الجنوبي من فيضة الشنّانة بئر الكسّار ، وفي القسم الشمالي : بئر البو رحمة وبئر كالح .

وفي ٨:٤٥ شاهدنا باتجاه شمالي — الشمال الغربي واحداً من براكين المعزة ، وهو مجموعة تلّول بركانية سوداء اللون ، تنتهي غرباً بـ ( خشم المعزة ) المدبب وفي ٩:٤٨ ظهر لنا جتب الضرو ، وهو مرتفع أحمر اللون قليل الارتفاع يمتد من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ؛ وظهرت من ناحية الغرب براكين سوداء احدها صغير وآخران كبيران ، تسمى الحجّان (او الحجيفات) (\*) . ومن ٩:٥٠ الى ١٠:٢٥ رعت الجمال الروثة والضّر ، والقيصوم . وفي الساعة الحادية عشرة رأينا على اليسار آبار : سويلم ، الهبة ، وعبد الكريم . ومن ١٢:١٠ بعد الظهّر الى ١٢:١٨ استرحنا عند بئر المريقب ، التي امتلأت قسم منها ببقايا نباتات جافة .

---

= ومنسوجات ملونة ، وماشية ، وقطعان ( ورنسن : الحوليات السابقة الذكر مجلد عمود ٣ بدج وكنك ، المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ ) .  
بدج وكنك ، المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ ) .  
الاخطل ( الديوان ص ١٠٦ فما بعدها ) يذكر الحموم مع الصور ، وكذلك الخابور مع السرر .

ويذكر ياقوت ( المعجم مجلد ٣ ص ٤٣٤ ) ان بلدة الصور تقع على ضفة نهر الخابور على اربعة فراسخ من الفدين . وجرت معركة مع الخوارج هناك .

ويعدد ابن الفقيه ( البلدان ص ١٣٣ ) في ضمن الاجزاء التي تشتمل عليها مقاطعة الخابور الادارية ، مايلي : الصور ، والغدير ، ماكسين ، الشمشانية ، والسكير . والغدير لا بد ان يكون خطأ في النسخ لكلمة العدين ، اما السكير فهي السحر الحالية .

\* حجف : حاجف محايفة : عارضه واقعه .

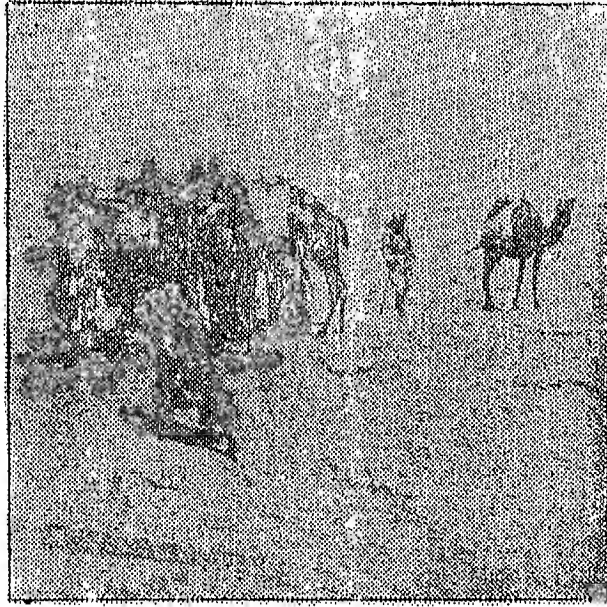
واشار دليلنا الى مجموعة آبار في الغرب هي : الرويشد ، وحمر الطويل ، وفي جنوبي الأخير بئر قمر الدين . والى الشمال منها : العريدي ، والى الشرق من العريدي : بئر البيوض . ورأينا الى الشمال عند لحف مرتفع طويل فوعا ما اكاداساً صغيرة من الاسجار للدلالة على بئر العمير ؛ والى الشمال الغربي منها تحت نتوء جبلي اسود تقع بئر المربة : وما وراءها الجريّف ؛ والى غرب - الشمال الغربي من البئر الأخيرة بئر المعامرة .

وصار الهواء الآن حاراً للغاية حتى رأينا بوضوح انه ينقسم الى اربع او خمس طبقات متفاوتة في عمقها وشفافيتها ، تهتز باستمرار وتعيق أنظارنا .

وهذا هو (السراب) . وفي ٢١٥ لمحنا الى يسارنا تلّ البيوض . وكان الافق من ناحية الشمال الغربي يسدّه جتب وكان هذا لا يخلو من ثغرات تخترقه في بعض تخترقه في بعض المواضع . ورأينا الى الجنوب منا اعلى بركانين من مجموعة الحجينات ( او الحجاف ) . وقد ظهر ا في غمرة السراب كأنهما عنبرتان اسودان . وبين الحين والحين كان رجم الطاران يبرز من السراب . وتقع الى الاسفل منه مباشرة بئر بهذا الاسم نفسه . والى الجنوب منها بئرًا : الفياض وابو النوق . وبحمد الساعة الثالثة امكن رؤية قطع من البازلت واللازبة هنا وهناك . وكنا عند سنّ الحمة في ٣٤٨ وبلغنا حافته في ٤٠٥ وبقينا هناك الى ٤٤٥ ؛ وهي مكونة من البازلت واللازبة ، الحمة كما سمّاها دليلنا . وتستد المنطقة البركانية من تلّ مرقده على الخابور حتى بئر مايجان . واشار الدليل الى اكاداس من الحجارة في الشمال تدلّ على مواضع آبار سهلان ، وابو النوق ، ورغيان ورميلان ، أما التي في الجنوب فتدلّ على بئر الحذب . وفي ١٠ ظهرت سلسلة عبد العزيز الى الشمال . وخيمنا في ٢٠ عند رأس شعيب جهيد . وحاذنا خطّ العرض .

في ٢٣ أيار سنة ١٩١٢ خرجنا في الساعة ٥٠٢ صباحاً متجهين نحو العدالك الغربي وكانت الرياح غربية باردة . . وفي ٣٠ لاحظنا في حوض واس الى الشمال منا ربوة خرائب المالحه ، وظهرت وراءها على مسافة كبيرة سلسلة عبد العزيز المثلثة . ورأينا الى الشرق منا تلّ رزنتري المنعزل . ومن ٨٠٠ الى ٩٤٨ توقفنا

عند المالحه ( شكل ٣١ ) ، وهي بئر يبلغ عمقها نحو ٢٥ متراً ، ويكاد ماؤها يكون عذب المذاق . وإلى الشمال الغربي من خرائب المالحه توجد بئر المليحان . وإلى غرب الشمال الغربي تندمج سلسلة عبدالعزيز م سلسلة البيضة [ البيضاء ] الأقل ارتفاعاً منها ، وتقع أعلى قممها في الوسط .



( شكل ٣١ - بئر المالحه )

وكان بودنا ان نتفحص خرائب المالحه لشبهها بقلعة مبنية من كتل بازلتية ، غير ان الدليل حذرنا من قطاع الطرق الذين يجوبون عادة الاماكن المجاورة لسفح سلسلة عبدالعزيز ولعلهم كانوا يرقبون حركاتنا باستمرار عندما كنا نسقي خيلنا وجملنا ونملاً القرب بالماء . واعتلى الدليل ربوة قريبة منا ، وأخذ يراقب منها المنطقة المجاورة بكل دقة . وكان السرك غير راغبين كذلك في تعريض للخطر . وقد ناشدونا العودة من حيث اتينا لنكون بمنأى عن الاكراد . وحتى نشرح خواطرم اتجهنا غرباً في سهل متموج يرتفع الى الجنوب الغربي . وفي الساعة ١٠:٢٧ وصلنا الى بئر مهامة . وفي ١١:٢٥ عبرنا الطريق المتجه نحو شمالي-



الشمال الغربي من دير الزور . ويبدأ هذا الطريق من دير الزور وبعد ان يخترق شعيب البقر يرتقي حمة صالح في شرقي براكين الحجيفات ، ويمر على بشر الغربي وبشر ابو قبرة . وقد بلغنا الأخيرة في الساعة ١١٣٥ . واسترحنا من ١٢١٠ بعد الظهر الى ١٢٠ .

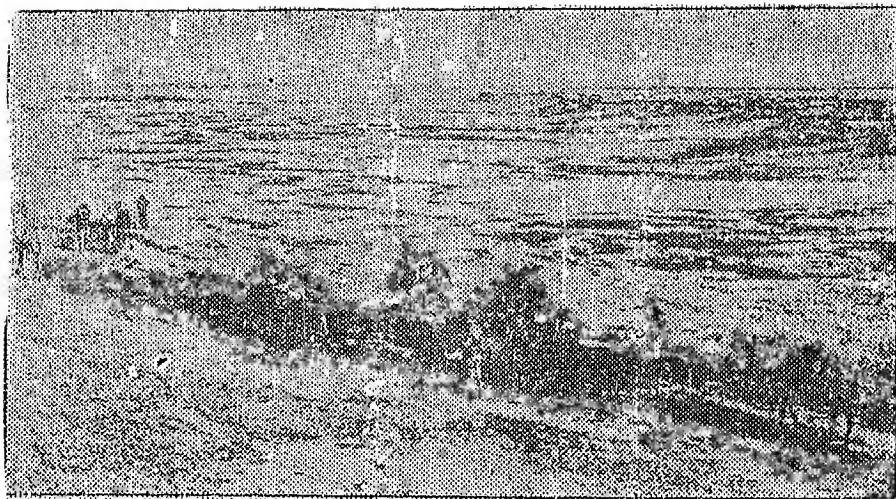
وفي الساعة الثانية كنا عند بشر عباس . شاهدنا الى الجنوب منا ركاباً من الحجارة عند بشر ابو رداني ، وإلى الجنوب منه رأينا ثانية مخروط الزراب الواة على جتب الضرو . وثمة كدس حجارة سوداء تعلم موضه بشر فنيجير بينما كانت روابي المانعية تسد الافق من جهة الغرب . وفي الساعة ٢٤٠ لاحظنا الى الجنوب منا ستة رجال يركبون الجمال واربعة من المشاة متجهين الى الشمال ، وعندما لمحونا هربوا الى الشرق . والظاهر انهم حينما رأوا ثلاثة رجال على ظهور الخيل في صحبتنا ، ظنوا اننا قطاع طرق عادوا بغنائم احدى الغارات . على انهم انفسهم كانوا يشبهون قطاع الطرق . وكان بإمكانهم مهاجمتنا ولكن افتقارهم الى خيل سريعة جعلهم يحاذرون إذ ان الحصان أسرع واخف من الجمل في الهجوم . وبقيت جمالنا ترعى من الساعة ٢٥٥ الى ٣٤٢ وقد مكنتنا الارض المرتفعة التي كنا نقف عليها من رصد حركات العدو . وسلسلة البيضة [ البيضاء ] تمتد من الشرق الى الغرب ، ويبقى مستوى ارتفاعها متماثلاً في النصف الشرقي من امتدادها تقريباً ولا تبدأ في الانخفاض الا على مسافة ابعد نحو الغرب . ورأينا الى الغرب منا بشر الزهمك وإلى الجنوب منها تل كليب الحمة الاسود . وإلى الشرق منها بشر الجرذية وبشر الثماد . وخيّمنا في الساعة ٢٠٥ وكنا حذرّين طول الليل مخافة ان يهاجمنا الغرباء .

### بشر الزهمك الى الرقة

في ٢٤ ايار سنة ١٩١٢ كنا في طريقنا حوالي الساعة ٥٥٤ صباحاً وقد هبّت زيج خفيفة من جهة غرب — الجنوب الغربي ولكنها كانت قاسية البرد . وفي الساعة ٥٥٥ كانت على يميننا ، بالقرب من الطريق ، بشر الزهمك ، ١٣٣

ويبلغ عددها عشرين متراً ، حيث سقينا خيلنا حتى الساعة ١٠ر٦ . وكانت ترى في الشمال الغربي روايي المانعية القاتنة اللون سلسلة البشري فيما وراء الفرات جنوباً . وكان أشد ما يلفت النظر هو الصبوع العميق بين القسم الرئيسي من السلسلة ونحوها الشرقي : الفصايات . ومن ١٠ر٨ الى ٢١ر٨ رعت جمالنا الى الجنوب الغربي من بئر الطريفراوي وشمال آبار الدرة والصباعة في شعيب المسوق . وكنا نقتطع الآن خط تقسيم المياه بين الفرات والشعبان التي تمتد نحو سلسلة البيضة . وكان السفوح الى الجنوب شديدة الانحدار وتدرجياً نحو الشمال على كل حال . وظهر على الافق الغربي في الساعة ٤٠ر٨ بركانا ( المناخر ) ، في نهاية السهل الريب الذي كنا نمر فيه الى الجنوب نظرنا الى الأقليم المتزوج الواس الذي الى الاسفل منا من لحف البشري منحدراً نحو الفرات ، حيث يشهر في الجروف النالية التي تحدد الضفة اليمنى من النهر . وعلى الضفة اليسرى في غربي بترين الدرة والصبارة تختفي هذه الجروف . وفي ٥٠ر٩ رأينا الى الجنوب منا تل الحميضة الهائل على الفرات . ثم واصلنا السير مخترقين شعباً ماتوياً يتجه نحو الجنوب . وفي ٤٠ر١٠ كنا في شعيب عريض يسمى شعيب ( عقلة مشحم ) . وكان مغطى بأشجار الطرفاء وينتهي بين تل مطب والعز على الفرات . وأمكن الآن ان نرى بوضوح ثغرة الخانوقة التي ينفذ منها الفرات .

وسلسلة البشري او الحمة ما يسمى امتدادها الشرقي البازلتي ، تمتد الى براكين الحميفات ، ولا شك في انها كانت في وقت ما تكون سداً طبعياً للفرات . غير أن طبقات الملح الصخري والجبس اللينة لم تستطع مقاومة التيار السريع الذي نحت مجرى معجى ضيقاً عميقاً يسمى الخانوقة ، وهكذا فصّل القسم الأكبر من السلسلة المعروف بالحمة في الشرق ، عن القسم الباقي في الغرب . وعلى الضفة اليمنى من عقلة مشحم تمتد روايي ( ذابلة ) من الشمال الى الجنوب ، وإلى الغرب منها مرتفعات واسعة تفصل بينها اودية قليلة العمق تنحدر نحو الفرات . وفي الساعة ٣٠ر١١ عبرنا شعيب الحس ، واسترحنا من ٢٠ر١٢ بعد الظهر الى ٢٠ر١ . وظلّت الجمال في مرجاها من



( شكل ٣٢ - من الخفيان غرباً - وادي الفرات على بعد )

٢٥٠ الى ٣١٠ في وادي خفيان ( شكل ٣٢ ) جنوبي جيب الشعير . وفي الماعة الرابعة أخذنا نسير على طبقة من الحمم [ اللابة ] الخالصة ، وفي ٥٥٥ وصلنا الى بركان المنخر الشرقي واستلطنا حول قاعدته الشمالية للوصول الى شعيب الشعاء . وهذا البركان على شكل مخروط مستطيل يمتد محوره من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ، ويظهر ان له اربع فوهات ، اكبرها تقع في الجنوب الغربي . ومنها تدفق جدول عميق من اللابة امتد الى الشمال الغربي ، وفي القسم الاعلى من شعيب الشعاء يوجد بئر ابو جدابع ، وفي القسم الادنى بئر ابو مرمر ، وإلى الغرب من الأخيرة آبار : غيلان ، الخفصية ودميم . وإلى الاسفل من ربوة تقع شمالي بركان المنخر الغربي تقع بئر لُقطة ، وإلى الجنوب الغربي من البركان : بئر ابو ثوثة ، وإلى الشمال الغربي من الأخيرة بئر الهباء والحوار .

في الساعة ٥٠-٦ خيّمنا على طبقة الحمم في منتصف المسافة بين البركانين في منطقة واسعة ليس فيها أثر لعصن شجرة صغير أو أي شيء يشبه الوقود . . . كانت ليلة لطيفة والرياح تهب من الغرب .

في ٢٥ أيار سنة ١٩١٢ بدأنا السير في الساعة ٣٥ - ٤ صباحاً . وكانت تهب آنذاك من الشمال . وفي ٣٢ - ٥ درنا حول القاعدة الجنوبية للبركان الثاني ، الذي يقع على طبقة من البازلت ( المانع ) واللابة يبلغ ارتفاعها نحو خمسة وعشرين متراً ، وهي اشد انحداراً من جهة الشمال . وفي ٢٠ ر٦ - كانت آبار أبو ترثة على اليمين منا ، وفي ٢٥ ر٧ وصلنا الى ضفة الفرات ضفة الفرات غربي خرائب الجهال ، وظلت جملنا الى الساعة الثانية ترعى من شجيرات العوسج حتى أخذت كفايتها .

ولا يمكن القول بان مجرى الفرات في الجنوب الغربي من الجهال قد استقرت أبعاده وحتى الآن . فلا تزال هناك فروع كثيرة من النهر العظيم - تتشعب بين جزر صغيرة تظهر وتختفي ثانية ، لانه ليس ثمة اساس صخري يدعمها . وتنمو على كثير من هذه الجزر أعشاب كثيفة ، ترعى فيها قطعان الجاموس والبقر . وحاولنا ان نخترق حقول السميري مباشرة للوصول الى قرية الرقة ، ولم نوفق في ذلك لأن المروج التي اختفى فيها نهر البليخ كانت مستنقعة الى حد كبير حتى اضطررنا في الساعة ٤٠ ر٨ الى التحول شمالاً لتجاشى هذه المروج والسير على أرض صخرية يابسة ، نجحنا خيراً ، برغم بعض الصعوبات في عبور البليخ ومستنقعاته عند خرائب زيدان وتوجهنا الى الغرب ثانية . (٤٩)

من ٢٠ ر١١ الى ٤٠ ر٢ بعد الظهر استرخنا في الجنوب الشرقي من الرقة في المزارع القريبة من خرائب ( الحمرا ) وغربي خرائب ( الرقة السمرا ) .

---

(٤٩) تل زيدان هو زنودوتيوم القديمة ويشير اريان في (شذرات) ص ٥٨٧ - الى زينودوتيوم بقوله انها بلدة في اوسروئين بالقرب من نيقفوريوم وپروى ياقوت ( المعجم : مجلد ١ ص ٨٦٧ ) نقلاً عن نصر ، ان تل زيدان موضع قريب من الرقة في بلاد ما بين النهرين .

ويظهر من هذه المبارات ان نيقفوريوم كانت تقع عند مصب البليخ . وانها مطابقة للرقة او لقسم منها .

والرقعة الحالية (٥٠) يسكنها نحو ٣٠٠ عائلة وعبد الهادي العجيلي أعظم رجالها نفوذا . وماء هذه المنطقة مج المذاق .

وفي ١٥ ر الى ( عبارة ) الفرات وبعد صعوبات بالغة استطعنا ان نسوق جمالنا المسكنة الى سطح قارب عال . وكان رجال القارب قساة القلوب إذ سرعان ما انهالوا على الحيوانات المذعورة بالضرب والدفع والرفس والهز ، حتى اشفقنا على اعضائها ان تصاب بضرر . وذهب ناصر ومحمد وتومان مع الجمال ، وظلت بقيتنا تقوم على حراسة الأمتعة . وأنزلت الجمال الى البر على مسافة بعيدة الى الجنوب الشرقي ، وقد بقي تومان هناك ، بينما عاد ناصر الى القارب وبعد ان اصبحت الجمال الثلاثة الباقية والاصقة على ظهر القارب صعدنا اليه . القارب وحمل تيار النهر السفينة بسهولة ويسر . وفي منتصف النهر دفع الملاحغن اعمدة طويلة ثقيلة [المرادي] محاولين دفع القارب الى اليمين قليلا ليتوسط دوامة الماء التي ترقطم بنتوء يبرز من الضفة اليمنى ممتداً في سهل الكسرة الفيضي . نجحت المحاولة فقاد حملتنا الدوامة مباشرة الى الضفة ، حيث نصبنا الخيام للمبيت في الساعة السادسة مساء .

(٥٠) انظر فيما بعد ، ملحق ١١ .

## الفصل السابع الرقعة الى ابو هريرة

في ٢٦ أيار سنة ١٩١٢ . . الساعة ٥٧ ر٤ صباحاً بدأنا سيرنا عبر سهل الكسّارة ، وهو جزء من سهل الفرات الفيضي الذي طالما تغمره مياه الفيضان وفي هذا الوقت كانت تغطيه نباتات السوس التي لم يتنق طعم اوراقها الخضراء الداكنة ومذاق جمالنا وفي ١٥ ر٧ دخلنا السهل الفيضي المسمى حاوي ابو قبيع حيث رأينا في الساعة ٣٢ ر٧ ربوة خرائب السجل : وعلى امتداد ضفة النهر اليسرى بالقرب من هنا توجد قرى ومزارع الحسانية : والدرعية ، والجزره والهراقلة ، وسراة عبد على وخرائب القديرات . وقرية صيلحيية الكبيرة نوعاً ما . وكنا نسير الآن نحو مزارع البليل على امتداد ممشي ضيق على حافة النهر حيث وكان اقرور صعباً في بعض المواضع . وفي ٤٠ ر٨ عبرنا شعيب ابو هباطة الضيق ، واسترحنا من ٩٠ ر٩ الى ٢٨ ر٩ . وفي الساعة العاشرة بدأنا الصعود في اراضي ام تلوس الزراعية الى خرائب سوريا ، التي كانت في ٣٧ ر١٠ فوقنا من ناحية الشمال . وبلغنا هوة بين سوريا والحمام . والحمام التي تساعد على النزول الى النهر بسهولة . وفي ٥٨ ر١١ كان علينا ان نصعد ثانية . وفي ١١٢٠ ر١١ توقفنا امام مركز درك في الحمام : وكان ثمة خانات ومركز للبريد والبرق وبعض الأكواخ . واسترحنا من ١١٥٠ ر١١ صباحاً الى ١٢٥٠ ر١٢ بعد الظهر . وكان مخروطاً اثنيين (٥١) يمكن رؤيتهما بوضوح في الجهة الغربية .

---

(٥١) يذكر المتنبي الثديان ( الديوان : ديتريش ص ٤٣٤ ) بأنه موضع يقع على طريق حلب المحاذي للضفة اليمنى من الفرات ، والمؤدي الى الرقة ، وأنه احتبس فيها لسقوط امطار غزيرة .

وفي ١٠٥ مررنا بالموضع الذي سبق أن خيمنا فيه في اليوم الأول والثالث من شهر نيسان الماضي .

وكانت السفوح آنذاك مغطاة بخضرة زاهية ، وكانت براءم الشجيرات في مرحلة نموها الأولى . أما الآن فكان كل شيء محترقاً أجرداً ، والعشب جافاً تذروه الريح ، والنباتات كلها قد أكلتها الحيوانات ، ولم تبق سوى بضعة مواضع خضراء قريباً من سطح الأرض . وفي ٢٣٢ كانت خرائب الهنديه على يميننا ، وكانت تقابلنا ، على الضفة اليسرى ، شبه جزيرة القدير انن تغطيها الشجيرات . وإلى الشمال الغربي منها حقول النشابة ، وإلى الغرب حقول المسيطيحه ، والقيبة ، والرُقبة : وخرائب قلعة جعير . وفي الساعة ١٢٢٧ وصلنا سهل الصفافة الفيضي . وتغطي قسمه الجنوبي نباتات البلفاء والحميض ( او الحميض ) ، وقسمه الشمالي نبات السوس . وفي الصيف يقوم اشباه الفلاحين بقطع اوراق السوس وتجفيفها لتكون علفاً تحبه ابقارهم كثيراً ، وفي الشتاء والربيع يقتلعون جذوره ويركونه على هيئة اكوام كبيرة تشبه الخيام ، ويبيعونها بعد جفافها الكامل الى شركة في حلب ، لها فروع في الرقة وبيرجيك . وهؤلاء الرجال لا يتعاملون الا مع الرئيس فهو الذي يقوم بتسليم العروق الجافة بدلاً عنهم وتسليم النقود . ويحصل العمال عن قنطار تركي ( ٥٦ كيلوغرام ) من العروق على عشرة قروش ( ٤٥ سنتاً ) . وفي ٣٥٠ رأينا مقبرة على يسارنا على الضفة اليسرى من شعيب القبور . وقد ركزت اعمده [ سوار ] على بعض القبور ربطوا بأعلاها قطعاً من القماش بل كان على بعضها فميصان كاملة . وفي الساعة الرابعة كنا في ممر الشعبة . . وعرض الممر هنا نحو مترين . ويبلغ ارتفاع الاجراف في جنوبه ٣٠ متراً تقريباً ، بينما تنحدر الارض من جهة اليمين عشرة أمتار انحداراً عمودياً الى النهر . وقد اجبرتنا الزوايا الحادة الناتئة من الجروف على السير في نسق منمرد . وفجأةً اشتبك النصف الايسر من حمولة ناقتنا البيضاء باحد هذه

الاطراف الحاد وتخرجت ساقطة على رأسها في النهر . ولعلها كانت قد غرقت لولا ان حملها كان مربوطاً الى ظهرها بحبال مشدودة على البطن مما ساعدها على ان تظل طافية . . وكانت الناقة المسكينة ارجلها مدفوعة الى اعلى تحاول بكل قوتها ابقاء رأسها على سطح الماء . وأوقفنا الجمال الأخرى ، وهبطنا اليها بصعوبة باغة ، ثم سحبناها بعد ربطها الى الضفة وهي ترفس . وانزنا احماها بعناية ، ونقلنا ، قطعة بعد اخرى الى الطريق . وعاوناه على الانقلاب . ثم سحبناها الى مسافة نحو مئة متر شرقاً الى أخدود صغير . حيث يمكن هناك سوقها مرة اخرى الى الطريق . وحسن الحظ انها لم تُصَبَّ بجراح مطبقاً . ولم يظهر عليها أي أثر لإصابة باطنية . والتأخير الذي نجم عن هذا الحادث لم يتجاوز . سبعا وثلاثين دقيقة . من ٤٣٨ الى ٤١٥ . وبعد ان وضعنا على ظهرها ثانية ذلك الحمل الناقع تساماً صعدنا من فجوة صغيرة على الهضبة الجنوبية وبقينا نقطعها حتى الساعة ٤٠٠هـ ، حيث هبطنا من شعيب الشعبة عائدين الى الفرات ثانية . وفي الساعة ١٢٠٠هـ خيمنا في حقول الهوره الزراعية . وهناك كان علينا ان نجفف ملابسنا المبللة . وكان سكرنا ناقعاً وسكايرنا كانت سوداء وتحول طحبنا الى عجين . .

في ٢٧ أيار سنة ١٩١٢ قوضنا المخيم في الساعة السادسة صباحاً . ورأينا الى الشرق على هضبة : قلعة جعبر . ترتفع في وسطها منارة رشيقة ، وامكن رؤية منارة ثانية الى الشمال منها (٥٢)

ان سهل الطبقة الخصب ، الذي كنا نخترقه الآن ، يتسع اتساعاً ملحوظاً . وذلك بسبب انحناء الفرات نحو الشمال . وفي ٧٢٢ شاهدنا على يسارنا خرائب بلدة صغيرة . كان شريط الارض القريب من النهر والمسمى حياوى العايد (أو العيبد) مغطى بنباتات السوس ، وكان ثمة اكوام من الجذور التي اقتلعت ترى في كل مكان . وفي ٧٣٨ شاهدنا على يسارنا في الاجراف الصخرية على

(٥٢) انظر كتاب المؤلف الذي سيصدر قريباً بعنوان ( بالمرنيا ) .



مسافة عشرة امتار تقريباً اسفل السطح ، بعض الكهوف الصناعية التي لا يتمكن المرء من دخولها الا ان يتدلى اليها بحبل ، ما لم يكن هناك ممر نقب في الصخر يُوصل اليها . وفي الساعة الثامنة ، بلغنا نهاية الاجراف التي تتحول هنا الى سفح صخري ، انتشرت عليه اكوام من الآجر القديم . وتوجد على هذا السفح بعض المواقف المتهللة وشواهد قبور قديمة وبرج بنات ابو هريرة المنصور الى الشمال منها . ويصنبح السفح . البرج اكثر انخفاصاً ، ويتحول من اتجاه شرقي وغربي الى شمال - الشمال الشرقي وجنوب - الجنوب الغربي ، مكوناً بذلك حدّاً لحوض ( المنصف ) الذي يوجد في قسمه الشمالي الغربي مشهد الشيخ ابر هريرة ، وقد ندنا لنا ابيض اللون ، بينما رأينا على فتوة صخري من الطرف الشمالي الشرقي لـ ( طرّق العطفة ) الذي يفصل شعيب المنصف من شعيب سلماس العريض ، فوق النهر مباشرة تقريباً ، وظهر لنا مخفر درك ابو هريرة وجدران خان ( نزل ) سوداء . وكان هناك خانان ( نزلان ) وبعض الاكواخ قرب المكان الذي توقفتنا بالقرب منه في الساعة ٩ر١٦ في حقول القرين . ( ٥٣ ) ( ٥٤ )

( ٥٣ ) قلعة جمبر تحدد موقع بلدة دوسر القديمة يروى فرونتو مجلد ٢ ، ص ١٠ ) ان فيرس استولى على بلدتي دوسر ، نيقيفوريم . ويقول اسطيغان البيزنطي ص ٢٢٢ / ان بلدة دوسرة تقع بقرب اديسا . ويروى بروكوبيوس في ( مجلد ٢ ص ٦ : ١٤ ) ان الامبراطور جستنيان الاول قام بتجديد قلعة دوسر . وبحسب رواية ابن خرداذبه ( المسالك ص ٧٤ ، ٩٨ ) تقع دوسر على الطريق من الرقة الى صنبح ، وايضا على الطريق من الرقة الى بالسوخلب . ويقول ابن القلانسي ( الدليل : ص ١٠٠ ) انه في سنة ١٠٦٨م توفي الامير جعبر حاكم دوسر ، وسمى الموضع قلعة جعبر نسبة اليه . ويذكر كمال الدين ( التاريخ - باربيه دي مينار ص ٦٠٥ ، ٦١٠ ، ٦١٥ فما بعدها ) انه في سنة ١١١٥م كان اسم حاكم قلعة جعبر مالك بن سالم ، وان هذا الحصن كان يسمى كذلك قلعة دوسر . ويروى ابن القلانسي في المصدر نفسه ص ٢٠٧ انه قد اشهر مطر شديد مع ريح عاصف على قلعة جعبر في ربيع سنة ١١٢٢ ، مما ادى الى تدير ٨٠٠ بيت في الضواحي . وفتدك . ويذكر ايضا انه في ١٥ اغسطس سنة ١١٤٦م قتل عماد الدين اتابك زنكي تحت قلعة دوسر ، ١٤١

التي كانت قد سميت عندئذ جعبر ، وهو من اصل صليبي ، خادما لدى عماد الدين .

يذكر وليم الصوري ( من ص ١٦ ) في تاريخه مجلد ١٦ ص ٧ بلدة محصنة على الفرات تسمى كالوكنبر ( قلعة جعبر ) .

ويروي ابن منقذ في الاعتبار ( طبعة درنبورك ص ٧٥ وما بعدها ) ان ابيه ارسل اسيرة صغيرة ، كانت ابنة احد الصليبيين ، الى صديقه حاكم قلعة جعبر الذي انجب ابناً منها . وهذا الابن الذي سماه بدران عينه خليفة من بعده . وبعد وفاة والده ، وبالاغتماد على مشورة امه ، قام بتدبير شؤون قلعة جعبر والمنطقة المجاورة ، التي تبعد عنها مسافة غير قليلة ، في وقت واحد . غير ان امه رغبت في الهرب كسبت ثقة بعض الاصدقاء الذين ساعدوها اول الامر على الهبوط من الاسوار بالحبل ثم صحبوها الى بلدة سروج ، التي كانت تحت حكم الصليبيين حينذاك . وتزوجت هناك برجل من الصليبيين ، وهو صانع احذية ، بينما كان ابنها حاكم قلعة جعبر .

ويقول هامر برغستال في ( مجلد ١ ص ٤٢ ) ان سليمان شاه رجع مع قبيلته في سنة ١٢٢٨م من شمال سوريا الى ارمينيا من الطريق الذي يخرج من حلب مخترقا جعبر . وعندما كان يعبر الفرات غرق مع فرسه ، ودفن في قلعة جعبر .

ويقول ابو الفدا ( التقويم ص ٢٧٧ ) ان قلعة جعبر كانت تسمى الدوسرية في الاصل ، لان الذي بناها هو دوسر خادم النعمان بن المنذر . وقد تولى حكمها فيما بعد رجل يسمى سابق الدين جعبر القشيري ، ومن هنا سميت جعبر . ثم تملكها ملككشاه السلجوقي . وكانت القلعة خرائب في عهد ابي الفدا . ولم تكن بها بيوت . وقد بنيت في صحراء وادي الرافدين فوق جرف صخري شاهق على الضفة الشمالية من الفرات بين بلدتي الرقة و بالس .

وبحسب رواية ابن الوردي ( التاريخ - بولاق مجلد ٢ ص ٣١١ ) وان قلعة جعبر هدمت في زمن هولاكو واعيد بناؤها سنة ٧٣٥هـ ( ١٣٣٤م - ١٣٣٥م ) من قبل الأمير سيف الدين ابوبكر البشيري حاكم حلب . ويصف خليل الظاهري ( الزبدة : رافيس ص ٥٠ ) قلعة جعبر بانها بلدة جليلة [ fine ] ولها قلعة حصينة والى جوارها قرى كثيرة . وهي تابعة لدائرة حلب السياسية .

( ٥٤ ) عن ابي هريرة انظر ايضاً فيما بعد ، ملحق ٩ والوقوف على تتمة وصف هذه الرحلة من ابي هريرة الى دمشق انظر كتاباً للمؤلف يصدر قريباً بعنوان بالمرينا ( وسيكون العدد ٤ من هذه السلسلة ) .

## القسم الثاني

١٩١٥



## الفصل الثامن في أطراف الحيرة

قمت في الفترة الممتدة بين كانون الاول سنة ١٩١٤ ونيسان سنة ١٩١٥ . برحلة جست خلالها بادية الشام وشمالى نجد (٥٥) . وكان الاشراف على الاجهزة العلمية ، لمحاولة المسح ، وتحديد العروض قد عهد بها الى كارل فالدمان ، احد موظفي المعهد الجغرافي العسكري بميتنا وكانت النيساق الاحدى عشرة ، التي استخدمنا بعضها للركوب وبعضها لحمل الامتعة ، في رعاية ناصر بن عبيد المغلوق . وكان صاحبنا الدائم وحاميها اثناء وجودنا بنجد : نازل بن ثيسان ، من ابناء عم رئيس عشيرة السنجارة ، وهو الذي قادنا الى النجف وأوصلنا اليها في الخامس من نيسان سنة ١٩١٥ . .

### بعثة الى دغيم بن براق

في ٦ نيسان سنة ١٩١٥ خيّم في الركن الشمالى الشرقى من مدينة النجف المحصنة . وبعد الساعة العاشرة صباحاً بقليل زارني قائم مقام النجف ، وجاءني خادمه كذلك بفرس معبّدة للركوب . ورجاني القائم مقام بان أقوم بمهمة المصالحة بينه وبين الزعيم دغيم بن براق ، اذ كان رجاله [ اذالك ] يطالبون النار على كل احد دركي يوجد خارج حدود المدينة : ولما كنت على

---

(٥٥) ان وصف هذا الجزء من الرحلة من دمشق الى الجوف قد ورد في كتاب للمؤلف بادية الشام ( وهو العدد ٢ من هذه السلسلة ) نيويورك ١٩٢٧ ص ٣٧٧ - ٤٧٤ ، اما الجزء الخاص بالرحلة من الجوف الى النجف خلال شمالى نجد فسياتي بيانه في الكتاب القادم للمؤلف بعنوان ( شمالى نجد ) وهو العدد ٥ من هذه السلسلة .

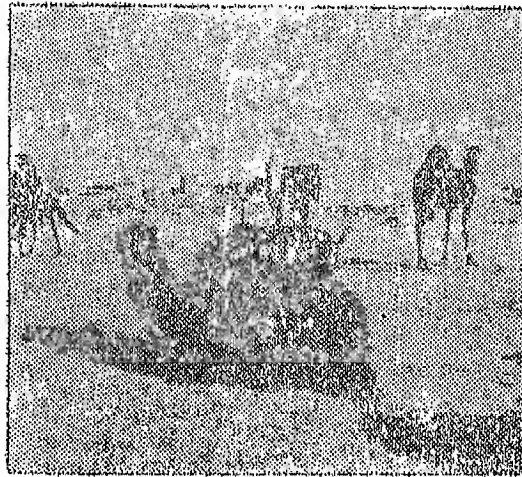
معرفة بعائلة دغيسم منذ سنة ١٩١٢ لنا وعادت القائ مقام بالذهاب لمقابلته .  
 وكان حرسى الوحيد نازل بن ثنيان ، رفيقي الأمين من اهل نجد ، ورجل من  
 الدرك ، الحقوه بنا ليحول دون أسرنا من قبل جنود الاتراك الذين ربما كانوا  
 يجوبون تلك البقاع . خرجنا في الساعة الحادية عشرة . . وظل الدركي  
 معه طول الوقت يبني وبين نازل لانه كان يخشى دون شك من رصاصه  
 تصيبه . وبحثت في اول الأمر عن دغيسم بقرب الفرات ، حيث كانت تخبئ  
 أسرته في نهاية نيسان سنة ١٩١٢ ، لكنه لم يكن هناك . وذهبنا بعدئذ الى  
 [ مستودعه ] وطرقتا الباب طرقةً شديداً ، وناديننا باعلى أصواتنا ، ولكن مامن  
 سامع أو مجيب . . لقد اختفى الرجال والنساء على السواء في اللحظة التي شعروا  
 فيها بقدومنا من بعيد إذ ظنوا عند رؤيتهم رجل الدرك بين اثنين من البدو ،  
 ان الحكومة انما ارسلتنا لإلحاق ضرر بهم .

واخيراً ترجلت ، وسرت وحيداً الى البساتين التي على الفرات ، وسألت  
 عن دغيسم . . وهنا لم يهرب أحدهم مني ولما علمت منهم أن دغيسم قد أقام  
 خيامه في الخرائب التي في الجنوب النري ، من الكوفة وجنوبي ( ترام ) الخيل  
 عادت الى اصحابي وامتطيت جوادتي ثانية ، ولم نلبث ان وجدنا خيمة دغيسم .  
 ولقد رحب بنا صاحب الدار من بعيد ، وأدخلنا خيمته وأمر النسوة بالحضار  
 العشاء لي ولنازل . اما الدركي فقد قيل له ان يعود الى النجف بالطريق .  
 السلطاني ولم يسمح له بالبقاء معنا الا بعد ان التمس ذلك من دغيسم ، قائلاً  
 انه دليلنا واننا مسؤولون عنه ، فأومأ الشيخ اليه بان يجلس في ركن من الخديسة .  
 ثم اذ اطلق لسانه بسيل من الشتاوى على الحكومة .

قال : ان الحكومة تكاد تسليخ جلودنا ونحن احياء . . بل انها تأسرنا  
 فعلاً وباسم ضريبة الحرب ، نستولى على حبوبنا ، وماذيتنا . ونخيلنا ، وترغدننا  
 على الالتحاق بالخدمة العسكرية . وعلى ذبح مبالغ متزايدة وباستمرار دون ان  
 ان تقدم لنا شيئاً في نظير ذلك . لقد زرعتنا الاراضي الواقعة بين الكوفة والجعارة  
 منذ عصور سحيقة . . وكانت ملكنا دائماً ، ملك اجدادنا ، وقد ورثناها

عنهم . واليوم تنوي الحكومة ان تأخذ هذا الممتلكات منا . وقبل عشر سنين قام فريق من اهل النجف ، وخاصة عبد الحسين ششترلي ، السيد مهدي ، وحسين الهجر اوي ، برشوة موظفي الحكومة للحصول على مستندات المالكية لأراضينا وتسجيلها باسمائهم . وقد كتبوا عنا هذا الأمر لتسع سنوات كاملة . اما الآن وبعد ان ازداد عدد الدرك في النجف ، واصبحت المنطقة المجاورة طريقاً مطروحاً للعسكريين ، فان هؤلاء الرجال يطالبوننا بالاعتراف بانهم المالكون الحقيقيون ، واننا مستأجرون فحسب . وتؤيدهم الحكومة في هذا الأمر الى حد أنها ارسلت الدرك ضدهم منذ حين . واني اسألك يا موسى : « هل هذا النوع من الحكومة يستحق القتال من اجله ؟ »

حاولت التخفيف عنه ووعدته بان اكون وسيطاً لدى السلطات سواء في النجف ام في بغداد لمعاملة رجال عشيرته بالعدل . ثم اتفقت معه بوضع نفسي تحت حمايته ، واتفقنا على ان يصاحبني هو أو اخوه الى القايم ، وهي قرية صغيرة على مسيرة يوم واحد جنوبي النجف .



(شكل ٣٣ - مقبرة شمال النجف)

وبعد عودتي الى المدينة عرضت شكوى دغيم على القائما . فقال بغير تحفظ : ان دغيم على حق فيما يقول ، غير ان اهل النجف لهم اصدقاء اقوياء

في كربلاء وبغداد على السواء ، وعلى كل حال فان الحكومة نفسها تحابى اهل المدينة دون الفلاحين ولا سيما الآن في وقت الحرب حين نرى الانكليز يحاولون استمالة السكان في المدن ، وتبذل أقصى جهدها للاحتفاظ برضا الاهلين في البلديتين المقدسيتين : مشهد علي ( النجف ) وكربلاء لان الانكليز يحاولون وقت الحرب ، استمالة سكان هاتين المدينتين . ونصحني آخر الأمر باستشارة متصرف كربلاء او والي بغداد بهذا الصدد ، اما هو نفسه فلا يستطيع عمل شيء .

وكان لا بد من استئذان القائسقام لترك أههم امتعني في منزله ، لاني على اي حال ، لا استطيع ان اعهد بكل شيء الى دغيم . فقد كانت المنطقة المجاورة للنجف آنذاك تعج بالهساريين من الخدمة العسكرية ، وكان بإمكان هؤلاء مهاجمة مخيم دغيم الصغير ليلاً بسهولة ، ونهب امتعني المودعة لديه . ووافق القائسقام على هذا بلا تردد . بل أنه استأجر فضلاً عن ذلك رجلين ليحملا امتعني الى منزله . وفي المساء حدثنا خط العرض .

في ٧ نيسان سنة ١٩١٥ أتاننا الشيخ وأخوه وخادمان للذهاب بنا عبر مقبرة النجف الى مخيمه الذي نقله الى موضع اقرب الى الفرات . ( شكل ٣٣ ) . والمخيم كان كله مؤلفاً من خمس خيام فقط ، اما بقية رجال عشيرته فكانوا يسكنون في اكواخ اقاموها حول البساتين . والى الشرق من مخيمنا ، الذي كان يقع في الشمال الشرقي من الكنيصرة والجنوب الشرقي من الكوفة ، شاهدنا نهراً قديماً كان يجلب الماء سابقاً من الفرات الى الخورنق . وعلى ضفته اليسرى توجد اكوام خرائب صغيرة (٥٦) .

(٥٦) اني اعتبر هذه الخرائب هي بلدة حروراء القديمة ، التي كانت تقع وفقاً لرواية ياقوت ( المعجم : مجلد ٢ ص ٢٤٦ ) وابي الفضائل ( المراسد : مجلد ١ ص ٢٩٧ ) على بعد ميلين من الكوفة حيث كان مخيم الخوارج في زمن علي بن ابي طالب (ع) ، ومن هنا كان اسمهم الخوارج . ويبين المسعودي ( التنبيه : ص ٣٨١ وما بعدها ) ان حروراء كانت تقع بين نهرين مقابل الخورنق .



وكان يزورنا كل يوم بعد غروب الشمس خمسة رجال مساحين عهد اليهم بحراسة الخيام من الهاربين من الجندية . وكان دغيم — لشدة بغضه للحكومة — كثيراً ما يادعو عليها بالدمار . وكان شديد الكراهية للانكليز .

وفي المساء جاءنا احد تجار الحمير والخيول بخمسة حمير وحصان واحد لرحلتنا القادمة الى القايم ، واذا امكن ، الى (ابو غار) كذلك . ولم يمكن استخدام الجمال لهذه الرحلة لان طريقنا يقودنا عبر مزارع مروية وسواقي عميقة مملوءة ماء وذات ضفاف زلقة ، يتعذر على الجمال السير فيها . . . وفضلاً عن ذلك فان الفلاحين لا بد ان يحسبونا بلدواً ، ويهاجمونا . لذلك عزمنا على الركوب بالطريقة التي يركب بها الفلاحون انفسهم . . .

وفي الليل رقص الحراس رقصاتهم الحربية ، ( ديكات ) يضربون الارض باقدامهم ، ويصفقون ، ويغنون ، ويقصون الحكايات حتى مطلع الفجر ، وكان الغرض من هذه الجلبة والضوضاء تحذير قطاع الطرق وإبعادهم عنا ولكنها حرمتنا لذة النوم ايضاً . .

### زيارة الى الخورنق، وابو صخير

٨ نيسان سنة ١٩١٥ . . . بدأنا رحلتنا على ظهور الحمير في الساعة ٨.٠٥ صباحاً قاصدين الخورنق : سائرين أولاً في اتجاه غربي — جنوبي غربي وفي الساعة ٨.١٣ عبرنا نهراً قديماً نصف مملو ، يمتد نحو الجنوب الشرقي . في ٨.٥٠ مررنا بخط مستمر من اكوام كبيرة تتكلس فيها مواد بناء قديمة ويقع عند الطرف الغربي من هذا الخط أعلى هذه الاكوام ويسمى ام فشيعة (ام طلقة) وجميعها تكون اطراف بلدة الحيرة القديمة . اما بلدة النجف القديمة ، التي نشأت منها المدينة الحاضرة فتقع بالقرب من الحيرة ، وتكون ضاحية على طريق دومة (٥٧)

(٥٧) ( انظر ص ٩٨ — ٩٩ ) كانت الحيرة تتكون من احياء مختلفة تسمى القصور تفصل بينها ساتين تغطي مساحة كبيرة . وكان مركز البلدة

في موقع خربة الكنيدرة ، وبصورة أدق الى جنوبها بعض الشيء ، وذلك لان هذا الموضع يقع على بعد خمسة كيلومترات من الكوفة والخورنق على السواء ، وعشرة كيلومترات من النجف ، وتنطبق هذه المسافات بالدقة على ماورد في المصادر العربية .

ويروي كلوكس ( شذرات ص ٤٠٩ ) واسطيفان البيزنطي ( ص ٢٧٦ ) أن كانت بلدة بارثية على الفرات .

ويقول الطبري ( التاريخ : سلسلة ١ ص ٧٤٨ فمابعدھا ) أن الحيرة بنيت للتجار العرب . وفيها نزلت تنوخ ، كما نزلت في الانبار وفي جميع القرى القريبة الواقعة على ضفاف النهر ، حيث اقامت في اكواخ بنيت من اغصان الشجر وفي خيام من الشعر وليس في بيوت من الطين .

ويقول حمزة الاصفهاني ( التاريخ : ص ١١٣ ) انه لم يمت في الحيرة احد من الملوك ، ماعدا قابوس بن المنذر . اما الباكون فانهم هلكوا جميعاً اما في غارة او صيد واما اتناء زيارتهم للمناطق المستقرة ، وذلك لصحة هواء هذه البلدة . ومن اقوالهم المأثورة ان نوم ليلة في الحيرة أنجع من كل دواء . .

وجرى التوقيع على قرار المجمع الكنسي النسطوري لسنة ٤١٠م من قبل هوشع اسقف حيرتا مع آخرين . ( شابو - سينودكن - ١٩٠٢ ص ٣٦ ) .

وفي سنة ٢٤٤م كان اسقف حيرتا رجلاً يسمى شمعون ، وكانت حيرتا [ اذذاك ] تابعة الى بدو طيايه ( المصدر نفسه ص ٤٣ ) . وفي سنة ٨٦م كان شمعون آخر اساقفة حيرتا ( المصدر نفسه ص ٥٣ ) . وفي سنة ٩٧م كان رجل يسمى الياس هو اسقف حيرتا ( المصدر نفسه ص ٦٢ ) .

وفي سنة ٥٨٥م كان اسم الاسقف : يوسف ( نفس المصدر ص ١٦٤ ) ، واسم خلفه : شمعون . وعقب ٥٩٤ - ٥٩٥م بوقت قصير وصل الجاثليق ايشوعيا بهارباً الى قرية بيت قوش ومات هناك . وقد حملت هند ابنة النعمان جثمانه ، يصحبها القس وابناء العقيدة الى بلدة الحيرة حيث دفنوه

ويروي الطبري ( سلسلة ١ ص ٢٠٥٦ ) نقلاً عن سيف : ان خالد بن الوليد امضى سنة كاملة في الحيرة وقام بغارات كثيرة منها قبل رحيله الى الشام .

في سنة ٧٩٠ ذكروا ان رجلا يقال له يوثيل كان اسقف الحيرة ويضيف ابن الفقيه ( البلدان : ص ١٨١ ) بلدة الحيرة البيضاء الى مدينة الكوفة ، ويقول انها كانت فيما مضى محل اقامة ملوكهم ، وذلك لحسن موقعها وصحة هوائها .

ابن رسته ( الأعلاق ص ٣٠٩ ) يجعل المسافة من الكوفة الى الحيرة ثلاثة أميال . ويقول ان الحيرة بنيت على النجف ، والنجف ، كان ساحل بحر الملح وكان في قديم الدهر يبلغ الحيرة ... والخورنق بالقرب منها مما يلي المشرق وبينه وبين الحيرة ثلاثة أميال والسدير في برية تقرب منها .

يقول الاصطخري ( المسالك ص ٨٢ ) الحيرة مدينة جاهلية طيبة التربة مفترشة البناء كبيرة الا انها خلت عن الامل لما عمرت الكوفة وهواؤها وترابها اصبح من الكوفة بينها وبين الكوفة نحو فرسخ . وقريب من الكوفة قبر علي (ع) وقد اختلف في مكانه فقيل انه في زاوية على باب جامع الكوفة ومنهم من زعم انه من الكوفة على فرسخين وعليه قنطرة وآثار المثار .

وزيد ابن حوقل على ذلك ( المسالك : ص ١٦٣ ) وقد شهر ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان هذا المكان وجعل عليه حصارا منيعا . وابنتى على القبر قبة عظيمة مرتفعة الاركان من كل جانب لها ابواب وسترها بفأخر الستور وفرشها بثمانين الحصر السامان . وقد دفن في هذا المكان المذكور جلة اولاده ، وسادات آل ابي طالب من خارج القبة وجعلت الناحية مما دون الحصار الكبير تربا لآل ابي طالب .

وبروى الشابشتي ( الديارات : مخطوطة برلين ، ورقة ١٠٣ يمين وما بعدها ) ان ديارات الاساقف بالنجف ، بظاهر الكوفة ، وهو أول الحيرة . وهي قباب وقصور . وبحضرتها نهر يعرف بالفدير . عن يمينه قصر ابي الخصيب ، مولى ابي جعفر ، وعن شماله السدير ، وبين ذلك الديارات . وقصر ابي الخصيب هذا احدى متنزعات الدنيا . وهو مشرف على النجف وعلى ذلك الظهر . ويصعد من أسفله على درجة طولها خمسون مرقاة الى سطح حسن ومجلس ، فيشرف الناظر على النجف مرقاة الى سطح أفيح ومجلس عجيب . وابو الخصيب هذا مولى ابي جعفر المنصور وحاجبه . والسدير قصر عظيم من ابنية ملوك لخم في قديم الزمان .

\* \* \* \* \*

ومن هذه الابنية : المسقطات . وهو قصر في ازاج مستطيلة مسقطة شرقي الحيرة على طريق الحاج . ثم القصر . ثم كوة البقال . ثم المدسين ثم القصر الابيض . ثم قصر نني بقيلة . . . ومن بعده دار عون ، وهي ما يلي النجف فهذه هي قصور الحيرة الباقية الان .  
وقبة الشتيق من الابنية القديمة بالحيرة ، على طريق الحاج . وبازائها قباب يقال لها الشكورة ، جميعها للنصاري . فيخرجون يوم عيدهم من الشكورة الى القبة ، في احسن زي ، عليهم الصلبان ، بأيديهم المجامر ، والشماسسة والقسان معهم يقدسون [ على نغم واحد متفق في الالحن ] ، ويتبعهم خلق كثير من متطربي المسلمين وأهل البطالة ، الى أن يبلغوا قبة الشتيق .

ودير ابن مزعوق بالحيرة ، في وسطها ، [ قريب دير الحريق ] وهو دير كثير الرهبان ، حسن العمارة ، احد المتنزهات المقصودة والاماكن الموصوفة .

ودير هند ، بنت هذا الدير هند بنت النعمان بن المندر بالحيرة ، وترهبت فيه وسكنته دهرا طويلا ، ثم عميت . وهذا الدير من أعظم ديارات الحيرة وأعمرها . وهو بين الخندق وحصراه بكر .

ونهر الفدير الذي ذكره الشابستي لايزال قائما . ويتفرع من الفرات في بساتين الجعارة ، ويجري بحذاء لحف النجف الصخري نحو الشمال الغربي ، وينتهي في منخفض يمتليء من وادي الخسر ، بعد سقوط امطار غزيرة ، ويحدد موقع قصر ابي الخصيب في الخرائب الواقعة شمال النهر على حافة الاجراف على نحو عشرة كيلومترات جنوبي شرق النجف ، والى الجنوب منه ، على الجانب الشمالي من النهر توجد خربة صغيرة في بستان ، وهي على الأرجح بقية قصر السدير . وكان طريق الحاج القديم يصل من الكوفة الى الخورنق مباشرة ، اي الى شرق الحيرة كما يلاحظ الشابستي . وكان دير هند أو كما يقول ابن الاثير ( الكامل : مجلد ١ ص ٣١٥ ، ٢٧٥ ) دير بني هند يقع شمالي الحيرة فقد ذكروا ان موقع ديار بني مريثة كان بين دير بني هند والكوفة .

في ١٩ نوفمبر ١٠١٣م انتخب يوحنا اسقف الحيرة ليكون جاثليقا ديلابورت ( اكابر الكنيسة النسطورية ص ٣٨١ سنة ١٩٠٩ ) ويروي ابو الفدا ( التقويم : ص ٢٩٩ ) ان مدينة الحيرة بنيت قبل عهد النبي محمد (ص) على مسافة نحو فرسخ واحد من الكوفة ، في

==

ومن الممكن زراعة سهل الجرعاء . الذي كنا نجتازه الآن ، وبلغنا نهايته الجنوبية في ٩٠٥ ، اذا ما رُوي رياً كافياً (٥٨) .

والى الاسفل من هذا السهل عند لحف سفح صخري يهبط الى السهل الفيضي من ناحية الجنوب . يمتد نهر من الشرق الى الغرب . وسرنا على حافة الاجراف باتجاه جنوبي شرقي . وفي ٩٣٢ ظهر على يميننا اخلدود قصير عميق ، كما ظهر على صخور فوق ضفته اليسرى كدس آجر قديم . وينحدر هذا الاخلدود من ربوة خرائب الكيلدة . وفي الساعة العاشرة شاهدنا على يميننا عند اسفل الاجراف خربة صغيرة نوعاً ما تسمى خيط السلام . وفي ١٠١٥ رأينا على اليمين وعلى حافة الاجراف مباشرة خربة صغيرة ، كما رأينا في الساعة ١٠٢٠ خربة أخرى على الضفة اليمنى من الاخلدود . وفي ١٠٢٥ انحدرنا الى نهر عريض يبدأ من الجهة الشمالية الشرقية . وكانت تمتد على يميننا ، شرقي النهر ، بقايا بعض المباني الى مسافة له بعيدة تصل حتى خربة الخورنق (٥٩) - حيث القينا الرحال في الساعة ١٠٣٥ .

وسط انهار متعددة : وبحسب روايات أخرى كانت تبعد ثلاثة اميال . وكان يسكن المدينة سلالة النعمان بن المنذر ، ومن هؤلاء المنذر بن امرئ القيس الذي تنصر . . وقد بنى كنيستين كبيرتين في الحيرة ، وهذه المدينة تقع بالقرب من موضع يسمى النجف . وكان القدماء يعتقدون ان الخليج العربي في وقت ما وصل الى هذا المكان . (٥٨) ويطلق ياقوت في معجمه ( م ٢ ص ٦٢ ) اسم الجرعاء على السهل الرملى بقرب الكوفة ، الذي يمتد - على ما ذكر ابو حذيفة في كتابه « فتوح الشام » - بين النجفة والحيرة وحيث خيم خالد اثناء قدومه الى العراق . وفي هذا السهل نفسه تنازع اهل الكوفة مع العامل الذي بعث به الخليفة عثمان اليهم بخلاف رغبتهم الطبري : المصدر نفسه سلسلة ١ ص ٢٩٣٤ ، ٣٤٠٩ ) .

لم يعتبر ياقوت ولا الطبري كلمة الجرعاء من اسماء الاعلام ، وانما جعلها لفظاً يدل على السهل الحجري الخالص من النبات . [ والواقع ] ان سهلاً محرقاً كهذا يمتد على الهضبة التي بين موقعي الحيرة والنجف . (٥٩) حتى عام ٦٨٦ - ٦٨٨ م كان المسيحيون لا يزالون يعيشون عند الخورنق ( الطبري : التاريخ : سلسلة ٢ ص ٧٦٠ ) . وفي سنة ٦٩٠ - ٦٩١ م

\* \* \* \* \*

قام الخليفة عبد الملك بزيارة للكونة وأولم وليمة لاهلها عند الخورنق ( المصدر السابق سلسلة ٢ ص ٨١٩ وما بعدها ، ابن خلدون ، العبر : م ٣ ص ٣٤ وما يليها ) .

وروى البلاذري في فتوحه ( س ٢٨٧ وما يليها ) واما الخورنق فكان قديما فارسيا بناه النعمان بن امرئ القيس . . . فلما ظهرت المباركة ( العباسية ) احدث ابراهيم بن سلمة فيه الخورنق في خلافة ابي العباس ولم تكن قبل ذلك .

وكانت الاراضي المحيطة بالخورنق تزدهو بجمالها خاصة في الربيع ، اذ تغطيها الازهار من جميع الانواع ( الاغاني : ابو الفرج م ١٢ ص ١١٣ ) . ويذكر اليعقوبي ( البلدان : ص ٣٠٩ ) ان الخورنق بالقرب من الحيرة مما يلي المشرق وبينه وبين الحيرة ثلاثة اميل والسدير في ابرية تقرب منها .

ويحكى المسعودي في التنبيه ( ص ٣٨١ وما بعدها ) ان ابا طاهر زعيم القرامطة نزل الموقع المعروف بالخورنق وحازها في اوائل كانون الاول ( ديسمبر ) ٩٢٧ م ، ونزل ابن ابي الساج في اليوم الثاني بالقرب منه في الموضع المعروف بين النهرين مما يلي القرية المعروفة بحروراء . ولم يلبث ان نشبت المعركة بينهما عند بلدة ، انتصر فيها القرامطة ، الذين ساروا بعد ذلك من طريق الكوفة الى الانبار . - وبين النهرين - من غيرشك - هو السهل الفيضي الضيق بين نهر الخورنق القديم والغرات في الوقت الحاضر ، الذي يجري شرقي الكوفة وابي صخير . اما الحروراء القديم فيمكن ان تكون الخرائب الواقعة عند مخزن ابن براق [البضائع] وعلى نحو خمسة كيلومترات جنوبي مدينة الكوفة الحديثة ، وعشرة كيلومترات شمالي الخورنق ( انظر ماسبق ص ٣٢ هامش ٥٦ ) .

ويقول الاصطخري ( المسالك ص ٨٢ ) وابن حوقل ( المسالك ص ١٦٣ ) ان القادسية والحيرة والخورنق هي على طرف البادية مما يلي الغرب ويحيط بها مما يلي المشرق النخيل والانهار والزروع . ويصف ياقوت الخورنق ( المعجم : فستنفلد ، م ٢ ص ٤٩١ وما بعدها ) بانه قصر بناه المعمار البيزنطي سمنار للنعمان امرئ القيس ، واستغرق بناؤه ستين عاما . وصعد النعمان ذات مرة الى سطح قصره ، ونظر الى البحيرة التي امامه ، ثم الى الصحراء الممتدة ماوراءها ، فرأى انواع الحيوانات على حقيقتها : ما عاش منها في الماء وما عاش منها على اليابسة على السواء ، وكذلك اشجار النخيل . وفي احدى المرات كان جالسا في الخورنق يتمتع نظره بما حوله فرأى الى جهة الغرب هضبة النجف

ومنبسطة فسيحا نفطيه الجنائن وبساتين النخيل : تجري خلالها الجداول ،  
والى الشرق : نهر الفرات الذي احاط بقصره كالخندق ، فاخذته الدهشة  
لما رأى من جمال المنظر .

ويقول ياقوت ( المصدر نفسه مجلد ٣ ص ٢١٨ ، وابو الفضائل :  
المراسد مجلد ٢ ص ٨٠ ) ان الخورنق يقع على الطريق الموصل من  
القادسية مارا على السيلحون الى الكوفة - واحدد موقع السيلحون  
عند الحافة الشرقية من بستان دسم القرب من بساتين جعارة . وكان  
طريق الحاج قديما يحاذي سلسلة قليلة الارتفاع تمتد من هذه النقطة  
ويؤدى من القادسية الى الجنوب الغربي متحاشيا المستنقعات . وبني  
عند بلدة السيلحون جسر من قوارب على جدول الحوض .

ويبين ياقوت ( المصدر نفسه مجلد ٢ ص ٣٧٥ ) ان الخورنق يقع على  
مسافة ميل واحد تقريبا شرقي الحيرة بينما يقوم السدير في وسط  
البادية التي بين الحيرة الشام . وهذه العبارة غير صحيحة ، لانها تربط  
بين قصر السدير وسهل السدير . وكان قصر السدير يقوم في السهل  
الفيضي جنوبي قصر ابي الخصيب ، اما سهل السدير فكان يمتد جنوبي  
بلدة كسكر على الطريق من الكوفة الى البصرة ( المصدر السابق مجلد ٣  
ص ٦١ ) . ويطلق ابن الفقيه ( البلدان ص ١٨٧ ) اسم السدير على  
جميع المنطقة التي بين نهر الخيرة ، والنجف ، وكسكر .

ويقول ياقوت ( المصدر نفسه مجلد ٢ ص ٦٤٢ ، ٦٩٢ ومجلد ١ ص ١٠٧ -  
وابو الفضائل : المصدر نفسه مجلد ٢ ص ٤١٨ ) ان القصر التابع لابي  
الخصيب ، وهو احد رجال بلاط الخليفة المنصور ، قد بني في ضاحية  
الكوفة على طرف هضبة النجف ، غير بعيد من السدير ، بقرب ديارات  
الاساقفة . وهذه الديارات كانت تتكون من مشاهد ومجموعات قصور  
مسورة . ويجري جدول الفدير الى اسفل منها ويقع قصر ابي الخصيب  
على ضفته اليمنى والسدير على ضفته اليسرى . وقد بنت اسرة المناذرة  
دسر مارة مريم بين قصر ابي الخطيب والخورنق والسدير ،  
ويحتمل ان تكون اما على حافة الهضبة أو في اسفلها - ومن الممكن ان  
تكون خرائب حيط السلام هي ما بقي من مارة مريم .

وقد سافر ابن بطوطة ( التحفة مجلد ٢ ص ١ وما بعدها ) من مشهد  
علي الى البصرة من طريق الخورنق في حماية قبيلة خفاجة التي كانت تملك

يبلغ طول هذه الخربة ( شكل ١٤ ) من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ستين خطوة . وهي مستديرة الشكل من جهتها الجنوبية الغربية وقد اخذت جميع مواد البناء الصالحة فيها او انها تؤخذ الآن . وتنقل . . . . . والمنظر الطبيعي جميل في هذه المنطقة . فإلى الغرب ، الى يمين مدينة النجف . تُشاهد مرفعات صفراء تعلو في صحراء مقفرة ، وإلى الشمال والشرق مجموعات أكواخ صغيرة وكبيرة تظللها اشجار نخيل باسقة واشجار صفصاف وارفة .

واصبح بالامكان رؤية لمعان سطح الفرات هنا وهناك ، وتترأى برهة اشعة لتختفي في لحظة أخرى بين الاشجار . وإلى الجنوب يمتد سهل خصيب كأنه حديقة واسعة يحدّها الفرات من الشرق ، اما من ناحية الشمال فتحدها أجراف النجف الصخرية الوردية اللون ، ومن الغرب والجنوب الغربي صحور بيضاء وكثبان رملية تعكس اشعة الشمس بصورة مؤذية للعين متى ركزت البصر عليها ولو لفترة قصيرة . وهواء الخورنق كان صحياً على الدوام لأن الرياح تهبّ طليقة من جميع الجهات دون مانع يعترضها .

غادرنا الخورنق في الساعة ١١:٣٢ ومررنا فوق سطح ( ذيب الشياحة ) الى الجنوب الشرقي وفي الساعة الثانية عشرة شاهدنا اكواخاً ومسجد قرية

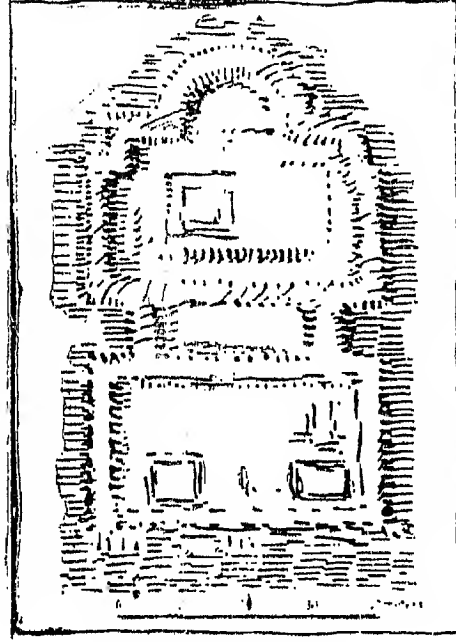
الاراضي المجاورة بأسرها . وشاهد ابن بطوطة في الخورنق بقايا مختلفة لبعض المشاهد في سهل فسيح بقرب نهر يخرج من الفرات . ومن هناك ذهب الى قايم الوانق .

ويذكر ابو الفدا ( التقيوم : ص ٢٩١ وما بعدها ) ان بعضهم يقول ان الخورنق نهر في منطقة الكوفة ، ويقول آخرون انها قصر .

وينكر ابو الفضائل ( المصدر السابق مجلد ١ ص ٣٧٣ ) ان يكون الخورنق نهر ، ويؤكد انه كان قصراً لايزال قائماً في الاراضي المجاورة للحيرة . كما انه لايزال يمكن رؤية نهر يجري قريباً جداً من قصر الخورنق من الجنوب الغربي ، لعله كان في وقت سابق يسمى الخورنق ايضاً .



ابو صخير ، وكلها مبنية بالطين . وفي هذه القرية مقرّ القائمقام . وتسمى البساتين هناك بالجّعارة ، ويطلق هذا الاسم ايضاً على السدّ الذي يقع فيها الى الجنوب



( شكل ٣٤ - الخورنق )

الشرقي من قرية المزيريق وكانت على يميننا في الساعة ١٢٠٩ بعد الزوال خربة قديمة . وفي الساعة ١٢٣٢ توقفنا امام مقرّ الحكومة في القرية ، وهو مبنى ذو طابق واحد مشيد باللبن . وهناك في الجانب الغربي باب يؤدي الى داخل فناء محاط بعمود قائمة على اعمدة : وفي الجانب الشمالي يوجد السجن . غادرنا ابو صخير في الساعة الواحدة بعد الزوال بطريق الحج القديم الذي يسير محاذياً الضفة الفرات اليمنى . واتجهنا الى معيمنتنا الاسلي بقرب الكوفة . وفي ١٥٠ شاهدنا على اليمين قرية ابو جزيرة الصغيرة . وفي ٣١٨ وصلنا الى خيامنا . وبدأنا فوراً اعداد رحلتنا الى القايم .

ولم تفكر في تلك اللحظة بزياره ابو غار لنشوب الحرب آنذاك بين سكان بلدة السماوة والحكومة ، وبين عشيرتي الخزاعل وزياد كذلك . ولما كانت عشائر ابن براق ، والشبل ، والغزالات ، التي تعمل بزراعة الاراضي الواقعة شمالي السماوة ، تمت الى الخزاعل بصله قري . فقد كان هناك اكثر من سبب يحملنا على الشك في إمكان الحصول على حماية من احد : شمالي السماوة ، ضد زياد والقبائل المتحالفة معهم .

وفيما يلي عشائر بني سلامة : وهم فرع من قبيلة الخزاعل ، او كما يسمونه احياناً : المعدان

المسعود ويخيمون في الاراضي القريبة من كربلاء و ( ورئيسهم : مسعود بن الهيثمي )

المغار — ويخيمون في الاراضي الواقعة شرقي البرية

الغزالات . . .

الشبل —

بني حسن —

فسمية —

والعشائر الاربع الاخيرة في هذا النهر يخيمون في الجنوب الشرقي من وادي الخرق وقريه القايم . والى جنوب بني سلامة يخيم العجيب ، والزياد ، والبدور ورئيس مشايخ الباور هو شرشاب بن زويد .

ينحدر بنو زياد من الكركية ، السدين ينتسبون الى فحطسان ورئيس مشايخهم هو عزارة بن جنديل [ قنديل ] وخيامهم تمتد حتى عين صياء . وفي سنوات الوفرة والخير ( الربيع ) يرحلون بقطعانهم الى الصحراء حيث ترعى ماشيتهم في حماية قسائل الضفير . والفاير . وشمر ، أو عنيزة : ويأخذ الشيخ الذي يتولى حمايتهم نعمة مع وليها من كل خيمة . وفي أيار يعودون بقطعانهم ، والزبد والصوف الى الفرات .

### من مخيمنا قرب الكوفة الى القادسية

في ٩ نيسان سنة ١٩١٥ ، في الساعة ٧ ر ٥ صباحاً بدأنا رحلتنا الى القايم ، وكان يصحبنا اخو دغيم ومعين . وظلّ معيني فاصر مع الخيام لرعاية الجمال وحراسة جزء من امتعتنا . وفي ١٥ ر ٧ عبرنا نهراً عريضاً قديماً . وفي ١٤ ر ٧ كانت خربة فشيشجة على يميننا . وفي ٢٠ ر ٨ سرنا على ( درب القطعة ) ، وفي ٣٥ ر ٨ على درب ابو صخير ، وفي ٤٥ ر ٨ بلغنا ضواحي النجف ، التي بقيت على يميننا . وفوق حيطانها وسلطوحها تألقت القبة الذهبية لمشهد الامام علي وكانت تُرى من مناطق واسعة بعيدة .

وبالقرب من طريق البحرة ( بحر النجف ) هبطنا في الساعة التاسعة من أجراف النجف الى نهر يأخذ المياء من الفرات باتجاه شمالي غربي الى المدينة مباشرة . وفي ١٢ ر ٩ توقفنا لسقاية الحيوانات ولملئ اثنين من قربنا الصغيرة .

وسرنا في الساعة العاشرة الى جهة الجنوب الغربي خلال حقول بحيرة الزراعة الخصبة . وكانت هذه في اوائل العقد الأخير من القرن التاسع عشر بحيرة تغمرها المياه كلما طامس الفرات وثناء زيارتنا هذه كان بناء سد السادة قد تمّ أخيراً فجئنا المياه ونحرت البحيرة الى اراضٍ خصبة ، قلعتنا يغمرها ماء السيح المتدفق من وادي الخر . واذا حدث ذلك فلا يلوم اكثر من بضعة أيام . وتقع أوطاً نقطة فيه الى الجنوب الغربي من النجف . الى الغرب من آخر بستان للنبيل . . ولقد حرّك السهل برمته الى حقول وبساتين للنبيل . وكانت تُشاهد هنا وهناك ( قصور ) مستطيلة او افنية واماكن سكن الفلاحين وتحيط بكلّ قصر من الخارج جدران من اللبن قريبة الشبه بأسوار البحصين ، وفيها ( باب ) واحد ، يؤدي الى فناء الدار . حيث بُنيت الاكواخ والمستطيلات بسطوحها المسنوية . بمحاذاة الجدران . وكلما اقتربت جماعة صغيرة من الجند الى مثل هذه المزرعة يُحكم الناس الذين في الداخل اغلاق الباب ، ويصعدون الى السطوح . ويرصدون من المنحلات [ الكوات ] حركات الضيوف غير المرغوب فيهم .

ويمرّ طريق البحرة على سواقي ري كثيرة وكانت في هذا الفصل ،  
الذي نضجت فيه الحبوب ، مملوءة بالماء . ولم تكن هناك جسور ، ولم تستطع  
حميرنا الوثوب الى جانبيها الآخر اذ كانت جميعها محملة بأمتعة مختلفة :  
لهذا تحولنا قليلاً الى الجنوب عند (قصر الدعم) للخروج من هذه الحقول .  
وبعد استراحة في قرية الجلابات من ٥٥ ر ١٠ الى ٣٠ ر ١١ اتجهنا الى الجنوب  
تقريباً . وفي الساعة الثانية عشرة مررنا خلال بضعة خرائب مغطاة بطبقة سميكة  
من الرمل .

في الساعة ٥٥ ر ١٢ بعد الظهر شاهدنا الى الجنوب الغربي : القصايم ،  
مفردها القصيمة وهي رمال سفتها الرياح . وتكون هذه خطّ كثبان عالية منبسطة  
السطح يمتدّ من جنوب - الجنوب الشرقي الى شمال - الشمال الغربي .  
وفيما وراء ذلك غرباً قام قصر الطريفاي . وقصر حسو عبيد ، والى  
شمالهما قصر المزيراوي . وفي شرقي الأخير قصر الشقيج وقصر المظلموم .  
وفي الساعة ٤٥ ر ١٢ عبرنا نهر المدائن الذي يأخذ ماءه من هور المشخاب .  
وتستعمل كلمة ( الهور ) في منطقة الفرات للدلالة على البقاع المنخفضة التي  
يملؤها النهر بالماء من حين الى حين . وفي الساعة الواحدة وطئت اقدامنا نطاق  
الكثبان المعروف بقصيمة أمّ غزلان . ويتفرع هذا النطاق من كثبان الرمل الواقعة الى  
الشرق المسماة قصيمة ام نصبة . [ ناصبة ] وفي ٠٥ ر بعد ان غادرنا الأراضي  
الغرينية الغنية وتابعنا السير على أرض صخرية ينتهي فيها شعيب الاميلح ،  
دخلنا طريق الحج الجديد الذي يؤدي من الكوفة الى مكة ماراً بالقادسية .  
وبعد الساعة ٢٨ ر ١٤ اخترقنا ارضاً غرينية مستنقعة تتغلغل بين تلال صغيرة  
تقع في الجهة الغربية . وفي ٤٠ ر وصلنا الى ( غدير المقصورة ) الواقع في  
فرع مجرى شعيب الحسيب . وكانت الحقول المحيطة به كلها مزروعة .  
وشاهدنا الى الجنوب الشرقي ( ١٥ ) نخلة باسقة ، وبالقرب منها بقايا جدران .  
والى الشمال الشرقي من النخيل قامت بعض اكوام آجر قديم . وهي بقايا أبنية

وبقايا بعض الحيطان . وهذا كل ما كان يمكن رؤيته من محطة الحجاج في القادسية . وقد وصلنا إليها في الساعة ٣٨ ر ٣ بعد الزوال (٦٠) .

(٦٠) ويؤكد الشاعر المتلمس ( الديوان - فولرز ص ٢٠٠ وما بعدها ) ان ملوك الحيرة كانوا يملكون : السدير ، والبارق ، والمبيض ، والخورنق وقصر السنداد ، والفمر بالقرب من آبار الانساء ، والشعلبية جميعها . ويذكر الهمداني ( الصفة - ملر - ص ٢٣٠ ) القادسية بدلا من الشعلبية . والقادسية هي القراءة الصحيحة . فقد كانت الشعلبية محطة بسيطة فيها آبار وليس بها بساتين ، ولهذا من العسير ان نفهم لماذا اضاف الشاعر قوله : ان « جميعها » كانت ملكا للملك ، او ان الملك كانت له املاك خاصة به في منطقة نائية على حدود الاراضي التي تملكها قبائل لم تخضع خضوعا تاما لنفوذه قط .

ولما كانت القادسية ، من جهة اخرى ، محاطة ببساتين واسعة الارحاء ، فمن الواضح ان الشاعر عند اشارته الى هذه البلدة احتاج الى ان يبين ان ملك الحيرة كان مالك البلدة « جميعها » والبساتين التي حوالها . وفي سنة ٧٦٢ - ٧٦٣ م احتل ابن معقل القادسية ليمنع اهل الكوفة من مناصرة الثوار في البصرة . ( اعتاد اهل الكوفة الذهاب الى البصرة من طريق القادسية ، والعذيب ، ووادي السباع ، ثم يخترقون صحراء البصرة ) ولم يلبث ابن معقل حتى اتاه الخبر من اهل موضع يسمى الشراف ، على بعد ميلين شمالي محطة الواقعة ، بان اثني عشر رجلا من الكوفة كانوا يقيمون في وادي السباع . فتبعهم ابن معقل ، ولحق بهم عند خفان على اربعة فراسخ من القادسية ، وقتلهم هناك . ( الطبري : التاريخ سلسلة ٣ ص ٢٩٥ ) .

ويذكر ابن حوقل ( المسالك ص ١٦٣ ) ان القادسية مدينة على شفير البادية صغيرة ذات نخيل ومياه ، ويزرع بها الرطاب الكثيرة ويتخذ منه القتل علفا لجمال الحاج وغيرها .

ويذكر المقدسي ايضا ، احسن التقاسيم ( ديخويه ) ص ١١٧ ، ان القادسية مدينة على سيف البادية تعمر ايام الحج ويحمل اليها كل خير لها بابان وحصن طين . وقد شق لهم نهر من الفرات الى حوض على باب بغداد ، وثم عيون عذبية وماء اخر يجرونه عند باب البادية ايام الحج وهي سوق واحد الجامع فيه .



( شكل ٣٥ - القادسية من الشمال )

### القادسية الى الرجة

الى الجنوب الغربيّ ظهرت قلعة الرجة المعروفة بقصر السيد . وقد وصلنا اليها في الساعة الرابعة بعد مرورنا بحقول زراعية خصبة ، ونصبنا الخيام في الجانب الشمالي منها .

وقلعة الرجة (١٦٠) لا يسكنها غير الفلاحين وتوجد خارج الباب الشمالي بعض الاكواخ ومزرعة صغيرة .

(٦٠) ويذكر الشابشتي في الديارات ( مخطوطة برلين ) ورقة ١٠٢ الجهة اليسرى ، ان دير سرجيس كان بطير ناباذ بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق وبينها وبين القادسية ميل . وكانت ارضه محفوفة بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر . وكانت احد البقاع المقصودة والنزه الموصوقة .

وقد خرجت الان وبطلت وعفت آثارها وتهدمت آبارها ، ولم يبق من جميع رسومها الاقباب خراب وحجر على قارعة الطريق تسميه الناس معصرة ابي نؤاس .

=

واسرع اليها صاحب المزرعة ورجانا النزول عنده ، اذ كان في هذه المنطقة كثير ممن هربوا من الخدمة العسكرية يجوبون كل مكان ، ومن الممكن ان يهاجمونا وينهبونا . ولهذا فان اصحابنا قاموا بنقل امتعتنا الى مزرعة الرحبة ، بينما ذهبنا - انا وخلف - الى مشهد ابن حسن على مرتفع قريب ، حيث استطعنا من هناك ان نرسم خريطة للمنطقة المجاورة . والى شمال - الشمالي الغربي ، على نحو ثلاثة كيلو مترات من المشهد ، يقع قصر التجارية في خليج صغير من السهل الفيضي . والى الغرب منه يتدفق ينبوع غزير يحمل نفس الاسم . وثمة ينبوع اكثر غزارة منه يسمى عين السيد يقع على نحو اربعة

وقد خربت الان وبطلت وعفت آثارها وتهدمت آباها ، ولم يبق ممن جميع ويقول ابن جبير في رحلته ( دي خويه ص ٢١٠ ) ان القادسية مستوطنة كبيرة فيها بساتين النخيل ، ومناهل الماء التي تمتلئ من الفرات .

ويذكر المدائني ان القادسية كانت تسمى القديس بادي الامر ، ويشترك ابن هشام اسمها من مزرعة قديس بالقرب من العذيب . والمسافة من القادسية الى الكوفة خمسة عشر فرسخا ، والى العذيب اربعة اميال ( ياقوت : المعجم ، مجلد ٤ ، ص ٧ و ٩ ، ابو الفضائل : المرصد [ يوينبول ] مجلد ٢ ص ٣٧٦ .

ان ياقوت وابا الفضائل كليهما يذكران المسافة بين القادسية والكوفة خطأ بالفراسخ بدلا من الاميال . ويمكن ان يكون المقصود بـ ( قديس ) هي الرحبة الحالية .

ويشير ابو الفدا ( التقويم ص ٢٩٩ ) الى القادسية بقوله انها بلدة صغيرة فيها بساتين النخيل ومياه وافرة ، وموقعها يماثل موقع الحيرة ، والخورنق : بين الصحراء والمنطقة الزراعية .

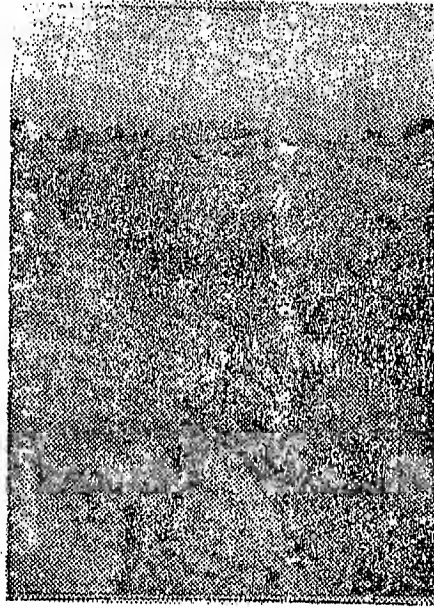
ويذكر القريري ( المواعظ ) مخطوطة فينا : ورقة ٣٨ اليسرى وما بعدها ان مدينة القادسية واقعة في طرف الصحراء غربي منطقة بغداد ، وان ماءها ليس بالغ الجودة ، ويزرع فيها علف كثير .

ويصف حاجي خليفة ( جهان نامه : القسطنطينية ، ١١٥٤ هـ ، ص ٤٦٥ ) بلدة القادسية الصغيرة بانها اشتهرت ببساتين نخيلها ووفرة مياهها . وتقع على حدود الجهات الزراعية الغربية من العراق .

كيلو مترات الى الجنوب الغربي من الرحبة ، ويجري منه نهر كبير في  
ساقية عميقة الى الرحبة يروي مزارعها (شكل ٣٦) . (٦١)

### الرحبة الى القايم

ان الحوض الذي تقع الرحبة عند طرفه الجنوبي يمكن زراعته ، من ناحية الغرب ،  
مسافة ثلاثة كيلو مترات على الأقل ، وما يزرع منه الآن يقع حوالي النجارية .  
ولم أدخل القلعة . وفي المساء حددنا خط العرض ، ولم نستطيع النوم بعد ذلك  
لأن حراسنا امضوا الليلة كلها في الرقص ، والغناء ، واطلاق النار .  
وسرنا يوم ١٠ نيسان سنة ١٩١٥ . وفي الساعة ٣٥ صباحاً الى الجنوب الشرقي مخترقين  
منبسطة خصباً من الأرض ، يكتنف الزرع بعض جهاته . وتركنا طريق الحج عند الرحبة



( شكل ٣٦ نهر السيد من الشرق )

(٦١) ويروي الطبري ( التاريخ : ص ٩٦٧ ) ان شيبا قدم الرحبة مع جيشه سنة  
٦٩٦ للميلاد .



وفي ٥٠هـ عبرنا شعيب الوديجان الذي تقع مزرعة (قصر عقّار) على ضفته اليمنى .  
وفي ٦١٠ ر كنا في شعيب الوُعَيْرَ شرقيّ الماء الذي يحمل نفس الاسم . وفي ٦٢٥  
ظهرت مزرعة أبو رويسّ للعيان الى الجنوب الشرقي وسط لمعان سطح  
بحيرة كبيرة تسمّى بحرة ام السباع . وهذه بحيرة فصلية اذ كما انخفض منسوب  
الفرات تبخر ماؤها وجفت سوى بركٍ ومستنقعات صغيرة تظهر هنا وهناك  
فقط . وأمكن رؤية بيوت الفلاحين التي تنتشر على البحيرة كلها - ويقوم  
هؤلاء بزراعة أرضها المستنقعة بنبات يسمى [الشلب] بذور ( التّمن )  
وهو شبيه بالرز . وفي ٣٨ ر كانت مزرعة قصر سعد على يسارنا . وفي  
٤٨ ر صعدنا من المستنقعات الى منطقة مرتفعة صخرية تحدد الارض المنخفضة  
من الغرب والجنوب . وفي الساعة السابعة مررنا ، قرب قصر ابو لبن ، بقاع  
شيب ابو طلع الجاف الذي يأتي من جهة خزّان الست زبيدة على طريق الحاجّ

وفي النصف الثاني من القرن الثامن اقام ولي العهد عيسى بن موسى  
في ضياعه بالرحبة ، ولم يزر الكوفة الا خلال عطل رمضان وذى الحجة  
( الطبرى : قسم ٣ ص ٤٦٧ ) .

ويروي ابن جبير ( الرحلة : ص ٢١٢ ) الذي كان هناك في اوائل  
مايو سنة ١١٨٤ ، ان الرحبة تقع بقرب العذيب ، وانه توجد عدة منازل  
ماهولة هناك ، وان سكانها يستقون الماء من عين دافقة بأعلى البلدة .  
ويذكر ياقوت ( المعجم مجلد ٢ ص ٧٦٢ ) ان بلدة الرحبة تقع شرقي طريق  
الحاج مقابل القادسية على مسيرة يوم واحد من الكوفة . وكان قد حل  
بها الخراب في أيامه ، نتيجة لما قاسته من غزوات البدو ، ولا توجد  
بلدة اخرى وراءها . ويحكى ياقوت عن السكوني قوله : ان من اراد  
الذهاب الى المنطقة الزراعية ( الغرب ) عليه الشخوص من  
محطة ( المغيثة ) الى العيون الواقعة على اطراف الحجاز : واول  
هذه العيون عين الرحبة التي تبعد ثلاثة اميال عن القادسية - ومن ثم  
الى الخفية . ويضيف ابو الفضائل ( الراصد : مجلد ١ ص ٤٦٤ ) قوله  
ان بلدة الرحبة كانت خرائب في عهده .  
(\*) هم رز الشبتال ، ويبدو ان المؤلف لم يدرك تماما ما كانوا يزرعون . المراجع

وكان المسافرون الذين لقيناهم يحملون السلاح ، كما كان يحملهم الملاحون العاملون في الحقول . ويكون هؤلاء على الدوام جماعات ، ليكونوا أقارب على حماية أنفسهم من شرور الهاريين من الجندية .

وفي ٨٠٨ عبرنا شعيب ام دودة . حيث تنمو بعض أشجار النخيل . ورأس هذا الشعيب قريب من مخزن أم قرون على طريق الحج ؛ أما قسمه الأعلى ، حيث تقع [ بركة ] حمد ، فإنه يحمل اسم ام السباع (٦٢) . واسترحنا من ٨١٤ الى ٨٤٦ .

(٦٢) ( انظر ص ٤٢ ) . عين السيد هي العذيب قديما . وكان من عادة تغلب أن تنصب خيامها بالتناوب عند العذيب وقصر مقاتل ( القطامي : الديوان - طبعة بارث - ص ٥١ ، ٨٩ - قصر مقاتل هو شثالة الحالية .

في سنة ٦٣٥ للميلاد خيم المسلمون بقيادة سعد بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس ، ومن هنا شنوا الفارات سواء في الصحراء أو في المنطقة الزراعية . وقد بنيت مدينة القادسية بين الخندق العتيق . وامتدت الى يسارها أرض سبخة خضراء بين طريقين حتى كادت تصل الحيرة بامتدادها . يخترق أحدهما مرتفعا تسفعه الشمس ، ويسير الآخر بمحاذاة شاطئ الخوض حتى يصعد الاجراف الواقعة بين الخورنق والحيرة . والى يمين القادسية سهل فيضي حسن الري يمتد حتى الوجة . وخيمت طلائع المسلمين فيما بعد عند القادسية ، بين العتيق والخندق ، مقابل جسر حجري ، وعلى بعد ميل واحد تقريبا كانت تقع بلدة قديس حينذاك . وترك سعد جميع نسائه تحت حماية فرسانه عند العذيب ، وسار ببقية جنده [ للاغارة ] على القادسية . ( الطبري : قسم ١ ، ص ٢٢٢٨ ) .

وبعد الانتصار في معركة القادسية أمر سعد بنقل قتلى المسلمين الى العذيب حيث دفنوا على سفوح وادي المشرق بين العذيب وعين الشمس ( الطبري : قسم ١ ص ٢٣٠٤ ) .

وعذيب الهجانات هو عين السيد الحالية ، وعذيب القوادس عين النجارية . وربما كان الخندق سدا فارسيا يمكن رؤية بقاياها غربي بساتين القادسية . ولعل العتيق هو ذلك النهر القديم نصف المظفور الذي يتصل بالسد [ المذكور ] عند طرف البساتين . ويسير الطريق الغربي محاذيا للمرتفعات التي تسفحها الشمس ، اما الطريق الشرقي فكان يتابع المرتفع الضيق الطويل الذي يمتد من القادسية نحو الشمال الشرقي .

وما زال في الامكان رؤية بقايا نهر الخضوض عند اللحف الشمالي الشرقي من هذا المرتفع . ويستذكر هذا النهر القديم بالقرب من الثبينة قليلا نحو الغرب أي اتجاه بساتين القادسية . ويجب البحث عن الولجة عند عين [ ضاحك ] الحالية ، لأن السهل الفيضي تفرمه المياه في موسم الفيضان حتى هذا الموضع . ولا تزال بقايا النهر القديم والسد ترى على مسافة كيلومترين الى الشمال الشرقي من الرجة : ولهذا فاني اعتقد ان الرجة بمعناها الدقيق هي القديس القديمة . ويجب ان نبحث عن قبور شهداء المسلمين على مرتفعات ابن حسن . واخيرا فان وادي المشرق هو الاراضي المنخفضة التي بسين عين السيد وعين النجارية .

في سنة ٦٨٠ - ٦٨١ م احد الفرسان المحاربين من قبيلة طي في طريق بني ثعل للانضمام الى الحسين بن علي ولما أصبح على مقربة من عذيب الهجانات ، بلغه الخبر بان الحسين لم يستطع الوصول الى الكوفة ، فقلل راجعا ( الطبري قسم ٢ ص ٣٠٥ ) . ويذكر ابن رسته ( الاعلاق : ص ١٧٥ ) العذيب موضع مسلحة كانت للفرس على طريق البادية .

ويروي قدامة ( الخراج ص ١٨٥ ) ان العذيب كانت حصنا بين العرب والفرس على حدود البادية . وكان على طول الطريق كله من القادسية الى العذيب صف من الاسوار المحيطة ببساتين النخيل .

وأورد البكري ( المعجم ص ٤٢٣ ) أبيانا للشاعر القطامي يذكر فيها الاماكن التي كانوا ينزلون بها في الصيف بين العذيب وراسب . وكتب بن جبير في رحلته ( ص ٢١٢ ) ان العذيب واد تكثر فيه المراعي والعيون ، وكان ثمة بناء بالقرب منها .

ويذكر ياقوت ( المعجم مجلد ٣ ص ٦٢٦ ) ان وادي العذيب ملك لبني تميم ، وهو محطة للمسافرين على طريق الحج من الكوفة الى حدود الاراضي الزراعية . ويقول نقلا عن السكوني ، ان المسافة من القادسية الى العذيب ستة أميال .

ويضيف ابو الفضائل الى ذلك ( المرآة ص ٢٤٣ ) ان العذيب فيه منهل للمياه على مسافة اربعة أميال عن يمين القادسية على الطريق الموصل من محطة الحجاج المسماة منارة القرون ، وانه ملك لبني تميم . وكانت في الازمنة القديمة مزرعة في العذيب تسمى القديس ، ومنها اشتقت بلدة القادسية التي تقع على بعد اربعة أميال من الوادي الذي

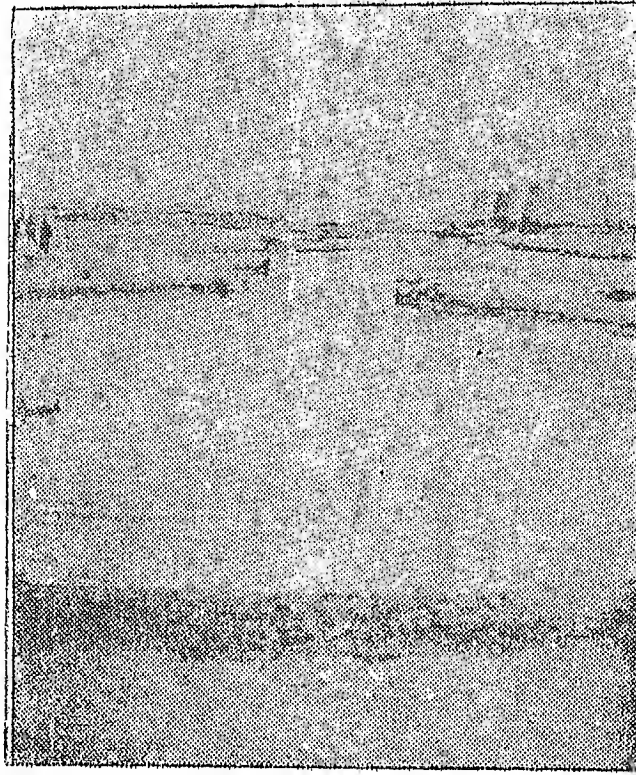
١٦٧

وكان دليلنا فلاحاً من أم بزّونه ، استأجرناه في الرحبة وكان يشكو شكوة مريرة من الحكومة . فقال : ان الضرائب لا نهاية لها . فما ان يدفع الفلاح -- وهو أمّي غالباً -- ضريبته المقررة حتى يأتي اليه الجابي ثانية مصحوباً بالدرك او الجنود ويطالبه بدفع مبالغ أخرى ، ومن لم يكن قادراً على الدفع او أبسى ذلك ضربه حتى يبادر أقرباؤه بدفع آخر فلس عليه . وان لم يجد الجابي الرجل المطلوب في بيته ، ضربت زوجته او ابنته . ولهذا السبب هرب الفلاحون من قراهم الى الصحراء ، حيث انضموا الى القبائل التي تعنى بتربية الماعز والاغنام ، ومن هناك كانوا يقومون بغاراتهم على الاماكن التي ظلت موالية للحكومة للحصول على السدرة والملابس وكانوا يشترون الاسلحة من الهاربين من الجنادية ومن الدرك ويزعم هؤلاء بعد ذلك انهم هوجموا وسلبوا . وكان الزنج التابعون لابن رشيد يرغبون في بيع اسلحتهم واسلحة غيرهم ايضاً . وبهذه المناسبة اخبرنا نازل بأن راشداً هذا والعبيد الآخرين الذين قدموا النجف معنا ، باعوا في خمسة ايام ( ٣٨ ) بندقية موزر كانت الحكومة التركية قد بعثت بها الى ابن رشيد .

في الساعة ٤٠ ٩ كانت قرية ام العصافير على يسارنا وكانت القرى في هذه المنطقة محاطة بالماء تماماً ، لهذا كانت القوارب هي وسيلة النقل الوحيدة وان اشرعتها كانت تُشاهد على جميع انحاء المنطقة الواقعة الى الشرق والى الجنوب الشرقي . وفي الساعة العاشرة عبرنا شعب العاصي الذي تقع اعاليه في

اشتقت اسمها منه ( ياقوت ، المجلد ٤ ص ٧ و ٩ ) .  
وبين ياقوت أن وادي البحت ، بالقرب من محطة العذيب ، يقطع طريق الحج من الكوفة الى البصرة ، وان الحازمي ينفي ذلك ( ياقوت ، المصدر السابق ، مجلد ١ ص ٩٨ ) .  
ويقول ان بطوطة في وصف العذيب ( التحفة دفريري وسانكوييتي ، مجلد ١ ص ١٣ ) وكان قد زارها في نهاية سنة ١٣٢٨ ) انه واد خصب ، بناءً ومرعى جيد الى جواره .

المغيثة . ورأينا موكب جنائز ايضاً مكوناً من ست جثث محمولة في صناديق  
[توايت] مكشوفة . وكانت لحية الخطيب (اي امام الصلاة) المرافق للجنائز  
مخضبوية بالحناء ولكن شاربه الاشيب ترك على حاله ، وفي ٢٥ ر ١٠ أتينا  
خرائب الثرثور . حيث بقينا حتى ٣٧ ر ١٠ . وكانت القرية القديمة تقع  
على مخروط منعزل عند الطرف الغربي من سهل كان خصباً يوماً ما واصبح الآن  
أرضاً مغمورة بالماء . وكانت اسس الأبنية مبنية بالحجر ، ولكن الجدران  
قد بنيت باجر كبير الجرم على مثال ما نراه في المباني الباقية من العصر البابلي .

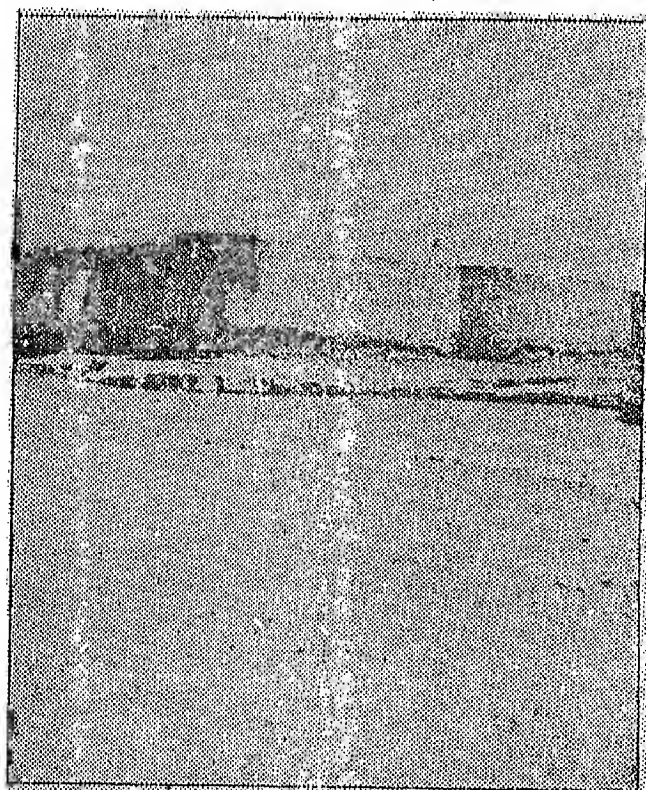


(شكل ٣٧ - القايم من الشرق)

ويواصل الفلاحون تنقييهم في الثرثور بائعين الحجارة والآجر على السواء  
في الشنافية .

المغيثة . ورأينا موكب جنائز ايضاً مكوناً من ست جثث محمولة في صناديق  
[توايت] مكشوفة . وكانت لحية الخطيب (اي امام الصلاة) المرافق للجنائز  
مخضبوية بالحناء ولكن شاربه الاشيب ترك على حاله ، وفي ٢٥ ر ١٠ أتينا

وفي ٤٥ ر ١٠ صعدنا إلى السهل الصخري المرتفع ومن هناك رأينا امامنا قلعة القايم (٦٣) وإلى شرق - الشمال الشرقي منها رأينا نخيل وأكواخ بلدة الشنافية الصغيرة . وفي ٠٦ ر ١١ ترجلنا في قرية القايم ، وهي قرية صغيرة لاتكاد أكواخها البائسة تبلغ خمسة وعشرين تتجمع شمالي القلعة . وتقوم



( شكل ٣٨ - قلعة القايم )

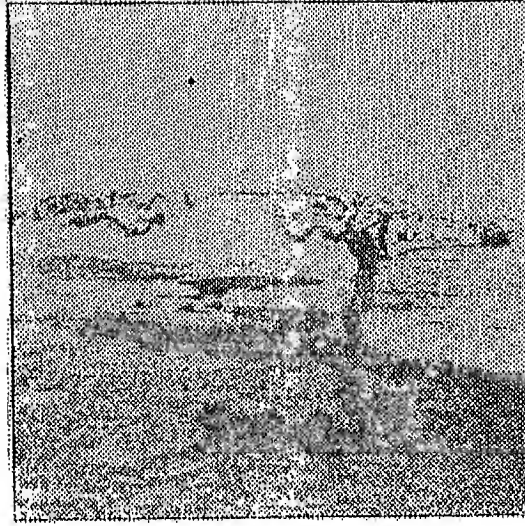
(٦٣) يذكر ياقوت ( المعجم مجلد ٣ ص ٢٩ ) ان السباع اسم موضع ، وان وادي السباع يقع فيما يلي بركة ام جعفر على طريق الحاج على مسافة ثلاثة اميال من الزبيدية . ويقال انه كانت هناك قلعة ، وغدير من مياه المطر ، وبئر يزيد عمقها على اربعين قامة ، وفيها ماء عذب .  
ويضيف ابو الفضائل ( المرآة (يونيبول) مجلد ٢ ص ٧ ) الى ذلك خطأ ان السباع يقع على طريق المؤدي من البصرة الى المدينة . وبركة ام جعفر مطابقة للحوض المعروف بـ ( برجة الست هيدة ) .

القلعة على الضفة اليمنى من نهر كبير ينبع من عين في الصخور تقع في الناحية الغربية ، على بعد مائتي متر تقريباً ( اشكال ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ) . والقلعة غير مسكونه ، وجدرانها متصدعة وفي بعض المواضع منهارة . وبينها وبين العين بركة رائعة مملوءة بالسملك . وإلى الشمال الشرقي من القلعة يرتفع تل صغير ، فيه بقايا جنران قديمة ، يسمى [ الكوكب ] ؛ وإلى الشرق توجد خرائب دوراك ، وفي غربها ركام مرقد عبد الله بن الحسن .

### عودة الى الحيرة

ان قرية الشنافية الكبيرة محاطة ببساتين النخيل وفي غربها رأينا الضوء يسطع على سطح هور الصليب وإلى الجنوب هور ريش حيث ينتهي شعيب المهاري . ويقع صلد الأخير إلى الجنوب بالقرب من غدير ابو مريس شرقي السميرة . وفي الجنوب الشرقي من هور ريش توجد قرى عين [ ضاحك ] ، الخفس الواقعة في حقول تحمل نفس الاسم ، الدهيمية ، الغداري ، عين البحيرة وجو عموده . وفي مستنقعات الغداري ينتهي شعيب ام العواجل وشعب الشنان الآتيان من بئر الفرج ، وفي الشمال الغربي من هذه المستنقعات ينتهي شعيبا العوينة والتماد . كل هذه الشعبان تقطع سهل ام خيلان المتموج الذي يندمج بالتدرج في سهول الفرات الغربية . وإذا اتجهنا نحو الجنوب الشرقي ابتداءً من النجف ، وعلى طول حافة سهل صخري مرتفع تؤلف ام خيلان جزءاً منه ، أصبح من الممكن رؤية كئبان رمل واطلة تعرف باسم القصايم .

ولم يستطع مرافقي ابن براق مواصلة السير معنا ، اذ كانت عشيرته في حرب مع عشيرة زياد الذين كانوا يخيمون آنذاك جنوبي القايم وكان المشهدي ، التاجر الذي اكترينا منه الحمير ، يخشى ان يسلبه رجال زياد . لذلك رجاني أن أتوجه الى مكان آخر للحصول على الحيوانات التي احتاج اليها اذا ما قررت متابعة السفر الى الجنوب الشرقي . وكانت هذه قاصمة الظهر . ولما رايت اني لا استطيع العمل بصورة فعالة في بلاد تنشب فيها



( شكل ٣٩ - القايم - النبع )

الحرب ليس على الحكومة القائمة فحسب بل الاسوأ من ذلك : حرب اهلية بين القبائل ، لذلك انعطفت ثانية في الساعة ٥٤ ر ٣ في اتجاه شمالي غربي . واسترحنا من ١٠ ر ٣ الى ٤٠ ر ٣ . . شمالي الشنافية حيث ظهرت قرية الشاطي من ناحية الشرق . وفي الساعة ٥٤ ر ٣ كانت قرية أم قبرة الى شمال - الشمال الشرقي - والى غربها خربة عالية وقرية ( تلك ) الجديدة .

واخبرنا الدليل بان رجلا يسمى الاخضر هو الذي بنى قلعة الرجة وكان يملك القصر الذي يحمل نفس الاسم ، ويقع هذا القصر الى الجنوب الغربي من كربلاء . لذلك فان فلاحي الاراضي المجاورة للرجة يعتبرون الاخضر رجلاً ، و ( ال ) التعريف عندهم تعني ما تنبيه ( آل ) او ( ابن ) لدى البدو فمعنى ( الاخضر ) اذن هو ( سليل الاخضر ) .

وقال رجل كبير السن من قرية القايم ان قلعة القايم كانت فيما مضى ملكاً لعشيرة خفاجه التي اخذت تتولى حراسة الطرق التجارية الى البصرة وأهملت العمل بالزراعة لأن القايم تقع على حافة وادي صخرية قاحلة .



ولما كانت العودة من الطريق الذي أتينا منه لا تحظى باهتمامنا لذا تحولنا الى السهل الفيضي المنبسط .. وفي الساعة ١٠هـ رأينا الى شمال - الشمال الشرقي خرائب مخروطية الشكل تسمى نيشان الطلوق ، وإلى الجنوب الشرقي منها توجد قرية أم بزّونه ، وابتعد من ذلك في الاتجاه نفسه نخيل قريتي أم البطّ والشاطي . وتقوم في شرق -- الشمال الشرقي من أم بزّونه بحربة أحيمر وتليها على النهر قرى الدعريّة والحنف والحمام وأمّ عودة والهارميّة . ولا نزال بعض الخرائب قائمة في الحمام ايضاً . وفي الساعة ٢٠هـ كان الى يسارنا تلّ قامت عليه خرائب الفردية وفي ٤٨هـ وصلنا الى قصر مسعود وخيمنا بالقرب منه . وكانت الارض المستنقعة المغطاة بالمالح رطبة جداً بحيث اتنا غُصْنَا الى الكاحل فيها . وتشاغل مرافقونا بمداعبة الفلاحين الذين كانوا يعملون في أحسد الحقول المجاورة المزروعة بالشلب . وفيما كان الحرس مشغولين بغنائهم كنا نحن تحت رحمة ملايين البعوض تحتشد حولنا .

١١ نيسان سنة ١٩١٥ . . كنت أتطلع بسرور الى رحيلنا عن هذا المكان . اذ لم استطع ان أغضض عيني طوال الليل . ولم اكن قد اعتدت على البعوض بعد ولم اعرف كيف احمي نفسي منه . وارتحلنا في ٢٥هـ صباحاً وعبرنا في الساعة ٣٨هـ مجرى شعب الوديقان وكان نهراً للري يوماً ما . وفي الساعة السادسة وصلنا الى سلسلة رملية ممتدة من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي . وكان يسير على امتدادها طريق الحجّاج السابق الموصل من القادسية الى الخورنق . وفي ١٦هـ عبرنا نهراً يجري الى الشمال الغربي وعلى جانبه الشمالي تمتد خرائب الشبيبة القايمية التي لم تعد الان سوى بضعة اكوام كبيرة . ويجري الى الشمال الشرقي منها نهر مملسوء بالمساء وتقوم خلفه جدران مبنية بالآجر لقلعة من القرون الوسطى ذات ابعاد كبيرة نسبياً ولم يكن في الامكان فتحص هذا البناء ، مع رغبتنا في ذلك ، اذ لم تكن لدينا وسيلة لعبور النهر المحيط بالربوة التي ترتفع القلعة على قمته .

في الساعة ٦ر٥٧ كنا عند خربة الرُمادي غربيّ ام عودة، والى الجنوب الغربي من بستان نخيل دسم . وفي ٧ر٢٥ عبرنا النهر القديم الممتد من خرائب الصنّين (٦٤) باتجاه جنوبي غربي الى القادسية .

من الساعة ٨ر٥٣ الى ٩ر١٥ توقفتنا للاستراحة بجانب مرتفع الراقوب . وهو مرتفع احمر اللون يقع الى الجنوب الشرقي من قصبة ام غزلان . وفي ٩ر٥٣ وصلنا الى طريق الحج وتابعتنا السير خلال مزارع المشخاب . وفي ١٠ر٣٠ عبرنا نهراً يأخذ الماء من الفرات . وفي ١٠ر٤٦ رأينا الى الغرب قصر المظلوم وفي الجنوب الشرقي منه : الشجيج أو [ الشقيق ] ودخلنا في الساعة ١٢ر٠٦ بعد الظهر بساتين النجف حيث تُفصل زراعة اشجار النخيل والرمان والتوت دون غيرها من الاشجار .

وفي ١٢ر٢٩ كنا في النجف .

وبعد القيام بزيارة كل من القائمتام ورئيس البلدية نسخت بحضور نازل واثنين آخرين من اهل المتنفسه ممن له معرفة بالاقليم ، جميع الاسماء الجغرافية بين العلاء والنجف من دفتر مذكراتي ، ثم تهيأت لرحلة اخرى الى الشمال . واصبحت الآن منهوكةً بائساً وعقلياً بحيث اني تشوّقت الى فترة راحة وهندوء أطول ببغداد . وعشّيج أنّ نازل وعادني مرة بعد اخرى بمرافقتي حتى البشري ولكنني علمت انه سوف يصعب عليه الوفاء بوعدده ، ففي اللحظة التي سيغلب عليه الحنين الى موطنه فانه ستركني دون شك ويعود مع اقربائه الى الصحراء . وفي هذا الوقت بالتحديد طلب الاذن له بتضاء الليلة مع ابناء بلده . ولم اكن لأوافق على ذلك طبعاً لأنني اردت أبين له فوراً كراهيتي لفراقه ولكن يظهر ان عدم موافقتي زادت في تعكير مزاجه اذ لم يأت خيمتنا ذلك المساء ولا تلك الليلة .

(٦٤) انظر فيما بعد ، ملحق ١٩ .

## الفصل التاسع

### الحيرة الى بغداد مرورا بالفلوجة

### الحيرة الى المسيب

في ١٢ نيسان سنة ١٩١٥ قمنا بتحميل خيامنا وامتعنا ( شكل ٤٠ ) ،  
وودّعنا دغيم بن براق . ورجعنا الى النجف لأخذ اشياؤنا التي تركناها في عهدة  
القائمقام . وبعد تحميل هذه أيضاً . بدأنا في الساعة ١٠ صباحاً بصحبة رجلين  
من الدرك : السير في الطريق المسام الموصل الى كربلاء (٦٥) . وبقينا من ١٠ر٥٠

(٦٥) يذكر حمزة الاصفهاني ( التاريخ ص ١٠٤ وما بعدها ) ان امرأ  
القيس بن النعمان استخدم المعمار البيزنطي سمنار لبناء قلعة (حصن)  
صنين .

وفي عام ٦٣٥م ارسل سعد جماعة من جنود المسلمين في ليلة مظلمة  
لمهاجمة الحيرة . وبعد الانطلاق من محطة العذيب عبروا جسر القوارب  
عند السليحين بغية الوصول الى هدفهم . وعند سماعهم فجأة جلبة  
صادرة من حفلة عرس كبيرة توقفوا وخبأوا أنفسهم حتى اجتازت الجماعة  
بهم في اتجاه الصنين . وكان حاكم هذه البلدة قد تزوج ابنة والي الحيرة  
الفارسي ( الطبري ، التاريخ [دي خوية] السلسلة ١ ، ص ٢٢٣٢  
وما بعدها ) .

وقد وصل المسلمون الى الطرف الجنوبي من بساتين الجمارة الحالية،  
وذلك بطريق المرتفعات الواقعة على الجانب الايسر من النهر . وهناك  
عبروا النهر بواسطة الجسر ، وراقبوا حفلة العرس . وظلوا مختفين جهد  
الامكان في انتظار مرور الجماعة بجانب الجسر ، ولما استداروا على  
يمين النهر بانجاه الصنين ، داهموهم بغتة ، وأسروا العروس .

ويكتب ياقوت ، المعجم (فستنفلد) ، المجلد ٣ ص ٤٣٠ ، أن الصنين  
كانت بلدة فيما سبق بجوار الكوفة ، حيث أقام المنذر احيانا .  
وكان ثمة نهر وحقول .

الى ١٩١٩ نسير بمحاذاة الحد الشمالي لهضبة المغطوة الى ان وصلنا في الساعة ١٢٢٥ بعد الظهر الى خان المصلّى . وتقع في شُرق هذا الخان قلعة درويش . ثم تركنا جمالنا ترعى من الساعة ١١٠ الى ١٥٠ في بُلمان الحُمُر ، وهو موقع غير بعيد عن خان جدعان وتليل الأيب . وفي ٨٠٥ نصبنا الخيام عند مبنى متاهلهم بقرب خان صبار .

١٣ نيسان سنة ١٩١٥ . . بدأنا السير في ٤٥٤ صباحاً ، ولكنني اكتشفت في ٥٠٥ فقدان دفتر مذكراتي ، وسرعان ما أدركت وجهي وعادت خبباً الى خان صبار وهناك اعيد الكتاب اليّ من قبل رسل درك محليّ . وكان قد تسلمه من صبيّ وجده في ارض المخيم . وكان الصبي قد فتنش المكان صباحاً تفتيشاً دقيقاً عسى ان يجد شيئاً نسيناه يستفيد منه . والذي حدث اني بعد ان سجلت فيه قبل الفجر وقت مغادرتنا وضعته في جيبي . ولم أدفعه الى الداخل بلرجة كافية ، لذلك سقط مني عند ركوب الجمل . وقد منّا مكافأة مناسبة لكلّ من الدركي والصبيّ ، فقد كان الدفتر يشتمل على مذكراتٍ وصفيةٍ ابتداءً من ١٦ آذار ، وان فتمداها يتعذر تعويضه .

وفي ٥٥٨ بدأنا السير ثانية الى الشمال ، وفي الساعة الثانية عشرة وصلنا الى خان بن نخيلة . وفي الساعة الواحدة رأينا الى الشمال خرائب الزبيلية ، كما رأينا في الساعة ١٠٢١ بعد الظهر قرية السليمانية من ناحية الشرق . وفي ٥٠٢ كنا عند الجسر في بساتين كربلاء

وبعد أن طلبت من رفاقي الذهاب مع الجمال شمالاً خلال هذه المدينة ذهبت مع الدركي الى مبنى الحكومة لزيارة المتصرف وكان هذا الموظف مشغولاً بمؤتمراتهم . لذا كان حديثنا قصيراً بالضرورة . كانت طرقات كربلاء خالية .

إن الحياة التي سبق ان شهدناها هناك سنة ١٩١٢ أصبحت شيئاً من الماضي . وكان الجنود كثرة في كل مكان . ووجدت رفاقي عند الطرف الشمالي

من البساتين بقرب معامل الآجر القديمة . وفي المساء جاء المتصرف وأمر الدرك لزيارتنا ، غير أنهما لم يمكننا طويلاً فقد تبين ان البعوض كان لا يطاق . وقد حذرنا كثيراً من اللصوص ، الذين اتخذوا من هذه المعامل مقراً مفضلاً لهم في الايام الأخيرة . وكانت المعامل فيما يبدو مهجورة ، وعلى العموم ، لقد توقفت الاعمال أو لم يبق سوى القليل منها في اي مكان .

في ١٤ نيسان سنة ١٩١٥ ، في الساعة الخامسة صباحاً أخذنا الطريق العام الى المسيب . وكانت الحقول عن اليمين والشمال قد تركت بوراً في الغالب بعد أن امتنع الفلاحون عن الحرث والبذر ، إما لانهم اكرهوا على الخدمة في الجيش وإما ان تكون الحكومة قد صادرت حيواناتهم وبذورهم . ورعت جمالنا من ٦٠٠ الى ١٦٠٠ . وكان الطريق العام وحلاً بحيث اضطرت المركبات الى التحول عنه مسافة طويلة . وفي ٢٠٢٠ عبرنا نهر العلقمي القديم الذي يمتد من شمال - الشمال الشرقي ، وفي ٨١٠٠ عبرنا نهراً مماثلاً آخر بالقرب من خرائب الحوطة . واسترحنا مرة أخرى من الساعة ٩٣٨ الى ١٠١٢ . وفي الساعة الحادية عشرة رحب بنا مدير مركز الدرك بالمسيب ، وقدم لنا في الوقت نفسه رجلين جديدين من رجال الدرك لمرافقتنا الى بغداد .

### المسيب الى الفلوجة

وبعد ان إنعطفنا عن هذا الطريق الى مزارع البوبهاني غرباً مكثنا هناك الى ١٢٤٨ بعد الظهر ، ووجدنا فيها دليلاً له معرفة بضفة الفرات اليمنى من المسيب الى الشمال . وكان من رجال عشيرة مسعود التي تخيّم عادةً مع عشيرة الزقاريت ، فيما بين كربلاء والمسيب . والقبيلتان تنحلران من شمر وتشتغلان بتربية الاغنام والجمال على السواء .

وعند البوبهاني تقوم خرائب الأحيمر ، وإلى غربها خرائب الشراحي ، وإلى الشمال خرائب ابو بطّية ، وإليها من ناحية الشمال ايّماً على الفرات : خربة الألس الكبيرة ، التي توجد على شوالها الغربي خرائب ومزارع الصنيديج [الصنيديق] والدواس . وبالقرب من الأخيرة يتفرع من الفرات نهر العجيدة القديم متجهماً نحو الخرب الغربي .

وتقع على الضفة اليسرى من جنوب شرقي الدّوّاس : حقولُ الغزار  
وابولوقه . وكنا ننوي مواصلة السير الى الشمال الغربي مباشرةً ، ولكنّا  
اضطُررنا الى ان نعود ادراجنا في الساعة الواحدة عند خرائب الاحيمر



( شكل ٤ - بساتين الكوفة من الغرب )

لأننا لم نستطع ان نحمل جمالنا على المرور فوق قنوات الري . وباستخدام جداول  
(الحسينية العتيقة) [ العتيقة ] وكان نلزمنا الى نصفه بالماء ، وصلنا في ٢٥ الى الطريق  
العام وتابعنا سيرنا فيه نحو الشمال الغربي ، وفي الساعة ١٥ رآينا انبعثنا من خلال حقول  
البوّهاني الى شمال - الشمال الغربي مرة اخرى . وفي ٢٥٠ رأينا الى الجنوب الغربي  
خربة (نيسان جازيه) وفي شمالها سفوح مرتفع المرقلة . وفي الساعة الثالثة اخترقنا خرائب  
الجبور : وفي ٣١٦ خرائب اخرى تسمى أحويش . وكان ثمة جدران متهدمة لمحصنٍ

مستطيل الشكل يرتفع برج في ركن كل جدار ، وتوجد الى الجنوب منها أكوام بقايا  
ابنية قديمة مبنية بالآجر . ويظهر انها جميعاً نقبت عدة مرات ، وان الجيد من آجرها  
نُقل الى اماكن أخرى ، وبالقرب من هذا الموضع يجري نهر العميدة القديم  
الهائل الذي يترك الفرات نحو الشمال الشرقي عند بستان الدوّاس . وفي ٢٠ ر٤ أعددتنا  
مقرّنا الليلي في حقول قرية الروريعية وهي محلّ سكني دليلنا عوّاد . وتملك عشيرة  
مسعود الحقول المجاورة برئاسة عائلة ابن هتيمي ، ويؤكد هؤلاء انهم سبق ان هاجروا  
الى هناك من جوار منطقة حايل وأنّ قرابة الدم تربطهم بشمس .

في ١٥ نيسان سنة ١٩١٥ كنا على سروجنا في نحو الساعة ٨ ٠٥ صباحاً  
وحوالي ٢٠ ر٥ كنا قد اخترقنا نهر العلقمي القديم . الذي يقال انه يتفرع من الفرات  
مقابل مرقد صغير لسيدنا خضر الياس . وظهر المرقد للعيان في ٢٥ ر٥ من ناحية  
الشمال الشرقي . والى الجنوب الغربيّ ظهرت خرائب الحجيرة مرة أخرى .  
وفيما وراءها ايشان الذهب . وبعد ان قضيّنا جرف الصخر ، وهو سهل  
غريني خصيب يبلغ عرضه نحو عشرة كيلو مترات وصلنا في ٥٠ ر٥ الى  
ابو قبة القديم . وفي ٢٤ ر٦ رأينا من جهة الشمال الشرقي خرائب المذبحة  
على بعد ٤ كيلو مترات تقريباً ، والى الشرق منها ربوة الجصّ في العراق .  
وكنا نشاهد بقايا مزارع قديمة في كل مكان ، وفي ٥٠ ر٦ لاحظنا الى غرب -  
الشمال الغربي المرتفع الذي فيه بئر القلب ، والى الغرب منه بئر فهّاد ،  
وفي شمال الأخيرة شاهدنا بئر ام غوير ثانية . وفي ٥٠ ر٧ شاهدنا في شرق -  
الشمال الشرقي ضريحاً عصرياً هو قبر الرصيف في خربة قديمة شرقيّ  
نهر العلقمي ، وخرائب البأج في الحقول التي تقع شماليّ قبر الحجير . ثم سرنا  
على امتداد مرتفع ( الظهره ) الصخري . وفي ٢٠ ر٨ كان على يميننا بستان  
اللطيفية ، وشاهدنا في شرقها على الضفة اليسرى من الفرات اراضي المجسّبة  
المرتفعة المتموجة . ويملك الجنائيون الحقول الواقعة في شمال اللطيفية وهم  
فرع من الزبيد تحت زعامة بو صخرية ومن ٥٥ ر٩ الى ٥٤ ر١٠ رعت  
جمالنا بقرب ابو الفياض على الفرات .

من الساعة ١٠ ر ١١ فما بعد سرنا بمحاذاة مرتفع الفاضلية الصخري الذي يكاد يصل في امتداده الى الفرات ، وفي ٢٢ ر ١١ عبرنا نهراً قديماً هائل الحجم يترك الفرات قريباً من هناك ، وقد سماه دليلنا ، كري سعده . وفي ٤٠ ر ١١ ظهرت خرائب على يميننا كما ظهرت في ٤٠ ر ١٢ بعد الظهر خرائب اخرى على اليسار تلتها في ٩٥ ر ١٢ خرائب كبيرة على الضفة الفرات مباشرة يجري منها نهر قديم . وفي شرق — الشمال الشرقي ، على الضفة اليسرى من مدخل جدول المحمودية ، يرتفع مشهد ابراهيم الخليل . وفي الساعة الواحدة اخترقنا خرائب بئر الواسعة الواقعة قريباً من الفرات . وكان يمر بالقرية السابقة هنا نهران يقسمانها الى ثلاثة اقسام . وتقع في السهل المتسوج في الغرب وفيما وراء سفح طار الهيمان الشديد الانحدار آبار الغربية ، والى جنوبها الغربي آبار الشحيحات ، وفي الشمال الغربي من الأخيرة آبار السهل ويقع الى الشمال منها بئر الزعب . وفي شرقي بئر الزعب تقع البرجة [ البركة ] وفي الشمال الغربي من البركة آبار الحثري ، الشرعية ، الصلوية ، وام شطن . وفي الجنوب الغربي من الأخيرة يقع بئر المسممة .

وفي الساعة ٨ ر ١٠ الى شمال الشمال الشرقي وعلى الضفة اليسرى من النهر ظهر مرقم حمزة بن قادم . ولم تكن الاراضي الواقعة فيما وراء ابو الفياض مزروعة لأن كثرة حصاها يحول دون حرثها تماماً . كما ان التربة هنا ليست غريسة ، كما هي الحال في شمال شرقي ابو الفياض ، بل هي ارض صخرية باكملها ، يخالطها ملح صخري وجبس الى حد كبير . وفي ٢٠ ر ١٢ مررنا ثانية خلال بعض الخرائب حيث توقفنا لاستراحة قصيرة من ٢٣ ر ١٢ الى ٥٢ ر ١٢ . والى شمال الشمال الشرقي من الجزيرة — وهذا الاسم يطلقه ابناء المنطقة على الاقليم الواقع على الضفة اليسرى من الفرات — ترتفع ربوة عالية منعزلة من الخرائب تسمى عقير الاجدع ؛ وكنا نمر الآن بازاء الحد الغربي من البزير . وهو شريط ضيق مزروع من الأرض . وفي ١٥ ر ٢٢ عبرنا نهراً قديماً وشاهدنا على اليمين صفّاً منحدراً من الاجراف تهبط الى الفرات تقريباً تعترضها اخاديد قصيرة



كثيرة . وفي ٢٣٠ بلغنا حوضاً عميقاً يتجه من الشمال الى الجنوب وتحيط به  
أجراف شديدة الانحدار ، وتوجد في الاجراف الصخرية الشمالية فقط سقوف تسمح  
بدخول الماء عند فيضان الفرات . وعند ذلك تتكون بركة في الحوض ، يعمل الماء  
على تحليل طبقات الجبس والملح الصخري اللينة والتشبع منه حتى اذا ما تبخر الماء  
رسب الملح في قاع البركة . ومن هنا سميت الامليحة ( البركة المالحة ) .  
ومن ٢٤٠ الى ٣٣٠ مررنا بازاء الامليحة ، وتوجد في طرفها الشمالي الغربي  
خرائب قصيبة .

وعلى طول الفرات ظهرت لنا مجموعات من الاكواخ يسكنها الفلاحون في  
موسم الامطار ، بينما يعيشون في خيامهم في فصل الجفاف . ومع انهم يملكون  
قطعاً كبيراً من الغنم والماعز ويعيشون تحت الخيام عدة أشهر في السنة ، فانهم  
يختلفون من وجوه كثيرة عن البدو ، الذين يُعَنَوْنَ بتربية الماعز والاغنام اكثر  
من عنايتهم بالزراعة . وكثيراً ما سمعناهم يقولون :

( عندنا هيج ، وعند اهل الغنم هيج ) اي : عندنا هكذا وعند اهل الغنم  
هكذا ..

وعلى طول الطريق من النجف سمعناهم ينذرون من الألمان . وكانت عادة  
الموظفين ، كبارهم وصغارهم ، ان يضعوا اللرم فيما يتعلق بالحرب  
عموماً وباشتراك الاتراك فيها خصوصاً ، على الألمان . وشكى لي رجل الدرك  
محمد ، الذي رافقني من المسيب ، شكوى مريرة من ان الالمان لم يقدموا اي  
عون للحكومة وانهم فضلاً عن ذلك يستهلكون خير الأطعمة بدون خجل . وبعد  
ابدائه العطف على السلطان عبد الحميد لعن الحرية التي أتت بها جمعية الاتحاد  
والترقي ، التي لم تجرّ على تركية غير الحرب والشقاء .

وبعد اجتيازنا خرائب الغطاس في منطقة البامرية خيمنا في الساعة ٣٠  
بجانب مخيم صغير لعشيرة الجنايين يقع الى الاسفل من سدّ عال بني لحماية  
سهل الحابوري الخصب من الفيضان ، اذ كان مجرى الفرات هنا اعلى من السهل

الفيضي يسا يقرب من اربعة أمتار . وقبل حلول المساء غسرتنا أسراب من البعوض المتعطش للدماء ، آذت الانسان والحيوان على السواء . وكانت الارض رطبة جداً حتى ان اغطيتنا كانت مبللة في الصباح .

وفي ١٦ نيسان سنة ١٩١٥ نهضت من فراشي وأنا اشد تعباً مما كنت حين أويت اليه . وفي ٥ ر ٠٦ غادرنا الوادي قاصدين الاجراف الصخرية في الغرب . وبعد أن تعدلنا خرائب الخابورتي عبرنا شعيب ابو الشوق القصير ، واتجهنا ثانية نحو الشمال الغربي .

وشهدت شمال — الشمال الشرقي في الجزيرة زبوة خرائب عقر النعيلي ، وفي شرق — الشمال الشرقي تل السلطان على الفرات والى الجنوبي الشرقي منه : تل القحبيصان وتل قميصه ؛ والى الغرب من تل السلطان ، وفي حقول الحشي : خرائب الأجرية (٦٦) .

في الساعة ٧ر٣٠ ظهر للعيان نيشان احيمر من جهة شمال — الشمال الشرقي على الضفة اليسرى ، وأمامنا على الضفة اليمنى : الحافة الصخرية البيضاء « جال التربة » ، وتلال سن الذبان أعلى منها شمالاً وتركنا الجمال ترعى من ٧ر٥٣ الى ٨ر٢٨ .

وعندما كنا غربي تل الاحيمر غادرنا الطريق على قاعدة مرتفع صخري يسد السهل الغربي ، وفي الساعة التاسعة اتجهنا خلال السهل الفيضي الى شرق — الشمال الشرقي نحو جامع الفلوجة . وكان طريقنا يمرّ خلال حقول الحشي ، وكان المرور فيه صعباً جداً في بعض المواضع ، حتى أن قوائم جمالنا غاصت في الوحل . وفي ٩ر٢٨ ظهرت على الضفة اليسرى زبوة خرائب تسمى الخراب . وفي الساعة العاشرة وصلنا الى الجسر العائم المعروف بالقنطرة ، حيث أرحنا الجمال

---

(٦٦) للوقوف على بيانات أوفى تتعلق بالطريق الذي بين النجف والمسيب راجع ص ٣٥ — ٤٣ من كتاب المؤلف .

من ائصالها . وأوعزنا بحماها [ على الاكتاف ] الى الفلوجة (٦٧) . وبعد ذلك  
قدنا جمالنا للعبور ، وكان هذا عملاً فائداً ، اذ كانت تجفل باستمرار ، ولم يكن  
يربط الجسر المرتفع بصفحة النهر اليسرى الواطئة الا لوح من الخشب لا يكاد  
عرضه يزيد على ثلاثين ستمتراً .

(٦٧) وقد هرب ابن الاشعث بعد انحذاره في نهاية عام ٧٠١م بالقرب من  
دير الجماجم ، متجها نحو بلدة بني جعدة بن هبيرة في الفلوجة ، حيث  
عبر الفرات (الطبري ، التاريخ ، [ دي خوية ] ، السلسلة ٢ ص ١٠٩٥) .  
واحد موقع دير الجماجم بجوار كربلاء ، وقرية بني جعدة الى الشرق  
من المسيب الحالية .  
وكانت الفلوجة منطقة ادارية ، وتقع فيها بلدة الزابوقا ( المصدر  
نفسه المجلد ٣ ص ٢٢٥٦ ؛ عريب ، الصلة [ دي خوية ] ، ص ١٠ ) .  
وفي عام ٧٤٩ - ٧٥٠م خيم ابن هبيرة ، الذي ارسله الخليفة مروان  
الثاني ، بجانب احد فروع الفرات في منطقة الفلوجة العليا ، على بعد  
ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة . ولما كان الخوارج قد عبروا الفرات  
عند الانبار ، وكانوا يتقدمون ببالح السرعة بمحاذاة ضفته اليمنى الى  
الكوفة ، فان ابن هبيرة تقدم عندئذ في الاتجاه نفسه بين الفرات ونهر  
سورا ( الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ، ص ١٣ ) . ويؤدي  
بنا ثلاثة وعشرون فرسخاً في اتجاه شمالي غربي حتى بلدة الفلوجة  
الحالية .

ويذكر ابن الاثير ، الكامل ( تورنبرك ) ، المجلد ٩ ، ص ٤١٣ ، انه في  
عام ١٥٠٤م حاصرت قوات بغداد الانبار ، التي كان قد استولى عليها حاكم  
الموصل قبل ذلك بفترة وجيزة ، وانهم قد احرقوا دما والفلوجة .  
ويسجل ياقوت ، المعجم (فستنفلد) المجلد ٣ ، ص ٩١٥ وما بعدها ،  
ان فلاليح السواد كان مفهوما انها تشتمل على قرى الفلوجات الكبرى  
والفلوجات الصغرى ، بين بغداد ، والكوفة ، وعين التمر . وتعرف ايضا  
فالفلوجات العليا والفلوجات السفلى . وتعني كلمة فلوجة في الاصل  
« التربة التي أعدت لزراعة القمح » .

وقد علم حاجي خليفة ، جهان نامه ( القسطنطينية ، ١١٤٥ للهجرة ) ،  
ص ٤٦٤ ببلدة الفلوجة الحالية . فيقول انها موضع على الضفة اليسرى  
للفرات ، على بعد مسيرة من الحلة ، حيث كانت تفرغ البضائع المجلوبة  
بالقوارب من بيرجيك . وفي موسم فيضان الفرات كان من الممكن لسفن  
تدعى بالكلك ( الرمث ) ان تسير مشرعة في الجدول المتفرع من الفرات  
والذي يصب في دجلة عند قرية « المنطقة » بين

## الفلوجة الى بغداد

في الساعة الواحدة بعد الظهر غادرنا قرية الفلوجة البائسة وتوقفنا في ٣٢ ر عند خربة بجانب الطريق ، حيث تناولنا غداءنا واسترحنا الى ٤٠ ر .

وفي ٥٥ ر دخلنا اراضي ابو تلول الصخرية ، حيث وجدنا مقداراً كبيراً من الجبس الذي هو سمة بارزة من سمات أرض الجزيرة ، وهي إقليم يعدّ السكان المنطقة التي نمرّ فيها الآن جزءاً منها . وتغطي مرتعاتها الواسعة المتموجة طبقة من الحصى والرمل . وإلى الشمال الغربي من الفلوجة تُروى الحقول المنخفضة من جدول الأزرقية . ويتفرع من الضفة اليسرى من الفرات جنوبيّ الفلوجة جداول : ابو غريب ، دفتار ، الرجوانية ، المحمودية ، اللطيفية ، والسكندرية ، وجداول كثيرة أخرى أقصر منها ، وكان الماء لا يزال يجري فيها جميعاً . وفي الساعة الرابعة كنا نسير على صخر أجرد وفي ٢٠ ر إنعطفنا يمينا نحو منخفض هور ابو غريب ، وهو عبارة عن أرض منخفضة يغمرها الماء . وعلى بعد منه شوهد خان السنية الجديد ، وإلى الغرب منه قرية الشعيبة التي فيها مقرّ « المدير » . وخيّمنا بقرب الماء ، حيث وجدنا شير مرعى لجمالنا . ومرةً أخرى تعرضنا لأذى البعوض .

في ١٧ نيسان سنة ١٩١٥ خرجنا مبكرين ، اذ كنا على سروجنا في الساعة ٣٨ ر صباحاً . وبعد عودتنا الى الطريق العام الممتد من الفلوجة الى بغداد قطعنا بعد ذلك حقول العبادي . وإلى الشرق من مخيمنا أشار دليانا عبد ابل ( كذا ) عباس من عشيرة بي سوده الى تلّ الطوية وفي شمالها خرائب تلّ الحمل ؛

الامام موسى وقلعة قوشلر . وقد أمر والي بغداد خساكي [ كذا ] محمد باشا بتحسين مدخل هذا الجدول عند « المنطقة » ، ذلك لان كميات كبيرة من مياه الفرات كانت تندفع وقت الفيضان بحيث أصبحت القلعة معرضة للانهدار . والمسافة بين الفلوجة والحلة هي ١٢٠ كيلومترا ، أي مسيرة يومين . ويتفرع نهر عيسى في موضع أسفل من الفلوجة .

وعلى نحو اربعة كيلومترات في شمال شرقي هذين الأخيرين يقوم مركز درك مهجور: نقطة العصيد. وفي ٤٠ هـ ظهرت خرائب السندية ، وهي السندية القديمة ، الى جنوب - الجنوب الشرقي (٦٨) .

وظلت جمالنا ترعى من ٢٠ الى ٣٩ هـ . وفي الساعة ٤٨ رآنا أثينا مركز الدرك : ( نقطة ابو منيصير ) عند خان العباس ( ويسمى ايضاً خان ضاري ) . وفي ٧٠٨ هـ ظهرت خرائب الدراعي القديمة الى شمال - الشمال الشرقي منا ؛ وفي ٧١٣ هـ عبرنا نهر العليمي القديم العظيم ، وفي ٧١٨ هـ عبرنا جدول ابو غريب الجديد الذي يجري فيه الماء الى ( التراجف ) ؛ وإلى شرق - الشمال الشرقي ظهر للعيان تل هويرج باشا .

ان الجهات الوحيدة التي كان يعرفها دليلنا على البوصلة هما : الغرب والشرق المطابقان لمجرى الفرات وتبعاً لذلك فانه طالما جعل الغرب شمالاً او الشرق جنوباً فقد قال مثلاً « قليلاً الى الشرق من الغرب » وكان يعني الشمال الشرقي . وكثيراً ما سمعناه يقول : « يقع لا شمالاً ولا جنوباً : لا هو جبيلي [ قبلي ] ولا هو شمال » ويقصد الجنوب الغربي . وكان ينطق كلمة ( ابن ) شبيهة بـ ( ابل ) ، و ( تل الرمل ) : تَرَمَل . وكلمة ( يسكنون ) تخرج من فمه شبيهة بـ ( يسكنون )

وفي ٧٥٥ هـ عبرنا نهر العيساوي القديم ، وكانت تظهر للعيان من ناحية الشمال خرائب تراجف وإلى الشمال الشرقي نيشان الاسمر . وفي الساعة ٤٦ هـ ظهرت الأخيرة ثانية الى شمالنا ، ثم قرية الشنيغي وخرائب ابو صليبيخ ، وإلى الجنوب الشرقي

(٦٨) يذكر ابن الاثير في تاريخه (ديسلان) ص ١٣ ، ان شرف الدولة بسط سلطانه سنة ١٠٨٤م على الاراضي الممتدة من السندية على نهر عيسى حتى منبج ، وخضت له مدن هيت ، والانبار ، والموصل وكذلك مناطق ربيعة والجزيرة .

ويقول ياقوت ، المعجم (فستنفلد) ، المجلد ٣ ص ١٦٨ ، ان بلدة السندية تقع على نهر عيسى بين بغداد والانبار .

قرية الجرية وفي ١٥ ر ٩ كان نيشان ابو طنطور يقع على يميننا . والى الشمال ظهر لنا مخروط عقروقوف ، والى الشرق منه ضفاف جدول الاتباري . وظلت الجمال ترعى من ٩٢٥ ر الى الساعة العاشرة . وفي ٣٠ ر ١٠ رأينا قرية الجرية على نحو خمسة كياو مترات الى جنوب — الجنوب الغربي ، كما رأينا الى شرق — الجنوب الشرقي : مركز درك مهجور هو مركز الداودي ، والى الشمال الشرقي سدود جدول الأمباري وتل الادرم وفي ٤٠ ر ١٠ رأينا تل بضاح الى الشمال الشرقي .

وشرح لنا الدليل الطريقة التي تتبعها الحكومة لتجنيد المتطوعين وتبدأ بدعوة يوجهها الوالي الى جميع الرؤساء [ الشيوخ ؟ ] للقدوم الى بغداد، وبعد ان يحلوا فيها يسألهم ان يتطوعوا للخدمة العسكرية برضاهم . وكان يفرض لكل متطوع عشر ليرات تركية ذهبية الى اثنتي عشر (من ٤٥ — ٥٤ دولار) وعند ذلك يذكر كل شيخ ارتجالاً عدد المتطوعين من رجال عشيرته ، ويحصل على المبلغ الذي يستحقه فوراً . . وعلى سبيل المثال فان احدهم أعلن تطوع ١٧٠ من رجاله . وتبعاً لذلك دُفع اليه مبلغ ألفي ليرة ذهبية . ولكن لم تسمع أحداً من العشيرة كلها ينوي الذهاب الى الحرب . وناقلت الحكومة خدمة مماثلة من غير هؤلاء من سكان العراق والجزيرة .

وتنحدر عشيرة زوبع من قبيلة طي وتنتشر مضاربهم في الأراضي الواقعة بين المحمودية وابو حنطة ( حبسة ) والطريق العام المؤدي من فلووجه الى بغداد . والبيوت التي تتألف منها هي :

الشيطي	السبيونات
السعدان	الشعار
الفياض	عزة
الخيطاويين	الهليل
الكروشين	المقادمة
جداده	بني زيد القحطان

واسم شيخهم هو ضاري بن فداغة بن ظاهر المحمود . في الساعة ١٢٠١ عبرنا نهراً قديماً عند ربوة قبر حمود . وكان حمود بن ثامر رئيس مشايخ عشيرة المنتفج ( المتفق ) في مطلع القرن التاسع عشر . وفي ٣٠ ر ١٢ بعد الظهر بلغنا سدة الخر ، الذي يخترق مزارع الدورة (٦٩) شمالي القبيبة وخرائب الرمل ، حيث مكثنا حتى الساعة ٥٤ ر ١٢ . وفي ٢٥ ر ١٢ رأينا على اليمين سكة حديد ضيقة توصل الى المجدم (المقدم) ، وكانت تستخدم لنقل البنادق من بعض السفن في الفرات الى سفن اخرى في دجلة . وفي ٣٠ ر ١٣ كان الى اليمين منا الطريق العام الموصل من المسيب الى الكاظمين .

في ٤٨ ر ١ وصلنا الى الطريق الفرعي المتجه الى الحلة والمسيب . وبعد ان دفعنا رسم العبور عبرنا جسر الخر الجديد ووصلنا في ٢٥ ر ٢ الى ارضة سكة الحديد المكتظة بعربات النقل . وفي ٤٣ ر ٢ انعطفنا خلال الضاحية الشمالية الغربية ، وفي الساعة الثالثة وصلنا الى البستان الذي سبق ان خيمنا فيه عام ١٩١٢ بضاحية ( المتولييه ) على طريق ( ترام ) الخيل بين بغداد والكاظمية . وقد رحب بنا صاحبها احمد طعمة ، بوصفنا اصدقاء قداماء - وفي خلال ساعة نُصبت خيامنا تحت اشجار النخيل الباسقة بجانب حقل مزروع بالفلفل . ولسوء الحظ كانت مياه دجلة التي تتدفق قريباً منا عالية جداً آنذاك مما جعل البستان رطباً جداً ، بحيث اصبح الجلوس على الارض العراء امراً مستحيلاً . واصبحت كل الاشياء التي في خيامنا مبتلة ايضاً . وأما البعوض الذي لم نلاحظ وجوده قط

(٦٩) وهذه هي با ( او بيت ) دورايا .

ويكتب ياقوت ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٤٦٠ وما بعد ، وابو الفضائل ، المراصد ( يونيول ) ، المجلد ١ ، ص ١١٦ ، ان بادورايا كانت جزءاً من منطقة الاستان ، ولاحقاً كانت جزءاً من منطقة نهر عيسى ابن علي . وقد شيدت بعض ارباض بغداد على حد بادورايا . ووفقاً لبعض الثقة الذين اوردتهم ياقوت فان كل مايقع شرقي الصرا [الصراة] فهو بادورايا ؛ وكل مايقع غرباً فهو قطربل . على انه ينبغي لنا ان نفهم شمال الصراة وجنوبه بدلاً من شرقه وغربه ، ذلك لأن قطربل تقع شمالي بغداد .

سنة ١٩١٢ ، فقد وفدت الينا مجاميعه لتعذيبنا هنا كما عذبتنا فيما بعد ببغداد ، حيث كنا نرجو ان نستعيد صحتنا وراحتنا . وبدأ المطر يسقط في المساء ، واستمرّ ينهمر طوال الليل . .

### بغداد في وقت الحرب

في ١٨ نيسان سنة ١٩١٥ ذهبت قبيل الظهر الى مركز الدرك على الضفة اليمنى من دجلة لإخبارهم بوصولي ولطلب حارس يقوم بحمايتي وحماية رفاقي وجمالنا من المضايقات ايضاً . وبعد ذلك عبرنا الجسر العائم ( جسر الاطواف ) الى الضفة اليسرى التي تقع عليها مدينة بغداد الأصلية ، وكان غرضي زيارة القنصل النمساوي / المجري ، دي تاهي هناك ، وكان يسكن جنوبي المدينة على ضفة نهر دجلة مباشرة . .

وسنحت لي فرصة طيبة اثناء الطريق للملاحظة الضرر الذي نجم عن الحرب والفيضان . فقد اقفرت طرقات مركز المدينة ، التي كانت تصعب الحركة فيها سنة ١٩١٢ ، وأصبحت الآن خالية خاوية . وكانت معظم الحوانيت مغلقة ، والمقاهي لم تُشغل سوى نصف مقاعدها ، والنساء الريفيات اللاتي كنّ يبعن الطعام في الاوقات العادية لم يعد لهنّ وجود . وظهرت احياناً جماعات من الجنود هنا وهناك . وكانت تحدد المدينة من جهة الشمال الشرقي بحيرة لا يمكن للمرء ان يرى عبرها . اما صفوف الاكواخ التي كانت تكتظ بها بساتين النخيل فقد تهدمت او جرفتها مياه الفيضان . وكان الرجال والنساء على السواء منهمكين في اصطلياد ادوات خشبية مختلفة تطفو على البحيرة ويسحبون بصنارات طويلة البطانيات [ الأغطية ] والمخدّات [ الوسادات ] من الاكواخ ويضعونها في قواربهم . وفي مقبرة النصارى ، الواقعة شرقي الطريق العام المؤدي الى ايران كانت توابيت وهياكل بشرية نصف متفسخة تطفو على الماء . ونتج عن انتشار الكوليرا المروع في المدينة ( كان يموت ثلاثمائة شخص كل يوم ) أن اصبح موتى المسيحيين يدفنون الآن على سد الطريق العام الجديد ، لهذا كان على المشي



والراكب لا ان يمر على مقربة منها فحسب ، بل عليه ان يسير بين القبور وعليها كذلك . وكانت هذه القبور قليلة العمق والجثث مغطاة بطبقة خفيفة من التراب لذا فان الروائح الخبيثة الخطرة انتشرت بسرعة في جميع الجهات . ولم يعد ثمة وجود للحياة بهذه المدينة ، التي كانت فيما مضى من اكثر المدن نشاطاً في الشرق .

ان القنصل دي تاهي نبيل مجرى طيب السريرة وقد رحب بي بصورة تدل على الودّ ولكن مع شيء من الحيرة ، ولم ينطلق على سجيته الا بعد ان علم من سياق الحديث بأنني جيكي الاصل . وعند ذلك عرض عليّ القيام بضيافتي بحماسة صادرة عن القلب بحيث انني قبلتها بسرور . وقبل الظهر خرجنا راكبين لزيارة الوالي : وهنا التمسنا الاذن بزيارة المنطقة المجاورة لسميحة [ سميكة ] فوراً ثم العودة الى سوريا بمحاذاة الضفة اليسرى من الفرات . فأجابني المحافظ ( الوالي ) بان هذا الأمر من اختصاص القائد العسكري للمنطقة ولهذا ينبغي لي ان اراه . ولكن ابن مارس لمآله الحرب عند الأغريق [ يعني القائد العسكري ] أبى حتى الاستماع لي . وطرح توصياتي جانباً مبيناً انه في مثل هذه الأمور لا يأخذ بمشورة احد في القسطنطينية ايّ كان ، وامرني في الوقت نفسه . بالعودة الى سوريا سائراً في الطريق المعتاد الذي يسير الضفة اليمنى من الفرات . وحينما أعلنت له انه من حقّي السفر في النواحي الداخلية [ من البلاد ] ما دامت لم تدخل في منطقة الحرب بعد ، وانني لا اطلب سوى دركيّ لحمايتي من التساؤلات التي لانهاية لها عن جواز سفري وعن الشهادة بانه ليس معي عسكري هارب ، حينئذ انكر بجفاء ان يكون لي مثل هذا الحق وصرفني قائلاً انني استطيع تلاميذ شكوى الى القسطنطينية ان رغبت في ذلك ، ولكن ينبغي ان انتظر الجواب في سوريا ، وليس ببغداد . وكان اعتذاره الوحيد الى القنصل الذي شملني برعايته ، من عدم معاونتي بمسكّه بالقوانين العسكرية التي زعم انها تحول دون اجابة طلبي .

وانصرفت وانا في غيظ شديد ، ذلك لأن القائد برغم محافظته على كل مظاهر المجاملة اثناء رفضه لرجائي ، لم يسعني الا ان أشعر ببغضه الشديد لي . لقد قدّمت بغداد لغرض واحد ، وهو تقصّي الوادي الادنى لنهر الشراة والضفة اليسرى من الفرات : ولو كان في مقدوري التنبؤ بهذا الرفض الحقود لكنت حتماً اتجنب بغداد واجعل بداية رحلتي من القلوجة . واستغرب القنصل قرار القائد أيضاً واعرب عن رأيه بأنه ربما كان سعود ، وزير ابن رشيد ، الذي كان من كبار المقربين لأنور باشا ، والذي عملت ضده في وسط الجزيرة العربية ، قد وجه التهم الي في استانبول وان أنور باشا ، تبعاً لذلك ارسل امرأ برقياً الى بغداد يأمرني فيها بالعودة الى سوريا . وبدا لي هذا الحذر معقولاً الى حد كبير ، فقد كان غرضي ، حينما كنت في وسط الجزيرة العربية ، ان اعمل على اسقاط الوزير سعود ، ومعهُ الأمير الضعيف ابن رشيد . الذي سبق ان اهدي اليه انور باشا عدة آلاف من بنادق الموزر مع ما يلزم من الذخيرة ومبلغاً كبيراً من الذهب . ولعل سعوداً ابغ هذه التهمة بوساطة فارس سريع الى محطة المعظم على سكة حديد الحجاز وان انور باشا — الذي كان يعلم اني لا اوافق على سياسته في داخل الجزيرة العربية — اتخذ بعض التدابير المناوئة لي بعد ان اكتشف من خلال هذه التهمة أن الأعمال التي قمت بها ضده الأشخاص الموالين له . كانت فعالة .

وخطر لي الآن ان اسأل القنصل . الذي زعم انه على علاقات طيبة جداً بالقائد العسكري ، ان كان في استطاعته ان يتأكد من اسباب هذا السلوك ، وقد فعل ذلك بعد ساعتين . وانتظرته امام المبنى الحكومي ، حيث خرج بعد اقل من نصف ساعة ، ودعاني للدخول قائلاً ان كل شيء قد تم توضيحه ، ويعتقد اني سأرضى بهذا الايضاح . والواقع ان القائد خرج الى حجرة الانتظار لتحتي . وحيث اني بأدب جم . معتزلاً من معاملته السابقة لي . لقد حسني المانياً من النمسا ، وقد كان ببغضه الشديد لهؤلاء لا يقل عن كراهيته للامان الروسيين ، كما يسميهم ، لهذا اراد اظهار سطوته لي والانتقام لنفسه

ولو بطريقة غير مباشرة من جميع ما قاساه من جمهرة الالمان المحيطين به ، الذي لم تكن له سيطرة عليهم . وقد رفع صوته بشكوى مريرة من مسلك الضباط البروسيين ، حتى ان لم يكن منهم عسكرياً محترفاً اذ كانوا يزعمون انهم اطول باعاً في الشؤون العسكرية من خيرة ضباط الجيش التركي . وضرب مثلاً لذلك ضابطاً المانيا برتبة رائد كان ممثلاً لهيئة اركان الحرب البروسية ببغداد : أباح لنفسه التشهير امام الجمهور . ليس بالضباط الاتراك فحسب ، بل بالضباط النمساويين كذلك . وعلى سبيل المثال أقام هذا الرائد منذ زمن غير طويل حفلة دعا اليها نخبة من اهل بغداد البارزين والضباط . . وكانت الموسيقى تعزف من جهاز حاكي (فونوغراف) كبير ، وفجأة افلت نابض في الجهاز ، مما ادى الى زيادة سرعة الحاكي وفي هذه اللحظة نهض الرائد وهتف قائلاً :

« هذه سرعة الجيش النمساوي الهنغاري » عند ما يجري هارباً امام الجيش الروسي « فوثب القنصل النمساوي دي تاهي من مقعده . وهو يصرخ بغضب : « اسحب كلامك : والا لطمت وجهك ! »

فاذا كان الممثل العسكري البروسي يامل حليفه الاوربي بهذه الطريقة ، فمن الممكن ان نتصور كيف كان يسلك تجاه هذا الاسوي الذي اجبرته الظروف على محالته . وهكذا فان حاكم بغداد العسكري لم يكن شيء يسعده اكثر من ان تتاح له فرصة النيل من زميله البروسي . وزيادة على ذلك فقد روى لنا : بهرح عظيم . كيف أزعج اعضاء الحملة الالمانية الى افغانستان . بالاستيلاء على اكثر من نصف ما لديهم من الذهب والسلاح ، وكيف أشرع عمداً في بغداد الوزير البروسي والنمساوي وكانا في طريقهما الى طهران . . . وهكذا . وأخبرني القنصل دي تاهي كذلك . كيف انه كان يستضيف السفير النمساوي -- المنجری في طهران في مقر إقامة مراراً اثناء مكوث الأخير في بغداد . وأخبرني ايضاً ، بأنه كان يرثي لحال هذا الوزير اذ كان زميله البروسي ينحيه جانباً ويستخف به في كل مناسبة .

وابدى القائد التركي حزنه العظيم اهذه الحرب ، وكان يخشى على كل حال ان تكون فيها نهاية تركية . وفي حالة انتصار الحلفاء ، كان يتخوف من تقطيع اوصال تركية ، اما اذا انتصر الالمان فان تركية سوف تخضع لهم . وحينما علم أنني أنسب لاحد الشعوب الخاضعة للنمسا زادت مودته لي ، وصّرح اخيراً بانني استطيع السفسر متي شئت وحينما أردت . وبعد الاستئذان من القائد ، الذي اصبح راضيا تمام الرضا ، عدت الى خيامنا . وعهدت بكل متاعنا الى خلف وناصر ، ثم ذهبت الى منزل القنصل لمعالجتي من الوعكة التي ألمت بي .

من الثامن عشر الى السابع والعشرين من نيسان لازمت الفراش بصورة مستمرة تقريباً . وكان يزورني كل يوم طبيب الماني انتقل الى بغداد من بومبي بعد اعلان الحرب . وكان الطبيب على معرفة جيدة بمهنته ورجلاً ذكيا استطاع اثناء اقامته الطويلة في الاقطار الأجنبية التعرف بالانكليز وتقديرهم اكثر من معرفته بمواطنيه البروسيين الذين أثنى على بعض خصالهم ولكن لم يسعه الا ان يضيف ان هذه الخصال نفسها هي التي جعلت البروسيين غير محبوبين في الخارج . وكان القنصل دي تاهي يكره الالمان ايضاً لاسيما البروسيين منهم ، ولم أجد بين ممثلي الدولة النمساوية المجرية الذين قابلتهم في البلاد الأجنبية من هو أشد استنكاراً للتحالف مع المانيا من القنصل دي تاهي . وكان في الوقت نفسه يرثى لموطنه الاصلي ، المجر ، وكان واثقاً من أن مصيراً مماثلاً لمصير تركيه ينتظره ذلك لانه ، كما يقول ، لا يشك في ان (انتصار الحلفاء) سيؤدي حتماً الى تحرر [القوميات] الخاضعة للدولة النمساوية المجرية . اما اذا حالف التوفيق الالمان فانهم سيطغون على المجر .

وبين حين وآخر كان يأتيني مالك البيت الذي يسكنه القنصل للجلوس معي برهة من الوقت . وكان رجلاً في نحو الستين من عمره ، يملك عدداً من المعامل الصغيرة ، وأكبر محل تجاري للتوريد والتصدير ببغداد . ولما كان

عريباً فقد اظهر اهتماماً كبيراً بتاريخ قومه القديم ، وفضلاً عن ذلك فقد أراد ان يتعرف طبيعة المنطقة التي وفد منها اجداده الى بغداد بحسب تصوره . لذا سرّهُ ان يلقى رجلاً على معرفة بالتاريخ العربي واما الصحرَاء على السواء ، ولم يدخر وسعاً في ابداء شعوره الطيب نحوى بكل وسيلة ممكنة . وأحضر الى غرفة نومي جميع ابنائه ، واحفاده ، وحتى ابناء احفاده ، ورجاني كثيراً ان ازوره متى استطعت القيام ، ليقوم بضيافتي ، ويقدمني الى زوجته . وكان هذا الرجل ايضاً كثير الشكوى من الحكومة التي كانت في رأيه لا تكاد تقوى على حفظ كياناتها بعد الآن . وكان يفضلّ الايمان على الأتراك لانهم يستطيعون العمل على رقيّ الزراعة والصناعات والتجارة .

وسمعت آراء مماثلة من جميع تجار بغداد تقريباً ، ممن لاقيتهم في القنصاية أو خارجها . وكلهم يعتقد ان التغيير السياسي مرغوب فيه الى اقصى حدّ من أجل رفاهية البلد كله ، وكانوا لا يترددون في ابداء هذا الرأي .

في ٢٨ نيسان سنة ١٩١٥ ذهبت لرؤية رفاقي ، الذين كرروا زيارتهم لي اثناء فترة مرضي ، وأخبروني بكل ما حدث في غيابي . وفي هذا الوقت كانوا جميعاً قد لُفّحوا ضد الكوليرا والجذري . وكان ظهوري في الخيمة مدعاة لعظيم سرورهم . وسرعان ما قدّموا لي على الفور طبقاً من التوت [ تكيّ ] الطازج وقدحاً من اطيب الشاي .

واجتمعت الآراء مع ذلك على الرغبة في الرحيل ، والتمسوا مني التعجيل به في اقرب وقت ممكن . وقالوا ان الصحرَاء وان لم يكن فيها لحوم ولا فواكه ولا خضروات ، فان كل شيء فيها خير مما يوجد تحت ظلال التخيّل ببغداد . . . ولما كنت متفقاً معهم في الرأي طالبت اليهم ان يفحصوا ويصالحوا سروج التحميل ، ويشترؤا ما كان ضرورياً ، وان يستعدوا للسفر في اول ايار . وامضيت المساء مع اسرة مالك المنزل الذي يسكنه القنصل النمساوي .

في ٢٩ و ٣٠ نيسان قمت بزيارة بعض اصداقائي ، وحصلت على رسائل  
نوصية مختلفة ، وعيّنت خط العرض ، ورسمت خريطة للاراضي التي  
عزمت على زيارتها ، وفحصت السروج ، وقرب الماء ، والاسلحة ، والمؤونة .  
وعلى العموم لم أجد أي نقص غير ان فراق القنصل كان عسيراً عليّ في  
الواقع . لقد رحّب بي واكرم مثواي حين كنت منهكاً ، وعنى بي عناية  
رقيقة ليلاً ونهاراً في المراحل الخطيرة من مرضي ، وأطعمني ، وساعدني  
في الاعداد لرحلاتي القادمة . وكان سلوكه طوال هذه الفترة سلوك أخ كريم  
عسى الله ان يزيد نعمته .

## الفصل العاشر

### بغداد الى الثرثار بطريق مسكن بغداد الى خان المشاهدة

في الاول من أيار سنة ١٩١٥ . . غادرنا بستان المتولّية في ٥٧ ر٤ صباحاً وتابعنا السير بمحاذاة خط الترام ( الذي تجرّه الخيل ) الى الكاظمية . وفي ٥٥ ر٥ كان الى يسارنا مركز درك نقطة المتولّية ، وفي ١٥ ر٥ وصلنا الى بساتين الكاظمية ( ٧٠ ) .

( ٧٠ ) واعتبر الكاظميين مطابقة للخنافس الواردة في المراجع العربية . ويذكر سيف بن عمر مقتبساً من محفز ( الطبري ، التاريخ [ ديخوية ] ، سلسلة ١ ، ص ٢٢٠٤ ) ، ان الخنافس يمكن الوصول اليها من الانبار في ليلة واحدة . وانطلق القائد المسلم المثنى من اليس فوصل اولاً الى الخنافس ؛ وزحف بعد ذلك على الانبار ، حيث التمس دليلاً ، ثم رجع ادراجه الى الخنافس . وعند وصوله الى منتصف الطريق استفهم عن المسافة المتبقية حتى هذه المدينة ، فأخبر بانها اربعة أو خمسة فراسخ . حينذاك ارسل جماعة من الرواد تسبق الجيش ، وعبر المخاضة في أثرها ، وعند الصباح هاجم سوق الخنافس . ثم انه خيم بازاء خليج السيلحون . واخيراً وصل الى الانبار . وكان يتردد على الخنافس للتسوق اناس من المنطقة كلها ، وكذلك العرب من قبيلتي ربيعة وقضاعة ( المصدر نفسه ، ص ٢٢٠٢ وما بعدها ) .

ويقول ياقوت ، المعجم (ديخوية) ، المجلد ٢ ، ص ٤٧٣ ، وابو الفضائل ، المراسد ( يونيول ) ، المجلد ١ ، ص ٣٦٧ ، أن الخنافس اسم لأرض عربية في العراق بقرب الانبار في منطقة البردان . ويضيف ابو الفضائل وحده ان الخنافس تقع شرقي الفرات .

ورواية سيف تجعل في مقدورنا ان نحدد في الأقل وفق بعض المعايير موقع سوق الخنافس . ويؤدي طريق من الانبار ( وتلفظ الآن : الامبار ) الى هناك . وتبلغ نصف المسافة من الانبار الى الخنافس اربعة أو خمسة

وفي الساعة ٤٨٠٥ . مررنا بمركز درك الكاظمين ، وفي ٢٠٨٦ محطة سكة الحديد . وفي ٢٠٤٦ كنا في مزارع الهيسنة . والى غربي سكة الحديد ما زال بالامكان رؤية نهر قديم . وفي ٢٠٧٢٠ مررنا في مزارع السراحة بثلاث اكوام من شظايا اواني فخار لعلها بقايا انران فخار هناك . ومن ٢٥٨٧ الى ٢٠٩٠ رعت جبالنا الى شرقي تل ابو عظام . ثم اتجهنا الى الغرب وسرنا خلال مزارع الحميات نحو مجموعة صغيرة من الاكواخ بقرب دجلة تسمى البيضا . وفي الساعة العاشرة وصلنا الى نهر دجلة ، ثم تابعنا في سيرنا الى الشمال كثفاً عالياً من اكتاف النهر يمتد على ضفته اليمنى يحمي الحقول الخصبة من الفيضان . وكانت زراعة البصل في هذه الحقول ناجحة بوجه خاص . وتتركز اشجار النخيل في هذه المنطقة على الضفة اليسرى اما على الضفة اليمنى فلم نشاهد الا شجرة توت واحدة . وفي ١٠٨١١ شاهدنا الى اليمين قرية المزروفة (٧١) ، وبعد فترة قليلة شاهدنا ربوة خرائب تل قوش على اليسار منا .

فراسخ . ويتابع الطريق نهر السيلحون ، وقبل الوصول الى الخنافس لابد من عبور نهر آخر . وان اقامة الاسواق هناك تجعل من المحتمل ان كانت الخنافس محطة لتوقف القوافل التجارية ، وانها كانت تقع بجوار مدينة بغداد فيما بعد . ووفقاً لما اوردته سيف وياقوت من بيانات يمكننا ان نحدد موقع الخنافس في منطقة البردان ونطابقها بالجزء الغربي من مدينة الكاظمين الحالية ، التي تبعد ٥٥ كيلومترا (نحو عشرة فراسخ) من الانبار ، اما النهر الذي كان لابد من عبوره فهو نهر الدجيل . والسيلحون هي السالحيين الحديثة ، على بعد ٢٠ كيلومترا غربي بساتين الكاظمية على الطريق المباشر الى الانبار .

ويبين ابن بطوطة ، التحفة (دفرميري وسانكويستي) ، المجلد ٢ ص ١٠٨ ، ان موسى الكاظم ، وهو ابن جعفر الصادق ، كان قد دفن على الضفة اليمنى لدجلة . ودفن الى جانبه الامام التاسع ، محمد الجواد . وقد شيدت قبة فوق قبريهما ، مبطنة بالواح خشبية محلاة بالفضة . (٧١) ان المزرعة الحالية هي بلدة المزرعة القديمة ، وتؤلف الحد الشمالي لمنطقة قطربل . واحدد موقع بلدة قطربل في الخرائب الواقعة في حقول السراحة ، على نحو ١٢ كيلومترا من جسر بغداد . وكانت تسمى في



كان الفلاحون في حقل السطوح ، الواقعة على أرض أكثر ارتفاعاً ، يحصدون القمح آنذاك وقد اسود لونه كليا لاستمرار سقوط الامطار . وفي ١١٤٨ رأينا تلّ القبر (٧٢) الى شمال-الشمال الغربي ، وتلّ الزواغير الى غرب-الشمال الغربي .

= الاصل بيت نيكاتور عند السوريين ، وكانت منذ النصف الاول من القرن الثالث مقراً لمطران مسيحي السريانية ؟ ( مدونة اربلا [ ترجمة سخاو ] ، ص ٦١ ) .

وقد عانت بلدة قطربل كثيراً من جند المرتزقة الاتراك في خلافة احمد المستعين ( ٨٦٢ - ٨٦٦ م ) ، حتى انهارت اخيراً . ( الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ص ١٥٦٢ وما بعدها ) .

ويكتب ابو الفضائل ، المصدر السابق - المجلد ٢ ص ٢٩٩ وما بعدها ، ان قطربل أو قطربل كانت بلدة بين بغداد والمزرفه غربي دجلة . ومنها اشتق اسم منطقة قطربل ، الممتدة فوق الصراة والتي تروي من نهر الدجيل . ويذكر ان المزرفه ( المصدر نفسه ، المجلد ٣ ، ص ٩٠ ) كانت بلدة كبيرة على الطريق شمالي بغداد ، غير بعيدة عن دجلة .

ويقول حاجي خليفة ، جهان نامه ( القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ ) ، ص ٤٦٠ ، نقلاً عن روايات قديمة ، ان بلدة قطربل الواقعة بين بغداد وعكبرا معروفة بسكانها المسيحيين وكنائسها المتعددة .

(٧٢) ولعل تل قبر والخرائب المجاورة هي بقايا بلدة البردان القديمة .

ويقول الشابشتي ، الديارات ( مخطوط برلين ) ورقة ٢٤ يمين ، انه كان ثمة دير في البردان على ضفة دجلة . وكانت البساتين ممتدة طوال الطريق من بغداد الى البردان ، تتخللها متنزهات كثيرة ، مثل تل شكر ، المحمدية ، الطولوني الصغير ، الطولوني الكبير والبردان .

ويروي ياقوت ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٥٢٢ ، ان المسافة من بغداد الى البردان هي سبعة فراسخ ، وتقع صريفون غير بعيدة من هناك . وفي زمن ياقوت لم يعد موقعا صريفون والبردان معروفين . فلا بد ان تكون المسافة سبعة فراسخ خطأ .

ويذكر ابن سرايون ، العجائب ، ( لوسترنج ) ، ص ٩ ، ان دجلة يجري الى جانب مدينتي تكريت وسامراء ، ثم الى جانب قرى القادسية ، الأجمة ، العلت ، الحظيرة ، الصواسج ، ويخترق مدينة بغداد .

ويبين ابو الفدا ، التقويم ( رينو ودي سلان ) ، ص ٥٤ ان دجلة يستدير بعدها شرقاً الى سامراء ، على خط طول ٦٩° ، وخط عرض ٣٤° ؛ ثم يتجه جنوباً الى عكبرا على خط طول ٦٩° ، وخط عرض ٣٣° ؛ وبعده يتجه شرقاً الى البردان ، على خط طول ٥٠° ٦٩° ، وخط عرض ٣٠° ٣٣° ، واخيراً يتجه جنوباً شرقياً نحو بغداد .

وبعد ان غادرنا ضفة النهر اتجهنا شمالاً بمحاذاة مجرى دجلة القديم المسمى الشطيطة ، ومن ١٢٢٥ بعد الظهر الى ١١٠ تناولنا غداءنا على الحافة الغربية من حقول الشيخ حبيب . وكان على يميننا في الساعة ١٤٥ قبر الشيخ حبيب . وفي الساعة الثانية كان طريقنا يخترق خرائب تل المفهده ؛ وفي ٢٤٠ ترجلنا امام مخفر الدرك بقرب خان المشاهدة . وكان الخان ( النزل ) مهجوراً وخرباً . وكانت خطتي ان نترك مؤننا وخيامنا في غرفة بالطابق الاول من مخفر الدرك تحت حراسة ناصر ، ونترك النوق الخمس في مضارب المشاهدة في موقع قريب منا ، وبعد ذلك نتجه الى نهر الثرثار . وكان علينا ، بعد ان نفرغ من دراسة الاقاليم الممتدة على طول الجزء الادنى من النهر ، ان نعود ادراجنا الى خان المشاهدة لاسترداد امتعتنا ، ثم نواصل سيرنا جميعاً الى سوريا بمحاذاة الضفة اليسرى من الفرات . وتقرر ان يصحبنا اثنان من رجال الدرك في رحلتنا الى الثرثار . وكان الرجلان فارسين ، لذا وجب علينا شراء شعير علفاً لحصانيهما ولكن لم يكن للشعير وجود في المنطقة المجاورة كلها . وقيل لنا أن السبب في ذلك هو عدول الناس عن زراعة الشعير الآن لان الحكومة كانت تصادر المحصول كلما زرعه في بقعة من الارض . واثاروا علينا بالذهاب الى سميكة للحصول على حاجتنا منه . فالتربة هناك اكثر جفافاً واصحح لزراعة الشعير بحيث يمكن اتياعه في تلك المنطقة على الدوام .

وكانت الاراضي المجاورة لخان المشاهدة تروى سابقاً من نهر الدجيل وتتبع ادارياً منطقة الدجيل (٧٣) .

(٧٣) واستناداً الى الرواية التي حفظها لنا ابو زيد فان مصعباً كان قد قتل عام ٦٩٠ - ٦٩١ م ، بالقرب من نهر الدجيل غير بعيد من دير الجائليق ( الطبري ، التاريخ [ دي خوية ] ، السلسلة ٢ ص ٨١١ ) . ويذكر ابن خرداذبة ، المسالك ( دي خوية ) ص ٧ ان الفرات والدجيل يريان مناطق فيروز ، سابور ، مسكن ، قطربل ، وبادورايا . واما ابن خرداذبة فيما يظهر يخلط بين جدول الدجيل ، الذي يأخذ من الفرات ، وبين نهر الدجيل ، الذي يتفرع من دجلة فان ذلك يتبين من أن منطقة

مسكن لم يكن في الامكان ارواؤها من الفرات ، بينما لايمكن ارواء المناطق  
الاخري من دجلة .

يجري بجانب مدينة تكريت ، على خط طول ٢٥° ٦٨' وخط عرض ٣٤° ؛  
وفي عام ٨٦٦م قام سعيد بن صالح ، صاحب الخليفة المعتز ، بوضع  
الخليفة المعزول احمد المستعين في قارب ، وسار مشرعا معه على دجلة من  
سامراء الى مخرج نهر الدجيل ، حيث ربط حجرا بقدمه والقي به في  
الماء ( الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ص ١٦٧ وما بعدها ) .  
ويدون ابن حوقل ، المسالك . ( دي خويه ) ، ص ١٥٦ ان نهر الدجيل  
يتفرع من دجلة بالقرب من بلدة تكريت ، ويروى بعض الزارع الاراضى  
التابعة لهذه ، ثم يجرى في حقول بلدة سامراء ، بحيث جعلتها صالحة  
للزراعة حتى حدود بغداد . ويخلط ابن حوقل بين نهر الاسحاقى وبين  
نهر الدجيل .

ويقول ياقوت ، المعجم ( فستنفلد ) ، المجلد ٢ ، ص ٥٥٥ ان الدجيل  
نهر بين بغداد وتكريت ، اسفل من سامراء ، مقابل القادسية . ويروى  
مناطق واسعة وقرى متعددة ، مثل : اواناء ، عكبرا ، الحظيرة ،  
صريفون ، الخ . . ويصيب في دجلة . وتقع بلدة مسكن ، حيث هزم  
مصعب وقتل ، على النهر .

ويضيف ابو الفضائل ، المرصد ( يونيبول ) ، المجلد ١ ، ص ٣٩٣  
وما بعدها ، الى هذا : ان نهر الدجيل يصب في دجلة عند بلدة الطاهرية .  
وتبنى مرقد فوق ضريح مصعب ، وكان يؤمه الزوار . وفي منطقة الدجيل  
يقرب بلدة اواناء كان ثمة جدول الناب ( المصدر نفسه ، المجلد ٣ ص  
٢٥٢ ) . وامتد نهر زوار غير بعيد من عكبرا ( المصدر نفسه ، المجلد  
٣ ص ٢٤٧ ) مارا ببلدة زوا . وجرى جدول البيطار بين بلدة حرباء  
وبلدة اوانا ( المصدر نفسه ، المجلد ٣ ، ص ٢٤٥ ) .

ويقول حاجي خلفه ، جهان نامه ( القسطنطينية ، ١١٤٥هـ ) ،  
ص ٤٦٠ ، ان بلدة الدجيل تقع الى جنب خرق الدجيل ( الخرق :  
القناة ) . على مسافة ساعة او ساعتين من مدخله . وكانت فيما مضى  
مركزا مشهورا لمنطقة الادارية ، تكثر فيها القرى الاهلة بالفلاحين .  
 واصبحت هذه المنطقة مقفرة عندما اختنق نهر الدجيل بالطمى . وقد  
امر حاكم بغداد السياسي ، مرتضى باشا في عام ١٦٥١ بتنظيف النهر  
القديم الى حد ما ، واعادة اسكان الاهلين في عدة قرى ، ولكن الماء  
لم يجر في النهر الا بكميات غير وافية . وتبعنا لذلك سرعان ما غادر  
الاهلون قراهم ثانية ، وتمطلت زراعة الاراضى هناك ، اذ ان اصلاح النهر  
بصورة شاملة كان باهظ التكاليف ولا ريب .

## خان المشاهدة الى السميكة

في ٢ أيار سنة ١٩١٥ ، في الساعة ٨ ٠٥ صباحاً غادرنا خان المشاهدة على الطريق (٧٤) الموصل من بغداد الى تكريت مارين ببلدة سميكة .

كنا نمر الآن باقليم مسعود ، وهو اقليم مستغل بالزراعة الى حد كبير . وفي ٣٠ ر ٥ كانت الى غرب - الشمال الغربي منا محطة سكة حديد مقص مسعود ، والى شرقنا حقول المذوح وخرائب الصبوح ، وشاهدنا شرقاً خرائب الطاسة ، والى الشمال الشرقي منها تل المدود ، وفي شرقي شرقي - الشمال الشرقي من التل الأخير توجد سدة المذوح . وقطعنا بعد ذلك سهل مغاير المر . وبعد ان عبرنا نهر قديماً في الساعة ٤٠ ر ٦ رأينا الى الشمال

(٧٤) وكان يؤدي من بغداد في الازمنة السابقة طريقان الى الشمال ، احدهما على الضفة اليمنى لدجلة ، والاخر على الضفة اليسرى . ولا يهنا في هذا المجال سوى الطريق الذي على الضفة اليمنى .

ويسجل قدامه ، الخراج ( دى خويه ) ، ص ٢١٤ المسافات التالية : من بغداد الى محطة البردان ، ٤ فراسخ ، ومن هناك الى عكبرا ، ٥ فراسخ ، ومن هناك الى باحمشا ، ٣ فراسخ ، ومن هناك الى القادسية ٧ فراسخ . - ويمكن مطابقة البردان بخرائب تل قير ، على مسافة ٢٠ كيلو مترا شمالي بغداد القديمة . وتقع خرائب عكبرا على بعد ٢٦ كيلو مترا شمالي تل قير على الضفة اليسرى لمجرى دجلة القديم . ولابد من البحث عن محطة باحمشا في مكان ما بقرب الشيخ منصور . اما بلدة القادسية ، التي لاتزال مأهولة حتى يومنا هذا ، فانها تقع على الضفة اليسرى لمجرى دجلة الحالي .

ويذكر الاصطخرى ، المسالك ( دى خويه ) ، ص ٧٩ ، ان المسافة من بغداد الى سامراء ٣ مراحل ، ومن سامراء الى تكريت مرحلة . - ومن بغداد الى سامراء تبلغ المسافة ١٠٥ كيلو مترات ، او لمسافة من سامراء الى تكريت ٤٨ كيلو مترا ، وعلى هذا فالمرحلة لم تكن متساوية الطول .

ويعدد ابن حوقل ، المسالك ( دى خويه ) ، ص ١٥٨ ثلاث مراحل من بغداد الى سامراء ، مرحلتين من سامراء الى تكريت ويحصى المقدسي ، احسن ( التقاسيم ) ( دى خويه ) ، ص ١٣٤ وما بعدها ، من بغداد الى البردان بربردين ( اى محطتي بريد ) ، ثم الى عكبرا مرحلة ، ثم الى باحمشا ، نصف مرحلة ، ثم الى القادسية ، مرحلة ، ثم الى

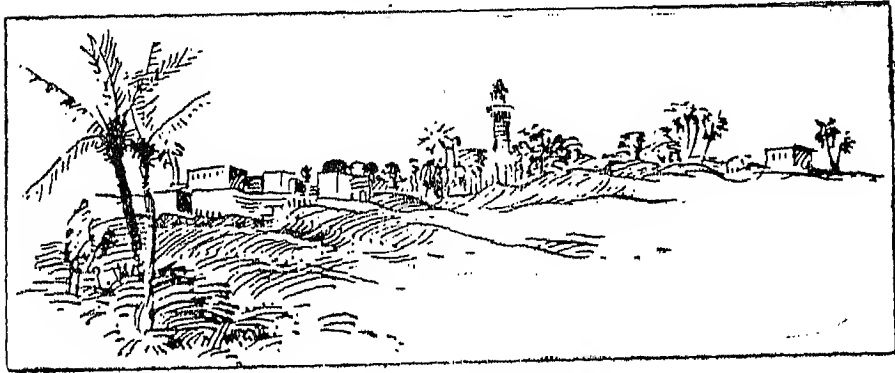
• • • • •

الكرخ مرحلة ثم جبلتا مرحلة تبلغ المسافة الفعلية من بغداد الى البردان نحو ٢٠ كيلو مترا ، ويمثل هذا المسافة بين محطتي بريد .. ومن هناك الى عكبرا تبلغ المسافة ٢٦ كيلو مترا ، او مسيرة واحدة ، ومنها الى باحمناء : نحو ١٤ كيلو مترا ، او مسيرة نصف يوم ، ومن هناك الى القادسية : نحو ٣٧ كيلو مترا ، او مسيرة واحدة .

ويتفق الادريسي ، النزهة ، م ، ٤ ، ٦ ، مع المقدسي . وفضلا عن ذلك فانه يحتفظ بجزء يتعلق بطريق من بغداد الى وادي الترار ، وهو الطريق الذي يقول انه يبدأ عند مويبة الحضرة . ومن هناك يمتد لمدة تسعة ايام مخترقا صحراء الرقة . ونقرا في ترجمة جوبير للادريسي ، المجلد ٢ ، ص ١٤٦ وما بعدها ، ان هذا الطريق يترك دجلة عند تكريت . - فان كان في الامكان الوصول الى الرقة بهذا الطريق في تسع مسيرات فلا بد اذن ان كانت كل مسيرة قرابة خمسين كيلو مترا . واتجه الطريق من تكريت الى الغرب مباشرة ، مارا بآبار ابي القدور ، بنية المألحة ، السمدان ، التويسان ، الشخمة ، ام غدوم ، الفليسية ، والخيرة . وعبر الطريق نهر الخابور عند تل الشيخ حمد ( ماكسين ) ، ووصل الى الفرات عند بلدة الخانوقه ، وتابع سيره بمحاذاة ضفته اليسرى .

وسافر ابن بطوطة ، التحفة ( ديفريميرى وسانكوزنى ) ، المجلد ٢ ص ١٣٢ وما بعدها ، من بغداد الى بلدة بجانب نهر الدجيل الذي يأخذ من دجلة ، ويروي قرى كثيرة . وبعد يومين وصل الى مدينة حرى الكبيرة الفنية ، ومن هناك بلغ قصر المعشوق على ضفة دجلة بعد مسيرة أخرى ، وقد خيم على مقربة منه . وكانت وفته التالية لقضاء ليلته في مدينة تكريت . وبعد مسيرة يومين آخرين وصل الى قرية المقر الواقعة على دجلة . وفي الجزء العلوي من هذا المكان ارتفعت ربوة بها قلعة قديمة مهدمة . وفي اسفل منها مباشرة كان يقع خان الحديد ، المحصن بأبراج . ويستمر الطريق بعد ذلك بين فرى ومزارع كثيرة اهله بالسكان حتى الموصل ، وكانت المحطة التالية فيما وراء الموصل تسمى القفارة ، وتقع على النهر ، وبجوارها كانت توجد عيون قير متعددة . ولعل ابن بطوطة امضى ليلته الاولى عند بلدة البردان ، التي كانت على بعد ٢٠ كيلو مترا شمالي بغداد ، وكانت نحصل على مائها من فرع من نهر الدجيل . ومن هناك تبلغ المسافة ٥٢ كيلو مترا الى حرى . ويمكن مطابقة قصر المعشوق بقصر العاشق الحالي ، الذي يبعد مسافة ٣٧ كيلو مترا من حرى ، واربعين كيلو مترا من تكريت . اما محطة الفقر ، التي تمتد شمالها القرى قرية بعد قرية مع حقولها المزروعة ، طول الطريق المؤدى الى الموصل فينبغى البحث عنها بقرب قصر البنات .

منه كثيراً من الروابي كرفنتها خرائب النادريات . وفي ٢٤٨ ر واصلنا الى عدة  
آبار مهدامة وبركة البير الصناعية المرسوفة بالآجر . وفي ١٠ ر ٧ عبرنا جدول  
الناضرية ، التي يأتي من السميكة ، وشوهدت من جهة اليمين ، على بعد  
اربعة كيلو مترات منا تقريباً بركة هور الطارمية الكبير الذي يقع ، والى  
الشمال ، منه مخفر الدرك : ( نقطة الطارمية ) : وتركنا جمالنا نرعى من الساعة ٢٤٨ ر  
الى ١٦ ر ٨ بالقرب من قبر العبد . وفي ٢٥ ر ٨ عبرنا نوء سكة الحديد الذي  
يتفرع هنا باتجاه ابو فراج ونهر دجلة ، ثم سرنا بمحاذاة الجانب الجنوبي  
الغربي من حافة جف علي [ كفّ علي ] وظهرت الى الشرق خرائب صقر  
وبارود ، وغزال ، وبساتين الخضيرة ؛ والى الشمال الغربي كانت جماعة  
المقدمة ، من عشيرة زوبع قد تركت قطعاً من جمالها يرعى هناك . وفي  
١٢ ر ٩ مررنا بمشهد الشيخ ابراهيم الذي بني في طرف خربة واسعة .  
وفي ٢٥ ر ٩ وكان الى يميننا في الساعة ٢٥ ر ٩ نهر قديم كبير يقع خلفه  
مشهد جف علي ، والى الشمال من ذلك تظهر خرائب أوأنا ثانية ؛ وكانت  
امامنا بعض بساتين النخيل وفي الغرب ربوة عطف .



( شكل ٤١ - سميكة من الجنوب )

وفي الساعة ١٠.٠٥ رأينا بئر السفنيرات من ناحية الشرق . كما رأينا الى الشمال منها ، على الضفة اليسرى من مجرى دجلة القديم ، خرائب ومحطة سكة حديد عكبرا (٧٥)

وبدأت الريح تهبّ من شرق -- الشمال الشرقي . وفي ٢٠ ر ١٠ كانت الى يميننا خربة تلّ منصور . وفي الساعة الحادية عشرة توقفنا في خرائب تقع جنوبي قرية السميكة (شكل ٤١) ، الى شرقها ترتفع قرية مسكين (٧٦)

(٧٥) انظر مايلي ، الملحق العشرون .

(٧٦) عكبرا وأوانا كانتا من المراكز السكنية المعروفة لدى كتاب العرب الاوائل وقد بنى الملك سابور الاول ( ٢٤١ - ٢٧٢ م ) ، وهو من معاصري الامبراطور فاليريان ، على ضفة دجلة مدينة مرو خابور ، التي سميت فيما بعد : عكبرا ، ( مدونة سيرت ( شير ) ص ٢٢١ ) .

ويكتب الطبري ، التاريخ ( دي خويه ) ، السلسلة ١ ص ٨٣٩ ، ملاحظة ٢ ، ان الاسم الاصلي لهذا المكان كان برج سابور ( انظر ابن خرداذبه ، المسالك [ دي خويه ] ، ص ٢٨ ) .

وفي عام ٦٣٣ - ٦٣٤ ارسل خالد بن الوليد جندا من المسلمين من عين التمر افاروا على مخيم التغلبين بالقرب من احد مناهل الماء، ومن هناك الى المنطقة التي كانت مدينة تكرت حاضرتها . ويروي محمد بن مروان انه عندما وصل الجند الى بلده عكبرا طلب اهلها الصلح . وذهب المسلمون بعدئذ الى البردان ، حيث تم الاتفاق على الصلح ، وبعد ذلك الى المخرم . وهناك عبروا جسر القوارب مند قصر سابور ، الذي دعى فيما بعد بقصر عيسى بن علي ، حيث ابدى القائد الفارسي المقاومة . وبعد دحره عادوا الى عين النمر سالمين . ( البلاذري ، الفتوح [ دي خويه ] ، ص ٢٤٨ وما بعدها ) .

وبالاستناد الى هذه الرواية فنجد عاد الجند المفيرون من عكبرا بمحاذاة الضفة اليمنى لدجلة بطريق البردان ، او تل القر الحالي ، الى قصر سابور ، الذي عرف فيما بعد بقصر عيسى . ولما كان القصر الاخير يقع في ضواحي بغداد بجانب نهر يحمل الاسم نفسه ، فلا بد من البحث عن المخرم بجوار بساتين المتولية . واذا عبر الفاتحون على جسر قوارب عند قصر عيسى ، فمن الواضح ان نهر الدجيل ، الذي عرف فيما بعد بنهر عيسى ، لا بد ان كان يصب آنذاك في دجلة ، على مقربة من الموضع الذي بنيت فيه مدينة بغداد فيما بعد .

\* \* \* \* \*

ويحصى ابن خرداذبة ، المسالك ( دي خوية ) ، ص ٥٩ ، تسع سكك من سامراء الى عكبرا ، ومن هذا المكان الى بغداد ست سكك . ويذكر في موضع آخر ( المصدر نفسه ، ص ٩٣ ) ان المسافة من بغداد الى البردان هي اربعة فراسخ ، ومن هناك الى عكبرا خمسة فراسخ . وهذه البيانات غير صحيحة .

ويكتب المقدسي ، احسن [ التقاسيم ] ( دي خوية ) ، ص ١٢٢ وجه سامرا مدينة عكبرا وهي كبيرة عامرة كثيرة الفواكه جيدة الاعناب سرية .

ويدون ابو الفضائل ، المراصد ( يوينبول ) ، م ٢ ، ص ٢٧٠ ، نقلا عن ياقوت ، ان عكبرا بلدة صغيرة في منطقة الدجيل الادارية على بعد عشرة فراسخ من بغداد ؛ ولكنه يضيف ان بلدة عكبرا تقع على الضفة الشرقية من دجلة ، ويقول : انه حينما احتفر دجلة لنفسه مجرى جديدا شرقا ذلك المكان سمي المجرى القديم بالشطيطة . وتقع اواناء على الضفة اليمنى للمجرى القديم ، مقابل عكبراء ، وقد انتقل سكان البلدة الاخيرة الى اوانا وقرى اخرى . وقد عرفت المنطقة التي بين الشطيطة ومجرى دجلة الجديد بالمستنصري ، لان الامام المستنصر كان قد أمر بحفر جدول للري هناك ، يتفرع من نهر الدجيل .

ويسجل ابن الاثير ، الكامل ( تورنبرك ) ، المجلد ٤ ، ص ٢٦٥ ، ان مصعبا - عند زحفه من الكوفة - خيم في باخمري غير بعيد من اوانا ، التي كانت تعود الى منطقة مسكن السياسية .

وخرج عليه الخليفة عبد الملك بطريق قرقيسياء واتخذ موصعا في مسكن ، على بعد ثلاثة فراسخ ، او ربما فرسخين فقط من مخيم مصعب . وبغية اجتناب المكان الذي كان ابن هبيرة قد تحصن فيه فان قحطبة ابن شبيب زحف عام ٧٤٩م بطريق بزرج سابور ( اي عكبرا ) وعبر دجلة من مخاضة الى اوانا ( الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ، ص ١٢ ) . وفي عام ٨٦٥م جرت مناوشة عند اوانا مع حامية قطربل ( المصدر نفسه السلسلة ٣ ص ١٥٨٧ وما بعدها ) .

وعلم ياقوت ، المعجم ( فستنلد ) ، م ١ ص ٤٥٨ ، بوجود باحمشا وهي بلدة تقع بين اوانا والحظيرة ، حيث حارب المطلب في عهد هارون الرشيد .

والجويث هي بلدة بين بغداد واوانا ، بالقرب من البردان ( المصدر نفسه ، م ٢ ص ١٦٣ ) .



المتهدمة . وتقع الى الجنوب الشرقي خرائب أوآنا وصفرين ، وكانت عكبرا الى الشمال الشرقي منها وكانت بينها وبيننا ربوات وبساتين والى الشمال تجمعت اكواخ قرية ( سميكة ) .

ان الاراضي التي تقع حول نهر الدجيل القديم ملك قبيلة بني تميم ويبلغ عدد خيامهم حوالي مائتي خيمة وتتكون من العشائر الآتية :

البوحشمة

البوحسن

العتابة

الشريقات

الثامر

ولاقينا صعوبة كبيرة في شراء حاجتنا من الشعير وما حصلنا عليه ، مع ذلك ، كان ذاباً بسبب الجفاف ولم يكن يفضل القش كثيراً . وكان سعره غالباً ايضاً بفضل وجود عدد من الاكراد ( المجاهدين ) الذين كانوا في طريق عودتهم الى ديارهم بعد هزيمة الاتراك في البصرة ، وكانوا جميعاً من القرسان وفي حاجة الى علف لخيولهم .

### السميكة الى سهل الشنانات

بعد حصولنا على دليل واصلنا رحلتنا في الساعة الثانية بعد الظهر واتخذنا طريقاً متعرجاً لتحاكي مقابلة المتطوعين ، واصلنا في الساعة الثالثة الى الطرف الشمالي من البساتين ، حيث يرتفع في شالها تل العبارة ، والى شرقها تل السوفية . والى شرقي — الجنوب الشرقي تل الأحيمر وشاهدنا الى الجنوب تل (الدوير) يليه على مسافة بعيدة الى الغرب تل سمارة فمرتفعات ردايف . وفي ١٥ ر ٣٠ مررنا خلال خربة الوقف . وفي ٥٠ ر ٣٠ رأينا الى الشمال تل الدبابين . وكان في الساعة ٠٢ ر ٤ على مقربة من يسارنا ضريح الشيخ منصور ، والى الشمال منه خرائب الوزن . وفي ٣٠ ر ٤ بلغنا مخيم عشيرة

الغنام من قبيلة الخزرج ، وهذه العشيرة تشتغل بالزراعة فقط . وفي ٥٠ ر ه خيمنا في مخيم الخزرج بالقرب من ربوة ضريح الشيخ غريب الذي تظله نخلة واحدة . وهنا وجدنا دليلاً جديداً ادعى انه يعرف كل شبر في منطقة الثرثار . ومع انني لم أثق بكلامه كثيراً ، فقد استأجرته آخر الأمر ، لأن الخزرج قالوا انه شمري . وكان اسمه حمودي بن ظاهر بن ربيعة . والتمع البرق في الليل كثيراً في جهات مختلفة وسقطت بضعة قطرات مطر كبيرة . كما ان البعوض من نوع القارص ( الكارص ) والزريق [ الزريق ] ساعد كذلك على جعل ليلتنا غير مريحة .

في ٣ أيار سنة ١٩١٥ ارتحلنا في الساعة ٢٠ ر ه صباحاً . . لم يكن ثمة أثر للريح . وكانت ترى الى الشمال الغربي خرائب ام الخيمة ، والى غرب الجنوب الغربي منها خرائب أم الضباع ، والى الشمال الشرقي محطة سكة حديد الطويبة . وفي ٣٥ ر ه وصلنا الى خرائب ام ضبيعة ( أو الضباع ) ، وتجرت بجانبها ساقية ري (جم شريعة) وتنفرع هذه من نهر الدجيل . وتسمى الحقول التي تقع شمالي ضبيعة ابو شنه ، وهي ملك عشيرة الرقيعات من قبيلة المجمع . وتملك هذه العشيرة المنطقة الممتدة حتى نهر الدجيل . وتكون عشيرة المجمع من البيوت الآتية :

الرقيعات	الجسات
الطعيمة	الغضيب
العويسات	العسلية

ويملك السوامرة اي سكان سامراء ، الأراضي الواقعة حول خرائب الاصطبلات . وفي ٤٥ ر ه وصلنا الى شجرات العسل : وهي مجموعة من نحو عشرين شجرة كبيرة يزعمون انها زرعت هنا بأمر الخليفة المأمون . وازهارها كبيرة نوعاً ما صفراء كصفرة الليمون وهي تشبه بشكل اوراقها ونموها اشجار (المشملة) (١) وقد أكد لنا دليلاً البركي ان هذه الشجرات مقدسة ويحرم

(١) المشملة — شجر من الفصيلة المودية او ثمره . .

قطع غصن او عود منها ، لذلك لم استطع الحصول حتى على عسلوج فيه بعض الازهار لكي أضّمه الى مجموعتي النباتية . وفي ٢٥ ر ٦ عبّرنا نهـر ابو درج القديم وبدأ عند قرية جسر حـربى (٧٧) الى الشمال ، وينتهي عند مستنقعات الهور شمالي عـرقوف ، ثم ظهرت الى شمال — الشمال الغربي ربوة ضريح ابو المحاسن بلونها الأبيض .

وفي ٤٠ ر ٦ ظهر للعيان الأقيـرح في جنوب — الجنوب الغربي ، وبالقرب منه خرائب ابو عوسجه وفي غرب — الجنوب الغربي : تل بياض . وأمضينا ساعة من الوقت بين ١٠ ر ٧ الى ١٠ ر ٨ في رفـع الماء من الآبار الضحلة القريبة من خرائب السـعلوة . وكانت خرائب تل بياض الى الجنوب الشرقي في الساعة ٨:٥٠ ، وتكون هذه تـلاً مستطيلاً مائدي الشكل يبلغ علوه نحو عشرة أمتار ، ويقع عند الحد الغربي من السهل الفيضي . والى الغرب ظهرت مرتفعات ردايف المـتموجة تقطعها اودية عريضة قليلة العمق . وفي الساعة التاسعة عبرنا سدّ الفرحاتية القديم ، الممتد من الشمال الى الجنوب حتى يصل هور ابو العويجيلة على مقربة من تل بياض . ويزيد عرضه على عشرين متراً أما ارتفاعه فيبلغ خمسة امتار . وقد لفت دليـلنا نظري الى بشر عقلة الدريجة الصغيرة جنوباً والى بئر فأج ابو عصافير شمالاً .

(٧٧) ويذكر ابن الأثير ، التاريخ ( ديسلان ) ، ص ٢٢٢ ، انه في عام ١١٥٨م انضمت جيوش الامير محمد ، ابن السلطان محمود ، الى جيوش الاتابك قطب الدين ، حاكم الموصل ، في منطقة حـرباء ، وبعد ذلك زحفوا على بغداد .

ووصل ابن بطوطة (التحفة [دفريميري وسانكونيتي] ، ص ٢٠ ، ص ٢٣٢) في اثناء رحلته من بغداد متوجهاً الى الموصل ، الى محطة على نهر الدجيل الذي يتفرع من دجلة ، ويروي فرى كثيرة . وبعد يومين آخرين بلغ بلدة حربى الكبيرة الواقعة وسط حقول خصبة واسعة . ومن هناك وصل في اليوم نفسه الى قرية مبنية على نهر دجلة بالقرب من قصر المعشوق ، وبعد مسيرة طويلة بلغ مدينة تكريت .

يؤكد ابو الفضائل ، المـراصد ( يوينبول ) ، ص ١٠٢ ، ان حربى هي بلدة صغيرة في القسم الاعلى من منطقة الدجيل بين بغداد وتكريت . وتصنع فيها منسوجات قطنية خـشنة ، تباع في نطاق واسع من تلك الانحاء .

وحوالي ١٠ ر ٩ بدأت، جمالنا ترعى النباتات المألوفة في الصحراء ، التي دخلنا فيها الان . وفي ٢٥ ر ٩ رأينا في الشمال ربوات المطبق التي يخترقها ممر ثنية الشطيط ، وفي الشعييب المجاور لهذا الممر يوجد غدير يحمل نفس الاسم . وظهرت امامنا عقلة نفاخ ، والى الجنوب الغربي بئر ابو عظام ، وبئر الغردقية الى الجنوب الغربي منها .

ان الأقليم الذي كنا نقطعه الآن يشبه منتزهاً عظيماً ، فالمرتفعات المتموجة تغطيها انواع مختلفة من النباتات الحولية والدائمة . وفي السهول تتعاقب بساكن السدر مع مروج نضرة لاتخذتها القطا مكان لبناء اعشاشها . وهذه من الكثرة بحيث تعد بالآلاف . إذ لا تعد شجيرات الا لتجد تحت الثالثة منها حفرة قليلة العمق حفرتها هذه الطيور ووضعت فيها ثلاث بيضات ، لا يزيد حجم الواحدة منها عن حجم البندقية كثيراً . ويضرب لون هذه البيوض الى الخضرة تنتظمها نقاط سمراء اللون . ولم نر في اي مكان طيراً منها حاضناً لبيضته ، وعندما كنا نفاجي، بعضها احياناً لا تصادف الا قطة كانت تضع بيضها في تلك اللحظة . وشاهدنا بعض الاروال ايضاً في البقع التي يتكاثر فيها نمو الحشائش . وفي ١٠ ر ٤٠ كانت عقلة نفاخ نحو كيلومتر واحد الى الجنوب منا ، والى جنوب — الجنوب الغربي منها عقلة ابو عظام .

ومن ١٠ ر ٤٨ الى ١٢ ر ١٠ كان موعده غداًنا . وفي ١٤ ر بعد الظهر وصلنا الى عقلة أبو كوزة ، وفي جنوبها تقع بئر أبو ظهير ، وفي شمالها : بئر عنيق . وفي ١٨ ر عبرنا سداً عالياً ( جالي او جالو ) ، وهو السد الذي سبق ان تبناه في ١٠ ايار سنة ١٩١٢ (٧٨) . . وفي الساعة الثالثة هبت ريح شديدة من الغرب . وفي ٢٠ ر ٤ اشار لي الدليل الى عقلة ابو شرّاطة ، وكانت تقع على بعد ثلاثة كيلومترات تقريباً الى الجنوب منا وفي ٢٠ ر ٣ كان على يميننا جايب (قليب) الابيض ، حيث كان اربعة جنود هاربين يحاولون الاختباء في تلك اللحظة خلف

بعض اشجار السدر . ولما أبدى الدرك رغبة في اعتناقهم ، اعترضت ، مبيتاً لهم ان واجبههم ينحصر في حمايتي وليس في مطاردة الهاربين من الجنديّة ، وهكذا كُتب لهؤلاء المساكين النجاة الى أمد قصير . . ورأينا الى الشمال ربوة وعليها ركام ضريح ابو حجيره . وتسمى المنطقة الواقعة الى الغرب منه الشنانات لان الشنان ينمو بكثرة هناك . وفي ٤٤ ر ٤٤ خيمنا بقرب مخيمٍ لعشيرة من عشائر الدليم حصلنا منها على دليل جديد . وعلى مسافة اربعة كيلومترات تقريباً الى جنوبيّ المخيم كان موضع ماء البراغيث ، وتقع على بُعد ستة كيلومترات من ناحية الشمال الشرقي عقلة أم شنيّة .

### سهل الشنانات الى ام رحل

في ٤ أيار سنة ١٩١٥ خرجنا في الساعة ٤ ر ٤ صباحاً متجهين الى الغرب في سهل الشنانات المتموج الحصوي ، وفي الساعة السادسة كانت بئر الحديدي على يميننا . وواصلنا طريقنا على مرتفع ( مرقب الطيور ) ، الذي يهبط جنوباً الى واد تقع فيه آبار : الوشيل ، الغربي ، واللبّاد . وشاهدنا هنا وهناك ملحاً صخرياً وطبقات من الجبس . وتركنا جمالنا ترعى من ٧ ر ٢٥ الى ٨ ر ٠ . وفي الساعة ٨ ر ٠ ارتفعت في الشمال هضيبات قويزات الغزلاني بسطوحها المنبسطة ، يتعرج بينها شعيب الشلدة . وفي الساعة ٤ ر ٩ بين لنا الدليل من ناحية جنوب - الجنوب الشرقي تلاً عالياً مائلي الشكل ، احمر اللون هوتّل المدرّة الذي تقع الى الشمال الشرقي منه ، عقلة النقطبة . وفي ١٠ ر ٢٠ رأينا الى الجنوب الغربي ، والغرب ، والشمال الغربي جال حافة الرخيمى الشايد الأ نحدار الذي تبرز منها طبقات صخرية تضرب ألوانها الى الحمر والصفرة . ولتحاشي ذلك انعطفنا الى جهة الشمال الغربي ومررنا خلال شعب الجديّة الصغير . ومن ٢٥ ر ١١ الى ١٠ ر ١ بقينا في شعب الهبي ، وهو شعب عميق تغطيه حشائش كثيفة . وفي ٢٥ ر ١ بعد الظهر وصلنا الى برك من مياه المطر في شعب الشلدة حيث توجد ايضاً ، على مسافة أبعد شمالاً : آبار خشماش ، والشيوخ ، والأبطح . وفي الساعة الثانية لمعنا من ناحية شمال - الشمالي الغربي

في أجراف ابو نخلة الاخادود الذي تقع فيه مياه السدّة . وشاهدنا في غرب — الشمال الغربي تلال الحصيصي الصغيرة ، وترتفع الى شمالها وديان الحصايات . وفي ٢٠١٠ رأينا القسم الغربي من وادي الثرثار وهو بقعة مستوية رمادية اللون تنحدر انحداراً معتدلاً نحو الغرب ، تقطعها اخاديد واسعة ، وتطلّ عليها هضبات منبسطة السطح ، وارتفعت فوق سطح الهضبة نحو الغرب مباشرة تقريباً بعض التلال المسماة قرت المعسّم . تقع هذه على خط تقسيم المياه بين الفرات والثرثار . والى الجنوب الشرقي من هذه التلال يتبع خط تقسيم المياه هضبات العويسجي ، والنويقات ، والمهمات ، وقويرات غمر ، والريخيميات . وأبرزها جميعاً قويرات عدر ، ويقال انه لا يزال على سطحها بعض بقايا قلعة ما . وفي الشمال الغربي من المعسّم تقع آبار الغزيل ، والمويجبة ، والمغزل . وعند الاولى منها ينتهي شعب ابو ثبة الذي ينبع عند بئر ابو زويجة في الشمال ، وعند الثانية : شعب المويجبة الذي يمتد من بئر أم طهوق . وفي الجنوب الغربي من المغزل توجد بئر ابو صفيحة ، وفي جنوب الجنوب الغربي بئر ابو رمانة . وفي شرقي ام طهوق ، عند بئر ابو تريجية . يبدأ شعب ابو تريجية ، وهو فرع من شعب ابو سداج الذي ينتهي في الثرثار .

ان مرتفعات الشطبيّة ، التي تقع بئر عقلة الدقوقي على نهايتها الشرقية ، تفصل ابو تريجية عن شعب ام الطبول . ويمتد الى الجنوب من ذلك شعب ابو شنية الذي يقع بالقرب منه ماء حليويّة مرزوق . وأبعد من ذلك جنوباً يقع شعب الاعوج الذي ينحدر اعظم فروعه من قرت المعسّم ، بينما يأتي فرعان أقصر من ذلك من العويسجي والنويقات . وتقع في الفرع الاكبر عقلة المركده . وتقع على خط تقسيم المياه فيما وراء هضبات النويقات آبار السلطانيات ، البطويل ، وابو صفى . وتخرج عين الارنب من يسار الثرثار والى الشرق من بئر ابو تريجية مباشرة . وتقع في جنوبها الآبار الآتية على التوالي : عين الفرس وآبار المنطاح ، والقريدة ، وام السبيا ، وترتبط هذه كلها بالثرثار عن طريق أخاديد قصيرة .

في ١٥ رء دخلنا شعب الحمر ، وفي ٢٥ رء عبرنا الطريق المسمى درب  
ام الحيايا ، وفي الساعة السادسة خيمنا بجانب الثرثار في سهل فيضة فرحان ،  
حيث كانت تخيم آنذاك البوحازم وهي عشيرة من قبيلة الدليم ، ثم حددنا  
خط العرض ، وأخذنا في البحث عن دليل جديد . وتخيم قبيلة الدليم على ضفتي  
نهر الفرات على السواء ، في المنطقة الممتدة من الفحيمي الى الانبار . ومن بين  
عشائرها سجلت ما يلي :

البو محل	البو صقر
البوعساف	المحامدة
البو جليب (كليب)	المصالحه
البو خليفة	البو عبيد
البو ذياب : عائلتان	الحدان
	الشلال

البو فهد	الملاحمة
البو غنام	الجميلة
العليّ جاسم	البو عيسى
البو نمر	الحلابسة
البو حازم	البوحيات
البو علوان	الجغاففة
	البو مرعي

ويرأس العشائر على الضفة اليمنى عاي السلطان البكر من البو عساف .  
ويملك أراضي كثيرة في المنطقة المجاورة للرمادي ، وعلى الضفة اليسرى  
كان الشيخ الفعليّ نجوس بن قعود ، ولكن بعد سجنه اعلنت رئاسة حدان  
العويّنة ( أو الميثة ) من البو ذياب .

## منخفض ام رحل

٥ أيار سنة ١٩١٥ . . في الساعة ٤٥ ر٤ صباحاً خرجنا مع دايانينا ، القديم والجديد متجهين الى جنوب - الجنوب الشرقي . وفي ١٠ ر٥ توقفنا لرسم خارطة مجملة للمنطقة المحيطة بالمجرى الأدنى لنهر الثرار ، الذي يخترق سهل فيضة فرحان الفسيح ، وتكثر على الجانبين الشرقي والغربي باتجاه هذا السهل جبال وتلال منبسطة القمم . وهي بقايا سطح هضبة نخرتها عوامل التعرية تنحدر سمنوحها انحداراً تدريجياً . وفي ٢٠ ر٥ ارتقينا مرتفعاً يقع الى الشرق استطعنا ان نطلّ منه على جميع انحاء منخفض بيضي الشكل تنصب فيه مياه الثرار . وأخذ هذا المنخفض يتكشف بصورة بطيئة من نقاب أبخرة كثيفة ، وظهر في وسط خضرة زاهية غنيّة ، محاطاً بحافة شديدة الانحدار وردية اللون وتحول تدريجياً الى سهل واسع بيضي الشكل ، يرتفع من وسطه الى الشمال والجنوب ، تسدّه حافة ثانية بيضاء اعلى من الاولى . وتوجد بحيرة مالحة ، على قاع هذا المنخفض تهبط حوالي ٥٠ متراً عن مستوى البحر تسمى المالح أو أم رحل . ويقطع هذه الحواف والسهل على السواء اخاديد عديدة تحمل مياه السبح من الجنوب والشمال الى المنخفض . وفي الساعة السابعة وقفنا لرسم خارطة .

وعندما إمتحنّا دليلنا الجديد في أسماء مختلف التلال والوديان تبين سريعاً نقص معلوماته بهذا الصدد . لهذا فاني اعفيته فوراً وارسلت أحد الدرك مع الدليل القديم الى شعب الجديدة حيث كانت تخيم عشيرة البوعبيد من قبيلة الدليم ، لإحضار دليل آخر . وتسكن هذه العشيرة بجانب بحيرة المالح طول العام لاستحصاء المالح منها . وقد اخبرنا الدليل القديم ، وهو من عشيرة البوذباب الذين يهاكون سمنوح هضبة راديف الصخرية التي تحفّ بالسهل الفيضي الممتد بين الصقلاوية وسامراء ، عن مختلف الاماكن في شرق البحيرة وفي شمالها الشرقي . ولم يعد الدليل والدركي حنى الساعة العاشرة ، لكنهما أتيا بدليل لم تتناقض أقواله مطلقاً ، وكان ، بكل تأكيد على معرفة تامة بالمنطقة المجاورة كلها .

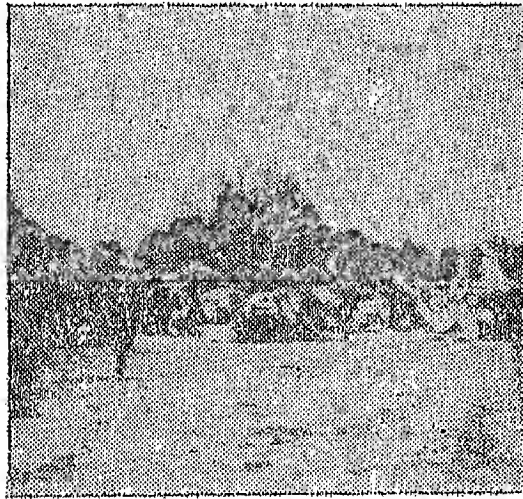


والى شمال قويرات عمر وشرقي قور المهمات أمكن رؤية سهل سلاية  
الذي ينحدر على شكل مدرجات نحو الشرق ، ومنه تخرج شعاب ام دلى ،  
وابو سبعة ، وابو بيشة - وفي كئل واستد منها بئر (عقلة) تحمل نفس الاسم -  
متبعة طريقاً متعرجاً الى بحيرة الملح . وتقع في جنوب قويرات عمر بئر -  
القوارة ، التي ينحدر منها شعب الخنزير الى البحيرة ، وفي شرق الرخيميات توجد  
آبار الخفّي ، والمنزل وابو عرجاه . وهنا أيضا نجد رأس شعب الغرابه ،  
ودشت نايفه . حتى اذا بعدنا الى الجنوب الشرقي امكن رؤية جبال (حافة) طار  
المزابد ، وينفتح الى الأسفل منها شعيب الحمر والناعيري ، ودشت الرديني ،  
وابو حصص ، وينتهي الأخير عند الحافة الجنوبية للبحيرة .

وبعد الانتهاء من رسم الخطوط الاولى للخارطة غادرنا الساعة ٥٣ ر ١١  
سائرين على امتداد ضفاف البحيرة . وفي ٢٥ ر ١٢ بعد الظهر كان الى يميننا  
منهل (بحات شراب) . وشاهدنا الى يسارنا شمالي البحيرة طبقة تراب احمر  
يبلغ سمكه نحو ٢٠ متراً ، تتخلله اشربة افقية من الملح تستقر على قاعدة  
صخرية . وفي ٣٠ ر ١ عبرنا شعب الحليوات ، وفي ١٥ ر ٢ استرحنا في شعب  
الايتر بجانب بئرين منخفضتين (عقائين) بين شجيرات كثيفة من الغضا  
(شكل ٤٢) ، والظاهر ان اوراقها كانت تلائم ذوق جمالنا كثيراً . وارتقينا  
اقرب مرتفع لرسم خارطة اخرى للمنطقة المجاورة ، وفي المساء حددنا خط  
العرض . وداهمتنا في الليل عاصفة رملية من جهة الغرب ، وسقط المطر  
في منتصف الليل لمدة نصف ساعة تقريباً .

وفي ٦ أيار سنة ١٩١٥ ، بدأنا السير في الساعة ٥٩ ر ٥ صباحاً ، وواصلنا  
الرحلة خلال سهل منبسط مغطى برمل وردي اللون ، وقد نبت فيه اجومات  
هائلة من شجيرات الغضا ، وقد أزال المطر طبقات الملح والرمل الرمادية اللون التي كانت  
تغطي اشواك هذه الشجيرات ، ولهذا فانها كادت تعمينا بخضرتها الزاهية .  
وارتفعت فوق السهل تلال قباية صغيرة منفردة ، قرية الشبه بالاضرحة الكبيرة  
في المقابر القديمة . وأشرقت البحيرة بلونها الازرق الصافي ، فيما كانت الحافات

الجنوبية الشديدة الانحدار ملتفة بنقاب وردي . وسبح الهواء بعد ان أزال المطر شوائبه وامتد اليه نقاوته ، برؤية واضحة جداً . وكانت النهاية الشمالية للبحيرة مسدودة من ناحية الغرب بثلاث حافات شديدة الانحدار ترتفع الواحدة وراء الاخرى . وتختفي الحافة الوسطى : سلاية ، بعد ان تسير امتداد البحيرة الى ثلث مسافتها . ولكنها تعود للظهور على بعد عشرة كيلو مترات تقريباً الى الجنوب مكوّنة طار المزابد . اما الحافة ( الجال ) الثالثة ، وهي اعلاها ، فانها تختفي الى الجنوب ايضاً : بينما ترتفع اوطأ هذه الحافات بطريقة تكون فيها جداراً عاليا عند الطرف الجنوبي من البحيرة . وتوجد على الجانب الشرقي ثلاث حافات او مدرجات فوق الطرف الشمالي من البحيرة ، ولكن لا يبقى في جنوب هضبة المدرّة الا اثنان فقط . ويتقطع القسم الشمالي الغربي من الهضبة ، التي تكون حافتها أعلى جدار في شرقي البحيرة ، الى تلال منبسطة القمة . وتتكون كل السفوح المشرفة على المنخفض من جبس وملح صخري يمدّ البحيرة بالملح حتى يقال ان طبقة ملح نقي ترسبت بها يبلغ سمكها اكثر من مترين .

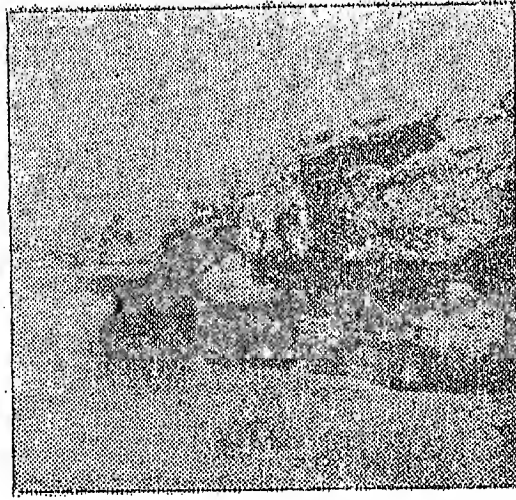


( شكل ٤٢ - في الابيتر ، شجيرات - غضا في الخاف )

وفي ٢٣٠ رأينا على اليسار شجيرات، آبار عقل الحلاوت . وفي ٧١٠ عبرنا  
 شعب الجردانيات الاول ويمتد عند نهايته الشرقية — الجنوبية الشرقية تنوعان  
 جبليان تنحدر جوانبهما الواطئة بصورة عمودية تقريباً ، الى داخل البحيرة من  
 الجنوب . تدل كثرة الدروب التي تؤدي الى هاتين الأخيرين على انها تصلح  
 مواضع لجمع الملح . وظلت جملة الترع من ٧٢٣ الى ٧٤٣ . ووجدت في  
 تربة الشَّعْبِيبِ الخِصْبَةِ نبتة شعير فيها عشرون سنبله ، في كل سنبله خمس  
 وسبعون الى اربع وثمانين حبة . وفي ٩١٦ شاهدنا من ناحية الجنوب على سفح  
 فوق البحيرة حافة صخرية تتكوّن من اضلاع عمودية . وأخذت الريح تهب  
 الآن من غرب — الشمال الغربي ، وفي ٩٥٠ عبرنا شعب المَحْبِشِ وكانت  
 البحيرة الغربية تلمع كأنها مرآة . وفي ٢٠ رَأَيْنَا الى جنوب — الجنوب  
 الغربي شعب النعيري يغيب في منطقة مرتفعة ، وفي ١٥ رَأَيْنَا كانت حافة الرواسب  
 الملحية الجنوبية تقع الى الغرب منا مباشرة ( شكل ٤٣ ) ، بينما كان تلّ الدوير  
 يقع الى الشرق منا . وفي ١١٤٠ مررنا الى اليمين بنهاية شعب النوبة يد الذي  
 يتحد بشعب القطارة . ومن ١١٤٦ الى ١٠١٠ بعد الظهر أخذنا قسطنطين من  
 الراحة . وفي ١٤٠ رَأَيْنَا ظهرت الى جهة غرب — الجنوب الغربي منا حافة طار  
 المزابد الشديدة الانحدار التي تقع فيها بداية شعب النعيري . وكان على يميننا  
 شعب البُخُزْ ، او على حدّ تعبير دليلنا : ابو نخوص .

في ٢٠٢٠ مررنا بآبار ( بيارأبو خُتْ ) ومياها عذبة جيدة . وفي ٢٣٠  
 وصلنا الى السكة ( وتعني الطريق السهل المطروق ) الممّودة من  
 الفرات الى التّوءات الصغيرة التي تمتد الى داخل البحيرة ، وقد سبق ان ذكرنا  
 أنها أيسر مكان لجمع الملح . وتمثل الحافات التي تسدّ بحيرة الملح من الغرب ، كما  
 ترى من الموضع الذي فلدنا منه الى الطريق ، سلسلة عالية . وفي ٣١٠ صعدنا الى  
 سطح هضبة الرّفيعي وقد ادت عوامل التعرية التي تعرض لها هذا السطح الى  
 تكون المنخفض الذي تقع فيه بحيرة الملح . والهضبة ذات لون ابيض مُغْبَرّ ،

ينمو نبات السمع بصورة كثيفة في الاقسام الرطبة منها ، وتغطيها طبقة من الحصى . وبعد مغادرتنا طريق ملح السكة انعطفنا شرقاً وألقينا نظرة أخيرة على البحيرة ، وقد تألفت كما لو كانت مليئة بالبلّور . ورعت الجمال من ٣١٨



( شكل ٤٣ - الطرف الجنوبي لأم رحل )

الى ٣٤٨ . وفي الساعة ٤٢٥ كان في جنوب - الجنوب الشرقي منا ( قلب طراح ) وسط مرج متسع ، والى الغرب منه تلال تويم . وفي ٢٨٨ ربه اتجهنا نحو مخيم عشيرة البوصقر من قبيلة الدليم وقد سبق ان رأيناه الى الشمال الشرقي . وفي ٢٠٨ نجأت لابصارنا ثلاث ربوات أضرحة ناصعة البياض الى جنوب - الجنوب الشرقي منا ، والى شمالها تقع بشر الطريفاي . وفي ٢٣٥ نصبنا الخيام ، ولكن ما لبثنا الا قليلاً حتى احاط بنا الدليم وارادوا فحص امتعتنا وسروجنا . وما كان منهم الا ان ضحكوا ساخرين من رجال الدرك ، وأزعجوننا بكل وسيلة ممكنة ، ولم نستطع ان نحملهم على العدول عن ذلك ولم يتركونا الا بعد ان اعانت لهم انني سأروي في كل قرية أمر بها على الضفة اليسرى من الفرات ، كيف يعامل البوصقر ضيوفهم المتعبين ، عندئذ غادرنا الرجال المستون اولاً . وسار على إثرهم الشباب منهم :

## الفصل الأحادي عشر

### الثرثار الى الخابور بمحاذاة الفرات

### ام رحل الى خان المشاهدة

في ٧ أيار سنة ١٩١٥ ، بدأنا رحلتنا في الساعة ٤ر٥٦ صباحاً متجهين الى الشرق . وفي ٥ر٥ كانت بئر الطريفاري على يميننا . وفي الساعة السادسة كانت آبار غضيوي ، وحليج (حلق) الذيب ، والغردقية الى الشمال منا ، وفي ٦ر٥٣ عبرنا سداً قديماً بالقرب من بئر خنفسان . وفي ٧ر١٣ اخترقنا بعض المسالك المؤدية شمالاً الى بئر حليج الذيب القليلة العمق . وإلى الجنوب اشار دليلنا الى مرتفعات عكاز ، وفي شمالها آبار الخسيفات ، وإلى الجنوب آبار عليّة البنات والشهاب . ورعت الجمال من ٧ر٤٠ الى ٨ر٠٧ . . وفي ٨ر٢٠ كانت بئر الحصيني تقع الى الجنوب منا ، وفي ٩ر٤٧ عبرنا ثانية ذلك السد الكبير القديم (جالو أو جالي) الذي سبق ان عبرناه في موضع ابعد الى الشمال منذ اربعة ايام (٧٩) . وبلغ ارتفاع هذا السد هنا ثلاثة امتار تقريباً ، وعرضه اربعة وعشرون متراً . وينعطف هذا السد نحو الشمال الشرقي باتجاه خرائب بياض ، ثم يسير شمالاً الى دجلة . وكان فيما مضى يفصل المنطقة الزراعية عن الصحراء . والظاهر انه كان يوماً ما معزراً بتحصينات شبه دائرية ، ويدل على ذلك وجود اجزاء منباعدة على كلا الجانبين . وأرانا الدليل في الشمال الشرقي ، غربي الجالو ، آبار بكر ، والسبعة ، وإلى شمالي الأخير : بئر الغردقية . وفي ١٠ر٢٠ كانت بئر القصيبة الى الجنوب منا ، وإلى الشمال الغربي منها بئر الخنيفره . وإلى الشمال الشرقي من الأخيرة بئر الرشراش . وفي ١١ر٢٠ سرنا على فرع من السد القديم الذي يمتد من شمال

(٧٩) راجع ما سبق ، ص ١٣٤ .

الشمال الغربي الى جنوب - الجنوب الشرقي . وكان العرفج يندو بكثرة في هذا المكان خاصة . واسترحنا من ١١٣٨ صباحاً الى ١٥٥ بعد الظهر بالقرب من بئر الصبحي . وفي ٢١٥ كانت عين البقرة تقع الى الجنوب الشرقي ، ومنهل النخيلة الى الشمال ، وأمامنا منهل الفضيّة . وفي ٢٢٠ عبرنا درب الغضا الذي يؤدي من بغداد ، ماراً خلال وادي الثرثار ، الى مدينة الحضر الاولى . وفي ٣٤٠ كانت بئر المغيران الى شمال - الشمال الشرقي منا ، وإلى شمالها بئر الوردان ، حتى اذا بعدنا الى الشمال الشرقي كانت بئر شئاعه ؛ وفي ٣٥٠ كانت الى يسارنا بئر الفضيّة .

من ٣٥٥ الى ٤١٥ رعتّ جمالنا على الحافة الغربية من وادٍ كبير يسمى عبّ ابو ثوب حيث يمكن زراعة النخيل . وبعد ان انعطفنا الى الجنوب الشرقي في الساعة الخامسة ، شاهدا ، بعد عشرين دقيقة ، في جنوب - الجنوب الغربي عند نهاية الوادي خرائب الحمصرة الكبيرة . وفي ٢٥٥ عبرنا نهراً قديماً عريضاً يتجه من الشمال الى الجنوب . وفي الساعة السادسة رأينا من جهة الشرق على مسافة كيلومترين ونصف تقريباً خرائب الدير الواسعة النطاق ، تكون مستطيلاً هائلاً ، يرتفع في شمالها تلّ صغير . وظهرت الى شمال - الشمال الغربي من الدير خرائب المشرّحات . وإلى الشرق خرائب البطاويات . وفي ٢٢٠ أقمنا الخيام للمبيت بحذاء مخيم بني زيد والجميلة ، وكلاهما ينتسب الى قحطان ، ولكنهما انضمّا الى عشيرة ابو صقر من قبيلة الدليم .

في ٨ أيار سنة ١٩١٥ ارتحلنا في الساعة ٤٤٧ صباحاً الى شرق - الجنوب الشرقي . وعلى يميننا امكن رؤية قبر شلاش بن جرباً بلونه الابيض ، الذي كان يوماً ما شيخ قبيلة شمر التي تخيم في اقليم ما بين النهرين . وفي ١٠٥ لمحنا الى الجنوب تألق زخارف مرقه بنات الحسن ، وإلى الجنوب الشرقي سبعة أشن ( أو ربوات الخرائب السبع ) ، وفيما وراء الأخيرة خرائب الضبعة المستطيلة الشكل . وفي ٢٤٥ كانت سبعة أشن الى الجنوب الغربي . وربوة خرائب مسعود الكبيرة الى الشمال منا تقريباً . وعبرنا نهراً قديماً في الساعة ٧٣٥ ، ثم عبرناه مرة اخرى في

٧٤٥ ، وعبرنا في ٧٥٨ درب الكائن الذي يمتد من الكاظمين الى السميكة . وهذا الطريق لا يستخدم في فصل الامطار ، ولكن ، يرجح عليه ، الطريق العام الذي يمرّ بازاء خان المشاهدة . ورعت جمالنا من ٨١٨ الى ٨٤٦ ، وفي الساعة ٩٤٤ وصلنا الى خان المشاهدة ، وأقمنا خيامنا خارجه . وهنا وجدنا ناصراً والخيام ، وحوائجنا والجمال التي سبق ان تركناها في ٢ أيار . وأكمانا خلال النهار مذكراتنا الخاصة بالخرائط ، وفي الليل حدّدنا خطّ العرض .

### خان المشاهدة الوشاش

في ٩ أيار سنة ١٩١٥ ارتحلنا في الساعة ٤٤٥ صباحاً متجهين الى الجنوب الغربي خلال اطلال الخريبة . وكان على يميننا هور بقوع . وفي ٢٠ ره اخترقنا خرائب الأحمدي ثم عبرنا في ٤٥ ره نهراً قديماً ، وفي ٥١ ره عبرنا درب الكللك . وفي ٣٠ ره كانت خرائب الضبعة الواسعة الى جنوب — الجنوب الشرقي منّا . وفي ٤٥ ره انعطفنا الى جنوب — الجنوب الغربي . وظهرت لنا ، في ٥٥ ره من ناحية الجنوب خربة الطاقية التي تشبه قبة عالية . والى الجنوب منها تقع تقسع خربة الزواغير . وفي الساعة ٧١٠ وصلنا الى خرائب السطيح ، وتركنا جمالنا ترعى من ٧١٨ الى ٧٤١ ثم انعطفنا الى الجنوب الغربي للحصول على دليل في احد مخيمات بني تميم التي تقع في ذلك الاتجاه . وكان امام كل خيمة من خيام بني تميم كومة من الجبس الابيض وظهر على يسارنا غدير الحصان ، وما وراءه هور ابو العوبجيلة . وفي ٣٠ ره ظهر تلّ القرعة الى الشمال . وفي ٤٥ ره كانت ركامات خرائب السمر في الشمال ، وقبة مرقدة بنات الحسن في الجنوب الغربي ، وتلّ غريب في الشمال الغربي منّا . وكنا نخترق الآن سهلاً غيرينياً خصباً ، وكانت كلّ الظواهر تدلّ على انه يصلح لزراعة الفطن . وفي ٢٥ ره مررنا خلال مننيم الهيب وهم عشيرة من عشائر قبيلة زيد . وكان علينا هنا الانعطاف الى غرب الشمال الغربي للألتفاف حول هور الحمرة . وكانت تهبّ منه ريح غربية شديدة تدفع الماء شرقاً على السهل المنبسط مسافة

خمسمائة متر . وفي ١٥١٥ رأينا جزيرة المجسّبة الصغيرة الى جنوب — الجنوب الشرقي . وتتكون هذه الجزيرة من ربوة بيضاء واطئة على الأكثر تنحدر بدرجة أكثر حدة نحو الغرب والشمال الغربي ؛ وهنا يستخرج بنو تميم جبساً يبيعونه في الكاظمين وبغداد . وإلى الجنوب الغربي ظهر تل أبو رويس فوق الافق .

ترجع قبيلة زبيد الى بني تميم ، وقد سجلت من عشائرها ما يأتي :

البطّة : بين خان ابو طنطور وبغداد شمالي الطريق العام ؛

القرغول : بجانب الضفة اليسرى من جدول اللطيفية ؛

الجنابيون : على ضفتي الفرات بين ابو الفياض والروّيعية ؛

البوسوده : يخيمون مع زوبع .

ابو صقر : بين المطبق وعقرقوف .

اللهيب : بقرب فيشان القساوي .

استرحنا من الساعة ١١٢٠ الى ١٢٥٠ بعد الظهر عند سدّ مرتفع ، يمتد من جنوب — الجنوب الشرقي الى شمال — الشمال الغربي ، في الشرق من ابو رويس ، وهو قلعة حدودية قديمة . ويبلغ عرض هذا السد عند قاعدته نحو خمسة واربعين متراً وفي ١٠١٠ سرنا في شعيب، الثريشر الضحل الذي يأتي من مرتفع يحمل هذا الاسم كذلك . ورأينا الى الجنوب الغربي بئر ابو طبق ، الذي يكاد يقع تماماً الى غرب خرائب المقيّد الكبيرة . وظهر الى الشرق نهر قديم عريض يأتي من الجنوب . وفي ١٢٥٠ تراءى لنا تل أبو بئلب (كلب) المنفرد الى شمال — الشمال الغربي ؛ وإلى الاسفل منه تقع بئر تسمى بالاسم نفسه . وإلى الشمال الغربي وراء ذلك يقع بئر الكيفيات .

وكانت أول وقفة لنا بعد الساعة ٢١٥ عند تلّ المقيّد .

وكان هذا فيما سبق موضعاً لمدينة محاطة بسور بيضي الشكل . وفي ٢٣٨ انعطفنا الى الجنوب بمحاذاة السدّ الى مخيمّ اللهيب ، حيث رغبتنا في شراء شعير لافراس الدرك الذين معنا . ومن ٢٠٨ الى ٣٣٤ رعت جمالنا بقرب



بشر جفّال ؛ وفي الوقت نفسه كنّا نقف على سدّ آخر يزيد عرضه على خمسة وسبعين متراً ويمتد الى جنوب — الجنوب الشرقي ، ورسمنا من اعلاه خريطة للمنطقة المجاورة . وكان بالامكان أن نرى من ناحية الشرق مرقد بنات الحسن ، وهو ضريح أبيض اللون أصغر حجماً يقع في الناحية الشرقية . وإلى شرق — الشمال الشرقي توجد ربوة قبر عبدالله ؛ وإلى الجنوب ربوتا قبر الأخيين وقبر النمراوي ، وتليهما ربوات خرائب الطّيبة ، والعقلة ، وبياض المقيّير ، والأشهبى . وعند الخرائب الأخيرة يخرج من نهـر القرمة فرعٌ يسمى الدّواية متجهاً الى بنات الحسن . وتقع بين النهـر الرئيس وفرعه خرائب المقيّير والعقلة . وفي ١٥ ربيعاً خيّمنا عند آبار القساوى .

وفي ١٠ ايار سنة ١٩١٥ ، واصلنا السفر في الساعة ٤٣ ربيعاً صباحاً خلال سهل متموج ينحدر بالتدريج الى الجنوب الغربي . وفي الساعة الخامسة رأينا الى الجنوب الغربي تلّ أم العشوش ؛ وإلى وراء منه تلّ جَسَم ، الى الجنوب الشرقي ، وإلى اليسار من خرائب إيشان المهيدي والشمال الشرقي من إيشان الرحيلة تقع ربوة ضريح سبدا ابراهيم ؛ وإلى الشرق ربوة قبر مهنتا . وقد حجبت الأفق من الجهة الشمالية ، والشمالية الغربية ، والشمالية الشرقية مرتفعات صخرية ، حيث امكن رؤية طبقات من ملح صخري تلمع في ضوء النهار . وكان ينمو في الوديان كثير من شجر السدر . وفي ٣٠ ربيعاً كانت الى يميننا خرائب تلّ أم العشوش ، وفي ٤٨ ربيعاً كان الى يسارنا تلّ جَسَم . ثم انعطفنا غرباً وعبرنا نهـراً قديماً ، كان يجلب الماء من « الحُور » — هكذا كان يحلو لدليلنا جاسم بن علي من عشيرة اللهيـب ان ينطق هذه الكلمة بدلاً من « الهور » كما تنطقها القبائل التي تعيش على الضفة اليمنى من الفرات . وفي ٥٨ ربيعاً كانت على اليمين بيار ( آبار ) أم العجاريـج ( الضفادع ) ، وعلى اليسار منطقة الحصيوات ، التي تملكها عشيرة الجميلة ، وفي ٤٥ ربيعاً ظهر تلّ الأشهبى الى الجنوب ، في جنوبيّ القرمة ( الكرمة ) وهو النهر الذي يتفرع من الفرات عند قرية الصقلاوية ثم يتصل بدجلة . والنهـر الذي يجري فيه الماء دائماً هو نهـر ( حي ) ويسمى « القرنة » ،

بينما يطلقون على النهر الجاف او « الميت » اسم « الرسم » ، فان كان محاطاً  
باكوام كبيرة من التراب سمي « الخيط » ( وجمعها : الخيوط ) .

وفي غرب — الشمال الغربي امكن رؤية سد آخر قديم هائل الحجم ( جالو )  
وبعد الساعة السابعة كنا نسير في وادي الخور . ومن ٧١٨ الى ٧٤٦ رعت  
جمالنا بالقرب من خرائب ابو صخير الواسعة . وفي ٨٢٥ كنا بين خرائب  
العتّازي . وقد بدت لنا من جهة الجنوب بلونها الابيض الضفة الجنوبية من نهر  
القرمة ( الكرمة ) وفي ٩٢٠ رأينا على ضفة نهر القرمة اليمنى ومن الناحية  
الجنوبية ربوتين من خرائب الديابيات ، والى الجنوب الغربي خرائب الانبار  
الكبيرة ، وبالقرب منها نهر ابو سديرة القديم مع تل الكوخ .

من ١٠١٥ الى ١١٣٠ تناولنا الغداء بجانب آبار القليبّات الضحلة ، وهي  
مائلّة شميرة المحامدة احدى عشائر قبيلة الدليم . ورسمنا تخطيطاً لخريطة  
المنطقة المجاورة من قمة مرتفع يوجد الى اسفل منه عدد من الآبار الصغيرة  
العميقة . واستطعنا ان نرى بوضوح من هاهنا المرتفع خرائب الانبار ، ونخيل قرية  
الصقلاوية . وتقع الأخيرة على الضفاف اليسرى لكّـلٍ من نهر الفرات ونهر القرمة . ويوجد  
في القرية نحو ٢٥ بيتاً . أما السفوح التي الى الشمال منا ، وتسمى الشنازة وعكان ، فيشتد  
انحدارها ونزداد الشعباب عمقاً كلما تقدمنا شمالاً . . وفي ١٢٣٥ بعد الظهر وصلنا الى  
خرائب (الصفيرة) بعد ان قطعنا سهل الخريجي . وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى  
« الصفيرة » نبات سنوي ينمو في كل انحاء المنطقة المتموجة الحصوية المجاورة .  
ثم شاهدنا بين ربوة الكوخ وخرائب الانبار مثدنة بلدة الفاسوجة ووجدنا في  
خرائب الانبار الواسعة انّ مراقدا ابو فياض والشيخ عبدالله ، ومسجد علي لا تزال  
باقية في حالة جيدة (٨٠) .

(٨٠) انظر مايلي ، الملحق الثامن عشر .

في ١٣٥٠ لاحظنا الى يميننا نهاية جالي (أو جالو) وتليه تلال الغر الصغيرة ؛  
والى اليسار امكنتنا مشاهدة بعض البساتين والبيوت بمحاذاة الفرات . كما لاحظنا  
اثنين من المجندين الهاريين ، لذا بالفرار عندما لمحا الدرك الذين معنا .  
وعلى الضفة اليمنى من الفرات . في موضع غير بعيد من السهل الفيضي  
ارتفع خط أجراف شديد الانحدار . ويسمى قسمها الشرقي سن الذبّان ، والقسم  
الغربي المعبد . والشيخ مسعود ، وأبو زهد . ويمتدّ الاخير الى الرمادي . ويظهر  
صدعان في هذه الاجراف . ويرتفع على الشرقيّ منها مخروط واطيء بعض  
الشيء ، وفوق الغربيّ مخروط ينحدر بدرجة حادة الى الشمال . ومن ٢٠٨  
الى ٢٤٥ رسمنا خريطة المنطقة المجاورة . وفي ٢٢٠ ظهر على يسارنا سدّ من  
الصخر يبلغ علوه نحو أربعة امتار ، تتدفق مياه الفرات من خلال ثلاث حفر فيه  
الى فرع يسمى الوشاش ( شكل ٤٤ ) . ورأينا في الحيز الصخري المتكون فوق  
الجنادل اثنين من الصيادين يستخدمان ( الفاله ) وهي حربة ذات اربع شُعَب ،  
( شكل ٤٥ ) في صيد الاسماك . ويدعى السهل المغمور بمياه الفيضان غربيّ  
الجنادل بالمغيرة .

### الوشاش الى الصبيب

ان فرع الوشاش يصل الى الفرات من طريق نهر القرمة ، ويتفرع هذا  
النهر نفسه من الفرات عند الصقلاوية . وتقع بين هذه القرية والوشاش مجموعة  
قرى وحقول هي الشلال ، والحويوه ، وخرائب الحوز ، وقرى السرية ،  
والكعانية ، والقرطان ، والزوية ، والفراج ، وخرائب ابو الفريوة .  
في الساعة ٤٠٨ كان على يميننا غدير الرحله ، وفي ٤٢٠ كانت على  
يميننا خرائب الخارجيه وعلى اليسار خرائب أبو الفريوه . وجميع هذه الاماكن  
تقع على لسان من الارض يمكن الوصول اليها عن طريق السهل الفيضي من جهة  
الجنوب الشرقي . وتغمر مياه الفيضان هذا السهل في اغلب الاحيان . وفي الساعة  
الخامسة لاحظنا الى الغرب مجموعة خرائب إشان (ربوة) ماحرز ، والى الغرب منها تقع  
٢٢٣

حقول العبيدية وحقول الفراج الى جنوبها الشرقي . وعلى اليمين منا انفرج وادي  
عبدان الواسع وظهرت خرائب صغيرة تقع عند نهايته الشمالية -- الشمالية الغربية  
ويجري الفرات في هذا الجزء من مجراه خلال سهل غريني ويتفرع الى عدة  
فروع (٨١) منها الوشاش الذي يترك المجرى الرئيسي عند العبيدية .

(٨١) يقول قدامة ، الخسراج ( دي خوية ) ، ص ٢٣٣ ان الفرات يأتي  
بالس ثم الرقة ثم قرقيسيا ويمر الرحبة ، ثم يمر حتى يلتف على عانة ثم  
يمتد على سنته ثم يمر بهيت والانبار فيتجاوزهما ، فينقسم الى قسمين  
منهما قسم يأخذ نحو المغرب قليلا المسمى بالعلقي ، الى ان يصير الى  
الكوفة ، وقسم يستقيم ويسمى سورا حتى يمر بمدينة سورا الى النيل  
وما يتصل بها ، فيسقى كثيرا من اعمال السواد ويخرج من اسفل الانبار  
نهر يمر بالذقيل يحمل منه نهر عيسى الذي يأخذ الى بغداد ويصب  
الى دجلة .

ويكتب ابن سيرايبون ، العجائب ( لوسترنج ) ، ص ١٠ ، ان الفرات  
يمر ببالس ، والرقة ، والمبارك ، ومخرج نهر سعيد ، قرقيسيا ، والرحبة ،  
والدالية ، ويشق طريقه خلال صخور سلسلة القسوس ، ويجري حول  
بلدة عانة الجزرية ، ويصل آلوسا ناؤسا ، هيت والانبار ايضا ، حيث  
يوصل جسر عائم ، الى الكوفة اخر الامر .

ويشير المقدسي ، [ احسن التقاسيم ] (دي خويه) ، ص ١٣٨ ، « المدن  
الفراتية اكبرهن رحبة ابن طوق ، قرقيسيا ، عانة ، الدالية ، الحديثة » ،  
ويقول الادريسي ، النزهة ، ج ٤ ، ٥ (ترجمة جوبير ، م ٢ ص ١٣٧  
ومابعدھا) ، ان مدينتي الرافقة والرقة هما على يسار الفرات ، والمحمدية  
على يمينه . ويجري الفرات مارا بالخانوقة وقرقيسيا ، حيث يصل الى نهر  
الخابور ؛ ثم يمر بجانب رحبة مالك ، الدالية ، عانة ، هيت ، والانبار .  
وهنا يتفرع نهر عيسى ، ويجري نحو بغداد . وفيما وراء هذه النقطة  
( صدر نهر عيسى ) يجري الفرات من الرحبة خلال الصحراء ، وفي اثناء  
الطريق تخرج منه أربعة فروع : الاول باتجاه صرصر ، والثاني الى القصر ،  
والثالث الى سورا ، والرابع الى الكوفة .

ان اقحام الرحبة هنا بعد الانبار غير صحيح . والفرع الثاني كان  
ينبغي ان يسمى نهر الملك ، اذ ان النهر الذي كان يمر بالقصر ( قصر ابن  
هيرة ) كان مطابقا لنهر سورا .

ويذكر الدمشقي ، النخبة ( ميرك ) ، ص ٩٣ ان الفرات يلامس مدن  
بالس ، الرقة ، الرحبة ، العانة ، الحديثة ، ويحيط بجزر عانات ، ويصل  
الى بلدي هيت والانبار ، حيث ينقسم الى فرعين . ويجري الفرع

=

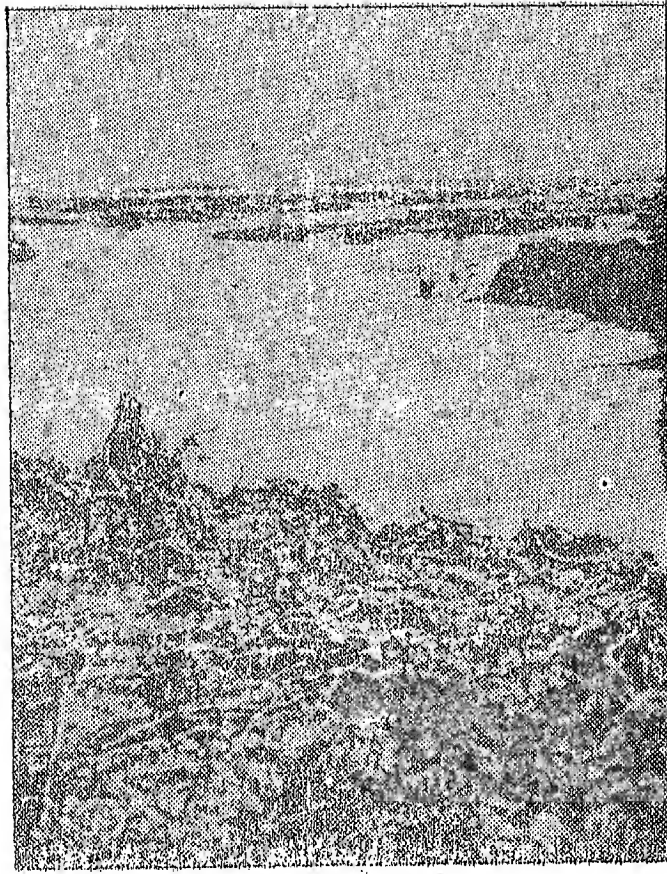
في ٣٥ره ظهر لنا من الناحية الشمالية الغربية مخروطان طبيعيان منخفضان ( التويم ) . وفي ٥٥ره عبرنا وادياً واسعاً يسمى عَـبَّ خاطر الذي يأتي من بشر طراح . وفي ١٠ره شاهدنا امامنا سداً ( جالي ) ينتهي عند قلعة ام الروس الواقعة على مرتفع في سهل الفرات الفيضي الخصب . وتتألف القلعة من بعض اكوام آجر قديم سوية مع القسم الرئيسي للحصن نفسه . والحصن مستطيل الشكل له جدران مدعمة بأبراج نصف دائرية . وكان المدخل لا يزال ظاهراً للعيان على الجانب الغربي . وكانت القلعة تشبه معسكراً رومانياً للناظر من بعيد . وكان من المستحيل الاقتراب منها لأن المياه كانت تحيط بها من كل جانب .

ونخيمنا للمبيت في ٤٧ره في حقول العبيدية ، بقرب مخيم لعشيرة من الدليم كان افرادها منشغلين آنذاك بحصاد الحنطة . كان الجو مليئاً ببق كبير وهو آفة تربة بابل الغرينية التي كنا نخيم عليها . وبما ان المنطقة كانت تقطعها اعداد لا تحصى من الانهار القديمة والجديدة تكونت على ارضها برك ومستنقعات مختلفة المساحة مما جعلها أماكن مثالية لتكاثر البعوض .

المسمى العلقمي في اتجاه جنوبي على الاكثر الى مناطق سورا ، قصر ابن هبيرة والحلة ، والى مستنقعات البطيحة . واسم الفرع الثاني عيسى . ودخول اداة التعريف على عانة غريب جدا . ومن الممكن على كل حال ان عانة هذه نشأت عن اسم آخر ، اذ انها تظهر ثانية بصيغة عانات ( وان كانت في غير موضعها الصحيح طبعاً ) . وان وصف انهيار الفرات غير صحيح عموماً . فقد كان نهر العلقمي ( وليس العلقم ) متصلاً في وقت ما بالفرع الذي يمر بالكوفة ( الحيرة ) .

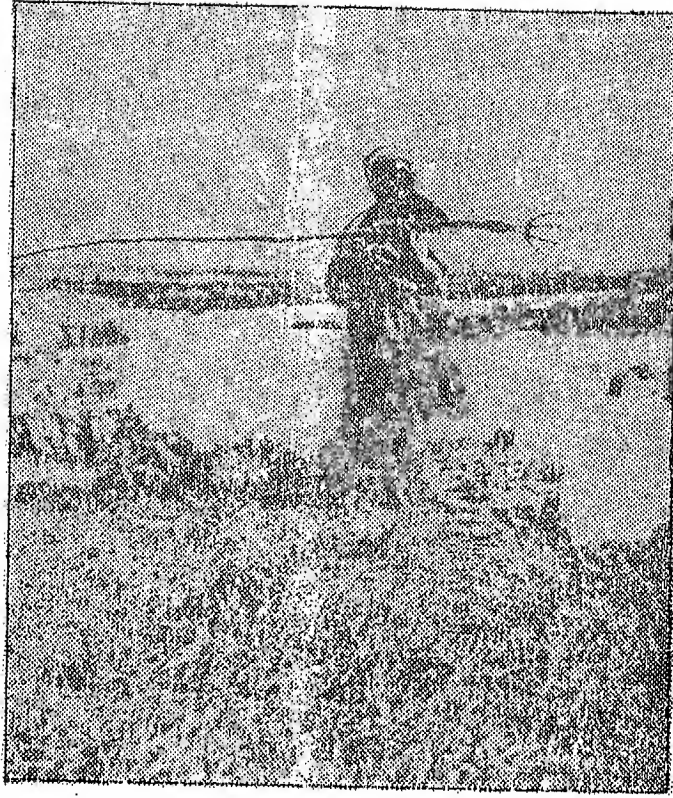
ومن جهة اخرى فان النهر الذي يمر بجانب قصر ابن هبيرة ، سورا ، والحلة استمد ماءه من مجرى الفرات الرئيسي ، الذي جرى من الانبار في اتجاه جنوبي شرقي .

ويسجل ابو الفداء ، التقويم ( رينو وديسلان ) ، ص ٥١ ان الفرات يجري نحو الشرق ما را ببالس ، قلعة جمبر ، الرقة ، الرحبة ، عانة ، هيت ، والكوفة .



( شكل ٤٤ - الوشاش من جهة الشرق )

في ١١ أيار سنة ١٩١٥ ، في الساعة الخامسة سرنا في طريق الكيفية مع صياد سمك يسمى جميل ، اتخذناه دليلاً . وفي ٤٠ ره صباحاً عبرنا عبّ أبو عريج . بعد أن تركنا السهل الفيضي . والعبّ معناه المدخل أو الخليج ويعني كذلك وادياً يذوّن منجسرى . ومن عبّ أبو عريج الذي يأتي من بئر عوّج يؤدي مسالك خلال بقعة تعرف بالغسيّة الى منهل التويم الواقع في رأس شعيب أبو خوص الذي ينحدر الى البحيرة الواقعة في منخفض ام رحّل . وفي ٥٠ ره الى جهة الجنوب الغربي تراعى ضريح المشهد بلونه الابيض فوق جرف شديد



( شكل ٤٥ — صياد يحمل فالة بالوشاش )

الانحدار يقع على الضفة اليمنى من النهر : كما يمكن رؤية نخيل الجوية الى الغرب منه . وفي ٦٠٨ ر عبرنا عبً هكّلى الذي تقع فيه بئر ابو قبيرة . وفي الغرب شوهدت خرائب سيباط محمد العيشة ومزرعته ، الى الغرب منه ظهرت خرائب كبيرة وربوة قبر فترج ، وفي الشمال الغربي من الأخيرة بعض البيوت الصغيرة وفوقها خرائب إيشان، ابو حليب المستظيلة الواسعة الارعاء . وفي ٤٠ ر — شاهدنا الرمادي الى الجنوب الغربي بين بساتين من شجر الصفصاف البابلي ( الغُراب ) والى غرب — الجنوب الغربي رأينا الى اليمين منها ربوة مقبرة الشيخ محمد . وتكاد الاجراف الصخرية الشمالية تصل هنا الى الفرات وفي ٤٢ ر كنا في السهل الغربي ، الذي يبلغ عرضه هنا نحو خمسة كيلو مترات

ويحدّ السهل الفيضي في غرب الرمادي منحدر معتدل يرتفع تدريجياً الى جهة الشمال الغربي . وفي (٧٠ ٨) بلغنا الحافة الشمالية من سهل العليمية ، الذي يبدأ عند قبر فرج ويمتد حتى الشيخ حديد . وفي (١٨ ر ٧) ظهرت الى الغرب خرائب إيشان ابو جريشي وهي خرائب كبيرة مستطيلة الشكل . ومن (٣٢ ر ٧) الى (١٠ ر ٨) رعت جبالنا الى جنوب الجنوب الغربي من ابو قبيرة . وفي ٢٠ ر ٨ كان على يسارنا إيشان ابو جريشي وكذلك مدخل ساقية صدر العزّار الذي يروى السهل الفيضي . وفي الساعة ٣٠ ر ٨ عبرنا مجرى ثانوياً من مجاري شعب الحمد . وقد حكى دليلنا جميل انه اصاب ذات مسرة غزلاً برياً بالقرب من بئر الحليوات عند رأس الحمد ، ولكن الحيوان استمر في الجري لانه كان جريحاً فقط . وصادف ان مرّ به رجل غريب في تلك اللحظة ، وهو على صهوة جواده ، فلتحق به وصرعه . وأخذ جميل جلده ، وتقاسما اللحم . . .

واستطعنا ان نلاحظ ان خطّ الاجراف الصخرية الشديدة الانحدار على الجانب الايمن من الفرات التي تحدّ السهل الفيضي ، تأخذ في الانخفاض تدريجياً من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي . وهنا يكون السهل الفيضي رقعة يبلغ عرضها نحو عشرة كيلو مترات ، يكاد يقع مركزها الى الجنوب بالضبط من ضريح الشيخ حديد ، حتى اذا بعدنا عن ذلك جنوباً اخذت الاجراف ترتفع ثانية ببطء حتى تكون الحافة العالية التي ترتفع شرقي الرمادي .

من (٨٥٦ ر ٩) الى (٩١٤ ر ٩) كانت جبالنا في المرعي ، فيما كنا نتفاوض مع دليل جديد . وفي ٤٢ ر ٩ عبرنا المجرى الرئيسي للحدّ الى يمين خرائب ابو سفينة . ويأتي شعب الحد من الشمال الغربي بادناً من تلال الرخيميّات المائدية الشكل الواقعة الى الشمال الشرقي من هيت . وتوجد في المجرى آبار الحليوات ، والكلب وابو ذكبر . ومن (١٠٣٥ ر ١) سرنا بمحاذاة لحف أجراف (خرم الصاري) المتاخمة لمزارع



ابو سفينة والأملح مكونة الحافة الجنوبية لهضبة بياو المتسوجة التي تمتد حتى تبلغ الحدّ . وفي ٥٠ ر ١٠ شاهدنا الى يسارنا على بعد مئتي متر تقريباً ، خرائب قواشته . وفي الساعة الحادية عشرة ، قاربنا ان نكون على ضفاف الفرات . وارتفع الى يميننا مدرّج حزم الصاري بلونه الاحمر . وفي الفرات امكن رؤية جزيرة ابي ريشة الصغيرة . وفي الساعة الثانية عشرة كانت الى يسارنا مزارع فوح فرحان ، والى اليمين قبور جاسم ، واسترحنا من ١٢ ر ١٤ بعد الظهر الى ٥٢ ر ١ . وفي الساعة الثانية كنا في شعب نبار أسفل بعض الخرائب الصغيرة على ضفته اليمنى . وفي ٣٢ ر ٢ عبرنا شعب الضباعي . وكان الى يسارنا حقل يبلغ عرضه نحو ٣٠ متراً وعلى مسافة منه نحو الشمال الغربي يوجد مستنقع ملح (سجّة) ، وكان يوجد في هذا الموضع على ضفة الفرات اليسرى سدّ منخفض على مقربة من الماء تنمو بالقرب منه مجموعات قليلة من شجر النور ونخلة واحدة ، وينتشر بين الاشجار كثير من الأكواخ . ولاحظنا في الجرف الصخري الذي يطل على السهل الفيضي من ناحية الشمال كثيراً من الملح الصخري والجبس .

وصلنا في الساعة الثالثة الى عين نافثا قوية تسمى النفاطة حيث يخرج النافثا من عين يبلغ عمقها نحو مترين ، وعرضها أربعة امتار وكان يخزن ما يجمع من النافثا في كوخ بائس يقع بجانب العين . والى الغرب من هذه ، يخرج من المنطقة المرتفعة الشمالية نتوء صخري أسود يرغم النهر العظيم على الانحناء نحو الجنوب مسافة قدرها خمسة كيلو مترات تقريباً مكوناً شبه جزيرة . وفي ٤٠ ر ٣ رأينا الى اليسار ساقية قديمة عميقة تتأخم من الشمال — خرائب الصنيديج [ الصنيديق ] . وقد جرف الفرات النصف الجنوبي من هذه الخرائب . وأمام هذه الخرائب توجد جزيرة صغيرة تكتظ باشجار الحور . وفي الساعة الرابعة عبرنا شعب الشباد . وظهر امامنا ، على شبه الجزيرة الصخرية السوداء ، حصن عظيم متهدم يسمى تل الأسود . وفي الساعة ٤٠ ر ٤ وقفنا تحت جدران الحصن محاط من الشرق والشمال بخندقين [ او خنادق ؟ ] عميقين يشبهان أنهار

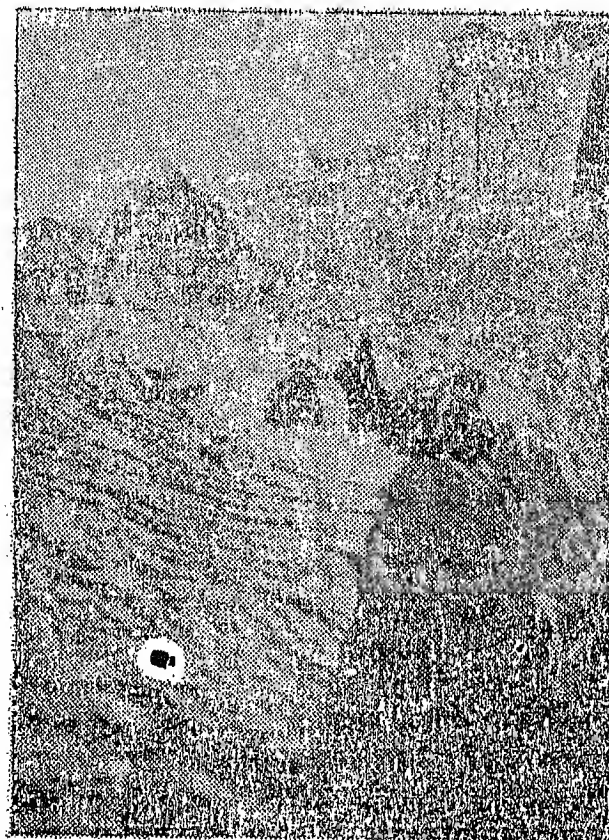
الريّ القديمة اما الابنية فلم يبقَ منها الكثير، لأن الفرات جرف القسم الاكبر منها، وما بقي تداولته الايدي بالحفر ثم غُطّيَ بطبقة كثيفة من الرمل . وفي ٤٥ ر ٤ هبطنا الى الفرات ودخلنا سهل الزوية المنبسط ، الذي تحدّه من الشمال اجراف صخرية شديدة الانحدار ، يعلوها مشهد بنات المحلّبات . وبالقرب منه يقوم حصن نصف متهدم . نصبنا خيامنا في الساعة ٨ ر ٦ في حقول الصبّيب ، وكانت مزروعة آنذاك بالحنطة والشعير .

### الصبّيب الى الحبوبية

في ١٢ ايار سنة ١٩١٥ ، ارتحلنا مصحوبين بدليل يسمى مانع بن صّحاو . واخترقنا اولاً سهل الصبّيب ، الذي يحده من الغرب نتوء صخري يبرز من الاجراف ممثلاً نحو النهر ويسمى عُنق الهواء . وتوجد في هذا النتوء مغارة البحيس [ كهف ] ويضيق وادي الفرات ضيقاً شديداً بين صخور البحيس وصخور العقبة على اليسار لذلك تحتم الضرورة ان تمر الطرق على الضفتين خلال ممرّات ضيّقة . وفي ٥٣ ر ٥ رأينا الى جنوب الجنوب الغربي على الضفة اليمنى من النهر خرائب إيشان القبة . وبعد الساعة ٤٠ ر ٥ سرنا بازاء الحافة الشمالية لمزارع الجبل و شامنا الآن تل هيت المخروطي الشكل ، القاتم اللون مغطى ببيوت صغيرة بهيجة الالوان كلما تقدّمنا استطعنا ان نراها بوضوح اكثر . الا انها كانت ، بين الحين والحين تختفي في سحب من الدخان الأسود المنبعث من افران القار الواقعة عند فاعلته الجنوبية الشرقية . وفي ٥٠ ر ٦ كان على يميننا شعب صغير يسمى الحسّحيس وتوجد عند نهايته الدنيا خرائب طلاع زين ، وعند رأسه ، بشر المعاطشة . والى الشمال الغربي ظهر للعيان سفح طابّخية الشدّيد الانحدار . ومن ٨ ر ٧ الى ٣٤ ر ٧ تناولنا طعام الافطار في شعب الصوب بجانب خربة المرتبط .

أن الحقول المزروعة على جانبي الفرات حقول مروية على الأغلب يُرفع الماء اليها بواسطة دواليب مائية ( نواعير ) مثبتة على اعمدة حجرية غالباً ماتمتد مسافة طويلة في النهر . ولهذه الابنية الحجرية اسماؤها الخاصة بها

وتقسوم منها وهناك اكواخ من الطين منفردة ومجموعة ، وليست  
لها اسماء مطلقاً وانما تعرف باسماء النواعير التي الى جانبها حتى ولو كانت هذه  
متهللة وغير صالحة للاستعمال . وقد ازداد عدد الاكواخ منذ عام ١٩١٢  
زيادة ملحوظة ، كما بُنيت في اماكن عدة قرى صغيرة بكاملها . والقاعدة العامة  
هي ان تكون كل قرية ملكاً لعائلة واحدة ومنها تستمد اسماءها ايضاً .



شكل ٤٦ ممر صخري بمحاذاة الفرات ، المضيق

وفي ٧٥٣ اقتربنا من الفرات الأصلي . فرأينا الى اليسار على الضفة اليمنى  
من النهر : قرية بنان وفي هذا الموضع تقترب الاجراف الصخرية ، التي

تحدّ واديّ الفرات من جهة الشمال، بصورة تدريجية من الماء تاركةً على طول النهر شريطاً صخرياً يسمى [ المضيق ] ( شكل ٤٦ ) لايزيد عرضه على ثلاثة أمتار . وسرنا على هذا الطريق من الساعة ١٠ ر ٨ الى ٨ ر ١٠ وكانت امامنا بساتين النخيل السوداء التي تسمى : المجنونة ، والدرستانية، والبق ، والطُربة ، وعلى الضفة اليمنى مزرعة الحمّادي . والكلمة المستعملة لمبنى المزرعة هنا ليست « القصر » بل [ القرية ]، التي تطلق ايضاً على مجموعة من الاكسواح . وفي ٨ ر ٢٢ اخترقنا أول شعب من شعاب المعبريات . وفي ٨ ر ٤٣ وصلنا الى تلال الطابخية العالية ، حيث كان يتدفق القار والكبريت . وفي ٨ ر ٤٨ كانت على يسارنا قرية المجنونة ، وعلى الضفة اليمنى قُبة السيد أحمد . وفي ٨ ر ٥٨ مررنا خلال شعب العيدي الذي تتدفق على ضفته اليسرى ( عين تار ) بغزاة . ويتجه هذا الوادي جنوباً الى تلال مائدية الشكل تسمى ( قور المهمات ) و( قويرات عمر ) التي ترتفع على الهضبة عند منتصف المسافة بين الفرات والثرثار تقريباً . والى جنوبي قويرات عمر تقع بئر الفوّارة ، وفي غربيّ الفوّارة تقع بئر الفندي ، وفي جنوب الأخيصة توجد بئر القميجم والرحيميات: وجميعها تقع في وادي العيدي . ويتصل هذا شعب في منتصف معجراه من ناحية اليمن شرق قرت العلّمة ، بشعب (أبو كروش) وتوجد في اوطأ اقسام هذا الشعب خرائب الاشيعل . وتحيط اشجار النخيل بقرية البق (٨٢) .

---

(٨٢) وعلم البعقوبي، التاريخ (هوتسما) ، م ١ ص ٢٣٧ بوجود منطقة بقّة الادارية على ضفة الفرات بالقرب من الانبار . وكانت تحكمها امرأة : الزباء .

ويسجل الطبري ، في تاريخه (دي خويه) ، السلسلة ١ ص ٧٥٨ وما بعدها ان ملوك الحيرة اقاموا احياناً في بلدة البقة .

وقد زحف الملك جذيمة الابرش من هنا بطريق الفرضة بمحاذاة الفرات الى [ زلية ] ، محل اقامة الملكة الحسناء الماكرة : الزباء . ويروي ابن السكيت ( ابو الفرج ، الاغانى [ بولاق ] ، المجلد ٨ ، ص ٧٠ ) ان الشاعر امرء القيس طلب اللجوء عند احد اقربائه على الفرات . وكان هذا القريب

في ٩٠٥ كانت مدينة هيت على بسارنا . وقد تجمعت البيوت هناك على مدرجات تل هائل الحجم ، مخروطي الشكل . وفي وسط المدينة تقريباً ترتفع مثذنة المسجد القديم . وتوجد جالية يهودية في هيت . وعلى الضفة اليسرى من الفرات ، في الجهة المقابلة للمدينة يقوم ضريح على الهيئتي يجاوره بستان نخيل الطربة . وفي ٩٤٠ رأينا على اليمين خربة الصّدقة ويتفرع من الفرات امامها نهر قديم يجلب الماء لريّ الحقول الممندة على طول الضفة اليسرى . وعلى هذه الضفة تقع أيضاً قرية الناطق ، وتايها قرية الحسينية حيث استرحنا من ١٠٠٠ ١١٥٤ . وكان قد تمّ حصاد الحنطة والشعير . وكان التفاح والمشمش قد نضج تقريباً في البساتين . وفي ١٢٠٤ بعد الظهر اجتزنا قرية ( الكُسيّة ) الصغيرة ، وإلى شمالها الشرقي ينبجس القار من عين بصورة قوية . وفي ١٢١٠ كانت

---

هو عمرو بن المنذر ، الذي ادار - بالنيابة عن ابيه - شؤون المقاطعات المختلفة على امتداد الفرات ، وعاش في بلدة بقة ، الواقعة بين الانبار وهيت . وقد رحب به عمرو ، الذي كانت امه تنتمي الى عائلة الشاعر ، فلما سمع المنذر بذلك اضطر الشاعر الى الهرب ( امرؤ القيس ، الديوان [ ديسلان ] ، ص ١٢ ) .

ويصف السعودي ، التنبيه (دي حوية) ص ٣٨٣ ، حصار القرامطة لمدينة هيت في كانون الاول ، ٩٢٧ م . تقدم بمضهم من الانبار بمحاذاة الضفة اليسرى للفرات ، وعندما وجدوا عددا من القوارب في مدخل نهر البقة ، فم بقة اسفل (جنوب) من هيت ، عبروا النهر بها . ويدل هذا على ان بقة تقع على الضفة اليسرى بالقرب من هيت من ناحية الجنوب الشرقي ، لان الاهلين - بلا ريب - ما كانوا ليخفوا قواربهم في مكان بعيد جدا عن بيوتهم .

ويكتب البكري ، المعجم (فستندل) ، ص ١٧٦ ، مشيراً الى ابن الكلبي ، ان بقة بلدة على الفرات على حدود العراق . واستنادا الى (محمد بن احمد) الفجيع ، كانت بقة بلدة بين الانبار وهيت .

ويصف ياقوت ، المعجم (فستندل) ، م ١ ، ص ٧٠٢ ، وابو الفضائل ، المراسد (يونيبول) ، م ١ ، ص ١٦٦ ، بقة بانها بلدة قديمة ، او قلعة ، على بعد فرسخين من هيت . ان بيانات ياقوت المتعلقة بالمسافات نادرا ما تكون صحيحة .

على يميننا عينان أخريان للقرار يقال ان ما يستخرج منها يومياً يعادل حمولة ستة حمير . وفي ١٢٢٠ كانت قرية الحبية على يسارنا .

وفي ١٢٢٨ تركنا السهل الفيضي المستوى على مقربة من قرية العميرة ودخلنا الطريق المسمى مفازة البناشيرة المؤدية الى ما وراء الاجراف الصخرية . وتقع على امتداد الفرات في هذه الناحية مجموعة قرى هي: المنازل ، وعبد ، وسلامية ، وعويره ( وخربتها ) ، وجبذية ، والسبي ، والنويعير ، والدلائات ، والقوشية ، وخربة المحلية . وفي الساعة الواحدة رأينا على يميننا هضبة قرت العائمة ، وفي ١٣٠ عبرنا شعب القوشية ، وفي ١٥٤ هبطنا الى سهل المناشيرة ( أو البناشيرة ) المستوى ، حيث راحت جمالنا ترعى من ٢٠٥ الى ٢٣٠ . . . . . وابتداءً من قرية الدبس الى المناشيرة يرتطم ماء الفرات بأجراف الضفة اليسرى ، تاركاً رواسب غرينية على ضفته اليمنى . وفي ٢٤٠ كانت مجموعة اكواخ المناشيرة على يسارنا ، وعلى الضفة اليمنى تقع قرية السعدان ، وتعلو عليها ربوة مقبرة الشيخ ظاهر . وفي الساعة الثالثة كانت قرية الحيطان على اليسار . والمفرّقات على الضفة اليمنى: وهي قرية اكبر حجماً بماكها قبيلة الخزرج . وفي ٣٢٠ شاهدنا الى الغرب اثنتي عشرة نخلة كبيرة وخمس عشرة صغيرة مع دولا ب للسقي [ ناعور ] ، وعلى مقربة منها مزرعة الورشانية الكبيرة . وعلى مسافة ابعد كان بمقدورنا رؤية قريتي الخزرجية والسنية .

وكان علينا بعد ذلك ان نخترق سهل الشبيجة وهو سهل مقفر تغطيه طبقة حصي ناعم ، ومنه صعدنا سفح الشبيحة الصخري ولم نلبث أن هبطنا الى الفرات ثانية في الساعة ٥٠ ر ٣ وفي ١٠ ر ٤ كانت المبعية على يسارنا . ثم تقدمنا على امتداد سهل فيضي خصب مزروع ينتهي عنده وادي العين . وعبرنا هذا الوادي في ٢٠ ر ٤ . وتنمو الطرفاء بكثرة هناك . وفي ٤٠ ر ٤ كانت على يسارنا قرية القطبية ، وعلى يميننا تلال صغيرة صفراء وعرة يتناقض لونها مع لون الاجراف البيضاء التي تسد سهل الفرات الفيضي . ومع انها تبدو من بعيد كأنها خرائب كبيرة فليس ثمة اثر يدل على وجود ابنية قديمة كانت هناك . وفي ٥٠ ر ٤

كانت على يميننا بعض الخرائب الصغيرة ، وظهرت امامنا بقعة جميلة تضم تكوينات تشبه نظائرها الموجودة في صحراء النفود العظيمة في جزيرة العرب . وقد حفرت الريح الغربية في رمال الفرات الرمادية الداكنة مائة غور او « قعر » على الأقل ، تنفتح الى جهة الشرق ؛ ولكن هذه الحفر ( القُعوْر ) صغيرة جداً تتميز جوانبها الغربية بشدة انحدارها وعلوها عن الأخرى . وفي الساعة ٣٠ ر ٥ اخترقنا حقول اللُّحودية ، التي تتحول تدريجياً الى مستنقع ملحي ، لقربها من شعب ( المُسطح ) الذي عبرناه في الساعة ٥٣ ر ٥٠ . ويأتي السبخ بملح كثير يمتصه من الصخور الجبسية التي تكوّن قاع هذا الفج .

وتوجد في شعب المُسطح جنوبيّ قريّة المُعسّم بئر أبو عزب وبئر أبو سويجة ، وإلى شرق هذا الشَّعب يوجد بئر الزعتري . وفيما وراء المسطح أتينا مزرعة المحبوبة ، وفي الساعة ١٢ ر ٦ أقمنا خيامنا في حقول السَّراجية ، وسرعان ما داهمنا البعوض ، ونالنا منها أذى شديد طوال الليل .

### المحبوبة الى شعب ادمامة

في ١٣ أيار سنة ١٩١٥ خرجنا في الساعة ٤٣ ر ٤ صباحاً واخترقنا حقول المعلىّة متجهين صوب هضبة الأجل المقطعة . وتكوّن هنا لساناً يمتد في النهر يحيط به الفرات من ثلاث جهات . وتتكوّن هذه الهضبة من عدد لا يحصى من ربوات صخرية منبسطة السطح تتخللها اخاديد عميقة متعرجة . وبعد أن ضللنا الطريق وصلنا ثانية الى الفرات في الساعة ٨ ر ٢٠ بالقرب من المِرْعَبِيَّة ، وتركنا جبالنا في المرعى هناك حتى الساعة التاسعة . ثم قادنا دليلنا ماراً بقرية الطحمانية الصغيرة فوق صخور شديدة الانحدار . وعلى طول ضفة لسان الاجل المطل على النهر توجد قرى صغيرة هي : الطليحية ، الورادية ، الدافقية الواصالية ، يردة ، سمالة ، غراف ، الدويلية ، المسجد ، الهيدانية ، الزوير ، الميسرية ، المباركة ، المدّة ، مركان وجبة . . ولاحظنا الى الجنوب جزيرة عليها بعض البيوت . وهذه الجزيرة تسمى الخنيفس أو حويجة الناورسه .

ورأينا عبّر النهر على الضفة اليمنى في الساعة ٩٥٠ قرىتين هما الجبانية والدويلية وترتفع بالقرب من الأخيرة أطلال الجابية .

ومعظم هذه القرى الصغيرة يملكها اناس اغنياء من اهل كربلاء وبغداد وحتى حلب . وهؤلاء إما اتهم اشتروا حقوق الأرض من الدليم ، او انهم بكل بساطة استولوا عليها بعد ان طردوا الدليم منها واقاموا فيها النواير ، وبناوا الاكواخ وأجروا الأرض الى فلاحين من قرى أخرى وعلى المستأجر أن يدفع الضرائب جميعها ويعطي ثلث غلته الى مالك الأرض ، محتفظا بالباقي لنفسه . وله ان يظل على هذه الأرض اذا رغب في ذلك ، وان لم يشأ ، فانه يذهب للبحث عن عمل في مكان آخر . ونتج عن هذا النظام المفكك ان تبقى مساحة كبيرة من الأرض بدون زراعة لسنوات طويلة فتتدهور وسائل الري ، وتتهدم الإكواخ . ولو كانت هذه الأراضي ملكاً لمن يعمل بها أو لو كان ما لكوها هم الذين يدفعون الضرائب ، مع السماح للمستأجرين بالاحتفاظ بنسبة معينة من المحصول ، لما بقيت ، بعد وقت قصير أرض غير مزروعة على طول الفرات . ولكنّ الملاك يصرون على تسلّم الجزء المشروط من المحصول دون ان يتأكدوا من أن الغلة مُعْزِية او يعرفوا ارتفاع مقدار الضريبة المفروضة . ويتر محصّل الضريبة الفلاح ايضاً بأقصى الطرق بحيث لا يترك له في الغالب الا أقلّ من سُدس المحصول الذي سعى الرجل المسكين سنة كاملة في تحصيله مع كل افراد أسرته ، وماشيته وبما لديه من ادوات .

وفي الساعة ٣٥ ر ١٠ بلغنا الفرات ثانية عند قرية الطحمانية . وكانت تقع امامنا جزيرة صغيرة وعليها قرية تدعى جبّة القديمة . ومن ٤٤ ر ١٠ الى ٤٥ ر ١١ تناولنا غداءنا بجوار حقول السّفة . وفي الساعة الحادية عشرة عبرنا شعب الجبابة مقابل قرية المروانية على الضفة اليمنى . وفي مدخل هذا الوادي توجد بئر أبو جماعه : والى الجنوب الشرقي منها بئر عنيزة والى الشمال بئر رُمّانة . وفي ٣٦ ر ١٢ بعد الظهر كانت على اليسار اكواخ البروثة ، وعلى اليمين ضريح الشيخ ظاهر . وبعد ان بارحنا الفرات من خلال شعب القناطر واصلنا السير



حتى الساعة ٢٥ ر ١ على طول نتوء صخري ينحدر الى الماء . ومن ثم سرنا خلال مستنقع العامرة الملحي ، حيث رعت جمالنا من ٣٨ ر ١ الى ٢٠٦ ر ٠ . وفي ٣٨ ر ٢ تجاوزنا خرائب الطوسية ، وفي ٣١٥ ر ٣ كانت خرائب السيفلة على يميننا ، وفي ٢٠ ر ٣ خيمنا بين العاملين بالحصاد . ولما كانت امامنا رحلة طويلة خلال صحراء صخرية لا يوجد منها شيء يقوتُ جمالنا ونحولنا اضطررنا الى البقاء في الحقول .

في ١٤ أيار سنة ١٩١٥ ، بدأنا في الساعة ٤٣ ر ٤ صباحاً ودخلنا مفازة أبي سكران . وهي مرتفعات صخرية جرداء تقطعها فجاج عميقة تمتد هابطة الى الفرات . وفي ٠٨ ر ٥ عبرنا شعب النّهل ، حيث يقع منهل أم الحمام ؛ وفي ١٥ ر ٥ كانت على اليمين حقول الزيرة وعلى الضفة اليمنى قرية عناية مع اكوام خرائب قديمة ترتفع بالقرب منها . وفي ٥٠ ر ٥ وصلنا الى الفرات ثانية وكان مدخلنا في هذه المرة عند حقول الخالدية . وقد سميت بذلك نسبة الى مرقد الشيخ خالد . وكانت القرية في ٠٥ ر ٦ على يميننا . وترتفع الاجراف المشرفة على الضريح بقايا حصن . والى الشرق يفتح شعب سكران وينحدر هذا الشعب من بئر ام سبور وبئر ابو شوكاية (أبوشوكة) وفي ١٥ ر ٦ شاهدنا جزيرة الخزنة ، وهي جزيرة مأهولة بالسكان وحينما اقتربنا من الأسودية كان علينا مرة اخرى ان نصعد جرفاً شديد الانحدار رأينا النهر تحته محفوفاً بشريط ضيق من الحدائق وقطع صغيرة من الحقول تسمى الاسودية . المشهور . الحمادي : الخالدية ، القويضة ، الجبل ، زبد : الصلدة . السابجة . بربيسي . برقيتا (بوكيلة) ، بحران (حوران) الحدادية ، الزمياقية ، بني صالح . السبيلة . هويديس ، بجارية ، بني زجة . دوار (الدير) ، وانخيراً : بروانه . وفي ٣٥ ر ٧ دخلنا شعب الحسين خلال حقول يملكها أهل بروانه .

وأعرب دليلنا ، وهو فلاح من أهل بروانه ، عن شكواه المريعة من الحكومة التي طالبتهم برأس غنم عن كل عشرة اغنام تربي من أجل لحومها ، ومن كل رأس ثلاث أقات ( ٨٤ ر ٣ كيلوغرامات ) من الصوف وثلاث أقات من الزبد

مع سبعة قروش ( ٣١ سنتاً ) : والثلث من كل ما يحصلون من قمح . ولقد جمعت الحكومة التركية هذه الضريبة الفادحة مرتين في عام ١٩١٤ .

في ٨٤٠ ظهر لنا منظر جميل على النهر مزيئاً ، كما كان ، بجزر خضراء في وسطه وتحف بساتين النخيل بجانبيه ، تطل عليها أجراف بيضاء : وكان علينا أن نسير على منطقة مرتفعات حتى ندور حول قرية بروانة ، التي رغم شدة ضيقها ، فإنها تمتد مسافة خمسة كيلومترات . وهذا تحول في الطريق استغرق منا وقتاً امتد من الساعة ٨٥٧ الى ١٠٠٠ . وتتكون هذه القرية من اكواخ وحقول الشميلية ( الشكيلية ) ، وابن سلاّم ، وساطين ، وابو الكراديس . والمعبرة : والدولة ، والعليّة (العالية) وفي ١٠١٢ طلعا من شعب الدمامة ( إدّامة ) ، حيث يقع منهل القرنة .

### شعب ادمامة الى راوة

في الساعة ١٠٥٠ كان على يميننا مشهد الشيخ محمد الحوراني ، وفي شرقه يرتفع نتوء رأس لعل الصخرى . وبدأت الى جانب الفرات قرية المعيسيرة . وتراءى على الضفة اليمنى ضريح السيد نذر الدين بلونه الابيض . وقد تجمعت اسفلّ منه اكواخ قرية ( الخمسة ) ، وارتفعت غربي جزيرة حديثة قبة الامام علي ( أو مشهد علي ) على الضفة اليمنى من الفرات . ومن ١١١٥ الى ١١٣٨ كانت الجمال في المرعى . وفي ١١٤٥ شاهدنا الى الغرب منا قرية البشينة وفيها ضريح الشيخ حديد . وفي ١٢٣٥ بعد الظهر اخترقنا حقول ابو تفسرد . وفي ١٢٤٧ عبرنا شعب ابو تفسره . ويتصل به فرع الزويجي (الزكي) بالقرب من منهل ابو ذكير . وفي الساعة الواحدة كانت قرية ابو تفسره على يسارنا . وحوالي ١١٠ كننا قد اجتئزنا خنادقاً صغيراً يسمى زقّب ، وشعب (لثة) حوالي ١٣٠ . ومن ٢٢٠ الى ٢٥٨ استرخنا عند الغرير بالقرب من الشعب الكبير . وتقع على ضفة النهر قريتان صغيرتان هما : جوراة ، وزبدة . وفي ٢٣٨ رأينا على يميننا فجاً صغيراً هو فج الدويليب ، وعلى يسارنا جزيرة سوسة الزراعية . وفي غرب الأخيرة تقع جزيرة صغيرة فيها بستان جميل تسمى الخيصين .

وتوجد بالقرب من السليمانية ( مخاضة ) يستخدمها البدو حينها يقومون بغاراتهم . . ورائساء هذه الغارات يأخذون كل ما تصل اليه أيديهم من علف ، ويتركون خيولهم وجمالهم تقضم سنابل الحبوب وهي لا تزال خضراء . وفي ٤٠٥ كان على يسارنا قرية صغيرة تدعى الأفحج وفيما وراءها جزيرة الناصرية وعلى اليسين منا : شعب المامسية . وفي ٢٠ سرنا خلال ممر ضيق محصور بين الذرات وبين خط من الاجراف الصخرية . وفي الساعة الخامسة بلغنا شعب الجمّة الكبير ، ويمتد امام مدخله مستنقع ملحي . وتقوم في هذا الموضع على الضفة اليمنى من النهر اكواخ تترتاس . وظهر في الغرب فوق أجراف عالية تشرف علينا مشهد صغير يدعى ( مزار حبيب النجار ) ، وقد اوضح لنا الدليل بشيء من التفصيل ان حبيباً هذا كان نجاراً وقد ساعد في بناء سفينة نوح . وفي ٣٨٥ كانت على يسارنا اكواخ الدير ، وقد بُنيت هذه في خربة قديمة مقابل جزيرة صغيرة هي حويجة الدير ، كما بُنيت نواير شخيماء على الضفة اليمنى . وتسمد سفت الرياح على السهل المنبسط الذي كنا نقتلعه الآن الرمال الداكنة وكوّنت منها آلاف السافيات المنخفضة ( طعوس ) تعرقل السفير . وفي ٣٢٠ عبرنا شِعْب [ الكثيب ] الواسع الذي يبدأ في هضبة علاوي . وفي ٥٠٠ شعب الحبيب الذي يأتي من سهل الوتاحة المستوي . وفي الساعة السابعة كنا أسفل ضريح حبيب النجار ، وفي ٢٠٧ خيمنا في حقول الزّرق في وقت كان يحتمل فيه الشخير .

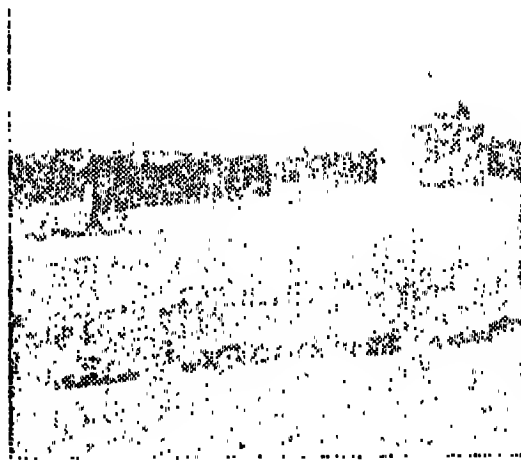
في ١٥ ايار سنة ١٩١٥ بارحنا الزّرق في الساعة ٣٨٤ صباحاً . وكان دليلنا حمّاد بن عبد الله .

وفي ٤٥٤ كانت على يسارنا جزيرة صغيرة تدعى السّوّاري (٨٢) ، وامامنا تلّ المحجّاة الذي يحجب شعب السّهليّة . ورأينا على الضفة اليمنى

(٨٣) ويذكر اسنيوس كوادراتوس ، الشّدرات (ملر) ، ص ٦٦٠ ، ان سيربانه هي جزيرة في الفرات . ويمكن ان تكون هذه الجزيرة مطابقة لسواري ، او السواري ، فقد حرفت الباء الى الواو ، وبديل ترتيب الحرفين : الراء والباء .

جرنه ، ويليه من ناحية الغرب [ مضيق ] المرزوقية . وجزيرة العسكر ، الواقعة الى جنوب السواري ، كبيرة ذراعا ما . وهي جزيرة مزروعة مأهولة بالسكان .

في ٢٠ ره كانت على يسارنا قرية صغيرة تدعى ابو جوعانه وتقع مقابل جزيرة الوُدَاية النهرية الصغيرة ، ومزرعة العلييه على مسافة ابعد من ذلك على الضفة اليسرى . وفي ٤١ ره قطعنا شعب السَّهالية العميق الذي تحفّ به صخور كلسية بيضاء ، وتقع مقابل مدخله جزيرة صغيرة تدعى المَهْرَة مغطاة بأشجار كثيفة من الحور والطرفاء . وفي ٥٣ ره كانت على اليمين منا خرائب قرية قديمة ، وفي ٦٠٥ ره كانت على يسارنا خربة الجرعة مع ضريح صغير للشيخ محمد في غربتها . وتقع أعلى منه قرية كبيرة هي : الزاوية



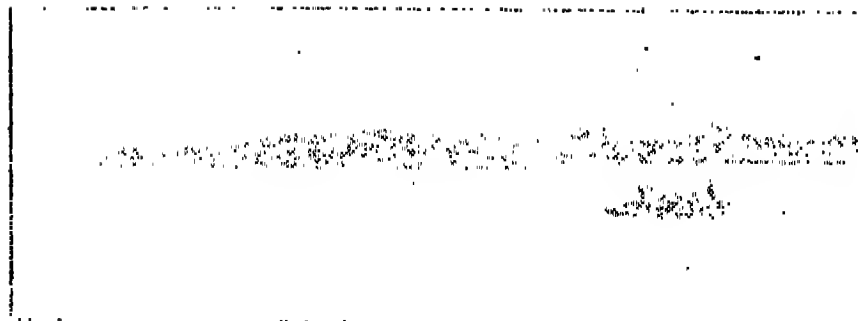
( شكل ٤٧ - قرية حيين )

ومن ٧١٣ ره الى ٧٤٤ ره تركنا جمالنا ترعى . وفي الساعة الثامنة وصلنا الى قرية ابو جرعة التي تقع على ضفة النهر في نهاية مريضيق . اثر تقدمنا في سهل كاسي يمتد الى مسافة بعيدة ناحية الشمال

وفي ٨١٥ شاهدنا خرائب المعاذيب الى جنوب الغربي . وفي ٢٠ ر ٨ عبرنا  
شعب البلجارية ، وفي ٤٢ ر ٨ شعب العصرية ، الذي يبدأ في عين الغبين .  
وكنا نمر الآن في سهل شبن الصخري الذي يحفّ به مرتفع عناب ( ومن  
ورائه يمتد مرتفع الوتاحة ) ويقطعه عدد من الفجاج العميقة . وفي ٥٥ ر ٨ رأينا  
على مقربة منا قرية المردادية كما رأينا على الضفة اليمنى شريطاً ضيقاً كونته  
بساتين الشويحية يمتد الى نقطة تقابل قرية حيين . وكانت اشجار نخيل هذه  
القرية تحييناً من بعيد ( شكل ٤٧ ) . ومن ٩١٠ مررنا بنخيل قرية البيضاء .  
وفي الحقيقة ان هذه القرية تكون مع قرية ( الشعبية ) المجاورة لها ، جزءاً  
من قرية حيين الطويلة الضيقة . وكان طريقنا يمر بأزاء الاجراف الصخرية  
المشرفة على هذه القرية . واقترنا ثانية من الفرات بعد الساعة ٣٠ ر ٩ وكانت  
تقع امامنا في وسط النهر جزيرة تلبس ( شكل ٤٨ ) تقوم عليها عدة أبنية قديمة  
يلاطم ماء الفرات جدرانها . وتنمو اشجار نخيل جيدة في القسم الشرقي من  
الجزيرة ، ويقابلها على الضفة اليسرى خرائب السور . وهذه مكونة من تلّ  
مستدير الشكل وروبة خرائب عالية تمتد من الجنوب الغربي الى الشمال  
الشمال الشرقي ( ٨٤ ) . ويمتد شعب ابو سالي الصغير ، الذي ينبع من منبع ،  
على طول الجانب الجنوبي من الخرائب . عبرنا هذا الشعب في الساعة ٢٠ ر ١٠ .

( ٨٤ ) وفي زمن الملك حمورابي كان شخص يسمى سن - اقيشم وصيا على  
سوخي ، وان محل اقامته كان نبي سوري في ذلك الاقليم ( سيسي ،  
وثيقة بابلية قديمة [ ١٨٩٩ ] ، ص ٢٤ وما بعدها ، بيزر ، علم الآثار الشرقية  
القديمة ، رقم ٤ [ ١٩٠١ ] ، ص ٥٠ وما بعدها ) . ولعل هذا كان حصن  
سور ، مقابل جزيرة تلبس .

وفي عام ٨٧٨ ق . م ثار خدورو ، حاكم سورو ، وهي القلعة المنيعه  
في بلاد سوخي ، على الملك اشور نازربالي الثالث ( الجوليات [ رولنسن ،  
نقوش مسمارية ، م ١ ، اللوحات ٢٣ وما بعدها ] ، العمود ٣ الاسطر  
١٧ - ٢٥ ، بيج وكنك ، الجوليات [ ١٩٠٢ ] ، ص ص ٣٥١ - ٣٥٣ ) .  
الذي كان يقترب من الشمال الغربي . وقد ساعد خدورو جيش بابلي  
ارسله الملك نبو - ابلا - ادين تحت أمره اخي هذا الاخير واسمه سبدانو .  
فاستولى اشور ناصر بال على القلعة عنوة ، الا ان خدورو وهرب بطريق



( شكل ٤٨ - تلبس من جهة الشرق )

الفرات مع سبعين من رجاله . وأسر خمسين فارسا ، وأخا الملك البابلي وكذلك ثلاثة الاف من الجنود البابليين ، واستباحوا القلعة لمدة يومين ، ثم هدموها وكانت غنائم الاشوريين : النساء من حريم الحاكم ، وما كان في حوزته من خيول الحرب ، شربة قتال ، خيول ، ادوات حرب مختلفة ، الفضة ، الذهب ، الرصاص ، اوعية نحاسية ، واحجار كريمة من الجبل ، وكل تجهيزاته . . . وأمر اشور ناصر ربال باقامة تمثال له في المدينة المهذمة وعليه كتابة تشيد بانتصاره .

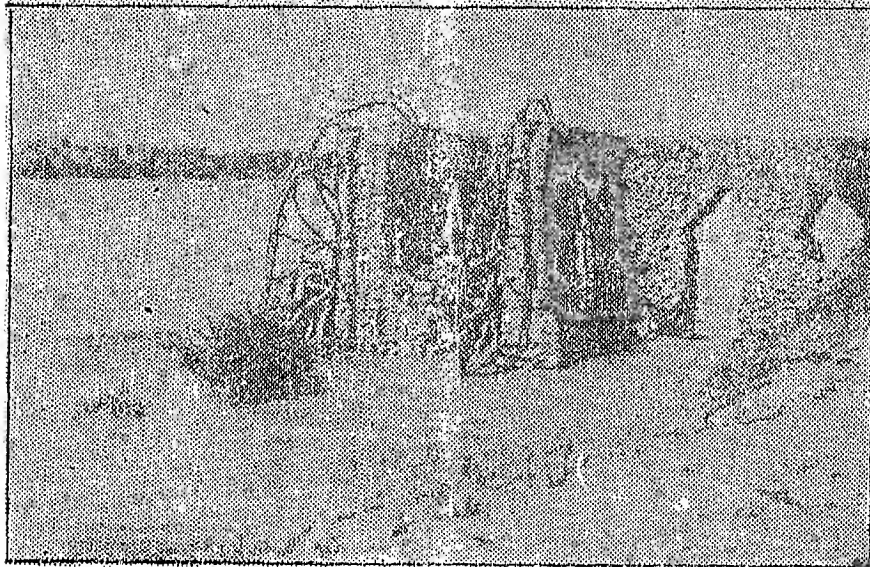
ويكتب اميانوس مارسليانوس

ج ٢٤ ، ٢ : ١ ، ان ثلوثا هر قلعة حصينة بنيت وسط النهر على تل عال ، وقد حصنتها يد الطبيعة والانسان على السواء . وفي عام ٣٦٣م تردد الامبراطور جوليان في مهاجمتها مخافة ان يصاب بخسائر فادحة . فطلب الجنود عندئذ من السكان الاستسلام ، وقد وعدوهم بذلك لكن بعد ان ينصر الرومان على حاكمهم الفارسي .

ويذكر اسنيوس كوادراتوس ، الشذرات ( ملر ) ، ص ٦٦٠ ، بلدة تدعى ثيلا موسى على الفرات في بلاد العرب . ولما كان حرف الباء في الغالب ينطق به خطأ كحرف الميم ، وكان اسم جزيرة تلبس يكتب ولا ريب بأشكال مختلفة لدى الكتاب القدماء ، فيمكن ان تكون ثيلا موسى مطابقة لكلا ثيلوثا وتلبس .

ويكتب البلاذري ، الفتوح ( دي خويه ) ، ص ١٧٨ وما بعدها ، نقلا عن رواية اهل قرقيسيا لما فتح رأس العين سلك الخابور وما يليه حتى اتى قرقيسيا وقد نقض اهلها فصالحهم على مثل صلحهم الاول ، ثم اتى حصون الفرات حصناً حصناً ففتحها على ما فتحت عليه قرقيسيا ولم يلق في شيء منها كثير قتال ، وكان بعض اهلها ربما رموا بالحجارة ، فلما فرغ من تلبس وعانات اتى النأوسة والوسنة وهيت . . . وقد اتاه اهل هذه الحصون فطلبوا الامان فأمنهم واستثنى على اهل هيت نصف كنيسهم فانصرف عمير الى الرقة .

واسترحنا من الساعة ٥٠ ر ١٠ الى ٤٨ ر ١١ . وفي الساعة الثانية عشرة كان على يسارنا تلّ أبو ثور وهو مخروط غير منبّس يخالو من وجود خرائب عليه . وفي ٠٨ ر ١٢ بعد الظهر رأينا بلدتى عانه وراوه . وفي الساعة ١٢ر١٥ بالقرب من حقول الجدّيدة عبرنا شعب الهابولية الذي توجد بجواره اكواخ متهدمة لقرية تجمعت حول مئذنة (مفتول) متداعية للدير المملوكية . ويمتد الى غرب الهابولية سهل صغير مستو يسمى الدفلة . حيث تنمو شجيرات الدفلى بكثرة وافرة ، وفيما وراءه بلغنا حقول الرزّاز ، وخذق سحل الحادّثين ، حيث يوجد منهل ام نخل ، وبساتين الزخونة ، وعبد الله ، وشعبان عانه ، وبساتين المزنقة ، والضويعة ، والشعيبة ، والتتوع الصخري المسمى : القرّة ، وبلدة راوه . ولما لم نستطيع المرور بجسمالنا بين الاكواخ ، بين نهسر الفرات الذي كان فائضاً آنذاك، استدرنا حول راوه سائرين على الاجراف الصخرية التي تطلّ عليها . وتقطع هذه الاجراف وديان عميقة شديدة الانحدار حفرتها وديان الثور



( شكل ٤٩ - ناعور غرب راوة )

ارغممتنا على اتخاذ طريق بديل يتوغل مسافة بعيدة ناحية الشمال قبل ان نستطيع الوصول الى الطريق المؤدي الى الموصل . وفي ٢٥ ر٥ خيمنا بجانب الفرات بجوار حائط عال لبستان يقع على بعد كيلو متر واحد تقريباً غربى راوه ، أتاح لنا حماية جيدة من عاصفة رملية انفجرت في وقت لاحق من ذلك المساء . وكان البستان والحقول المحيطة به تسقى بالنواعير ( شكل ٤٩ ) .

### راوة الى السوسة

في ١٦ أيار سنة ١٩١٥ كتبت الى قائمقام عانة ليرسل اليّ اثنين من رجال الدرك . وكان رجلا الدرك اللذان معنا قد عبرا بالعبارة مع حصانيهما الى عانة . وقد وصل الينا بالطريقة نفسها رجلان آخران خلفاً لهما . وكانت هذه مغامرة لاتخلو من مجازفة وخطر على السواء ، اذ لم يكن في عانة أو راوه قارب كبير يفني بالمرام . وكان الماء قد ارتفع عالياً في الفرات حينذاك ، وهبت ريسح شمالية شرقية طوال اليوم . وانهمكنا في ترتيب خرائطنا وإكمالها ، وجمع المعلومات عن القرى الواقعة على الفرات بين راوه والخابور . وفي المساء حددنا خطّ العرض . وقد فاجأتنا عاصفة مروعة في منتصف الليل مصحوبة بكثير من البرق ودويّ الرعد ، ولكن لم يسقط ممسوى قليل من المطر .

وفي ١٧ أيار سنة ١٩١٥ هدأت العاصفة بعد الساعة الثانية صباحاً بقليل . ولكن ظلت السماء غائمة ، واشتد هبوب ريح باردة من الغرب ، مما زاد في ازعاجنا . وخرجنا في ٤٥ ر٤ صباحاً . وفي ١٨ ر٥ كنا في حقول العماريّة في جنوبيّ خرائب كبيرة ، وبقرىها مقبرة صغيرة . وفي ٣٠ ر٥ شوهد ضريح المشهد ، وهو ضريح صغير يقع على الضفة اليمنى من النهر جنوبي جنوب حقول ابو كوّة . ثم صعدنا الاجراف الصخرية لنهبط ثانية في ١٠ ر٦ الى الضفة النهر . ومن ٥٢ ر٦ الى ٣٠ ر٧ ظلت جمالنا ترقى على الجانب الايمن من شِعْب الجبال . وفي ٣٠ ر٧ وصلنا الى مزارع النظرية . وتراءت لنا الى الجنوب اشجار قرّيتي



الكوزية والكروية . ومن ٦٥٢ الى ٧٣٠ رعت جمالنا على الجانب الأيمن من شعب الجبال . وفي ٧٣٠ بلغنا حقول النظرية . واخذت الاجراف تتراجع نحو الجنوب على الضفة اليمنى في الجهة المقابلة من النهر ، ولكن السهل الفيضي هنا غير صالح للزراعة الا في اماكن قليلة فقط لكثرة التلوات الواطئة التي تمتد من الاجراف الى النهر . وفي الساعة الثامنة اخترقنا حقول السمسية متجاوزين جزيرة صغيرة تدعى - حويجة صريصر ، وكانت اشجار حور صغيرة - تغطي الجزيرة بصورة كثيفة . وتصل التلوات الصخرية الى حافة الماء تماماً على الضفة اليمنى مكونة ممراً ضيقاً يسمى ( المضيّق ) . وترتفع الى الغرب منه شجرة توت كبيرة في حقول السويوية . ومرة أخرى داهمنا البرق والرعد .

في الساعة ٨٢٠ تركنا السهل الخصب عندما كنا على مقربة من شعب صريصر وقرى البونية ، والجبل ، والحسية ، وتقدمنا على امتداد مرتفع صخري مسطح القمة ، حيث شاهدنا في الساعة ٩٠٦ ربوتين هما : المزاب والعنز . ومن ٩٤٥ فصاعداً كان الطريق ، على اليمين واليسار معاً ، مغطىً بالكوام صغيرة من الحجارة تسمى هنا رجوم الفجير . وتمكننا ان نرى من فوق الروابي ، في الناحية الشرقية البعيدة ، الحافة الطويلة الواطئة التي كونها حد مرتفع قوت الغبين . وفي ١٠٣٥ عبرنا شعب ابوديّة ، الذي شقّ مجراه هنا ، بفعل عوامل التعرية ، في صخور بيضاء . واسترحنا من الساعة ١٠٥١ صباحاً الى ١٢١٤ بعد الظهر . وفي ١٢٢٣ تركنا وراءنا شعب الهدية الصغيرة ، وفي ٢١٦ كانت مزرعة العجسية الى يسارنا ، وعلى الضفة اليمنى ربوة خرائب الحلاوي الصغيرة . وفي الساعة ١٢٣٦ اجتزنا قرية الابراهيمية على الضفة اليسرى ، ثم قرية المهيدية بعد ذلك بوقت قصير . ، ولاحظنا على الضفة اليمنى الى غرب هذه القرية خربة الدينية ، التي يبلغ قطرها نحو خمسمائة متر . وتقع قبالة الدينية على الضفة اليسرى قرى الجازانية ، وفيما وراءها قرية الجصية حيث يستخرج ملح صخري يستعمله الفلاحون في صنع البارود . وفي ١١٨ بدأت ربح قوية تهب من الشمال الغربي . وفي ١٣٨ عبرنا شعب الجصية ؛ وفي

٢٠٥ اجتزنا قرية العامرية . وبالقرب منها تقع خربة اصغر حجماً ومقبرة ، وفي ٢٥٤ شعباً عريضاً هو الحدّار . وهنا كانت صخور الضفة اليمنى تكاد تصل الى الماء . وفي ٣٣٨ كانت غريتا السعدية والشّعبي على يسارنا ؛ وإلى شمال — الشمال الشرقي رأينا ثلاثة تلال مائدية الشكل : قمرت التلثوات ، وتقع بينها بئر أبو براج ، وكانت الى غرب — الجنوب الغربي قرية الزعفرانية الزعفرانة وإلى الغرب جزيرة عليّ . وعلى الضفة اليمنى قرية العمّاري .

من ٣٥٧ الى ٣٠٤ رعتّ جمالنا في شعب المصايد بالقرب من حقول الدير (٨٥) وقد تركت بوراً . وأخبرنا دليانا حمود انه استأجرها في العام الماضي لكنه تخلّى عنها يائساً حينما استولى جابي الضرائب على كل محصوله تقريباً ، ولم يترك له الا قليلاً من القوت لا يكاد يعلّو مدة شهرين .

وبالقرب من الدير جزيرة صغيرة هي الجديش وتنمو فيها اشجار الحور بكثرة . وصعدنا الى الأرض المرتفعة ثانية حيث رأينا من على صخرة تطل على الفرات قلعة من العصور الوسيطة يقال لها ارتاجة ، وهي مستطيلة الشكل يحيط بها سور متين تنتظمه ثمانية أبراج نصف دائرية . وقد عثر احد الفلاحين من اهل راوة اثناء الحفر على لبنينة فيها بعض الكتابات ( لبننة مكتوبة ) ، وسرعان ما باعها بأربعين مجيادياً ( ٣٦١٠ دولاراً ) . وتقول احدي الاساطير المحلية المتداولة ان هناك حصاناً من ذهب مخفياً في مكان ما في أرتاجه .

---

(٨٥) ومن المحتمل أن الدير هنا هو دير لبة .

ويكتب ياقوت ، المعجم ( فستنقلد ) ، م ٢ ص ص ٦٩٠ وما بعدها ، وابو الفضائل ، المراصد ( يوينبول ) ، م ١ ص ٤٣٨ ان دير لبة ( او لبنى ) على ما يقال كان ديراً قديماً على الضفة اليمنى للفرات في اراضى بنى تغلب ، حيث نازل هؤلاء بنى شيبان . — وفي نهاية القرن السابع وبداية الثامن للميلاد ، اعتاد بنو تغلب ان يضربوا خيامهم في الجنوب الشرقي من الخابور ، بين الفرات ودجلة ، أو في المنطقة التي يقع فيها الدير المذكور .

وفي ٢٠٤٠ أقمنا خيامنا في وادٍ صغير قُبالة اكواخ الرافدة ، التي امكن رؤيتها بوضوح على الضفة اليمنى . وكان ثمة مزيدٌ من البرق والرعد طوال الليل . وقد اصابت الصواعق صخور المنطقة المجاورة عدة مرات كما ، سقطت صاعقة في الفرات .

في ١٨ أيار سنة ١٩١٥ ، خرجنا في الساعة ٥٣ ر ٤ صباحاً مختارين مرتفع الوريحة الصخري . وفي ٣٨ ر ٥ ظهرت العيان امامنا من ناحية اليسار بلونها الأبيض فبة سلطان عبد الله . وتنوع الى الغرب منها عقبول البويبة . والجابرية والبيضا والامليلي . ثم اخترقنا سهل السقاط الصخري ، حيث كان قد وقع مطر غزير في الليلة السابقة . وفي ١٥ ر ٦ اجتزنا ضريحاً صغيراً هو ضريح سلطان عبد الله ، الذي شُيّد على نتوء صخري بارز يتلّ على الفرات مباشرة . والى الغرب منه يوجد كهف كبير في الاجراف العالية القريبة من النهر وكهف حُجران . وفي ٣٣ ر ٦ رأينا شِعْبَ ابو جروة العميق منفثاً من جهة جنوب - الجنوب الشرقي حيث تنفرج الاجراف الصخرية المطلّة على ضفة الفرات اليمنى : وفي هذا الشِعْبَ توجد خربة تحسّل الاسم نفسه بالقرب من بضعة اشجار قديمة تبعد عن النهر نحو ستة كيلو مترات . وتسمى المزارع التي تقع شرقيّ الجروة الشّاقِية ، وفي غربيّ مدخله تظهر جزيرة الحزم وهي لاتزال في مرحلة تكونتها . اكتشفنا على الطريق أفنسى مرقطاً قد أنشِبَ انيابه في سحابة ( سليمانية ) ، ولما أبى ان يهرب ، قتلناه . وفي الساعة ٥٥ ر ٦ رأينا على الضفة اليمنى خربة كبيرة هي الشّجيرة ، حيث نقب الفلاحون من المنطقة المجاورة بقايا قديمة مختلفة ، اما على الضفة اليسرى فتوجد حقول البيضا . وفي الساعة السابعة تراءت الخضرة الزاهية من بستان شجر حور في ( البرد ) الى جنوب - الجنوب الغربي . وفي ٢٠ ر ٧ كانت سنابل الحبوب الناضجة في حقول الرومية الجميلة تتهاى كأمواج البحر . وتقع على الضفة اليمنى عند هذا الموضع مزرعتا الدُرّصيّة ومشعل . وبعد ان يتجاوز الفرات الرومية يقترب كثيراً من الاجراف مكوناً بذلك مضيقاً

يلفت النظر بصف من شجر الحور . وفي ٣٥ ٧ عبرنا شِعْب العَرَج الذي يبدأ عند بشر أبو القايه على هضبة مسُحبان . وفي الساعة التاسعة صعدنا من حقول صَمَّة الى مرتفع بَتِيجه . وهبَّت من جهة الغرب ريح شديدة ، كأنها عاصفة تقريباً . وفي ١٤ ر ٩ عبرنا شعب الدغيمية لصغير ، ورأينا على الضفة اليمنى قرية العبُيْدي الكبيرة . وعلى الضفة اليسرى توجد ، على مقربة من هذا المكان قرى الدغيمية ، والعيش ، والدرجة ، والحميزة ، وتعرف كلها مجتمعة باسم رباط كما يعرف الطريق الذي كنا نسلكه الآن بـ (دجة الدرهم) [ دكة الدرهم ] . وشكا دليلنا مُرَّ الشكوى من المحنة التي كانت تسود راوه . فقد اضطرَّ ولداه الى الالتحاق بالجيش ، لهذا وجب عليه أن يعُولَ زوجتيهما واطفالهما التسعة ، ولا تملك يداه غير كوخ متداع ورقعة بستان صغيرة لا يتجاوز طولها ثمانية امتار ، وعرضها اربعة امتار ، والى جانبها فصبنا خيامنا . وكان لابله وللعائلة كلها من الاشتغال بنسج الصوف ، وكان سرورهم عظيماً حينما يكسب كل منهم قرشاً واحداً ( ١ - ٤ سنت ) في اليوم .. ومع ذلك فالحكومة قد أكرهته على ان يدفع اولاً ، منذ شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ ، ستة مجيديات ، ثم ثلاثة ، واخيراً خمسة مجيديات أخرى ( ٤٠ ر ٥ ، ٠٧ ر ٢ ، ٥٠ ر ٤ دولار ) . ولكي يتمكن من دفع الجباية الثانية والثالثة اضطر الى بيع غلايتين من النحاس وجزء من ملابس زوجات ابنائه .

في الساعة العاشرة ظهر لنا الى جنوب - الجنوب الغربي بقايا برج القاييم . وكنا نساغر الآن على سهل الحصص الصخري ، حيث توجد كهوف وفجوات متعددة تحت الأرض تتجمع فيها مياه الامطار الآتية من الاماكن المجاورة . ومن ٠٨ ر ١١ الى ٤٥ ر ١٢ بعد الظهر تناولنا طعام الغداء في شعب صغير هو عين الوحمة الصغير . وعقب الغداء عبرنا شعب ام السبع [ أم السباع ] ، وكات بعض اقسامه مغطاة بطبقة من الملح ، ومن ثم صعدنا الى هضبة يحدها من ناحية الشمال الشرقي مدرج الجناء . وفي ٠٥ ر ٢ كانت مزرعة البروث الى

غرب ... الجنوب الغربي ، والى الجنوب الشرقي منها قريتا المرضوخة والمدنّب . ومن ٢١٦ الى ٢٣٠ رعت جمالنا في سهل مستوٍ يسمّى العقلي ، وفي ٢٥ ٣ وصلنا الى شعب الحج ، الذي يبدأ عند الغياري وينتهي في طيمى الشجلة . وفي الساعة ٤٣ ٣ رأينا على نتوء العرصي الصخري الواقع على يسارنا بقايا ربوات مثابر وأبراج كثيسرة تسمى ابو جلال ، حيث وجسدت بقايا عظام بشرية ، وباريق من نحاس وحلي مختلفة واوعية طينية ، ونقودا . وحدث مرة " أن فلاحاً من اهل راود ، حينما كان يحفر في بناء مهدم يعرف بقصر ابو زبّين ، وجد خمسين قبراً طينياً تضم هياكل عظمية . ولقد كان العرصي مقبرة مدينة كبيرة تقع اطلالها ، التي تسمى الان الشيخ جابر ، على الضفة اليمنى من النهر . وتوجد على الطرف الشمالي الغربي من هذه المدافن بقايا قلعة قديمة بثلاثة ابراج في حالة جيدة حتى ان سلالها الداخلية لاتزال سليمة .

في ٢٠ ٤ خيمنا في سهل السوسه الغريني الذي يعرف باسم موزان في قسمه الشمالي . وارتفعت امامنا خربة عنتود او الطاوي . وهذه السهول المستوية ، وأعني الشجلة ، وموزان والمسيلة عبارة عن سهول مستنقعة الى حد كبير ، تنمو فيها اشجار الحور والطرفاء بكثرة حتى أن السهل الأخير يلبو كأنه أجمة .

### السوسه الى المروانيه

في ١٩ أيار سنة ١٩١٥ ، خرجنا في الساعة ٤١ ٤ صباحاً مخترقين الاقسام الخصبة من سهل الفرات الفيضي المسمى بالوردية ، وهذه الاقسام تعرف بالشنشولة والشعفة ، والأخير منها يمتد حتى يبلغ نتوء العرجي الصخري . ويندمج السهل من الناحية الشرقية بالتدرج في سفح معتدل الانحدار ، تسمى اقسامه المختلفة من الجنوب الى الشمال : الغياري ، البيسار . [ عقق ] . وتوجد عدة آبار في القسم الجنوبي من هذا السفح . وعلى هذا فان شعب المسيلة يأتي من بشر العبلى ، وفي غربها تقع بشر ابو شديخة كما يوجد في شمال شعب

المسارين ، الذي لا ماء فيه ، بشر القريبيعه ، وعند ابو الظلّ توجد تجاويف ( ثمايل ) في الارض تتجمع فيها المياه الجوفية . وأخيراً نجد [ قليب ] علّوني ، في شعب الحليّة الذي ينتهي مقابل البهسة .



شكل ٥٠ زور الكشمة

وفي الساعة ٤:٠٥ ظهر على الضفة اليمنى من جهة غرب - الجنوب الغربي مخروط تل مدقوق المنعزل وما فوقه من خرائب ، وإلى شرق هذا التل رأينا خربة واسعة هي خربة الحريري ، وأبعد منها جنوباً خربة أبو سباط . وقد لاحظنا بعد الساعة ١٠:٢٦ على يميننا نهر دّورين القديم ، وابتداء من هذا الموضع كان علينا ان نعبر جميع فروع المتعددة التي تجري الى الغرب . ويقال ان دورين ينتهي أسفل من جرف العرصي بالقرب من خرائب ابو رق في سهل حاوي البروث . وفي ١٧:٢٦ كان الى يسارنا احد فروع الفرات المسمى سراة الكشمة . والسراة تعني فرعاً يتجه من النهر الى سهل فيضي . ويسمى مثل هذا السهل في العادة : الحاوي ، وحينما

يكون مغطى بالدغل او الاشجار يسمى : الزُور . وظلت الجمال في مرعاها من ٧١٠ الى ٧٤٠ ( شكل ٥٠ ) وفي ٨٠٥ عبرنا ، عند ركاب - خربة الزققيج ، فرعاً من الفرات ممثلاً بالرمل يكاد عرضه يبلغ خمسين متراً . وأصبح بإمكاننا ان نرى من جهة جنوب - الجنوب الغربي على الضفة اليمنى من النهر خرائب ام زناد ؛ وفي غرب - الشمال الغربي منها امتدت كتبان رملية داكنة تعرف باسم طُغوس شُعبان ، وفي جنوبها ، الى الغرب من تلّ مدقوق يوجد تل رملي يعرف بطغوس رسول . وارتفع الى الغرب منا ، بصورة مباشرة تقريباً ، تلّ صغير قائم اللون هو تلّ الجحش . وقد جرى في هذا التلّ تنقيب آثار قديمة مختلفة .

في الساعة ٨٥٢ اجتزنا خربة تلّ البهسنة ، وتكون هذه الخربة ثلاثاً ارتفاعه نحو عشرين متراً ويبلغ طوله من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي مائتي متر . وعرضه مائة متر . وتتصل به من ناحية الشرق اكداص صغيرة كثيرة تجمع فيها آجر قديم . وثمة نهر ، نصف سر دوم الآن ، كان يجلب الماء من الفرات سابقاً . اما القسم الغربي من الخربة فقد جُرف وزالت آثاره (٨٦) .

وعلى الضفة المقابلة ترتفع ربوة خرائب طويلة تسمى خربة الجحش . احتشدت حولها اكواخ بلدة الرمادي . وفي الساعة التاسعة ظهرت قرية الدميم على الضفة اليمنى من جهة غرب - الجنوب الغربي ؛ وعلى الضفة اليسرى : قرية المُفَشَّق . والى الشمال الشرقي لم نجد خرائب كبيرة الحجم في السهل الفيضي الخصب . وفي الساعة ٩٣٩ كانت على يسارنا قرية الهجين . وفي

---

(٨٦) وفي خربة البهسنة اُحدد موقع نقراني الآشورية . وفي عام ٨٧٨ ق م جلب سكانها الى الملك اشور نازر بال : فضة ، ذهباً ، رصاصاً ، اوعية ، ماشية وغنماً ( الحوليات [ رونسن ] المصدر السابق ، م ١ ، اللوحة ٢٣ [ ، العمود ٣ س ١٠ ، بيع و كنك ، المصدر السابق ، [ ١٩٠٢ ] ، ص ٣٤٩ ) .

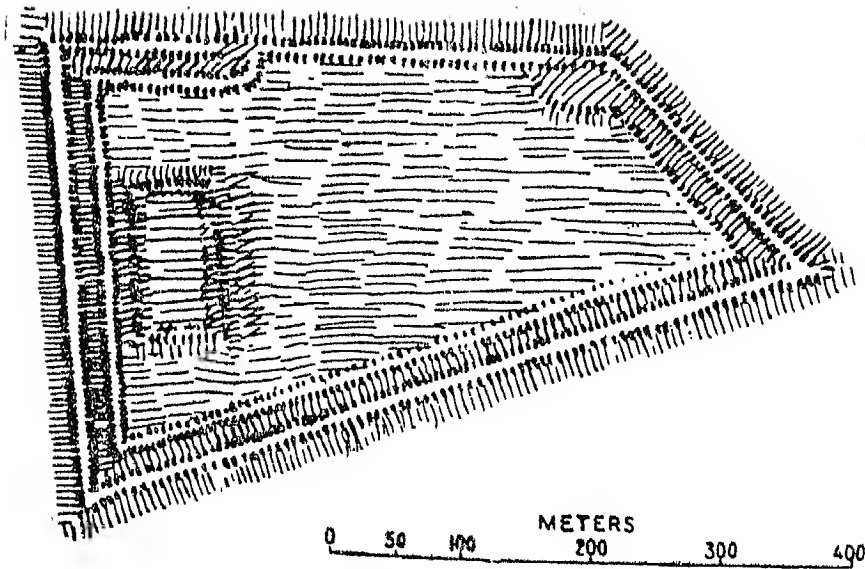
ويكتب ياقوت ، المعجم ( فستنلد ) ، م ٢ ، ص ٦٥٥ وما بعدها ، ان دير حنظلة يقع بقرب الضفة الشرقية لنهر الترات ، اسفل من رحبة مالك بن طوق بين الدالية والبهسنة . ولقد تفنى بموقعها الجميل عبدالله بن محمد الامين بن الرشيد حينما مكث فيها لفترة قصيرة .

شمالها خربة معيصرة ومقبرة . وظهرت في ٩٥٣ الى غرب - الجنوب الغربي على الضفة اليمنى قرية الخريطة ، وامامنا ربوة خرائب الغريثي الداكنة اللون ، وتقع وراءها مزرعة الصفاء . حتى اذا ابتعدنا عنها شمالاً ظهرت قبة وردية اللون في خرائب الجعابي . وفي ١٠٣٥ امكن رؤية اشجار قرى الكثوحة في الجنوب الغربي ، وإلى الشمال منها مزرعة البحراء ، وإلى الغرب منها توجد في وسط الحقول خرائب الصفاء (٨٧) وتقع البحراء مقابل مركز الدرك بالصالحية .

من ١١٣٠ الى ١٢٤٦ بعد الظهر عملنا في خرائب الجعابي . وكانت تقع في يوم ما مدينة واسعة يحيط بها سور من الشمال والغرب والجنوب (٨٨) .

- 
- (٨٧) واستنادا الى سجلات رحلة توكولتي اينورثا الثاني فان الصفاء هي صبرى القديمة (راجع فيما يلي ص ١٥ وما بعدها) .
- وفي عام ٨٧٩٠ ق م تسلم اشور نارال في صبرى ، مستحقاته الاتية :  
الفضة ، الذهب ، الرصاص ، الاوانى ، الماشية والغنم .
- (٨٨) وتطابق الجعابى ، وفقا لايستيدور الشراكسى ، قصور البارثيين ( ملر ) ، ص ٢٤٨ ، و زوسيموس ( التاريخ الحديث ، ج ٣ ، ١٤ ، واميانوس مارسيلنوس ، ريسر - جسترارم ، ج ٢٤ ، ١ : ٥ ، ضاحية من ضواحي يوروبوس - أو كما كانت تسمى ايضا : بلدة نيقانور ( نيكانورس بوليس ) أو دورا - وقد اسسها المقدونيون .
- ويروى بوليبيوس ، التاريخ ج ٥ ص ٤٨ ، ان مولون فتح في عام ( ٢٢١ ق م ) بارا بوتاميا ، من سلوقيه على دجلة الى يوروبوس ، وميزا بوتاميا [ بلاد ما بين النهرين ] حتى بلغ دورا .
- واستنادا الى بوليبيوس ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ٥٢ ، فان بلدة دورا تقع على الضفة اليسرى لدجلة ، وقد حررها انتيوخوس ( ٢٢٠ ق م ) اثناء حملته على مولون . ولهذا لانستطيع البحث عن بارابوتيميا بمحاذاة دجلة ، بل لابد من البحث عنها بمحاذاة الفرات ، ويمكن مطابقة بلدة يوروبوس بالمستعمرة المقدونية يوروبوس أو الجعابى المعروفة لنا .
- ان بوتيميا الممتدة على الفرات تناخم بلاد العرب من حدها الجنوبي ( سترابون ، الجغرافية ، ج ١٦ ، ٣ : ١ ) .
- وفي النصف الاول من القرن الرابع للميلاد هجرت بلدة دورا ( هوفمان ، مقتبسات [ ١٨٨٠ ] ، ص ص ٢٨ وما بعدها ) .





(شكل ٥١ -- خريطة خرائط الجعاببي )

وتقوم في غربي الجعاببي ، على نتوء صخري في الجدار الغربي لوادي  
الفرات، خرائب الصالحية . ووصلنا في الساعة الواحدة الى مجرى مهجور للفرات  
هو سرة المويه . اما مجرى النهر الحالي الذي يمر بالصالحية فانه كان في  
الارجح نهراً في الاصل . ونبي ١٢٠ كانت في غربنا قرية  
[ الغرائق ] وكثير من الجزر الصغيرة في النهر . ورعيت جمالنا من ٢٣٣  
الى ٣٠٥ . وتركنا الحقول في ٣٣٨ . ودخلنا في الساعة ٣٥٢ طريقاً شاقاً  
تغطيه رمال ناعمة . وكانت الريح هنا تسني الرمل الى السهل الفيضي المستوي  
فتكون ربوات صغيرة رمادية قاتمة اللون يوجد فيها نمو الطرفاء . وقد تكونت ،  
بفعل سافيات الرياح هنا وهناك خلال هذه طويلة ، تجمعات رملية الحقت ضرراً  
كبيراً بالمزارع . وفي ٤٢٠ بلغنا مجرى قديماً للفرات يسمى ابو حمام .  
وفي ٤٣٠ أرانا الدليل خرائب مبنى صغير تقع على مقربة من دويرين تبعد من  
ناحية الشرق ثلاثة كيلومترات تقريباً . ، وقال انها دير الصويونية . وفي ٤٥٣  
كانت على يميننا خرائب تل المعادي .

## المروانية الى البسيرة على الخابور

بعد ان انعطفتنا شمالاً ، وصلنا في الساعة ٦:٠٥ الى خربة المروانية ( شكل ٥٢ )  
وهذه الخربة اصبحت الآن متداعية بصورة كاملة ، ويكون القسم الأوسط  
منها مستطيلاً يبلغ طوله من الشرق الى الغرب ٦٠ متراً ، وعرضه ٣٠ متراً . وتستدير  
الخربة عند كل ثمانية عشر متراً مما يدل على ان سور الحصن كان معززاً بحصون  
او أبراج جانبية . وهناك مستطيل مسور - لعله معسكر محصن - يحيط بالقسم  
الاطول ويتصل من الشرق بكومة احجار عالية شبيهة مدورة . ويجري نهر دورين  
مسافة كيلومتر ونصف تقريباً الى الشمال الشرقي ، غير أن فرعاً جانبياً منه يجلب  
الماء من مسافة تمتد حتى المروانية ( ٨٩ ) .

بعد ان غادرنا في الساعة ٦:٢٠ متخذين اتجاهاً شمالي - شمالي غربي ،  
خيّمنا في ٦:٤٠ عند الجريدي ، حيث قمنا بتحديد خط العرض .  
وفي ٢٠ أيار سنة ١٩١٥ تركنا المخيم في الساعة ٤:٤٥ صباحاً . وفي الساعة  
الخامسة كان مشهد الشيخ وخربة صغيرة الى الجنوب منا على بعد كيلومتر واحد  
تقريباً

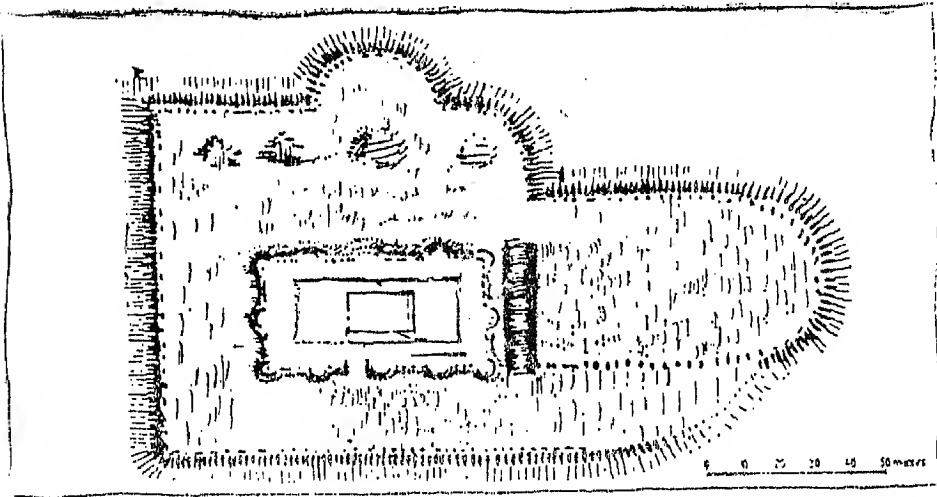
وفي ٤:٥٥ اجتزنا خرائب المقتلة وكوّنت نقاضتها أربعة اكوام واسعة .  
ورأينا على الضفة اليسرى من الفرات تلالاً ارتفاعه نحو عشرين متراً ، ويتكون من  
خرائب جرفت مياه الفرات الجزء النرقي منها وكانت على قمته قرية العشار ،  
حيث كان للحكومة ممثل فيها قبل ان ترمم دير الزور . وكان الفلاحون  
يقضون في العشار وما جاورها وبين جميع الخرائب الممتدة الى دير الزور ،  
كثيراً من الوقت في التنقيب عن الآثار القديمة ، وكان تلّ كراخ : الواقع  
على الضفة اليسرى قبالة المياذين ، وافر الانتاج بوجه خاص في هذا الصدد .

كما نقطع الآن سهل سريدان الفيضي الخصب ، وتحاذي هذا السهل من الشرق  
حقول الحامد . وعاد الدليل الى اعلان سحقه ثانية موجهاً التهم الى الشيخ تبيان

( ٨٩ ) انظر فيما يلي ، الملحق الرابع عشر .

بن حقله ، من قبيلة العقيدات ، الذي أخذ الجمال والاغنام من الفلاحين في المنطقة كلها من العرصي الى الخابور ، ثم الى الصوّار ، ولهذا كافأته الحكومة بوسام على حميته . وكان أبوه ، حفلة بن عبدالله ، مشهوراً بقسوته . حيث سبق ان قتل ثلاثة من ابناء أخيه وضيئفاً بعد ان سابه .

في ٦٥٠ ظهر مشهد الشيخة عشمه الى الشمال على التواء الشرقي لتلّ جمّة . ومن ٧٠٠ الى ٧٣٥ بقيت الجمال ترعى . مقابل قرية الجزيرة الواقعة على الضفة اليمنى . وقد ضاق السهل الفيضي الخصب الممتد على الضفة اليسرى الى حد كبير وأصبح يحدّه من الشرق سرة الجمّة وهو فرع من الفرات كنا نسير على امتداده الآن . وارتفعت على الضفة اليسرى ربوة خرائب ارتفاعها نحو خمسة عشر متراً . مبنية عليها قرية كبيرة تسمى القرية أو التلّ . وبعد الساعة الثامنة عاد الحاوي ( اي السهل الفيضي ) الى الاتساع ثانية . وفي ٨٢٠ وصلنا الى فرع آخر يترك الفرات شمالي القرية .



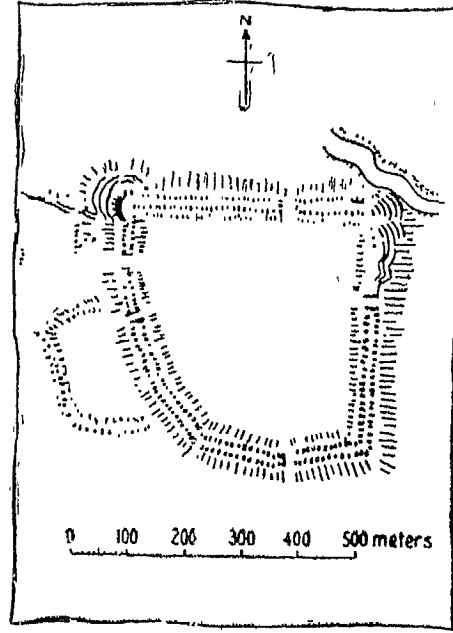
شكل ٥٢ مخطط خرائب المروانية

من الساعة ٣١ ر ٨ الى ٤ ر ٩ تفحصنا خربة الماسيح الكبيرة ( شكل ٥٣ ) .  
وهذه الخربة محاطة بجدران عالية ولكن غير منتظمة يبلغ طول جانبها الشرقي  
٤٨٠ متراً ، والشمال ٥٣٢ متراً . ويبرز الجانب الجنوبي الى الخارج ، وله  
باب بالقرب من وسطه ، أما الجانب الشمالي فانه يغير اتجاهه عدة مرات .  
وجدرانها سميكة مبنية بالآجر يزيد سمكها على خمسة امتار وكانت كلها —  
مغطاة بطبقة سميكة من آجر مفتت حتى اصبح من المستحيل علينا ان نتوصل  
الى نتائج محددة عن بنائها . وبدت على الضفة اليمنى من الناحية الغربية خرائب  
المحكان الواسعة في حين برزت الى يسارنا ، من الجهة الشمالية الغربية ،  
قرية تلّ الدموق وخرائبها وفيما وراء هذه قرية الطيانة وخرائبها ، والى  
شمال — الشمال الغربي ، خرائب كراج . ولم نشاهد قلعة الرحة الا بعد الساعة ٢٢ ر ٩ .  
فقد برزت بوضوح فوق الافق على الاجراف الغربية من ناحية غرب — الشمال الغربي .  
وتألفت القلعة نفسها بلونها الأحمر القاني — بينما كان لون التل الذي تقع عليه  
وردياً في الوسط ، وبفسجياً عند القاء الماء . وتهيمن القلعة بموقعها على جميع الاراضي  
المجاورة ، وتشكل — ان صحّ التعبير — تهديداً للمسافر من أية جهة جاء .

وفي الساعة ١٠ ر ٥ كانت الى جنوب — الجنوب الغربي حقول ذبان ،  
والى شمال — الشمال الغربي خرائب كراج ، وكان نهر دورين على بعد  
ثلاثة كيلو مترات تقريباً من ناحية الشمال . وفي ٣٥ ر ١٠ كانت الى الغرب  
منا وعلى جانب النهر الذي كنا فيه قرية الغريب ، وعلى الجانب المقابل  
مدينة المياذين . وفي ٥٥ ر ١٠ عبرنا سساقية واسعة تأخذ الماء من نهر دورين ،  
وفي ٤٥ ر ١١ رأينا على اليسار خرائب الطامة وبها ضريح الشيخ محمد . والى  
الغرب قرية تسمى الحوايج .

ومن ٥٥ ر ١١ الى ٢٠ ر ١ بعد الظهير اخذنا قسطنطين من الراحة قبل اجتياز  
سهل الشخيل الزراعي .

وفي ١٥ ر ٢ مررنا خلال خرائب ( قرية الزهية ) . وتمتد هذه القرية من الشرق  
الى الغرب : ويرتفع في قسمها الشرقي ركام كبير من انقاض البناء كأنه بقايا  
قلعة . وقد ترك منظر مابقي من حصن قرقيسيا القديم واكواخ قرية البسيرة



( شكل ٥٣ - خريطة خربة الماسيح )

الجديدة اثرًا قويًا في نوسنا ، وتقوم بقايا هذه القلعة على حافة شديدة الانحدار الى الجنوب ، وبرزت في الناحية الشمالية الغربية ربوة خربة الرزّ الى الغرب فوق حقول الملوخ ؛ وكانت الى الشمال ضفة نهر الخابور ، وفي الشمال الشرقي أبنية ثعور القديمة .

وفي ٥٠ ر ٢ عبرنا ساقية ري قديمة تتفرع من الخابور . وامكن رؤية خربة قرية الرزّ في الغرب على الضفة اليسرى من الفرات . وفي ٥٠ ر ٣ مررنا خلال بعض الخرائب القديمة ، وقد نقلت جميع مواد بنائها ولم يبق فيها سوى قطع صغيرة من الآجر وكسر من الفخار .

وفي ٤٠ ر ٣ عبرنا الخابور على جسر جديد يقوم على ثمانية أعمدة حجرية ، وله سياج من الخشب . وقد دفع سكان القرى المجاورة المبالغ اللازم لبنائه . ويبلغ رسم [ مكس ] المرور على الجسر قرشين ( ٩ سنتات ) لجمل واحد مع حملته ؛ وقرشاً واحد لجمل بلا حمولة ، وللبل

١٦ الواحد المحتمل اربعة مثاليك ( ٦ سنات ) ، وللبغل غير المحتمل مثليكان .  
ثم مررنا بساحة واسعة مكشوفة تفصل بعض الخرائب التي نوجد على تل صغير عن  
خرائب كثيرة أخرى تقع الى الشرق في أرضي . مستوية تسمى المتراس ؛ وفي  
وفي ٥٠ ر ٣ ترقفنا عند القاعدة الشمالية الشرقية للتل السابق الذكر . حيث  
كان علينا ان ننتظر حتى الساعة ٤ ٥ ر ٤ . وحينذاك حصلنا على رجلين جديدين  
من الدرك ليحلات محل رجلي الدرك اللذين صاحبانا من راوه .  
وعقب وصيرلما سمرنا خلال حقول البراحة والخيلوة متجهين نحو  
الشمال الغربي .

### البسيرة

ان قرية البسيرة (٩٠) مبينة على الربع الجنوبي الغربي من الخرائب الواسعة  
التي تغلبي الحافة الجبلية المشرفة على مصب الخسابور في الفرات . ويبلغ عدد  
بيوتها ١٣٠ بيتاً . نجعت في محلتين : الجنوبية ويتولى امر ادارتها المختار  
شلي الحسين . والعلمية ويديرها خلف الناي . اما الأبنية القديمة فلم يبق  
منها بناء سليم ؛ ولا يرى الناظر سوى اعدادة قلائل وبعض كتل حجرية منحوتة .  
والظاهر انهم نقلوا الانواع الصالحة من مواد البناء إما الى الرحبة او الرقة .  
ومعظم الآثار القديمة يمكن الحصول عليها من الفلاحين في المحلة المسماة  
المتراس .

في ٣٠ ر ٥ شاهدنا الى الشرق الشمال الشرقي : عند لحف مرتفع  
الرقاعة ربوة خربة تل الجبن . وفي ٤٠ ر ٥ خيمنا قرب مرقد الشيخ  
العبوني حيث . قمنا بتجاربنا في الحرف .

(٩٠) أنظر فيما يلي ، الملحق الثالث عشر .

## الفصل الثاني عشر

### الخابور الى بالس بطريق دير الزور

### البسيرة الى دير الزور

في ٢١ أيار سنة ١٩١٥ خرجنا في الساعة ٥:٢ صباحاً، مخترقين سهل الفليوة المنبسط . الذي يمتد بين الفرات والخابور ورأينا في الساعة ١٥ ر ٥ بقرب الأول منهما خرائب الدواليب، وإلى الشمال الغربي براكين الجحيفات .

وفي الساعة ٢٠ ر ٥ كنا على طرف سهل السبخة الفيضي ، وفي ١٢ ر ٦ مررنا خلال حقول ( الجديد ) واجتزنا مشهداً صغيراً للشيخ محمد الويس ( شكل ٥٤ ) . يرتفع على حافة مدرج يهبط مسافة خمسة امتار تقريباً الى السهل الفيضي الغربي (الحاوي) . ويظهر ان الفرات في هذا الموضع كان يجري في الاصل قريباً من السفح الشرقي من واديه ، كما هي الحال حتى الآن ، بين مشهد الشيخ محمد الويس والسيرة . وهذا المدرج ، الذي يعبر الطريق : عبارة عن ارض مستوية جرداء ليس فيها نباتات مستوية حتى ولا نباتات دائمية . ما عدا بقعة تظهر من حين لآخر تنبت فيها نباتات مستوية جافة قليلة تسمى الحمري . وفي الساعة ٤٧ ر ٦ لغت الدليل نظرنا الى تل صغير يقع على الضفة النهر اليمنى من ناحية جنوب - الجنوب الغربي يأخذ شكل السرج يسمى الهرم يحفر فيه الفلاحون بحثاً عن الاثار القديمة . وفي ٣٣ ر ٧ ظهر للعيان تلال على الشمال الغربي يطلق عليهما اسم الشرقيات . ومن ٤٠ ر ٧ ٠٩ ر ٨ رعت جماننا على ضفاف نهر يسمى سراة البوعمر يتفرع من الفرات بقرب خرائب المعجبرة على أطراف قرية الطابية . وفي ٢٠ ر ٨ شوهدت قرية ام حسن الى الغرب على الضفة اليمنى من النهر . وفي ٤٥ ر ٨

اجتازنا ضريح الشيخ مشرف الذي أنشئ على رابية وسط مقبرة ، وقد غرز الناس اغصان الطرفاء وسوقتها عند مقدمة بعض القبور هناك (شكل ٥٥) . وفي ٨٥٠ مررنا بمجرى جاف قديم من مجاري الفرات . وهو فرع مسدود من فروعه يسمى سرة الخشام . وفي ١٥ ر ٩ شاهدنا الى يميننا على الضفة اليمنى من المجرى القديم خرائب كبيرة تسمى المالحه . وفي ٤٠ ر ٩ دخلنا مجرى السبعة وهو مجرى عميق قديم وبعد اجتيازه وصلنا الى خرائب السن ، حيث توقفنا من ٥٠ ر ١٠ صباحاً الى ٦ . ١٢ بعد الظهر .

وتحيط الاسوار بخربة تل السن (شكل ٥٦) من الشرق والجنوب والغرب ، اما من الشمال فتحيط بها سواقي الري . وكانت هذه السواقي تستخدم وسيلة للدفاع ايضاً . ويقوم في الركن الشمالي الغربي من هذه الخرائب مرقد صغير وعمودان رشيقان من المرمر ، والواح من المرمر ايضاً ، وقطع من رؤوس الاعمدة في الداخل . وتوجد في هذه الخرائب اكثر من خمسين حفرة . حفرتها أناس يبحثون عن الآثار القديمة . ويمر الطريق من تل السن الى اللير بين حقول مروية تتوزع في قرى مرّاد ، والهطلة ، والحسينية .

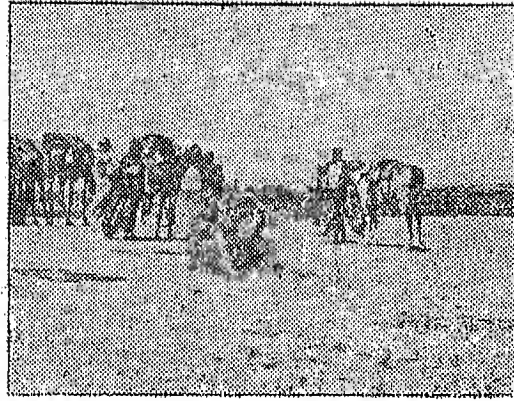
وفي الساعة ١٨ ر ١٩ بلغنا الجسر الذي يربط بلدة اللير الواقعة على الجانب الغربي من النهر ، بجزيرة صغيرة وبالضفة اليسرى . ويمتد من هذه الضفة الى النهر احد عشر عموداً يستند عليها الجسر ، ولكن الباقي منه يستند على قوارب . وبعد عبورنا الجسر ذهب مباشرة الى مبنى الحكومة لمقابلة المتصرف ( مدير شؤون المنطقة ) وكان نائماً . ثم ذهب الى مركز الدرك ولكنهم كانوا جميعاً نائمين . حينذاك أيقظت الضابط الذي يتولى أمر القيادة وقدمت له رسائل التوصية التي معي وطلبت منه ان يعين رجلين من الدرك لمصاحبتني في سفرتي التالية . واعتذر قائلاً انه لا يستطيع عمل شيء بغير موافقة المتصرف . فأجبتني بانني سأنتظر الدرك حتى الساعة الثالثة خارج المدينة : فان لم يحضروا واصلت السفر بدونهم . وكان لهذا تأثيره في نفس الضابط اذ أتاانا عقب الساعة الثانية بقليل فامس يعادو ، وطلب أن أقدم نفسي الى المتصرف . وكان جوابي له انني سبق ان



زرتة آنفاً وقد حلت نوبته الآن لزيارتي ، لانه كان قائماً عند زيارتي إياه . وبعد ذلك بوقت قصير جاء سكرتير المتصرف ملتسماً مني ارسال اوراقني لفحصها على الأقلّ واحلته على الضابط الذي لاستنسخ الفقرات المهمة منها . وفي ٢٥٠ ، وكنا على وشك ان نفرع من شرب الشاي ، واذا بفارسين من الدرك يسرعان نحونا . وعندما توقفا بازاينا اعلنا انهما الحارسان اللذان طلبتهما . وقدّم ناصر لكل منهما كوباً من الشاي .

### دير الزور الى الطريفساوي

في الساعة ١٢ ر ٣ غادرنا المكان الذي كنا فيه اسرحنا فيه وكان يعد نحو كيلو مترين عن مبنى الحكومة ، وكيلومتراً ونصفاً من المدينة . وفي ٣٠ ر ٣ قطع الطريق العام الذي كنا نسير فيه شعب الجورا الصغير الى يسار قرية الصالحية . ولم نعد نرى بعد الساعة الرابعة مزارع على الضفة اليمنى ، اذ كانت الاجراف الصخرية في هذه المواضع تصل الى الماء تماماً . وعلى الضفة اليسرى تقع اكواخ الجنية والمعيشية بين حقول زراعية . وبعد ٤٠ ر ٤ سرنا بين صخور (اللابة) ، وفي ٥٦ ر ٥ عبرنا عند قرية البغليّة شعباً صغيراً ولكنه عميق اسمه ابو طنيطيل (ذو القلنسوة المخروطية الصغيرة) وسمى بذلك لوجود كدس عال من الاحجار فوق ضفّة اليسرى يشبه القبعة . ويتصل بهذا الشعب عنى جانبه الأيسر رافد صغير يسمى شعب الأرخام ( الرخام ) . وفي ٤٥ ر ٥ كان على يسارنا طريق يتفرع الى وادين مزروعين هما : المحسن والقصبية ؛ وفي ٥٥ ر ٥ اجتزنا على اليمين منّا : براكين الحجيفات الخاملة ، وفي ٥٥ ر ٦ عبرنا شعب ابو جُمع وتدفق بقوة عن يمين هذا الشعب عين العياش ، وفي ١٠ ر ٦ شاهدنا على اليسار خرائب الضابي الواقعة على جرف صخري شديد الانحدار ، ثم انحدرنا شرقاً الى سهل الخريطة المنبسط المزروع ، حيث لاحظنا مخيماً للعقيدات ، ولم يعد لدي الدرك علف لحصانتهما . ولما كان الطريق الذي ساكناه ينعطف هنا الى الشرق والرطوبة تزداد فيه خطوة بعد خطوة ومخيّم الفلاحين على مسافة غير قليلة

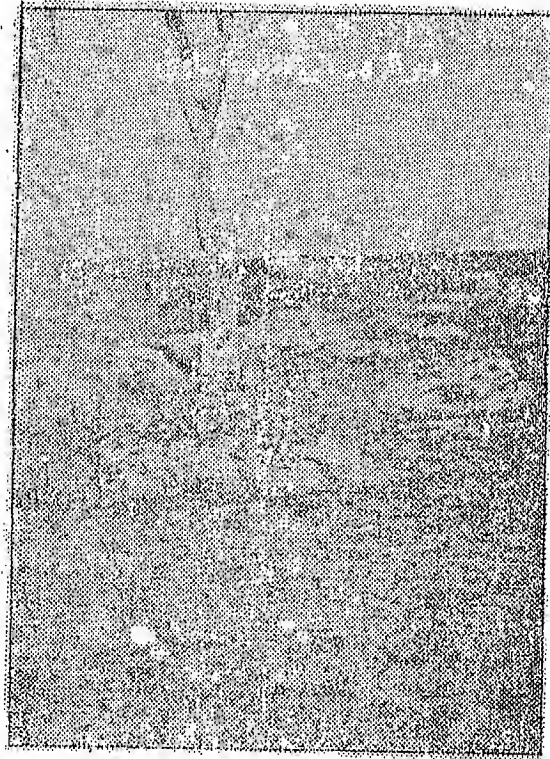


( شكل ٥٤ - من الشيخ محمد الويس ناظرين غرباً )

مننا لذا ارسات الأصغر ستاً من رجلي الدرك للحصول على الشعير ، بينما انطلقنا الى جهة الشمال مخترقين السهل الغربي . ولم نلبث ان وجدنا انفسنا بعد قليل على بقعة من الارض تحيط بها المستنقعات . ولم نستطع ان نواصل سيرنا كما لم تكن لنا رغبة في العودة ادراجنا ، فنزلنا هنا حيث أقامنا مخيمنا في الساعة ٧ر١٥ . ولم يكن للجمال شيء ترعاه بل اننا لم نعثر على حطب نستخدمه وقوداً لطبخ غشائنا لذا اضطررنا الى النوم دون عشاء . ولقد قاسينا نحن وحيواناتنا من البعوض الذي انقضّ علينا بالوفه المؤلّقة .

وفي ٢٢ أيار سنة ١٩١٥ ، في الساعة ٤٥ ر ٤ صباحاً غادرنا المكان بسرور ، حيث لم نستطع ان نغمض عيناً طوال الليل . وبعودتنا الى جهة الجنوب الغربي في الساعة ٢١ ر ٥ دخلنا الطريق العام الذي تركناه مساء اليوم السابق . وتوجد في هذا المكان على الضفة اليسرى من النهر مجموعة من القرى هي : المحميلة ، ابو سفير ، الحوايج ، الزغير [ الصغير ] وسعوه . وتوجد بعض ربوات خرائب في القرية الأخيرة . وفي ٤٥ ر ٥ وصلنا الى سهل الشميطة الغربي ، وتغطي هذا السهل أجمة كثيفة من الطرفاء . ورأينا في الفرات جزرا صغيرة تسمى حوايج الدم . وفي ٥١ ر ٦ اجتزنا جرف طابوس وتقع عليه كومة صغيرة من انقاض بناء قديم . ومن ١٠ ر ٦ الى ٣٨ ر ٦ سامت جمالنا في سهل

الشميطية المنبسط ، الذي يمتد مسافة خمسة عشر كيلو متراً اما عرضه فيبلغ في بعض الاماكن عشرة كيلو مترات . ولو أزيلت الطرفاء من هذا السهل ، ونُظِم الري في شطر منه لكان في الامكان زراعة الرز والقطن بنجاح فيه . وفي ٤٠ رأينا في شرق - الشمال الشرقي بيت (مدير) الشميطية ، كما رأينا على الضفة اليسرى ، فيما يلي حقول ، الحسّر بيت مدير الكسرة .



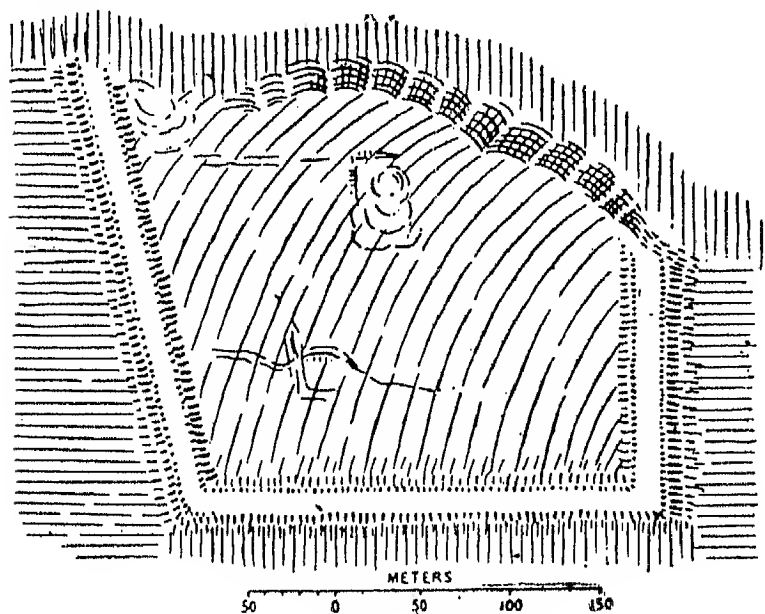
( شكل ٥٥ - عمود من الطرفاء فوق قبر )

في الساعة ١٧ ر ٨ عبرنا شعب المعموري ، ويقال أن بقايا قلعة قديمة توجد فوق الضفة اليسرى منه . ويمتد الطريق العسام بمحاذاة أجراف السكران ، ويبلغ ارتفاع هذه الجروف ٢٥ متراً تقريباً . وقد تكونت نتيجة تعرض الصخور الطينية لعوامل التعرية . وتنتظم هذه الأجراف كثير من الفجوات الصغيرة

التي أصبحت مأوى لعدد لا يُحصى من الحمام والسُحُم من الغربان . وفي ٢٠ ر ٨ غادرنا السهل الفيضي ( الحاوي ) ثم توقفنا من ٣٢ ر ٨ الى ٥٠ ر ٨ على الحدود الجنوبية الشرقية من اقليم الفصايات الوعر .

### الطريفاي الى المعدان

في الساعة ٠٣ ر ٩ رأينا على اليمين حقول المِصْرَب والمِشْرَاقَة ، ورأينا على نِوْء صخري من جهة الشمال قرية صغيرة مهجورة هي الطريفاي أو الطريف . وكان لهذه القرية طريق يمر بها ولكن هذا الطريق انخسف في عدة أماكن واصبح الطريق الحالي يدور حولها مما اضطر الناس الى هجرها . وفي ٢٥ ر ٩ شاهدنا من ناحية شمال - الشمال الغربي خرائب الحلية وفي شمال - الشمال الشرقي : مخرج نهر ري قديم يسمى المِسران ، كان الماء يجري فيه على امتداد لحف بجرف الخرموشية ، الذي يسد سهل ( الكبار ) الغريني من



( شكل ٥٦ - تل السّن )

جهة الشرق . وفي ٤٠ ر ٩ عبرنا شعب الطريف الواسع العميق ، وفي ١٨ ر ١٠ اجتزنا قرية الطريفاوي ، وفي ١٠ ر ٢٢ شاهدنا امامنا جبل الحمة الضخم المائدي الشكل ، الذي يشقّه النهر ، وتقع الحلية عند لحفه الجنوبي الشرقي (٩١) . وتوجد على الضفة اليسرى جنوبي المضيق خرائب الزليّة التي يتفرع من الفرات الى الجنوب منها مباشرة نهر المسران القديم . ومن هذا الموضع تمتد بقعة من السهل الفيضي جنوباً حتى تبلغ مخرج هذا النهر .

ومن ٤٥ ر ١٠ الى ٢٠ ر ١٢ بعد الظهر تركنا الجمال ترعى عند نهاية الوادي الضيق المعروف بـ (سحل الزغير) في مرج الأبطية الكبير امام مركز الدرك في التّبنّي . وفي ٤٠ ر ١٢ عبرنا وادي سحل القرير العميق ، وكان قد تم اذ ذاك بناء خان (نزل) على ضفته اليسرى . ويبدأ سحل القرير عند مخروط العبيد . وتقع الى الجنوب الغربي منه بئر جبرلايوك ، وإلى الشرق منها يجري شعب العليجي آتياً من سلسلة جتب البشري . والشعب الأخير يتصل بالقرير قرب بئر العليجي . وفي الشمال الشرقي من نقطة الاتصال هذه يندمج شعب الحرامية مع القرير على اليسار وينحدر سحل الحرامية (او سحل الكبير) من تلّ طربّ الهرمي الشكل ويتأخم حافة السيرة في الجنوب . وفي هذا الشعب تقع بئر الحرامية .

ويقع مركز التّبنّي على جرف فيما يلي الخان (النزل) ، على ارتفاع خمسة عشر متراً تقريباً فوق الطريق العام . وفي ١٨ ر ١ كانت على يسارنا خرائب الشيوخات الصغيرة على مقربة من الطريق . وترتفع الى الشرق منها خرائب قبر مزار الشيخ مبارك ، وكانت تتراقص في النسيم بعض اغطية الرأس علقت على قصبات مغروزة فوق هذه الربوة . . وفي ٤٠ ر ١ شوهدت خرائب الحلية الى الجنوب مباشرة تقريباً ويسمى السهل المنبسط الذي ينحصر بينها وبين الطريق العام [ الدكة ] . كما يسمى السفح الواقع الى الشمال الشرقي من الأخير الوُساع .

( ٩١ ) انظر فيما يلي ، الملحق الثاني عشر .

ويربط بين الحلبية والقُصْبِيّ مسلك ضيق ( دريب الواي ) يسمّر بعين [ المضيق ] . ويمتد هذا المسلك بمحاذاة النهر . . ويقوم في شمال الحلبية ، على الضفة اليسرى ، مرقد ( ابو العتيق ) [ العتيق ] الصغير . وبقربه يرتفع بركان القلب على الجانب الأيسر من شعب المُرّ . حتى اذا بعدنا الى الغرب من ذلك وجدنا على الضفة اليسرى كذلك ، وفي شعب الحلقة الصغير ، قريتين صغيرتين هما الخانوقة (٩٢) وقرية شاطي . .

(٩٢) الخانوقة كلمة مرادفة لـ ( خنقي ) الآشورية ، و ( انوكاس ) البيزنطية .

وتوغل آشور ناصربال الثالث عام ٨٧٧ ق م الى ممر ضيق ( خنقي ) على الضفة اليسرى للفرات ( الحوليات [ رولنسن ، المصدر السابق ، م ١ ، اللوحة ] ، العمود ٣ السطر ٣٠ ، بج وكنك ، المصدر السابق ، ص ٣٥٤ ) .

ويروى بروكوبيوس ، المباني ، ج ٢ ، ٦ : ١٢ انه كانت تقع فيما وراء قرقيسيوم قلعة قديمة تسمى انوكاس ، وكانت تحصيناتها قد بلغت حدا كبيرا من التداعي . وحين سمع الامبراطور جستنيان الاول بذلك امر باعادة تعميرها الى الدرجة التي اصبحت فيها مساوية لاية بلدة اخرى . يروى الشبيه بالواقدي ، الفزوح ( ايفالد ) ، ص ص ٤ وما بعدها . ان عباسا ( احد قادة جيوش المسلمين الاوائل التي فتحت بلاد ما بين النهرين ) فيما هو يستعد للحملة على رأس العين ، ارسل فرقتين على قلعتين ، احدهما تقع على الضفة اليمنى للفرات ، والاخرى على ضفة اليسرى . وقد غادروا معسكر عياض في بلييل قبل المساء ، فوصلت الفرقتان بالقرب من الخانوقة في الساعة الثانية قبل مطلع الفجر . - وقد ورد في النص الاسمان التاليان للقلعتين : «رباء» ، و «زلاء» . والصحيح ان الاسم الاول ينبغى ان يقرأ : زباء ، لانه يشير الى مسكن الملكة الزباء ، أو حلبية الحديثة . اما الاسم الثاني فينبغى ان يقرأ : زلابيه أو زلبية . وعند بلييل ، الواقعة مقابل بلدة الرقة ( كالينيكوس ) ، كانت توجد افضل مخاضة عبر القرات ، وعلى هذا فلا بد ان يكون عياض قد خيم هناك ، وكان ينوى التقدم فيما بعد على امتداد البالخ الى الجسر عند رأس العين . ولما كانت المسافة من بلييل الى الخانوقة ثمانين كيلو مترا ، فكان على الجنود ان يسيروا بمعدل زمانية كيلو مترات تقريبا في الساعة . ويقول ابن حوقل ، المسالك ( دى خويه ) ، ص ١٣٩ ، ان الخانوقة

عبارة عن محطة للتوقف على منتصف الطريق تقريبا بين قرقيسيا والرقّة ،  
وبداية طريق يصل الى بلدة عرابان على الخابور ، بعد سيرة اربعة ايام .  
وتكاد تكون المسافة من قرقيسيا الى الخانوقة ١٠٠ كيلو متر ، غير  
انها من هناك الى الرقة تبلغ ستين كيلو مترا فقط . اما الطريق من  
الخانوقة الى عرابان ، وطوله الاجمالي نحو ١٠٠ كيلو متر ، فكان يمر  
بمنهل ابي قبره وخرائب المالحنة . وان مرحلة واحدة  
بين الخانوقة وعرابان ماكانت لتزيد على ٢٥ كيلو مترا طولا ، او مايعادل  
تقريبا المسافة التي يستطيع ان يقطعها جمل مثقل بالاحمال في يوم  
واحد .

ويكتب البكري ، المعجم ( فستنفلد ) ، ص ٣٢٠ ، ان الخانوقة بلدة  
بنتها الملكة الزباء على الضفة الفرات في بلاد ما بين النهرين . وعندما انخفض  
مستوى الماء في النهر ، أمرت الملكة ببناء سد عليه وممر متين السقف  
مشيد تحته . وبعد ذلك أزيل السد بحيث ان الماء جرى فوق المسر  
الخفي ، وهذا مما مكن الملكة من اللجوء الى شقيقتها الزبيبة في وقت  
الخطر . -

ويخلط البكري في هذه الحالة الخانوقة بقلعة حلبسية . وكانت  
الزباء تقيم على الضفة اليمنى للفرات ، بينما نجد الخانوقة على اليسرى .  
وبالاستناد الى ما ورد في الشبيه بالراقدى ، فان مسكن الزباء ينبغى  
والبحث عنه على الضفة اليمنى مقابل قلعة مماثلة على الضفة اليسرى .  
والقلعة الثانية هذه يجب ان تتطابق مع بلدة شقيقتها الزبيبة . وعليه فان  
الممر الخفى تحت النهر لابد إنه كان يوصل بين حلبيه ، مقبر الملكة  
الزباء ، الى محل اقامة شقيقتها الزبيبة ، على الشاطئ المقابل .

ويسجل سبط ابن الجوزي ( ابن القلانسي ، الذيل [ امدروث ] ص ١١٦  
انه في عام ١٠٦٣ ميلاديه منح ابناء محمود ابن الروقليه : الخانوقة ،  
قرقيسيا والدويرة ، وعلى هذا اصبحت تعود الى منطقة الرحبة الادارية  
ويصف الادريسي ، النزهة ( ترجمة جوير ) ، م ٢ ، ص ١٤٥ ،  
الخانوقة بانها بلدة صغيرة جدا ، وفيها سوق عامرة ونشاط تجارى .

ويقول ياقوت ، المعجم ( فستنفلد ) ، م ٢ ، ص ٣٩٤ ، م ٤ ، ص ص  
٥٦٠ وما بعدها ، وابو الفضائل ، المراصد ( يونيبول ) ، م ٣ ، ص ١١٣  
ان الخانوقة تقع على الفرات ، غير بعيد من الرقة . وان المضيق وهو  
الموقع المفترض لبلدة الملكة الزباء ، يبحث عنه رواة ياقوت بين منطقتي  
الخانوقة وقرقيسياء على الفرات ، ومن جهة اخرى يشير ابو الفضائل

وفي مقابل القصبي يبدأ السهل الفيضي على يسار الفرات بالاتساع ؛  
وتقع قرينا متلولة والجزرة في هذا الجزء من السهل .

يملك الافاضلة وهم فرع من قبيلة الشعبان ، الحقول الواقعة على جانبي  
الفرات من التّبنى الى الكسّارة ( او الكسره ) . ومن عشائر هذه القبيلة ما يأتي :

الموسى ظاهر	( زعيمهم : هويدي بن شلاش )
الحوّاس	
شِبَل	( زعيمهم : محمد ابو حديد )
البقّارة	
الزيارات	( زعيمهم : محمد أغا )
السبخة	

وفي الساعة ٢١٠ عبرنا شعباً صغيراً هو السّقُورية . ومن ٢٣٥ الى ٣٠٤  
كانت الجمال ترعى . وتكوّن منطقة الفصّابات الوعرة استمراراً لسلسلة البشري .  
ويقسم الأخيرة أخلود السّجل الكبير عن حافة السّرة . وهي عبارة عن بقعة واسعة  
تشقها اخاديد عميقة ، تمتد نحو الشمال الشرقي . وتنتهي في الشمال الشرقي  
بجبل الحرّة المائدي الشكل . وتغطي هذا الجبل طبقة من اللابة [ الطنوح البركانية ]  
سمكها متر ونصف . وفي ٣٣٠ بلغنا اعلى نقاط الثغرة التي تفصل السّرة عن  
الحمة . ورأينا الى الجنوب الغربي سلسلة قنب البشري . وقد برزت فوقها  
خمسة مخاريط واطئة . وفي ٢٠٤ اجتزنا نهاية طبقة اللابة . وتسمى السفوح

الى المضيق على انه موضع بين بلدة الملكة الزباء ومنطقتي الخانوقية  
وقرقيسيا .

المضيق هو اسم الفج الضيق الذي شقه الفرات لنفسه عند الحمة خلال  
التتوعات المغطاة باللابة التي تبرز من سلسلة البشري . وتقع الخانوقية  
على الضفة اليسرى في نحو منتصف الطريق من اعالي هذا الفج ، بينما  
كان مسكن الزباء ، الحلبية اليوم ، يقع على الضفة اليمنى عند طرف  
الفج الشرقي .



المتوجة الواقعة غربي سلسلة السرة (الغمّة) ، اما السفوح الواقعة في الشمال الغربي فتسمى الحصّاص . وفي ١٥ ر، رأينا تلّ الطرب، وهو تل صغير يشبه السرج بمظهره، وإلى شماله يوجد تل الطرب الذي يماثله شكلاً ويقل عنه ارتفاعاً ، ويوجد في أسفل بئر الخنيّفس . والسفوح المتوجة هنا خالية من مجار مائية واضحة المعالم، لان مياه الامطار تجري الى كهوف باطنية كثيرة [ تحت الارض ] ( -- دحل، جمعها دحول ) (dolines) ومن ١٤ ر الى ٣٩ ر سامت جملنا على سفح المينة . وظهر لنا ، فيما وراء الفرات على الافق الغربي - الشمالي الغربي بركانا المناخر ، وإلى الشمال منهما حافة البيضاء الطويلة . وكانت الى يسارنا على السفح الجنوبي من مرتفع الحصّاص : عقلة الرعية ، ورأينا الى يميننا على مسافة بعيدة الى الاسفل منا قرية القصبي . وفي هذه النقطة تلتقي جميع الاخاديد التي تفصل بين نتوءات حافة الهضبة الشرقية التي كنا نخترقها . وفي غرب القصبي تجري عين المتولة، وإلى شمالها حقول الفروة . وفي الساعة الثامنة اقمنا مخيمنا بجانب مركز درك المعدان ، حيث حددنا خط العرض .

### المعدان الى خرائب سموريا

في ٢٣ أيار سنة ١٩١٥ كنا على الطريق مرة اخرى في الساعة ٤٥ ر صباحاً وكان دليلنا رجلاً من اهل الفروة . هارباً من الجنديّة . والفروة من فروع عشيرة البقارة من قبيلة الأفاضلة . وكان الدرربي الذي معنا مكالماً بحراسته حتى مركز الدرك التالي . وكنا نجتاز الآن حقول السويدية والخميسية مقابل خرائب البقعة والدعمر على الضفة اليسرى . وفي ١٠ ر، رأينا على الضفة اليسرى نهاية شيعب الحس . ثم اخترقنا حقول المشيرفة وزورتمّر . ومن ٥٤ ر الى ١٥ ر رعت جملنا في حقول المغلة . وتنحدر الارض المرتفعة هنا الى الجنوب باجراف شديدة الانحدار حتى تنتهي الى السهل الفيضي ( الحساوي ) وتنمو الطرء في هذا السهل هنا وهناك، كما تستغل بعض انحائه بالزراعة . ولم نشاهد أجرافاً على الضفة اليسرى حيث يندمج حوضي الحس بالتدريج في السهل المرتفع

المتموّج . وعلى الضفة اليمنى ظهر مرقد أبو سعيد وهو مرقد صغير توجد الى الغرب منه بقرب شعب الخفّيان ، قرية البرييج (البريق) حتى اذا بعدنا عن ذلك غرباً ظهرت ربوات خرائب الدوخية ، ولهداوي وقرينا الشبغة ( او الشعالة ) والجديدة ، وخرائب السلطان ، وحقل القادسية والسميري . وفي ٣٠ ر ٨٠ ٣٠ ر ٨٠ عبرنا شعب الخرار ، الذي يشق الاجراف هنا الى عمق عظم ، ويفصل من ناحية الغرب ايضاً الجريبة عن سهل الشريدة المنبسط . وفي ١٠٣٨ ر ١٠ صعدنا من سهل الشريدة الى التواء الصخري المعروف بالمروط، وينحدر هذا التواء الى مستنقعات السبخة . وفي ٥٣ ر ١٠ كنا على حاوي السبخة . ويمر الطريق العام في هذه الاماكن على امتداد لحف من الاجراف الصخرية . وفي شرقيّ هذا الخط يمتد شريط من الحقول يبلغ عرضه بضع مئات من الامتار وفيما وراء ذلك تمتد اراضي مستنقعات تغطّيها شجيرات الطرفاء . وتواصل هذه الأراضي امتدادها حتى نهر الفرات . وكانت البرك الصغيرة مغطاة باسراب من البط البري . وفي ١١٣٢ ر ١١ اجتزنا الطاحونة التابعة لفلاحين عشيرة السبخة . ويعمل هؤلاء بزراعة السهل الفيضي المحتل بين التبنّي والكسّارة . ومن ٤٥ ر ١١ الى ٤٥ ر ١٠ استرحنا عند الرحبي .

في الساعة الثانية رأينا على جسر يقع الى يسارنا بقايا قلعة من العصور الوسطى تدعى النخيلة : كما رأينا في ٣٠ ر ٢ الى اليسار منا اكدياساً من آجرّ خرائب سنّان ، اما الحاوي فتد تاركناه عند لحف أجراف المروزة ولكننا هبطنا في الساعة ٤٧ ر ٢ الى حاوي الدلحة . والى جنوب المروزة يقع حوض البيت . ثم تركنا جمالنا ترعى من ١٤ ر ٣ الى ٤٤ ر ٣ .

سرنا بعد ذلك خلال ممر مضيق الكرشة ( شكل ٥٧ ) . وقد شقّ في الصخور ليكون طريقاً عاماً . وفي ١٥ ر ٤ رأينا على الاجراف الواقعة الى يسارنا قلعة صنفين . ويرجع تاريخ هذه القلعة الى القرون الوسطى ، كما رأينا في الساعة ٣٠ ر ٤ الى اليمن منّا بعض الخرائب وبروة ضريح الشيخ حديد . وفي الساعة الخامسة بلغنا جرف الحمّر ؛ وفي ٢٠ ر ٥ عبرنا شعب البير الذي

يتجه من بشرى العدى . وفي الساعة السادسة حينما غدا الحافة الغربية من  
جرف الحمير غير بعيدا من مخيم الولد . وهم مالكو السهل الفيضي غربي  
الكسار . وكان في المخيم نحو عشرين جندياً هارباً من الخدمة العسكرية  
في انتظار نقاتهم الى حلب . وكانت الاغلال في ايديهم جميعاً . وتدمر الدرك  
من ان جنوداً من هذا النوع لن يظلموا في حلب اكثر من أسبوعين حتى يفرّوا  
ثانية . . وندد الناحون بالحكومة مرة اخرى وزعموا انها تأخذ منهم كل  
شيء اولاً . تم ترغمتهم على مطاردة الهاريين من الجندي واطعامهم .

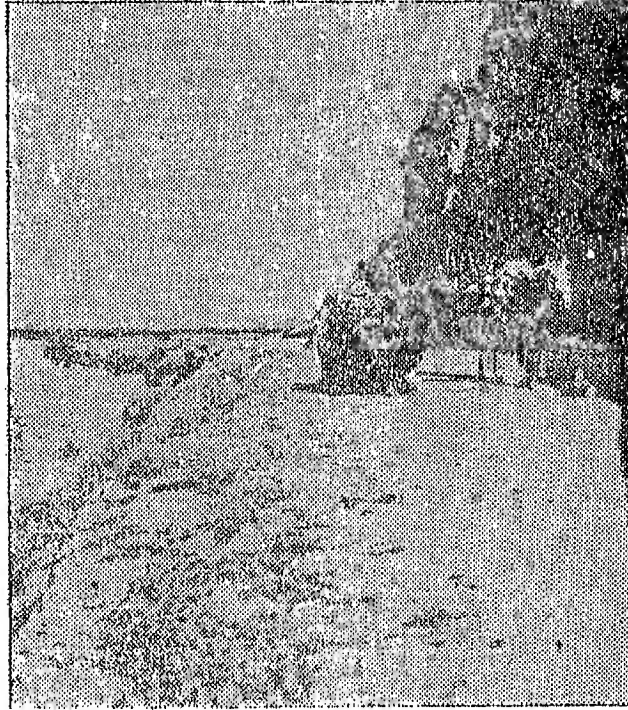
وابتداء من العشاش شمالاً المسكنة انتشرت مخيمات قبيلة شعبان على جانبي  
الفرات حتى تصل التبيني في انتشارها . وتندسم قبيلة شعبان الى الولدة والأفاضة  
وتملك الولدة الاراضي الممتدة بين العشاش والكسار . وتتكون من  
ذمير ثلاثة آلاف خيمة . وتشتمل على المشار الآتية :

الولد	( رئيسهم : احمد الفرج الدندل )
الورداد	( رئيسهم : خطاب بن عبد الله )
البريد	
البريد	
الخفاجة	( رئيسهم : حلف بن الدججي )
مجاد	( رئيسهم : مسمحي )
البريد	( رئيسهم : اريج العبد الجادر )
البريد	( رئيسهم : عمود الشبر )
البريد	( رئيسهم : حمود بن عبد العال )
البريد	( رئيسهم : احمد البردسان )
البريد	( رئيسهم : كلالخ )
البريد	( رئيسهم : هرول المسمحي )
البريد	( رئيسهم : خسري بن ملا عيسى )
البريد	( رئيسهم : علي الناصر )

( رئيسهم : ابراهيم الشلاش )	البو حميد
( رئيسهم : محمد بن عبدالله )	الجعبات
( رئيسهم : سليمان بن ملائي )	البوظاهر
( رئيسهم : احمد العيسى )	العامر

ورئيس شيوخ عشائر الضفة اليمنى من الفرات هو احمد الفرج الدندل ،  
واحمد البرهان رئيس شيوخ عشائر الضفة اليسرى .

في ٢٤ أيار سنة ١٩١٥ خرجنا في الساعة ٣٣ ر٤ صباحاً . واخذت  
تهب ابتداءً من الساعة ٣٠ ر٤ ريح غربية باردة . وشاهدنا امامنا فتوءاً يعرف  
(بالضبيجة) [ الضيقة ] الصخري ، وعلى اليسار بركاتى المناخر ، وركام  
خرابة زيدان ، وابراج الاسوار القديمة لمدينة الرقّة ، وحصن



( شكل ٥٧ - مضيق العكرشة )

هرّقله . ان الطريق العام الذي يسلكه ركبنا الآن قد شقّ على امتداد نهر  
هو فرع قديم من فروع الفرات . وما يسمى اليوم بسرّاة الضيّقة [ الضيّقة ] هو  
بقية مجرى قديم (٩١٣) . وفي ٢٨٠٥ كنا عند مرقد صغير هو : مزار الشيخ أسعد .  
ويتكوّن هذا المرقد من مبنى مستطيل صغير وبرج هرمي الشكل وكوخ وبئر  
قرب كدس . طويل تتراكم فيه انقاض بناء قديم يرتفع نحو عشرة امتار ، وبضعة  
اكاداس اصغر حجماً من مواد البناء . وتدعى الاجراف الجنوبية القاطر .  
وفي ٢١٠٦ كان على يميننا — على بعد مائتي متر تقريباً من الطريق العام —  
مجموعتان من الخرائب يطلق عليهما : المتغامر ويبدو أن المجموعة الجنوبية  
التي تمتد من الغرب الى الشرق ترجع الى عهد متأخر بينما نجد المجموعة  
الشمالية اكبر حجماً واقدم تاريخاً .

من الساعة ٥١٠٦ الى ٢٤٠٧ انتظرنا صاحبنا رجل الدرك الذي كان ينبغي  
استبداله في مركز ( نقطة الكسّارة ) او الكسرة . وتبدأ على الضفة اليسرى ،  
غربي نهر البليخ ، سلسلة من التلال الصغيرة تتميز بواجهة تنحدر انحداراً شديداً  
نحو الفرات ، تكثّر فيها أخاديد عميقة . وفي ٣٠٠٨ كانت على يميننا جزيرة  
حويجة حمدان . ولقد كوّن الفرات لنفسه في هذا الموضع مجرى جديداً ،  
اما المجرى القديم فكان على يميننا في الساعة ٥١٠٨ ، تعلوه كومة من الخرائب  
وربوة رمل الى الغرب . وفي الساعة التاسعة عبرنا شعب السّحل الصغير ،  
وهو اول شعب عسيق نصادفه بعد مغادرتنا الخرار . وفي ١٤٠٩ مررنا خلال  
شعب الفنصة ، وفي ١٨٠٩ عبرنا اخدوداً اصغر ، وفي ٢٥٠٩ شاهدنا على اليمين  
بعض الخرائب الكبيرة وخرائب أخرى ، وبعد ان اجتزنا شعب أبو قبيع في  
الساعة ١١٠١ وصلنا الى حافة الهضبة في ٥٠٠٩ . . وتنتشر الهضبة جنوبي سهل  
الفرات الفيضي وتغطيها في هذا الموضع ربوات صغيرة مدورة وتقطعها اخاديد ضيقة .  
وأصبحت الآن رؤية المجرى القديم للشهر واضحة تماماً من الناحية الشمالية .

---

(٩٣) على ذلك الجزء من وادي الفرات بين هذا الموضع وابو هريرة ، انظر  
ايضا ص ص ٨٩ ٩٢ فيما سبق .

وتسنى لنا بعد الساعة ١٠.٥٠ ان نشرف على الاقليم كله من جهتي الغرب أو الشمال الغربي على السواء . وبدا كأن الوادي الذي حفره الفرات لنفسه في الهضبة أعمق مما هو في الحقيقة ، وكونت الجزر الصغيرة بقعاً خضراء داكنة على سطح النهر العظيم بلونه الاصفر وقد اشتد اضطرابه آنذاك بسبب ريح غربية انطلقت الى الماء دون ان يصددها عائق . وسبب ذلك هو ان الفرات يجري هنا من الغرب الى الشرق . ومن ١١.٠٠ الى ١٢.٠٨ بعد الظهيرة استرحنا في شعب ابو هبابة الصغير . وفي ١٢.٣٠ رأينا مخروطي الثديين ، وفي ١٢.٥٥ كانت على يميننا خرائب بلدة سوريا وكانت تحيط بهذه البلدة نحو مائتي خيمة من خيام عشيرة فلدعان .

### خرائب سوريا الى بالس

تمتد خرائب سوريا (٩٤) من الشرق الى الغرب نحو ستمائة متر الى الغرب ، ولكن عرضها ليس كبيراً ونصفها الغربي أقدم عهداً وأكثر متانة . وفي ١١.٠٠ رأينا على يميننا ، قرب الطريق العام ، جدران أساس بناء يواجه الشرق ، وشظايا تابوت حجري متناثرة على مقربة منه . وتحولت الهضبة الواقعة جنوبي الخرائب الى حقول وبساتين ، وزرعت بعض بقاعها ايضاً بعد أن رفع الناس ما كان على سطحها من أحجار تعلوها .

أما الاراضي المرتفعة الواقعة الى غرب سوريا ، التي تعلوها اكاداس خرائب تمتد نحو ثلثمائة متر ، فتتحد تدريجياً الى مجرى الفرات ذاته بطريقة اصبح بها الوصول الى النهر عند هذه النقطة أمراً سهلاً . وتصل الأرض الصلبة الماء على الضفة المقابلة بحيث امكن بناء جسر عائم هنا لعدم وجود مستنقع يفصل بينها وبين المجرى .

في الساعة ١٥٠ كان على يميننا مركز الحمّام . وهنا اختفى رجل الدرك وأخذ مكانه جندي من جنود الحدود ، من صنف المشاة مسلحاً ببندقيته . و أعلن انه سيصبحنا . كان من اهل بلدة كيليس شمالي حلب وكان ينوي ان يتغيب بهذه الطريقة دون ان يقدم طلباً للحصول على اجازة .

وفي ٢٠٦ كانت على يميننا خربة صغيرة تناثرت في أرجائها أحجار كبيرة منحوتة نحتاً دقيقاً . ومن ١٢ الى ٣٢ أوردنا جمالنا الماء . وفي ٣٥٤ اجترونا الى يسارنا تلّين مخروطي الشكل يطلق عليها اسم التلّين . أما خربة الهنيدة الواقعة الى الغرب منهما فهي اعظم اتساعاً من خربة سوريا . وفي غربي الهنيدة هبطنا ، من خلال شعب الحُلُمى الصغير ، الى وادي السيلة الواسع الذي يتيح منفذاً سهلاً للوصول الى مجرى الفرات . ولم نر ايّ مستنقع على الجانب الأيمن ، اما على الضفة اليسرى فان المجرى يلامس شبه جزيرة القديران . وفي الساعة الخامسة مررنا خلال أخدود صغير يسمى القبور . وفي هذه اللحظة أثارت الريح الغربية عاصفة رملية مما جعل سطح الفرات الصقيل عادة يتدافع بأعواج عظيمة . ونصبنا مخيمنا في الساعة ٠٨ جنوباً الطريق العام . في اخدود مَحْمِي يتصل بشعب الشبية الآتي من روابي طرّك (إمباج) المنخفضة .

في ٢٥ ايار سنة ١٩١٥ في الساعة ٠٣ صباحاً سرنا في الطريق العام باتجاه غربي . وكانت العاصفة الرملية قد خفّت شدّتها قليلاً ، ولكنّ الريح الباردة لم تزل تهبّ بقوة . وفي ٢٦ عبرنا شعب الشبية الواسع (٩٥) .

وفي الساعة ١٥ رأينا الى شمال — الشمال الغربي ، من خلال زهج الرمل قلعة جعبر أسفل منا . وفي ٢٠ رأينا امامنا حوضاً عميقاً يفتح الى الشمال هو حوض النفلة . من هذا الحوض تلال صغيرة بيضاء . ويحدّ الحوض من الشرق سفح مُرتَفِع الهُورة ، ومن الجنوب الغربي نتوءات (طرّك العطفة) .

---

(٩٥) الاخلال ، الديوان ( صالحاني ) ، ص ١٠٠ يذكر ذو شبيه . — والمنطقة المجاورة لشعب الشبية الحالي كانت تملكها فيما سبق قبيلة تغلب ، وكان الاخلال ينتسب اليها .

ويتمد بمحاذاة هذه التلوات شعب المنصف . وقد واجهتنا صعوبة بالغة في الهبوط . فالطريق العام الجديد قد تفكك وانخفضت مواضع منه ولم يكن باستطاعتنا تدفئة اصابعنا التي خدرت من البرد مما اضطرنا الى ان نوقد ناراً في ٢٧٢٧ جلسنا حولها حتى ٧٥٥ . .

وفي ١٠٨١ لاحظنا بين الخرائب على اليمين ثلاثة أضرحة اسلامية ( اثنان منهما كانا في حالة جيدة ، والثالث قد انهار ) تسمى بنات ابو هريرة ، وفي غربيها مثانة رشيقة . وإلى شمال أضرحة بنات ابو هريرة ترتفع قلعة جعبر على تلٍ منعزل يقع على الضفة اليسرى من الفرات . وإلى الغرب منه يرتفع مشهد السلطان الصغير على تلٍ آخر . وبدت على الضفة اليمنى خيام عشيرة الفدعان سوداء اللون . وبعد الساعة ٣٠٨٢ تبعنا نهراً قديماً ، وفي ٤٨٥٨ كنا نسير بين حقول مزروعة . وفي ٢٥٩٠ كانت على يميننا ثلاثة بيوت صغيرة يسكنها رجال الدرك العاملون في منقهر أبي هريرة . وفي ٢٠١٠ وصلنا الى نهاية المنطقة الزراعية . وكانت ترعى على يسارنا قطعان كبيرة من الجمال . ولم تكن القطعان مؤلفة من حيوانات رشيقة . متناسقة الشكل المعروفة في داخل الجزيرة العربية فحسب . بل كانت تضم كذلك تلك السلالة القوية البارزة العظام مما نصادفه في الاقاليم الشمالية البعيدة . وهي سلالة ملائمة لنقل الاحمال الثقيلة . وفي ٥١٠١ مررنا خلال نهر قديم ، ومن ٥١٠١ الى ٧٠١١ بعد الظهر استرحنا عند أطراف الاراضي الزراعية . وفي الساعة الثانية اجتزنا ربوات خرائب قليلة ثم مررنا بنهر حيث سامت جمالنا من ١٠٢١ الى ٢٨٢٢ . .

في الساعة ٤٠٢٢ رأينا على يميننا شرقيّ النهر خرائب مركز سكاني كبير هو بلدة الحويره ومقبرة صغيرة . وفي ١٥٢١ بلغنا الحافة الجنوبية الشرقية من خرائب الدبسي : التي تتكون من قسمين : احدهما يقع على تلٍ صغير منبسط السطح يشرف على الاجراف القريبة من النهر . والثاني يؤلف الجزء الاسفل من البلدة الواقع عند الحف تل صغير . وفي الساعة الثالثة كنا عند النهاية الجنوبية الغربية من موضع المدينة . وفي ٥٠٣٢ كنا في شعب التفسير



وقد عملت عوامل التعرية على تعميق واديه في صحخور كلسية بيضاء . وقام على ضفته اليمنى كوخان . ثم أخذنا نسير خلال سهل صخري متموج عبر اخاديد صغيرة كثيرة ، ووصلنا في الساعة ٥:٠٥ الى بعض خرائب صغيرة توجد على مقربة من أرض زراعية . ورعت جمالنا من ٤٠٪ الى ٤٥٪ . وفي ٥:٠٦ رأينا على اليسار ، على مسافة اربعمئة مترتقريباً من الطريق العام ، بقايا مبنى مربع الشكل صغير الحجم يسمى الفحيحة؛ ثم هبطنا الى شعب ام خروم العميق . وتسد هذا الشعب جدران كلسية حتى اننا لم نخرج منه الى سهل الردهة المنبسط الا في الساعة ٥:٣٨ .

وشاهدنا عند وصولنا الى ضفة النهر خرائب بالس ومنازة طويلة . ويرتفع في جنوب المنازة برج عال ، وإلى الغرب منها تظهر بقايا برجين هرميين ، ونرانا جمالنا تأخذ كفايتها من ماء الفرات من ٤٤:٥ الى الساعة ٦ . ويبدو ان هذا النهر العظيم لم يجر البتة بقرب بالس مباشرة . لأنني لم أجده في اي مكان أثراً يدل على مجرى قديم . وامتد نهري للسري الى الشرق من الخرائب : مسافة ثلثمائة متر تقريباً ثم تابع امتداده ، الى الجنوب منها ، بمحاذاة لحف جرف صخري تقوم على قمته خرائب الدبسي ؛ ومن هناك تحول الى السهل الفيضي الذي مررنا به في الساعة الثانية . لقد اندفع الفرات في وقت ما اثناء العصور الوسطى الى وسط هذا النهر ، وجرف الارض المنبسطة الخصبة الواقعة اسفل أجراف الدبسي . وأنداك جف الجزء الاعلى والاسفل من النهر . وكان بالامكان ري الحقول الواقعة شمالي النهر مباشرة ، اما في الجنوب فالسواء لا يمكن الحصول عليه الا بالمضخات . وخيمنا في الساعة ٦:٣٧ بالقرب من بقايا مضخة كانت تستعمل لهذا الغرض ، وقبل ذلك قمنا بتحديد خط العرض (٩٦) .

---

(٩٦) في موضوع بالس انظر فيما يلي ، الملحق الثامن . وسيجد القارئ تكملة رواية رحلة المؤلف من بالس الى دمشق في مجلد سيظهر قريباً للمؤلف عنه ان : بالمرينا ، الذي يؤلف العدد الرابع من السلسلة الحاضرة .



الملاحق



## الملحق الاول

الفرات الأوسط في العصر الآشوري

### وادي الفرات الأوسط

لقد شق نهر الفرات الصحراوي وادياً له بعمق حوالي اربعين متراً في الهضبة المحيطة به . وبالرغم من ان الوادي في بعض الاماكن لا يتجاوز ٢٠٠ متر عرضاً إلا أنه في أماكن أخرى يتسع بحيث يصل الى عشرة كيلو مترات . وهناك في مستوى النهر وعلى ضفتيه سهول فيضية متفاوتة المدى يمكن تحويلها بالري الى جنائن غناء وحقول خصبة . ويقوم الجرف العالي وجدران الوادي بحماية هذه السهول من الرياح الباردة ، إلا ان النهر نفسه يبقى عدوها اللدود ، فهو بتغيير مجراه على الدوام يجرف تربتها الخصبة ويشكل جزراً ومستنقعات مرة بعد أخرى ويحدث لنفسه مجاري جديدة . اما الأرض التي تسقط عليها امطار منتظمة وبهذا تكون منتجة وملائمة للاستيطان الدائم على نطاق واسع فتنتهي بالفرات على خط العرض ٣٦° شمالاً تقريباً وذلك بالقرب من الموضع الذي ينعطف فيه المجرى انعطافاً كبيراً من اتجاه جنوبي الى اتجاه شرقي - جنوبي شرقي . او بالقرب من خرائب ( بالس ) الحالية . اما المنطقة شمال هذا الموضع وعلى جانبي النهر فقد كانت آهلة بالسكان منذ أقدم الأزمان الى الشرق والى الغرب . ومن الناحية الأخرى تمتد من هذا الموضع باتجاه الجنوب وعلى الضفة اليمنى اولاً واليسرى فيما بعد منطقة جرداء شاسعة يتخللها الآن وكما هو شأنها دائماً بضع قرى منعزلة فقط .

وتشكل السهول الفيضية القريبة من مجرى النهر ذاته وعلى ضفتيه أشرطة

من الأرض لها من العرض والطول ما يكفي للاستيطان الدائم . فإذا ما انطلقنا من المنعطف هذا فان اول مركز هام في هذه السهول الفيضية هو خرائب بالس ؛ يعقبها ابو هويرة على الضفة اليمنى والرقّة على الضفة اليسرى . ومن محطة (المعدان) حتى ( زلييه ) على الضفة اليسرى والطريف على اليمنى تنحدر سلاسل البشري الصخرية الى مجرى النهر ذاته وتختفي الاراضي الخصبة فيما عدا بعض البقع . ويتسع الوادي الى الجنوب الشرقي من زلييه فيبلغ ما بين كيلو مترين واربعة وهو عرض يستمر الى مصب نهر الخابور على مسافة ٧٨ كيلو متراً . والى الجنوب الشرقي من هذا النهر يكون الوادي لمسافة ٩٠ كيلو متراً بعرض يتراوح ما بين ستة وعشرة كيلو مترات . ومن مدينة ابو كمال الحديثة حتى صخور (العُقْبَة) على الضفة اليمنى وصخور (الأسود) على الضفة اليسرى جنوب شرقي مدينة هيت تكون السهول الفيضية ضيقة وقصيرة نسبياً بينما تبرز على هيئة إسفيد اراضي بابل الغربية جنوب شرقي الصخور .

تُسقى السهول الفيضية الواقعة على نهر الفرات الأوسط بالقنوات . ويذكر المؤلفون العرب (البلاذري، فتوح البلدان [ دي جويه ] الصفحة ١٥٠ والصفحة التالية لها ) ان رصيف بلدة بالس يواجه القناة ثم اعيد بناء هذه القناة في العهد الاسلامي ، فمن المؤكد وجود قناة هناك من قبل . وكذلك وردت اشارة الى قنوات ري في المنطقة المجاورة لمدينة الرقة (ميخائيل السوري ، المدونة [ شابو ] المجلد ٤ ، ص ٤٥٧ ) . وقد رأى ايسيدور الكرخي ( المحطات الفرثية [ ملر ] ، ص ٢٤٧ ) وجود قناة للري احتفرتها سميراميس بالقرب من زلييه . وعلى نحو ١٣ كيلو متراً شمال غربي قرية البسيرة الحديثة ( وتعرف قديماً بقرقيسيوم ) تفرع نهر صعيد من الضفة اليمنى لنهر الفرات .

ومن نهر الخابور تصرف المياه ايضاً خلال قناة لري السهل الفيضي الخصب الذي يبلغ طوله هنا تسعين كيلو متراً ويصل عرضه في بعض الاماكن قرابة ستة كيلو مترات ويقع على الضفة اليسرى من الفرات . ولقد بُنيت

هذه القناة ويطلق عليها خابور إلبو كاش ، في بداية الألف الثاني قبل المسيح من قبل الملك البابلي حمورابي (تورو - دانجن ، عقد من خانه [ ١٩٠٩ ] ، ص ١٤٩ وما بعد ) . ويذكر توكولتي إنورتسا ( توكولتي نسب ) الثاني أيفنا البسال - كو - شا (نار) خابور [ القناة المتفرعة من الخابور [ حوليات ) [ شاييل ، حوليات ( ١٩٠٩ ) ، لوحة ٤ ] ، المقابل ، سطر ١٤ ؛ شاييل ، المرجع السابق ، ص ٢٢ )

وكذلك تمّ ري سهول الفرات الفيضية جنوب شرقي صخور العقبة والأسود على حدود إقليم بابل الاصلي بقنوات ذُكرت إحداها وهي التي تجري بمحاذاة الضفة اليمنى من قبل الحاكم شمش - ريش - اصور في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد (الكتابة البارزة ، لوحة ٣ ، حقل ٢ ، الاسطر ٢٧ - ٤١ . فايسباخ ، متفرقات بابلية [ ١٩٠٣ ] ، ص ١٠ )

## السجلات المبكرة

وبما لاشك فيه أنه نشأت على ضفتي الفرات الأوسط مستوطنات في الأزمنة المتوغلّة في القدم . ففي بداية الألف الثاني قبل الميلاد تأسست هناك دولة خانة (عانة) واتخذت من مدينة (ترقة) عاصمة لها . اما موقع هذه المدينة فهو إما قرية العشارة الحديثة على بُعد ٢١ كيلو متراً جنوب شرق مصب الخابور او مستوطنة القرية التي تبعد حوالي خمسة كيلو مترات شمال غرب العشارة ، وقد عُثِر في كلا الموقعين على الواح عليها كتابات مسمارية ويسجل أقدم هذه الألواح التي يعود تاريخها الى نهاية القرن العشرين ان ملك خانة (اشار - ليم ) قدّم لشخص ما بيتاً يقع بالقرب من قصره في مدينة ترقة ؛ كما نُقش على لوح آخر شروط عقد بيع في مدينة ترقة ؛ ونُقش على لوح آخر شروط عقد بيع من عصر الملك ( كشتيليا شو ) يتعلق بعقار في تلك المدينة .

ويذكر حمورابي أنه افتتح قناة خابور - إلبو كاش . واهدى الملك (أمي - بيل) لأحد خسلمه قطعة من الأرض في تركة . وقد أمر الملك (شمشي - اداد) ببناء معبد هناك تكريماً للاله داکان (تورو - دانجن ، الموضع المذكور ، المرجع نفسه ، رسائل وعقود [ ١٩١٠ ] ، الرقمان ٢٣٧ و ٢٣٨ ) .

كما قام حكام مملكة خانة بغزوات على الدولة البابلية السامية وعادوا منها محملين بغنائم الحرب المكونة من صور الالهين ( مردخ ) و ( صرنت ) . وفي منتصف القرن السابع عشر [ قبل الميلاد ] أصبحت مملكة خانة جزءاً من الدولة البابلية ، وقام الملك اكو مكاكر يمه باعادة الالهة المسروقة الى معبدها الأصلي (لوحة المتحف البريطاني رقم ١٥٢ ورقم ٩٦ كنك ، مدونات (١٩٠٧) ص ١٢٥ ، سطر ١٠ ، كنك ، المرجع نفسه المجلد ١ ص ١٤٩ ، المجلد ٢ ، ص ٢٢) .

وفي القرون التالية ازداد عدد الآراميين من الحضر والبدو الاخلاميين زيادة كبيرة على ضفاف الفرات الأوسط ولكنهم سرعان ما استقروا وامتزجوا بالسكان الاصليين . وفي حكم ارك - دين - ايلو ( ١٣٥٥ - ١٣٢٠ ق . م كان هؤلاء البدو مصدر ازعاج كبير للاشوريين الذين كانوا في صراع مع البابليين للهيمنة على الفرات الاوسط ( اللوحة الجبرية الخاصة ) بأداد نيراري الأول [ رولنسن ، كتابات مسمارية ( ١٨٦١ - ١٨٨٤ ) ، المجلد ٤ ، لوحة ٤٤ ] ، المقابل ، سطر ٢٠ ، بيج وكنك ، حوليات [ ١٩٠٢ ] ، ص ٦ مسر شمت ، نصوص مسمارية [ ١٩١١ ] ، لوحة ٣ ) . فقد ثاروا على شلمانصر الأول ( ١٢٨٠ - ١٢٦٠ ) (المصدر نفسه ، اللوح ١٥) . كما قام تكلاث ييلنصر الأول ( ١١٢٠ - ١١٠٠ ) بمنازلتهم في معركة . ووصل في حملته ضد الاراميين الى مدينة (دور كاتليمو) ، التي يمكن ان تطابق موقع خرائب تل القدغمي عن الخابور ( المسلة المكسورة [ رولنسن ،



المرجع السابق ، المجلد ٣ . لوحة ٤ . رقم ١ [ حقل ٣ . سطر ٢٢ ؛  
 بج وكنك . المرجع السابق . ص ١٣٦ ) ؛ وقبل ان يمضي وقت طويل  
 تكلّث يليصر الأول نهر الفرات ذاته . ( كتابة على اسطوانة من قلعة  
 شرقايط [ رولنسن . المرجع السابق المجلد ١ . لوحة ١٣ ] عمود ٥ [ مفصلة  
 السطور ٤٤ - ٦٦ جولييات [ رولنسن . المرجع السابق ، مجلد ٣ . لوحة  
 رقم ٢ ] : المقابل . السطر ١١ وما بعده : المسلة المكسورة [ رولنسن .  
 المرجع السابق . بج وكنك . المرجع السابق ، من ص ٧٢ الى ص ٧٤ ،  
 ص ١١٨ . ص ١٣١ ) . وبلاستعانة بدولاه الاله آشور اصطحب معه  
 عربات ومقاتلين واخترق الصحراء حتى وصل الى قلب بلاد الاخلاميين  
 (البلو) والآراميين (الحضر) . وأغار في يوم واحد من (سوخى) الى مدينة  
 كركميش في بلاد حاتي وتلك بكثير من جندهم وحمل معه  
 غنائم كثيرة من الآلة والممتلكات . وحرب بقية جيشهم عبر الفسرات .  
 فلاحق بهم تكلّث يليصر عبر النهر على القسراب واستولى على ست من  
 مدنها عند سفوح سلسلة البشري . وقام باحراقها وتدميرها .

ان هذه الرواية غير واضحة تماماً . فهي لاتبين الطريق الذي سلكه  
 تكلّث يليصر الأول . ومن الممكن انه سار بمحاذاة الخابور حتى نقطة  
 التقائه بالفرات ومن ثم كان عليه عبور البرات مرتين . الأولى في طريقه  
 الى كركميش التي كانت تقع على الضفة اليمنى والثانية مطاردته للجيش .  
 ولم تعد الرواية تُسمي السهل الفيضي الفرات الأوسط باسم خانة بل تسميه  
 سوخي . فمن حاود سوخي وصل تكلّث يليصر في يوم واحد الى كركميش  
 التي تقع في مستوطنة (جرايس) الحالية على بعد حوالي ٨٠ كيلو متراً  
 منعطف الفرات في اعلى مستوطنة بالس وفوق الخط الفاصل بين  
 المنطقة المأهولة والصحراء فان كانت سوخي تمتد حتى هذا الخط فيكون  
 اذن بقلود الملك الآشوري الوصول الى كركميش بعرباته في يوم واحد

بسهولة . ومن المحتمل أنه كان يقوم بغارة خاطفة مكتفياً بالغنائم التي صادفها في طريقة ليعود بدون تأخير لحصار أي كان من المدن المسورة . كانت كركميش عاصمة للدولة كان حدها الطبيعي في أغلب الاحتمال يتكون من الصحراء التي تقع الى جنوبها . ولهذا يمكن الافتراض بان سوخي كانت تمتد مباشرة الى نقطة في أعلى المستوطنة بالس الحديثة عند منعطف الفرات . هذا ومكث تكلاث بيليسر الأول بعض الوقت بالقرب من سلسلة (البشري) جبل (البشري الحديث) الذي يصل الى الفرات - واستولى على ست مدن في سفحها . ولا تُعرف مواقع هذه المدن واسماءها ، وتذكر الكتابة المنقوشة على المسلة المكسورة (روولسن . المرجع السابق . المجلد ٣ . اللوحة ٤ . رقم ١) . عمود ٢ . الاسطر ١٩ - ٢٤ ( بيج وكلك . المرجع السابق . ص ١٣١ ) . ان تكلاث بيليسر رحف من الخابور مخترقاً ارض (خاركي) الى مدينة كركميش في بلاد (خاتي) واستناداً الى هذا يبدو ان الاسم الحقيقي لذلك الجزء من سوخي الممتد شمال غرب منسوب الخابور كان خاركي . ولا نعلم ان كان تكلاث بيليسر الأول قد ذهب كذلك الى الجنوب الشرقي من الخابور ، فلم يرد في السجلات ذكر لمثل هذه الحملة .

## طريق توكولتي انورتا الثاني

لأجل دراسة الطبوغرافية التاريخية للفرات الأوسط يُعتبر سجل زحف الملك الآشوري توكولتي انورتا (او توكولتي ننب) الثاني (٨٨٩-٨٨٤ ق.م.) على جانب كبير من الأهمية . لم يكن هذا الزحف حملة عسكرية . ولم يكن لته عصبان على الفرات الأوسط . ولكن الملك الآشوري ذهب الى هناك ليتسلم بنفسه الهدايا والأتاوة وليقوي نفوذه . لقد سار من آشور (قلعة شرقاط الحالية) باتجاه جنوبي الى مدينة سيبار (ابو حبة الحالية) . ومن هناك

سار باتجاه الشمال الغربي على الضفة اليسرى من نهر الفرات الى مقربة من مصب الخابور ومن ثم سار بمحاذاة الضفة اليسرى لنهر الخابور متجهاً شمالاً. وقد مرّ بعدة مدن ، معروفة وغير معروفة ، واحتفظ لديه بسجل لمختلف اماكن المخيمات والمستوطنات ؛ وبهذا نستطيع ان نحدد بدقة باللغة أطوال مسيراته اليومية وتثبيت مواقع الاماكن على طريقه . وكانت مسيراته في العادة ٢٣ كيلو متراً وفي حالات مستثناة فقط كانت تطول او تقصر عن ذلك .

### تفاصيل طريق توكونتي انورتا

نخرج توكونتي انورتا الثاني بحسب الحوليات (شابل، حوليات [١٩٠٩] ، اللوحات ٢-٤ ) ، الوجه المقابل ، السطور ٤١ -- ٨٢ ، الوجه المعاكس ، السطور ١ - ٢٤ ( شابل ، المرجع السابق : من ص ١٤ الى ص ٢٢ ) من آشور في اليوم السادس والعشرين من نيسان وخيّم في السهل الواقع شرق الثرثار . وبعد عبوره نهر الثرثار خيّم ثانية واستقى الماء طوال الليل كما يفعل البستاني . وفي اليوم التالي لم يشرب هذا الماء المر مطلقاً . ثم اخترق الصحراء ونام بجانب الثرثار . وسار اربعة أيام بحذاء هذا النهر وذبح تسعة ثيران بريّة . ثم خيّم عند مصب الثرثار . وبعد ان تزود بكميات من الماء انطلق يحث السير في مجاهل سهل حماته حتى وصل الى حقول المراكاني حيث وجد جداول للري وطعاماً وفيراً . فخيّم هناك يوماً وليلة لان جيشه كان يستقي الماء وعينه وصوله الى نهر دجلة ومستوطنات ارض (الوتوانه) استولى على المقابر الواقعة على دجلة وقتل كثيراً من الأهليين ونقل معه بضائع متنوعة ثم عسكر في ( اصوصي ) . ولدى مغادرتها لم يسر على الطريق بل شق طريقه خلال الأعراش حتى وصل ( دور كوركالزو ) وعسكر هناك . واستمر في رحلته وعبر قسنة

(باتي بيل) حيث قضى ليلته وبعدها رُحل الى ( سبورو شا شمش ومن هناك ذهب الى الفرات وخيّم في (سلاته) مقابل (دور بلاطي) على الجهة الأخرى من الفرات وكذلك في (رحيمة) مقابل (رييقو) على الجهة الأخرى ؛ وفي حقول (كبسيته) بجانب الفرات ؛ وفي (دايا شتي ؛ وبجانب عين القير مقابل مدينة (إد) ، التي كانت على الجهة الأخرى من الفرات . وفي إد توجد حجارة ( او شميئا ) ، وهناك تكلم كبار الآلهة ايضاً . وبعد مغادرته ادعسكر مقابل (حرييه) ؛ ثم في مروج بجانب الفرات ، حيث استقى الماء طول الليل والنهار . ومن هناك انعطف ودخل في سلسلة مقفرة من التلال الواطئة حيث لايتوفر طعام ولا ماء بات ليلته هناك، ثم سار الى مروج حلو يبلي بجانب الفرات حيث خيّم ثانية . ونصب المخيّم التالي بين زديداني وسبريته ، وهي قرية تقع وسط الفرات . ومن هناك ذهب الى (سوري) قرب ( تلبش ) ، وكانت تقع ايضاً وسط الفرات . ومن سوري زحف الى (انات) في بلاد سوخي حيث سلّم له واليها ، (إيلو لبني) مدفوعات وديوناً مستحقة مختلفة . وبعد إن استمر في زحفه خيّم في (مشقيته) ، مقابل خرّدة في كيليتة ومقابل خندانني أو (خندانو) . فأدى له امّي — الابا حاكم المدينة المذكورة اخيراً ديوناً مختلفة . ولدى مغادرته الفرات أمر بشق طريق خلال الهضاب المؤدية الى مستعمرة نجيات التي عسكر فيها ، كما عسكر في (اقرباني) حيث سلّم له (مُداد) من بلاد (لقي) الأتاوة المستحقة . بعدها استمر في سيره وتوقف في مستوطنة (صُبري) ليستلم الديون من حمّتي من بلاد لقي وعسكر في ارباة ، حيث دفع له خرائني من بلاد لقي الأتاوة . وفي ماوراء ارباة خيّم في كصبي ومن ثمّ مقابل بلدة سرقى حيث دفع له مُدادا والي سرقى ، ما عليه من ديون ، كما دفع خرائني من بلاد لقي الديون للمرة الثانية . وبعد مغادرته سرقى اجتاز مروج الفرات وعسكر بالقرب من البال — كوشا نهر خابور ( او القنساء المتفرعة من الخابور ) ، قبل قرية رمو نيدو ،

وبالقرب من مستوطنة سوري الواقعة على نهر الخابور والعائدة الى (خليبي) ،  
حيث قدم له حمتماي من بلاد لقي الديون المطلوبة للمرة الثانية . وبعد ان  
سار ابعده خيم في اوسلا حيث تسلم ديونه ؛ وفي دور كتليم الواقعة  
في لقي الخ . . .

### اعادة تحديد طريق توكولتي انورتا

وفيما يلي الاعادة المحتملة لتحديد طريق توكولتي أنورتا :  
نصب أول مخيم على سفح سلسلة المكحول ، ربما بالقرب من عين  
المنجور .

وربما كان المخيم الثاني عند آبار الحديدية . عبر الملك مع حاشيته  
مجرى نهـر الثرثار المتناقص الذي يجري في ارض يكثر فيها الجبس  
المتبلور والملح الصخري . ونتيجة لهذا يكون الماء في الآبار الضحلة  
المتعددة هناك ذا مذاق مالح ومج . وعلى مايلوفان الملك شرب في الأيام  
الثلاثة الأولى الماء العذب الذي جلبه معه من دجلة فقط .

وربما كان المخيم الثالث في العرسة .

وربما كان المخيم الرابع في ام غروبة .

وربما كان المخيم الخامس في النخيلة .

وربما كان المخيم السادس في الفرس .

وربما كان المخيم السابع قرب مصب نهر الثرثار في بحيرة (ام رحل)  
الملحية . ويوجد في هذه المنطقة عديد من الآبار الضحلة تحوي ماء على  
مدار السنة . ومن المحتمل ان الملك في موضع ما قرب بشر (الخشبية)  
ارتحل عن الثرثار وتوجه شرقاً ارض حماة ؛ وهذا الاسم لا يزال  
محفوظاً في (مرقب الحما )

واحد موضع المخيم الثامن عند بئر الخماش

هذا ووجد الملك في حقول المركني قنوات للري .

وبالنظر الى الطوبوغرافيا ، ينبغي الاّ نبحث عن هذه القنوات شمالاً أبعد من الارض الغرينية في غرب قرية لصطبلات الحديثة ، قرابة خمسة واربعين كيلو متراً شرق الثرثار . فاغلب الاحتمالات ان المخيم التاسع نصب هناك . وتعني كلمة مركني زهرة زكية الرائحة . ويدعى الاقليم غرب اصطبلات الآن (الشنانات) وهي كذلك تشير الى نبتة طيبة الرائحة نعرف بالشنان .

وكان المخيم العاشر في اصوصي . اقترب الملك من دجلة وانتهب قرى الاوتوارة التي تقع على جانب النهر . واحدّد موضع اصوصي قرب ( عزيز بلد ) الحالية .

ومن اصوصي سار باتجاه الجنوب حتى وصل في ثلاثة أيام الى القلعة الحدودية دور كور يكالزو ، وهي عقرقوف اليوم؛ واغلب الاحتمال انه لتحقيق ذلك غادر دجلة وتقدم بمحاذاة سفوح هضبة (ردايف) على الحافة الغربية للمنطقة الغربية . فلو انه سار بمحاذاة النهر لكان لزاماً عليه ان يشق طريقه خلال حقول وخلال قنوات يمر بترع للري متعددة ، بينما لو سار بمحاذاة سفح ردايف لكان طريقه وترع للري متعددة ، بينما ميسوراً ، سوى انه كان يضطر في بعض الاماكن فقط للخروج عن مساره لتحاشي آجام الاكاسيا .

وكان المخيم الثالث عشر في دور كوريكالزو .

وكان المخيم الرابع عشر بجانب قناة باتي بيل التي عبرها وهو متجه جنوباً ، ربما بالقرب من موضع قرية (الزرجة) الحديثة . ان عبور الملك العظيم هذه القناة دليل على انها تأخذ من الفرات وليس من دجلة ، اذ ان الطريق من عقرقوف الى ابو حبة ، وهو موقع المخيم التالي ، يقع كله على ارض أعلى من مجرى دجلة .

وكان المخيم الخامس عشر في سبّورو شاشمش ؛ وربما تتطابق هذه البادية مع خرائب ابو حبة . ان المسافة من عقرقوف الى ابو حبة لاتكاد تبلغ ثلاثة وثلاثين كيلو متراً ، الا ان الطريق كان يمرّ خلال اراض مفلوحة وعلى قنوات وترع كثيرة مما يجعل تغطية المسافة في يوم واحد متعذراً .

ومن سبّورو (سبّار) اتبع الملك اتجاهها شمالياً غربياً . واستغرقت المسيرة الى إد ( هيت ) ستة أيام . ونعلم انه سار بمحاذاة الفرات ولم يفارق ضفافه . إن المسافة من ابو حبة الى هيت هي ١٤٠ كيلو متراً ولتغطية هذه المسافة في ستة أيام يتطلب معدلاً قدره ثلاثة وعشرون كيلو متراً كيلو متراً لمسيرة كل يوم . ولا بد ان كانت بعض المسيرات اقصر بقليل واخرى اطول ، اذ كان من الضروري الحصول على تجهيزات كما ان الملك كان يرغب في التفاوض مع الرؤساء المحليين الذين يمر بهم في طريقه . ولسوء الحظ لم يحفظ لنا شيء من الأسماء القديمة ، (ربما باستثناء واحد وهو (كبسيته) التي أحدد موضعها في كاوشته ؛ وكان يمكن ان تفيدنا هذه الأسماء كثيراً في تحديد ادق لأطوال المسيرات اليومية . ويؤسفني هذا خاصة بالنسبة الى بلدة (ربيقو) ، وهي قلعة ثغرية يرد اسمها كثيراً في السجلات . وحيثما لا يذكر ان المخيم كان في الحقول فسقوم بالبحث عن بقايا القسرى القديمة او الخرائد مهما تكن صغيرة . ومما يدعو الى الأسف انه لم توضع في السجلات قناة واحدة بين سبّار والطرف الشمالي الغربي للاراضي الغرينية البابلية برغم انه كان على توكولتي انورتا الثاني عبور قنوات متنوعة ، تأخذ الماء من الفرات كما فعلت قناة باتي بيل .

ومن سبّورو شاشمش او ابو حبة سار الملك (آنسا شاك) الى الفرات ، ربما ليس بمحاذاة ضفته اليسرى ، بل بمحاذاة الضفة اليمنى ، اقناة عريضة او فرع من النهر الرئيس ، الى مخيمه السادس عشر الذي نُصب

في سلاتة ، ربما بالقرب من مجموعة الخرائب التي تُعرف الآن باسم  
المعجم .

اما المخيم السابع عشر فقد كان مقابل قلعة (دور بلاطي) على  
الضفة اليمنى من الفرات . وربما تشير خرائب (أحيمر) التي تبعد مسافة  
اثنين وعشرين كيلو متراً عن المعجم الى موضع المخيم المذكور .  
وكان المخيم الثامن عشر في (رحيمبي) مقابل حضن ربيقو . فلو  
قدرنا المسيرات اليومية بثلاثة وعشرين كيلو متراً لكل منها لومب  
اذن البحث عن رحيمبي في خربة (ماحوز) وريقو في خرائب (الرحاية) الواقعة  
قرب ضريح صغير على رابية صخرية على الضفة اليمنى للفرات .  
على انني افضل مطابقة ربيقو مع البادية الحديثة المزدهرة (الرمادي)  
التي تبعد سبعة عشر كيلو متراً غرب الرحاية ، ولكن هذا كان يجعل  
لزماً على الملك ان يقطع ثلاثة وثلاثين كيلو متراً يومياً في الاقل  
ليصل من ابو حبة الى الموضع المقابل للرمادي في ثلاث مسيرات ،  
بينما يكون معدل المسيرات اليومية من هناك الى اد (هيت) ستة عشر  
كيلو متراً فقط . ومن الناحية الاخرى ، لو كان المخيم التاسع عشر  
بدلاً من الثامن عشر قد نصب مقابل ربيقو لتطابقت البيانات عن موضع  
المخيم أو الرمادي بدرجة كافية .

وكان المخيم التاسع عشر على حقول كبسيتة ، ولعلها الحقول الخصبة  
شرقي خرائب كوشتة .

اما المخيم العشرون في (دياشتي) فربما كان في الموضع الذي تقع فيه  
خربة الأسود الآن ، على بعد اثنين وعشرين كيلو متراً من كوشتة بين  
الفرات وقناة قديمة .

وكان المخيم الواحد والعشرون في اد ، او هيت الحديثة ، على بعد  
عشرين كيلو متراً من الأسود .



وكان المخيم الثاني والعشرون مقابل حربية ، وربما تقوم على خرائبها ضيعة القطبية الحالية . وينتهي السهل الخصيب قرابة عشرة كيلو مترات الى الشمال الغربي من هناك وتقرب اجراف شديدة الانحدار من مجرى نهر الفرات ذاته قاطعة الطريق في بعض الاماكن . وبما ان النهر ينعطف عدة مرات في هذه المنطقة فان الطريق يفترق عن الفرات ويمتد خلال سهل صخري باتجاه شمالي غربي ولا يعود الى النهر حتى نصل الى السليمية على بعد اربعة وخمسين كيلو متراً من القطبية . تقدم الملك على هذا الطريق ايضاً ونصب معيخه الثالث والعشرين في صحراء لاماء فيها ، ربما في (شعيب النهل) وربما كان المخيم الرابع والعشرون على مروج في حدوبيلي بالقرب من موقع السليمية الحديثة . على أنني لم أعثر على خرائب هناك ، ولكن الفرات قبالة السليمية يشكل جزراً متعددة ؛ فمن الممكن ان تكون حدوبيلي قد اختفت في مجراه .

وكان المخيم الخامس والعشرون بين زديداني وجزيرة (سبريتة) . انني اعتبر هذه الجزيرة الصغيرة هي جزيرة السواري الصغيرة الحالية ، في الوقت الذي قد تتطابق زديداني مع خرائب (المحددة) .

وكان المخيم السادس والعشرون قريباً من سوري مقابل جزيرة (تلبش) او (تلمش) . ان خرائب (سور) الحالية الواقعة بجوار جزيرة (تابش) على بعد مسافة اثنين وعشرين كيلو متراً من (السواري او سبريتة القديمة ، تقع في موضع هذا المخيم .

وكان المخيم السابع والعشرون قبالة جزيرة آتات في بلاد سرخي . وآتات هي عانة ، الحديثة التي بُني حصنها ومسجدها الجامع على جزيرة تبعد مسافة ستة عشر كيلو متراً من سور .

وكان المخيم الثامن والعشرون في (مشقيته) ومن المحتمل انها قرية صريصر الحديثة .

وكان المخيم التاسع والعشرون قبالة القرية (خردة) على الضفة اليمنى . وربما تدل خرائب (الدينية) عليها .

وكان المخيم الثلاثون في كيايتة ، ربما بالقرب من (الجعبرية) الحديثة في سفوح روابي الغياري وربما تبينا في هذا صدى لاسم كلية القديم . وكان المخيم الحادي والثلاثون مقابل بلدة (خندانى) على الضفة اليمنى . ويستدل على هذه البلدة بما لا يقبل الشك بخرائب الشيخ جابر الواسعة يومنا هذا ولم يكن في مقدور الملك السير من آفات الى (خندانو) بسرعة تزيد على ثلاثة وعشرين كيلو متراً يومياً .

وتصل الاجراف مقابل الشيخ جابر الى ضفة النهر تماماً مما يجعل السير بحذائها صعباً بل مستحيلاً تماماً في موسم الفيضان . ولهذا السبب يفضل الناس السفر على مسافة من النهر مخترقين سهلاً صخرياً وعراً . وهذا ما فعله الملك ايضاً . فقد ترك ضفة النهر وأمر ببناء طريق الى المخيم الثاني والثلاثين عند بجيائة التي يمكن القول بإنها خربة اكمة الطاوي وهي ويقع في الطرف الجنوبي الشرقي لشريط من سهل فيضي يبلغ طوله في هذا الموضع تسعين كيلو متراً ويصل عرضه في اماكن اخرى الى ستة كيلو مترات وقد انتشرت عليه بقايا قرى قديمة بين صغيرة وكبيرة .

واحد مخيم (اقرباني) او نقرباني الثالث والثلاثين في خرائب (البهسنا) قرابة ثلاثة وعشرين كيلو متراً من الطاوي .

وفي اليوم التالي توقف الملك في بلدة (صبري) وأمر بنصيب المخيم الرابع والثلاثين في (ارباته) . وقد تكون صبري مطابقة لخربة الصفاء وارباته مطابقة (الجعابي) وأقلد مسيرة ذلك اليوم بستة عشر كيلو متراً ، وذلك لتأخر الملك في صبري .

وكان المخيم الخامس والثلاثون في حقول كصي ، واخترق الطريق اراضي مزروعة ومروية فلم يتسن للملك ان يقطع اكثر من عشرين

كيلو متراً في ذلك اليوم ومن المحتمل ان مخيمه كان امام موقع خربة (المجئلة) الحالية .

وكان المخيم السادس والثلاثون مقابل بلسدة سرقى التي كانت تقع على الضفة اليمنى . فاذا احتسبنا مسيرته اليومية المنتظمة تتراوح بين عشرين وثلاثة وعشرين كيلو متراً فسوف نصل الى موضع مقابل بلدة (الميادين) الحديثة التي يمكن ان نعدها سرقى القديمة . على ان الاسم سرقى يذكرنا بترقة وهو اسم عاصمة دولة خناتة التي تطابق العشرة او القرية (انظر اعلاه ، ص ٥ ) . وربما يمكن التثبت من الموقع الحقيقي لترقة بالتنقيبات الأثرية التي قد توضح ايضا ماذا كانت هذه البلدة سرقى ام لا .

وعند سرقى غادر الملك نهر الفرات وتقدم باتجاه شمالي بمحاذاة الضفة الغربية لنهر الخابور حتى المخيم السابع والثلاثين قرب قسريه (رمّو نيدو) التي لا تبعد كثيراً عن الموضع الذي تشعب منه قناة من الخابور . وتتفرع من هذا النهر قناة كبيرة واحدة تدعى (دورين) أسفل من قرية (السجر) الصغيرة قرابة واحد وعشرين كيلو متراً شمال الميادين وشمال قرير (طامة) التي تقع مقابل الميادين على الضفة اليمنى . فان كانت سرقى مطابقة للقرية فتكون اقصر مسافة من هناك الى مدخل دورين خمسة وعشرين كيلو متراً ، لذا يمكن تحديد موضع المخيم السابع والثلاثين في رمّونيدو الى الشمال من قناة الخابور الكبيرة ، او بالقرب من خرائب (حجنا) الحالية .

واستناداً الى السجل الآشوري فان هذا المخيم كان لا يزال في « مروج الفرات » ، ولعل هذه التسمية كانت تعني السهل الخصيب الممتد من الفرات الى ما بعد السجر . ويحدد شايل (المرجع نفسه ، ص ٤٨ وما بعدها) موضع رمّونيدو بالقرب من الفرات ، ويظن أنه كان على

الملك ان يصل هذا الموضع قبل ان يتمكن من من التقدم شمالاً  
 بيد ان هذا كان امراً مستحيلاً : بعضه بسبب ذكر قناة  
 الخابور الكبيرة ، او نقطة بسداية قناة دورين ، وبعضه الآخر  
 بسبب المسافة من هناك الى المخيم الثامن والثلاثين الذي كان في  
 سوري . وكان هذا الموضع ، اي الصوار الحديثة ، قرابة اربعين كيلو متراً من  
 الفرات ، فلو تأملنا حقيقة انه كان على جيش الملك عبور القناة الخارجة من  
 الخابور والسير خلال ارض مزروعة لوجدنا ان المسافة من الفرات الى سوري  
 لا يمكن اجتيازها باي حال من الأحوال بمسيرة يوم واحد . ومن الناحية  
 الأخرى فلو اعترفنا بتطابق رمونيدو مع حجتنا لحصلنا على المعدل الاعتيادي  
 وهو ثلاثة وعشرون كيلو متراً .

ويكتب شابل ( المصدر نفسه ، ص ٤٩ ) ان الصوار تقع على بعد عشر  
 ساعات ، او اربعين كيلومتراً ، من الفرات ويعتبر هذا ايضاً مجرد مسيرة  
 يوم واحد ، كما ورد في النص . الا انه هنا لا يناقض تحديده لمواقع الاماكن  
 المختلفة حسب بل يناقض النص نفسه ؛ لان الملك لوسار بسرعة اربعين كيلو  
 متراً يومياً لوصل الى رمونيدو من آفات بخمس ساعات وليس بعشر .  
 ومن سوري ( الصوار ) سار الملك شمالاً بمحاذاة الخابور عائداً الى وطنه  
 بالطريق الاعتيادي .

ان سجل حملة توكولتي انورتا الثاني هذه لا تجعل تحديد مواقع القسرى  
 المتعددة بصورة دقيقة الى حد ما ممكناً فحسب بل انه يكشف ايضاً عن التنظيم  
 السياسي في منطقة الفرات الأوسط . فقد امتدت سونخي في زمن تكلات بيليصر  
 الاول حتى وصلت الى حدود ( بيت اديني ) او فوق قرية بالس الحديثة  
 حيث تنتهي الصحراء وتبدأ الارض المزروعة . وفي ظل حكم توكولتي  
 انورتا الثاني فان الاسم الحقيقي لذلك الجزء من سونخي شمالي فاتى  
 العرصي الصخري كان لقي ( الحوليات ) [ شابل ، المرجع نفسه ، اللوحه ٤ ]

مقابل ، السطران ٣ و ٥ ؛ المرجع السابق ، ص ٢٠ ) . وعلى هذا النحو ترجع البلدتان سوري ( الصوار ) ( المرجع نفسه ، السطران ١٩ و ٢٠ ؛ ص ٢٢ ) ودور كتليمة ( تل فدغمي الحديثة على الخابور ) ( المرجع نفسه ، السطر ٢٢ وما بعده ؛ ص ٢٢ ) الى منطقة لقي . ووضع تكلات بيليسر الأول دور كتليمة في ارمه لانه كان يجهل لقي آنذاك . ( المسلة المكسورة ) [ رولسن ، المرجع نفسه ، المجلد ٣ ، اللوحة ٤ ، الرقم ١ ] العمود ٣ ، السطر ٢٢ ؛ بيج وكنك ، الحوليات [ ١٩٠٢ ] ، ص ١٣٦ ) .

وكان كلا البلدين ، سوخي ولقي مقسماً الى دول مدن كبيرة وصغيرة يحكمها رؤساء خاصون بهم . وكانت مراكز هذه الدول المدن الآتية :  
آتات ويدعى رئيسها ايلو - ابني ( الحوليات ) [ شاليل ، المرجع السابق ، اللوحة ٣ ] ، المقابل ، السطران ٦٩ و ٧٠ ؛ المرجع نفسه ، ص ١٨ ) ،  
وخندانو ويدعى رئيسها امي - الابا ( المرجع نفسه ، السطران ٧٦ و ٧٩ ؛ ص ١٨ ) ،  
ومدينة سرقبي ويدعى رئيسها مدادا ( المرجع نفسه ، اللوحة ٤ ، المقابل ، السطران ٨ و ١٠ ، ص ٢٠ ) .

اما خرائني من بلاد لقي الذي قدم مدفوعاته في سرقبي فقد كان ملكا على مملكة لم يدخلها توكولتي انورتا بعد ، ولهذا يجب ان تكون واقعة شمال غربي مصب الخابور ( المرجع نفسه ، السطر ١١ ، ص ٢٠ ) . وكان حمتاي رئيس سُوري ( المرجع نفسه ، السطر ٥ ، ص ٢٠ ؛ السطران ١٥ و ١٩ ؛ ص ٢٢ ) ، اما الاقليم الذي كانت هذه المدينة عاصمة فيدعى خدبة او ( بيت خدبة ) نسبة لسكانها ( ووردت ايضاً ، خاوبة ) .

كان الملك الآشوري يعين دائما بعض رؤساء دول المدن ليكونوا ممثلين له . وفي عهد توكولتي انورتا الثاني كان ايلو - ابني ، رئيس آتات ، في سوخي وحمتاي ، رئيس سُوري ، في لقي ممثلين من هذا النمط كل عن بلده .

كان موقف مثل هذا المندوب او والي الملك الآشوري في سوكي او لقي صعباً للغاية، اذ كان لرعاياه في الغالب ، خاصة عندما يقوم جيرانهم بتحريرهم ، مصالح سياسية مختلفة تمام الاختلاف عن مصالح سيده الآشوري .

### حملات آشور ناصربال وطرقها

يروى آشور ناصربال (٨٨٤ - ٨٥٩ ق. م . ) (الحواليات) [رولنسن ، المرجع السابق ، المجلد ١ ، اللوحات ١٨ وما بعدها] ، العمود ١ ، السطور ٧٤ - ١٠١ ؛ بيج وكنك ، المرجع السابق ، ص ٢٧٩ - ٢٨٩ ) انه علم بعد ارتقائه العرش بفترة قصيرة ان الوالي حمتاي قد اغتاله أهل بلدة ( سورو ) في بلاد بيت خدبة وحل مكانه شخص اسمه (اخيا بابا) من بلاد بيت - اديني . لهذا زحف الملك من كوماجين ، حيث كان آنذاك بعرباته الحربية وقطعاته ضد سورو ( او سوري ) .

ان مملكة بيت اديني تتاخم لقي من الجهة الشمالية الغربية . وكان ملكها يحاول ان يبسط نفوذه وان يكسب حلفاء ضد ملك بلاد آشور العظيم ، ولهذا فانه تحالف مع الطرف الساخط في سوري ، وهم الذين كانوا قد قتلوا رئيسهم ، الوالي الآشوري حمتاي ، وقدموا الولاء للرئيس الجديد ( واسمه اخيا بابا ) المرسل اليهم من ملك بيت اديني . فانزل ملك بلاد آشور العظيم بالعصاة عقوبة فتاة وعين (ازي - ايلو) والياً جديداً على لقي . ويبدو انه كان ملكاً على دولة مدينة ( كيننا ) الواقعة على الفرات غربي مصب الخابور . وعملت العقوبة القاسية التي لحقت بمدينة سورو وعصاتها كتحذير لباقي الملوك في بلاد لقي الذين اخذوا على الفور يغمرون اشورنا صربال الثالث بالهدايا . كما ارسل خياني رئيس مدينة خندانني (الحواليات) [رولنسن ، المرجع السابق] العمود ١ ، الاسطر ٩٦ - ٩٩ ؛ بيج وكنك ، المرجع السابق ، ص ٢٨٧ ) رسلاً محمليين بالهدايا الى الملك

العظيم في سورو . الا ان السلام لم يدم طويلاً لانه بعد عودة اشورنا صربال الثالث الى نينوى بقليل جاءه والي سونخي ايلو — ابني لطلب اللجوء . ويتضح من ذلك انه بقي وفيّاً لسيدته الآشوري ولهذا طرده مواطنوه الذين فضلوا تحالفاً مع ملك بلاد بابل .

### تفاصيل حملة آشور ناصربال الاولى

وتؤكد هذا الافتراض بالتقرير الخاص عن حملة اشورنا صربال الجديدة الى لقي وسونخي المدون بالحوليات (رولنسن ، المصدر السابق ، اللوحة ٢٣ وما بعدها ) ، العمود ٣ ، السطور ٥ — ٢٦ ؛ بيج وكنك ، المرجع السابق ، الصفحات ٣٤٨ — ٣٥٣ ) .

سار الملك العظيم من بلدة ( قتني ) الى بلدة دور كتليمة ومن هناك الى البلدة التابعة الى ارض بيت خديّة ، ومن ثم الى مدن سِرقي و صُبري ونقرباني وضرب مخيمه قبل مدينة خندانني ( او خندانو ) ، الواقعة على الضفة اليمنى من الفرات . وبعد ان استلم هدايا كثيرة توغل في تقدمه حتى خيّم في السلسلة الجبلية فوق الفرات . ثم توقف في ارض ( بيت كربابة ) مقابل مدينة خريديو ( او خريدي ) على الضفة اليمنى من الفرات . بعدئذ عجل بالوصول الى بلدة آناث الواقعة على جزيرة وسط الفرات ووصل اخيراً امام حصن سورو ( او سوري ) حيث ابدى كدورو ، والي ارض سرنخي ، مقاومة مسع القطعات التي ارسلها لنجدته ( نبو — ايل — الدين ) ملك بلاد بابل . وبعد اقتحامه الحصن قام اشور ناصربال بأسر صابرانو ( اخي ملك بلاد بابل ) وبيل — ايل — الدين ( قائد قطعات الاسناد الاجنبية ) وثلاثة الاف رجل من الجيش البابلي وخمسين فارساً . اما الوالي وسبعون من رفاقه فقد نجوا بانفسهم من طريق الفرات . ثم هُدمت سوري وأقيم نصب في اطلال المدينة لتمجيد انتصار آشور ناصربال .

## اعادة تنظيم هيكل حملة آشور ناصريال الاولى

من المحتمل تطابق دور كتليمة مع تل فدغمي ، ومدينة بيت خدبة مع سورو ، الصوار الحديثة . وكانت المسافة بين دور كتليمة وسورو قرابة ثمانية واربعين كيلو متراً . فلو كانت سرقي تقع في موقع الميادين لكانت المسافة بينها وبين سورو خمسة واربعين كيلو متراً ؛ اما لو كانت تقع في موقع العشارة لكانت المسافة اثنين وخمسين كيلو متراً ، وهي مسافة يتعذر على جيش آشورنا صريال قطعها في يوم واحد . اما صُبري فربما كانت تقع في موضع الصفاء الحالية ، اما موقع نقر باني (او اقرباني) كما هو مدون في سجلات حملة توكولتي انورتا الثاني فمن المحتمل ان يستدل عليها بخرائب البهسنا الحالية . ان المسافة من الميادين الى الصفاء هي ٤٢ كيلو متراً ، ومن العشارة الى الصفاء ٣٧ ، الا انها من الصفاء الى البهسنا قرابة اثني عشر كيلو متراً ؛ ومن هنا الى خرائب الشيخ جابر ، اي خندانو القديمة ، ٤٢ كيلو متراً . وفي موضع أبعد الى الجنوب الغربي خيم الملك العظيم في الجبال اولاً ومن ارض بيت كرابة ، مقابل بلدة خريدو . وبلاستعانة بالتقرير الخاص بزحف توكولتي انورتا الثاني حددنا موضع هذه البلدة في موقع خرائب الدينية الحالية على بعد ٤٦ كيلو متراً من الشيخ جابر . ولما كان الوصول الى نقطة مقابلها يتطلب مسيرتين يتبين لنا ان مسيرة آشورنا صريال الثالث نفسه لم تكن إلا بمعدل يقارب ٢٣ كيلو متراً يومياً . ان هذا يقدم لنا دليلاً على موقع مخيمه بين خندانو (الشيخ جابر) وخريدو (الدينية) . وينعطف الفرات على مسافة تقارب الستة عشر كيلو متراً من خندانو ثلاث انعطافات كبرى . وفي هذا الموضع يكاد خط الاجراف الصخرية يصل الى حافة الماء بحيث ان الطريق يؤدي الى فوق الهضبة مبتعداً



عن ضفة النهر مسافة تصل الى عشرة كيلو مترات . وكان على الملك ان يسلك هذا الطريق ، وفي اغلب الاحتمال كان مخيمه قرابة ثلاثة وعشرين كيلو متراً الى الجنوب الشرقي لخنذانو ، بالقرب من ضريح السلطان عبد الله الحالي . وكانت منطقة بلدة خريدو تدعى بيت كربابة ، تماماً كما كان اقليم سورو يسمى بيت خدبة .

وتقع المدينة الجزرية اناث ، اي عانة الحديثة ، على بعد اربعين كيلو متراً من خريدو . ولا يذكر السجل اين خيّم الملك العظيم قبل الوصول الى اناث . ولا يتعدى الطريق المباشر من ذلك الموضع الى حصن سورو (سور الحديثة ) اكثر من ستة عشر كيلو متراً . وكانت سورو قلعة بلاد سوخي حيث احتمى بها كدورو ، الوالي الذي عينه البابليون ، مع الجيش الذي ارسله البابليون لاسناده . ولم تكن القلعة قادرة على المقاومة فدمرت وتم اسر الجيش البابلي مع ضباطه ولم ينج الا الوالي كدورو ونحو سبعين من اتباعه فقط وذلك بالالتجاء الى بعض الجزر في نهر الفرات .

ومع ان الملك العظيم يؤكد تعزيزه ثانية لسلطته في ارض سوخي وتوسيع نفوذه حتى حدود بلاد بابل وادخاله الرعب في نفوس سكان المناطق الجبلية على كلا الجانبين لنهر الفرات ، فانه بالرغم من ذلك لم يتوغل في هذه المرة بعيداً باتجاه الجنوب الشرقي وانه لم يزحف بحذاء حصن ( دور كوريكا لزي ) في طريقه الى بلاد آشور ، بل عاد بنفس الطريق الذي جاء منه تقريباً ، اي انه سار بمحاذاة الضفة اليسرى للفرات ثم الى أعلى الخابور ومن هناك عبر الى محل سكناه في ( كلخ ) .

### تفاصيل محلة آشور ناصربال الثانية

وقبل ان يصل آشور ناصربال الى وطنه تسلّم تقريراً مفاده ان الأهليين في بلاد لقي وسوخي قد ثاروا عليه وعبروا الفرات . وعليه ان يتحرك ينازلتهم ولعل ذلك كان في عام ٨٧٧ ق . م . (الحوليات) [ رولنسن ، المرجع السابق ،

المجلد ١ ، اللوحة ٢٤ ] ، العمود ٣ : السطور ٢٧ - ٥٠ ؛ بج وكنك ، المرجع السابق ، ص ص ٣٥٣ - ٣٦١ ) . وتقدم في بادئ الأمر الى بلدة سوري في بيت خلوبه حيث امر بصنع اكلاك من الخشب والقرب المنفوخة . وحتى قبل انجاز هذه الاكلاك سار الى مضايق الفرات (خنقي) ، واستولى على بعض المدن التابعة للرئيسين (خنقي - ايلو) و(ازي - لياو) من بلاد لقي واسر اهليها وقتل بعضاً منهم ، وحمل معه غنائم كثيرة . ثم احرق المدن وهدمها . ولدى عودته عبر الخابور عند مصبه وسار خلال بلاد سوخي حتى بلدة ( صباة ) محرقاً ومدمراً المدن في اراضي لقي وسوخي . وقتل ايضاً ٤٧٠ محارباً وامر بموت عشرين على الخازوق . ثم عبر الى الضفة اليمنى لنهر الفرات على الاكلاك المصنوعة من الخشب والقرب المنفوخة عند بلدة خريديو حيث التقى بجيوش لقي وسوخي وبلدة خندانو المتحالفة الذي بلغ تعدادهم ستة آلاف رجل بين راكب عربية وراجل . هزمهم الملك العظيم وحطم عرباتهم ؛ وذبح خمساً وستين مائة (كذا) من محاربيهم ، وهلك الباقون عطشاً في صحراء الفرات . ومن بلدة خريديو في بلاد سوخي وحتى بلدة ( كيينا ) استولى على البلدان الواقعة على الضفة اليمنى التابعة الى مملكة خندانو والتابعة الى سكان لقي الآخرين ، فنهب هذه المدن وهدمها واحرقها .

اما أزي -- ايلو من ارض لقي فانه تحصن في بلدة كيينا ولكنه فرّ عندما لم يعد قادراً على حماية نفسه ؛ فقتل الف من محاربيه وحطم الكثير من عرباته وأسرت آلمته . والتجأ أزي -- ايلو الى سلسلة (بيسورو) الجرداء على الفرات ، فحاربه الملك العظيم مدة يومين وقتل الكثير من رجاله ، ومن ثم وصل في مطارده له الى بادتي (دميتة) و(أسمو) التابعتين الى شعب أديني . فاستولى عليهما ايضاً وقام بنهبهما وهدمها وحرقهما . ولم يفقد أزي -- ايلو ابقاره فحسب بل خسر ايضاً اغنامه التي أخذها

الملك العظيم على انها غنائم حرب .  
كذلك وقع في الأسر في ذلك الوقت (ايلا) من ارض لقي مع عرباته  
وخمسائة محارب .  
وصل الملك العظيم الى مضايق الفرات حيث أنهى حملته . وذهب  
أزي - إيلو امامه . وخرصر خمتي - أيلو من أرض لقي في بلدته والتمس  
الرحمة . فأخذ الملك جميع ما كان في قصره من فضة وذهب  
ورصاص ونحاس واواني نحاسية ومنسوجات ملونة ؛ وزاد الضريبة  
عليه . ثم اسس بلديتين على الفرات وسمّى البلدة على الضفة اليسرى  
(كار - آشور ناصريال، كما سمّى تلك التي تقع على الضفة اليمنى  
(نيبرتي - آشور) .

### اعادة هيكلة حملة آشور ناصريال الثانية

من المحتمل ان القوارب التي صنعت في سوري (الصوار)  
كانت ارمائاً مشدودة الى جلود الماعز المنفوخة . ولعل الجلود كانت تؤخذ  
من الحضرة والباوعلى السواء . وأما الخشب فيؤخذ من اشجار الحور والظرفاء  
التي لاتزال تنمو بكثرة على الخابور وعلى الفرات ايضاً . ومن هذه الاشجار  
بُنيت قوارب ايضاً للامبراطور الروماني سبتيميوس سيفروس عام ١٩٨ م  
( كما سيوس ديو . التاريخ . ج ٧٥ ص ٢ وما بعدها ) .

لم ينتظر آشور ناصريال ، في سوري حتى الانتهاء من صنع القوارب ،  
بل استمر في فتح المدن على الضفة اليسرى من الفرات العائدة الى الرئيسين  
خنثي - إيلو وأزي - إيلو . وربما كان إزي - إيلو هو الوالي الذي كان  
الملك قد عيّنه بعد ارتقائه العرش بزمن يسير . وصل الملك العظيم الى مضايق  
الفرات ، اي الى زليبة الحديثة حيث يترك مجرى الفرات المضايق على بعد  
خمسة وسبعين كيلو متراً شمال غربي مصب الخابور . ومن المحتمل ان

كانت في ذلك الموضع أقوى مدن الرئيس خنتي - إيلو ، ولم يحاول الملك العظيم حصارها في هذا الوقت .

وبعد عودة آشور ناصريال من هذه الغارة الى تقاطع الخابور مع الفرات سار بحذاء الضفة اليسرى للفرات باتجاه جنوبي شرقي ، مهدماً بلدة بعد أخرى الى ان وصل أخيراً الى بلدة صباتة . وتقع هذه دون شك جنوب شرقي خريدو او حتى جنوب شرقي حصن سورو وإلا لما صح ان يكون الملك قد أخضع ارض سوخي بأكملها . ولا يُعيننا التقرير الموجز كثيراً في التحديد الدقيق لموقع صباتة ، الا انني أظنه مطابقاً مع البلدة الجزرية (سبيريته) الوارد ذكرها في سجلات حماة الملك توكولتي انورتا الثاني . فبدلاً من (قو - را - صي - تي) الصحيحة تكتب أحياناً قو - صي - تي (اسطوانة رسام) [رولنسن ، المرجع السابق ، المجلد ٥ ، الجزء ١ ، اللوحات ١ - ١٠] العمود ٨ ، السطر ١٢١ ؛ لوحة المتحف البريطاني ك ٢٨٠٢ [رولنسن ، المرجع السابق ، المجلد ٣ ، اللوحتان ٣٥ و ٣٦ ، العمود ٦ ، السطر ٤١ ؛ سترك ، آشور بانبال [١٩١٦] ، المجلد ٢٠ ، ص ٧٣ و ٢٠٦] . وعلى هذا القياس يمكننا الافتراض ان صباتة تمثل سبريته الصحيحة التي طابقتها مع جزيرة السواري الحديثة على بعد عشرين كيلو متراً جنوب شرقي جزيرة تلبس الصغيرة . وبالطبع فان سبريته مكتوبة بحرف السين اما صباتة فبحرف الصاد . وعلى كل حال لم يفرق الآشوريون بكل وضوح بين صوت الصاد والسين في الأسماء الاجنبية ؛ فعلى سبيل المثال ان السين الآشورية كما في سوري قد تدل على كلا الحرفين الصاد العربية كما في صوار ، او السين العربية كما في سور .

ولم يستطيع آشور ناصريال الماضي أبعد من ذلك الى الجنوب الشرقي لأنه كان سيأتيه بالجيش البابلي بينما كان العصاة يتجمعون خلفه في خريدو . فعندما استدار للملاقاة العصاة عبر الفرات في خريدو (الدينية) ودحر القوات

ومن خريدو التي كانت لاتزال في سوحى نهب الملك أولاً البلدان المعتمدة على خندانو ومن ثم قرى سكان لقمي ؛ واخيراً وصل الى بلدة كيينا حيث التجأ أزي -- إيلو الوالي الخائن من لقي . ولا بد ان يكون أزي -- إيلو حاكماً إقطاعياً لا يقيم في حصن سوري ( الصوار ) المهدم في بيت خدبة بل في مملكته الخاصة التي ابعث عنها بعداء ضفتي الفرات شمال غربي مصب الخابور . لقد انتهت البلدان الواقعة على الضفة اليسرى للفرات اثناء الزحف من سوري ( الصوار ) الى مضايق الفرات . بينما قاست البلدان الواقعة على الضفة اليمنى المصير نفسه بعد الهزيمة في خريدو . ويغل السجل الآشوري الاشارة الى ما اذا استولى الملك العظيم ايضاً على بلدة كيينا ودمرها . وهذه قرينة توصلنا الى الاستنتاج ان أزي -- إيلو هُزم بالقرب من هذه البلدة وليس بداخلها فعلاً . وتفقر مع ما تبقى من جيشه الى سلسلة جبال بيسورو الواقعة على الفرات . ويشهد مجرى الأحداث بكامله على ان هذه السلسلة هي سلسلة البشري التي ذكرها تكلات بيليسر الأول ( الكتابة على الاسطوانة ) [ رولنسن ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، اللوحة ١٣ ] العمود ٥ : السطر ٥٩ ؛ بيج وكتك ، الحوليات : ص ٧٤ ) . دافع أزي -- إيلو عن نفسه في الجبال مدة يومين ولكنه بعد فقدته اعداداً كبيرة من اتباعه المخلصين اضطر الى الهرب ثانية . ويبدو من هذا ان بلدة كيينا يجب ان يُبحث عنها بالقرب من سلسلة البشري ؛ ولعلها قرب دبر الزور الحالية .

وعند وصول الملك العظيم الى السفح الشمالي لسلسلة البشري قام بتعقيب  
الوالي أزي - إيلو حتى قرىتي دميثا وأسمو الواقعتين في ارض بيت - اديني

ومن ثم الى ما وراء القرية بالنسبة الحديثة . ( فورر ) ، ( في تقسيمات المنطقة الادارية [ ١٩٢١ ] ، ص ٢٦ ، الملاحظتان ٣ و ٤ ) يحدد موقع دميثا في جنوب غربي دير الزور . وأسمو مقابل مصب البليخ ، الا ان هذا لا يتفق مع التقرير الآشوري . نهب الملك العظيم كلستا هاتين البلدتين الواقعيتين على الحدود الجنوبية لبيت - إديني . بعد ذلك عبر الى الضفة اليسرى لنهر الفرات وعاد باتجاه الجنوب الشرقي ونهب في طريقه قرى ( إيسلا ) وملك لقي الذي ربما كانت تعود له كلتا ضفتي الفرات غرب ملتقى نهر البليخ . وعلى حدود هذه المملكة على الضفة اليسرى فسي ضواحي خرائب زابيه الحالية تقع المملكة التابعة للملك ( خمني - إيلو ) التي نهب الملك العظيم قراها الشرقية في غارته من سورو ونهب قراها الغربية في عودته من بيت - إديني . ولما لم يكن خمني - إيلو قادراً على المقاومة اضطر الى الخضوع ودفع ضريبة كبيرة .

ولا يسمى آشورنا مرمبال سكان ضواحي البشري بالأخلامه كما يدعوههم تكلات بيليسر الأول برغم انه غالباً ما يستعمل هذا التعبير عند ذكر الفلاحين الآراميين ( الكتابة على المسلة ) [ رولنسن : المصدر السابق ، المجلد ٣ ، الروحة ٦ ] الوجه المقابل ، السطر ٤ ؛ بنج وكنك : المصدر السابق ، ص ٢٤٠ . فهو غالباً ما يفاخر أنه أخضع . جميع لقي وسوخي وكذلك بلدة ربيقي (الروحة الجيرية) [ المتحف البريطاني رقم ٩٨٦ ، ٩٢ ] ، الوجه الأمامي ، السطران ٨ و ٨ ؛ الكتابة القياسية [ لا يارد ، كتابات . اللوحة ١ ] ، السطر ٨ ، الخوليات [ رولنسن . المصدر السابق ، المجلد ١ ، اللوحات ١٧ وما بعد ] ، العمود ٢ . السطر ١٢٨ ؛ بنج وكنك ، المصدر السابق ، ص ١٦٣ و ٢١٦ و ٣٤٤ ) . ولما كانت ربيقي ودور كوريكا لزي حصنين على حدود بلاد آشور فلا بد ان كانت ربيقي واقعة على الحدود

الجنوبية الشرقية لأرض سوخي التي يجب ان تكون قد امتدت آنذاك الى ما بعد  
بلدة الرمادي الحديثة وربما وصلت الى خرائب الرخاية جنوباً وإلى صخور  
العربي شمالاً .

وتسلم شلمنصر الثالث ( ٨٥٩ - ٨٢٤ ق . م . ) ما يستحقه من مردك  
-- ابلو -- اوصور من اراضي سوخي من فضة وذهب وعاج ومنسوجات  
ماوثة ( الكتابة البارزة على المسلة [ لا يارد ، المصدر السابق ، اللوحة ٩٨ ] ،  
الرقم ٤ ؛ فينكلر في : شريدر . مكتبة الكتابات المسمارية [ ١٨٨٩ :  
-- ١٩٠٠ ] . المجلد ١ . ص ١٥١ ) . ومن المحتمل ان قام بحملة الى  
اراضي سوخي في عام ٨٣٨ ( فورر . الماونة [ ١٩١٥ ، ص ١٠١ ) .

### اقلیم رصیا

وفي عهد شمشي -- ادد السابع ( ٨٢٤ - ٨١١ ق . م . ) كانت اراضي  
سوخي تابعة للإمبراطورية ( نقش على مسلة ) [ رولنسن ، المصدر السابق ،  
المجلد ١ . اللوحة ٢٩ ] ، العمود ١ ، السطر ١٣ ، آبل في : شريدر ،  
المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ١٧٩ ) لأنها تحولت مع لقي الى إقليم آشوري  
وأقام المحاكم الآشوري ( سكنو بي رصيا . وتُخبرنا بلاتة حجرية  
للمحاكم ( اور يكالو -- إريش ) المؤرخة في ٨٠٥ كيف تم تقسيم  
هذا الاقليم الى ابن امتدت حدوده ( نحت بارز على بلاتة حجرية من  
عهد ( ادد نيراري الرابع ) [ اونكر . نحت بارز على بلاتة حجرية من  
عهد ادد نيراري الثالث ، اللوحة ٢ ] الاسطر ٢٣ - ٢٥ ؛ اونكر ،  
المصدر السابق ، الصفحتان ١٠ و ١٢ ) . وتألف من المناطق الادارية  
الثلاثة : مدن نيميت -- إشتار وابكو وماري ؛ اراضي رصايي وقتني ؛  
وبلدة دور كرباتي ، مقابل بلدة كار -- اشور ناصر بال ؛ بلدة سبرقو ؛  
اراضي لقي وخندانو ؛ بلدة آتات ؛ اراضي سوخي ؛ وبلدة الشور -- إصبات .

ان المقاطعات المشار إليها هنا تظهر ان مناطق الخابور الأسفل والفرات الأوسط كانت جزءاً من إقليم رَصَبًا . وتقع قنني على الخابور بالقرب من تل جلال الحديث ، نحو مائة وخمسة كيلومترات من ملتقى النهرين . وكانت كار - اشور ناصربال التي بناها اشور ناصربال في حملته لعام ٨٧٧ (انظر ماسبق ، ص ٢٢ ) تقع على الضفة اليسرى للفرات . وكانت تقابلها على الضفة اليمنى دور كرباتي . وبما ان كار - اشور ناصربال تقع في سلسلة البشري غرب مصب الخابور ، فعليه يمكننا مطابقتها مع زلية الحالية ، ودور كرباتي مع حلبية . ان موضعيهما على جانب كبير من الأهمية ، لأنهما لا يتحكمان في الاراضي وحدها بل وبالطرق المائية ايضا . ومن الممكن ان دور كرباتي كان الاسم الاصلي للبلدة التي سمّاها آشور ناصربال باسم نبرتي - آشور مع ان هذا غير مؤكد لأننا نتوقع من الحاكم الآشوري ان يكتب على بلاطته الحجرية الاسم الرسمي وليس الاسم الاصلي . ولعل سبرقو ، كما رأينا ، إما تطابق الميادين او القرية الحديثة او العشارة . وكانت ارض لقي جوار سورو (الصوار الحالية) . وهو الحصن الرئيس في لقي سابقاً . وكانت مملكة خندانو تشمل البلاد التي تقع حول الشيخ جابر اليوم . اما بلدة آتات فهي التي أصبحت في العصر الوسيط عانة وعانة الحديثة . وكانت اراضي سوخي جـ - - - - - سور الحديثة ) ، الحصن الرئيس لسوخي - القديمة . ولم يكن اسم الشور - إصابات أصلياً ؛ وكانت هذه البلدة تقع في موضع أبعد الى الجنوب الشرقي من السهل الفيضي الخصب . شمال غربي زيبقي ( الرخاية ) ، التي أُشِّرت حدود اراضي سوخي .

ويمكن البحث عن تيميت - - - - - إشتار وابكو وفري في موقع بالس الحديثة وبني ذلك الموقع وسلسلة البشري ؛ ، بما ان لقي القديمة امتدت على العجبة الغربية حتى بالس فيكون من الغريب حقاً الا يكون هناك في الجزء الممتد من البشري الى بالس بكامله منطقة ادارية منظمة واحدة . فبين البشري وبالس



تمتد ثلاثة سهول فيضية كبيرة الى حد ما احدها قرب بالس والثاني قرب ابو هريرة والثالث قرب الرقة . لانني اعتبر بالس العلامة المؤشرة الى موضع نيميت -- إشتار وابو هريرة العلامة المؤشرة الى أبكو والرقة الى مري . وبما لا شك فيه ان نيميت - إشتار كان يسميها السكان الاصليون تسمية مختلفة ، على ان أبكو ومري كانتا تسميتين اصليتين . ولم اجد بعد تسمية حديثة لاسم أبكو ، ولكن اسم مري بقي محفوظاً في اسم قناة مري التي كانت تُسقى منها اراضي بلدة كالينيكوس (الرقة الحديثة) ؛ ومن ثم قد تكون مري أو هي الاسم الأصلي للمدينة التي بنى عليها سيلوقس نيكاتور المستعمرة اليونانية نيقفوريم والتي أُطلق عليها فيما بعد كالينيكوس ( انظر الملحق الحادي عشر ) .

واحاطت اراضي رصبي بعاصمة إقليم رَصَبَّا الذي امتد ، كما رأينا آنفاً ، من نيميت -- إشتار ( بالس ) في الشمال الغربي الى الشور -- إصابات في المنطقة المجاورة للرمادي الحديثة الواقعة على الجهة الجنوبية الشرقية ؛ كما امتدت شمالاً لتشمل ارض قطني في ضواحي جلال الحديثة .

ويضع اميل فورر ( تقسيمات الاقليم الادارية [ ١٩٢١ ] ص ١٥ ) رَصَبَّا الآشورية على سلسلة سنجار الجبلية ويجعلها مطابقة لبلد سنجار ، اي سنجارة الرومانية . ولكن يبدو لي ان هذا يتعارض مع السجلات الموجودة كما يتعارض مع موقع بلد سنجار ذاته . فجميع المناطق الادارية مدار البحث يمكن العثور عليها على الخابو والأسفل والفرات الأوسط ، وبقيت بلدة رَصَبَّا محفوظة في اسم الرصافة ، وذلك بلا ريب بالنظر الى أهمية موقعها التجاري . وتقع بلد سنجار على بعد مائة كيلومتر فقط غرب العاصمة العظمى نينوى وان الآشوريين كانوا يسيطرون على الطرق المؤدية اليها منذ زمن سحيق . ولذا يصعب ان نفهم كيف يستطيع حاكم آشوري مقيم في سنجار ان يحكم ويدير اراضي تبعدا كثير من ثلثمائة وخمسين كيلومتراً من محل اقامته وتفصله عنها صحراء .

## السجلات الاشورية والكلدانية المتأخرة

ومن نهاية القرن الثامن لم يصل إلينا إلا القليل من السجلات وهي مؤرخة بالمدة التي قضاها حاكم سونخي ومري بوظيفته . وكان اسمه شمش - ريش - اوصور ( الكتابة البارزة رقم ٢ ) [ قايسباخ ، متفرقات بابلية ، اللوحات ٢ - ٥ ] ، العمود ( ١٩٠٣ ) ٢ ، السطور ٢٧ - ٤١ ؛ الاعمدة ٣ - ٥ ؛ قايسباخ المرجع السابق ، الصفحات ٩ - ١١ ؛ بايزر ، علم الآثار الشرقية - [ ١٩٠١ ] ، ١٤٤ وما بعدها ) . ونعلم من هذه السجلات انه بعد ان انطمرت القناة القديمة في سونخي بفعل الترسبات الطينية أمر شمش - ريش - اوصور بحفر قناة جديدة عرضها اثنان وعشرون ذراعاً وطولها ألف قصبة . وكانت صالحة للملاحة وتصب ثانية في الفرات في موضع يسمى اي - سال - . وبأمر الحاكم زرعت الاشجار على ضفتي القناة لتوفير الخشب اللازم لصناعة قوارب العبور . وبلغ نمو هذه الاشجار حداً عاق الوصول الى قصيرة . وكان على الناس ان يحفروا قناة من بلدة خارزة وحتى بلدة لباني . وكان لشمش - ريش - اوصور قصر في بلدة ريبانيش . وكان في الامكان ارواء حدائق هذا القصر من القناة الجديدة ، واوز الحاكم بزرع اشجار النخيل فيه تشبه تلك المزروعة في الحدائق الواسعة في القصور المشيدة في را - ايلو وكارنابو وإيادورو و او كلاي . كذلك بلدة جديدة سمّاها كباري - كاك وامر ببناء معبد للأله اداد وابنه شالا فيها . وذات مرة عندما كان شمش - ريش - اوصور مقيماً في بلدة بقا قام اربعمائة محارب من قبيلة نو مانو بمهاجمة ريبانيش وحال استلامه تقريراً عن هذا بادر بعبور الفرات ولحق بالقبيلة التي كانت قد وصلت الى حقول ارداتو فذبح ثلاثمائة وخمسين منهم وأخذ الباقيين اسرى . - وليس في الامكان تثبيت موضع القناة في سونخي ولا مواضع المدن التي احتفظت لنا السجلات باسمائها باي درجة من الدقة . فاذا كان النصف الأعلى

من سونخي القديمة يدعى لقي حتى نهاية القرن الثامن فعلىنا تحديد موضع قناة سونخي الى الجنوب الشرقي من صخور العقبة والأسود فقط، وهو الموضع الذي يندمج فيه سهل الفرات الفيضي مع سهل بابل الغربي . ومن المحتمل ان بلاد لقي ( او مري ) امتدت باتجاه الجنوب الشرقي حتى صخور العرصي وبادة ابو جمال الحديثة . وأسفل من هذا الموضع في المنطقة التي كانت ذات يوم بلاد سونخي لا يوجد امتداد لسهل فيضي فيه من طول ما يجعل حفر قناة اروائية باهظة التكاليف عملاً مربحاً . ولا يأخذ السهل الفيضي بالانتساع عرضاً الا بعد ان نصل الى جنوب شرقي العقبة . وبما يلتفت نظرنا ان في النصف الجنوبي من بلاد سونخي أشجار النخيل التي سبق ان زرعها شمش - ريش - اصور في اماكن متعددة . ان اقصى موضع شمالي قد تنمو فيه اشجار النخيل بصورة مربحة في وادي الفرات هو عانة . وتهب الرياح الجنوبية الشرقية الحارة دون عائق الى أعلى الوادي حتى هذه البلدة وجزيرة الكرابلة الصغيرة ؛ الا انه أبعد من هذا الموضع شمالاً يستدير الوادي فجأة الى الغرب كلما صعدنا في النهر ويقطع تسرب الهواء الأدفأ القادم من الجنوب الشرقي .

ان الاسم بقعة، وهو اسم البلدة التي كان شمش -- ريش -- او صور يقيم فيها عند قيام جنود تومانو بغزوة على ريبانيش، يوحى ببلدة بقعة التي يحدد الكتاب العرب موقعها جنوب غربي هيت والتي اراها تطابق قرية البق الصغيرة جنوب غربي المدينة المذكورة اخيراً . وبما ان البقعة تقع على الضفة اليسرى وان الحاكم اضطر الى عبور الفرات عندما اراد ملاحقة الغزاة فيمكن الاستنتاج ان بلدة ريبانيش كانت تقع عن الضفة اليمنى، وان القناة الجديدة بدأت عند صخرة العقبة وامتدت الى موقع الرمادي الحالية .

وبما انني احدد موقع بلدة ريبقي الواقعة على حدود بلاد سونخي إما في بلدة الرمادي الحديثة او في خرائب الرحاية التي تبعد مسافة ثمانية عشر كيلومتراً جنوب شرقي الرمادي فانه ينبغي البحث عن بلدة ريبانيش بين

## الرمادي والعقبة .

وفي أثناء الصراعات النهائية بين الآشوريين والبابليين دخلت جيوش كلا البلدين منطقة الفرات الأوسط . ففي عام ٦١٦ ق . م احتل ملك بلاد بابل نبوبولصّر سوشي وخندانو دونيّة مقاومة تذكر ؛ إلا أنه اضطر بعد ثلاثة أشهر للدفاع عن هذه المناطق ضد جيش آشوري انطلق من قاعدة في مدينة قبلينو، فقهر الآشوريين واحتل المدينة وأرسل مفرزة من جيشه ضد مدن ماني (أو ماري) وساخيرو وبالنحو وعاد بغنائم جسيمة . وعندما زحف عائداً إلى بابل أخذ معه كثيراً من سكان مدينة خندانو وألهتها . وفي تلك الأثناء عقد الآشوريون حلفاً مع مصر واتخذت الجيوش المتحدة معسكراً لها في قبلينو . فهزّع نبوبولصّر لملاقاتهم إلا أنه لم ينشب قتال بينهما ، وبذل الأهلون في سوشي جهداً لاستعادة استقلالهم . وتوقفت هذه المحاولات عام ٦١٣ عندما قام نبوبولصّر بهجوم عن رخیلو وهي مدينة تقع أواسط الفرات . فسقطت المدينة في اليوم ذاته . ثم ضرب مخيماً مقابل مدينة افاتو، وقدّم من جهة الغرب ادوات الحصار إلى مقربة من سور المدينة، وقام بهجوم عليها إلا أنه لم يستولِ عليها إذ أقبل الملك الآشوري وأجبره على التراجع ( المتحف البريطاني ، اللوحة ٢١٩٠١ ، الاسطر ١ - ١١ و ٣١ - ٣٧ ؛ منشورة ومترجمة في كاد (سقوط نينوى [ ١٩٢٣ ] ، ص ص ٣١ - ٣٤ ) .

يذكر نبوخذ نبصر ( ٦٠٤ - ٥٦١ ) أنه من بين الهدايا المقدمة إلى الإله مردوخ نبذ من سلسلة جبال نحي - إل لي بو - نم وسولي أو - خالي ام ( كتابة كروتفند ) [ رولنسن ، المصير السابق ، المجلد ١ ، اللوحتان ٦٥ و ٦٦ ] العمود ١ ، السطران ٢٣ - ٢٤ ، الكتابة من وادي بريس [ فايسباخ ، كتابات نبوخذ نصر الثاني المنقوشة ( ١٩٠٦ ) ، اللوحة ١٢ ] ، العمود ٤ ، الاسطر ٥٠ - ٥٢ ؛ لانكدن كتابات الأبنية [ ١٩٠٥ ] ص ٨٢ و ١٥٨ ؛ فايسباخ ، المصير السابق ، ص ١٧ ؛ فينكلر في شريدر ، مكتبة الكتابات

المسمارية [ ١٨٨٩ - ١٩٠٠ ] ، المجلد ٣ ، ص ٣٣ ) .  
وتتطابق نحي - ال - بو - نم مع الارض البركانية حول حلبان شمال شرقي  
حماء اما سو - او - خا - ام فهي بلاد سونخي الواقعة على الفرات الاوسط  
حيث يُشيد المؤلفون العرب في اغانيهم واشعارهم بالنبيذ المصنوع في  
ضواحي عانة .

\* \* \*

## الملحق الثاني

### زنيوفون على الفرات الاوسط

ومن قدامى المؤلفين الكلاسيين يُقدم زنيوفون ( زينوفون ) وايسيدور الكرخي واميانوس مارسيلينوس وزوسيموس أكثر البيانات تفصيلاً عن الضفة اليسرى للفرات الأوسط .

#### وصف زنيوفون لطريق العشرة آلاف

يصف زنيوفون ( انابسيس ، ج ١ ، ص ٤ : ٦ - ١٠ : زحف المرتفعة الاغريق بقيادة قورش ، ابن دارا الثاني ، ضد أخيه ارتاكسيركيس الثاني مخترباً شمال سوريا وبحذاء الضفة اليسرى للفرات الاوسط في ربيع عام ٤٠١ ق . م . فمن ميرياندروس وهي مدينة يقطنها الفنيقيون وبعد اربع مسيرات ( اي عشرين فرسخاً ) وصل قورش نهر خالوس . وهو نهر عرضه بلثم (١) واحد وممتلئ بسمك كبير أليف . ومن هنا اندفع في خمس مسيرات ( ثلاثين فرسخاً ) الى منابع نهر دردس وعرضه بلثم واحد ايضاً . وهناك وسط حديقة فسيحة رائعة ازدهرت فيها فواكه جميع الفصول قام قصر بليسييس حاكم سررية . فأمر قورش باتلاف الحديقة وحرق القصر .

ومن دردس وصل في ثلاث مسيرات ( خمسة عشر فرسخاً ) ( المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٤ : ١١ ) نهر الفرات الذي كان عرضه اربعة ستادات (٢) وتقع بجانبه مدينة ثيساكوس الكبيرة العامرة ، ثم عبر قورش النهر وحذا حذوه الجيش بأسره . ولم يصل منسوب المساء الى صدر اي منهم .

- 
- (١) بلثم : وحدة قياس تساوي ١.٠١ قدم اغريقي اي نحو ٣٠ متراً . (المترجم)  
 (٢) ستاد : وحدة قياس تساوي ١٨٠ ميل انكليزي او ٦٠٠ قدم اغريقي . (المترجم)

واكد سكان ثيساكوس انه ما من احد قط عبر النهر مشياً على الأقدام ، وانما كانوا يعبرونه دائماً بالقوارب وهذه كانت قد أحرقَت مؤخراً بأمر من ابروكوماس . قائد ارتاكسيركيس للحيلولة دون عبور قورش عليها . وبعد تسع مسيرات ( خمسين فرسخاً ) وصل الجيش الى نهر اراكسيس حيث وجدوا قرى متعددة وتجهيزات وفيرة من النيذ والقمح (المرجع نفسه ١ ، ٤ : ١٩ ) .

واصل قورش تقدمه خلال بلاد العرب على الجهة اليسرى من الفرات وقطع خمسة وثلاثين فرسخاً في خمس مسيرات خلال منطقة مقفرة . وكانت المنطقة التي اخترقها مستوية كسطح البحر ومغطاة بغطاء كثيف من الاعشاب ( نباتات الافستين ، . ولم يكن ثمة اشجار في اي مكان ولكن بدلاً من ذلك كثرت فيسها الحيوانات وخاصة الحمر الوحشية والنعام وكذلك الحبارى والغزلان . وكان يمكن صيد الحبارى بسهولة عند مطاردتها بسرعة وذلك لانها لا تستطيع الطيران بعداً وتتعب بسرعة . وكان مذاق لحمها طيباً . وبعد اجتياز قورش هذه المنطقة وصل الى نهر مسكاس وعرضه بلثرم واحد ويجري حول مدينة كورسوته المخربة من جميع اطرافها ( المصدر نفسه ١ ، ٥ : ١ - ٤٠ ) .

واخترقت المسيرات الثلاث عشرة التالية ( تسعون فرسخاً ) مناطق موحشة على الجهة اليسرى للفرات حتى بلایه حيث هلك الكثير من الحيوانات المسخرة جوعاً ، لان الارض كلها على مسافة كبيرة كانت جرداء ليس فيها عشب ولا احراش . وفي الغالب كانت المسيرات صعبة خاصة عندما كان الجيش يريد الوصول الى ماء او مرعى . وغطست العربات مرة في مستنقع منخفض ولم تستطع التقدم ابعد من ذلك ... وعلى الجهة الاخرى من الفرات ( المصدر نفسه ١ ، ٥ : ٥ - ١٠ ) في اتجاه الصحراء تقع بلدة خرمنابي المزدهرة . . . وعندما تقدموا بالسير وجدوا آثار ما يقارب من ألفي حصان

كان راكبوها يتقدمون الجيش يدمرون ويحرقون كل شيء في طريقهم  
(المصدر نفسه ، ١ ، ٦ : ١) .

ومن بلاية اندفع قورش بثلاث مسيرات ( ١٢ فرسخاً ) داخل بلاد بابل  
وفتح في منتصف ليلة اليوم الثالث كلا قواته من اليونانيين ومن الأجانب غير  
اليونانيين في احد السهول ( المصدر نفسه ، ١ ، ٧ : ١ ) . ثم تقدم مسيرة يوم  
واحد ( ثلاثة فراسخ ) بتشكيل قتالي ظناً منه ان الملك العظيم سيشتبك معه في  
في معركة في ذلك اليوم لانه وجد في منتصف مسيرته خندقاً بعمق ثلاث  
قامات وعرض خمس قامات حفرها الملك العظيم لتكون خطاً دفاعياً ضد الغزاة  
وتمتد عبر السهل مسافة اثني عشر فرسخاً حتى السور الميدي  
( ويضيف تعليق هنا انه وجد في المنطقة ذاتها اربع قنوات اخرى آخذ من  
نهر دجلة . وكانت هذه بعرض بلثرم واحد وبعمق يكفي لمروء سفن محملة  
بالقمح وكانت تصب بالفرات ، وبين الواحدة والاخرى فرسخ واحد ويمكن  
عبورها بجسور ) . وعلى ضفة الفرات بين النهر والخندق الذي امر الملك بحفره  
يوجد ممر ضيق قرابة عشرين قدماً عرضاً . وقد عبر قورش خلال هذه الفتحة  
الضيقة وهكذا خلف الخندق وراءه . ولما لم يواجهوا اية مقاومة ظن الملك  
وظن الآخرون معه انه ليس في نية الملك العظيم محاربتهم بعد وعليه تقدموا  
في اليوم التالي ( الخامس منذ مغادرة بلايه ) بحذر أقل ( نفس المصدر ١ ،  
٧ : ١٤ - ١٩ ) .

وفي اليوم الثالث ( من زحفهم في تشكيل قتالي ؛ السادس من بلايه )  
تقدم قورش في عربة ومعه عدد قليل من الجنود على استعداد للقتال ، بينما  
سار الجزء الأعظم من جيشه دون اي تشكيل منظم . . . ( المصدر نفسه ١ ،  
٧ : ٢٠ ) . وكانت الشمس قد ارتفعت في السماء ولم يكن الموضع المقصود  
لضرب خيامهم بعيداً عندما اعلن بانتجياس الفارسي فجأة ان الملك العظيم  
يقرب مع جيش كبير في تشكيل قتالي . . . فقفز قورش من العربة



وامر الجميع بالتسلح وبأخذ مواضعهم . وتمّ ذلك بسرعة كبيرة .  
 وضع كليرخوس جناحه الأيمن بحيث يكون الفرات في مؤخرته . . .  
 ( المصدر نفسه ١ ، ٨ : ٤-١ ) . وكان النهار قد انتصف ولم يظهر  
 العدو بعد . ولكن لاحت بها . الظهر غمامة من غبار ابيض . . .  
 ( المصدر نفسه ١ ، ٨ : ٨ ) وتبع ذلك معركة سقط فيها قورش قتيلاً  
 ( المصدر نفسه ١ ، ٨ : ٢٧ ) . ولم يشأ كليرخوس مع جنوده  
 الاغريق سحب الجناح الأيمن من النهر ، الا ان اريوس  
 مع قطعاته من البرابرة على الجناح الايسر لم يستطع مقاومة الفرس وهرب  
 مخترقاً المخيم الى الموضع الذي كانوا قد زحفوا منه في الصباح . ويقال ان  
 هذا كان على بعد اربعة فراسخ ( المصدر نفسه ١ ، ١٠ : ١ ) . واثناء  
 مطاردة اريوس قام الملك العظيم بنهب المخيم ( الموضع نفسه ) ثم استدار  
 لمحاربة جنود كليرخوس الاغريق . . . الا ان الجنود البرابرة بدأوا بالهرب . . .  
 ولاحقهم الجنود الاغريق حتى بعص القرى . فتوقفوا هناك لانه  
 تراعت لهم وراء البلدة آفة تجتمع فوقها ثمانية فرسان ملكيون . . .  
 ( المصدر نفسه ١ ، ١٠ : ٤-١٢ ) . فعندما تقدم الاغريق ترك الفرسان  
 الآفة . . . تلك الآفة التي عند أسفلها توقف كليرخوس مع رجاله قبيل  
 غروب الشمس . بعد ذلك عاد الى المخيم المستباح حيث قضى الليلة  
 بأكملها واليوم الذي تلاها ( المصدر نفسه ١ ، ١٠ : ١٧-١٩ ؛ ٢ : ٢ ) .  
 وعندما اقترب المساء بدأ الاغريق بقيادة كليرخوس بالانسحاب ووصلوا  
 في منتصف الليل الى ارض مخيمهم الأسبق حيث التقوا بأريوس ( المصدر  
 نفسه ٢ ، ٨ : ٢ ) . وفي الفجر انطلقوا ثانية بحيث كانت الشمس على  
 يمينهم ظناً منهم انه بحلول غروب الشمس سيصلون الى قرى بلاد بابل .  
 وبعد الظهر ظن نفر قليل منهم انهم رأوا فرسان العدو في الافق البعيد . . .  
 الا ان هذا لم يحمل كليرخوس على الانحراف عن طريقه . . . ؛ انه اتبع

طريقاً مستقيماً في تقدمه حتى وصل الى القرى الاولى وقت الغروب تماماً مع حرس المقدمة (المصدر نفسه ، ٢ ، ٢ : ١٣ - ١٦) . وفي الصباح المبكر من اليوم التالي امر كليرخوس جنوده الاغريق بمواصلة الزحف في تشكيل قتالي . . . (المصدر نفسه ، ٢ ، ٢ : ١٨ - ٢١) . وفي اليوم التالي بعد شروق الشمس أقبل رسل الملك يعرضون الهدنة . وبعد فترة اعلن كليرخوس انه يوافق على الهدنة الا انه طلب ان يُدَلَّ على مكان يستطيع الحصول فيه على مؤن (المصدر نفسه ، ٢ ، ٣ : ١ - ٥) . وعندما تم له ما اراد خرج كليرخوس لعقد الهدنة . فتقدم الجيش بتشكيل قتالي بينما تولى هو حماية حرس المؤخرة . وضع الاغريق اشجار النخيل المقطوعة سابقاً والمحفوطة هناك او التي كان لابد من قطعها على الترع العديدة وعلى القنوات المملوءة بالماء التي كان متعلراً عبورها دون جسور . وبهذه الطريقة وصلوا الى القرى حيث قدم لهم رؤسائها الطعام (المصدر نفسه ، ٢ ، ٣ : ١٠ - ١٤) وبعد توقفهم مدة ثلاثة ايام زارهم تيسافيرنس (المراجع نفسه ، ٢ ، ٣ : ١٧) الذي كان الملك العظيم قد أرسله مع رجال آخرين من الفرس وهو الذي عاد الى الملك في اليوم نفسه بعد التفاوض مع كليرخوس . ولم يعد في اليوم التالي . . . الا انه جاء في اليوم الثالث (المصدر نفسه ، ٢ ، ٣ : ٢٥) ليعقد معاهدة مع الاغريق ثم عاد ثانية الى الملك العظيم . وفي أعقاب ذلك انتظر تيسافيرنس لاكثر من عشرين يوماً (المصدر نفسه ، ٢ ، ٤ : ١) ، بعدها استأنفوا مسيرتهم بارشاده (المصدر نفسه ، ٢ ، ٤ ، ٤ : ٨ - ٩) . وبعد ثلاثة أيام وصلوا الى مايسسى سور ميديا ثم قطعوا الرقعة المحصورة به . ان هذا السور المبني بالطابوق المثبت بالقيصر والذي بلغ عرضه عشرين قدماً وارتفاعه مائة قدم كان طوله قرابة عشرين فرسخاً ولم يكن بعيداً جداً عن بابل (المصدر نفسه ، ٢ ، ٤ : ١٢) . ومن هنا قاموا بمسيرتين (ثمانية فراسخ) وعبروا قناتين ، احدهما على جسر دائم والأخرى على جسر مكوّن من سبعة قوارب . وتشعبت هاتان

القناتان من دجلة . . . ، وهو النهر الذي وصلوا اليه اخيراً ايضاً في موضع  
يبعد ١٥ ستاداً اي حوالي ثلاثة كيلو متوات من سيتاس البلدة الكبيرة  
المأهولة حيث ضربوا خيامهم ( المصدر نفسه ٤٢ ، : ١٣ - ١٩ ) .

سأل كليرخوس رسولاً قدم إليه عن سعة المنطقة المحصورة بين دجلة  
والقناة ( ثانية ) فأجابه بأنها بلاد واسعة فيها قرى كثيرة ومدن متعددة  
كبيرة الحجم . فخشى الجنود البرابرة (٣) ان يقوم الجنود الاغريق بتدمير  
جسور دجلة والبقاء في هذا البلدة الذي شكل جزيرة محصورة بين دجلة  
والقناة ؛ وهنا يضمنون الطعام الوفير والأيدي العاملة لزراعة الأرض ( المصدر  
نفسه ٢ ، ٤ : ٢١ - ٢٢ ) .

ومع الفجر بدأ الاغريق بحذر شديد عبور الجسر المقام على دجلة واستند  
الى نهر فيسكوس ، وعرضه بلثرم واحد وكان عليه جسر ، حيث  
كانت تقع بلدة اوبيش الكبيرة ( المصدر نفسه ، ٢ ، ٩ : ٢٤ - ٢٥ ) .  
ومن هنا ساروا مخترقين ميديا واخيراً وصلوا بست مسيرات ( ٣٠ فرسخاً )  
بعد اختراقهم مناطق مقفرة الى قرى تابعة لبريساتس والدة كل من  
قورش والملك العظيم . . . ( المصدر نفسه ٢ ، ٤ : ٢٧ ) حيث وجدوا  
حبوباً وفاكهة وقوناً أخرى . ومن هناك بعد ان وضعوا دجلة على  
يسارهم وصلوا بأربع مسيرات ( ٢٠ فرسخاً ) مخترقين منطقة وعرة الى  
نهر زيتاس ، الذي عرضه ٤ بلثرمات ( المصدر نفسه ٢ ، ٤ : ٢٨ ، ٢ ، ٥ : ١ ) .

### اعادة هيكل طريق العشرة آلاف

ان الذي يهمنا من الطريق الذي وصفه زنيوفون هو الجزء الذي بين  
ميناء ميريانروس على البحر الابيض المتوسط الى بلدة ثيساكوس

(٣) كانت كلمة البرابرة تستعمل عند الاشارة الى الجنود الاجانب غير الاغريق  
في الجيش الاغريقي . ( المترجم ) .

على الفرات بمحاذاة الضفة اليسرى لهذا النهر حتى الموضع الذي خسر فيه قورش الاصغر المعركة وفقد حياته . وعلى مسافة غير بعيدة عن هذا الموضع يفترق الطريق عن الفرات ويعبر دجلة عند سبتاس ويستمر على الضفة اليسرى للنهر الأخير حتى يصل عند بلدة اوبس الى رافده فيسكوس . وليس من السهل ان نحدد بدقة اكبر الطريق الذي اتبعه الجيش اذا كان علينا ان نعتمد على ملاحظات زنيوفون فقط . فهو لا يعطي الاتجاه الا مرة واحدة ولا يذكر الا اماكن قليلة ، ويشير الى مواقعها بصورة سطحية آجل . انه يحدد المسافات بالمسيرات اليومية والفراسخ . فلو كانت المسافات محددة بدقة والسجلات محفوظة لنا لكان اتباعها امراً سليماً ، الا انه يبدو ان جنود المشاة الاغريق لم يقوموا بقياس المسيرات وانما تم تقديرها بصورة تقريبية فقط ؛ وفضلاً عن ذلك فمن المحتمل ايضاً انه قد طرأت تغيرات كثيرة على الارقام الاصلية عند انتساخها . فيورد زنيونون خمس مسيرات يومية طول كل منها اربعة فراسخ ؛ وسبعاً طول كل منها خمسة ؛ وتسعاً طول كل منها خمسة ونصف وخمساً على ستة فراسخ ؛ وثمانية عشرة على سبعة فراسخ . ومن بين المسيرات الثماني عشرة الاخيرة كانت ثلاث عشرة منها خلال منطقة وعرة يكاد يتعذر اجتيازها وحيث لم يكن في مقدور انسان ولا حيوان التقدم مدة ثلاثة عشر يوماً بمعدل سبعة فراسخ يومياً وبما ان زنيوفون ( المصادر نفسه ٢ ، ٢ : ٦ ، ٥ ، ٥ : ١ ) يحسب ثلاثين ستاداً للفرسخ الواحد فتكون المسافة بين ثيساكوس والقرية التي قُتل قورش بالقرب منها ٥٩٤٠ ستاداً . ويسمى بلوتاوك في كتابة ارتوكسيركس ، ٨ ، هذا الموضع باسم كوناكسا ويذكر انها تقع على بعد ٥٠٠ ستاد من بابل . وهذا يجعل تباكوس تبعد ٦٤٤٠ ستاداً عن بابل . غير ان اراتوشينس يضعها على بعد ٤٨٠٠ ستاد فقط عن بابل .

ان المسيرات اليومية هي اعظم خدمة لنا من الفراسخ بكثير في تحديد مواضع

الاماكن في العشرة آلاف . فمن -ن بلايه التي يمكن تحديد موقعها بدقة في ضوء المعالم الفيزيوجرافية الى نهر اراكسيس -- الذي لايمكن ان يكون سوى الخابور -- تكون المسافة ٣٥٥ كيلو متراً . ويثبت زنيوفون هذه المسافة بـ ١٢٨ فرسخاً ويقول ان الجيش قطعها بثمانى عشرة مسيرة . فعليه يبلغ طول المسيرة الواحدة قرابة عشرين كيلو متراً ، او سبعة فراسخ ؛ وبهذا يكون الفرسخ ثلاثة كيلو مترات فقط . وهذا على كل حال غير صحيح بالنظر الى مراجع اخرى . ومن ناحية اخرى فان نفس التطابق في علاقة المسيرات اليومية بالمسافات الحقيقية ونفس التباين حول طول الفرسخ موجود ايضاً في فقرات اخرى عند زنيوفون

### موقع ثيساكوس

كانت نقطة بداية طريق زنيوفون هي ميناء ميرياندروس الذي تقع اطالاه ١٣ كيلواً متراً الى الجنوب الغربي من اسكندرون ؛ وكان هدفها الأول نهر الفرات عند مدينة ثيساكوس . ان اقصر خط بين ميرياندروس والفرات يبلغ طوله ٢١٠ كيلو مترات وذلك حتى منعطف النهر حيث يغير مجراه الجنوبي - الجنوبي الغربي مستديراً الى الجنوب الشرقي . ومن العبث البحث عن ثيساكوس جنوب او شمال هذا المنعطف لانه كان على زنيوفون ان يسير لمسافة ما بحذاء الضفة اليمنى للنهر ، ان روايته بأكملها تظهر بانها لم يصل الى الفرات قبل وصوله الى ثيساكوس . إنه لم ينحرف الى الداخل باتجاه شمالي - شرقي لانه كان عليه حينئذ ان يعود بسحاذاة الضفة اليسرى وكان من المتعذر عليه بالدرجة نفسها ان يستدير باتجاه جنوبي شرقي لان ممحلة جبّول مع الأهواء المحيطة بها ، وكذلك المنطقة القاحلة المفتقرة الى الماء بين الأهوار والنهر ، تُجبر جميع القوافل القادمة من الغرب او الشمال الغربي على الذهاب الى الفرات عند المنعطف مباشرة فضلاً عن ذلك فنحن نكاد نضطر الى البحث عن مخاضة ثيساكوس

في المنطقة المجاورة تماماً لمنعطف الفرات، عندما نقارن بين عبارتين لسترابون .  
 اذ يكتب سترابون في ( الجغرافية ١١ ، ١٢ ، ٣ : ١١ ، ١٤ :  
 ٢ ) : عندما يغادر الفرات الجبال ويدخل سوريا يستدير باتجاه الجنوب  
 الشرقي حتى بابل . . . والنص الثاني ( المصدر نفسه ، ١٦ ، ١٦ ، ١ : ١٣ )  
 مؤداه كالاتي : ثم يخترق الفرات طوروس ويجري حتى ثيساكوس . . .  
 ينحدر مشكلاً خطاً فاصلاً بين سوريا السفلى وبلاد ما بين النهرين حتى بابل ، .  
 لقد اوصلنا اريان الى المنعطف نفسه في كتابه ( انابسيس ، ٣ ، ٧ )  
 اذ قال : عبر الاسكندر مع جنيشه الى الجهة ومن هناك وضع الفرات وجبال  
 ارمينيا على يساره وزحف في عمق البلاد مخترقاً بلاد ما بين النهرين  
 حتى بلغ دجلة . « ان الكلمات « وضع الفرات على يساره »  
 تكون صحيحة اذا عبر الاسكندر الفرات عند المنعطف ثم استدار الى الشمال  
 الشرقي ، لانه بهذا يكون قد رأى الفرات على يساره لمدة ثلاثة  
 أيام بينما يكون امتداد النهر على يمينه قد اختفى عن النظر في اليوم الأول .  
 اما لو كان قد عبر النهر في موضع أبعد الى شمال المنعطف او جنوبه لكان  
 رآه على هذا الجانب وذاك لنفس الوقت تقريباً .

ويمكن ان نؤكد ايضاً موقع ثيساكوس عند هذا المنعطف من سترابون  
 حيث يقول ( المصدر السابق ، ١٦ ، ١ : ٢١ والسطر الذي يليه ) ان المسافة  
 بين الفرات ودجلة تكون على أبعادها عند سفح السلسلة الجبلية وان هذه قد تكون  
 المسافة نفسها البالغة ٢٤٠٠ ستاداً التي حددتها ايراتوستينس على انها المسافة من  
 ثيساكوس — حيث كان في وقت من الاوقات جسر على الفرات — الى مخاضة  
 دجلة التي عبرها الاسكندر . ان نظرة واحدة على الخريطة ترينا ان اعظم مسافة  
 بالعرض لارض ما بين النهرين تقع بين منعطف الفرات الكبير ودجلة اسفل من  
 جزيرة ابن عمر بحذاء قاعدة جبال طوروس . وان وحدة القياس المسماة ستاد  
 عند ايراتوستينس كما يمكن استنتاجه من بليني : ( التاريخ الطبيعي

١٢ ، ١٤ : ٥٣ ) ٥ و ١٥٧ م او ما لا يزيد على ٧٥ و ١٥٩ م طولاً ؛  
وعليه فان ٢٤٠٠ ستاد تساوي نحو ٣٧٨ أو ٣٨٣ كيلومتراً ، وهي مسافة تتفق  
أساساً مع المسافة بين المنعطف (ثبساكوس) الى مخاضة دجلة (حوالي ٤٠٠ كيلومتر) .  
واستناداً الى سترابون (المصدر السابق ٢ ، ١ : ٢١ و ٢٦ وما بعده و ٣٦)  
فان ايراتوسثينس حدد المسافة بين ثبساكوس وبابل بمحاذاة الفرات بـ ٤٨٠٠  
ستاداً مما يعادل ٧٥٦ أو ٨ و ٧٦٦ كيلومتراً . فلو قسمنا الطريق المستخدم حتى  
يومنا هذا بحذاء الضفة اليسرى للفرات لوصلنا الى الكيلومتر ٧٦٥ أعلى النهر من  
بابل عند خربة سموما في المنعطف مدار البحث نفسه . وكان هذا الطريق  
مطروحاً كثيراً في زمن الاسكندر والسلوقيين الأوائل بحيث يجوز الافتراض  
انه قد تمّ قياسه بدقة . وعليه فان الرقم ٤٨٠٠ ستاد يمكن ان يكون قد  
أصبح متداولاً . ومن هنا فان هذا يبرر اشارتنا الى هذه المصادفة وفي  
تحديدنا لموضع مخاضة ثبساكوس عند خربة سموما .

ويستشهد سترابون (المصدر السابق ٢ ، ١ : ٢٦) بقول ايراتوسثينس الذي  
يحزاه ان المسافة المقيسة شمالاً من ثبساكوس الى البوابات الارمنية قيل انها  
١١٠٠ ستاد . واذا اتبعنا خطاً مستقيماً لمسافة ١١٠٠ ستاد او ما يقارب ١٧٣  
كيلومتراً شمالاً من سموما بخط مستقيم وصلنا الى مقربة من مخاضة زوكما  
القديمة قرب شمشاط في كُماجين ، أي ١٦٦ كيلومتراً فعلاً شمال  
سموما . فيبدو إذن أن زوكما هذه لا بد أن شكلت أبعد نقطة في منح مباشر  
من ثبساكوس باتجاه شمالي لان سترابون في موضع آخر يذكر ان المسافة الى هناك  
بحذاء الفرات «لا تقل عن ألفي ستاد (المصدر السابق ١٦ ، ١ : ٢٢) . على ان هذا  
الأخير ليس إلا بياناً سطحيّاً ومضللاً تماماً كما يتضح من السياق لان المسافة الحقيقية  
من سموما الى شمشاط بمحاذاة النهر ليست ٣١٥ كياومتراً او ٢٠٠٠ ستاد  
بل انها ٢٤٠ كيلومتر او ١٥٠٠ ستاد . ولهذا فان كلمة لا ينبغي حذفها من  
النص فيصبح « اقل من ألفي ستاد » .

ان البرهان على موضع ثيساكوس على منعطف الفرات الذي تكون المسافة منه الى البحر الابيض المتوسط أقصر من اية نقطة تدعمه ايضاً قصة اريستوبولوس (اريان ، اذابسيس ٧ ، ١٩ وسترابون ، المصدر السابق ، ١٦ ، ١ : ١١) مفادها ان الاسكندر أمر ان تصنع له قوارب في فينيقية وفي جزيرة قبرص ونقلت مفككة الى ثيساكوس التي تبعد مسافة سبع راحل حيث تم تركيبها وعامت منحدرة في النهر الى بابل . فلم صنعت هذه القوارب في ميرياندروس التابعة للفينيقيين او في قبرص ومن هناك سلّمت في موقع الاسكندرون لأمكن نقلها على عربات او حيوانات التحميل الى ثيساكوس في سبعة أيام . وإن المسافة بأسرها ، اذا اتبعنا الطريق الحالي ، تبلغ ٢١٠ كيلو متر التي لو قطعت في سبعة أيام لجعلت من الضروري ان تكون السرعة ٣٠ كيلومتراً لقافلة من الحيوانات . الا ان هذه المسافة يمكن تقصيرها لو تم انزال هذه الحمولة من القوارب في نهر الاورنتس في موقع انطاكية المتأخرة . ان سرعة ثلاثين كيلومتراً يومياً هي السرعة القصوى لقافلة محملة حمولة ثقيلة في رحلة تستغرق طويلاً .

واكد ايضاً بطليموس بصورة غير مباشرة موقع ثيساكوس عند المنعطف عندما نقارن بياناته بما ذكره المؤلفون العرب والسكان الحاليون . فاستناداً الى بطليموس ( الجغرافية ٥ ، ١٥ : ٧ ) ، تقع ثيساكوس على حدود سوريا وبلاد العرب . واستناداً الى الكتاب العرب فان بلدة بالس الواقعة في منعطف الفرات على بعد ستة كيلومترات من سموما تؤثر ايضاً الحدود بين بلاد العرب وسوريا .

ويجهد إرنست هرتزفيلد (ساره وهرتزفيلد ، رحلة آثارية ، [ ١٩١١ ] ، المجلد ١ ، ص ١٤٣ وما بعد) موقع ثيساكوس عند تل ثديين الذي يبعد ٦٦ كيلومتراً شرقي سموما وليس بعيداً عن الرقة ، على موقع نيقفوريم القديم . ويحدد طول الطريق الحالي من الاسكندرون الى تل ثديين من طريق حلب



بـ ٣٢٧ كيلومتراً ويذكر (المرجع نفسه ، ص ١٤٥) ان القافلة تكمل الرحلة في الوقت الحاضر في سبعة أيام فقط . ان هذا ، على كل حال ، غير صحيح لانه لا تستطيع اية قافلة بحمولة ثقيلة قطع المسافة المطاوعة وقدرها ٤٧ كيلومتراً يؤمياً وخاصة في منطقة جبلية ومتموجة كتلك التي بين الاسكندرون وحلب او بين خان الشعر وتل ثديين .

وعلاوة على هذا يناقش هرتزفلد ( المصدر نفسه ) انه لا بد ان يكون

ثبساكوس قرب نيقفوريم على الاسس التالية : انه يرجع الى بليني ( المرجع السابق ، ٦ ، ١١٦ ) الذي يقول ان نيقفوريم لا تقع بعيداً عن الفرات وهي التي بنيت بأمر الاسكندر لموقعها الملائم . كذلك يستشهد بايسيدور الكرخي الذي يذكر ان الاسكندر سار على طريق نيقفوريم ( الرقة ) . وبما ان الاسكندر عبر الفرات عند ثبساكوس فان هذا يحمل هرتزفلد على الاستنتاج ان ثبساكوس لا بد ان كانت قرب نيقفوريم لان الاسكندر لم يؤسس مدناً الا في المواقع التي زارها بنفسه . وقبل التسليم بهذا ، على كل حال ، فمن الضروري اثبات ان الاسكندر أسس فعلاً جميع المدن التي تدعى ذلك لنفسها ، واثبات ايضاً انه زارها شخصياً . ومن المؤكد ايضاً ان حكماً آخرين ، وليس الاسكندر وحده قد نُسب اليهم فضل تأسيس نيقفوريم . وعلى هذا فان المناقشة هذه حول موضع ثبساكوس تفقد كل اهميتها . ويلاحظ بليني نفسه ( المرجع السابق ، ٣٤ ، ١٥٠ ) ان الاسكندر عبر نهر الفرات على الجسر الذي عند زوكما ، على ان هذه النقطة بعيدة جداً عن نيقفوريم وعن تل ثديين هرتزفلد موضع ثبساكوس . وعلاوة على ذلك واستناداً الى هرتزفلد ( المرجع السابق ص ١٥٣ ) الذي يتقبل تطابق ثبساكوس التي ذكرها زنيوفون مع تلك التي ذكرها بطليموس . ان بطليموس استخدم دائماً المادة العلمية التي تراكت اثناء مسيرات الاسكندر ، ولهذا السبب فان تحديده لموقع ثبساكوس بالنسبة لطريق الاسكندر وبالنسبة لنيقفوريم يجب ان يكون حاسماً في تحديد الموقع الحقيقي لثبساكوس .

ومع ذلك فإن بطليموس لا يضع المدينة شمال شرقي نيقفوريم بل بعيداً الى الجنوب الشرقي منها ، وبهذا فانه يستبعد امكانية قيام الاسكندر بالسير من ثبساكوس الى المدينة الأخيرة .

وتقع سموما على الحدود الجنوبية الشرقية للمنطقة المأهولة وتشكل ملتقى طرق هام تؤدي من الفرات الى سوريا وبلاد ما بين النهرين الحصبة . اذ غادرت القوافل القادمة من بلاد بابل او بلاد ما بين النهرين الفرات عند ثبساكوس (سموما) وتقدمت مخترقة منطقة آهلة ومزروعة اما غرباً الى خاليسيس او شمالاً غربياً الى يرويا وشمالاً الى بمبيس (هيرابوليس) . وبما ان السهل الفيضي عند سموما عريض الى حد ما فان الممر المؤدي الى المجري سهل على كلا الجانبين هنا ؛ وبما ان النهر ذاته عريض جداً ايضاً فان عبوره ليس صعباً ؛ وحتى يومنا هذا تستخدم القوافل التجارية المخاضة وكذلك تستخدمها القبائل الرحل . ومقابل سموما على الضفة اليسرى لنهر الفرات ينتهي الطريق الذي يؤدي من جهة الشمال الشرقي الى حرّان ( كرهى التي من المحتمل ان يكون الاسكندر العظيم مرّاً بها في تقدمه . ازدهرت بلدة ثبساكوس ما دامت بلاد بابل وما بين النهرين وسوريا .

تدين بالطاعة لملك واحد ، وخربت عندما انفصلت هذه الاقطار بعضها عن بعض وكانت هذه هي النتيجة الطبيعية لموقعها على الحدود الجنوبية الشرقية لسوريا الأصلية . وحالما حصلت تدمير على نوع من الاستقلال سعت ونجح مجهودها في السيطرة على الطرق التجارية من بلاد بابل ومن جنوب ووسط بلاد ما بين النهرين الى البحر الابيض المتوسط . وهكذا اضمحلت اهمية مخاضة ثبساكوس بشكل لا يمكن تعويضه . ولم يساعد الحكام المحليون الصغار تدمير في سياستها هذه فحسب بل ساعدها رؤساؤهم الملوك البارثيون الكبار الذين ارادوا ، ان لم يكن لأي سبب آخر ، فلدوافع سياسية صرفة ان يروا تدمير تزداد قوة كدولة عازلة . وعندما جعل البارثيون نيقفوريم مركزهم التجاري اخذ النقل التجاري من مصر ومن جنوب ووسط سوريا يمر خلال

ويتم عبور الفرات بالقرب من نيقفوريم . ثم لو كانت ثبساكوس القديمة مطابقة لثديين ، لكونها على خط التجارة هذا ، لازدهرت في هذه الفترة ايضاً ولما كان لأهلها مساوير مغادرتها وبناء سورا على بعد مربعة كيلومترات الى شرقها . ان الأرض المحيطة بثديين تساوي في انتاجها المنطقة المجاورة لسوريا في الوقت الذي تكون فيه مخاضة ثديين اسهل بكثير من مثيلتها في البلدة الأخيرة . ولكن اذا كانت ثبساكوس واقعة عند المنعطف في سسوما فان لإنحلالها في ظل الظروف السياسية المتبدلة هو أمر سهل فهمه . وركزت نيقفوريم وسورا فسي ايديهما جميع تجارة الأباطورية البارثية والدول التدمرية ؛ وكان لامباطورية السلوقيين المتداعية الى الشمال الغربي والشمال الشرقي مدينتا سلوقية وافاميا مراكز تجارية لها ؛ وهكذا حدث ان مخاضة ثبساكوس القديمة الواقعة على الحدود بين هاتين الدولتين غير الصديقتين أخذت تتحاشاها القوافل بالتدريج . ولهذا السبب لم يعطنا اي مؤلف كلاسيكي موضوع البلدة الصحيح الذي من المحتمل ان يكون أجربنائها قد استعمل في بناء بلدة برياسسوس التي تبعد مسافة ثلاثة كيلومترات الى الجنوب الشرقي فيها . (وللمزيد من المناقشة عن ثبساكوس ، انظر ما يلي ، الملحق ٨ ) .

### فيريا ندروس الى ثبساكوس

اذا رجعنا الى زينوفون نلاحظ ان الجيش استغرق اثني عشر يوماً في قطع المسافة من ميرياندروس الى ثبساكوس ( سسوما ) . فبعد الايام الاربعة الاولى وصل الى نهر خالوس . ولا بد ان يكون هذا نهر عفرين ؛ وربما كان خالوس ايضاً اسم البلدة الواقعة على ضفتيه . وفي غالب الاحتمال عبر الجيش هذا الجدول حيث تقع مراتا كوى الحديثة . ان المسافة من ميرياندروس ، من طريق ممر بيلان مع الانحراف الضروري خلال الوادي الذي تتخلله المستنقعات ، الى مراتا كوى هي ٦٥ كيلومتراً ، مما يتطلب من القطعات الاغريفة

بسرعة ستة عشر كيلومتراً يومياً وهو إنجاز يمكن تصديقه اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار مئات الامتاز التي كان عليهم صعودها ثم الهبوط منها .

ومن جالوس وصلوا بعد خمسة أيام الى منابع نهر دريس . وبما ان زنيوفون يقول ان عرض هذا النهر كان بلشراً واحداً فمن الواضح انه يبالغ في ذلك وان الجيش لا يمكن ان يكون قد بلغ المنبع الاضلي ، بل ربما كان عند ملتقى جدولين يندمجان فيشكلان النهر . وفي هذه الحالة نستطيع البحث عن « منابع دريس في الموضع الذي يلتقي فيه رافدان فعلاً » ليكونا نهر ذهب . وعلى الرافد الغربي تقع قرية يطلق عليها الآن ابو طلل ولكنها كانت تعرف في العصور الوسطى طرطر ( ياقوت ، المعجم ، [فستفلد] مجلد ٣ ص ٥٢٩ ) ؛ ويمكن اعتبار هذا هو الاسم الاغريقي لدريس ( او دردر حسب بعض المخطوطات ) . فتكون حينئذ المسافة من خالوس ( مرانا كوى ) الى دريس ( ذهب ) حوالي تسعين كيلومتراً بضمنها مسيرة طولها ثمانية عشر كيلومتراً يومياً خلال منطقة تكثرت فيها التلوي ويكاد يتعذر عبورها في بعض الاماكن .

ومن دريس وصل الجيش الى الفرات عند ثيساكوس في ثلاثة أيام . ولما كانت بداية نهر ذهب لا تبعد الا ٥٥ كيلومتراً من سموما فان مسيرة اليوم الواحد هنا تبلغ تسعة عشر كيلومتراً ؛ ونستطيع ، على كل حال ، الافتراض ان آخر مسيرة كانت أقصر بكثير من الاخريات ، تماماً كما كانت عليه الحال قبل الوصول الى خالوس ودريس . ان مسيرة يوم الوصول تحتسب دائماً يوماً كاملاً .

### ثيساكوس الى بلاية

وعند ثيساكوس خاض الجيش الفرات الذي يبلغ عرضه هنا اربع ستادات ( اي حوالي ٦٤٠ م ) وتقادم بحذاء ضفته اليسرى حتى وصل

الى نهر اراكسيس في تسعة أيام . واستناداً الى زنيوفون فان هذا النهر يمثل الحدود بين سوريا وبلاد العرب وتقع على طول ضفتيه عدة قرى غنية . ومن الواضح ان اراكسيس المذكور عند زنيوفون هو نهر خابوراس او الخابور ، الذي يشكل الخط الفاصل بين منطقتي البدو والحضر . ومن المحتمل ان الاسم « اراكسيس » ذاته قد اشتق من التسمية العربية للقناة الفعلية التي تجلب الماء من الخابور الى بلدة كورسوته القديمة . وكانت هذه القناة ، التي كانت معروفة قبل ذلك لدى الملك الآشوري توكولتي اينورتا الثاني ، تدعى في العصر الوسيط كما تدعى اليوم دورين وكانت تصب في الفرات عند سفح صخور العرصي او العرصي . ان كلمة اراكسيس هي النقل الاغريقي لحروف الكلمة العربية عراصي ( عرصي في اللهجة الدارجة ) ، تماماً ، كما يطابق الاسم الاغريقي لنهر اكسيوس الاسم العربي عاصي . وهكذا حوّل زنيوفون التسمية العربية للقناة المتفرعة من الخابور والتي تابعها مدة خمسة أيام حتى وصل الى نهر الخابور نفسه الذي عبره الجيش . والآن وبما ان المسافة من ثيساكوس ( سموما ) بحاذية الفرات الى اراكسيس ( الخابور ) هي ٢٤٠ كيلومتراً فلا بد ان الجيش كان يسير ستة وعشرين كيلومتراً يومياً ، وهو لإنجاز غير اعتيادي حقاً . فليس من جيش يمكنه الاستمرار بالزحف مسافة ستة وعشرين كيلومتراً لأية فترة من الزمن .

ان كلتا ضفتي الخابور الأسفل وكذلك الضفة اليمنى لقناة دورين مغطاة بالخرائب وخصبة الى هذا اليوم . ومن الخابور سار قورش على الضفة اليمنى للفرات مدة خمسة أيام الى خرائب بلدة كورسوته التي يحيط بها من كل جانب نهر ما سكاكس . — ان « كورسوته » ( كورسوته هي الشكل الارامي للكلمة العربية عراصي ( اراكسيس ) « وهو اسم التصق بالبلدة التي سبق ان سكنها الآراميون ، ويظهر ان سكان البلاد في زمن زنيوفون كانوا يتلفظون الكلمة الآرامية « كورسوته » بالطريقة العربية « عراصي » . ويمكن البرهنة على ذلك من استخدامهم هذه التسمية بشكل « اراكسيس » بالنسبة الى القناة .

ويظهر من السياق ان بلدة كورسوته كانت تقع عند الطرف الجنوبي الشرقي من سهل خصب ؛ ولذا يجب البحث عنها في سفح صخور العيصي الشديدة الانحدار . ويمتد على الضفة اليسرى للفرات بين الخابور والعيصي سهل فيضي منبسطة تبرز منه اكمام خرائب وهي بقايا مدن متعددة . وخلال النصف الشرقي لهذا السهل تجري قناة دورين ( اراكسيس ) بصورة متعرجة . وهي الآن جافة تماماً . اما النصف الغربي فمتخذ بعدد لا يحصى من ترع اروائية قديمة وحديثة تتشعب عن الفرات ودورين ( اراكسيس ) ، مما يشكل عائقاً كبيراً للسير والنقل على حد سواء . ونظراً لهذا يتبع الطريق التجاري ضفة القناة اليسرى وهي التي التزم جيش قورش باتباعها ايضاً . ويمكن وصف هذا الشريط من السهل على انه مقفر حقاً خاصة اذا قام الخيالة الفرس بطرق قناة اراكسيس في بدايتها الاولى بطريقة محكمة بحيث لا يستطيع الماء الجريان فيها . ان « نهر » ماسكاس او بالأحرى القناة الاروائية لم تتشعب من اراكسيس الذي كان فيما يظهر جافاً تشعب من الفرات واحاط ببلدة كورسوته المخربة . وينطبق وصف هذه البلدة على خرائب الطاوي الواقعة على سفح صخور العيصي التي يجري حولها من كل جانب خندق قديم يمتلىء بالماء في موسم الفيضان فقط . يفترق الطريق هنا عن السهل الفيضي مخترقاً التلال الوعرة بحذاء ضفة النهر . ان المسافة من النقطة التي وصل فيها قورش الى اراكسيس ( الخابور ) الى كورسوته ( الطاوي ) هي ٩٠ كيلومتراً ، وهذا يعني سرعة ثمانية عشر كيلومتراً لمسيرة يوم واحد ، اذا استبعدنا الامكانات المتمثلة في ان مسيرة اليوم الأخير ربما كانت اقصر من المسيرات الأخرى ، وان الجيش لا بد انه كان متعباً اذ ذاك ، وان عبور الخابور استغرق بعض الوقت .

ومن كورسوته سار الجيش الى بلاية ( « البوابات » ) في ثلاثة عشر يوماً . وهذا يؤدي بنا الى حيث ينتهي تشكيل صخري في الدور الثالث من التكوين

ويبدأ السهل الغربي لبلاد بابل فسي نقطة مؤشرة على الضفة اليمنى للفرات بأنف جبل العنقة الصخري وبصخور الأسود على الضفة اليسرى ولذا يمكننا البحث عن بلابة التي اشار اليها زنيوفون عند الممر الواقع على السفح الشرقي للجرف الصخري الأخير .

ان الصورة التي رسمها زنيوفون لهذا الجزء من وادي الفرات مطابقة للطبيعة . فالضفاف بالقرب من ذلك المكان تشكلت من الاجراف الصخرية المسامية العالية التي تحتوي على كثير من الجبس المتبلور ، والمشطرة بأخاديد عميقة وقصيرة لا تحصى . ففي بعض الاماكن وعلى مسافة كيلومترات متعددة يرتطم ماء الفرات بسفح الصخور العالية على الضفة اليسرى ولا يترك مجالاً للطريق الذي يجب ان يتبع مساراً بعيداً عن النهر على ارض صخرية وخلال أخاديد . وحيث تنحدر الاخاديد الى الفرات تتكون خلجان مستنقعية غالباً ما يتعذر عبورها . وفي ارض هذه طبيعتها لا يمكن ان تكون المسيرات اليومية بأطوال متساوية لان الجيش لابد ان يكون قد احسن التدبير للوصول ، إن لم يكن كل يوم فعلى الاقل بين يوم وآخر ، الى خليج كبير نوعاً ما حيث يستطيع الحصول على الماء والمرعى .

ويتضح من السياق ان بلدة خرمندي لابد انها كانت تقع بالقرب من بلابة . واكد هذا سوفينيتس الذي اسهم في حملة قورش ووصفها اسطيفان البيزنطي ( علم الأجناس [ ما ينكة ] ، ص ٦٨٩ ) . ويبدو ان الاسم يتألف من كرم واندي . ان كرم هي كرماء الآرامية وكرم العربية وتعني بستان العنب ؛ اما اندي فهي الاسم الأصلي للبلدة . ويسجل بطليموس ( الجغرافية ج ٥ ص ١٨ : ٧ ) في نفس المنطقة تقريباً بلدة اسمها ادثيا وربما حل الحرف المشدد محل الاصل . وتقع جنوب غربي صخرة الاسود على الضفة اليمنى للفرات خربة عدي الضخمة التي تطابق باسمها وكذلك بموقعها خرمندي التي يشير اليها زنيوفون . ومقابل هذه الخربة على الضفة اليسرى يمكن رؤية بقايا بناية محصنة تحصينا قوياً ؛ فهناك على المنحدرات الصخرية شرفات واكوام حجارة من بساتين الكروم

القديمة . ومن المحتمل جداً ان كلا البناية وبساتين الكروم كانت تابعة لبلدة اندي وانه على خريطة بلاد ما بين النهرين التي نقلها بطليموس حددت بلدة ادنيا على الضفة اليسرى للفرات . ان كل بلدة كبيرة على الضفة اليمنى حتى يومنا هذا لها ضاحية ما على الضفة اليسرى المقابلة لها ، ولا يفرق الأهليون بين الضفة اليمنى واليسرى عند التحدث عن مثل هذه المدن .

ان المسافة من كورسوته ( الطاوي ) الى بلاية ( الاسود ) هي ٢٦٥ كيلومتراً ، مما استلزم ان يقوم جيش قورش بقطع مسافة تزيد بقليل على العشرين كيلومتراً يومياً برغم ان هذه المسيرات لم تكن دائماً متساوية الطول لاسباب شرحناها سابقاً .

### بلاية الى كوناخا

ومن بلاية سار الجيش بحذاء الضفة اليسرى لنهر الفرات حتى وصل ساحة المعركة التي امتدت ، استناداً الى بلوتارك ، فحاطت ببلدة كوناخا التي تبعد مسافة خمسمائة ستاد عن بابل . ان مسافة خمسمائة ستاد او ثمانين كيلومتراً من بابل بحذاء الضفة اليسرى للفرات توصلنا الى خربة القنيصة على بعد اربعة كيلومترات من النهر . وقنيصا ، او قنيصة في اللغة الدارجة ، هي الاسم المصغر لقناخا ، وهذه ايضاً هي الصيغة العربية للكلمة اليونانية اذ ان حرف الصاد يقابل حرف x اليوناني . واذا تابعنا زينوفون ايضاً نصل الى ضواحي القنيصة المباشرة . ان المسافة من الاسود ( بلاية ) الى القنيصة هي تسعون كيلومتراً ، وتلك مسافة تطلب من الجيش ان يقطعها في ستة أيام بمعدل خمسة عشر كيلومتراً لليوم الواحد . ويجب الا يغيب عن البال حقيقة ان المسيرة اخترت في شطرها الثاني سهلاً غريباً تتخلله ترع قديمة وحديثة متعددة بالإضافة الى عبور اربع قنوات كبيرة . وكانت المسيرات في الايام الثلاثة الأولى اطول منها في الايام اللاحقة وخاصة اليوم الرابع عندما كان الجيش بكامل اهتبه للقتال وكان عليه ان يخترق مراً يكاد يصل عرضه الى عشرين



قديماً وذلك بين الفرات والخنديق الذي حفره الفرس لمرقطة تقدم العدو .  
وفيما وراء الاسود ( بلاية ) كان السهل الغريني ولا يزال متخدداً بترع  
متعددة الا انه لم يكن من الضروري عبورها اثناء مسيرات الأيام الثلاثة الأولى .  
فالتطريق اتبع سفح الاجراف للدور الثالث من التكوين الصخري . فلو  
سلمنا بان الجيش قطع ثمانية عشر كيلومتراً يومياً في المسيرات  
الثلاثة الأولى من بلاية ( الأسود ) ومن المؤكد انهم لم يستطيعوا  
اكثر من ذلك اذ كان لزاماً عليهم ان يكونوا في حالة استعداد لهجوم مفاجئ .  
فقد كانت آثار خيالة العدو ظاهرة للعيان ، فكان لا بد من استراحتهم في  
نهاية المسيرة الثالثة قرب الوشاش في منخفض الخور . وينحدر هذا المنخفض  
الذي يبلغ عرضه ستة كيلومترات الى الشرق ويمرّ خلال الوشاش الذي  
يعرف ايضاً بالقدمة . والوشاش ليس قناة حقيقية الا انه فرع طبيعي من الفرات  
يستمد منه الماء بقناتين . وإلى الجنوب من منخفض الخور فوق الضفة اليسرى  
للفرات تبرز هضبة في الدور الثالث من التكوين الصخري يصعب الى حد ما  
ارواؤها او زراعتها . ولعل الجيش اضطر في اليوم الرابع الى العبور على جسر  
في موضع هو الآن المجرى الشمالي للوشاش ومن ثم عليه ان يدير خلال الفتحة  
الضيقة بين الفرات والترعة المحفورة حديثاً . ولما كانوا على أهبة القتال فلم يكن  
في امكانهم قطع مسافة كبيرة . وبما ان زينوفون نفسه يقدر ميسرة اليوم الرابع  
بما لا يزيد على ثلاثة فراسخ فلدينا ما يبرر الاعتقاد بان المسيرة لم تزد على عشرة  
كياومترات .

ان الخندق وعمقه ثلاث قامات ( ٥ م ) وعرضه خمس قامات ( ٨ م )  
الذي وصل اليه الجيش في نحو منتصف المسيرة الرابعة ربما كان المجرى  
الجنوبي الحالي للوشاش الذي - استناداً الى زينوفون - إما كان قد حُفّر حديثاً  
او ربما كُري قبل وصول قورش بفترة قصيرة ، ولم يكن بلا ريب مجرد خط  
دفاعي ضد الغزاة بل كان ايضاً لأغراض اروائية . ومهما يكن من امر فانه لم

يكن متصلاً بالفرات بعد ، ومن ثم لم يكن فيه ماء . لذا استطاع جيش قورش العبور من الشريط الأرضي المتبقي بين الخندق والفرات . ويقدر زينوفون طول الخندق بأثنى عشر فرسخاً أو حوالي ثلاث مسيرات .

وحسب تقديرنا لمعدل السير المحتمل فلا بد أن الجيش عسكر بعد اليوم الرابع من بلاية ( الأسود ) بالقرب من مدخل قناة الأزرقية الحالية ، وبعد المسيرة الخامسة شرقي مدخل قناة دفّار ( العيساوي ) تماماً . لذا يمكن الافتراض أن الأغريق قطعوا ١٦ كيلومتراً في المسيرة الخامسة ( ولم يحدد زينوفون طولها ) و ١٤ كيلومتراً في السادسة ( ويؤكد زينوفون أن طولها قليل أنه أربعة فراسخ ، المصدر السابق ج ١ ص ١٠ : ١ ) . أن المسيرة السادسة هذه أوصلتهم تقريباً إلى الموضع الذي كانوا ينوون اتخاذه معسكراً لهم ( المرجع نفسه ، ج ١ ص ٨ : ١ ) إلا أن المعركة بدأت في عصر ذلك اليوم . أن خطر المعركة لا بد أن كان قد حدد ليكون إلى الشرق من الأرض التي كانوا ينوون اتخاذاً معسكراً لهم لأن الجيش الفارسي فسي ملاحقته أريافاً اكتسح المخيم الأغريقي ونهب الأمتعة التي كانت قد تركت هناك حين خاضت قطعاتهم المعركة ( المرجع نفسه ج ١ ص ١٠ : ٥ ) . ويبدو أيضاً أن هذا الموضع كان المخيم الذي عن طريقه تراجع كليرخوس بعد المعركة ( المرجع نفسه ، ج ١ ص ١٠ : ١٧ ) .

أن تقديرنا لطول المسيرات الست الإجمالي من بلاية ( الأسود ) إلى كونا صا كما أورده زينوفون يوصلنا إلى خربة القنيصة . وبما أن كليرخوس لاحق الفرس بعد المعركة حتى « قرية معينة » ( كونا صا ) الواقعة بجانب أحد التلال ( المرجع نفسه ج ١ ص ١٠ : ١١ - ١٢ ) ، فيمكن الافتراض أن الموضع القتالي للأغريق بجناحهم الأيمن على الفرات لا بد أن كان حوالي خمسة كيلومترات جنوب شرقي كونا صا .

## كوناصا الى الزيتاس

ومن كونا صا ( القنيصة ) عاد الاغريق الى موضع المخيم عند مدخل قناة الدفّار (اليساوي) ومن هناك لابد انهم بدأوا عودتهم—لما الى الشمال او الى الشمال الشرقي ، لان الشمس عند الشروق كانت على اليمين ، بحثاً عن قرى بابلية لم تنهب بعد ، وهذه لا تكون الا في شمالي الفرات وقد وصلوا اليها قرب الماء .

و يتفق مع تحديدنا موقع ارض المخيم الاغريقي بالقرب من قناة الدفّار ما ورد في رواية زينوفون بشأن المسيرة كذلك في ما يتعلق بطوبوغرافية البلد ايضاً . فعلى مسافة اربعة كيلومترات شمالي الدفار يبدأ المرتفع الصخري القاحل الذي يرجع للدور الثالث من التكوين الصخري . وبما ان القرى الواقعة على الفرات كانت قد نهبتها خيالة الملك العظيم نهباً تاماً فلم يستطيع الاغريق العثور على أية أرزاق في الشريط الخصب الذي يبلغ عرضه قرابه اربعة كيلومترات ممتداً بمحاذاة النهر هنا ، ولا على اية قرية على المرتفع المجاور فقد كانت القرى تقع قرابة سبعة عشر كيلومترات بعيداً من هذا الموضع وذلك في منخفض الخور بجوار تل خربة الأشهابي الحالية ، ففي هذا المنخفض المزروع والمنتج الآن وكذلك بين موقع الأشهابي وخربة أم قتيمة عند السور الميدي كانت هناك قرى بابلية غنية حيث ادّخر الاغريق مخزوناً من الأرزاق .

وحتى هذا الموضع كان في مقدورنا تتبع المسيرة التي وصفها زينوفون بدقة ، اذ لم يكن دليلنا في ذلك ما ورد في زينوفون فحسب بل والفرات كذلك الا انه شمالي ارض المخيم في الدفّار غادر زينوفون النهر دون ان يذكر الاتجاه او المسافة التي قطعها الجيش قبل وصوله الى السور الميدي في المسيرة الرابعة من القرى البابلية .

وفي المسيرتين من السور الميدي الى جوار ستياس لم يعثر الاغريق تقدماً

كبيراً اذ كان عليهم عبور قناتين ؛ وكانت المسيرة الثانية ، استناداً الى سياق الحوادث ، قصيرة جداً . فقد كان السير آنذاك ، ولا يزال ، صعباً جداً لانه يتخلل الارض في تلك المنطقة عدد لا يحصى من الترع القديمة والحديثة المتقاطعة .

ومن الجدير بالملاحظة ان زينوفون الذي تتفق اوصافه للبلاد عموماً مع الوقائع جعل جميع القنوات البابلية آخذة من دجلة في الوقت الذي يحتمل فيه ان جميع القنوات التي اضطر الى عبورها كانت تأخذ مياهها من الفرات وتصب في دجلة كما هو شأن قناة باتي بيل ( انظر ما تقدم ، ص ٩ ) .

ويكتب في ( انابسيس ، ج ٢ ص ٤ : ١٣ ) ان الاغريق فيما وراء السور الميدي عبروا قناتين آخذتين من دجلة . غير ان موقع الارض يكاد يجعل من المستحيل لقناتين من هذا النوع ان تأخذا من دجلة في هذه المنطقة في الوقت الحاضر ، ويصبح هذا دون ريب في عهد زينوفون . وهناك امكانية ضعيفة جداً ان تكون القناة العليا او الثانية قد أخذت من دجلة على مسافة تسعين كيلومتراً في الأقل شمالي النقطة التي من المفروض ان عبرها الاغريق بالمنطقة المجاورة لمصب نهر فيسكوس ؛ ولكن في هذه الحالة كان من الضروري تقوية ضفتها اليسرى بسد كبير ليمنع مياهها من الانصمام ثانية الى دجلة في مكان ما بالقرب من موقع بغداد الحديثة . لذا نستطيع الافتراض ان كلا القناتين اللتين عبرهما زينوفون فيما وراء السور الميدي اخذتا فعلاً من الفرات ولغنه من المحتمل ان تطابق الاولى نار ملخا ( النهر الملكي ، او نهر الملك الحالي ) وتطابق الثانية نهر صرصر الذي ذكره الكتاب العرب الاوائل .

ولا يقل لفتاً للنظر ان يذكر ان الخندق الذي تمّ حفره بأمر من ارتاكسيركيس يخترق سهلاً لمسافة ١٢ فرسخاً حتى السور الميدي ومع ذلك لا يعود لذكره ثانية . فلو أنه وصل الى السور الميدي لكان لازماً عليه ان يمر به مرتين ، الاولى في مسيرته من كونا صا نحو الشمال والثانية في مسيرته من السور الميدي باتجاه جنوبي

شرقي ن نحو ستياس . ويذكر ان طول السور الميدي عشرون فرسخاً ، وهو تقدير مبالغ فيه قليلاً . واستناداً الى ايراتوستينيس (سترابون ، الجغرافية ، ج ٢ ص ١ : ٢٦) فسقد امرت الملكة سمنيراميس ببناء جدار فسي الموضع الذي يبتعد فيه الفرات ودجلة بعضهما عن بعض ٢٠٠ مستاد . ولا يمكن ان يكون هذا الجدار سوى السور الميدي الذي تحدث عنه زينوفون . وبجوار جدار سمنيراميس حيث يكون النهران اقرب ما يكون بعضهما عن بعض يحدد ايراتوستينيس موقع بلدة اوبس ( المرجع نفسه ) . ويضع زينوفون اوبس خطأ عند التقى نهر فيسكوس مع دجلة ، كما سنوضح ذلك فيما يلي .

وبغية تحديد هذا الجزء من طريق زينوفون يجب ان نثبت بالدقة الممكنة النقاط التي مر بها على الضفة اليسرى من دجلة . وهنا نجد ان النهرين اللذين سماهما زبتاس ( اربع بلترات [ ما يزيد على ١٢٠ م ] عرضاً ) وفيسكوس او النهر الحدودي ( وعرضه بلثرم واحد [ ٣١ م ] ) الذي يفصل بلاد بابل عن ميديا ، يشكلان عاملين لهذا الغرض . ويمكننا مطابقة زيتاس مع الزاب الكبير : ويدل على هذا الاسم نفسه وكذلك عرضه المنصوص عليه . ولا يمكن ان يكون نهر فيسكوس قناة آخذة من دجلة اذ لم تشعب مثل هذه القنوات قط من دجلة الاوسط لمسافة كافية لتكون حدوداً . لذا لا بد ان كان فيسكوس نهراً له طول معين ، ومن المحتمل انه نهر العظيم الحالي . وفي زمان زينوفون فان دبالى الى الجنوب كان شحولاً آنذاك الى قنوات للري لا تحصى وليس في الامكان ان يكون عرضه بلثرم واحداً .

وقسم زينوفون الرحلة من فيسكوس الى زبتاس الى جزئين : من فيسكوس الى قسرى بريساتس ، ست مسيرات ؛ ومن هناك حتى زبتاس اربع مسيرات . ان المسافة بين نهر العظيم ونهر الزاب بحذاء دجلة هي ٢٦٠ كيلومتراً . ومرت المسيرات الست من فيسكوس ( العظيم ) فسي ارض مقفرة ولم يصل الجيش الا فسي المسيرة السادسة الى المنطقة الخصبة لقرى

بريساتس التي توفرت فيها حبوب وفواكه وتجهيزات اخرى . وعلى مسافة تقارب ١٦٠ كيلومتراً شمالي العظيمة يمتد الحوض الخصب لنهر الزاب الصغير الذي كان في الامكان الوصول اليه بمسيرات ستة أيام بمعدل سبعة وعشرين كيلومتراً لكل مسيرة . ولهذا يمكننا تحديد موضع قرى بريساتس هناك . ان المسافة من هناك الى مصب الزاب الكبير هي ستة وتسعون كيلومتراً . وهي مسافة كان في الامكان قطعها في أربعة أيام بمعدل يقارب اربعة وعشرين كيلومتراً يومياً . ومن المحتمل ان كانت آخر مسيرة أقصر من الأخريات .

ونلاحظ ان الجيش الاغريقي ذهب من فيسكوس الى مستوطنات بريساتس بسرعة سبق ان ساروا عليها في مسيرتهم من ثيساكوس الى اراكسس . فلو سلمنا ان الاغريق تقدموا بهذه السرعة نفسها بعد عبورهم دجلة قرب سيتاس فان الحساب التراجعي لأربع مسيرات طول الواحدة خمسة وعشرون كيلومتراً من العظيمة ( فيسكوس ) بحذاء دجلة يؤدي بنا الى حدود بلدة ساوقية المتأخرة باعتبارها الموقع المحتمل لستياس . ان مسافة خمسة وعشرين كيلومتراً يومياً يمكن اعتبارها سرعة جديرة بالانتباه اذا اخذنا بنظر الاعتبار انه كان من الضروري عبور جميع قنوات نهر دياي . ووفقاً لذلك فلا بد ان كان الاغريق قد عبروا دجلة قرب خرائب تل عمر الحالي الى مسافة قليلة شمالي موقع سلوقية . لذا يجب البحث عن السور الميدي على بعد اكثر من مسيرتين يوميتين نحو الشمال الغربي من هناك ، وعن القرى البابلية على بعد اكثر من ثلاث مسيرات يومية قصيرة نحو شمال الشمال الغربي من السور الميدي .

### الملحق الثالث

## ايسيدور الكرخي يتحدث عن الفرات الاوسط وحدة القياس ( السكونوس ) عند ايسيدور

يصف ايسيدور الكرخي [من كرخ ميسان] في كتابه المحطات البارثية، (١٠) من ٢٤٧-٢٤٩ الطريق البارثي الرئيس من نيقفزر يم على امتداد ضفاف الفرات الى سلوقية ويسجل اماكن التوقف التي كانت معروفة جداً في القرن الاول للميلاد . ان بياناته ذات قيمة كبيرة لانه يعطينا المسافات بين المحطات المختلفة بوحدة القياس المسماة سكونوس (٤) وكذلك مجاميع هذه السكونوات من محطة فاليكا ، الواقعة على نهر ابوراس ( الخابور ) حتى سلوقية . ويقدم لنا مؤلفه اسباسباً ممتازاً لتحديد مواضع اماكن التوقفات المختلفة . إن كانت ارقامه الاصلية قد فُقدت لنا على وجه صحيح . وترينا حتى مجرد النظرة العابرة على كتابه المحطات ان الارقام الحالية لا يمكن ان تكون صحيحة . فقد ذكر ان المجموع الاجمالي للمسافة من فاليكا الى سلوقية هو ١٠٠ سكونوس ؛ ولكن اذا جمعنا المسافات بين المحطات تكون النتيجة ١١٨ سكونوس . ولما كان الاكثر احتمالاً بقاء المجموع الاجمالي المؤلف من رقم واحد سليماً من بقاء ارقام المسافات المختلفة دون تغيير النسخ فيمكن الافتراض ان الرقم ١٠٠ سكونوس صحيح ، ولكننا نرغب في اثبات ذلك .

وعند مناقشة بيانات ايسيدور الحالية والمناقشات اللاحقة لتفاصيل رحلات عربية معينة فمن المهم جداً ان نتبنى في كل حالة رقم عمل لأطوال وحدات

---

(٤) سكونوس Schoenus وحدة قياس رومانية وجمعها باللاتينية سكوني Schoeni وقد عربناها الى سكونوات بصيغة الجمع .  
( المترجم ) .

القياس المتنوعة . ونقصد بـ « رقم عمل » ذلك الرقم الذي يمثل النسبة بين المسافة الفعلية بين نقطتين معروفتين مقيسة بالكيلومترات وبين المسافة ذاتها كما تقدمها مراجعنا في وحدات القياس المعروفة بالاستادات والسكونات والفراسخ والاميال العربية الخ . ومن الصحيح ان رقم عمل كهذا قد لا يمثل طول الاستاد او السكونس او الفرسخ او الميل كما ادركه الكتاب العرب او الاغريق ، الا انه من الناحية الاخرى ، فان لأي دراسة خاصة بالدقة النسبية للمسافات المختلفة التي قدموها وكعامل مساعد في تحديد المواقع المشكوك فيها بالنسبة لمواقع معروفة فمن الواضح ان رقم عمل يتضمن قيمة اكبر من الرقم النظري .

دعنا نحدد رقم عمل لوحدة القياس السكونوس عند ايسيدور . ولهذا الغرض

اختارنا المسافات التالية كما ذكرها بين نقاط معينة معروفة المواقع :

من فاليكيا الى دورا : ١٠ سكونات ؛ وهي في الواقع ٤٧ كيلومترا ؛ لذا فان السكونوس الواحد = ٧ ر ٤ كيلومترا .

من دورا الى كدّ : ١٠ سكونات ؛ وهي في الواقع ٤٧ كيلومترا ؛ لذا فان اسكونوس = ٧ ر ٤ كم .

من كدّ الى اثنا : ١٧ سكونوس ؛ وهي في الواقع ٨٠ كيلومتراً ؛ لذا فان اسكونوس = ٧ ر ٤ كم .

من اثنا الى ثيلابوس : ٢ سكونوس ؛ وهي في الواقع ٤١ كيلومتراً وفي الحالة الاخيرة يساوي السكونوس الواحد ٧ كيلومترا ؛ اما اذا كان الرقم ٢ قد نقل خطأ بدلاً من ٣ فتكون النتيجة اسكونوس ٧ ر ٤ كم . ومن ثيلابوس الى ازان : ١٢ سكونوس ؛ وهي في الواقع ٥٨ كيلومتراً ؛ لذ فان السكونوس الواحد = ٨ ر ٤ كم .

ومن ازان الى ايس : ٢٢ سكونوس ؛ وهي في الواقع ٥٧ كيلومتراً ؛ وفي هذه الحالة يكون السكونوس الواحد ٦ ر ٢ كيلومتراً فقط . اما اذا كان



الرقم ٢٢ قد نسخ خطأ بدلاً من ١٢ فنحصل على معدل مقدار ٤٧٥ كيلومتراً للسكونوس الواحد .

وعليه نستطيع قبول رقم عمل بطول السكونوس كما استعمله ايسيدور على انه ٧ ر ٤ كيلومتراً تقريباً . وبهذه الطريقة نحدد موقع المحطتين اللاحقتين اللتين لم نتأكد من موقعيهما تأكدنا من مواقع المحطات السابقة .

لقد أعطيت المسافة من ايسس الى بسخانة على انها ١٢ سكونوس ( ٥٦٥ كم ) . وتقع على بعد خمسة وخمسين كيلومتراً من ايسس ، التي تطابقت مع بلدة هيت الحديثة ، مدينة الرمادي العامرة التي في اعتقادي تحدد موقع محطة بسخانة .

وأدى طريق من بسخانة بحذاء الضفة اليمنى للفرات ايضاً الى محطة نيابوليس ، ومن هناك استدار عبّر النهر وعبر النهر المائي الى سلوقية . وكانت المسافة من هنا ( نيابوليس ) الى سلوقية ٩ سكونات ، او قرابة ٤٢ كيلومتراً ، وهي المسافة الفعلية من موقع سلوقية الى الفران باتجاه غربي وجنوبي غربي .

فاذا جمعنا الأرقام التي حصلنا عليها حتى الان بالسكونات وصححنا كما اقترحت ( أي ١٠ ، ١٠ ، ١٧ ، ٣ ، ١٢ ، ١٢ ، ١٢ ، ٩ ) نحصل على ٨٥ : أو ١٥ أقل من المجموع الذي أورده ايسيدور وقدره ١٠٠ . أما اذا كانت المسافة ، كما سنوضح ذلك فيما بعد ، بين بسخانة ونيابوليس ١٥ سكونوس وليس « كما ورد في النص فيصبح المجموع ١٠٤ ، وعلى بعد ١٥ سكونوس او حوالي ٧٠ كيلومتراً من الرمادي ( بسخانة ) على امتداد الضفة اليمنى للفرات فصل الى خرائب بتر ، غرب سلوقية مباشرة ، ومن ثم يمكن مطابقتها مع محطة نيابوليس القديمة .

## اعادة تنظيم هيكل خط رحلة ايسيدور نيقفوريم الى فاليك

وبعد ان كنا قد حددنا رقم عمل لطول الكونوس كما استخدمه ايسيدور واجماليات المسافات بين فاليك وسلوقية نوجه انتباهنا الى تعريف المحطات المختلفة .

اذا جمعنا اطوال المسافات بين نيقفوريم وفاليك نحصل على مجموع يبلغ ٣٠ سكونوس ، او ١٤١ كيلومتراً ؛ ولكن المسافة في الواقع هي ١٦٥ كيلومتراً او ٣٥ سكونوس . الا ان بيانات ايسيدور هنا لم تحفظ لنا على وجه الدقة . وللوقوف على مصدر الخطأ نستطيع تقسيم المسافة الكلية الى جزئين : من نيقفوريم الى خندق سميراميس ومن هناك الى فاليك .

نستطيع تحديد موضع « خندق سميراميس » عند خربة زلبية الحالية فقط ، وهو الموضع الذي يغادر الفرات فيه المضائق وأسفل منه منبسط سهل غريني خصب على امتداد ضفته اليسرى . وهنا فقط يمكننا حصر تيار النهر وتحويل المياه الى « خندق » او قناة . ونجد فعلاً قرب زلبية بقايا قناة اروائية قديمة تدعى الآن المبصران ؛ واستناداً الى ايسيدور فان المسافة من نيقفوريم الى « خندق سميراميس » هي ١٦ سكونوس ؛ الا ان المسافة الحقيقية من موقع نيقفوريم الى القناة التي جعلناها مطابقة للخندق هي ٩٠ كيلومتراً ، وهو ما يساوي ١٩ سكونوس .

ان المسافة من زلبية الى موقع فاليك على الخابور هي ٧٥ كيلومتراً او ١٦ سكونوس ، بينما يعطي ايسيدور المسافة من « خندق سميراميس » الى فاليك على انها ١٤ سكونوس فقط .

المعطيات التي زودنا بها ايسيدور وذلك في ترتيب عكسي من « خندق سميراميس » الى نيقفوريم : عند الكيلومتر ٣٣ الى الشمال الغربي

من زلبية نصل الى مجموعة خرائب تل مطبّ [كذا] الذي نعتبره المحطة الملكية  
ثيلاًدا مرآدا على بعد ٧ سكونات من «خندق سميراميس». ان سبعة سكونات تساوي  
٣٣ كيلومترا. ومن تل مطبّ الى الغرب ليس ثمة خرائب كبيرة باستثناء الهداوي  
عند الكيلومتر ١٩ ، وهو مكان نستطيع مطابقته مع قريسة خنبانة ،  
اربعة سكونات من ثيلاًدا مرآدا .

ويذكر ايسيدور ان المسافة من خنبانة الى اقرب محطة وهي قريسة كلبانا  
المهجورة كانت سكونوس واحداً فقط . وعلى هذه المسافة من الهداوي تقع  
خرائب تل السلطان .

واستناداً الى ايسيدور كانت المسافة من كلبانا الى نيقفوريم ٤ سكونات ؛  
ولكن في الواقع ٣٣ كيلومتراً ، او ٧ سكونات ، من تل السلطان الى موقع  
نيقفوريم .

فاذا جمعنا هذه المسافات الحقيقية المتعددة بين « خندق سميراميس »  
ونيقفوريم يكون المجموع ١٩ سكونوس وليس ١٦ كما اورده ايسيدور . ومن  
المحتمل ان يكمن الغلط في النقل المخطئ للمسافة من نيقفوريم الى كلبانا  
الذي ربما تغير عند النقل من الرقم ٧ الى ٤ .

ومن زلبية على امتداد الفرات الى الخابور نعلم بوجود خريبتين اثنتين فقط  
لهما اهمية تذكر . تقوم الأولى سعوى على جرف يطل على السهل الفيضي بينما  
تشكل الثانية ، السن ، وفيها مزار مشهور في جميع ارجاء المنطقة ،  
هضبة صغيرة ملورة في المنطقة الغربية . وكذلك علم ايسيدور بوجود محطتين  
اثنتين فقط في هذه الارض المنبسطة وهما : الان ويونان ، ويشير الى وجود  
هيكل ارتيمس ( في الأخيرة منهما ٢ ، ان المسافة من زلبية الى سعوى هي  
٢٥ كيلومتراً ، أو ٥ سكونات ؛ ومن سعوى الى السن ٢٨ كيلومتراً او ٦  
سكونات ؛ ومن السن الى الخابور ٢٥ كيلومتراً او ٥ سكونات .

ويذكر إيسيدور المسافة من « خندق سميراميس » الى الان انها ٦ سكونات ، ومن الان الى يونان انها ٤ سكونات ، ومن يونان الى فاليكيا أيضاً ٤ سكونات . ويصبح بذلك المجموع الكلي ١٤ ، أو أقل باثنتين من مجموعنا الكلي البالغ ١٦ للمسافة من زليية الى الخابور . وعلى كل حال فان الغلط في النسخ لنص إيسيدور يسهل فهمه . ففي الامكان ان نطابق بكل امانة بلدة الان الصغيرة مع خرائب سعوى ، ونطابق يونان وهيكل ارتيميس مع خربة تل السن الكبيرة ومزارها

### فاليكيا الى ايس

كانت قرى فاليكيا ، التي يترجم إيسيدور اسمها بعارة « منتصف الطريق » ( المصدر السابق ، ص ٢٤٨ ) مطابقة لجزء من قريسيوم المتأخرة . وكانت تقع بالقرب منها ، وفقاً لايسيدور ، بلدة نيكات الصغيرة على نهر ابوراس ، احد روافد الفرات . واعتادت القطعات المرسلة الى الاقاليم الروماني وراء الفرات ان تمر بهذه البلدة .

ويعطي إيسيدور المسافة من فاليكيا الى قرى اسبخا على انها ٤ سكونات ، او ١٨ كيلومتراً . وتؤدي بنا هذه المسافة من الخابور الى خرائب المسايح الحالية . ويحتوي جذر كلمة « مسايح » على نفس الحروف الصحيحة الموجودة في « اسبخا » التي اوردتها إيسيدور .

وكانت المحطة التالية ، دورا التي يصفها إيسيدور بأنها بلدة فيقتور القديمة التي بناها المقدونيون وسمّاها الاغريق المقدونيون وسمّاها الاغريق بـ ( اويروبس ) تقع على مسافة ٦ سكونات ، او حوالي ٢٨ كيلومتراً . وتقع على بعد تسعة وعشرين كيلومتراً من المسايح الخرائب الواسعة لمدينة الجعاببي المحصنة ، التي في امكاننا مطابقتها مع ضاحية من بلدة

دورا المقدونية او اوروبس ، الصالحية الحديثة .

واستناداً الى ايسيدور فقد كانت المسافة من دورا الى قلعة مرّان ٥ سكونات او ٢٣,٥ كيلومتراً . وعند الكيلومتر ٢٣,٥ من الجعابي نصل الى مستنقعات يتغلغل فيها الفرات بعمق الآن . ولعل الفرات قد جرف ايضاً بقايا حصن مرّان ، اذ غالباً ما تختفي قرى على كلا ضفتي الفرات ذلك لان مجراه يتبدل على الدوام . فلو لم تُفقد مرّان برمتها لكان في الامكان تحديد موضعها عند خرائب الكشمة غير بعيد عن شعيب المسارين . ان الكلمة الاصلية التي اشتقت منها مسران ( مفرد مسارين ) ربما تبدلت الى شكل مرّان . الا أنه اذا تطابقت الكشمة مع مسران ، وهي تقع فعلاً على بعد ٢٩ كيلومتراً او ٦ سكونات من موقع دورا وليس ٥ سكونات كما اوردها ايسيدور ، فيجب ان تكون المسافة منها الى محطة ايسيدور التالية ، بلدة كدّ ، ٤ سكونات ، وليس ٥ كما عند ايسيدور .

وتطابق كدّ خرائب الشيخ جابر الواسعة التي تمتد على ضفتي الفرات والتي تبعد مسافة ٢٣,٥ كيلومتراً عن المستنقعات و ١٧,٥ كيلومتراً عن الكشمة ، وهذه الارقام تتطابق مع تحديدنا للمسافتين ٥ او ٤ سكونات من الموقعين المحتملين لمرّان . ويذكر ايسيدور ان المسافة بين كدّ و بليسي ببلادا هي ٧ سكونات او ٣٣ كيلومتراً . وعلى تلك المسافة نفسها بالضبط على الضفة الصخرية اليسرى للفرات تقوم الخرائب التي في ضمنها قلعة ارتاجه وهما علامتان مهمتان بالنسبة لموقعهما لان الفرات يشكل خليجاً عميقاً أسفل منهما مباشرة حيث تجدد زوارق النهر مرفأً آمناً .

ان المسافة من ارتاجه الى جزيرة سريسر الصغيرة هي ٣١ كيلو متراً واستناداً الى ايسيدور فان المسافة من بليسي ببلادا الى الجزيرة التي نجهل اسمها حيث احتفظ الملك البارثي فرانسس بكنوزه

كانت ٦ سكونات . . لذا في الامكان مطابقة سريسر مع جزيرة فراتس . وعلى هذه الجزيرة الصغيرة ، استناداً الى ايسيدور ( المصدر السابق ، ص ٢٤٩ ، قتل فراتس زوجته عندما عاد تيريداتس من المنفى . كان هذا هو فراتس الرابع ، الذي ثار ضده تيريداتس الثاني عام ٣٢ ق . م . وكان تيريداتس قد عاد الى الفرات وهاجم فراتس بعتة بعد نفيه الى سوريا ان المسافة من سريسر الى عانة تبلغ ١٨ كيلو متراً ؛ واستناداً الى ايسيدور فان المسافة من جزيرة اثا كانت ٤ سكونات وهي مطابقة تماما .

ويسمي ايسيدور المحطة التالية وراء جزيرة اثا بجزيرة ثيلايوس وهي تبعد ٢ سكونوس فقط او ٥ و ٩ كيلو متراً ، وفي الامكان مطابقة ثيلايوس مع جزيرة تلبس . الا ان هذه تقع على بعد ١٥ كيلومتراً او ٣ سكونات من عانة .

ومن جزيرة ثيلايوس الى بلدة عزول الجزرية كانت المسافة ١٢ سكونوس ؛ ومن تلبس الى جزيرة الاخزانة تكون المسافة ٥٨ كيلو متراً ، او ١٢ سكونوس بخط مباشر .

وكانت المسافة من عزول الى بلدة ايس ذات العيون النفطية حسب ايسيدور ٢٢ سكونوس او ١٠٣ كيلومتراً ، الا أنها من الاخزانة الى هيت في الواقع مجرد ٦٠ كيلو متراً او ١٢ سكونوس . وكما اقترحنا سابقاً فمن المحتمل ان يكون الرقم ٢٢ ناشئاً عن قراءة خاطئة للرقم ١٢ .

### ايس الى سلوقية

وبعد ايس (هيت) يمتد طريق رئيسي بمحاذاة الضفة اليمنى للفرات ايضاً . ولا نعلم في اية نقطة تحوّل هذا الطريق من الضفة اليسرى الى اليمنى ، كما اننا لانعلم ما اذا كان ذلك في ايس أم سبعة أميال رومانية أعلى من هذه البلدة حيث عبر جيش جوليان (امتيانوس مارسلينوس في كتابه . ، ص ٢٤ : ٣) .

كانت الضفة اليمنى هي المفضلة لتجنب القنوات والترع الكثيرة ، ما بين كبيرة وصغيرة ، التي تشعبت من الجانب الأيسر للفرات على بعد بضعة كيلومترات أسفل من ليس لارواء الأرض الغرينية الخصبة . ورغم أن إيسيدور لا يبين بوضوح أن الطريق الذي وصفه كان يتبع الضفة اليمنى ، فقد يتضح من بيانه أن المسافرين الذين استخدموا هذا الطريق من نيابوليس كان عليهم عبور كل من الفرات نهر الملك قبل الوصول إلى سلوقية .

ويذكر إيسيدور المسافة من ليس إلى بسخانا حيث يقع هيكل أتركاتس تبلغ ١٢ سكونوس أو ٥٥ كيلو متراً مما توصلنا إلى ضواحي الرمادي . أن الأعراف المحلية في الشرق لاتموت بسهولة ، ومن الممكن بل يكاد يكون مؤكداً أن هيكل أتركاتس العتيق ظل قائماً تحت اسم مختلف في العهدين الإسلامي والمسيحي على حد سواء . فقد عرف المؤلفون المسلمون بلدة صندوداً قرب الرمادي وعلى الشرق منه تخرج القناة الكبيرة الأولى من الفرات . وربما تتطابق بسخانا التي أوردها إيسيدور أيضاً مع ماسكين التي أوردها بليني في كتابه ( التاريخ الطبيعي ، ص ٩٠ ) لأن ماسكين أو ماسكين هي الصيغة لبسخانا الآرامية .

وكانت المسافة من بسخانا إلى نيابوليس وفقاً لإيسيدور ٢٢ سكونوس ، وإلى سلوقية ٩ سكونات . ويبلغ مجموع المسافات بين المحطات من فاليكا (على الخابور) إلى بسخانا ، بعد استبعاد الأخطاء المحتملة في النسخ ، ٧٦ سكونوس . فإذا أضفنا إلى هذا الرقم التسع سكونات وهي المسافة من نيابوليس إلى سلوقية . كما رأينا آنفاً (ص ٥٣) فسيبقى يعوزنا ١٥ سكونوس لبلوغ المجموع الذي أورده إيسيدور وقلده ١٠٠ سكونوس فاليكا إلى سلوقية . فإذا يجب أن تمثل هذه الخمسة عشر سكونوس المسافة من بسخانا إلى نيابوليس . إلا أن رواية إيسيدور الحالية تعطي هذه المسافة على أنها ٢٢ سكونوس .

وتوصلنا المسافة الأخيرة من الرمادي ، موقع بسيخانا ، الى بادية المسيب الصغيرة الحديثة الواقعة بصورة مباشرة تقريباً في جنوب — الجنوب الشرقي من موقع سلوقية ، ولكن ليس ثمة من سبب يدعو الى خروج المسافرين عن طريقهم الى هذا الحد . فقد نتوقع ان الطريق الرئيس استدار شرقاً في نقطة وصل عندها خط عرض سلوقية ، في مكان ما بين خرائب بترّا ومدخل قناة المحمودية الحالية . ووراء بلدة بترّا مباشرة (استناداً الى زوسيموس في كتابه ، التاريخ الحديث ح ٣ ص ١٩ ) في عام ٣٦٣ م غادر الرومان بقيادة جوليان نهر الفرات وكانوا في اغلب الاحتمال يسيرون بمحاذاة الطريق الرئيس واستداروا نحو طيسفون ، التي تقع على الضفة اليسرى لدجلة مقابل سلوقية . ان مسافة ١٥ سكونوس وحوالي ٧٠ كيلو متراً من الرمادي بترّا المطابقة لبلدة تفضي بنا الى خرائب بترّا التي اوردها زوسيموس . ولهذا يمكن ان نفترض ان بترّا كانت الاسم المحلي للبلدة الاغريقية نيا بوليس . ومن نيا بوليس الى سلوقية بحسب ايسيدور كانت المسافة ٩ سكونات او حوالي ٤٢ كيلو متراً ، وهي تطابق المسافة الحقيقية من خرائب بترّا الى خرائب سلوقية .

ولا بد ان الطريق الرئيس كان يعبر جسراً من الضفة اليمنى للفرات الى الضفة اليسرى ويستمر بعدئذ على الضفة اليمنى لنهر الملك ( نارملخا ) التي عبرها قبل الوصول الى سلوقية بقليل .

وفي نيا بوليس نستطيع ان نحدد موقع جسر دمره الفرس في عام ٥٨٠ م عندما كان الجيش الروماني بقيادة موريس يصاحبه الامير الغساني المنذر بن الحارث يتقدم مع قوات عربية احتياطية . ويكتب يوحنا الافسوسي بوضوح ( التاريخ الكنسي ، ح ٣ ص ٤٠ و ح ٦ ص ١٦ وما بعد ) ان هذا الجسر المؤلف من القوارب كان قسداً اقيم على الفرات في بيت ارمية قرب العاصمة الفارسية . وكانت بيت ارمية الاسم السرياني للجزء الشمالي



من بلاد بابل الاصلية . وكانت عاصمتها المدائن تقع مباشرة شرق نيابوليس او (بترا) . وكان لدى الرومان بقيادة موريس قوارب ايضاً حملوا فيها مؤنهم ومعداتهم العسكرية . وليس ثمة تقرير يوضح ما اذا كانوا قد ساروا بحذاء الضفة اليسرى ام اليمنى لنهر الفرات ام بمحاذاة كلا الضفتين . فان كانوا قد ساروا على الضفة اليسرى فلا بد انهم عبروا بقواربهم الخاصة بهم الى الضفة اليمنى أعلى من هيت الحالية ، لان المنطقة الغرينية تبدأ جنوب شرقي هيت ، ويتخللها على الجهة اليسرى للفرات قنوات وترع لاتحصى . ومما لا ريب فيه ان الفرس الذين فطنوا لتقدم الجيش الروماني ، كانوا يقومون بحراسة مشددة لحدود المنطقة الغرينية لبلاد بابل . انه لمن الواضح انهم سيدمرون الجسر عند نيابوليس ؛ لذا فمن الصعب ان نتيين سبب توجيه بعض السجلات الاغريقية اللوم للمنذر على ما صادفه الرومان من عقبة في هذا الموضع . لعلمهم قصصوا من وراء ذلك انه كان عليه البقاء على الضفة اليسرى للفرات ثم بعد الالتفاف على الفرس مهاجمتهم في المؤخرة والضغط عليهم للتراجع عن الجسر المدمر . ولو كان فعل هذا لتمكن الرومان من بناء جسر جديد بقواربهم وعبروا عليه الى الضفة اليسرى تحت حماية عرب المنذر . ويبدو لم يستطع ان يقرر محاملة القيام بانزال مثل هذه الضربة ، ونتيجة لذلك لم يكن في مقدور موريس بناء جسر له ولجيشه .



## الملحق الرابع

### زحف الامبراطور جوليان في عام ٣٦٣م

وصف شهود العيان ما كنوس من كارهي ويوتيكيانوس من كبادوسيا واميانوس مارسلينوس زحف الامبراطور جوليان بمحاذاة الفرات الاوسط . ان تقرير شاهد العيان الأخير وحده وصل إلينا كاملاً . اما الآخرون فلا نعلم عنهما سوى شذرات قليلة نشرها سي ملر في المجلد الرابع من كتابه شذرات من التاريخ الاغريقي ( باريس ، ١٨٥١ ) ، ص ٤ - ٦ . على ان الكثير منه قد نقله زوسيموس ، الذي كان معاصراً للامبراطور زينو ، من ما كنوس الكارهي وهو ما يشكل جزءاً من كتاب زوسيموس الموسوم ( التاريخ الروماني ) الذي لا يزال باقياً .

### زحف جوليان كما رواه اميانوس مار سلنبوس

استناداً الى اميانوس مارسلينوس فقد وصل جوليان في ٢٦ آذار ( مارس ) عام ٣٦٣م مع جيشه الى نهر بلباس عند المركز التجاري كالينيكوس المحصن تحصيناً قوياً . ومع فجر اليوم التالي انطلق بمحاذاة الضفة اليسرى للفرات . وفي احدى محطات التوقف قدم رؤساء عرب فروض الطاعة له وقدموا له تاجاً ذهبياً وعرضوا عليه قلعات احتياطية فتقبلها بسرور . وبينما كان يتفاوض مع الرؤساء وصل اسطول يتألف من الف قارب شحن وخمسين قارباً لنقل الجنود وعدد مماثل من العوامات ( اميانوس مارسلينوس ، ص ٢٣ : ٣ - ٧ - ٩ ) .

وبمصاحبة القوات البدوية الاحتياطية أسرع في السير ودخل في اليوم الاول من نيسان (ابريل) قرقيسيوم (قرقيسيا) ، وهي حصن متين البناء يحيط اسواره نهرا ابورا (الخابور) والفرات مما جعل الفسحة الداخلية تبدو كأنها جزيرة .

وكان هذا الحصن في الأصل صغيراً ولا يمنح الحماية بسيطة الى أن أمر دقليانس عندما كان ينظم الاحوال الداخلية للامبراطور الرومانية ، باحاطتها بأسوار وابراج مراقبة عالية لمنع الفرس من القيام بغارات داخل سوريا واحداث اضرار كثيرة في الأقاليم كالتى فعلوها في زمن الامبراطور كاليينوس .  
( المصدر نفسه ، ج ٢٣ ص ٥ : ١ - ٣ . )

لبث جوليان في قرقيسيا الى أن عبر الجيش وكل الذين رافقوه بأمان على الجسر العائم على نهر ابورا . ثم بعد أن عبر النهر بنفسه أمر بازاحة الجسر ليحول دون فرار الجند . ومن ابورا وصلوا الى مكان يسمى زيتا ، ويعني « شجرة الزيتون » حيث قام نصب تذكارى للامبراطور كورديان يمكن رؤيته من بعيد . وبعد ان قام جوليان بتكريم سلفه أسرع نحو بلدة دورا المهجورة . وفي طريقه اصطاد جنوده اسداً كبيراً . ( المصدر نفسه ج ٢٣ ص ٥ : ٤ - ٨ . )

وبعد أن ساروا بمحاذاة الفرات وصلوا دورا في يومين . وهناك شاهدوا عدة قطعان من الغزلان ، وعبر الجزء الاعظم منهم النهر سباحة وهربوا الى اعماق الجزيرة . وبعد اربع مسيرات سهلة أخرى ارسل الامبراطور في المساء قوارب عليها الف رجل مسلح بقيادة لوكييان للاستيلاء على حصن أنثا الواقع ، شأنه شأن العديد من الآخرين ، على جزيرة بالفرات . فقامت القوارب المسلحة بهجوم ليلي ولكن دون جدوى . وعند الفجر التمس الأهليون الرحمة وكانوا يسوقون امامهم ثوراً مزيناً باكليل كان رمزاً للرغبة في السلام عند هؤلاء الناس . الا ان الحصن أحترق بعدئذ وعين لوكييان قائده بوسايوس مسئولاً مدافعاً عن حقوق العامة ومصالحتها ، وأرسل الاهلين مع جميع ممتلكاتهم الى بلدة خالكيس السورية ( المصدر نفسه ، ج ٢٤ ص ١ : ٥ - ٩ . )

وفي اليوم التالي هبت عاصفة قوية جداً مزقت خياماً كثيرة ، كما هدم النهر الغاضب السد الذي كانت تحتمي به القوارب وغرق بعضها مما كان محملاً

بالحبوب ( المصدر نفسه ح ٢٤ ص ١ : ١٤ - ١٦ . )

وبعد ان تزود الجيش بالطعام أمر الامبراطور باشعال النار بالحبوب الفائضة  
وبجميع الاكواخ ايضاً وسبب بذلك ضرراً للعدو الذي كان يراقب افعاله من  
الضفة المقابلة . وعندما عبر جندي سكران الى الجانب الآخر للنهر القوا القبض  
عليه وقتلوه امام أعين رفاقه . ( المصدر نفسه ح ٢٤ ص ١ : ١٤ - ١٦ . )  
وبعد أن ساروا متابعين للنهر وصلوا الى حصن ثيلوثا الذي  
برز وسط النهر كتل شامخ وقد زادت قوته بفعل الطبيعة والانسان على  
حد سواء . وخشية من تعرضهم لسخرية الاعداء في حالة هزيمتهم ، لم يحاولوا  
الاستيلاء على الحصن بل اكتفوا بمجرد الطلب من الأهليين الاستسلام ؛ فكان  
جواب الاهليين بانهم لا ينضمون الى الرومان الا اذا انتصروا واستولوا على المملكة ،  
وظلوا بعدئذ يشاهدون بدون تدخل القوارب الرومانية وهي تمر امامهم . وثمة  
حصن جزري آخر اخياخاخالا قدم رفضاً مشابهاً الى الرومان ، وكان اجتياز  
هذا الحصن الجزري أمراً صعباً جداً . وفي اليوم التالي اضرم الرومان النار بحصن  
كانت قد هجرته حاميته بسبب تحصيناته الضعيفة . ( المصدر نفسه ، ح ٢٤ ص  
٢ : ١ - ٢ . )

وبعد أن أتموا زحف مائتي ستاد اثناء اليومين التاليين وصلوا الى مكان يدعى  
براخملخا حيث عبروا النهر وهاجموا بلدة دياكيرا ، على بعد سبعة أميال ،  
والتي كان أهلها قد هجروها الا انها كانت تحتوي على مخازن كبيرة للحبوب  
والمسلح النقي . وهناك رأوا هيكلًا مبنياً في حصن على تل عال :  
وبعد ان احرقوا المدينة وقتلوا عدداً ثليلاً من النساء هناك ساروا بجانب عين  
نפט واحتلوا بلدة اوزوكاردانا التي هرب سكانها المدعورون ايضاً .  
وهناك عرضوا كرسي القضاء الخاص بالامبراطور تراجان . وبعد  
الاستراحة هناك مدة يومين تقدموا الى قرية ماكبراكتا حيث وجدوا بقايا تحصينات  
نصف مهدامة امتدت الى مسافة بعيدة . وقيل عنها انها كانت تحمي بلاد آشور من

الغزاة الأجانب في غابر الأزمان . ( المصادر نفسه . ص ٢٤ : ٢ - ٣ - ٦ ) .  
وعند هذا الموضع ينقسم الفرات : فرع من النهر يجري الى داخل بلاد بابل  
ويفيد الحقول والبلدان المحيطة به فائدة ليست بالقليلة ؛ واما الفرع الآخر ويدعى  
نارملخا والذي يعني نهر الملك . يجري نحو طيسفون ( كذا ) .  
وعند مدخل الأخير يرتفع برج عال يشبه الفسار فاروس ( اي فئسار  
الاسكندرية ) . عبر جميع الجنبود المشاة الجسور التي شيدها  
الرومان بعناية وسرعان ما وصلوا الى مدينة بيسابوراس الكبيرة  
والمكتظة بالسكان وكانت محصنة كدنية جزرية . طاف الامبراطور حول المدينة  
راكباً وفحص موقعها عن كثب بعناية بهدف ترويع الناس من حصار قادم ،  
كذلك حاول بالوعد والوعيد حملهم على الخضوع . ولما لم يجده كل ذلك نفعا  
احاط المدينة بثلاث حلقات من الرجال المسلحين ورواها بالقذائف ليل نهار  
ومن ثم قادم في جنح الليل ادوات الحرب وأمر بدم الخنادق . وعندما هدم  
الرومان برج الزاوية ترك المدافعون الاسوار المزدوجة للدينة وفتحوا قلعة مشيدة على  
تل مننزل عال داخل التحصينات . وشهدت هذه القلعة في الوسط الى ارتفاع  
شاهق وانحدرت من الجانب الشمالي انحداراً حاداً الى الفرات ؛ وكانت مبنية  
بالبابوق المفخور المثبت بالقار . واخيراً اسلم المدافعون . وكانوا في جماعتهم  
٢٥٠٠ شخص فقط . اما الباقون فكانوا قد هربوا بقوارب صغيرة في الوقت المناسب  
الى الضفة الثانية من النهر . وقد وجد الرومان في القلعة كميات كبيرة من الأسلحة  
والمؤن فأخذوا من كل ذلك ما احتاجوا اليه واسترقوا الباقي والمدينة ايضاً . ( المصدر  
نفسه . ص ٢٩ : ٢ - ٧ - ٢٢ ) .

وبعد ان ساروا قرابة اربعة عشر ميلاً من هنالك وصلوا الى حقول ذات مستنقعات  
بطبيعتها سبق أن أغرقها الفرس بالمايه كدياً . وفي ذلك المكان استراحوا يومهم  
التالي . وفي تلك الاثناء امر الامبراطور ببناء جسور متعددة من الجاود والعوامات  
وكذلك سعف النخيل وعبر الجيش عليها بصعوبة بالغة . ( المصدر نفسه .  
ص ٢٤ : ٣ - ١٤ ) .

وهنا أحرق الجنود قسرية محاملة بأسوار واطئة نوعاً ما . وكان الاهلون يهوداً  
الا أنهم كانوا قد هربوا .

وبعد ان توغل الامبراطور في التماسق امر بتشبيد مخيم قرب بلدة ميوزاملخا  
( ماحسوزة المملك ) الكبيرة والمحكمة التحصين وبعد ان وزع الحراس  
حول المخيم بأكمله ترقباً لهجوم مباغت يقوم به خيالة القرس حاصر البلدة  
واستولى عليها . (المصدر نفسه . ح ٢٤ ص ٤ : ١ - ٢٦ . )

وبعد استيلاء جوليان على ميوزاملخا بدأ هو وجيشه بالعبور على جسور  
عائمة شيدتها جنوده على ترع كثيرة العدد للوصول الى خط مزدوج من  
التحصينات حيث حاول ابن الملك الفارسي مقاومتهم بجيش من طيسفون .  
الا ان القرس الذين ارهبهم منظر الرومان ولوا الادبار دون قتال . (المصدر  
نفسه ح ٤٥ ص ٤٥ : ٣١ . )

وبعد ان وصلوا سيرهم وصلوا الى قلعة ملكية مشيدة على الطراز الروماني  
ومن ثم وصلوا منطقة ملكية محفوظة لصيانة حيوانات الصيد وكانت على  
شكل دائري تغطي مساحة شاسعة مليئة بالحيوانات الوحشية : وعسكر  
وراءها الجيش الروماني داخل تحصينات ليست بعيدة عن كوخة وتدعى  
سلوقية ايضاً . ومن هنا ذهب جوليان لمشاهدة مدينة (سلوقية) التي  
كان الامبراطور فيدوس قسدها ؛ وكان بالقرب منها عيمن  
غزيرة تتدفق منها المياه التي سرعان ما تصب في دجلة . انطلق الرومان  
ثانية بعد يومين وكان عليهم صد هجمات مستمرة من حامية المدينة المحاصرة  
وكذلك صد هجمات على مؤخرتهم من الجيش الفارسي على الضفة اليسرى  
النهر . كل هذا ملأ جوليان بالسخط فقرر الاستيلاء على حصن منيع وعالٍ  
يقع قرب طيسفون . (المصدر نفسه . ح ٢٤ ص ٥ : ١ - ٦ . )

واثناء حصار هذا الحصن لم يعان الجيش من غارات المحاصرين في  
الحامية فحسب بل ايضاً من الهجمات المباغتة القادمة من الجانب الايسر للنهر .  
ومع كل ذلك تم الاستيلاء على الحصن وأحرق وأحكم المخيم بخنادق عميقة

وسور متين ضد الهجمات المتواصلة من طيسفون . ( المصادر نفسه ح ٢٤ ص ٥ : ٩ - ١٢ ) .

وصل الجيش الى مجرى نهر نارمدخا الذي كان جافاً آنذاك . كان هذا «النهر» في الاصل قناة وكانت قد عُمِّقت باوامر الامبراطور تراجان وفيما بعد باوامر ساوروس لجعلها صالحة للملاحة القوارب من الفرات الى دجلة . وكان الفرس قد ملؤها بالحجارة في بعض الاماكن خشية هجوم معاد . وبأمر من جوليان تمّ تطهير القناة ودخلت القوارب دجلة الذي كان يبعد ثلاثين ستاداً فقط . بعد ذلك عبر الجيش القناة على جسر عائمة واقترب من كوحه ( المصادر نفسه . ح ٢٤ ص ٦ : ١ - ٢ ) .

ان عبور الجيش الى الضفة اليسرى من دجلة كان مقدرآ ان يتمّ على قوارب أمتن . وعندما أنجز قسم من هذا العمل ونزل جزء من الجيش أتت القوارب الأخرى لمساعدتهم وذلك بصدد العدو مما جعل الممر مأموناً ( المصادر نفسه ، ح ٢٤ ص ٦ : ٤ - ٧ ) .

تقدم الجيش الآن على الضفة اليسرى لدجلة حتى كاد يصل طيسفون ، وهو يحارب طول الطريق . ( المصادر نفسه : ح ٢٤ ص ٦ : ١٢ ) .

### زحف جوليان كما يرويّه زوسيموس

يروي زوسيموس عند وصفه حملة جوليان ان الامبراطور سار من كارهي الى كالينيوس ومن هناك الى قرقيسيا ؛ وانه عبر الاسبورا (الخابور) ومن ثمّ ابهر بالقوارب منحدرآ مع الفرات . (زوسيموس - التاريخ الحديث ، ح ٣ ص ١٣ ) . وحال اختراقه الجبهة الفارسية وضع جنداً من الخيالة على الجناح الايسر ومن المشاة على اليمين على ضفة النهر مباشرة . ووراء هذه الطليعة من الحراس نُقلت الارزاق وكان الجيش جلّهُ يتبع على مسافة سبعين ( او ثمانين . ستاداً

( يوحنا ملا لاس : المدونات [ الكرونوغرافيا ] ح ١٣ ص ١٨ ) . وبعد ستين ستاداً تم الوصول الى بلدة زاوثا ومن ثم المدينة المهدامة دورا التي ضمت ضريح كورديان . وبعد اربع محطات من دورا جاء الجيش الى بلدة فاثوسا . مقابل حصن على جزيرة أهلة بالسكان . وتمت محاصرتها بقوة متقدمة ابشت هناك طوال الليل دون ان يلحظها أحد . ( المصدر نفسه ح ٣ ص ٢٩ ) .

وبعد هذا وصلوا الى حصن جزري آخر الا انه كان من الضخامة بحيث انهم اكتفوا بالمرور به فقط كما فعلوا مثل ذلك مراراً بحصون أخرى . وبعد ان تقدموا عدة محطات أخرى لما هموا ببلدة داكيرا الواقعة على الضفة اليمنى بأكملها . وعلى الجانب الآخر للفرات من داكيرا جرت عين فقط غزيرة . ومن هنا وصل الجيش الى سيثا وميجينا ، واخيراً الى زاراكارديا ، حيث يمكن مشاهدة مقعد عال ينسب السكان الاصليون الى زاراكارديا وانتهبت البلدة وأحرقت . ارسل جوليان مساعده هور مسداس مع عدد من جنوده طليعة للعثور على العدو الذي تخفى وراء قناة تتفرع من الفرات . فلو استطاع العدو الخوض هناك بسهولة لقام بمهاجمة هور مسداس اما الذي حدث فهو ان مسداس قام بالتفاف حولهم مما اجبرهم على الفرار ( المصدر نفسه ، ح ٣ ص ١٥ ) .

وصل جوليان بعدئذ الى قناة آخذة من الفرات وتجري خلال ارض منبسطة في اتجاه بلاد آشور ودجلة . وكانت القناة عميقة ومظلمة بالوحل مكوّنة مستنقعات متعددة ومن ثم لم تكن سهلة العبور وخاصة لان العدو احتل ضفتها اليمنى . وعلى ذلك ارسل الامبراطور ١٥٠٠ رجل عبروا القناة من مسافة معينة وهاجموا العدو . وفي الوقت ذاته عززت هذه المفزة بنجدة تحت إمرة القائد فيكتور الذي غادر الجيش الرئيس ليلا دون ان يشعر به أحد وعبر القناة وانضم الى مجموعة الالف وخمسمائة رجل وازاحوا العدو



(المصادر نفسه ، ص ٣٦ ) . ان هذه المناورة مكنت الجنود الخيالة من العبور الى الجهة الأخرى بسفن رومانية والمشاة بقوارب مستولى عليها ( المصدر نفسه ، ص ٣٦ ) . ثم ساروا الى بيرسابورا ( اي بيريسابوراس ) ، وهي بلدة محاطة بجدارين وقلعة مستديرة في وسطها . ولا يمكن الوصول الى القاعة من البلدة إلا بطريق شديد الانحدار يصعب ارتقاؤه . ويمكن الدخول الى البلدة من الغرب والجنوب من خلال بوابة وممر متعرج . بينما يحيطها من الشمال فرع عريض من النهر الذي كان يزود الأهلين بالماء . وكان يحميها من الشرق خندق عميق معزز بأجراف شاهقة شديدة الانحدار وابراج متينة . القسم السفلي منها مبني بالآجر مثبت بالقا ، والقسم العلوي بالآجر المجفف بالشمس والمثبت بالجص (المصدر نفسه ص ٣٦ ص ١٧ - ١٨ ) . لقد استولى جوليان على هذه المدينة التي تعد اعظم بلاد آشور بعد طيسفون بيومين ؛ بعد ثلث اسرع بمحاذاة الفرات الى بلدة فيسينيا المحاطة بخندق عميق ملأه الفرس بالماء من القناة القريبة المسماة بالنهر الملكي ( باسيلوس بوتاموس ) . اخترق جيشه هذه البلدة ثم وصل الى منطقة غمرها الفرس بالماء من القناة الملكية وكذلك بماء مباشر من الفرات . وبعد ان عبروا هذه المنطقة بصعوبة بالغة احتلوا بلدة بئرا ، حيث وجدوا قصرأ ملكياً وابنية فسيحة (المصدر نفسه ص ٣٦ ص ١٩ ) . وبعد ان وصلوا سيرهم وصلوا الى بستان نخيل واسع وحصن متين قرب بلدة بيسوخيس . وكان الحصن المشيد على رابية سور مزدوج يتخلله ستة عشر برجاً ويحيط به خندق مليء بالماء . تمت محاصرة هذا الحصن ايضاً والاستيلاء عليه (المصادر نفسه ، ص ٣٦ ، ص ٢٠ ) . ان الوقت الذي قضاه الامبراطور بفتح هذه القلعة إستغله الجيش ببناء طريق رئيس الى طيسفون التي تبعد تسعين ستاداً (المصادر نفسه ، ص ٣٦ ، ص ٢١ ) . وبعد ان استمر جوليان بزحفه وصل الى المنطقة المحظورة لصيابة حيوانات

الصييد حيث احتفظ ملوك الفرس بحيوانات مختلفة ؛ ووصل أيضاً الى بناية مشيدة على الطراز الروماني ثم وصل أخيراً الى بلدة ميناس سباتا (اوميناس) ، حوالي ثلاثين ستاداً من بلدة كانت تدعى زوخاسة الا انفسها عرفت على عهد جوليان بسلوقية . وتسم الاستيلاء على ميناس سباتا عنوة ( المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٣ . )

وفي هذه الاثناء كان الجيش الروماني يتعرض الى مضايقات قام بها الفرس من الجانب الآخر للنهر ( دجلة ) . وعلى كل حال وصل الرومان أخيراً الى قناة ينسب المواطنون الأصليون حفرها الى اوامر صدرت عن تروجان التي من خلالها تصب القناة المسماة نارملخا (النهر الملكي) في دجلة . أمر جوليان بتطهير هذه القناة وبهذا هياً ممراً لقواربه للوصول الى دجلة حيث يمكن استخدامها لبناء جسور لعبور الجيش ( المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٤ ) . هذا وامتدت المنطقة المحظورة لصيانة حيوانات الصيد الملكية حتى هذه القناة التي عن طريقها عبر الجيش دجلة (المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٥ )

### اعادة تركيب طريق جوليان

ان سجل اميانوس مارسليانوس وسجل زوسيموس يكمل بعضهما بعضاً ويضيفان كثيراً الى معرفتنا للطوبوغرافية المحلية لبلاد ما بين النهرين في الزمن القديم . سار الجيش الروماني مع الامبراطور جوليان من كالينيكوس بحذاء الضفة اليسرى لنهر الفرات الى الثغر الحدودي المنيع قرقيسيا . ومن المستحيل معرفة عدد المسيرات اللازمة للوصول الى هناك لاننا لا نعلم كم استغرق الامبراطور في التفاوض مع الملوك ( الرؤساء ) البدو ، كما لا نعلم كم طال انتظاره للقوارب التي كان لا بد ان يصطحبها معه . ومما يدعو الى الغرابة ان السجلات لا تذكر اية بلدة بين كالينيكوس وقرقيسيا . وبالقرب من قرقيسيا ، حيث تقع الآن قرية البسيرا الحديثة ، نُصب جسر من القوارب على نهر ابورا ( الخابور ) ليدخل الجيش عليه الى الامبراطورية الفارسية . وفيما وراء هذه

النقطة . كما هو الحال قبل الوصول إليها ، تشكل الجناح الايسر للحرس المتقدم من الخيالة والجناح الأيمن من مفرزة من المشاة ، وتأتي وراءها قافلة الامتعة وآخر الجميع يأتي الجيش الرئيس .

واستناداً الى زوسيموس ، يبدو وكأن غالبية الجيش تبع في اعقاب الجناحين المتقدمين على مسافة تبعد سبعين ( او ثمانين ) ستاداً . ولقد وقع الاختيار على الجنود الخيالة للجناح الايسر لانه يتوقع عموماً ان يقوم خيالة العدو بهجمات مباغتة من ذلك الجانب . ورافق الجيش دائماً خمسون قارباً نقل وعدد مماثل من العوامات . تقدم الامبراطور إما بقارب او على ظهر حصان في اماكن اخرى . وعندما قطع الجزء الرئيس من الحملة مسافة ستين ستاداً من ابورا ( البخابور ) وصل الى قريبه زيثا ( شجرة الزيتون ) حيث كان قد شيد ضريح تكريماً للامبراطور كورديان .

ويورد يوتروبيوس في موجزه ح ٩ ، ص ٢ ان هذا الضريح كان على مسافة عشرين ميلاً من قرقيسيا - ومن الممكن مطابقة قريسة زيثا مع المروانية الحديثة ، ٢٩ كيلومتراً او ما يقارب ميلاً رومانياً جنوب شرقي البسيرا ( قرقيسيا ) ؛ لذا لا يمكن قبول المسافة التي اوردها زوسيموس وباللغة ستين ستاداً ( ٦ ٨ ) على انها تمثل المسافة الحقيقية بين قرقيسيا وزيثا . ويبدو كأن زوسيموس قد وقع فسي خطأ في النسخ وكان السبعين ( او الثمانون ) ستاداً التي يذكر انها المسافة الفاصلة بين الحرس المتقدم وبين غالبية الجيش كان يجب اضافتها في الواقع الى الستين ، لان ( ٦٠ - ٨٠ ) ١٤٠ ستاداً فيلتييراً الذي يساوي ٢٩٤ كيلومتراً . او قرابة عشرين ميلاً رومانياً . ويؤيد عدة كتاب ان ضريح كورديان نُصب في زيثا وليس في دورا كما يذكر زوسيموس . ومن زيثا تقدم الجيش الى بلدة دورا المخربة ووصلوا اليها في مسيرتين من قرقيسيا .

وتدعى خرائب دورا على الضفة اليسرى للفرات الآن بالجعابي وتبعد ٥٠

كيلومتراً من البسير ( قرقيسيا ) ، أي مسيرة يومين كل منهما يبلغ ٢٥ كيلومتراً .  
 وقطع الجيش مسافة من دورا الى المكان الذي ارسل منه الامبراطور القوارب  
 مع الف رجل مسلح لمداهمة حصن اثنا الجزري — بأربعة أيام . فان كانوا  
 لا يستطيعون السير أكثر من خمسة وعشرين كيلومتراً يومياً في مثل ذلك السهل  
 الذي يمتد بين قرقيسيا ودورا فلا يمكن ان نتوقع سرعة اكبر في الروابي الوعرة  
 شرقي دورا . ان اربع مسيرات من الجعابي ( دورا ) توصلنا بمسافة تسعين كيلومتراً  
 الى خربة ارتاجة حيث تجد قوارب الفرات اسفل منها مرفأ اميناً في الأزمنة  
 الحديثة . فلو انطلقت السفن الحربية الرومانية من هذا المرفأ بعد الثالثة عصراً —  
 او قرب المساء كما يذكر اميانوس مارساتينوس في كتابه ( ح ١٤ ص ١ : ٦ )  
 وهم يندفعون بمجازيفهم ومحمولين مع التيار لاستطاعوا الوصول الى قاعدة اثنا  
 ( عانه الحالية ) قبل الساعة الخامسة صباحاً ، اي وقت الفجر .  
 ولم يكن عسيراً عليهم الانحدار مع المجري وقطع المسافة الضرورية البالغة  
 ٥٥ كيلومتراً في اربع عشرة ساعة مع الالتفات الى منعطفات النهر بين  
 ارتاجة وعانة ) .

يذكر زوسيموس ان الرومان أتوا بأربع مسيرات من دورا الى بلسدة  
 فاثوماس التي تقع مقابل حصن جزري ( اثنا ) ، وهذا يدل على انه هنا  
 قد نسخ ايضاً بصورة غير صحيحة . فالمسافة من الجعابي ( دورا ) الى الموضع  
 المقابل لعانة هي ١٣٠ كيلومتراً ، ثلثها تماماً كانت تخترق منطقة صخرية وعرة  
 حيث ليس بمقدور اي جيش مواصلة السير بمعدل ٣٢ر٥ كيلومتراً وهي السرعة  
 التي كان من الضروري السير بها لو قطعت هذه المسافة في اربع مسيرات ،  
 ان تثبت موضع فاثوماس ليس بالأمر اليسير . فلو اعتمدنا عبارة زوسيموس التي  
 مفادها ان الجيش الروماني وصل اليها بأربع مسيرات فلا بد من البحث عنها عند  
 ارتاجة ؛ الا اننا لو تأملنا في نصه العبارة التي تضع فاثوماس مقابل جزيرة عانه  
 الصغيرة ، لوجب اذن مطابقتها مع بلسدة راوة الحالية . ان الممر الضيق بين

الفرات والجرف الصخري شديد الانحدار ، وقد بنيت على قمته راوة الأصلية ، يدعى الآن الفتح وهو اسم يوحى بـ ( فاثوساس ) ، مع انه من الممكن ايضاً ان يكون هذا الاسم تحريفاً للاسم بيشونا ( عانة ) . ومن الواضح ان سكان حصن انثا الجزري كانوا متواطئين مع الرومان واستسلموا دون مقاومة تذكر . وبهذا فقط نستطيع تفسير السبب الذي من أجله ، جنوبي غربي حلب الحالية .

هذا وتحطمت قرب انثا بعض القوارب الرومانية المحملة بالحبوب لان النهر الهائج اطاح بالسد الذي كانوا يحتمون ورائه . وربما كان السد جداراً حجرياً متصلاً بقطرة مثبت على نهايتها الخارجية ناعور . وكانت مثل هذه الجدران او السدود شائعة جداً لمدة طويلة في المنطقة المجاورة لعانة ، وربما تحطمت قوارب الحبوب بسهولة عند ارتطامها بواحد منها . وكانت كل من الجزر والضفتين حول انثا مزروعة زراعة جيدة ، وهكذا تمكن الجيش من التزود بكدمات من الحبوب والنبذ . اما العدو فكان يراقبهم من الضفة اليمنى فقتلوا جندياً كان قد وقع في اسرهم .

والى الجنوب الشرقي من انثا شاهد الامبراطور معقلاً جزرياً يدعى ثلوثا وكان هذا الحصن بدرجة من المناعة بحيث لم يجرؤ على محاصرته . ولا يمكن ان يكون هذا الثلوثا سوى جزيرة تلبس الصخرية التي كانت قد تحصنت من اقدم الازمنة وتقع على بعد ١٤ كيلومتراً جنوبي شرقي عانة . ومن ثلوثا وصل الجيش الروماني الى حصن اخياخالا الذي كان محاطاً بالنهر مما جعل الاقتراب منه امراً صعباً للغاية . وفي امكاننا الافتراض ان هذه البلدة تقع على الضفة اليمنى ، ويفصلها عن اليابسة قناة ضيقة اوفرع من الفرات ، لان اميانوس مارسليينوس ( المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٢٠٢ )

لا يذكر انها بُنيت وسط النهر ، كما هو معتاد عند الحديث عن الجزر . ويتفق وصفه مع موضع بلدة الحديثة الحالية التي تنفصل كذلك عن اليابسة بخندق اصطناعي يملأ من ماء الفرات . ان اسم الحديثة ( اي الجديدة ) هي تسمية متأخرة . ولعله من اخياخالا ( او اخلاخالا ) نشأ الاسم المحلي ( العال ) الذي يدل الآن على جرف عال شديد الانحدار على الجانب المقابل . ان تحديدنا لموضع اخياخالا يتفق مع البيانات التالية التي وردت في كتابات اميانوس مارسلينوس .

ومن اخياخالا ( الحديثة ) وصل الجيش في اليوم التالي الى حصن صغير مهجور واحرقوه . وعلينا ان نبحث عنه على الضفة اليسرى ؛ وفي الحقيقة نجد على بعد ٢٠ كيلومتراً شرقي الجنوب الشرقي من الحديثة خربة سفلة ، التي ربما تتطابق مع الحصن موضوع البحث ، ومن هنا زحف الجيش مائتي ستاد في يومين ووصل الى مخاضة براكسملخا التي تبعد مسافة سبعة أميال من بلدة دياكيرا . وكانت « دياكيرا » او « داكيرا » ( من ذو قير ، وتعني « الذي يعطي قيراً » التسمية القديمة لبلدة هيت ، وعلى بعد سبعة أميال رومانية . او قرابة عشرة كيلومترات مصعداً مع النهر من هيت تقع خرائب العويرا (٥) على الضفة اليسرى ومنها تؤدي مخاضة ميدة بجانب جزيرة الفاوي الى الضفة اليمنى . ولعل هذا يبرر قيامنا بتطابق عويرة مع براكسملخا . ان المسافة من سفلة الى عويرة هي ٤٣ كيلومتراً التي تكاد تساوي مائتي ستاداً فيلبيترياً . وربما تكون « براكس » تحريفاً لجذر الكلمة العربية فرض أو (مخاضة النهر) ، ومن هنا فان « براكسملخا تعني « المخاضة الملكية » . وفي اللهجة العامية يتشابه تلفظ حرفي الضاد والصاد ؛ وغالباً ما ينقله الاغريق الى لغتهم باستعمال حرف X .

وكانت بلدة هيت « معطاءة القير » ( دياقيرا ) تقع على تلين ، اعلاهما

(٥) ان هذه الكلمة وردت مرة بحرف a «عويرا» في نهايتها ومرارا تنتهي بحرف e «عويرى» (المترجم) .

ينحدر بشدة الى النهر . وعلى الضفة اليسرى ، مقابل البلدة الحالية ، تندفق عيون نفط متعددة . وبجانب الطريق تماماً الى الشمال الشرقي من البلدة تنساب عين عطعاط ، وإلى الجنوبي الشرقي عين النفاطة ، ولعل العين الأخيرة هي التي اشار اليها اميانوس مارسليينوس .

وبعد ان دمر الجيش دياقيرا استمر في زحفه بعزاء الضفة اليسرى . واستناداً الى زوسيموس اخترق الجيش قرى سيثا وميجيا وزراكارديا . وليس من المؤكد ما اذا كانت سيثا وميجيا تقعان قبل عين النفط او بعدها . ويبدو ان اميانوس مارسليينوس يضع ازوكرادانا التي تتطابق مع زراكارديا التي ذكرها زوسيموس بعد العين مباشرة . وفي الامكان تحديد موضع قرية سيثا في خرائب الاسود على حافة سهل الزوية ، وموضع ميجيا في الخرائب الصغيرة غربي عين النفاطة . وزراكارديا في صاري الحد . وإلى الجنوب الشرقي من المخربة الأخيرة ينسبط سهل عريض فيه عدد قليل من الترع الاروائية القصيرة ، وربما اختفى وراء احدها جنود من الفرس والعرب كما يشير الى ذلك زوسيموس . اما قرية ماكبراكتا فايجادها أمر سهل لانها تقع ، استناداً الى اميانوس مارسليينوس ( المصدر السابق ، ح ١٤ ص ٢ : ٦ ) ، بالقرب من بقايا تحصينات كانت في الأزمنة الغابرة تحمي الامبراطورية الآشورية ضد هجمات معادية ، وكذلك لانه ليس بعيداً من هناك تفرعت اول قناة عريضة من الفرات . ان السور الذي يبدأ من خرائب أم الروس ويمتد من الضفة اليسرى للفرات شمالاً حتى دجلة يمكن اعتباره بقايا التحصينات مدار البحث . وفضلاً عن ذلك ، فان القناة الكبيرة الاولى او فرع الفرات عندما ينحدر المرء مع المجرى ... القرمة وهي قناة تم تعميقها اصطناعياً في جزئها الاول فقط وتلتوي لأكثر من اربعة أخماس طولها مخترقة منخفض الخور ايضاً تبدأ قرب ام الروس . ولذا ففي الامكان تطابق هذه القرية المخربة مع ما كبراكتا . اما قناة القرمة فلم تدع سابقاً نارماخا ، كما يذكر اميانوس مارسليينوس ، لان نارماخا ،

كما نعلم من مصادر أخرى تشعبت من الفرات في موضع أبعد الى الجنوب الشرقي بمسافة كبيرة . ان ضفتي القرمه قرب الفرات شديدا الانحدار وان القناة نفسها مليئة بالوحل الى حد كبير مما يجعلها صعبة العبور جداً ؛ ولكن على مسافة أبعد الى الشرق ، حيث ته ببح الضفتان واطثتين ، يكون العبور سهلاً . وفي هذا الموضع ، ربما قرب خرائب الاسهابي الحالية ، استطاع الجنود الذين ارسلهم جوليان الى الضفة الجنوبية الخوض دون ان ينتبه اليهم أحد ومداهمة الفرس من وراء الاكبات الواطئة . بعد هذا عبر الرومان القناة وحاصروا حصن بريسابوراس (فيروزسابور) ، الانبار في يومنا هذا ، واستولوا عليه في يومين . ومن بريسابوراس سار جوليان ( المصدر نفسه ، ح ١٤ ص ٣ : ١٠ ) مسافة اربعة عشر ميلاً ووصل الى موضع كان من الضروري فيه اجتياز مستنقعات طبيعية ، واخرى مغمورة اصطناعياً ؛ وامن هذه كانت ، استناداً الى زوسيموس ، تقع بلدة فيسينيا ، المحاطة بخندق عميق مليء بالماء من « النهر الملكي » المجاور الذي استخدم في اغراق المستنقعات ؛ ويتبين من النص ان المؤلفين كليهما يصف المستنقعات ذاتها .

ان مسافة اربعة عشر ميلاً من الانبار ( بريسابوراس ) توصلنا الى مدخل قناة دقار الحالية . وهذا السهل المنخفض الواقع الى الجنوب الشرقي لا يزال يفيض عليه نهر الفرات بين حين وآخر مكوناً بحيرة او اخدوداً موحلاً يزيد طوله على خمسة عشر كيلومتراً وعرضه كيلومتر واحد .

وربما كانت بلدة فيسينيا ، التي يقول، زوسيموس ان خندقها لم يملأ من الفرات مباشرة بل من « النهر الملكي » (باسيليوس بوتاموس ، او نار ملخا) ، متطابقة مع خربة عقر النعيلي الواقعة قرابة كيلومترين من الفرات على الضفة اليسرى لقناة قديمة .

وفي امكاننا ان نستنتج من اميانوس مارسلينوس ( المصدر السابق ح ١٤ ص ٣ : ١٤ ) ان الجيش استمر في سيره على الضفة اليسرى للفرات . ماراً بهجر



متعددة ، حتى جاء أخيراً الى منطقة كاد النهر العظيم يختفي فيها الملكة ترعاً ارواثية وقنوات كثيرة . ورغم ذلك فانه لا يذكر شيئاً عن طول هذه المسيرة ولا وقت مغادرة الجيش الفرات ثانية . وهنا يقدم لنا زوسيموس (المصدر السابق ، ص ٣٩) بطريقة ما ، نوعاً من المساعدة وذلك بذكره بلدة احتلها الرومان . وكانت هذه بلدة « بثرأ » ، التي لا تزال باقية الى يومنا هذا في مجموعة من الخرائب ( بثرأ ) منبسطة على مسافة ستة كيلومترات اعتباراً من الكيلومتر ٢٢ الى ٢٨ جنوب شرقي عقر النعيلي (فيسينيا) على كلتا الضفتين اليمنى واليسرى للفرات . وكانت غالبية مدن الفرات القديمة تقع على الضفتين كليهما ، وكانت الضواحي تسمى باسمائها ؛ وعلى هذا يسكن تحديد موضع بلدة بثرأ التي ذكرها زوسيموس بخرائب بثرأ الواقعة بجانب ضريح ابراهيم الخليل . وعلى الجانب الشمالي من هذه الخرائب تفرعت قناة نار ملخا القديمة والكبيرة ( نهر ملكي ؛ النهر الملكي عند بليني ، التاريخ الطبيعي ، ص ٦٠ ) ؛ نهر الملك عند العرب ) من الضفة اليسرى للفرات وكذلك تشعبت قناة العلقمي ، وهي المعروفة بمارساريس في الازمنة القديمة ، من الضفة اليمنى قرب الخرائب . وبفضل قنوات اخرى اصغر حجماً وترع في هذه المنطقة تحوّل الماء من المجرى الرئيس بطريقة بحيث أدت الى ان يزداد النهر ضيقاً باستمرار حتى كاد يختفي في بعض الأماكن . ولا يظهر أنّ بثرأ التي ذكرها زوسيموس بما فيها من قصر ملكي ومبان واسعة ، هي نفس البلدة التي هجرها اهلها اليهود بسبب وضعها المعرض للخطر الذي يشير اليه ميانوس مارسليّوس ( لمصدر السابق ، ص ١٤ : ١ ) . أما عن موضع الاخيرة فلا تزال في شك مما اذا كانت تقع على الفرات او الى الداخل بمسافة بعيدة .

غادر الجيش الروماني نهر الفرات بعد بثرأ مباشرة . ومن المحتمل ان السفن أبحرت على نارملخا وان الجيش تقدم بحذاء ضفته اليمنى . وكانت المسافة من بثرأ الى دجلة عند طيسفون ثلاثة واربعين كيلو متراً . سار الجيش

اتجاه شرقي حتى حصن مايوزاملخا . واستناداً الى زوسيموس ( المصدر السابق ، ص ٣٠ ) الذي لا يذكر اسم الحصن فانه يقع بجانب بلدة ييسوخيس على مسافة تسعين ستاداً من طيسفون . وتعني مايوزاملخا « حصن الملك ، او الحصن الملكي » ولنا ان نفترض انه سمّي هكذا لانه وقع على نارملخا . وعلى مسافة تسعين ستاداً ، او قرابة ثمانية عشر كيلو متراً غربي طيسفون نجد ركام خربة عند خان الزاد الحالي ، الواقع على الضفة اليسرى من نارملخا القديم .

وبعد مغادرة الرومان مايوزاملخا واصلوا سيرهم في اتجاه طيسفون مارين ببنية فخمة على الطراز الروماني ثم اخترقوا منطقة محصورة لصيانة وصيد الحيوانات محاطة بجدار عال تعود الى ملوك فارس امتدت حتى قناة نارملخا . ان منطقة الصيد هذه دون شك تتطابق مع المنتزه الذي ذكره زينوفون ( اناباسس ، ص ٢٠ : ٤ ) والواقع على قناة كبيرة بالقرب من بلدة سيتاس .

وباجتياز الرومان منطقة الصيد ضربوا خيامهم قرب بلدة ذات حصن عال لم يذكر اميانوس مارسلينوس اسمه . الا انه استناداً الى زوسيموس ( المصدر السابق ، ص ٣٠ : ٢٣ ) كان يدعى ميناس سباتا ( ووردت ميناس ) وكان يبعد حوالي ثلاثين ستاداً ، او ستة كيلو مترات مسن زوخاسة ، وهي جزء من مدينة سلونية المهذبة . اما اميانوس مارسلينوس ( المصدر السابق ، ص ٤٠ : ٣ ) فيضع الحصن قرب كوخة ، وهي ايضاً جزء من سلوقية . وبعد مقاومة عنيدة تم الاستيلاء على الحصن سباتا وأضرمت النيران فيه ، ومن المحتمل ان القوارب الرومانية أبحرت على نارملخا الى ما وراء سباتا ، وهي خربة المنير الحالية . وفي هذا الموضع يستدير نارملخا باتجاه جنوبي بزاوية تكاد تكون قائمة ويعجري حول خرائب سلوقية ثم يختفي في فروع لا تحصى هناك .

ولا يؤكد اميانوس مارسلينيوس ان تراجان وسفيروس أمرا بحفر نارملخا بأكمله من الفرات الى دجلة ، كما انه لا يؤكد ان الفرس أمروا بعرقلة الملاحة فيه فيه بأكمله وذلك بوضع جلاميد صخرية كبيرة . ومن المحتمل انه لا يشير إلا الى فرع موصل طوله ستة كيلو مترات يؤدي من سبائا شرقاً مباشرة الى دجلة . وكان هذا هو الفرع الذي اعطى للاسطول الروماني الصغير حرية الوصول ليس الى دجلة فحسب بل والى سلوقية وطيسفون ايضاً . وكان تراجان وسفيروس قد أمرا قبل ذلك بتعميقه الا ان الفرس اغلقوه بسد عظيم . ان جوليان بتدمير هذا السد سيمكن القوارب من الوصول الى دجلة دون عائق ؛ وعلى ذلك فان عبور جيشه الى الضفة اليسرى لدجلة وزحفه الى طيسفون المجاورة سيصبح أمراً سهلاً . وبقيام الفرس بطمر الفرع الموصل بين القناة والنهر فمن المحتمل انهم كانوا لا يأملون منع قوارب العدو من دخول دجلة فحسب بل انهم كانوا يأملون الاحتفاظ بماء نهر الملك للمنطقة المجاورة الواقعة الى الغرب من سلوقية .

وتنفيذاً لأمر جوليان تمت ازالة العائق الصخري وتدفق الماء من نهر الملك مما مكّن القوارب الرومانية من الوصول الى دجلة . ثم قام الجيش الذي اتخذ موضعه على الضفة اليمنى لنهر الملك بعبوره على جسور وتقدم الى دجلة ايضاً ، الى الشمال من بلدة كوخة المجاورة . وكانت هذه البلدة التي لم يدخلها الرومان ، على الضفة اليسرى لنهر الملك مقابل طيسفون وتبعد حوالي ثلاثين سناداً او ستة كيلو مترات من سبائا .

هذا وعرف بليني ( التاريخ الطبيعي ، ح ٦ ص ١٣٢ ) بوجود بلدة سبائا ووردت بصيغة سبداثا الا انه لم يوفق الى تحديد موقعها بالضبط .

ويذكر ابو الفضائل ( في مرصد الاطلاع [ يوينبول ] ، مجلد ٢ ، ص ١ ) ان بلدة ساباط قرية كانت قريباً من المدائن عندها قنطرة كانت على نهر الملك . وكان القرية سميت بالقنطرة لانها ساباط

( عبور ، ارتباط ، حلقة وصل - سابات ) ويتفق موضع سابات كسرى كلياً مع موقع بلدة سباتا التي نحن بصدددها . وكذلك لاتقع سباتا بعيدة عن المدائن ( اي سلوقية القديمة وطيسفون ) الواقعة على نهر الملك ( نارملخا القديم ) ، وكما يبدو من عبارات زوسيموس واميانوس مارسلينوس فانها تقع على الضفة اليمنى من هذه القناة على بعد ثلاثين ستاداً ، او ستة كيلو مترات ، من كوخة ، التي شكلت جزءاً من المدائن . واستناداً الى هو فمان ، مقتطفات ( ١٨٨٠ ) ، ص ١١٠ فقد أرسل الشهيد كيوركيس الى ماحوزى وسجن في قلعة دعيت بـ ( اكرائض خوخى وتعني ماحوزى في الارامية نفس ماتعنيه المدائن العربية ، وخوخى هي كوخة الكلاسيكية . واحد موضع سباتا في خرائب المنير الحالية ، التي تبعد نحو خمسة كيلو مترات الى الشمال الغربي من تل عمر ( كوخة القديمة ) وعلى بعد ٥ ، ٥ كيلو مترات من دجلة .

\* \* \*

## الملحق الخامس

الطرق البرية على الفرات الأوسط وفقاً للمراجع العربية

### الطرق من بغداد الى الكوفة

كان الطريق من بغداد الى الكوفة ذا اهمية كبيرة في العهد العربي .  
وبما انه يشكل جزءاً من طريق الحج الكبير الى المدينة ومكة فقد ورد وصفه  
كثيراً ؛ ومع ذلك فإن اقوال الكتاب المتقدمين لاتتفق بعضها مع بعض ،  
كما لاتتفق مع الحقائق الواقعية .

ويقار ابن خرداذبه في المسالك ( دي خويه ، ص ١٢٥ ) المسافة  
من بغداد الى الكوفة بـ ٣١ فرسخاً ؛ وبما ان المسافة الحقيقية هي ١٤٦ كيلو متراً  
ففي الامكان اعتبار ٧ ، ٤ كيلو مترات كعدل ( انظر ماسبق ص ٥٢ )  
لطول الفرسخ عند ابن خرداذبة ؛ على انه في حالات أخرى نحصل من مقارنة  
المسافات المعلومة مع تلك التي يعطيها ابن خرداذبة على خمسة كيلو مترات  
في الأقل كعدل للفرسخ الواحد ( انظر مايلى ص ٨٣ ) . فعلى الاساس الأخير  
يجب الا نتوقع اكثر من ٢٨ او ٢٩ فرسخاً بين المدينتين . وفي المناقشة التالية  
اعتبرنا ٥ كيلو مترات معدلاً للفرسخ فيما عدا الحالات الموضح فيها خلاف ذلك .  
ذكر ابن خرداذبة المسافة من بغداد الى قصر ابن هبيرة على انها  
اثنا عشر فرسخاً . إنني احدد البلدة الأخيرة في الخرائب المجاورة لضريح  
السيد ابراهيم الصغير ، على مسافة ٦٢ كيلو متراً او ما يقارب اثني عشر  
فرسخاً ، جنوبي بغداد .

ويذكر اليعقوبي ، في البلدان ( دي خويه ) . ص ٣٠٨ والصفحة التي  
التي تليها ) ان المسافة من بغداد الى الكوفة هي ٣٠ فرسخاً ؛ ولهذا يكون

الفرسخ استناداً اليه ٩ ، ٤ كيلو متراً ؛ ويذكر ان المسافة الى قصر ابن هبيرة هي ١٢ فرسخاً .

اما ابن رسته ، فيذكر في الاعلاق النفيسة ( دي خويه ) ، ص (١٧٤) ان المسافة من بغداد الى قصر ابن هبيرة هي ١٢ فرسخاً، ومن هناك الى الكوفة ٢٠ فرسخاً . ولكن في الواقع ان المسافة من قصر ابن هبيرة الى الكوفة لا تزيد على ١٦ فرسخاً .

وفي اماكن اخرى يذكر ابن رسته ( المصدر السابق ، ص ١٨٢ ) المسافات بالأميال ( ٣ لكل فرسخ ) : من بغداد الى قصر ابن هبيرة ٣٦ ميلاً او فرسخاً ؛ ومنها الى الكوفة ٥٧ ميلاً أو ١٩ فرسخاً ، وهي اكثر مما يلزم . ويذكر قدامة ، في الخراج ( دي خويه ) ، ص ١٨٥ ) أن المسافة من بغداد الى قصر ابن هبيرة هي ١٢ فرسخاً ، ومنها الى الكوفة هي ٧١ فقط ؛ وفي الجملة ٢٩ فرسخاً ؛ وهذا اكثر اتفاقاً مع الواقع .

ويسجل الهمداني ، في صفة جزيرة العرب (ملر) ، ص ١٨٥ ) من بغداد الى قصر ابن هبيرة ٣٦ ميلاً ، او ١٢ فرسخاً ، ومن هناك الى الكوفة ٤٦ ميلاً فقط ، او ١٥ فرسخاً زائداً ميلاً واحداً ؛ وفي الجملة ٢٧ فرسخاً وميلاً واحداً . وتبدو بيانات الهمداني أقرب الى الصواب مما ورد في الكتابات الأخرى . ويذكر ابن خرداذبه في نفس الموضع ، ان المسافة من بغداد الى جسر كوئي ( جسر قوارب كوئي ) هي ٧ فراسخ ؛ ومنه الى قصر ابن هبيرة ، ٥ فراسخ ؛ ومنه الى سوق أسد ، ٧ فراسخ ؛ ومنه الى شاهي ، ٧ فراسخ ؛ ومنه الى الكوفة ، ٥ فراسخ ؛ والمجموع : ٣١ فرسخاً . احدد موضع جسر كوئي في خرائب ام سفوح ، وهي تبعد ٣٧ كيلو متراً من بغداد ، وهي مسافة تتطابق مع ٧ فراسخ اذا قسنا المسافة من البوابة الخارجية لبغداد القديمة . وفي الامكان تتبع السدود الضخمة لقناة كوئي من ام سفوح الى مسافة بعيدة . ومن هناك الى ضريح السيد ابراهيم ،

او قصر ابن هبيرة ٢٥ كيلو متراً او ٥ فراسخ . ومن هذا المكان الى الكوفة ٨٠ كيلومتراً او ١٦ فرسخاً فقط ، وليس ١٩ الذي هو المجموع الكلي الذي اورده ابن خردادبه . وعلى كل حال ، فان بيانات ابن خردادبه تجعل من الصعب علينا ان نقرر اي المسافات المشتركة في هذا المجموع صحيحة واي منها غير صحيحة ؛ كما انه ليس في مقدورنا التأكد من موقعي محطتي سوق أسد وشاهي . ويحدد مؤلفون عرب آخرون موضع شاهي على الضفة اليسرى للفرات بجانب المخاجفة وجسر القوارب في بسطة الكفل الحديثة ، ٢٥ كيلومتراً شمالي الكوفة .

ويقدر اليعقوبي ، في نفس الموضع ، عدد الفراسخ من بغداد الى الكوفة بثلاثين ويقسم هذا الامتداد الى ثلاث محطات . وكانت المحطة الاولى حتى بلدة قصر ابن هبيرة ١٢ فرسخاً من بغداد وقربة الميلى فقط من الفرات الأصلي . وهنا يعبر النهر على جسر قوارب ، يدعى جسر سورا . ومن هناك تؤدي المسيرة الثانية الى بلدة تدعى سوق أسد غربي الفرات في منطقة الفلوجة الادارية . وكانت المسيرة الثالثة من سوق أسد الى الكوفة . ويعتبر اليعقوبي الفرع الذي يجري بجانب بابل والحلة على انه الفرات الأصلي وهو لا يعطينا اطوال المسيرتين الثانية والثالثة .

وفيما يلي الارقام التفصيلية التي قدمها ابن رسته في المصدر السابق (ص ١٧٤ )

من بغداد الى جسر قوارب كوئي ، ٧ فراسخ ؛  
ومن جسر كوئي الى قصر ابن هبيرة ، ٥ فراسخ ؛  
ومن ثم الى سوق أسد ، ٦ فراسخ ؛  
ومن ثم الى شاهي ، ٧ فراسخ ؛  
ومن شاهي الى الكوفة ، ٧ فراسخ : —

ان مسافات ابن رسته بين المحطات جنوبي قصر ابن هبيرة تختلف عما ورد في ابن خردادبه .

هذا وسجل ابن رسته تفاصيل اضافية تتعلق بهذا الرق في النص الثاني الذي اشرنا اليه ( المصدر نفسه ، ص ١٨٢ ) :

من بغداد الى جسر نهر صرصر ، ١٠ أميال ؛  
ومن ذلك المكان الى نهر الملك ، ٧ أميال ؛  
ومن الى نهر كوئي ، ٤ أميال ؛  
ومن الى بز يقياء ، ٦ أميال ؛  
ومن الى قصر ابن هبيرة ، ٩ أميال ؛  
ومنها الى جسر سوران ، ميلين ؛  
ومن الى ذمار ( او ذمار ) ، ٩ أميال ؛  
ومن الى سوق أسد ، ٧ أميال ؛  
ومن الى البعقرية ، ٤ أميال ؛  
ومن الى القناطر ، ٧ أميال ؛  
ومن الى شاهي ، ١٠ أميال ؛  
ومن الى الكوفة ، ١٨ ميلاً .

ان المسافة من بغداد الى جسر نهر صرصر ، او جسر القوارب على قناة صرصر ( تل الأبيض ) ، هي ١٠ أميال ، او ما يقارب ١٧ كيلو متراً .  
والرقيدين التاليين ، اللذين يمثلان المسافة من جسر صرصر الى نهر الملك ( ٧ أميال ) ومن هذا المكان الى نهر كوئي ( ٤ أميال ) ، قد تحولوا من مكان الى آخر . ان المسافة من جسر صرصر ( الأبيض ) الى نهر الملك بجوار خرائب الدير هي حوالي ٨ كيلو مترات ، وهي توازي ٥ أميال تقريباً . ومن ذلك المكان الى نهر كوئي بالقرب من خرائب آت سفوح ١٣ كيلو متراً ، او ما يقارب ٧ أميال . ان مسافة ستة أميال ، او عشرة كيلو مترات ، من آت سفوح توصلنا الى مزرعة الهراوي التي نطابقها مع بز يقياء ؛ ومن هناك توصلنا ٩ أميال ، او ما يقارب ١٥ كيلو متراً الى الخرائب الواسعة بجوار ضريح السيد ابراهيم



الصغير ، حيث كانت تقع بلدة قصر ابن هبيرة القديمة . ويمكن البحث عن جسر قوارب سورا الذي يبعد ميلين على الجانب الأيسر بالقرب من مدخل قناة المحاويل الحديثة . ويُحدث الفرات هناك انعطافاً كبيراً برغم أن هذا المنعطف لا يبدو أنه يعود إلى فترة زمنية طويلة . إن تحديد مواقع أية محطات إضافية من سجلات ابن رسته وحده غير ممكن .

من بغداد إلى جسر كوئي على نهر الملك ، ٧ فراسخ ؛  
ومن ذلك المكان إلى قصر ابن هبيرة ، ٥ فراسخ ؛  
ومن سوق أسد ، ٧ فراسخ ؛  
ومن سوق شاهي ، ٥ فراسخ ؛  
ومن سوق الكوفة ، ٥ فراسخ . —

وغير صحيح أن جسر كوئي كان يعبر نهر الملك . فعمل الكامات « على نهر الملك تسربت إلى النص من ملاحظة هامشية ترجع إلى بعض المحطات الأخرى . إن سبعة فراسخ ، أو تقريباً ٣٥ كيلو متراً ، من قصر ابن هبيرة ( قسرية السيد إبراهيم الحديثة ) تؤدي بنا إلى شرق قرية غضبان الحديثة ، التي ربما كانت موقع محطة سوق أسد . إن مسافة ٥ فراسخ ، أو ٢٥ كيلو متراً ، من ذلك المكان إلى شاهي تجعل محتملاً أن نبحت عن شاهي بالقرب من بلدة الكفل على بعد ٢٥ كيلو متراً أو ٥ فراسخ من الكوفة .

ويعطي الهمداني ( الموضع نفسه ) ، خط عرض بغداد على أنه ٣٣° ٩' والمسافة من هناك إلى قصر ابن هبيرة ، التي تقع على خط عرض ٣٢° ٣٠' ٣٦ ميلاً . ويعطي أيضاً المسافة من قصر ابن هبيرة إلى القناطر ( على خط عرض ٣٢° ١٠' ) على أنها ٢٤ ميلاً والمسافة من هناك إلى الكوفة على أنها ٢٢ ميلاً . —  
وعند تحويل هذه المسافات إلى فراسخ نحصل على :  
من بغداد إلى قصر ابن هبيرة ، ١٢ فرسخاً ؛

ومن هناك الى القناطر ، ٨ فراسخ ؛  
ومنها الى الكوفة ٧ فراسخ زائداً ميلاً واحداً .  
ان تحديد موقع القناطر عند خرائب البريس تؤكد سجلات أخرى .  
ان مسافات الهمداني التي تدعمها خطوط العرض المذكورة تتفق مع  
المجموع الكلي البالغ ٢٧ فرسخاً زائداً ميلاً واحداً ، او ٨٢ ميلاً .  
وبما ان المسافة الحقيقية هي ١٤٦ كيلو متراً ، مع افتراض ان الهمداني  
لم يقع في خطأ في مجموع الكلي ، ففي الامكان تبني ١٠٧٩ كيلو متراً على  
انه الطول المعدل للسيل الواحد عند الهمداني و ٣٧ ، ٥ كيلو متر للفرسخ عنده  
ويذكر ابن حوقل ، في مسالكه ( دي خويه ) ، ص ١٦٦ ) أنه «بين  
بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترقه انهار مما يلي الفرات فاو لها مما يلي  
بغداد نهر صرصر ، عليه مدينة صرصر تجري فيه السفن ، وعليه جسر من مراكب  
يعبر عليه ، ومدينة صرصر عامرة بالنخيل والزروع وساثر الثمار صغيرة من بغداد على  
ثلاثة فراسخ ثم ينتهي على فرسخين الى نهر الملك ، وهو كبير ايضاً اضعاف نهر صرصر  
من غزر مائه ، وعليه جسر من سفن يعبر عليه .  
ثم ينتهي الى قصر ابن هبيرة . وهي بقرب نهر الفرات الذي هو العمود ، ويطلع عليها  
هناك عن يمين وشمال انها مفترقة ليست بكبار ، الا انها تعمهم لحاجتهم وتقتوتهم ، وهي  
اعرنواحي السواد ثم ينتهي الى نهر سونا وهي مدينة مقتصدة ونهر كثير الماء ، وليس  
للفرات شعبة اكبر منه .  
ولعل بلدة صرصر ، الواقعة على بعد ثلاثة فراسخ من بغداد ، تتطابق مع  
خرائب الأبيض . والنقطة التي كان يُعبر منها نهر الملك على جسر القوارب  
وهي على مسافة لا تزيد على الفرسخين من صرصر يمكن البحث عنها  
عند نيشان الدير .

ويعطي المقدسي ، في ( احسن التقاسيم ) ( دي خويه ) ، ص ١٣٤ ] هذه التفاصيل :

من بغداد الى نهر الملك ، مرحلة واحدة ؛  
ومنه الى القصر ، مرحلة واحدة ،  
ومنه الى حمام ابن عمر . مرحلة واحدة ؛  
ومنها الى الكوفة ، مرحلة واحدة :

وكانت مرحلة اليوم الأول من بغداد الى نهر الملك حوالي خمسة وعشرين كيلومتراً . اما المراحل التي تلتها ، كما سنرى فيما بعد ، فكانت حوالي اربعين كيلومتراً للمرحلة الواحدة . ان هذا السجل هام جداً لانه يجعلنا قادرين على تحديد موقع حمام ابن عمر وفي الوقت ذاته تحديد اتجاه مجرى نهر النرس الذي يتفرع عند مدينة الحلة الحديثة . اذ تقع محطة حمام ابن عمر على الطريق الرئيس بين القصر ( وهو قصر ابن هبيرة دون ريب ) والكوفة ، وهو على التحقيق طريق كان خالياً من انعطافات كبيرة . ومن المحتمل اننا لا نخطئ كثيراً في تحديد موضع حمام ابن عمر في نحو منتصف الطريق بين قصر ابن هبيرة والكوفة الى الجنوب او الجنوب الغربي من الحلة . ودعماً للموضع الذي هو الى الجنوب الغربي من الحلة وليس جنوبها يمكننا ان نذكر مسافات مرحلة واحدة من حمام ابن عمر الى كل من قصر ابن هبيرة والكوفة . كان جسر القوارب على نهر الملك على بعد مرحلة واحدة من القصر ، ويقع الجسر فعلاً على مسافات تقارب اربعين كيلومتراً الى الشمال من القصر . ومن القصر الى الكوفة مرحلتان ؛ وبما ان هذه المسافة كانت بالحقيقة ٨٢ كيلومتراً فان المرحلة الواحدة في هذه الحالة ايضاً تكون حوالي اربعين كيلومتراً . فاذا حسبنا مسافة اربعين كيلومتراً من القصر نأتي الى خرائب البريس جنوب غربي الحلة . وهذا يحدد موضع حمام ابن عمر جيداً بدرجة كافية ، ويرينا مجرى نهر النرس التي يقول عنه ابن سيرابيون ، في العجائب ، ( مخطوطة المتحف البريطاني ) . ورقة ٣٤ يمين وما بعدها ، ( لوسترنج ) ص ١٦ وما بعدها ، ) انسه كان يأخذ من سورا الأسفل -- او استناداً الى آخرين ، من الفرات - عند

الجامعين القديمة ، اي الحلة الحديثة ، ماراً بحمام ابن عمر .

وما لا شك فيه ان محطة حمام ابن عمر ، مطابقة لمحطة القناطر ( الجسور ) التي اشار اليها ابن رسته والهمداني . ومن المحتمل ان جسوراً مبنية بالآجر امتدت فوق نهر النرس وبعض فروعها اسفل من حمام ابن عمر .

ويكرر الادريسي ( في النزعة ، ص ٤٤ ص ٦ ) عبارات ابن حوقل مع تغييرات قليلة فقط . فيجعل المسافة من قصر ابن هبيرة الى بغداد ثلاث مراحل خفيفة ويقصد بذلك مراحل طول كل واحدة منها حوالي واحد وعشرين كيلومتراً ، او المسافة التي يستطيع حمل محمل حملاً ثقيلاً تغطيتها في يوم واحد .

غادر ابن جبير ( الرحلة [ دي خويه ] ، ص ٢١٢ والصفحة التي بعدها ) الكوفة مع قافلة الحاج في الصباح الباكر ووصل قبل الظهر بقليل الى نهر آخذ من الفرات الذي كان يجري على مسافة نصف فرسخ تقريباً شرقي الكوفة . وبعد ان واصلوا رحلتهم قضوا الليلة قرب بلدة الحلة التي دخلوها في الصباح . وكانت الحلة تقع على الضفة الغربية للفرات : فعبروا على جسر قوارب ، ثم خيموا على مسافة تقارب فرسخاً واحداً من البلدة . وعند استئنافهم الرحلة حوالي الساعة التاسعة ساروا فوق جسر قوارب على نهر النيل الذي تفرع من الفرات ، وعند كل ميل تقريباً كانوا يصلون الى جسور من الآجر ممتدة على قنوات اروائية متنوعة . وقبل غروب الشمس ضربوا الخيام في بلدة في القنطرة ، او حصن بشير ، كما كانت تدعى ايضاً . ثم وصلوا الى بلدة الفراء ، وفي المساء الى بلدة زريان التي كان جزؤها الشرقي يرى من دجلة والغربي من الفرات . ومقابلها الى الشرقي برز ايوان كسرى . :

ولم يحقق ابن جبير في التفاصيل عن اسماء القرى والقنوات المختلفة ولهذا يصعب متابعته . فمن الصباح الباكر وحتى منتصف النهار تقريباً من اليوم الأول من المؤكد ان قافلة الحاج لا بد ان قطعت خمسة وعشرين كيلومتراً ، وهكذا وصلت الى بلدة الكفل . ومن المحتمل ان تتطابق القناة الآخذة من

النرات والتي بإحداثياتها ، على ما يبدو . تقدمت القافلة الى الحلة ، مع نهر النرس . ان ابن جبير يطلق اسم الفرات ليس فقط على الفرع الذي يجري قرب الكوفة بل ايضاً على الفرع القريب من الحلة . ومن الحلة سلك الطريق في اغلب الاحتمال مساراً مستقيماً الى ايوان كسرى ، طيسفون القديمة ، وبما ان ابن جبير لم يذكر بابل على الاطلاق ، فمن الواضح انه بقي الى الشرق منها .

ذهب ابن بطوطة ، التحفة ( دفر يميري وسانكونيتي ، مجلد ٢ ص ٩٦ - ١٠٠ ) من الكوفة مخترقاً بر ملاءة ، وهي بلدة جميلة تكاد تكون مختفية بين بساتين النخيل ، الى الحلة . وهنا كان الأهليون منقسمين الى فريقين متخاصمين ، الاكراد وأهالي الجامعين . وكان جسر قوارب يؤدي الى الجانب الآخر من الفرات . ومن الحلة زار ابن بطوطة كربلاء ولم يذهب الى بغداد الا فيما بعد . وكانت البلدة الصغيرة بر ملاءة تقع على الطريق الرئيس من الكوفة الى الحلة ، الا انه من الصعب تحديد موقعها على الوجه الصحيح . ولا بد ان ( الجامعين ) ، وهو الاسم الأصلي لمدينة الحلة الحديثة ، كان اسماً متداولاً حتى منتصف القرن الرابع عشر . وبما يؤسف له ان ابن بطوطة لم يصف بتفصيل اوسع رحلته من الكوفة الى الحلة ، او من هذا المكان الى كربلاء ويذكر حاجي خليفة ، في (جهان نامه القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ ، ص ٤٧٠) ، ان الطريق من بغداد الى النجف يمر بـ ( تل صرصر ) وتل فراشر ، وشط النيل والكوفة . وبحلول نهاية القرن السابع عشر اخترق طريق الحاج هذه المنطقة في نفس الاتجاه الذي يتبعه الطريق الحالي تقريباً . ويمكن البحث عن تل فراشر ( او بالأحرى . الفراش ) شمالي شط النيل ، الذي تفرع من الفرات ، او سورا الأسفل ، عند بابل .

ويذكر نيور ، في كتابه وصف الرحلة ( كوبنهاغن ، ١٧٧٩ - ١٨٣٧ ، المجلد ٢ ص ٢٩١ ) ، انه في ٥ كانون الثاني ( يناير ) ، ١٧٦٦ م خرج راكبا من الحلة الى بغداد في اتجاه يكاد يكون شمالياً . وفي اربع ساعات وصل الى

مهافية ؛ ومنها استغرق اربع ساعات في الوصول الى سكندريه ؛ ومنها وصل بثلاث ساعات الى بير ونس ؛ ومنها بثلاث ساعات الى خان السد ومنها باربع ساعات الى بغداد . وكان في كل من هذه المسكن خان كبير . وتقع الى الشرق من مهافية باسـدة تحمل الاسم نفسه وبين ( بير ونس ) و خان السد هناك قرية المحمودية التي اسستها قبل سنواب قليلة فقط عادلة خاتون ، زوجة سليمان باشا . اما بقية المنطقة فكانت مقفرة تماماً .

اما مهافية فقد نقلت محرقة عن محاويل . وسكندريه هي خان الاسكندرية الحديث و خان السد هو خان الزاد الحديث . اما المسافات فعلى احسن تقدير صحيحة تقريباً . ويقع خان المحاويل في منتصف الطريق تقريباً بين الحلة و خان الاسكندرية ، على بعد سبعة وعشرين كيلو متراً عن كل منهما . المسافة من خان الزاد الى بغداد هي ثلاثة وعشرون كيلو . متراً . و ( بير يونس ) يمكن مطابقته فقط مع خان البيض المهجور في منتصف الطريق بين خان الاسكندرية و خان الزاد ، والمسافة عن كل منهما هي اثنا عشر كيلو متراً ، رغم ان نيبور يجعلها ثلاث ساعات باعتبار سبعة كيلو مترات في الساعة ، تارة واربعة كيلو مترات في الساعة تارة أخرى . وتقع محمودي ( المحمودية ) على القناة التي تحمل الاسم نفسه بين خان الزاد و خان البيض .

### الطريق من بغداد الى الشام

يسمي الطبري ، ( التاريخ ( دي خويه ) ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٧٥ ) الطريق الممتد بمحاذاة ضفتي الفرات، اليمنى واليسرى من الكوفة الى الشام بطريق الفـراض ( طريق المخاضات ، ) ربما لانه ربط بين المخاضات المتنوعة ونقاط العبور على الفرات . وله اسمان آخران وهما طريق الشام وطريق الفرات ( المصادر نفسه ، السلسلة ٣ ، ص ص ٢٢٣٧ و ما بعدها و ص ٢٢٧٨ ) .

بعاءه سنة ٦٥٧ م . لم يزحف جيش على (ع) (المصدر نفسه ، السلسلة ١ ، ص ١٢٤٥) بمحاذاة الضفة اليسرى كما فعل في مجيئه ، بل اخترق الصحراء وبحذاء الضفة اليمنى الى هيت ومن هناك من الطريق صندوداء والسُّخيلة الى الكوفة . -- وربما ادى هذا الطريق من صفين (ابو هريرة) من طريق الرصيفة ، ابا - ل - جبر والكواثل الى الفُرضة (الصالحية) ومن هنا بحذاء الفرات من طريق هيت وصندوداء (المشيهد او الرمادي) مباشرة خلال الصحراء الى السُّخيلة (خان ابن نخيلة) ، وبعدها سرعان ما ظهرت خيام الكوفة ويوتنها .

وفي أيام العباسيين تمّ مسح الطريق الرئيس المؤدي من بغداد عن طريق هيت الى الرقة ومن ثم الى سوريا بصورة مضبوطة وجّهز باماكن للتوقف . ويسجل الجغرافي العربي . الخوارزمي ، في أقدم عبارة محفوظة لدينا في كتابه صررة الارض (محمولة ستراسبورك) ، ورقه ٤٢ المقابل) ، هذه المسكن على الفرات : قرقيساء ، عانات في وسط النهر ، حديثه عانات ، الناووسة وصف ابن خردادبه الطريق من بغداد الى الرقة آلوسا ، هيت ، والانبسار . اما ابن خردادبه ، في المسالك (دي خويه) ص ص ٧٢ وما بعدها) ، فلا يعدّد المحطات الفردية فحسب ، بل يعطي المسافات كذلك . من بغداد الى السيلحون ٤ فراسخ ؛ ومنها الى الأنبار ٨ فراسخ ؛ ومنها الى الربّ ٧ فراسخ ؛ ومنها الى هيت ١٢ فرسخاً ؛ ومنها الى الناووسة ٧ فراسخ ؛ ومنها الى آلوسا ٧ فراسخ ؛ ومنها الى الفحيمة ٦ فراسخ ؛ الى النهاية ١٢ فرسخاً خلال الصحراء ؛ ومنها الى الدازقي ٦ فراسخ ؛ ومنها الى الفُرضة ٦ فراسخ ؛ ومنها الى وادي سباع ٦ فراسخ ؛ ومنها الى خليج بني جُديع ٥ فراسخ ؛ ومنها الى الفامش مقابل قرقيساء ٧ فراسخ ؛ ومنها الى نهر سعيد ٨ فراسخ ؛ ومنها الى الجردان ١٤ فرساً ومنها الى المبارك ،

١١ فرسخاً ؛ ومنها الى الرقة ، التي سماها الاغريق قالانياقوس ، ٨ فراسخ .  
 ما هو الرقم العملي الذي في امكاننا تبينه ( انظر ماسبق ص ٧٥ )  
 لتحديد طول الفرسخ عند ابن خرداذبة ، فهو يحسب المسافة من بغداد الى  
 الأنبار اثني عشر فرسخاً ؛ وهي في الواقع ٦٢ كيلو متراً ؛ فيكون ؛  
 الفرسخ الواحد في هذه الحالة مساوياً الى ما يزيد على الخمسة كيلو مترات  
 بقليل . ويبدو ان هذه النسبة تنطبق جيداً على كل ارقام ابن خرداذبة  
 كما سنرى من الفحص التفصيلي التالي للبيانات التي قدمها . وهنا يُحسب  
 الفرسخ خمسة كيلو مترات الا اذا جاء في النص خلاف ذلك .  
 انه يحسب المسافة من بغداد الى السليحين ( سالحين الحديثة )  
 اربعة فراسخ ؛ اما قياسي لها فهو ٢٦ كيلو متراً او خمسة فراسخ في الأقل .  
 ويحسب المسافة من السليحين الى الأنبار ٨ فراسخ ، وهي في الحقيقة  
 ٣٦ كيلو متراً او حوالي ٧ فراسخ .  
 ويحسب المسافة من الأنبار الى الربّ ( الشيخ حديد الحديثة مقابل الرمادي )  
 ٧ فراسخ ؛ وانا عدتها ٣٦ كيلو متراً ؛ وهو مايتفق مع قياسه .  
 ويبعد المسافة من الربّ الى هيت ١٢ فرسخاً ؛ وهي في الحقيقة ٥٠  
 كيلو متراً ، او عشرة فراسخ في الاكثر . ولا يذكر ابن خرداذبة ما اذا امتد  
 الطريق من الربّ بمحاذاة الضفة اليمنى أم اليسرى للفرات .  
 ويعتبر المسافة من هيت الى الناورسة ٧ فراسخ . وتقع محطة او مكان  
 توقف الناورسة على جزيرة في منخلف للفرات ، والمسافة من هيت بحذاء  
 بحذاء الضفة اليمنى هي ٢٥ كيلو متراً ، او ٧ فراسخ . اما بمحاذاة الضفة اليسرى  
 فتكون المسافة ٤٥ كيلو متراً في أقل تقدير ، وهو مالا يتفق مع المسافة التي  
 اعطاها ابن خرداذبة . وفي رأيي عندما يسير المرء متجهاً نحو سوريا  
 فان الطريق يعبر الى الضفة اليمنى في مكان ما أعلى من هيت ، عند المخاضة  
 القديمة بالقرب من جزيرة الفليوي الصغيرة الحالية ؛ وبقي الطريق



اسفل من هيت على الضفة اليسرى نوحاشياً لصعود العقبة الوعرة .  
ويحسب ابن خرداذبه المسافة من الناورسة الى آلوسا ( آلوس الحديثة )  
٧ فراسخ ؛ وهي في الحقيقة ٢٨ كيلو متراً فقط بمحاذاة الفرات و ٢٥  
كيلو متراً بخط مستقيم ، او ٦ فراسخ في الاكثر .  
ويحسب المسافة من آلوسا الى الفحيمة ٦ فراسخ ؛ وهي في الحقيقة  
٣٥ كيلو متراً ، او ٧ فراسخ . وربما استبدلت هذه المسافة بالمسافة التي  
سبقتها . اذ ان المسافة بحذاء الضفة اليسرى من آلوس الى الفحيمي الحديثة  
تكون ٥٤ كيلو متراً في الأقل ، او ١١ فرسخاً — وهذا دليل آخر على ان الطريق  
الرئيس اتبع الضفة اليمنى .

في مخطوطة B في اوكسفورد ( انظر ابن خرداذبه ، المصدر السابق  
ص ٧٢ ، ملاحظة K ) قد اضيفت ملاحظة بين آلوسا و « الفحيمة » نصها  
« الى الداري ، ستة فراسخ » ان هذه الملاحظة لاعلاقة لها مطلقاً بالسياق  
المباشر وربما نشأت من تحريف كلمة « الدازقي » عند الكتابة ، او من أي  
اسم كان يطلق على المحطة التي تأتي بعد النهاية . وهذا اول تصريح نحصل  
عليه بهذا الصدد يشير الى ان نص ابن خرداذبه لم يحفظ لنا بشكله  
الأصلي .

ويعطي ابن خرداذبه المسافة من الفحيمة خلال الصحراء الى النهاية على  
انها ١٢ فرسخاً . ان المسافة الحقيقية الى النهاية بمحاذاة الفرات بطريق عانة  
هي ٦٠ كيلو متراً ( ١٢ فرسخاً ) ، بينما تبلغ المسافة بطريق مباشر خلال  
الصحراء ٥١ كيلو متراً فقط ، او ١٠ فراسخ . ويظهر ، على كل حال ،  
ان المسافرين اعتادوا السفر بحذاء الفرات وليس من خلال الصحراء وان  
محطة واحدة بين الفحيمة والنهاية قد حذفت . ويظهر ان الدليل على هذا  
الحذف قد توفر بادخال الاشارة الى الفراسخ الستة « الى الداري » في مخطوطة  
B ، التي ربما تمثل المسافة التي كان ينبغي ذكرها باعتبارها المسافة من  
الفحيمة الى بلدة عانة الحالية .

ويعطينا ابن خرداذبه المسافة من الزهية الى « الدازقي » على انها ٦ فراسخ ولا نعرف الاسم الصحيح لهذه المحطة . فمخطوطة B ( المصدر نفسه ، ص ٧٣ ، ملاحظه C ) تعطي « الداري » ؛ وقدامة ، في الخراج ( دي خويه ) ، ص ٢١٦ ) يعطي « الدواقي » او « الدوامي » ؛ والادريسي ( المصدر ح ٤ ، ص ٦ ) يعطي « الذرافي » ؛ او كما ترجمها جوبير ( المجلد ٢ ، ص ١٤٥ ) « دورقي » . ان المحطات التي عدّناها حتى الآن توضح ان المسافرين في زمان ابن خرداذبه توقفوا على الاغلب حيث يتوقفون اليوم تماماً . ولذا يمكن تحديد موضع محطة الدازقي ، او مهما كان اسمها ، عند مكان توقف القائم الحالي ؛ ولكن هذا يبلغ ٣٥ كيلو متراً ، او ٧ ( وليس ٦ ) فراسخ ، من الزهية .

ويعطي ابن خرداذبه المسافة من الدازقي الى الفرضة على انها ٦ فراسخ . ان اسم محطة الفرضة غالباً ما يذكره المؤلفون السابقون ، ومع ذلك فلا يذكره ياقوت او ابو الفضائل . والاسم ذاته يعني « المخاضة » — على ان هناك مخاضات كثيرة على الفرات ، ولهذا نحتاج الى تعريف ادق . ويسجل بعض المؤلفين السابقين مخاضة باسم فرضة النعم ، ويطابقونها مع بلدة الرحبة المتأخرة . وقد يفسر هذا السبب في ان الكتاب المتأخرين كانوا يجهلون استخدام اسم الفرضة في مكان آخر . ومهما يكن فلا يمكن ان تكون الفرضة عند ابن خرداذبه فرضة النعم والرحبة نفسها . وربما ينبغي لنا البحث عن الفرضة التي اوردها ابن خرداذبه عند بلدة « الدالية » الصغيرة ، التي تدل عليها خرائب الصالحية الحالية . وكما يفعل الجغرافيون العرب في الغالب فلعل ابن خرداذبه ارتبك هنا في ترتيب اسماء اما كن التوقف . ويبدو ان « الفرضة » كان يجب ان يحدد موضعها عند الفرسخ ٥ ما وراء بني جُمَيْع بدلاً من الفرسخ ٦ وراء الدازقي . فيكون ترتيب المحطات والمسافات حينئذ كالاتي : الدازقي الى وادي سباع ، ٦ فراسخ ؛ ومنه الى خليج بني جُمَيْع ، ٦ فراسخ ؛ ومنها الى الفرضة ، ٥ فراسخ .

ومع انتباهنا الى هذا التغيير ، نستطيع ان نستأنف فحوصنا المفصل لبيانات ابن خرداذبه .

انه يحسب المسافة من الدازقي ( القايم ) الى وادي سباع ١٦ فرسخاً ، ورغم ان المسافة من القايم الى ابو كمال قرب شعيب الرزقة هي ٢٥ كيلو متراً فقط او ٥ فراسخ فمن المحتمل ان يكون من الواجب علينا أن نقرن وادي سباع بـ ( ابو كمال ) بدلاً من شعيب ام سباع الحالية على الضفة اليسرى للفرات شرقي ابو كمال ، نظراً لان ابن خرداذبه لا يذكر عبور الطريق الرئيس الى الضفة اليسرى .

ومن المحتمل انه كان يحسب المسافة من وادي سباع الى خليج بني جُسيم ٦ فراسخ وليس ٥ كما هو وارد فعلاً في النص المطبوع بسبب الخطأ في موضع الفرضة ( مع ان مخطوطة B تذكر ان المسافة ٦ ) . وتقع على بعد ٢٠ كيلو متراً او ٤ فراسخ فقط الى الشمال الغربي من ابو كمال تلون خربة شعبان التي يمكن ربطها بخليج بني جُسيم وبالقرب منها يمكن التعرف على مجرى قديم ( خليج ) للفرات . سهيل قدامة هذا الامتداد على انه ٥ فراسخ وليس ٦ ؛ ومن الواضح ، على كل حال ، فان الأرقام لم تحفظ بصورة صحيحة في كلتا الحالتين . وما يشك فيه ان يعتمد ابن خرداذبه الى تسجيل بعد النهاية ٦ فراشح لثلاث مرات متعاقبة ، واستناداً الى مخطوطه بـ (B) لأربع مرات . ومن خليج بني جُسيم الى الفرضة . ان كان تصحيحنا لموقع الأخيرة له ما يبرره ، فان ابن خرداذبه يعطي المسافة على انها ٥ فراسخ ؛ ومن شعبان الى الصالحية ٢٥ كيلو متراً ، او ٥ فراسخ ايضاً . وعليه في الامكان تحديد موقع محطلة الفرضة اسفل من خرائب الصالحية الحالية ، حيث لاتزال في الحقيقة محطة حتى الآن .

ويحسب المسافة من الفرضة الى الفاش مقابل قرقيسيا ٧ فراسخ ؛ ومن هناك الى نهر سعيد ، ٨ فراسخ . ان موقع هذه القناة معروف

لدينا . فاستناداً الى ابن سريون في العجائب ( مخطوطة المتحف البريطاني ، ورقة ٣٣ يمين ، ( لوسترنج ) ، ص ١٤ إنها تصب في الفرات فوق بلدة الدالية بقليل وكان مدخلها اسفل من ضريح سُمِّي باسمها ( سعيد ) ، فوق بلدة الرحبة بمسافة غير بعيدة . ولا يزال هذا الضريح قائماً على الضفة اليمنى قرابة ثلاثة عشر كيلو متراً في شمال غرب موقع قرقيسيا ويدعى الآن ابو نهود . وأحدد موقع بلدة الدالية الصغيرة عند خرائب الصالحية ، ولا بد ان محطة الفرضة كانت تقع في نقطة في هذه الناحية . وفي زمن ابن خرداذبه يحتمل ان الطريق الرئيس كان يبدأ من هذه المحطة التي تحاذي نهر سعيد . وبما ان المحطة المسماة نسبة الى الفاش تقع فوق قرقيسيا فمن المحتمل ان لدينا ما يبرر وضعها عند مدخل القناة حيث حدد قدامة على وجه التحقيق موقع محطة ( المصدر السابق ، ص ٢١٧ . ومن ٢١٧ ) ومن الصالحية الى ضريح ابو نهود تبلغ المسافة بخط مستقيم ٦٠ كيلو متراً ، او ١٢ فرسخاً ، وليس ١٥ كما يتصورها ابن خرداذبه . ولهذا يمكننا مطابقة نهر سعيد بضريح ابو نهود الصغير .

وعلى بعد ٨ فراسخ ، او ٤٠ كيلو متراً ، الى الجنوب الشرقي من ابو نهود نصل الى قصرية العشارة التي فيها او بالقرب منها نستطيع البحث عن محطة الفاش . وعند قدامة ( المصدر السابق ، ص ٢١٧ ) كتبت كلمة العاسر وهي كلمة تحتوي على نفس الحروف الصحيحة كاسم العشارا حيث حيث توجد محطة حتى يومنا هذا . الا ان العشارا تقع على بعد ٢٤ كيلو متراً الى الجنوب الشرقي من قرقيسيا القديمة ، ومن ثمَّ فإن التسمية المحددة « حيال قرقيسيا » ( مقابل قرقيسيا ) تثبت ان النص الاصل لا يمكن ان يكون هنا محافظاً عليه .

ويحسب ابن خرداذبه المسافة من خايج بني جُميع الى الفاش ٧ فراسخ ، وانها في الحقيقة ٢٣ كيلو متراً ، او د فراسخ ، من الصالحية الى العشارة .

وانه يحسب المسافة من نهر سعيد الى الرقة ٣٣ فرسخاً ؛ وفي الواقع هي ١٥٠ كيلو متراً وهي متوافقة تقريباً .

من الصعب تحديد المحطات بين نهر سعيد والرقة ، لاننا لانعلم ما اذا امتد الطريق بمحاذاة الضفة اليمنى ام اليسرى من الفرات . وعلى الضفة اليسرى عند قرية الخانوقة يصل شعيب الحليقة الى النهر . وهناك في هذا الشعيب عين الجردية ويوحى اسمها بمحطة الجردان . الا ان المسافة تكاد تبلغ ١٦ فرسخاً من ابو نهود الى هذا الوادي ، وليست ١٤ فرسخاً ، كما يجب ان تكون ، لتنسجم مع ابن خرداذبه . وهناك على الضفة اليمنى ، خلف محطة التبنّي الحديثة ، الخزائب التي تحتوي على ضريح الشيخ مبارك ، الذي يشبه اسمه اسم المحطة الثانية على الطريق من نهر سعيد الى الرقة . ولا بد ان يكون الطريق الذي وصفه ابن خرداذبه قد عبر الفرات عند نقطة ما للوصول الى الرقة على الضفة اليسرى ، الا اننا لانعلم ما اذا تم هذا العبور عند محطة نهر سعيد ام عند الرقة ذاتها . غير اننا نعلم ان القوافل في العصر الوسيط المسافرة من بلاد ما بين النهرين منحدرة مع الخابور ومنه الى دمشق كانت تعبر النهر عند محطة نهر سعيد . فلو سلمنا ، اذن ، بان الطريق الرئيس امتد بمحاذاة الضفة اليمنى لكان في الامكان تحديد موضع المبارك عند محطة التبنّي الحالية او عند الشيخ مبارك . ان هذا ، على كل حال ، يصبح فقط على افتراض ان ابن خرداذبه كان قد بدل ترتيب موقع محطتي الجردان والمبارك ، ويبدو ان هذا الافتراض يتأكد عندما نعتبر المبارك تقع على المسافة ١٤ فرسخاً ( وهو الرقم الذي خصص في الحقيقة للجردان ) من نهر سعيد . فاذا ما أدخلنا في الحساب جميع التواءات الطريق ، فان الشيخ مبارك تبعد في الحقيقة ٦٦ كيلاً متراً عن ابي نهود ( نهر سعيد ) ، وهي مسافة توازي ١٤ فرسخاً تقريباً .

وعلى نفس الافتراض ، فان المسافة تكون ١١ فرسخاً من المبارك الى الجردان ،

وهي محطة يمكننا حينئذ اعتبارها خربة الجريبة ، وهي في الحقيقة على بعد ٥٣ كيلو متراً ( ١١ فرسخاً تقريباً ) من التبنين و ٤٠ كيلو متراً أو ٨ فراسخ من الرقة ، والرقم الأخير يتفق مع السبعة فراسخ التي يَعدُّها ابن خرداذبة المسافة من المبارك الى الرقة .

### وصف قدامة للطريق من بغداد الى الرقة

يصف قدامة كذلك<sup>١٢</sup>، في الخراج<sup>١٣</sup> (دي خوية) ، ص ٢١٦ وما بعدها ) ، الطرق من بغداد الى الرقة . فيذكر ان المسافة الاجمالية بحذاء الفرات على انها ١٢٦ فرسخاً . وعلى كل حال ، إن جمعت المسافات المنفصلة بين المحطات فانها تبلغ ١٣٢ فرسخاً ؛ بينما المسافة في الواقع هي ٦٢٠ كيلو متراً أو ١٢٤ فرسخاً باعتبار ٥ كيلو مترات للفرسخ الواحد . يدون قدامة نفس المحطات التي دونها ابن خرداذبة مع بعض الاضافات . فانه يذكر ، على سبيل المثال ، ان طريقين من الانبار يؤديان الى الرب ، طريق مستقيم يخترق سهلاً يُسقى بالماء وطريق ثاني يخترق الصحراء . ومن المحتمل ان يكون هذا الطريق الثاني قد تشعب باتجاه شمالي شرقي تقريباً عند الانبار واتبع سفح الهضبة العائدة للدور الثالث من التكوين الصخري حتى خرائب السحلات التي منها وصل الى الشيخ حديد بعد اتخاذه مساراً باتجاه جنوبي غربي . ومن الواضح ان الرب كانت تقع على الضفة اليسرى للفرات ، لان هناك طريقاً واحداً فقط امتد بحذاء الضفة اليمنى على عهد قدامة — ولا يزال .

وعام قدامة ايضاً بوجود طريقين اثنين من الفحيمة الى النهمة : اولهما ، وهو بطول ١٢ فرسخاً ، امتد خلال الصحراء ؛ والآخر ، الذي اتبع الفرات وكان يستخدم طريقاً للبريد ، كان بطول ٦ فراسخ فقط . — ويخترق اقصر الطرق بين الفحيمي والنهية الصحراء وطوله ٥٠ كيلو متراً ، او ١٠ فراسخ ؛ بينما تكون المسافة باتجاه النهر العظيم ٦٠ كيلو متراً في الاقل ،

او ١٢ فرسخاً . ولا بد ان الستة فراسخ التي اوردها قدامة ترجع الى المسافة الى بلدة عانة ، التي لا يذكر اسمها .

ويؤكد قدامة ان الطريق الرئيس يتفرع عند محطة الفرضة الى فرعين : فرع يخترق الصحراء والآخر يسير بجنداء الفرات .

انه يعطينا المسافة من الفرضة الى وادي سباع على انها ٥ فراسخ فقط . ويسمى المحطة التالية خليج ابن جُميع ، وليس خليج بني جُميع كما يسميها ابن خرداذبه .

ويذكر ان المسافة من هناك الى الفاش (او كما ورد في مخطوطة القسطنطينية ، العاسر المصدر نفسه ، ص ٢١٧ ، الملاحظة ل (L) ٦) فراسخ فقط .

انه يحسب المسافة من الفاش الى قرقيسياء ، او الى منفذ ( فم ) نهر سعيد ٨ فراسخ . وتقع قرقيسياء ، على كل حال ، على الضفة اليسرى ، وفم نهر سعيد على اليمنى وتفصل بينهما مسافة لا تقل عن ١٣ كيلو متراً مما يبرهن على ان الموضعين لم يشكلا محطة واحدة .

ويسجل قدامة ( المصدر السابق : ص ٢١٧ وما بعدها ) الطريق من محطة الفرضة مخترقاً الصحراء بطريق الرُصافة ( الرصافة ) الى الرقة كالآتي :

من الفرضة الى القمري ، ٣ فراسخ ؛

ومنها الى العوامل ٩ فراسخ زائداً ميلاً واحداً ؛

ومنها الى العصبة ( او القصبة ) ، ٨ فراسخ ؛

ومنها الى العريير ، ٩ فراسخ ؛

ومنها الى الرصافة ، ٨ فراسخ ؛

ومنها الى الرقة ، ٨ فراسخ ؛

فهو يعطي المسافة من بغداد الى الرقة بطريق الصحراء على انها ٢٧ ١ فرسخاً وميل واحد . ---

وتبرهن التفاصيل المتعلقة بهذا الطريق ان موقع الفرضة ينبغي ان يحدد

عند الصالحية الحديثة . واستناداً الى قدامة فان المسافة من الفرضة بطريق الرصافة الى الرقة هي ٤٥ فرسخاً ، ومن الصالحية بطريق الرصافة الى الرقة هي ٢٢١ كيلو متراً ، وهو رقم يتفق تماماً مع الرقم بالفراسخ ( ٢٢٥ كيلو متراً ) . وتاد تقع على الطريق المباشر من الصالحية الى الرصافة الاماكن التالية : القمريطي وجوائل وابا الجير ، التي يمكننا مطابقتها بمحطات معينة لقدامة . ويقع الى الشرق من هذا الطريق منهل القصبية ( مصغر القصبية ) التي يوحى اسمها ايحاء قوياً الى العصبية او القصبية عند قدامة ، ورغم عدم وجود ما يبرر انحراف الطريق الى هذا المكان عندما يكون الماء متوفراً حتى على المسار المستقيم .

ويعطي قدامة المسافة من الفرضة ( الصالحية ) الى القمريطي على انها ٣ فراسخ . والقمريطي واد ذو ماء قرابة ١٦ كيلو متراً الى الشمال الغربي من الصالحية ؛ وهذه المسافة تتسجم اساساً مع ٣ فراسخ .

ويحسب المسافة من القمريطي الى العوامل ٩ فراسخ زائداً ميلاً واحداً . ولا أعلم بوجود محطة في شمال غربي الصالحية تسمى العوامل . كما لا يرد اسم كهذا في الكتابات الجغرافية العربية . على أنه غالباً ماتذكر محطة باسم الكوائل في تلك المنطقة . ويطلق خليل الظاهري ، في الزبدة ( رافيس ، ص ١١٩ ) على هذه المحطة اسم الكوامل ، مما يوضح ان الصيغة الصحيحة للعوامل ربما كانت الكوائل . ويقع مكان السقاية الذي يعرف الآن ؛ ( جوائل ) او عقوله على بعد ٣٧ كيلو متراً شمال غربي القمريطي . ولهذا يمكننا مطابقتها بمحطة العوامل ( او الأصح ، الكوائل ) ، الا ان المسافة في هذه الحالة لا تكون ٩ فراسخ زائداً ميلاً واحداً ، بل ٧ فراسخ زائداً ميلاً واحداً فقط . وقد يكون الرقم العربي الصحيح سبعة قد تغير بسهولة الى الرقم تسعة ، خاصة اذا كان الرقم قد كتب بدون علامات مميزة .



ويحسب قدامة المسافة من الجوائل (العوامل) الى العنبة (او القنبة) ٨ فراسخ . وتوصلنا بمسافة ٤٨ كيلو متراً بنفس الاتجاه الشمالي الغربي الى محطة وبئر القبايب الحالية ، التي ربما تتطابق مع العنبة . ولكن الأصوب ان تكون المسافة ١٠ فراسخ وليس ٨ .

ويحسب قدامة المسافة من العنبة الى العرير ٩ فراسخ ومن المحطتين انه لم يُحفظ لنا اسم هذه المحطة بشكل صحيح . ويعبر دي خويه عن شكوكه باضافة كلمة « كنبا » الى ملاحظته (المصدر نفسه) ص ٢١٧ ، الملاحظة لـ (S) . وربما كانت الكلمة العربية العرير قد نشأت بسهولة من كلمة القير او الجير ، خاصة لأن ابا الجير هو اسم المنهل الواقع على بعد ٤٠ كيلو متراً ، او ٨ فراسخ ، الى الشمال الغربي على الطريق من القبايب الى الرصافة .

ويحسب قدامة المسافة من ابا الجير (العرير) الى الرصافة ٨ فراسخ ؛ وهي في الواقع ٥٥ كيلو متراً ، مما يساوي ١١ فرسخاً .  
ويحسب المسافة من الرصافة الى الرقة ٨ فراسخ ؛ وفي الحقيقة انه ٣٩ كيلو متراً .

واستناداً الى قدامة فإن المسافة الاجمالية من بغداد الى الرقة بهذا الطريق هي ١٢٧ فرسخاً زائداً ميلاً واحداً ، الا انه اذا ما جمعنا المسافات بين المحطات المختلفة ، تاركين الفرضية حيث حدد قدامة موضعها ، فنحصل على ١٢٠ فرسخاً زائداً ميلاً واحداً . ومن الناحية الأخرى ، فاذا ما طابقنا الفرضية مع مع الضالحية الحديثة فنتكون النتيجة ١٣٠ فرسخاً زائداً ميلاً واحداً . وهنا ربما نحصل على استشهاد اضافي ان الفرضية يجب ان يتم البحث عنها في الضالحية الحالية ، لأن المجموع ١٢٧ أقرب الى ١٣٠ التي هي المجموع النهائي للمسافات بين المحطات المختلفة من ١٢٠ . ان المسافة الحقيقية هي ٦٣٦ كيلو متراً وهي ما تساوي ١٢٧ فرسخاً .

## الاصطخري والمقدسي : وصفهما للطرق من بغداد الى الرقة

يذكر الاصطخري في المسالك ( دي خويه ) ، ص ٧٢ ) ان المسافة بين بالس والرقة هي مسيرة يومين ، وبين الرقة والانبار مسيرة عشرين يوماً ، ومن هناك الى تكريت مسيرة يومين . ان المسافة من بالس الى الرقة بحذاء الضفة اليسرى للفرات هي حوالي ٩٠ كيلو متراً ، او مسيرتان طول الواحدة منهما ٤٥ كيلو متراً في اليوم الواحد . ان المسافة من الرقة الى الانبار هي ٥٦٠ كيلو متراً ، وهذا يتضمن السير بمعدل ٢٨ كيلو متراً في اليوم الواحد فقط ، وهي سرعة بطيئة بالمقارنة بتلك السرعة الملمح اليها في العبارة التي اعقبتها ومفادها ان المسافة من الانبار الى تكريت ليست اكثر من مسيرة يومين . وبما ان تكريت تقع على بعد يكاد يبلغ ١٣٥ كيلو متراً في شمال الانبار ، فان الوصول اليها في يومين يتطلب مسيرة ٦٨ كيلو متراً كل يوم . ويدون ابن حوقل في المسالك ( دي خويه ) . ص ١٣٩ المسافات نفسها الواردة عند الاصطخري .

ويحسب المقدسي في ( احسن التماسيم في معرفة الاقاليم ( دي خويه ) ، ص ١٣٤ وما بعدها ) المسافة من بغداد الى السيلحين مرحلتين للبريد ؛ ومنها الى الانبار مرحلة واحدة ؛ ومنها الى الربّ مرحلة واحدة ؛ ومنها الى هيت مرحلتان : ومنها الى النواوسمة مرحلة واحدة ؛ ومنها الى عانة مرحلة واحدة ؛ ومنها الى آرسا مرحلة واحدة ؛ ومنها الى الفحيمة مرحلة واحدة ؛ ومنها الى الحاديثة مرحلة واحدة ؛ ومنها الى النهاية مرحلة واحدة . وقد حذفت بقية المراحل على هذا الطريق . ولا يشير الا في صفحة ١٤٩ الى ان المسافة من الرحبة الى قرقيسياء هي مرحلة واحدة ومن الرحبة الى الدالية ، او من الرحبة الى براء مرحلة واحدة كذلك .

ان المسافة من بغداد السيلحين هي ٢٦ كيلو متراً فقط ، فلا بد ان كان بين كل مرحلتين بريديتين ما يقارب ١٣ كيلو متراً طولاً فقط .

وكانت مرحلة اليوم الواحد من سالحيين الى الأنبار ٣٦ كيلو متراً ومنها الى الربّ ( الشيخ حديد ) المسافة نفسها .

واستناداً الى المقدسي فقط كانت المسافة بين الربّ وهيت مرحلة واحدة . ولهذا فهي مرحلة طولها ٢٥ كيلو متراً فقط . ويعطي المسافة بين هيت والناووسة على انها مرحلتان ، ولذا يكون طول كل منها ٣٢ كيلو متراً .

ان الترتيب الصحيح للمحطات المختلفة عند المقدسي إنها ما بعد الناووسة . فمحطتا عانة والفحيمة ليستا في موضعيهما الصحيحين ؛ وينبغي ان تدرج الاسماء على هذا الترتيب : الناوسا . آلوسا ، الحديثة . الفحيمة ، عانة والنهاية . ونجد هنا ايضاً ان المراحل المختلفة متفاوتة الطول . فمن الناوسا الى آلوسا ٢٨ كيلو متراً ؛ ومنها الى الحديثة ١٢ كيلو متراً ؛ ومنها الى الفحيمة ، ٣٠ كيلو متراً ؛ ومنها الى النهاية ، ٣٢ كيلو متراً . واستناداً الى المقدسي فان جميع هذه المحطات تفصل احداها عن الأخرى مرحلة واحدة . ويبدو وكأن محطة الحديثة كانت قد تسالت الى متن النص من ملاحظة غامضة من الناسخ ، لان الحديثة لم يرد ذكرها في اي منهج رحلة أخرى وكان يجب ان توضع حيث تقع عانة فعلاً .

واستناداً الى المقدسي فان المسافة من الرحبة الى قرقيسيا هي مرحلة واحدة ان الرحبة الى الدالية ، او يبراء مرحلة واحدة كذلك . ومن المياذين . الرحبة القديمة ، الى قرقيسيا ١٠ كيلو مترات فقط ، وليست واحدة باتجاه شمالي غربي . ولكن المسافة هي ٣٣ كيلو متراً باتجاه جنوبي شرقي من المياذين الى الصالحية التي يجب النظر اليها استناداً الى روايات أخرى على انها الدالية ( انظر ماسبق ، ص ٨٦ ) . هذا وطابق دي خويه الاسم قرقيسيا ، المدون في مخطوطات برلين والقسطنطينية ( المصادر نفسه ، ص ١٤٩ ، ملاحظه ن ( N ) ) بدون تشكيل ، مع برثا القديمة والدير الحالية . ولكن بمسان برثا كانت تعود الى منطقة اوسروئين فـسلا يمكن ان

تكون واقعة على الضفة اليمنى ( انظر ماسياني فيما بعد ص ص ٢٠٨ - ٢١٢ ) ، ومن المستحيل تماماً اثبات ان الدبر الحالية كانت تدعى بيراء في العصر الوسيط . والاكثر احتمالاً على ما ياور ان الدبر الحديثة مطابقة لدبر الرمان في العصر الوسيط ( ياقوت ، المعجم [ فستفلد ] ، المجلد ٢ : ص ٦٦٢ ) وان بيراء مطابقة لخرائب زلييه على الضفة اليسرى ( وعليه فهي في اقليم اوسروئين القديمة ) على بعد مسيرتين من الرحبة - وليست واحدة ، كما يبين المقدسي .

### الادريسي : يصف الطريق من بغداد الى الرقة

يذكر الادريسي ، في النزعة ( ح ٤ ص ٦ ) المسافات بين المحطات المختلفة من بغداد الى الرقة حيناً بالأميال وحيناً بالمساحل : من بغداد الى السيلحون ١٢ ميلاً ؛ ومنها الى الانبار ، ٢٤ ميلاً ؛ ومنها الى الرب ، ٢ ميلاً ؛ ومنها الى هيت ٣٦ ميلاً ؛ ومنها الى النواوسة ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى آلوسة ، ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى عانات ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى الداليا ، ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى رحبة مالك بن طوق ، الواقعة على الفرات ايضاً لكنها على ضفته اليسرى ، ٣٠ ميلاً ؛ ومن هناك الى الخابور مرحلتان ؛ والى قرقيساء مرحلتان . وتقع في شرق الفرات ويصب فيه أسفل المدينة نهر الهرماس ، الذي يدعى الخابور الآن . ومن قرقيسياء الى الخانوقة مرحلتان ؛ ومن هناك الى الرقة مرحليان .

وروي الادريسي ايضاً ان الرحلة من بغداد الى الرقة يمكن كذلك اتتمامها بنحو عشر مراحل وذلك بمغادرة الفرات عند النواوسة والاستدارة الى اليمين شرقاً في الصحراء : من النواوسة الى آلوسة ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى الزراقي ( الرازقي ) ١٨ ميلاً ؛ ومنها الى الفرضة ١٨ ميلاً ؛ ومنها الى العجيمة ( الفحيمة ) ١٨ ميلاً ؛ ومنها الى وادي سباع ١٥ ومنها الى محطة ( الفاش ) مقابل ( حيال ) وايس جبال [ تلؤل ] ، كما هو مطبوع ( قرقيسياء ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى المبارك ٣٣ ميلاً ؛ ومنها الى الرقة ٢٤ ميلاً . ان مجموع المسافات

من بغداد الى الرقة يبلغ ٣٧٢ ميلاً .

هذا ونجد في ترجمة جوبير للادريسي ( المجلد ٢ ، ص ص ١٤٤ وما بعدها الرواية نفسها ، ولكنه يضيف اليها ان الربّ بلدة مزدهرة ومحاطة بالمزارع والجنان الواسعة وان آلوسة تقع على مسافة قصيرة من النهر ( آلوس في الحقيقة جزيرة ، ولهذا بنيت المحطة على اليابسة الى الغرب ووصفت الدالية في هذه الترجمة انها بلدة صغيرة على الضفة الغربية من النهر . واحتسبته المدة اللازمة لقطع المسافة من بغداد الى الرقة بطريق الخانوقة خمسة عشر يوماً . وكتبت على الصفحة ١٤٥ « العجيمة » بدلاً من الفحيمة ؛ و دورقي « بدلاً من الداقي ؛ وحسبت المسافة من بغداد بطريق الجردان الى الرقة ٣٧٢ ميلاً .

وعند فحص البيانات التي قدمها الادريسي بالتفصيل نجد أنه يذكر المسافة فيما يتعلق بالطريق الاول من بغداد الى الأنبار ٣٦ ميلاً ؛ وتبلغ في الحقيقة ٦٢ كيلو متراً . وعلى فرض ان المسافة بالأميال قد ذكرت بصورة دقيقة فلنا ان نعتبر ٧ - ١ كيلو متراً تقريباً الرقم العملي لطول الميل عند الادريسي .

انه يحسب المسافة من بغداد الى سينحون اثني عشر ميلاً ؛ وتبلغ في الحقيقة ٢٦ كيلو متراً ، او ١٥ ميلاً تقريباً .

ويحسب المسافة من السيلحون الى الأنبار ٢٤ ميلاً ؛ وهي في الحقيقة ٣٦ كيلومتر أو حوالي ٢١ ميلاً .

ويحسب المسافة من الأنبار الى الربّ ( الشيخ حديد ) ٢١ ميلاً ؛ وهي في الحقيقة ٣٦ كيلو متراً ويتفق ذلك مع رقم الادريسي .  
ويحسب المسافة من الربّ الى هيت ٢٦ ميلاً ؛ وهي في الحقيقة ٥٢ كيلو متراً او ٢٠ ميلاً فقط .

ويحسب المسافة من هيت الى النابوسة ٢١ ميلاً ؛ والواقع انها في اقصر

الطرق ٣٥ كيلو متراً . وتكون المسافة بحذاء الضفة اليسرى ٤٥ كيلو متراً . في الأقل .

ويحسب المسافة من الناوروسة الى آلوسة ٢١ ميلاً ؛ وهي في الحقيقة ٢٨ كيلو متراً او حوالي ١٧ ميلاً فقط .

ويحسب المسافة من آلوسة الى عانات ٢١ ميلاً ؛ وهي في الحقيقة ٦٢ كيلو متراً ؛ او ٣٦ ميلاً .

ويحسب المسافة من عانات الى الدالية ٢١ ميلاً ؛ ومن الدالية الى رحبة مالك بن طوق ٣٠ ميلاً : المجموع ٥١ ميلاً من عانات الى الرحبة . وتبلغ في الحقيقة هذه المسافة ١٧٣ كيلو متراً الذي لا يعادل ٥١ ميلاً بل ١٠٠ ميل . ولا شك في ان بعض المحطات بين عانات والدالية كانت قد حذفت .

ولا يمكن ان تكون الدالية أسفل من الصالحية الحالية لانه استناداً الى ابن سراييون ، العجائب ، ( مخطوطة المتحف البريطاني ) ، ورقة ٣٣ يمين ، ( لوسترنج ) ، ص ١٤ ، برغم ان نهر سعيد الرئيس كان قد يصب في الفرات في موضع ما فوق الدالية فان فروعاً متعددة منها وصلت الى الحقول المحيطة بذلك المكان . وليس في استطاعة الماء ، على كل حال ، ان ينساب من القناة الى الحقول في جنوب الصالحية ، لان هذه الحقول تقع أعلى مستوى من السهل الفيضي بين الفرات واجراف الصالحية العالية . ان عبارة الادريسي التي يذكر فيها ان رحبة مالك بن طوق ، او الرحبة ، تقع في شرق الضفة اليسرى للفرات صحيحة بمعنى واحد وهو ان كل بلدة تقريباً كان لها ضاحية على الضفة المقابلة .

ويحدد الادريسي المسافة من الرحبة الى الخابور على انها مرحلتان ، والخابور يرجع اما الى النهر او الى بلدة قرقيسياء التي غالباً ما كانت تدعى الخابور ، وخاصة عند المؤلفين السريان . وكانت محطة الخابور في اي حال مطابقة لمحطة قرقيسياء التي ، على كل حال ، كانت على بعد عشرة كيلومترات فقط من

الاياذين ( الرحبة ) . ومن هنا يمكننا الاستنتاج ان مسافة اليومين الى  
الخابور كان القصد منها من محطة وادي سباع ( ابو كمال بدلاً من الرحبة )  
ويحسب الادريسي المسافة من قرقيساء الى الخانوقة على انها يومان .  
وهي في الواقع ٩٠ كيلومتراً ، وهذا يعني مرحلتين طول كل منهما ٤٥ كيلومتراً .  
ويحسب المسافة من الخانوقة الى الرقة مرحلتين ؛ وهي في الواقع ٨٠ كيلومتراً  
وتشمل مرحلتين طول كل منهما ٤٠ كيلومتراً .

ويحسب الادريسي المسافة بين بغداد والرقة عشر مراحل في الاقل ؛ وبما  
ان المسافة هي ٦٢٠ كيلومتراً فمن الضروري ان يكون السير بمعدل ٦٢ كيلومتراً  
للمرحلة الواحدة . ويمكن قطع هذه المسافة بهذه السرعة بالنقل على عجالات  
او على ظهور الخيول او الجمال ، ولكن حينما تستبدل الحيوانات في الطريق فقط .  
دعنا الآن نعود الى الطريق الثاني الذي وصفه الادريسي . تشعب هذا الطريق  
من الفرات عند النابوسة وسار باتجاه شرقي في الصحراء . والواقع ان هذا الطريق  
اخرق الصحراء ، ومع ذلك كان يعود الى الفرات من حين الى آخر .  
ويحسب المسافة من النابوسة الى قرقيساء ١١١ ميلاً ، او حوالي ١٨٩ كيلومتراً ، اذا  
واصلنا احتساب ١ / ٧ كيلومتر لكل ميل . اما المسافة الحقيقية فهي ٢٨٣ كيلومتر  
انه يحسب المسافة من النابوسة الى آلوسة ٢١ ميلاً ؛ وهي في الحقيقة ٢٨  
كيلومتراً ، او حوالي ١٧ ميلاً .

ويحسب المسافة من آلوسة الى الفحيمة ( وليس العجيمة ، كما هو مطلوب )  
١٨ ميلاً . وهي في الحقيقة ٣٥ كيلومتراً ، او حوالي ٢١ ميلاً .  
ويحسب المسافة من الفحيمة الى الذرافي ١٨ ميلاً ، أو ٣٠٦ كيلومتراً .  
ولا بد ان الذرافي هذه هي المحطة التي سماها ابن خرداذبه الدراقي ،  
التي نحدد موضعها عند القايم . ان المسافة من الفحيمة الى الذرافي هي  
في الحقيقة ٩٢ كيلومتراً ؛ ولهذا فلا بد ان الادريسي كان قد أغفل ذكر محطات  
متعددة . انه يحسب المسافة من الذرافي الى القرص ١٨ ميلاً ومنها الى وادي  
سباع ١٥ ميلاً .

لقد حُذفت محطتنا خليج بني جُميع والفاش مقابل قرقيسيا . ويُدخل الادريسي بدلاً من الأخيرة ، شأنه في ذلك شأن ابن خرداذبه ، عبارة « من قرقيسيا » مع العلم بأنه مما يؤكد معرفة الادريسي بمحطة الفاش هو المسافة الى المحطة التالية ، اي نهر سعيد ، التي يحددها بـ ٢٤ ميلاً ، وهي مسافة تتفق تقريباً مع المسافة الحقيقية البالغة ٣٧ كيلومتراً من الفاش ( العشرة ) .

ويحدد الادريسي المسافة من نهر سعيد الى الرقة بـ ٩٩ ميلاً . والمسافة الحقيقية هي ١٥٠ كيلومتراً فقط . ويحدد المسافة من نهر سعيد الى الجردان بـ ٤٢ ميلاً ؛ ومنها الى المبارك ٣٣ ميلاً ؛ ومنها الى الرقة ٢٤ ميلاً . وتطابق هذه الأرقام تلك التي قدمها ابن خرداذبه للمسافات بين هذه الاماكن .

ويحدد الادريسي المسافة الأجمالية من بغداد الى الرقة بهذا الطريق على انها ٣٧٢ ميلاً ، على ان المجموع الذي يذكره للمسافات بين المحطات يبلغ ٣٤٨ ميلاً فقط ؛ اما المسافة الحقيقية فهي ٦٢٠ كيلومتراً ، التي تساوي حوالي ٣٦٤ ميلاً إن استخدم الادريسي الميل الذي يساوي ١٧ كيلومتراً .

### بيانات اخرى عن طريق محاذية للفرات

في مطلع عام ١٣٤٨ م غادر بغداد الرحالة الذي لا يعرف الكلل ابن بطوطة ( التحفة [ دفريميري وسانكوينتي ] ، المجلد ٤ ص ص ٣١٤ وما بعدها ) ووصل الى عانة بطريق الأنبار وهيت والحديثة . ولدى مروره في منطقة مزروعة بعناية وجد نفسه باستمرار تقريباً بين بيوت مأهولة مما دفعه الى مقارنة هذا الطريق بالوادي الرئيس الخصب جداً في الصين . ومن عانة سافر الى بلدة الرحبة التي كانت تؤشر آنذاك الحدود بين العراق واول بلدة في سورية . ومن الرحبة واصل سفره بطريق السخنة وتدمر الى دمشق ، ان الطريق الذي سلكه من الرحبة الى السخنة مرّ دون شك بالجوائل والقباقيب ، كما هو مدون ايضاً عند الظاهري ، في الزبدة ( رافيس ) ، ص ١١٩ وما بعدها ) .



وكان حاجي خليفة (جهان نامه) (القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ ، ص ٤٨٣ ) ، يعرف ايضاً الطريق المحاذي للفرات وحدد المسافة من العلة الى هيت بمرحلتين ؛ ومنها الى عانة بثلاث مراحل ؛ ومن هناك الى الرحبة بثلاث مراحل ؛ ومنها الى الدير بمرحلة واحدة ؛ ومنها الى بالس بخمس مراحل . ان بيانات حاجي خليفة لا تتفق مع الحقائق . فان الطريق المباشرة بين العلة وهيت هي ٢١٠ كيلو متراً تقريباً ؛ ومن المستحيل قطعاً قطعها بيومين . ان المسافة من هيت الى عانة هي ١٣٠ كيلو متراً ، ومن عانة الى الرحبة تكاد تبلغ ١٧٠ كيلو متراً ؛ ومع ذلك فقد حدد ثلاث مراحل لكل منهما . ان المسافة من الرحبة الى الدير هي ٥٤ كيلو متراً ؛ ومن الممكن قطعها بمرحلة واحدة . والمسافة من الدير الى بالس قرابة ٢١٠ كيلو متراً مما يتطلب خمس مراحل طول الواحدة منها ٤٦ كيلو متراً .

ويسمي ابن خرداذبه في المسالك ( دي خويه ) ، ص ٧٤ على الطريق من الرقة الى حلب : محطتي دوسر وبالس ، وعلى الضفة اليمنى للفرات : خُصاف والناعورة . ... ومن الطريق ان نلاحظ ان ابن خرداذبه يكتب رقة مجردة من اداة التعريف . وأدى الطريق اولاًً بعذاء الضفة اليسرى الى محطة دوسر التي تبعد نحو خمسين كيلو متراً . وكانت دوسر الاسم القديم لحصن دُعي فيما بعد ولا يزال يُدعى قلعة جببر . ومن هنا أدى الطريق على بعد أربعين كيلو متراً بعذاء الضفة اليسرى للفرات الى بلدة بالس الواقعة على الضفة اليمنى . حيث استوجب عبور الفرّات على جسر القوارب . وكانت المسافة من بالس الى خُصاف او تل خُصاف الحديث ٤٨ كيلو متراً ، وتقع محطة الناعورة على بعد خمسة عشر كيلو متراً الى الجنوب الشرقي من حلب . ويشير الادريسي في (الترجمة ح٢ ص ٥) الى المحطات ذاتها كما فعل ابن خرداذبه الا انه يبدأ بحلب .

ويذكر الطبري في التاريخ ( دي خويه ) السلسلة ٣ ، ص ٢٢٠٠ ) أنه في

ختم عام ٩٠٠ م عاد الخليفة المعتضد من حملة ضد البيزنطيين بطريق حلب والناعورة ونحساف الى صفين . ومنها تقدم بجذاء الضفة اليسرى — ماراً بقرية على بن ابي طالب ( ع ) على الجهة المقابلة — بطريق بالس ودوسر وبطن دامان الى بلدة الرقة — وأدى هذا الطريق ايضاً بنحساف وبالس . ولم يوضح الطبري الموضع الذي عبر منه الطريق الى الضفة اليسرى ، ولعل ذلك تمّ عند بالس . وليس النص هنا دقيقاً جداً اذ ان صفين ، ابو هريرة ، الحديثة ، تقع في الحقيقة بين بالس ودوسر ( قلعة جعبر ) .

ويكتب ياقوت في معجمه ( فاستنفلد ) ( المجلد ٢ ، ص ٥٣٨ ) ان بلدة دامان تقع على بعد خمسة فراسخ من الرافقة مقابل مدخل قناة النهمية ، وان نوعاً معيناً من التفاح حمل اسمها وهو الداماني . ان اسم هذه القناة في المخطوط هو النهي ( المصدر نفسه ، المجلد ٥ ، ص ١٨٤ ) .

\* \* \*

## الملحق السادس

### انهار الفرات الاوسط

#### ملاحظات عامة

لقد وصلت الينا سجلات كثيرة عن انهار العصر القديم والوسيط في العراق ، الا ان تحديد مجاريها الدقيقة غير ممكن في العادة . ان السهل الغربي متحدد بصورة عميقة بترع اروانية موجودة حالياً ومتقاطع تماماً بسدود ذات احجام مختلفة . وهناك حواجز ضخمة شبيهة بالاستحكامات كانت تحيط ، انهار العصر الوسيط وتمتد لسافات بعيدة جداً في كل اتجاه بحيث ان مسالكها لا يمكن تحديدها الا بالحفريات فقط رغم احتمال بقاء مخلفات الأزمنة الفارسية او حتى الأبعاد قديماً منها هنا وهناك . ان انهار العراق تختنق بالغرين بسرعة نسبياً ، وإن لم يتم كَرَيُّها بانتظام فان صيانتها تكلف بعدة سنوات قليلة اكثر من حفر انهار جديدة . واذا كانت الحالة كذلك فان مجاري الانهار القديمة كانت تغلر من سدودها او ببساطة تترك السدود القديمة على ما هي عليه وتحضر قنوات جديدة على امتدادها . وعند الاضطرار الى عبور السدود القديمة فقط فانه يتم تسويتها بالمناطق المحيطة بها . فلو ان جميع الانهار التي شُقَّت في الماضي بقيت دون ان تُمسس لكان من المحتمل ان لا تبقى ارض صالحة للزراعة في بلاد بابل ؛ وفي الحقيقة لا يسعنا الا الافتراض ان القنوات المهجورة في الأزمنة القديمة دُفنت كذلك وحُوِّلت الى حقول خصبة . ان بقايا مثل هذه الانهار المهجورة في الريف ليست بالغة الأهمية ابداً ، وان المراقب العابر يلاقي صعوبة في تمييزها عن انهار العصر الوسيط .

ومن المهم مسألة ما اذا كان الفرات في الأزمنة القديمة يجري في مجراه الحالي معترقاً بلاد بابل العليا ام أنه قد تغيّر مجراه منذ ذلك العهد . والرأي الذي يكاد يتم الاجماع عليه هو انه في وقت ما كان النهر يجري بمحاذاة بلدة سبار ( ابو حبة الآن ) ، على بعد عشرة كيلو مترات من مجراه الحالي . ولكن حتى لو كان الأمر كذلك فما كان في الامكان انحرافه عن مجراه الحالي الاحوالي خمسة كيلو مترات جنوبي مدينة الفلوجة لانه لا تتحول الهضبة من الدور الثالث للتكوين الصخري الى السهل الغربي البابي قبل تلك النقطة ، وليس ثمة دليل قاطع على ان الفرات شق له مجرى خلال الهضبة الصخرية شرقي الفلوجة . وعلى نحو عشرة كيلو مترات جنوب غربي موقع سبار تمتد هضبة المعجصة المنزلة ، مشكلة الحد الأبعد للهضبة ، لمسافة عشرين كيلو متراً من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ؛ وهذه المنطقة لم يخترقها الفرات قط الذي يتلاطم مع منحدرها الغربي . على ان النهر إن كان قد جرى بجانب سبار في وقت ما فانه إما ان يكون قد استدار الى الجنوب الغربي ثانية بعد البادية مباشرة ، مستديراً حول الطرف الشمالي لهضبة المعجصة ، او أنه جرى في اتجاه الجنوب ماراً بالطرف الجنوبي الشرقي للهضبة الى مدينة بابل . انه كان يجري دائماً بمحاذاة الموضع الأخير .

إنني لم اجد آثاراً ملموسة لأي من هذين المجريين المحتملين وانني ارى ان مجرى الفرات من أقدم الأزمنة قد كان حيث هو اليوم ، ولكن قناة ضخمة تشعبت منه باتجاه سبار لعله مرّ خلالها من المياه ما يزيد على ما كان يمر بمجرى النهر الأصلي ، ولعلها حملت اسم الفرات لبعض الوقت في الأقل .

يذكر الملك حمورابي في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد أنه أمر بحفر قناة من الفرات الى سبار ( الكتابة بلخثين ] كنك ، حمورابي ( ١٨٩٨ — ١٩٠٠ ) ، المجلد ١ ، الأرقام ٥٧ وما بعدها ] ، العمود ١ ، السطور ١٠ —

٢٤ ؛ كنتك ، المصدر السابق ، المجلد ٣ ، ص ١٧٧ وما بعدها ) .  
واستناداً لهذا ، فلا بد ان كان المجرى الرئيس للفرات آنذاك على مسافة  
كبيرة من سبار .

كذلك أمر نبوبولصّر ( المتحف البريطاني ، ٧٢ ، ٧ - ١٤ ،  
العمود : ١ ، السطور ١٠ - ١٥ ؛ العمود ٢ ، السطور ١ - ١٢ ؛ لانكدن ،  
كتابات منقوشة في الأبنية [ ١٩٠٥ ] ، ص ٥٤ ) بربط سبار بان قد انحسر  
بعض الشيء عن البلدة . أمر الملك حفر مجرى جديد واحاطته بجدار من الآجر  
المفخور . ويظهر من هذه العبارة ايضاً ان مجرى الفرات الرئيس كان  
على مسافة ما من سبار . وربما يتطابق المجرى الذي أمر نبوبولصّر بحفره مع  
مع القناة الملكية المتأخرة ، او نارمخا .

### سد نبوخذنصر وخزانة الماء

رغب نبوخذ نصر ، الذي اعقب نبوبولصّر ، في تقوية تحصينات  
بابل ضد الهجمات الميدية ( الكتابة ب من وادي بريسا [ فايزباخ ،  
كتابات نبوخذ نصر الثاني ( ١٩٠٦ ) ، اللوحة ٣٣ ] ، العمود ٦ ، السطور  
٦٧ - ٧٦ ، فايزباخ ، المصدر السابق ، ص ٢٧ ؛ لانكدن ، المصدر السابق  
، ص ١٦٦ ) . ولهذا أمر باقامة سد ضخم من التراب طوله خمسة أميال ،  
بأبيلية ، ممتداً من اوبس حتى جوار سبار ، بين ضفتي دجلة والفرات ؛  
كذلك أمر بأن تحاط مدينة ( بابل او باباون ) « بكهلة من الماء كالببحر العميق »  
لمسافة عشرين ميلاً . وبغية حماية السد الترابي من الأمواج أمر بتبطينه بالآجر  
المغلف بالقير .

واستناداً الى هذه الرواية فقد بُني السد بين بلديتي اوبس وسبار . ونحن  
نعلم موقع هذه الأخيرة الا اننا لا نعرف موقع البلدة السابقة . وعندما نقرأ  
بان السد ربط دجلة بالفرات وكان الغرض منه حماية بابل من الميديين ،

نستنتج أنه لابد أن أدى الى الشرق مباشرة ( او قليلاً الى الشمال او جنوب الشرق ) من سبار . وعليه يجب البحث عن اوبس في ذلك الاتجاه ، على الضفة اليسرى من دجلة ، اذ ان سبار لم تكن واقعة بعيداً عن الضفة اليسرى للفرات . ان هذا الموقع يدل عليه ايضاً طول السد الذي ذكر أنه خمسة أميال ، او حوالي ستين كيلو متراً . إن أقصر مسافة من سبار الى دجلة في اتجاه شرقي هي ثلاثون كيلو متراً . ان الرقم الذي اعطاه نبوخذنصر ، على كل حال ، يتطابق مع هذا الرقم — كما سنوضح لاحقاً — لاننا نفسره بأنه لا يمثل مجرد حاجز ( سد ) مفرد بل أنه يمثل الطول الاجمالي لخطين من الحواجز المحيطة بالخزان .

ان الماء الذي يحتويه مثل هذا الخزان كان يمكن أخذه من الفرات فقط ، إما من مجراه الرئيس او من القناة الكبيرة المؤدية الى سبار . وتقول الكتابة ، على كل حال ، ان نبوخذنصر أمر ان تحاط المدينة ( بابل ) بـ « كتلة من الماء كالبحر العميق » على مسافة عشرين ميلاً . ان هذا غير واضح تمام الوضوح . فمن المؤكد ان العشرين ميلاً لا يمكن ان تمثل طول البحيرة الاصطناعية او ضفافها ( سدادها ) . ان بحيرة بمثل هذا الطول يمكن فقط ان تكون على شكل حرف ( U ) المفتوح بذراعين يمتدان من بابل حتى وادي دجلة والفرات . ولأجل تكوين بحيرة كهذه كان يقتضي حواجز ( ضفاف ) ضخمة على امتداد دجلة والفرات كليهما لمنع الماء من الهرب باتجاه الشرق او باتجاه الجنوب الغربي على التوالي .

ولأجل تفسير عبارات نبوخذنصر فان سجلات هيرودوتس وايبينيوس وديو دورس ذات عون كبير . انها أخذت إما عن المؤلفين البابليين او عن شهود عيان .

يذكر هيرودوتس ( التاريخ ، ص ١٨٤ ) أن سميراميس أمرت ببناء سدود كبيرة بشكل ملحوظ عبر السهل لمنع من التعرض للفيضان .

ومن المؤكد ، على كل حال ، ان السدود لم تبني عبر السهل ، وانما فقط على امتداد ضفة النهر اوكلتا ضفتيه بنفس الطريقة التي يبني بها سكان تلك المناطق حتى في يومنا هذا عندما يرغبون في حماية حقولهم التي تقع على مستوى اوطأ من مجرى الفرات من الغرق . ويجب ان نضيف ان هذا المجرى كان يرتفع على الدوام بفعل الغرين الذي كان يجرفه الجدول .

ويذكر هيرودوتس في تاريخه (ح ١ ص ١٨٥) ان الملكة نيتوكريس هي التي أحدثت تعرجاً في الفرات وذلك ببناء قنوات جديدة . وقد تمّ بأمرها حفر حوض ليحتضن بحيرة أعلى من بابل بكثير وعلى بعد قليل من الجدول . وكانت البحيرة اعتمى من النهر وكان محيطها ٤٢٠ ستاداً . ومن التراب الذي نتج عن اعمال الحفر تمّ بناء سدود على امتداد ضفاف النهر ارتفاعها وقوتها مثار الاعجاب .

وكانت نيتوكريس زوجة نبوخذنصر ؛ ويعزو اليها هيرودوتس الأعمال التي انجزها زوجها ، غير انه لا يذكر موقع الخزان ، ولكنه لما كان ينسبها الى زوجة نبوخذنصر فلنا ان نفترض انه يتطابق مع « الكتلة المائية » الواردة في كتابات نبوخذنصر المنقوشة . واستناداً الى هيرودوتس فانّ محيط هذا الخزان نبوخذنصر بان طول السد — اي محيط الخزان — كان خمسة أميال . ونستنتج من هذا ان البحيرة لابد ان كان طولها حوالي ٣٠ كيلو متراً وعرضها واكثر من كيلومترين . ان السد الطويل على الجانب الجنوبي وكذلك السد على امتداد امتداد الضفة اليمنى للجلة كان قوياً بوجه خاص .

فلو ربطنا رواية هيرودوتس مع سجل نبوخذنصر لأمكن الحصول على صورة للبحيرة بالقرب من بلديتي سبار واوبس . ولعل هذه البحيرة كانت محصورة من الجنوب بين الفرات ودجلة بسد عظيم ، وهو الذي تمتّ تقريرته من الشمال ببطانة من الآجر المغلف بالقيز . وبما ان السد الجنوبي ، وفقاً لتفسيرنا لنصوص نبوخذنصر وهيرودوتس ، كان طوله ثلاثين كيلو متراً فقط ، فمن

الواضح انه لابد ان ادى من الفرات قرب سبار باتجاه شرقي الى نقطة على دجلة كانت تبعد ثلاثين كيلو متراً . وعلى هذا لابد من تحديد موقع اوبس على نقطة كهذه على الضفة اليمنى لدجلة جنوبي السد .

وقد وصلت الينا رواية ابيدينوس كما حفظها لنا مؤلفان للمؤرخ يوسيبوس ، التاريخ (شونه) ، المجلد ١ ، الأعمدة ٣٨ وما بعد ، والتهذيب الانجيلي ح ٩ ، ص ٤١ : ٧ ) ووفقاً لأبيدينوس فان نبوخذنصر بعد ارتقائه العرش أمر بان تحاط مدينة بابل بسور من التحصينات وثلاثة حواجز واقية . وأمر بحفر قناتي ارما كالن واكرا كانون على ان تأخذ من الفرات ، وأمر بحفر بحيرة فوق بلدة سبريانس وعمقها عشرون قامة ومحيطها اربعون فرسخاً . ويمكن ارواء السهل بفتح بوابات معدة لذلك .

ان تحديد ابيدينوس لموقع الخزان العظيم الذي بناه نبوخذنصر يظهر مطابقتها مع جزء من الأعمال الدفاعية المشار اليها في كتابة نبوخذنصر في وادي بريساء . ان المحيط المستطيل البالغ اربعين فرسخاً يساوي تقريباً العشرين ميلاً التي ذكرها نبوخذنصر وان العمق البالغ عشرين قامة هو رقم مبالغ فيه دون ريب . ومما لا يخلو من الاثارة ان ابيدينوس ، ويحتمل انه اخذ روايته عن الكاتب البابلي بيروسوس (شابل ، بيروسوس [ ١٩٢٣ ] ، ص ٢٧١ ) ، بربط « نهر الملك » ، ( نارملخا ) ذلك الاسم الذي إما كان قد حرقه هو اونسأخه الى « ارما كالن » — بهذا الخزان العظيم الضخم . لذا فان الماء الذي جرى الى الخزان وفقاً لابيدينوس لم يأت من الفرات مباشرة بل من نهر الملك الذي انحرف : عن الفرات الى الغرب او الشمال الغربي من سبار لأرواء الارض حول هذه البلدة . ولا اجداية اشارة عند الكتاب الكلاسيين الى القناة الثانية اكر كانون التي ذكرها ابيدينوس ، الا ان اسمها يوحى ببلدة اكرانيس حيث يتشعب نهر الملك ( نارملخا ) استناداً الى بليسي ،



التاريخ الطبيعي . ح ٦٥ ص ١٢٠) . ولعل ابيدنيوس وجد عبارة كهذه عند بيروسوس وحضر من بلدة اكرانيس قناة سمّاها اكران كانون .

ووفقاً لأبيدنيوس فقد بنيت البحيرة الكبيرة لارواء السهل المجاور الذي لا بد انه حاذاها من الجانب الجنوبي فقط لان الماء كان يسكن ان يخرج من بوابات او أقفال او خنادق في ذلك الاتجاه ليس غير . ولا بلدان العزان كان يسأل في شهر أيار ( مايو ) عندما يكون مستوى الفرات في اعلاه ، ولا بد انه كان يجري تصريفه الى السهل من شهر أيلول ( سبتمبر ) الى كانون الأول ( ديسمبر ) ولا بد ان السدود وخاصة في الجانبين الجنوبي والشرقي كانت مبنية بناءً محكمًا للغاية ، وان السد الجنوبي لا بد ان امتد من الى الشرق مباشرة . وبتقوية النصف الشرقي للسد الرئيس وتقوية كامل السد المحاذي للنفقة اليمنى لدجلة فقط كان يمكن حدوث ثغرة فيه .

ويظهر ان ديودورس قد تأثر بأكاثارخيادس الذي اتبع في معظم الامر تهماس وكليثارخوس ، وهما مؤلفان كان قد زارا بلاد بابل ، وعلى هذا كانا على دراية بالسجلات المحلية . ووفقاً لديودورس ( المكتبة التاريخية ، ح ٢٥ ص ٩ ) فان سميراميس كانت قد أمرت بحفر بحيرة مربعة واختارت لهذا الغرض اوطاً بقعة في جميع بلاد بابل . وكانت البحيرة محاطة بجدران مبنية بالآجر المغلف بالجير . وكان طول كل جدار ٣٠٠ ستاداً وارتفاعه ٣٥ قدماً .

ويتحدث ديودورس دون شك عن العزان ذاته الذي تناوله بالبحث ابيدنيوس وهيرودوتس ، الا انه لا يعزوه الى نبوخذ نصر ولا الى زوجته نيتوكريس ، بل الى الملكة الآشورية الأسبق سميراميس ، ولا يدون شيئاً قد يفيدنا بالنوصل الى تفسير لذلك . كذلك فانه يغفل ذكر موقع البحيرة . ان قوله ان الموضع الذي حفرته فيه البحيرة كان في اوطاً بقعة في جميع بلاد بابل لا يتفق مع الحقائق ، ويتعارض كذلك مع القول بان البحيرة قد أحيطت بأربعة جدران

مبنية بالآجر والقيبر ، لان بحيرة محفورة في اوطاً بقعة لانتطلب جدران تحيط بها . وقيل ان طول كل جدار كان ٣٠٠ ستاداً وبارتفاع ٣٥ قدماً ان ٣٠٠ ستاداً ( ابراتوشينياً (١) تساوي ٤٧ كيلومتراً )؟. ان هذا الطول مضروباً في اربعة يوسحي بالأميال العشرين التي رويت عن نبوخذنصر والقراسخ الاربعين عند ابيدينوس . ولا يمكن تفسير الفقرة بأي حال من الاحوال ، لانه ، في الوقت الذي تكون فيه المسافة المتوسطة بين الفرات ودجلة فوق سبارحوالي اربعين كيلو متراً ، فان ٣٠٠ ستاداً ( ٤٧ كيلو متراً ) جنوباً من سبار لاتصل حتى الى بابل ، التي تبلغ المسافة منها الى دجلة اكثر بكثير من ٤٧ كيلو متراً . ان المرتزة الاغريق الذين رافقوا في عام ٤٠١ قورش الاصغر في حملته ضد الملك الفارسي العظيم ارتاكسير كيس اخترقوا المنطقة الشاسعة حول بعد هزيمتهم في كونا صا . وقد أحسن زينوفون ، الذي كان احد المشاركين في هذه الحملة ، في وصف ما آل اليه مصير الاغريق . وعلى هذا ينبغي ان نتوقع في مؤلفه تفصيلات قد تعيننا على حل الغاز كثيرة . ولكن زينوفون في فقرة واحدة فقط من كتابه الانابسيس يذكر بقايا آثار قديمة يمكن مطابقتها مع سد نبوخذنصر . ففي الانابسيس ( ٢ ص ٤ : ١٢ وما بعد ) يذكر ان اليونانيين وصلوا الى السور الميدي . وقيل ان هذا كان قد بُني ، غير بعيد عن بابل ، بالآجر المغلف بطبقة من القيبر ، بسمك ٢٠ قدماً وبارتفاع ١٠٠ قدم وبطول عشرين فرسخاً وفقاً للشاعات . وبعد ان عبروه وصلوا بعد مرحلتين ( تساويان ٨ فراسخ ) الى جسر القوارب المنسوب على دجلة الذي يبعد ١٥ ستاداً عن بلدة سبتاس .

وكلا الارتفاع والعرض على ما ذكر لا يمكن ان تمثل سوى المعدلين . واما الطول فانه مأخوذ من الاشاعات فقط . ويبدو ، على كل حال ، ان

دراسة دقيقة لكتاب زينوفون تظهر ان ما عبره الجيش الاغريقي كان سد نبوخذنصر ولذلك فان السور الميدي الذي ذكره زينوفون يمكن ، بل يجب ، ان يتطابق مع البقايا التي ذكرها هيرودوتس وابليديوس وديودورس . وصل الاغريق الى السور من الشمال الغربي ؛ ولم يجدوا بحيرة على ذلك الجانب منه ، وانما وجدوا سهلاً منخفضاً فقط متقاطعاً بقنوات وترع متعددة وكانت صعبة العبور جداً . ولا نعلم من زينوفون الطريقة التي عبر بها الجيش الاغريقي السور ولا الغرض من بنائه . والقول بانه لم يمتد بعيداً عن بابل ينبغي الا يؤخذ حرفياً ، اذ ان زينوفون لم يعلم اين كانت تقع بابل ، والسبب الوحيد الذي حمّله على الاعتقاد بان الجيش كان يقترب من المدينة العظيمة لا يتعدى حقيقة ان الجيش كان يسير في اتجاه جنوبي شرقي .

وفيما بعد السور الميدي احترق الاغريق متنزها فسيحاً ، ومن الممكن ان السور يشكل حاجزاً للمتنزّه في جزء منه في الأقل . ان احتمال بناء السور فوق سد نبوخذنصر قد يكون سبباً جيداً في انه بدا في نظر زينوفون عالياً وسميكاً جداً . اما الطول البالغ عشرين فرسخاً فانه عام به عن إشاعات كما يذكر هو نفسه . وربما مثل هذا الرقم محيط خزان نبوخذنصر ؛ اما السد الشمالي فلا يذكره زينوفون على الاطلاق ، ربما لتوهمه انه أحد الاجراف المتشابهة المتعددة التي احاطت بالقنوات القديمة ؛ كما انه لا يعير انتباهاً الى الخزان اذ لم يعد فيه اي ماء آنذاك .

وفضلاً عن زينوفون ، فان منغانتة سد نبوخذنصر زارها كذلك اميانوس مارسلينوس الذي رافق عام ٣٦٣ م الامبراطور جوليان في حملته ضد الفرس . ففي كتابه ( ح ٢٤ ص ٣ ) يصف اميانوس مستقماً وصل اليه الجيش الروماني بعد مسيرة اربعة عشر ميلاً من بيرسابورا ، ان زرسيموس ، الذي استقى معلوماته من ماكناس الكرهي بصورة رئيسة ، وكان مشاركا آخر في الحملة ، يذكر في تاريخه الحديث

٣٠ ، ص ١٩ ) ان هذا المستنقع كان يُغمر من الفرات ومن نارملخا وتطابق بيريسابورا الأبار الحديثة . ان اربعة عشر ميلاً رومانيا من هنا الى امتداد الفرات توصلنا الى حوالي مدخل قناة دفّار الحالية ، الذي يمتد منه في اتجاه شرقي الى جنوبي شرقي سهل منخفض يغدر بالماء كلما فاض الفرات . ويربط زوسيموس مستنقعه بـ ( نارملخا ) تماماً كما يربط به ابيدنيوس خزان نبوخذنصر .

واورد اميانوس مارسليّوس ايضاً ( المصدر نفسه ص ٢٤٤ : ١ وما بعد ) ان الرومان وصلوا الى بساتين وحقول خصبة ، حيث وجدوا سكناً ملكياً مبنياً على الطراز الروماني ، ووجدوا ايضاً حظيرة للصيد محاطة بأسوار عالية ومليئة بأنواع الحيوانات المفترسة . ولم تكن المسافة بعيدة من هناك الى كوخته ، التي دُعيت فيما بعد بسلوقية .

ومن الواضح ان المتنزّه العظيم عند زينوفون ( الابسيس ، ص ٢٠ ، ص ٤ : ١٤ ) كان مطابقاً لحظيرة الصيد التي ذكرها اميانوس مارسليّوس . وعلى هذا يمكن الافتراض ان السور المحيط بحظيرة الصيد كان يؤلف ايضاً جزءاً من السور الميدي عند زينوفون . وفي الحقيقة يمكن ان نتوقع من زينوفون ، الذي اتصفت ببياناته دائماً بالمبالغة فيما يتعلق بعرض الانهر المختلفة ، ان يصف لنا هذا السور بأنه اكبر وأعلى مما هو عليه .

### موقع اوبيس وعلاقته بخزان نبوخذنصر

ولأجل معرفة مجرى سد نبوخذنصر فمن المهم جداً ان نعرف اين كانت تقع اوبيس بالضبط . ومن الروايات المتنوعة الخاصة بالأول يسنّا ان الأشيرة يجب ان يُبحث عنها على الضفة اليمنى لدجلة . وكانت اوبيس ، التي تطابق اكشاك البابلية القديمة ( تورو — دانجن ، التاريخ [ ١٩١٨ ] ، ص ٦١ ) ، تدعى ايضاً او — بسي — به ،

والاسم الذي اشتقت منه « اوبيس » الكلاسيكية . وكانت مركزاً للمملكة لها أسرة حاكمة خاصة بها واحتفظت باستقلالها لزمن طويل .

ولا يذكر مؤلفوا العهد الآشوري هذه البلدة مطلقاً ، بينما ملوك العهد البابلي الجديد يأتون بها من جديد ، ليس بالاسم المؤلف آنذاك او - بي - بل بالاسم القديم اكشك . ولم يعرف الكتاب الكلاسيون الاقدم عهداً بلدة ما عند واسط دجلة اعظم اهمية من اوبيس .

ويذكر هيرودوتس ( التاريخ . ج ١ ص ١٨٩ ) كيف وصل قورش في حملته ضد بابل الى نهر جنديس ، الذي يتصل بنهر آخر يدعى دجلة الذي يجري ماراً بازاء بلدة اوبيس ويصب في البحر الارثري [ كندا ] .

وبالطبع لا يذكر هيرودوتس ما اذا كانت اوبيس هذه تقع فوق فم جنديس او اسفل منه ، الا ان السياق يؤدي بنا الى الافتراض بان جنديس يصب في دجلة فوق بلدة اوبيس ، وبالتالي الى الشمال منها . فاذا كان جنديس مطابقاً لنهر دبالى الحالي فينبغي البحث عن اوبيس الى الجنوب من فوهته . ومثل هذا الموضع يكاد يضع اوبيس الى الشرق من ( ابو حبة ) الحالية (سبار القديمة) او في نفس المنطقة التي تشير اليها جميع سجلات خزان نبوخذنصر . ان تحديد موقع اوبيس اشير اليه في الانابسيس ( ج ٢ ، ص ٤ : ٢٥ ) .

يدون زينوفون انه من جسر القوارب على دجلة في سبتاس قام الاغريق بأربع مراحل ( ٢٠ فرسخاً ) ووصلوا الى نهر فيسكوس ، الذي عرضة بلثرم واحد وعليه جسر ، وعلى هذا النهر كانت تقع مدينة اوبيس العظيمة .

وبما ان موضع سبتاس غير معروف لدينا فلانستطيع ان نذكر على وجه الدقة في اية نقطة شيد الجسر الذي عبره الاغريق من الضفة اليمنى الى اليسرى لدجلة ، وهكذا تنقصنا نقطة البداية للمراحل الأربع منها الى اوبيس .

واستناداً الى الانابيسيس ( ٢٠ ، ٤ : ٢٧ ) تقدم الاغريق من نهر فيسكوس في ست مراحل ( ٣٠ فرسخاً ) الى مدن بريساتس المصدر نفسه ، ( ٢٠ ص ٥ : ١ ) وعلى امتداد دجلة بأربع مراحل ( ٢٠ فرسخاً ) الى نهر زبتاس وعرضه اربع بلثرات .

واذا كان نهر زبتاس مطابقاً ، كما هو محتمل جداً ، للزاب الكبير الحالي فينبغي البحث عن اوبيس على بعد عشر مراحل ( ٥٠ فرسخاً ) جنوباً على امتداد دجلة من فم زيتاس . وبهذه الطريقة نصل الى نهر العظيم الحالي الذي ينطبق عادة على فيسكوس ، واذ ذاك تقع اوبيس في مكان ما بالقرب من تقاطعه مع دجلة ، ولا يذكر زينوفون ما اذا كانت على الجانب الايمن ام الأيسر من النهر الأخير . ومع ذلك فان موقع اوبيس هذا ، على بعد اكثر من تسعين كيلو متراً بصورة مباشرة تقريباً الى الشمال من ابوجبه ، سبار القديمة ، يعارض كل ما قدمناه حتى الآن لتفسير سجلات خزان نبونخذنصر والسور الميدي . ان هذه التفسيرات لابد ان يستعاض عنها بغيرها إن كان لابد من الاعتماد على زينوفون وحده .

على ان دراستنا لمؤلف زينوفون تبرهن انه ، في الأقل في وصفه للفرات الاوسط ، لا يعتمد عليه تمام الاعتماد . وعلى سبيل المثال ، كما اوضحنا لا يعتمد عليه تمام الاعتماد . وعلى سبيل المثال ، كما اوضحنا آنفاً ، انه يلتبس ؟ عنده نهر خابوراس بقناة اراكسيس انه اهمل ذكر اكثر من نقطة عبور لخنديق ارتاكسير كيس برغم ان الجيش لابد أن عبره مرتين بعد كونامبا فيما لو وصل هذا الخندق الى السور الميدي ؛ وانه يؤكد ان الاغريق فيما وراء السور الميدي عبروا قناتين تأخذان من دجلة ، برغم ان هاتين القناتين لابد ان كانتا تأخذان من الفرات .

ولعل زينوفون وقع في خطأ آخر من النوع نفسه في الفقرة ( المصدر نفسه ، ٢٠ ص ٤ : ١٠ ) التي فيها يحدد موضع سكن المرزبان بيليسيس

بجانب نهر درداس بدلاً من جعله بجانب قناة آخذة من الفرات غير بعيدة عن بلدة ثيساكوس ، حيث كانت بلدة بربليسوس ( ابن بليسوس او بيليسيس ) معروف ، للمؤلفين الكلاسيين وكذلك للمؤلفين السريان والعرب .

وبالنظر الى الميل لعدم دقة الملاحظة عند زينوفون فمن المحتمل جداً انه توهم بموقع سيتاس على انه موقع اوبيس ، وعلى هذا فان اوبيس ينبغي البحث عنها بالاستناد الى زينوفون ، في جنوب السور الميدي ، على مسافة خمسة عشر ستاداً جنوب جسر القوارب الذي عبر عليه الاغريق الى الضفة اليسرى لدجلة . ولا يذكر زينوفون انه شاهد اوبيس ، وانما يذكر ان الاغريق التقوا هناك بالقطعات الفارسية من سوسة واكتبانا (همدان) لنجدة الملك العظيم . ومن السهل ان يكون هذا اللقاء في موقع عند نهر فيسكوس اذ كانت هذه القطعات في اغلب الاحتمال زاحفة على الطريق المار بمحاذاة هذا النهر من بلاد فارس . وبما ان جلّ انتباه الاغريق كان منصباً على الجيش الاضافي هذا ، فمن المحتمل ان يكون زينوفون قد استدل خطأ اسم سيتاس باوبيس . ومن الصحيح ان هيرودوتس يذكر اوبيس ، ولكن مما يشك فيه كثيراً ان يكون زينوفون قد قرأ هيرودوتس في وقت مساهمة الحملة ، ذلك لان عباراته الخاصة ببلاد بابل كانت تكون أوفى بكثير لو كان درس كتاب مواطنه او لو كان أخذ معه في هذه الرحلة . فلو كانت اوبيس حقاً تقع عند مصب نهر فيسكوس (العظيم الحالي) ، كما يقول زينوفون ، اذن لكان من الصعب ان نفهم لماذا أمر الملك نبوخذنصر ببناء سور واق او سد طوله تسعون كيلو متراً لحماية بابل ، من سبار في اتجاه الشمال الى اوبيس . ان هذا السور الواقى او السد كان ينبغي ان يكون

موازيا تقريباً لضفة دجلة اليمنى ، وإلى الغرب منه كان يمتد سهل فسيح وطويل يمكن ان تغمره مياه الفيضان، كما لا يزال يحدث في كل فيضان كبير لنهر الفرات . بيد ان هذه البحيرة نصف الطبيعية ونصف الاصطناعية على بعد ستين كيلومتراً شمالي بابل لا يمكن لها باي حال ان تقوم بالدفاع عن المدينة ، وان قورش الأول كان في امكانه تجنبها بصورة كاملة .

واستناداً الى فقرة في كتاب هيردوتس ( التاريخ ١٠ ، ص ١٨٩ ) والذي أشرنا اليه ، فان قورش وصل في زحفه الى بابل عام ٥٣٩ ق . م الى نهر جنديس الذي يطابق كما قلنا آنفاً نهر دياي ليومنا هذا ؛ ثم ، استناداً الى نيونيدس ( تاريخ نبونيدس [سمت ، نصوص تاريخية بابلية ( ١٩٢٤ ) ، اللوحة ١٣ ، الوجه المعاكش ، العمود ٣ ، الاسطر ١٢ - ١٦ ، سمت ، المصدر السابق ، ص ١١٣ ) ، فانه دحر الجيش البابلي عند اوبيس فان كانت اوبيس تقع عند فم نهر فيسكوس ، او العظيم ، لكان عل قورش ان يعود من نهر دياي شمالاً ، برغم ان هذا كان نفس الاتجاه الذي قدم منه ، اما اذا كانت ، من الناحية الثانية ، اوبيس واقعة اسفل من فم جنديس عند النقطة المؤشرة بالمجرى المحتمل لسد نبوخذنصر فما كان عليه الا الاستمرار بزحفه وشق طريقه عبر دجلة واخترق الخط الدفاعي للبابليين عند اوبيس ، واحتلال سبار والزحف دون قتال الى بابل .

ويذكر اريان ( انابسيس ، ح ٧ ص ٧ ) انه في عام ٣٢٤ ق . م دمر الاسكندر العظيم جميع الحواجز الخاصة برفع مستوى الماء او تحويل مجراه المنصوبة على دجلة ، وبذا جعل الملاحة حرة على هذا النهر من الخليج العربي حتي اوبيس ، التي كانت واقعة على ضفته . وقد ظل هناك ( المصدر نفسه ، ح ٢ ص ٨ ) طوال الصيف وارسل المحاربين القدامى المقدونيين الى الوطن من هناك ، وشرع ( المصدر نفسه ح ٧ ص ١٣ ) في حملة من اوبيس الى اكبتانا ( همدان ) .



ويظهر من رواية انه بالنظر لموقع اوبيس فلا بد انها كانت مدينة بالغة الأهمية ومفترق طرق مؤدية من بابل الى بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين الشمالية . ولكان من المستغرب لو ان اتباع الاسكندر الذين أعقبوه لم ينشئوا مستعمرة هامة في مكان له مثل هذه الأهمية وكاد يكون مقدساً نتيجة سكوثه فيه ، ولم يرد ذكر مستعمرة اغريقية في اي مكان عند مصب فيسكوس ، وكانت أشهر مستعمرة إغريقية في المنطقة هذه هي سلوقية أسفل من مصب نهر دياالى وكادت تكون شرقي ابو حبة مباشرة ، او في نقطة حيث ينبغي البحث عن اوبيس طبقاً لتقارير خزان نبوخذنصر وسدما . اذا فمن المحتمل جداً ان المستعمرة الاغريقية سلوقية شيدت في أقرب مكان لمدينة اوبيس القديمة وبذا اصبحت حليفاً لها . ويبدو ان هذا الافتراض قد اكده سترابون ( الجغرافية ، ج ١٦ ، ص ١ : ٩ ) حيث يذكر ان دجلة صالح للملاحة حتى اوبيس ، وهي مدينة وسوق للمنطقة المحيطة بها ، وكذلك لسلوقية الحالية . وهكذا يربط سترابون بسلوقية القديمة ، التي شكلت ، ان صح التعبير ، ضاحية من البلدة الأحدث عهداً . ان لكل بلدة كبيرة في الشرق الحديث ضاحية من هذا النوع تقوم بمثابة سوق للمواطنين المحليين من المناطق المجاورة بأسرها ، الذين يتجنبون المخازن الكبيرة في الشوارع الرئيسة ، اذ كانوا يهتمون بالشراء اكثر من اهتمامهم ببيع منتجاتهم نوعاً ما .

واستناداً الى ايراثو شينس ( سترابون ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ١ : ٢٦ ) فان اقصر مقرب من الفرات الى دجلة مثلاً ستاد ، وكان ذلك عند سور سمير اميس وبلدة اوبيس ؛ وفي موضع آخر ( المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ١٤ : ٨ ) يذكر ان دجلة يجري بجانب اوبيس وما كان يدعى بسور سمير اميس . ان كلتا الروايتين وكذلك سجلات نبوخذنصر وايبانيوس تربط اوبيس بسود الخزان العظيم الذي عراه ايراثو شينس ، وطبعاً ، وكذلك دبودورس الى سمير

اميس . ونتيجة لذلك فان اراتو ستينس يضع اويس شرقي ابو حبه الحديثة (سبار) .

وتؤكد هذا الموقع ايضاً عبارة ايراتو ستينس ان سور سميراميس شيد عند اويس في الموضع الذي تكون فيه المسافة بين النهرين العظيمين أقصر ما يكون ، اي بين سبار القديمة وبين المستعمرة الاغريقية سلوقية . وبين الموضعين المذكورين اخيراً ليس ثمة أكثر من مئتي ستاد ايراتو شيني ، او حوالي ٣١ كيلومتراً ، بين النهرين . ولا بد ان نستنتج من الدليل الجيولوجي ان المجرى الرئيس للفرات انساب على بعد حوالي عشرة كيلومترات غربي سبار في زمان نبوخذنصر وكذلك في زمان ايراتو ستينس . ويبدو ان اقصر المسافات هذه بين سلوقية والفرات الاصيلي مسجلة لدى سترابون في فقرتين : ففي الأولى (المصدر السابق ، ١٦ ص ١ : ٥) لا يقلرها بدقة كبيره اذ يقوم انها ثلاثمائة ستار ؛ وفي الفقرة الأخرى (المصدر نفسه ، ١٦ ص ١ : ٢١) نقرأ انها « أكثر من مئتي ستاد . » وفي كلتا هاتين الفقرتين يتضح من السياق انه بدلاً من « بابل » ينبغي ان نقرأ « الفرات » . فلو كانت اويس في حقيقة الأمر واقعة عند فم نهر فيسكوس فلا يمكن بأي حال من الأحوال ان يكون الفرات على أقرب ما يكون من دجلة عند اويس ، اذ ان أقصر مسافة بين النهرين عند فم فيسكوس هي حوالي ثمانين كيلومتراً في خط عرض سلوقية .

ويبدو مما سبق أنه ، فيما عدا بيانات زينوفون ، ليس ثمة حجة في الأدب القديم تحول دون تحديد موضع اويس بجوار سلوقية مباشرة على الضفة اليمنى لدجلة . وان سد خزان نبوخذنصر آنذاك يطابق السور الميدي عند زينوفون ويمتد شمال سبار باتجاه شرقي الى دجلة ، الذي يبلغه شمالي اويس .

ان امكانية التباس اويس مع ستيناس يؤكدها سترابون (المصدر السابق ، ١١ ص ١٣ : ٦) حيث يقول ان منطقة ابولونيا تاس كانت في الأصل

تدعى سيتاسين . وتقع هذه المنطقة على الضفة اليسرى لدجلة حيث تنضم إليها سوميس ( المصدر نفسه ، ١٥ ، ١٣ : ١٢ ) . ولأن اسمها مشتق من اسم سيتاس فعلى البحث عن الموضع الأخير على الضفة اليسرى لدجلة أيضاً ، وليس على الضفة اليمنى حيث حدد زينوفاون موقعها .

واستناداً إلى بطليموس ( الجغرافية ، ٦ ، ١ : ٦ ) أيضاً ، كانت تقع على الضفة اليسرى لدجلة في بلاد آشور وليس في بلاد بابل ، ولكنها تتبع الأخيرة لو أنها كانت واقعة على الضفة اليمنى أسفل من السورالميدي .

### قنوات الفرات الأوسط

وبالإضافة إلى خزان نبوخذ نصر فإن قنوات كثيرة في جزئنا من بلاد بابل قد ذكرت في السجلات البابلية والآشورية والكلاسية ، ولكن نادراً ما تكون بدقة كافية تجعل تحديد موقعها ممكناً .

عبر توكولتي اينورتا ( نينب ) الثاني ( الحوليات [ شاييل ، الحوليات ( ١٩٠٩ ) ، لوحة ٢ ] ، الوجه الأمامي ، السطر ٥٢ وما بعده ، شاييل ، المصدر السابق ، ص ١٦ ) قناة باتي بيل في مسيرته الرابعة عشرة ، بينما كان يتقدم من دور كوريكالزي ( عرقوف ) إلى سبار ( أبو حبه ) . وبما أنه كان يزحف في مسار مستقيم وأخذ قسطاً من الراحة عند القناة ، فلا بد من البحث عنها في مكان ما قرب قرية الجرية الحالية ، على فرع من قناة العيساوي . إذن لا بد أن كانت باتي بيل آخذة من الفرات أسفل من بلدة الفلوجة الحديثة تقريباً عند النقطة التي كان نهر صرصر في ازمينة لاحقاً يأخذ منها . ومن المؤكد أن توكولتي اينورتا عبر قنوات كثيرة في طريقه من سبار إلى الشمال الغربي على امتداد الضفة اليسرى للفرات ، ومع ذلك فإنه لا يذكر اسم أي منها ، بل يكتفي بمجرد ذكر أسماء المدن التي عسكر بالقرب منها .

## نظام القنوات الكبير في أقصى الشمال

### المراجع الكلاسيكية تتحدث عن النظام في أقصى الشمال

يشير تعليق لزينوفون ( انا بسيس ، ط ص ٧ : ١٥ ) ، بعد ذكر التربة التي صادفها الاغريق عند اقترابهم من ميدان المعركة في كوناصا بعد مغادرتهم بيلايه ، انهم وصلوا الى اربع ترع أخرى آتخذة من دجلة ، عرض كل واحدة منها بلترم واحد ( ٣١ متراً ) وعمقها كاف للملاحة فيها . وكانت جميعها تنصب في الفرات وبين الواحدة والأخرى مسافة فرسخ واحد .

ولا يذكر زينوفون ما اذا عبر الاغريق اياً من هذه القنوات في زحفهم الى ميدان المعركة ، ومع ذلك فانهم لا بد ان عبروا جميعها لانه يصف في فقرة تالية ( ٢ ، ٣ : ١٠ - ١٣ ) الصعوبات التي واجهت الاغريق في طريقهم عودتهم الى السرر الميدي عندما كانوا يعبرون القنوات والترع الاروائية المختلفة .

ان زينوفون في الانابيس ( ١٦ ص ٧ : ١٤ - ١٦ ) عند وصفه التربة « التي حفرها الملك العظيم على انها للدفاع ضد الغازي » والتي صادفها الاغريق عند اقترابهم الى كوناصا ، يذكر بدقة موقع القناة البابلية الأولى بالنسبة الى القادم من الشمال الغربي . وصل الاغريق من بيلايه في اربع مراحل ( ١٥ فرسخاً ) الى ترعة عرضها خمس قامات ، وعمقها ثلاث قامات وطولها ١٢ فرسخاً ، التي امتدت حتى السور الميدي .

اعتقد زينوفون ان هذا « الخندق » حُفر بأمر من الملك العظيم لمنع قورش من دخول بلاد بابل ، وقد أخطأ في ذلك . فلو انه كان خندقاً دفاعياً لكان ولاشك ممتلئاً بالماء . والواقع انه كان لا يزال بينه وبين الفرات حاجز من الارض عرضه عشرون قدماً ، وهو الذي منع اولاً دخول الماء الى القناة ، وثانياً سمح للاغريق بالعبور من دون عائق . فلا بد ان كان « الخندق » قناة في طور التنظيف

فقط ، ومن المحتمل ان يكون مدخلها قد طُمر بالتراب لتسهيل العمل في داخلها . ويمكن تحديد موقعها بدقة نسبية من كلمات زينوفون . ويمكن مطابقة بلانية بآخر نتوء للارض المرتفعة من الدور الثالث للتكوين الصخري الذي يأخذ بالانحدار حتى الفرات نفسه ويحيط بالمنطقة الغرينية الاصلية لبلاد بابل من الشمال الغربي ، أي نتوء جبل الأسود الحالي الذي تقع عليه الخربسة التي تحمل الاسم نفسه . وإلى شرق --- الجنوب الشرقي من سهل اسود أفيضي تعترض المنطقة الغرينية على الضفة اليسرى للفرات بين النهر والارض المرتفعة وهنا تبدأ بلاد بابل الأصلية . وبعد اربع مراحل ( حوالي ٦٠ كيلومتراً ) من الأسود نصل الى قناة الكرمه او البصقلاوية التي تأخذ من الفرات عند الأنبار . ان رواية زينوفون صائبة حين ذكر ان طول « الخندق » اثنا عشر فرسخاً ( حوالي ٦٠ كيلومتراً ) ، اذ ان هذه هي المسافة من الفرات الى دجلة الذي كانت تصب فيه هذه القناة التي كانت نصف طبيعية ونصف اصطناعية . ولا يمكن للقناة الرئيسة ، بل يمكن لاحد فروعها ، ان يمتد حتى السور الميدي . وبما ان زينوفون لا يقول ما اذا عبر الاغريق القناة الرئيسة اثناء تراجعهم من ميدان المعركة الى الشمال الشرقي ، فلنا ان نستنتج إما انه نسي ذكرها او أنهم لم يتوغلوا هذه المسافة شمالاً ؛ وعلى أي حال فان الترع الرئيسة لم تكن تمتد الى السور الميدي . ومن المحتمل جداً ان هذه القناة هي التي كانت على بال بليني ( التاريخ الطبيعي ، ج ٥ ص ٩٠ ) عندما كتب ان الفرات يتفرع عند بلدة مسيكن ، على بعد ٥٩٤ ميلاً من زوكما . ويضيف ان الجدول الايسر بعد ان يأخذ طريقه الى بلاد ما بين النهرين وبعد ان يجري مخترقاً سلوقية يهبط في دجلة ، بينما يجري الجدول الأيمن في مجراه الى بابل .

ان بليني إما ان يكون قد نسخ ارقامه بشكل مغلوط او ان النساخ اللاحقين نقلوها خطأ ، ذلك ان ٥٩٤ ميلاً من زوكما ما كانت توصلنا حتى الى

اناثا ، عانة الحديثة ؛ وان الفرات لا ينقسم إلا اسفل من ذلك المكان بمسافة غير قليلة ، وذلك عند النقطة التي يدخل النهر فيها الارض الغربية لبلاد بابل . وبين هذه الاخيرة وهضبة بلاد ما بين النهرين من الدور الثالث للتكوين الصخري منخفض يدعى الآن الخور ، كانت تجري فيه مياه الفرات في عهد بليني ، ولا تزال تجري خلال ما يدعى الآن قناة القرمة او الصقلالية ، وهي اول قناة تتشعب من النهر ، ومنها يمكن توجيهها بقنوات اصطناعية او طبيعية حتى سلوقية القديمة . وعلى هذا يمكن البحث عن مسكن التي اوردها بليني عند مدخل القرمة ، وربما كانت البساطة مطابقة مع بسيخانة التي ذكرها ايسيدور الكرخي او مع الرمادي الحديثة .

ويورد اميانوس ، في كتابه ( ٢٤ ، ٢ : ٧ ) كما لاحظنا اعلاه ( ص ٦٤ و ٧١ ) ان الفرات ينقسم عند مسابراكتا . فيجري فرع في مجرى عريض الى بلاد بابل الداخلية مما يأتي بخير عظيم لحقوق القرى المجاورة ؛ اما الفرع الذي يدعى نارملخا ، ويعني نهر الملك او النهر الملكي ، فيجري نحو طيسفون . وفي بداية هذا الفرع ، قيل ان برجاً يشبه الفئار قائم هناك . وبعد اجتياز الرومان له وصلوا الى حصن بيريسابوراس .

وفي هذا الصدد يتحدث زوسيموس ، في التاريخ الحديث ( ٣ ، ١٦ ) عن قناة فقط ، دون ذكر اسمها ؛ ويقول انها تمتد نحو بلاد آشور ودجلة .

ويذكرنا سجل اميانوس مارسليوس كثيراً بسجل بليني ، الا ان اسم البلدة عند الاول هو مسابراكتا وليس مسيكن . ولعل نارملخا ، الواقع في الحقيقة على مسافة غير بعيدة الى الجنوب ، تسرب الى سجل اميانوس

مارسلينوس في هذا الموضع نتيجة لنديم الانتباه ، ربما من بليني او من  
معهده . ولم يعرف ماكنوس الكرخي ، الذي غالبا ما استعان به زوسيموس ،  
اسم هذه القناة ، رغم انه يذكر اماكن اكثر من اميانوس مارسلينوس .  
ومثل اميانوس مارسلينوس ( المصدر السابق ، ٢٤ ، ٣ : ١٠ ) ،  
يتحدث زوسيموس ايضاً ( المصدر السابق ، ٣ ، ١٩ ) عن المستنقعات الطبيعية  
والأصطناعية التي وصل اليها الرومان بعد سيرهم اربعة عشر ميلاً ما وراء حصن  
بيرسابوراس والتي بينها تقع مدينة فيسينيا .

واستناداً الى زوسيموس ، فان خنادق هذه البلدة كان يملأ من نار ملخا ومنه  
كانت تُغمر المستنقعات ايضاً . على ان القناة المشار اليها في هذه الحالة لا يمكن  
ان تكون القناة التي يدعوها اميانوس خطأ بنهر ملخا ، لان الأخيرة (الكرة الآن)  
كان مداخلها اميالا كثيرة شمال غربي فيسينيا ( عقر النعيلي ) والأكثر من  
ذلك ، فبين مستنقعات فيسينيا وحصن بيرسابوراس ( الأبار ) تمتد  
بقعة منعزلة من نجد يعود الى الدور الثالث من التكوين الصخري لمسافة  
عشرين كيلومتراً تقريباً من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي . ولعل بلدة  
مسابراكتا تطابق خرائب إم الروس التي يقع بجوارها مدخل مجرى الرشاش الذي  
ينضم الى مجرى الصقلاوية مكوناً قناة الكرة .

### نظام اقصى الشمال في المراجع العربية

يسمى الكتاب العرب اول قناة كبيرة في بلاد بابل تتفرع من الضفة  
اليسرى للفرات الدقيل او الرفيل او الدجيل ، وغالبا ما يخلطون بينها وبين  
قناة نهر عيسى ، التي لم تحفر الا في زمن الحكم الاسلامي .  
ويكتب قدامة ، في المخرج ( دي خويه ) ، ص ٢٣٤ ) أنه عند نقطة أسفل  
من الأنبار يأخذ نهر يسمى الدقيل الماء من الفرات . ومنه يفصل نهر  
عيسى ، الذي يجري نحو بغداد حيث يصب في دجلة . ان هذا لا يتفق مع  
الحقائق : لا يمكن لنهر عيسى ان يكون قد تفرع من نهر الدقيل ، اذ ان  
كليهما يأخذ من الفرات .

لقد قام ابن سيرايبون في العجائب [ مخطوطة المتحف البريطاني ] ،  
ورقه ٣٣ الوجه المعاكس [ لوسترنج ] ، ص ١٤ ) بتمييز صائب بين قناة  
الدقيل ونهر عيسى عندما يقول ان قناة تدعى عموماً باسم الدجيل ، تأخذ  
من الفرات على بعد فرسخ ، او اكثر بقليل ، من قرية الرب ومنها تجري شرقاً .  
وتتفرع هذه القناة الى فروع كثيرة وتروي مزارع طسوجي مسكن وقطربل  
حتى مصبها في دجلة ، بين عكبرا ومدينة بغداد .

لقد كانت قرية الرب معروفة جيداً عند المؤلفين العرب . انني اطابقها مع  
تل الخربة عند ضريح الشيخ حديد . ولا بد ان قناة الدجيل في هذه الحالة  
كانت تأخذ من الفرات قرب نفس النقطة التي تأخذ منها قناة عزار الحديثة ،  
ولا بد انها امتدت من هنا بمحاذاة الحافة الشمالية الشرقية للسهل الغربي  
وعرضه هنا قرابة خمسة كيلومترات — الى الأنبار ؛ ولا بد انها الى الشمال من  
هذه النقطة دخلت منخفض الخور ومن هناك تعرجت في طريقها بين خربة  
الأشهابي على اليمين وخربة المقيّر على اليسار ، حتى صبت أخيراً في دجلة ،  
قرب سراحه في يومنا هذا . فكانت لذلك سلفاً لنهر الكرمة الحالي .

ويذكر ياقوت ، في المعجم ( فستاتلد ) ، المجلد ٤ ، ص ٨٣٩ ) ، الرذيل  
نهر يصب في دجلة عند بغداد مأخذه من نهر عيسى ، وهو  
الذي عليه قنطرة الشوك ، ويصب في دجلة عند الجسر .

اما ابو الفضائل ، في المراسد ( جوينبول ) ، المجلد ٣ ، ص ٢٤٧ —  
( ٢٥٠ ) ، فيصحح ياقوت ويكمله . انه يذكرنا ان الرذيل ، بالأصل ،  
هو اسم لاعلى النهر الكبير المعروف بنهر عيسى . وكان  
يرمى فاضله الى الصراة فاستخرج عيسى بن علي هذا البر الذي يرمى  
الى دجلة عند قصره ، ليكون جـارياً عنده فسمى بنهر عيسى لذلك .



ويتضح من رواية ابي الفضائل ان نهر عيسى الاصلي ( قرب بغداد ) كان متصلاً في الشمال بنهر الرفيل ، وان الاسم « نهر عيسى » بدأ اطلاقه على الأخير ايضاً . ان نهر الرفيل الحقيقي يُعَدُّ العضو الشمالي لنظام قناة له مدخلان من الفرات ، الفرع من الشمال يحمل اسم « الرفيل » والذي من الجنوب يحمل اسم « عيسى » . ان تسمية « الرفيل » نشأت ولاشك عن نقل محرف « الدقيل » . ففي هذه الكلمة غالباً ما يكون للحرف ( ق ) صوت حلقي ( اي من أعلى باطن الفم ) وربما كان من السهل استبداله بحرف ( ج ) ويسهل بعد ذلك تحريف « رفيل » الى « دجيل » .

ويميز ابن سيرايون ( المصدر السابق ) بين نهر عيسى ونهر الدجيل . فيزعم ان نهر عيسى يأخذ من الفرات عند قرية دمما حيث اقيم عليه جسر متين دُعي قنطرة دمما ، وانه يروي منطقة فيروز سابور . وعلى ضفتيه تقع قرى ومزارع متنوعة ، وينشطر عند المحوّل الى بضعة فروع تجري فيما بعد خلال بغداد .

ان الطبري ، في كتابه التاريخ ( دي خويه ) ، السلسلة ٣ ، ص ١٢ وما بعدها ) يعاونا كثيراً في تحديد موقع قرية دمما . فقد وصل قحطبة بن شبيب في عام ٧٤٩ م الى عكبرا ، وعبر دجلة ، ووصل الى اوانسا . ولكنه قبل هذا ارسل مؤتمنه حازم من خائقين ومعه اوامر بعبور دجلة والاسراع من هناك الى الدجيل والانتظار في كوثي ربّا . ثم ارسل اليه في ذلك المكان كتاباً بالتوجه الى الانبار ومصادرة جميع القوارب التي يجدّها هناك والانحدار بها الى اسفل المجرى ( يُحدر في الاصل ) الى دمما ، حيث كان عليه انتظاره . وتمّ تنفيذ هذا كله وعند دمما عبر قحطبة نفسه الفرات في القوارب .

ان هذا يوضح لنا ان قرية دمما كانت تقع اسفل من الانبار وانه لهذا السبب لا يمكن ان يكون نهر عيسى مطابقاً لنهر الدجيل الذي أخذ من الفرات فوق الانبار .

والاصطخري ، في مسالكه ( دي خويه ) ، ص ٨٤ كان ايضاً على دراية بمدخل نهر عيسى عند جسر دمما الحجري . فعلى هذه النهر تجري السفن من الفرات مخترة بغداد الى دجلة .

وابن حوقل ، في مسالكه ( دي خويه ) ، ص ١٨٥ ) عند كلامه على الجزء الغربي لبغداد ، يذكر ايضاً ، نهر عيسى ، يتفرع من الفرات في مكان غير بعيد عن الأنبار ، تحت جسر دمما الحجري .

اما ابو الفداء ، في التوقييم ( رينو وديسلان ) ، ص ٥٢ ) فيثبت مدخل نهر عيسى عند خط الطول ٦٨ شرقاً ، وخط العرض ٣٢ شمالاً ، مقابل الكوفة عند قريه تدعى دمما ؛ ويضيف ان نهر عيسى يخرج من قرب الأنبار تحت جسر دمما المتين . ويستشهد بسليمان بن مهنا الذي يؤكد على ان نهر عيسى كان اسفل من الأنبار وليس بعيداً عن ذلك المكان ؛ اي بجانب مزرعة الفلوجة . ويفترض ان الاسم عيسى كان قد أطلق على النهر نسبة الى عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس ، عم الخليفة المنصور .

وهكذا يقدم ابر الفداء ثلاث روايات عن موقع مدخل نهر عيسى . ان كلتا الروايتين الاولى والثانية تُسمّى القرية دمما . ووفقاً للاولى فان القرية كانت تقع قرب الكوفة ، الا ان هذا لا يتفق مع الحقائق ، اذ لا يقول اي مؤلف عربي آخر ان نهر عيسى يأخذ من قرب الكوفة . اما الرواية الثانية فاكثراً احتمالاً ، لانه ينبغي ان نفهم ان « دمما » هي تحريف لكلمة « دميما » . ونحن نعلم ان دمما تقع أسفل من الأنبار ونعلم من ابي الفداء انها لم تكن على مسافة بعيدة من هذا المكان . ولكن اوثق الروايات هي الثالثة ، التي استبدل فيها لأول مرة اسم دمما بالفلوجة ، حيث يعبر طريق بغداد في يومنا هذا الفرات على جسر القوارب .

ويذكرنا ابو الفضائل (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٤٢٢) ان قطيعة عيسى دعيت هكذا نسبة الى عيسى بن علي ، عم الخليفة المنصور . وانها بنيت عند مصب نهر الرّفيل في دجلة . ويؤكد انه في زمانه ( النصف الاول من القرن الرابع عشر ) لم يرد ذكر هذه الفيعة .

ويصحح ابو الفضائل (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٢٦٧) عبارة ياقوت التي مفادها ان عقرقوف هي قرية في ضواحي دجيل ، قائلاً انها أخرى ان تكون قرية قرب نهر عيسى ، على مسافة اربعة فراسخ من بغداد .

على ان ياقوت وابو الفضائل كاليهما على مراب . فعقرقوف تقع على الجهة الشمالية من قناة الدقيل القديمة ، او كما كانت تدعى في اللغة الدارجة ، الدجيل ، الذي يتصل به ، في الجزء الشمالي ، نهر عيسى والذي كان يطابق عليه الاسم الاخير احياناً ، كما رأينا آنفاً .

واستناداً الى ابي الفضائل ( المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ١٥١ ) فان نهر الصراة تفرع من نهر بلسدة المحول ، على بعد فرسخ واحد من بغداد ، وروى مزارع بادوريا ، وانقسم الى فروع متعددة تجري خلال بغداد .

ويقول حاجي خليفة ، جهان نما ( القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ ) ، ص ٤٦١ ) ان بلدة المحول الصغيرة تقع على بعد فرسخين شرقي بغداد ، بجانب نهر عيسى وفي اوقات سالفه قام هناك قصر رائع للخليفة المعتصم بالله ، الا أنه لم يكن لهذا القصر أثر عندما زاره حاجي خليفة ( النصف الأول من القرن السابع عشر ) .

واستناداً الى هذه الروايات فان المدخل الى نهر عيسى يجب البحث عنه في منطقة ليست بعيدة عن بلدة الفلوجة الحديثة . اذ يقع على بعد حوالي كيلو مترين الى الجنوب الشرقي من هذا المكان اكمة خرائب كبيرة بجانب الفرات ، تعرف باسم الخراب ، والى الجنوب منها بقايا قنطرة قديمة تدعى العيساوي حتى يومنا هذا . وعليه فلنا مسايير مطابقة خرائب الخراب مع دما ومطابقة هذه القناة مع نهر عيسى القديم . فالعيساوي يحيط بالهضبة العائدة للدور الثالث من التكوين الصخري ، ويستدير الى شرق - الشمال الشرقي ، وتنضم بعض فروعه الى فروع لقناة القرمة ، الدقيل القديمة ، حوالي ٢٥ كيلومتراً غربى بغداد .

## نهر صرصر

يسجل ابن سيرايون (العجائب ، [ مخطوطة المتحف البريطاني ] ، ورقة ٣٣ الوجه المعاكس [ لوسترنج ] ، ص ١٥ ) . ان نهر صرصر اوله اسفل من دمما يأخذ من الفرات على بعد ثلاثة فراسخ اسفل من قرية دمما . وكان نهراً كبيراً عليه جسر قوارب ومحاط بمزارع وقرى كثيرة ؛ ويخترق مجراه منطقة بادوريا ليصب في النهاية بدجلة بين بغداد والمدائن على مسافة اربعة فراسخ شمالي المكان الأخير . وتفضي بنا ثلاثة فراسخ ( ١٥ كيلومتراً ) من الخراب ، وهي دمما القديمة ، بامتداد الضفة اليسرى للفرات الى قل السلطان ، حيث تأخذ الآن قناة الرضوانية . ويمكن ايضاً مشاهدة سداد نهر صرصر القديمة هناك حتى الآن .

ويذكر ابن حوقل ( المصدر السابق ص ١٦٦ ) بين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترق اليه أنهار من الفرات ، فاولها مما يلي بغداد نهر صرصر عليه مدينة صرصر ، تجري فيه السفن ، وعليه جسر من مراكب يعبر عليه ؛ ومدينة صرصر عامرة بالنخيل والزرع وسائر الثمار ، صغيرة ، من بغداد على ستة فراسخ ، ثم تنتهي على فرسخين الى نهر الملك وهو كبير ايضاً اضعاف نهر صرصر في غزد مائه وعليه جسر من سفن يعبر عليه .

ويذكر ابو الفداء ( المصدر السابق ص ٥٢ ) ان نهر صرصر ، ، مخرجه من الفرات تحت مخرج نهر عيسى ، ويسير في سواد العراق الذي بين بغداد والكوفة حتى يصل الى ( مدينة ) صرصر ، ويسقى ما عليه من البلاد ، ،

ويذكر ابو الفضائل ( المصدر السابق : المجلد ٢ ، ص ١٥٣ ) « صرصر موضعان من نواحي بغداد العليا من قرى نهر الملك ، على جانب السبب الجنوبي ، والسفلى بالزيادة على جانبه الشمالي ، وهي في طريق الحاج ، وكان عندها جسر السفن على المسبب ، كان الناس يلقون فيه شدة ، فبنى موضعه ابو المحاسن رحمه الله قنطرة من آجر ذات خمسة ابواب كبار وصغار ، وغرم عليها مالا طائلاً ، وهذه تعرف بصرصر الدبر ، لان ديراً كان فيها يعرف اثره الى اليوم ( النصف الاول من القرن الرابع عشر ) ، ، .

ولا يتبرل ابو الفضائل إن كانت قنناة صرصر ماتزال قائمة فسي زمانه لا يذكر من اين أتى الماء الذي يجري تحت الجسر عند صرصر الدير (خرائب الدير الحديثة) . ويمكن التسليم بانسه ليست المناطق المجاورة لمدينة صرصر الأعلى فحسب ، بل ايضاً تلك المجاورة لصرصر الأسفل كانت تروى من نهر الملك ، او القناة الملكية ، وان نهر صرصر كان انذاك مسدوداً بالطمي في زمان ابي الفضائل ، عند مدخله في الاقل.

ويكرر حاجي خليفه (المصدر السابق) ، ص ٤٦١ ، كلام ابي الفضائل ، ما عدا انه يحدد موقع صرصر الاعلى في بغداد بالقرب من قناة عيسى ، بينما يضع صرصر الاسفل على طريق الحاج الى مكة على بعد ثلاثة فراسخ من بغداد وفرسخين من نهر الملك .

ويبدو ان عبارة حاجي خليفه أصبح من تلك التي اوردها ابو الفضائل ، الذي نتوقع منه ان يكون عارفاً بضواحي بغداد معرفة كافية لاتسمع له ان يسمي مدينة صرصر الى الشمال من قناة نهر الملك « الاسفل » ، بينما يجري كل من دجلة والفرات في اتجاه جنوبي شرقي . ولا يذكر حاجي خليفه نهر صرصر .

### النهر الملكي

ان النهر المهم التالي في جنوب صرصر هو الذي كان يعرف في التاريخ القديم والعصور الوسيطة باسم « النهر الملكي » او « القناة الملكية » (نارملخا ، نهر الملك) . وبرغم اننا غالباً ما أتاحت لنا فرصة الاشارة الى هذا في مناسبات اخرى ، فاننا نقترح ان تقدم هنا خلاصة موجزة لما ورد من اشارات في الكتابات الجغرافية والتاريخية .

فلنا ان نفترض ان قناة ارمكالن التي اوردها ابيدينوس يوسيبوس ( التاريخ  
[ شونه المجلد ١ ، العمود ٣٨ ؛ ايضاً ، التهذيب الانجيلي ، ج ٩ ، ص ٩١ :  
٧ ) كانت هي القناة الملكية ، ومن المحتمل ان الكلمة « ارمكالن » كانت تمثل  
تحريفاً خطياً لكلمة « نارمالخا » ( انظر ما سبق ص ص ٧١ وما بعدها ،  
١٠٢ وما بعدها ) . ويبدو محتملاً ايضاً ان النهريين اللذين يقول  
زينوفون ( انابسيس ج ٢ ، ص ٤ : ١٣ ) بانهما يأخذان من دجلة  
كانا في الحقيقة يأخذان من الفرات ، وفي الامكان مطابقتها مع القناة الملكية  
ونهر صرصر ( انظر ماسبق ، ص ١٠٧ ) .

واستناداً الى بوليبيوس ( التاريخ ج ٥ ص ٥١ : ٦ ) فقد حذر زيوكسيس  
( في ربيع ٢٢٠ ق . م ) انتيوخس الثالث بان لا يذهب من ليبيا بمحاذاة  
الضفة اليمنى لدجلة ، لأنه بعد ست مراحل يصل الى « الترعة الملكية » ويكون  
لزماً عليه ان يعود فيما اذا كان مولون مسيطراً عليها ولم يكن في مقدوره  
العبور عنوة .

ولابد ان تكون « الترعة الملكية » مطابقة لنهر الملك ويمكن ان  
تطابق ايضاً سد نبوخدنصر والسور الميادي الذي اورده زينوفون . وتروي  
القصة ان هذه الترعة الملكية تجري بين الفرات ودجلة ؛ ولا بد انها  
وصلت الى الضفة اليمنى من النهر الأخير في شمال بابل وشمال سلوقية  
عند النقطة التي حددنا فيها السد الجنوبي لخزان نبوخدنصر العظيم .  
وعرف سترابون ( الجغرافية ، ١٦ ، ١ : ٢٧ ) نهراً بين الفرات ودجلة  
كان يدعى بـ « الملكي » : اي نارمالخا .

ونعلم من ايسيدور الكرخي ، قصور البارثيين ( ملر ) ، ص ص ٢٤٧ -  
٢٤٩ ) ان طريق النقل الكبير من سوريا الى سلوقية كان يتبع الضفة

اليسرى القناة الملكية في اتجاه شرقي من نيبوليس ( خرائب بتر الان ) ، عابراً الى الضفة اليسرى قبل الوصول الى سارقية مباشرة ( انظر ماسبق ، ص ص ٥٧ وما بعدها ) .

ويستعمل بليني ( المصدر السابق ص ٦ ص ١٢٠ ) ان الحاكم الروماني كوبريس أمر بأن يُحوّل جزء من ماء الفرات لحماية بابل من خطر تياره البالغ القوة . ان هذا الفرع تفرع من الفرات عند بلدة اكرانيس وهو معروف عند الأشوريين جميعاً باسم نارملخا ، وتعني النهر الملكي . ولعل الاسم «اكرانيس» الذي اوردته بليني له صلة بقناة اكرانوس التي اقترنت عند ابدينوس ( يوسيبس ، المصدر السابق ) بقناة ارماكن ( انظر ماسبق ، ص ١٠٢ ) .

ووفقاً لبطليموس ( الجغرافية ج ٥ ص ١٨ : ٨ ) فان النهر الملكي شكل خط الحدود الفاصل بين بلاد ما بين النهرين وبلاد بابل . انه تفرع من الفرات على نفس خط عرض سلوقية ، او مباشرة في غرب ذلك المكان . ولا بد ان يؤدي هذا بنا الى البحث عن أصل نهر الملك ، او نارملخا ، حيث تأخذ قناة المحمودية من الفرات في الوقت الحاضر ؛ اي عند اكمة الخرائب بالقرب من ضريح الشيخ ابراهيم .

ان عبارة بطليموس هذه تضع مدخل القناة الملكية مباشرة في غرب سلوقية في الموضع الذي يبدو ان ابدينوس وايسيدور الكرخي يضعانه ، إن كان تفسيرنا لنصوصهما صحيحاً ( انظر ماسبق ، ص ٥٧ وما بعدها و ١٠٢ وما بعدها ) . اما من الناحية الأخرى فان اميانوس مارسليانوس ، ( ج ٢٤ ص ٢ و ٧ ) عندما يعصف حملة جوليان يخلط بين القناة الملكية واول قناة كبيرة آخذة من الضفة الشرقية للفرات ، وهي القناة التي تدخل الآن في نظام القرمس ( انظر اعلاه ، ١١١ - ١١٧ ) . امسا زوسيموس ، في

( التاريخ الحديث ، ص ٣٩ ) فعند مناقشته نفس الأحداث يضع القناة الملكية أبعد الى الجنوب ، قرب بلدة فبسينيا ( عقر النعيلي ) . ان الشهادة اللاحقة التي يدلي بها كل من اميانوس ، مارسليينوس ( المصدر السابق ، ٢٤ ، ٦ : ١ ) وزوسيموس (المصدر السابق ٣ ، ٢٤ ) تحملنا على الاعتقاد بان جوليان ، بعد ان ازاح العوائق التي كان الفرس قد سدوا فيها فرعاً يوصل القناة الملكية بدجلة ، استخدم القناة الملكية والفرع [ المذكور ] لتعويم قواربه ونقلها من الفرات الى دجلة

ولنا ان نستنتج من البيانات التي بين ايدينا المتعلقة بزحف الامبراطور جوليان انه في نهاية القرن الرابع تفرعت القناة الملكية من الفرات غربي سبار مباشرة تقريباً ( ابو حبة في يومنا هذا ) ، بجوار بشار ، التي بقي اسمها الى هذا اليوم في الخرائب الواقعة على كلتا ضفتي الفرات اليمنى واليسرى غربي ابو حبة ، وان هذه القناة لم تصب في دجلة في شمال كوخة ، التي هي احدى ضواحي ساوقية ، بل امتدت بمحاذاتها اما الى الجنوب او الى الجنوب الشرقي .

ان الكتابات التي تركها المؤلفون العرب عن القناة الملكية نادرة . انهم يذكرونها في معرض وصفهم ( لطريق الحاج ) من بغداد الى الكوفة ، الا أنهم باستثناء واحد يغفلون تحديد موقع مدخلها .

ان ابن سيرايون وحده ( في العجائب ، ( مخطوطة المتحف البريطاني ) ، الورقة ٣٤ يمين ( لومستنج ) ، ص ١٥ ) يقول ان نهر الملك اوله اسفل من فوهة نهر صرصر خمسة فراسخ ؛ وهو نهر كثير الضياع خصب وعليه جسر وقرى كثيرة وعمارات ويتفرع منه انهار ، وهو طسوج من السواد ومصبه في دجلة اسفل من المدائن بثلاثة فراسخ اسفل من الجانب الغربي .

ان خمسة فراسخ من مدخل نهر صرصر ، الذي حددنا موضعه عند تل الساطان ، تفضي بنا الى مدخل نهر الحمودية الحالي ، مباشرة الى الغرب من ابي حبة تقريباً ؛ او بعبارة أخرى : الى النقطة التي بحثنا فيها عن مدخل



القناة الملكية لدى متابعتنا زوسيموس . ان ( طريق الحاج ) من بغداد بطريق قصر ابن هبيرة الى الكوفة يعبرها على جسر قوارب قرب خرائب الدير الحالية ، على بعد ٢٥ كيلو متراً فقط من بغداد . ان المدائن هي الاسم العربي لكلمة ماحوزه الارامية ، كما كانت آثار سلوقية القديمة تدعى .

يقول الاصطخري في المسالك ردي خويه ، ص ٨٥) ان نهر الملك ينتهي الى قصر عمر بن هبيرة الغزاري باحدى شعبيته ، والاخرى ترمى في دجلة عند كوثنى ، نحو ضيعة تعرف بالكيل «

ويذكر ابن حوقل في المسالك (دي.خويه ، ص ١٦٦) ان نهر الملك اضعاف نهر صرصر في غزر مائه

ويذكر ياقوت في المعجم (فستندك. المجلد ٣ ص ٥٢) « نهر الملك كورة واسعة تحت نهر عيسى ، يقال انه يشتغل على ثلاثمائة وستين قرية . ثم يصب الى دجلة «  
اما اليوم فليس لنهر الملك وجود ، الا أن سداده ظاهرة للعيان لأميال كثيرة .

### نهر كوثى وسورا

استناداً الى ابن سيرابون (المصادر السابق) ، فان نهر كوثى يأخذ من الفرات : اول اسفل من نهر الملك بثلاثة فراسخ . وهو نهر كثير الضياع والقرى ، وعليه جسر ، ويتفرع منه انهار تسقى طسوج كوثى من كورة اردشير بابكان وبعض طسوج نهر جوبر ، ويمر بكوثى ربا ، ويصب في دجلة اسفل المدائن بعشرة فراسخ في الجانب الغربي

انني احدد فم نهر كوثى عند القاعدة الجنوبية لهضبة المجبسة المنعزلة

قراية النقطة التي يترك فيها نهـر الاسكندرية الحديث نهـر الفرات . وقد شكل  
جسر القوارب حاكمة وصل في ( طريق الحاج ) من بغداد الى الكوفة .  
وفي وصف هذا الطريق الرئيس ، غالباً ما يرد ذكر نهـر كوثى وبلدة  
قصر ابن هبيرة .

ويصف اليعقوبي ، فسي البلدان ( دي خويه ) ، ص ٣٠٨ وما بعدها  
مدينة قصر ابن هبيرة «مدينة عامرة جارية ، ينزلها العمال والولة ، واهها ،  
اخلط من الناس ، وهي على نهـر يأخذ من الفرات يقال لها الصرة ، وبين قصر  
ابن هبيرة وبين معظم الفرات ، مقدار ميلين ( ما يوازي اقل من اربعة كيلومترات )  
الى جسر على معظم الفرات يقال له جسر سورا » .

واستناداً الى ابن سيراينون ، ( المصدر السابق ) ، ( منطولة المتحف  
البريطاني ) ، الاوراق ٣٤ يمين وما بعدها ( لوسترنج ) ، ص ١٦ وما بعدها ) ،  
فان الفرات يتفرع بعد ستة فراسخ الى الجنوب الشرقي من فم نهـر كوثى  
الى فرعين . اولهما ، وكان محتفظاً باسم الفرات «فاذا جاوز الفرات نهـر كوثى  
لسته فراسخ انقسم قسمين ، فبهر الفرات ، الى قنطرة الكوفة ويهر مدينة الكوفة  
وعليه جسر هنالك ، ويهر الى البطائح ويمد القسم الآخر نهراً عظيماً ،  
اعظم من الفرات واعرض وهو النهـر الذي يقال له سورا الاعلى يمر بقرى  
وضياع ، ويتفرع منه انهار كثيرة تسقى طسوج سورا وبربسا وباروسما ،  
ويمر بازاء مدينة قصر ابن هبيرة ، بينهما اقل من ميل ، وهناك على النهـر  
جسر وهو جسر سورا . ويحمل منه نهـر ابى رجا اوله فوق القصر بفرسخ ،  
ويمر هذا النهـر مع مدينة القصر ، ويصب الى سورا اسفل من  
القصر بفرسخ ويهر نهـر سورا بين القصر ماداً الى ستة فراسخ ،  
فيحمل منه هنالك نهـر يقال له سورا الاسفل . وعلى  
فوهة هذا النهـر قنطرة عظيمة يقال لها قنطرة التامغان ، والماء فيها منسوب  
عظيم ، يمر هذا النهـر بقرى وسمارات ويتفرع منه انهار كثيرة تسقى طسوج

بابل وخطرنية والجامعين والفلوجة انبليا والسفلى ، ويمر هذا النهر فيما بين مدينة بابل ، ويمر بالجامعين المحدث والقديم ، ويمر الى احمد اباد وخطرنية ، ويمر الى قسمين ، ويتفرع منه هناك انهار تسقى طسوج جنبلاء وما والاها ويصب في النهر الذي يأخذ من الفرات ، وهو البداية ، اسفل من الكوفة في سوادها . ويحمل من نهر سورا الاسفل نهر يقال له النرس اوله مع الجامع القديم ، يمر بقرى وضياح ويتفرع منه انهار تسقى سواد الكوفة او بعضه ، ويمر بالحارثية وبحمام اعين .

ومن قنطرة القامغان الى فم النرس ستة فراسخ ، ومن فم النرس الى حمام عمر ستة فراسخ ، فيصب في البداية التي في سواد الكوفة الذي من شرقي الفرات . فاذا جاوز سورا الاعلى قنطرة القامغان سمي هناك الصراة الكبيرة ، يمر بالصقر وبقرى وضياح ، ثم يمر الى صابر نيشا ، ويتفرع منه هناك تسقى الضياح التي في غربيه ويحمل منه نهر يقال له صراة جواماس ، اوله عند النواعير ، ويمر فيسقى الضياح هناك ، ويصب في النهر الكبير اسفل مدينة النيل بثلاثة فراسخ . وتمر الصراة الكبيرة الى مدينة النيل وعليها هناك قنطرة يقال لها الماس فاذا جاوز النهر القنطرة سمي النيل ، فيمر بقرى وعمارات الى موضع يقال له الهول بينه وبين النعمانية التي على شاطئ دجلة اقل من فرسخ ، ومنه يحول الى دجلة . « وكانت هذه الانهار تجري خلال مناطق تقع على اطراف منطقة بعثنا وما وراءها . لذلك فالتفسيرات التالية يمكن ان نعدها تخمينية فقط اذ ان مطابقات محددة للقنوات المتفرعة والموانع المذكورة يجب ان تنتظر مزيداً من البحث .

ان ستة فراسخ ( ٣٠ كيلو متراً ) من فم نهر كوثي ( الاسكندرية ) تكاد تؤدي بنا بالضبط الى النقطة التي ينترق فيها شط الحلة وشط الهندية . ومن المحتمل ان شط الحلة كان هو نهر الفرات الاصلي الذي كان يجري حول مدينة بابل . فبينما يطلق ابن سيرايون اسم الفرات على الهندية الحديث ، فان ابن حوقل ، ( المصاهر السابق ، ص ١٦٨ ) يذكر ان الحلة تقع غربي

الفرات ، ومن ثم لا يعتبر فرع الهندية الذي يجري محاذياً الكوفة هو الفرات الاصيل . ان نهر سورا ، الذي كان استناداً الى ابن سيرابيون اكبر من الفرات الرئيس ، كان يجري حذاء بابل والجامعين ، كما كانت مدينة الحلة تدعى في الاصل . وعند الجامع القديم تفرع نهر النرس من نهر سورا . وبما ان مدخل نهر النرس معروف بانه كان حيث تقع الآن مدينة الحلة الحديثة ، فانه يزودنا بنقطة البدء لمزيد من التعريف بالانهار التي وصفها ابن سيرابيون . ان المسافة من الجامع القديم صعوداً مع النهر الى جسر قنطرة القامخان ذكرت انها ستة فراسخ . وهذه تشير ( اذا اخذنا في الاعتبار تعرجات النهر ) الى المنطقة المجاورة الى قرية البطة الحالية ، قرابة ستة كيلو مترات جنوب غربي خان المحاويل . وحتى الى هذا الجسر فالنهر الآنخذ من الفرات كان يسمى سورا الأعلى ، ومن هنا الى الجنوب الشرقي بسورا الأسفل . ويقع سورا الأعلى على نحو كيلو متر ونصف جنوبي مدينة قصر ابن هبيرة . ان جسر القوارب الذي يعبر هذا النهر قرب هذه المدينة كان يدعى بجسر سورا . وكانت مدينة قصر ابن هبيرة تستمد الماء من نهر ابي رجا ، الذي يأخذ من سورا الأعلى ، على بعد فرسخ واحد غربي المدينة ويصب ثانية فيها على بعد فرسخ واحد الى الجنوب الشرقي من المدينة . ولا يمكن وضع مصدر سورا الأعلى الى الشمال اكثر بكثير من النقطة التي ينقسم عندها الفران الآن الى شط العجاة وشط الهندية . ويتفق هذا الموضع إتفاقاً كاملاً مع ما ورد في بيانات ابن سيرابيون المتعلقة بفروع جميع الانهار المختلفة من الدقيل الى الجنوب الغربي .

ويشير اتجاه طريق الحاج من بغداد الى الكوفة الى السبيل الحديث ، شمال غربي قرية البطة ، على انها الموضع الذي عبر فيه الطريق المذكور سورا الأعلى . عبر هذا الطريق جسر سورا ، ومنه أدى الى جسر قوارب الكوفة ، وعلى هذا نبلا بد أنه اتبع الجانب الشرقي ، وليس

الغربي ، لفرع الهندية الرئيس من الفرات وكان يتجه مباشرة تقريباً الى الشمال والجنوب .

اننا نرى ان رواية ابن سيرايون تظهر ان مدينة قصر ابن هبيرة تقع عند ضريح الشيخ ابراهيم الحالية بجوار خرائب نينوى . فمن المحتمل ان نهر ابي رحا كان يأخذ من سورا الأعلى قريب الموضع الذي انفصل فيه الأخير عن الفرات ثم يعود الى الاتصال بسورا الأعلى فوق جسر قنطرة القامغان . ان هذا الجسر لم يشيد على سورا الأعلى ، بل على سورا الأسفل ، وبهذا جعل الممر من الغرب الى الشرق ممكناً . فالى الشمال منه انحرف امتداد نهر سورا الأعلى الى الشرق تحت اسم الصراة الكبيرة ، وهو الاسم الذي كان يطلقه في الحقيقة اليعقوبي ، في البلدان ، ( دي خويه ) ، ص ٣٠٨ وما بعدها ) على سورا الأعلى كله ابتداء من مأخذه من الفرات وعلى مسافة ستة فراسخ شرقي قصر ابن هبيرة ، قرب قرية النواعير ( ماوراء قصر المحاويل الحديثة ) ، كان يأخذ الصراة جاماسب من صراء الكبيرة ، بعدها استدار النهر الأخير جنوباً الى بلدة النيل ، حيث شيد عليه جسر مقيم يسمى جسر الماسي ، ومن هذه البلدة اتخذ النهر اسم النيل ، وعلى مسافة ثلاثة فراسخ الى الشرق صب في نهر الصراة الكبيرة هذه ( او النيل ) صب صراة جاماسب . انني احدد موضع بلدة النيل عند خرائب العسبية على قناة شط النيل القديمة حوالي عشرين كيلو متراً شرقي كويريش ( بابل ) .

ان نهر سورا الأعلى مع فرعيه الصراة الكبيرة وصراة جاماسب ، كان يروي الأرض المحيطة بقصر ابن هبيرة ومناطق سورا وبربسم وباروسما . اما الماء من سورا الأسفل فقد جرى فوق مناطق بابل وخطرتية والجامعين والفلوجة الأعلى والأسفل ، ويمكن التحري عن المنطقتين الأخيرتين الى الجنوب الشرقي من الجامعين ، حيث كان نهر النرس يأخذ هناك من سورا الأسفل . ثم يجرى النرس جنوباً - جنوباً غربياً لمسافة ستة فراسخ الى محطة حمام عسر التي تقع ، وفقاً

للمتقاسمي ، ( احسن التقاسيم ) . ( دي خويه ) ، ص ١٣٤ ) على الطريق الرئيس من قصر ابن هبيرة الى الكوفة ، في مكان ما الى الجنوب الشرقي من خرائب البرس . واستناداً الى ابن سيراويون فقد كان نهر النرس يصب في قناة البداة ، الذي يروي الارض المحيطة بالكوفة . وعلى هذا فمن المحتمل ان نهر البداة كان يأخذ من فسرع الهندية للفرات الذي جرى مساراً بالكوفة بين الكوفة والبرس .

ان موضعاً كهذا يؤدي بنا الى بلسماء الكفل في يومنا هذا ، ومن ثم تخرج ترع اروائية كثيرة جداً من الفرات باتجاه الجنوب الشرقي . فان تفرعت قناة البداة ، كما يذكر ابن سيراويون ، من الفرات الأصلي ( اي فرع الهندية ) في نقطة لا يمكن ان تكون في تقديري الا قرب بلسماء الكفل الحالية ، فان الكنل نفسها ( حيث كان قبر النبي حسقيل ) او احدى ضواحيها ، كانت تستحق ان تدعى بـ « فم البداة » او قم بدينا ذلك الاسم الذي كثيراً ما يرد في التلموذ .

وينقل ياقوت ، ( في المعجم ) ( فستنفلد ) ، المجلد ٤ ، ص ٧٩٨ ) عبارة الخطيب مفادها ان نُفَّر هي بلسماء بازاء نهر النرس في أقليم قَرْس (بلاد فارس) . ولم يعرف اي من ياقوت او ابي الفضائل موقع نُفَّر ، ولكن كان كلاهما على علم بان قناة النرس لا تخرق بلاد فارس ، وقد قاما بتصحيح هذا الخطأ . ولعل نهر النرس انما ذكر في تحديد موضع نُفَّر إما لان الكلمة تنتهي بتمافية مماثلة لقَرْس ، او لان « النرس » سحرّفة من كلمة « النيل » . وكانت نُفَّر تقع عند فرع من النيل .

ذكر الاصطخري ايضاً ( في المسالك ) ( دي خويه ) ، ص ٨٥ ) ان سوراً وهو نهر كثير الماء ليس يخرج من الفرات شعبة اكبر منه حتى ينتهي الى سوراً ثم الى سائر سواد الكوفة ويقع الفاضل في البطائح بينما يروي الفرات الاراضي حول الكوفة ثم يغمر مستنقعات البطائح :

ويصف ابن حوقل ، ( في المسالك ) ( دي خويه ) ، ص ١٦٦ نهر سورا وليس للفرات شعبة اكبر منه ؛ ويشير اليه ايضاً ، على كل حال ، كما لو كان الفرّات الأصلي حيث يؤكد ( المصدر نفسه ، ص ١٦٨ ، ملاحظة أ ) ان مدينة الحلة تقع غربي الفرّات .

## انهار على الضفة اليمنى من الفرّات

### انهار المحدود ومارسارس والعقبي

تشير المراجع الى انهار كثيرة في ارض بابل على الضفة اليمنى من الفرّات . فالى أقصى الشمال كان يجري نهر يدعى بالمحدود . اذ يكتب ياقوت ( المصدر نفسه ، المجلد ٤ ، ص ٤٢٤ ) «المحدود اسم نهر بارض العراق قرب الانبار في جانب الديار الغربي منها امرت بحفره الخيزران ام الخلفاء وسمته الربان ، وكان وكيلها قد جعله اقساماً وحد كل قسم ، وكل بحفرة قوماً فسمى المحدود » عاشت الخيزران في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي . وقد أخذ قناة المحدود من الفرّات أسفل من نتوء العقبة الصخري الذي كان يبرز في النهر العظيم على بعد ستة عشر كيلومتراً جنوب شرقي هيت .

اما بطليموس ، ( في جغرافيته ) ج ٥ ص ٢٠ : ٢ ) فكان يعلم كذلك ، علاوة على النهر الملّكي والنهر الذي يجري بجانب بابل ، بـ « نهر » في بلاد بابل يدعى بـ (مارسارس ) ( وورد كذلك مارسارس وبارسارس ونارس ونارساك [ المصدر نفسه ج ٥ ص ١٩ ؛ طبعة ملر ، ص ١٠١٨ ، ملاحظه [ ) . وقد تفرّع من الفرّات على خط عرض ٣٥° ٤٠ شمالاً ، وبالتالي عند ٤٠° في شمال بابل . اما المدن الواقعة على امتداده ( المصدر نفسه ج ٥ ص ٢٠ : ٦ ) فكانت فولكيسيا على خط عرض ٣٤° ٣٠ شمالاً ونخط طول ٢٠° ٧٨ شرقاً ، وبارسسيا على خط عرض ٣٤° ٢٠ شمالاً ونخط طول ٤٥° ٧٨ شرقاً . فاذا اخذنا

بهذه الأرقام فينبغي تحديد موضع فولكيسيا الى الشمال الغربي من بارسيا وبعيداً الى الجنوب من قسم قناته مارسارس . ان جدول بويتنكر ( فينّا ، ١٨٨٨ ، المقطع ١٠ ) يجعل المسافة من بابل الى فولكيسيا ( فولكيسيا ) ثمانية عشر ميلاً ، التي توصانا الى جوار خرائب الحوطة في جنوب المسيب .

وكما نعلم من نقوش تاسمر ( دي فوكه ، سوريا ، [ ١٨٦٨ ] ، نقوش تدمر رقم ٤ ؛ مجموعة الكتابات الاغريقية [ ١٨٧٧ - ١٨٢٨ ] ، رقم ٤٤٨٩ ) ان تجار تدمر اعتادوا استيراد سلعهم من « اولوكيسياس » ، فتحن نميل الى البحث عن هذا المكان غربي سلوقية - طيسفون وغربي الفرات ، اي في المنطقة المجاورة لنيابوليس . وبمجيئهم الى هنا تكون قوازل الجمال المحملة من تدمر قد تفادت الحر المهلك وبعوض بلاد بابل الاصلية . وكان يمكن ان تجلب السلع الى فولكيسيا - نيابوليس إما على الطريق الرئيس او على النهر الملكي . ولعل الاسم المحلي للمكان كان بتراء ، ومن المحتمل ان الاغريق دَعَوْهُ بـ ( نيابوليس ) ، والبارثيين اطلقوا عليه اسم فولكيسيا ؛ على ان الاسمين الأجنيين اختفيا وبقي الاسم المحلي بتراء فقط .

تفرعت قناة مارسارس من الضفة اليمنى للفرات ؛ ولكن تفرعت من الضفة ذاتها ايضاً ، وفقاً لبطليموس ، القناة الملكية ، برغم اننا نعلم من كتاب آخرين ان الاخيرة أخذت من الضفة اليسرى . ولهذا السبب لا يمكن الوثوق بعبارة بطليموس . ان نصه يعني ضمناً ان كانتا القناتين ، الملكية ومارساوس ، تفرعت عند خط العرض نفسه وان كليتهما جرت بنزلاً ، وهذا لا يمكن ان يكون صحيحاً .

ان المساعدة الرحيدة الممكنة التي يقدمها لبطليموس الينا بهدّد تحديد مجرى مارسارس هي وضعه فولكيسيا وبارسيا على ضفافه ؛ وذلك لاننا سبق ان عرفنا مصادرة مرقع بارسيا . انها البرس ني يومنا هذا ، على بعد ٢١ كيلومتراً الى



الجنوب الغربي من بابل. ومعروف من السجلات البابلية ان بلدة بارسيسيا كانت تقع على قناة أخذت من الفرات عند مدينة بابل بالضبط. ومن المحتمل — بل يكاد يكون مرجحاً حقاً — ان فرعاً ، طبيعياً في جزء منه ، واصطناعياً في جزء آخر ، تشعب من الضفة اليمنى للفرات فوق مدينة بابل بمسافة ملحوظة ، وان مياهه روت المستوطنات حول موقع الهندية الحديثة. ولعل هذا الفرع جرى الى القرب من بارسيسيا ، ومن المحتمل ان انضم اليه هناك قناة قديمة ضحلة على بعد احدى عشر كم متراً غربى الميسيب. أخذت هذه القناة من الفرات عند حقول بتر ، وكانت قد احتفرت في منخفض طبيعي في هضبة من الدور الثالث للتكوين الصخري ، وامتدت الى جنوب — الجنوب الشرقي من بلدة بارسيسيا القديمة ، او البرس الحديثة. ان نصفها الأعلى مطمور الآن ، على ان النصف الجنوبي لا يزال باقياً ، لانه يستمد الماء من الفرات برسطة فرع الهندية ، الذي يستدير غرباً عند السد الحديثة ويجري بجانب الكوفة .

ويسجل اميانوس مارسليانوس ( ٢٣ ، ٦ : ٢٥ ) ، ان فسي بلاد بابل نهر المارسس ( مارسارس ) ، والنهر الملكي ، والفرات الذي يعتبر اعظمها . فيذكر ( المصدر نفسه ، ٢٤ ، ٣ : ١٩ ) كما يفعل زوسيموس ( التاريخ الحديث ، ٣ ، ١٩ ) انه عند بتر يختفي الفرات تقريباً ، بعد ان يكون قد ملاً انهاراً كثيرة في طريقه .

اما اميانوس مارسليانوس ، الذي رافق الجيش الروماني متوغلاً فسي بلاد بابل ، فانه في وصفه لهذه الرحلة لا يشير ابداً الى المارسارس ؛ وانما ان نستخلص من هذا انه بما ان الرومان لم يعبروا القناة على الاطلاق ، فاما ان تكون قد أخذت عند نقطة ادنى من النقطة التي وصل اليها الرومان على الضفة اليسرى من الفرات ، او انها تفرعت من الضفة اليمنى. ولعل الافتراض الأخير صحيح ، لانه ، وفقاً لبطليموس ، كانت فوهة نهر الملك أسفل من المارسارس ، الذي لا يمكن ان

يكون صحيحاً فيما لو تفرع الأخير من الفرات من ناحية اليسار . ولما كان اميانوس مارسالينوس يلوذ بالصمت عن هذه النقطة ، فليس لنا الا ان نفترض ان المارسارس تفرع من الضفة اليمنى .

ولا يذكر اي مؤلف عربي نهر المارسارس ، فاذا كان ينبغي البحث عن مجراه وفقاً لبطلينوس فانهم يشيرون الى نهر يدعى بالعقمي .

يقول قدامة ، في الخراج ( دي خويه ) ، ص ص ٢٣٣ وما بعدها . ان الفرات ، يمر بهيت والانبار فيجاولهما فينقسم قسمين ، منه قسم يأخذ نحو المغرب قليلاً المسماة بالعقدي الى ان يعبر الكوفة ، وقسم مستقيم ويسمى سورا حتى يمر بمدينة سورا الى النيل وما يتصل بها فيسقى كثيراً من اعمال السواد ويخرج منه اسفل من الانبار ، نهر يعرف بالدقيل ، يحمل منه نهر عيسى ، الذي يأخذ الى بغداد ويصب في دجلة .

كان نهر العقمي يترك الفرات على مسافة ١٤ كيلومتراً جنوبي حقول بتر ، ويجري جنوباً - جنوباً غربياً عبر المجرى الجاف لقناة مارسارس القديمة ، وبالقرب من الزبيلية ، ١٣ كيلومتراً جنوب شرقي كربلاء ، انضم الى فرع الفرات الذي يروي اليوم مزارع الكوفة .

وفي عام ١٠٨٥ م تم تطهير نهر العقمي وكان يجري متعرجاً قرب المشهدين ( البنداري : التواريخ [ هوتسما ] ، ص ٧٧ ) .

والمشهدان هما مدينتا كربلاء والنجف ويسميان احياناً : بمشهد الحسين ومشهد علي ( ع ) . وكلاهما يأخذ ماءه من العقمي ، الذي كان في نصفه الأسفل يطابق مارسارس الأقدم عهداً .

### قناة البلكوناس او الفلوجة

تشير السجلات البابلية الى نهر اسمه نار بلوكات وهو بلكوتاس عند الكتاب الكلاسيين والفلوجة في المراجع العربية .

ويقدم اريان ، في انابسيس ، ٧ ، ٢١ أفضل وصف لهذا النهر حيث يقول :  
 أبحر الاسكندر من بابل منحدرًا مع الفرات حتى «نهر» بلكوتاس ( ووردت  
 بلكوباس ) . تفرع هذا النهر من الفرات قرابة ثمانمائة ستاد أسفل من بابل  
 وكان في وقت الفيضان يُصَّرف الماء الزائد الى البرك والبحيرات التي تمتد من  
 النهر الكبير حتى تبلغ حدود بلاد العرب وتشكل حزاماً طويلاً من المستنقعات  
 التي يجري الماء منها الى البحر بطريق قنوات كثيرة غير ذات بال . وكان  
 النهر قرب فمه من السعة والعمق بحيث انه حتى في فصل الصيف كان الماء  
 من الفرات يجري فيه ويبقى قليل منه لارواء بلاد آشور . وكان فم نهر  
 البلكوتاس يصعب إحكام اغلاقه لامتلائه بالوحل ، وكانت المنطقة المجاورة باكمائها  
 بلا استثناء تقريباً متكونة من الطين . ورغم هذا صمم الاسكندر على سد الفم .  
 وعندما وجد تربة صخرية على حوالي ثلاثين ستاداً أسفل من هناك ، اصدر  
 اوامره بان تحفر ، وهكذا يكون قد استحدث فماً جديداً لنهر البلكوتاس . فكان  
 في رأيه انه اذا دعت الحاجة ، فسيكون من الأسهل سد فم في تربة صخرية  
 منه في الطين ، بعد ذلك أبحر في البلكوتاس وعلى امتداده حتى البحيرات ،  
 وحتى الى بلاد العرب ، حيث وجد بلداً جميلاً وبني مدينة رائعة وضع فيها  
 حامية من الجنود الاغريق .

وكذلك يذكر اريان ، في (الحرب الأهلية ، ج ٢ ص ١٥٣) ، ان  
 الاسكندر أبحر من بابل على الفرات منحدرًا الى نهر البلكوتاس ،  
 الذي جرى فيه الماء من النهر الكبير الى البحيرات والمستنقعات ، بحيث  
 لم يعد في الامكان ارواء الاراضي الآشورية من الفرات ، كما لم  
 تتمكن القوارب من الابحار عليه . وكان الهدف من رحلة الاسكندر اقامة سد  
 على هذا النهر .

ويكتب بليني ، في التاريخ الطبيعي ( ج ٦ ص ١١٨ ) ان بسطة بورا  
 تقع على نهر البلكوتاس .

ويتضح من كلا اريان وايبان ان نهر البلكوتاس تفرع من الضفة اليمنى للفرات اسفل من بابل . ويقدر اريان المسافة بنحو ثمانمائة ستاد . فلو كانت الاستادات هي ايراتوسينية فتكون المسافة ١٢٥ كيلومتراً . وإذا سلمنا ان الفرات الحقيقي اسفل من بابل كان يجري بالاتجاه نفسه تقريباً الذي هو عليه اليوم ، فان مسافة ١٢٥ كيلومتراً تؤدي بنا الى نقطة قرب الديوانية . وحينئذ يكون الفرات القديم مطابقاً لشط الخار ، ونهر البلكوتاس مع شط الفرات . ان هذا التطابق لا يمكن ان يكون موعلاً في الخطأ ، اذ لا يفترض ان يكون الفرات قد وصل الى اي نقطة أقرب الى دجلة من شط الخار في يومنا هذا . ويحدد كبيرت ( طبيعة العالم القديم ( ١٩٠٥ ) ، خارطة ٥ ) فم نهر البلكوتاس الى الشمال الغربي من فم نارملخا ، ( نهر الملك ) وهذا يناقض البيانات الكلاسية المقتبسة اعلاه .

وكان يهودي من بيت ارميا من قرية بلوكتا ، وهي المكان الذي تنفصل فيه مياه الفرات لارواء الاراضي المجاورة ، قد ذكر في مواظله عام ٦٤٠ م ان المسيح قد جاء . فجمع حوله قرابة اربعمائة رجل ، من حاككة وصناع سجاد وقصاري اقمشة الكتان ، واحرقوا ثلاث كنائس وقتلوا المسؤول عن المنطقة . فارسل لقمعهم جنود من عاقولا قاموا بقتلهم جميعاً مع نسايتهم واطفالهم وصابوا زعيمهم في قريته ( نولدكه ، تاريخ السرياني [ ١٨٩٣ ] ، ص ٣٦ ؛ كويدي ، نص جديد [ ١٨٩١ ] ، ص ٢٨ وما بعدها ) .

ويطابق نولدكه ( ملاحظه ٤ ) هذه القرية مع قلعة فلوجة ( الفلوجة ) ، الا ان هذا لا يكاد يصبح ، اذ ان فلوجة هذه لم يرد ذكرها قبل القرن الثالث عشر قط . ويبدو ، الأرجح ، ان قرية بلوكتا (١) تقع شرقي عاقولا ( الكوفة ) او جنوب شرقيها ، حيث عرف المؤلفون العرب قرية تحمل الاسم نفسه .

(١) ( او كما وردت هنا بلوغتا . المترجم ) .

ولنا بعد هذا ان نفترض ان البيشون تفرع من الضفة اليمنى للفرات وجرى جنوباً الى جنوب - الجنوب الشرقي . وكان هذا مجرى المارسارس عند القدماء ونهر العلقمي في المصادر العربية ، التي نعلم انها شكلت الحدود الغربية لسهل بلاد بابل الخصب . وعلى بعد عشرين كيلومتراً الى الشمال الغربي من فم قناة مارسارس ، يذكر زوسيموس ، في التاريخ الحديث ، ٣ ، ١٩ ، أنه بالقرب من الفرات تقع بلدة فيسينيا ( خرائب عقر النعيل ) ، التي توجي باسمها وبموقعها على السواء الى بيشون التوراتية . تقع فيسينيا على الضفة اليسرى للفرات ، بينما تفرع البيشون من الضفة اليمنى ؛ ولكننا نجد في بلاد بابل في اماكن اخرى ايضاً قسرى وقنوات تنسب الى اسماء القرى الواقعة على الضفاف المقابلة . وعلى هذا فاني أقدر بان البيشون تفرع من الضفة اليمنى للفرات قرب خرائب عقر النعيل الحديثة ، وجرى جنوباً شرقياً ، ثم استدار جنوباً ، وبعدئذ جنوباً شرقياً ثانية ، وسقى الاراضي حيث تقع الآن مستوطنات وخرائب الكوفة والشنافية والمقير . وقد شكل هذا الحدود الشمالية الشرقية لأرض حويله ، او بلاد العرب السعيدة .

اما الفرع الثاني ، او القناة المسماة جيحون ، فقد جرت حول ارض كوش ويمكن التأكد من موقع هذه الارض بالرجوع الى سفر التكوين ، ١٠ : ٨-١٠ ، حيث نقرأ ان كوش كان سيد بابل وايرح واكد وكلنه في ارض سنيار ( شنعار ) . وبما ان اكد كانت الجزء الشمالي لبلاد بابل فلن نخطيء اذا بحثنا عن جيحون في قناة كبيرة كانت تجري خلال بلاد بابل الشمالية . وكانت نار ملحاً الكلاسيه ، او نهر الملك في المصار العربية ، مثل هذه القناة الكبيرة ، التي تفرعت من الفرات مقابل مارسارس تقريباً ثم جرت الى شرق - الجنوب الشرقي ساقية السهل الواقع الى الشمال والى الشرق من بابل . ولعلها في السابق استدارت الى الجنوب الشرقي فيما وراء بابل مباشرة وروت المنطقة المجاورة لبلدة كلنه ( نيفر الحديثه ) ، وكذلك منطقة إيرح ( الورقاء الحديثه ) ، ثم انضمت الى الفرات .

أما الفرع الثالث ، أو القناة ، فكانت الحدّقل التي جرت باتجاه بلاد آشور . وحسب تفسيرنا فـسـلا يمكن أن تشمل الحدّقل سوى قناة القرمه الحامية ، التي أتبعـت في عهد التورات ، كما هو الحال في الوقت الحاضر ، الحدود الشمالية للسهل الغربي الحقيقي لبلاد بابل . فإلى الشمال منها امتدت الهضبة من الدور الثالث للتكوين الصخري ، التي إعتبرت دائماً تقريباً تابعة للبلاد الآشورية . ومقابل فـم هذه القناة على الضفة اليمنى للفرات كانت تقع ربيـقـو ، التي غالباً ما ذكرت على أنها مدينة ثغرية آشورية . وسمّى المؤلفان العرب هذه القناة الدقيل أو الدجيل ( اسم التصغير لدقل أو دجل ) ، وكلا الاسمين يذكرنا بحدقل التوراتيه ، خاصة ما تحوّلت « حدقل » ( حد - قل ، تعني دقل السريع الحاطف ) في العربية النصـحـى الى « دجله » ويقول زوسيموس أيضاً ، في التاريخ الحديث ، ٣ ، ١٦ في حديثه عن فناة الدقيل أنها جرت نحو بلاد آشور . أما الفرع الرابع فكان الفرات نفسه . إنه النهر الأصلي الذي كان يمر بالعاصمة البابلية بعد أن نَفِدَ ماؤه الى حد كبير .



## الملحق السابع

# معارك خالد بن الوليد على امتداد الفرات

## تقدم خالد الى الحيرة

وردت اخبار كثيرة ، في بعضها كثير من التضارب عن حركات المسلمين الاولى لفتح بلاد فارس . ان الصعوبات الطبوغرافية بوجه خاص كثيرة وتعلق بتفسير الاخبار عن أعمال المسلمين بقيادة خالد بن الوليد والمعلومات المتعلقة بأعمال قبيلة بكر بن وائل تحت قيادة رئيسها المشني بن حارثة .

## زحف خالد على الحيرة

سنُعنى في الملحق الحالي بحركات خالد والمشني في العراق وعلى امتداد الفرات في المدة من نهاية ربيع عام ٦٣٣ م الى ربيع عام ٦٣٤ م . ان غارة خالد الشهيرة التي تلت مهاجمته واحة دومة الجندل وزحفه الذي اخترق فيه الصحراء الى بلاد الشام قد عالجت بالتفصيل الى حد ما في كتابي ( بادية الشام ، ص ٥٣٩ - ٥٥٢ و ٥٥٣ - ٥٧٣ ) . ان خالداً كاد يصل ، في النصف الثاني من عام ٦٣٢ م والنصف الاول من ٦٣٣ م بعد قضائه على ردة اليمامة ، الى حدود قبيلة بكر بن وائل التي كانت تقاوم الفرس لبعض الوقت وتقوم بغارات فسي داخل الاراضي الفارسية . وسرعان ما فطن المشني الى اهمية ارتباطه بالمسلمين للقيام بهجوم مشترك ضد الفرس . فعندما كان خالد في اليمامة اتصل المشني بالخليفة ابي بكر وانضم الى خالد الذي بدأ زحفه على العراق تنفيذاً لأمر الخليفة .

اما فيما يتعلق بالهدف من مسيرة خالد فثمة اختلاف في الرأي بين روايات المدينة والكوفة . كما اننا لا نجد حتى بين ممثلي كل مدرسة على حدة اتفاقاً في الرأي . فاستناداً الى بعضهم يبدو كأنه كان من المقرر على خالد ان يفتح الضفة اليمنى للفرات من الخليج العربي بانجاه الشمال الغربي ، وبهذا يحقق التقدم الأبعد للمسلمين ، بينما يقتصر اخرون على وصف عمليات خالد في المنطقة المجاورة للحيرة ، وكأنها هي الغرض الوحيد من تقدمه الى العراق وهنا سوف اوضح واعيد صياغة بعض الفقرات من الاخبار التي تتعلق بزحف خالد على منطقة الحيرة ومن هناك الى الشمال الغربي ، موجهاً اهتمامي أولاً بكتاب مدرسة المدينة (البلاذري والواقدي والمدايني وابن نبيشه وابن اسحاق وابو يوسف وهشام ابن الكلبي ) وبعثاً برواية سيف بن عمر ، الممثل الرئيس لجماعة الكوفة .

### روايات مدرسة المدينة

#### حديث البلاذري عن خفان والحلف مع قبيلة بكر

ينقل البلاذري ، في كتابه « فتوح البلدان » ، (دي خويه) ، ص ٢٤١) ، عن هشام ابن الكلبي وابي مخنف . واستناداً اليهما فقد كان المثنى بن حارثة ، رئيس قبيلة بكر بن وائل ، «يغير على السواد في رجال من قومه ، فبلغ ابا بكر الصديق رض خبره» ثم ان المثنى قدم على ابي بكر الصديق فقال له يا خليفة رسول الله استعماي على من أسلم من قومي اقاتل هذه الاعاجم من اهل فارس ، فكتب له ابو بكر في ذلك عهداً فصار حتى نزل خفان ودعا قومه الى الاسلام فاسلموا .

وكانت خفان تقع على بعد اربعة فراسخ ( ٢٠ كيلومتراً ) الى الجنوب الشرقي من القادسية في طرف الصحراء وكانت مضرب الخيام المفضل لادي العشائر البدوية الأقل عدداً . وهي مطابقة لتقصر القايم الحالي .

يقول كاتاني ، في الحوليات ( ١٩٠٥ ) ، المجلد ٢ ، ص ٩١٧) أن المثنى جممع قبيلته بالكلية عسند خفان وانهم اسلموا



نمياً . وهذا لا يتفق مع النص وهو غير محتمل جداً ، اذ لا يمكن ان تجد القبيلة باكمها مرعى لقطعانها حول خفّان التي كان يحدها الى الشمال ارض محروثة وإلى الجنوب صحراء رميلة .

ويزعم كايثاني ايضاً ( المصدر نفسه ، المجلد ٢ ٩٢١ ص ، الملاحظات ج ، د ) ان خفّان تقع ما وراء بادية الشام في المنطقة الغربية ( السواد ) ، وانها لم تكن تعود الى بكر بن وائل ولذلك لا يمكن ان تكون مضرراً لخيامهم ، كما كتب البلاذري ، ولكنها كانت ارض محطلة تفتتح في ارض العدو حيث اقام المسلمون معسكرهم الاول وراء حدود الجزيرة العربية ، وبهذا الصدد يشير كايثاني الى بيت شعر يفخرون فيه بهذا النصر الذي احرزوه بجوار النمارق .

غلبنا على خفّان يداً وشيخة الى النخلات السمر فوق النمارق وانا لئرجو ان تجول خيولنا بشاطي الفرات بالسيوف البارق

ويقال ان بيت الشعر هذا للمثنى وان ياقوت اورده في المعجم (فستنفك) ، المجلد ٤ ، ص ٨١٢ ، السطران ٢١ - ٢٢ ) . يفسر كايثاني هذه الفقرة بانها تبين ان المسلمين حينما تقدموا على بلاد فارس وذلك بعد مغادرتهم الصحراء ، تحركوا من خفّان ، اي من المنطقة المجاورة للبحيرة مباشرة . الا انه لم تذكر واحدة من كافة المصادر التاريخية الكثيرة العدد جداً ان المسلمين تجاوزوا الصحراء عند خفّان عند تقدمهم الى الحيرة . فيكتفي البلاذري بالقول ان المثنى بعد ان كتب له ابو بكر عهداً سار الى خفّان . وتجري عين خفّان بالقرب من حدود الصحراء ، والواقع انها تجري في الصحراء ذاتها وليس في المنطقة الغربية . ويدعي البدو والحضر على السواء انهم المالكون لامثال هذه الينابيع او الواحات ، وفي الواقع ان السيطرة على هذه الواحات تكون للأقوى فقط . وفي اثناء خلافة ابي بكر كانت الحكومة الفارسية من الضعيف بحيث انها لم تقو حتى على الدفاع عن حدودها وكانت مكربة على التخلي عن محطات متعددة . وتبعاً لذلك اضطر سكان المناطق الحدودية الى حماية انفسهم بقدر المستطاع . ونص

البلاذري ان المثنى كان يغير على اطراف بلاد الدواة الفارسية حتى قبل تحالفه مع المسلمين ؛ لذلك كان في استطاعته الاستيلاء بسهولة على عين خفّان . فان كان المثنى حقاً قائل الشعر الذي رواه ياقوت ( المصدر نفسه ، المجلد ٤ ، ص ص ٨١٢ وما بعدها ) ، فلا بد انه قد قاله قبل تحالفه مع المسلمين ، لانه لم يذكرهم على الإطلاق . وعندما يشرح ياقوت الشعر ، قائلاً ان النمارق هي موضع قرب الكوفة في العراق حيث عسكر جيش المسلمين اثناء غزوهم الأول ، فانه لا يشير الى خفّان ولا تؤيده اية رواية اصالية ، وانما يكشف فقط عن معرفته المبتورة بطوبوغرافية المنطقة المجاورة للكوفة .

ان الطريق من خفّان على عهد خالد كان ولا يزال ، يؤدي على امتداد حافة الصحراء باتجاه الجنوب الشرقي الى البصرة ، ومنها يتفرع طريق آخر باتجاه الجنوب الغربي الى النجاف التي تقابل المثنى وخالد فيها . وعُهد الى خالد بالتقدم الى العراق ومحاربة الفرس بالتعاون مع قبيلة بكر بن وائل . وتُجمع المصادر كلها على ذكر ان خالداً كان قد تسلم اوامر بالزحف على العراق ، ولكن لا يقول اي منها بان هدفه كان الحيرة . ولا بد ان تأخذ في الاعتبار ان الحيرة تقع على الحدود بين قبائل بكر وتغلب المتعديتين ، وان قبيلة بكر استطاعت بسهولة فائقة غزو المستوطنات الفارسية المحاذية لمنطقتهم التي امتدت من القادسية وحتى الخليج العربي . ويحدد كاييتاني ، في المصدر نفسه ( المجلد ٢ ، ص ٩٢٠ ، ملاحظه ٣ ) الحد الشمالي لقبيلة بكر بأنه يتجاوز هيت ويشير الى الهمداني ، في صفة [ جزيرة العرب ] ( ملر ) ، المجلد ١ ، ص ١٦٩ ، السطر ٢٥ ) كرجع لما ذهب اليه . والهمداني خبير رائع فيما يتعلق بجنوب شبه الجزيرة العربية ، ولكنه لا يعتمد عليه عندما يتعلق الامر بشمالها . وفضلاً عن ذلك ، فان تخبريه يعالجون امور عصرهم ، وهو القرن العاشر ، شؤون النصف الأول من القرن السابع . اذ تثبت جميع المصادر انه في زمان خالد لم تمتد منطقة قبيلة بكر الى شمال الحيرة .

فالببدو لا يحتاجون الى أدلاء اجانب في مناطقهم ، ومع ذلك بحث المقاتلون المتحالون من قبيلة بكر ومن المسلمين عن أدلاء اجانب في جميع حملاتهم شمالي الحيرة . ففي شمالي الحيرة كما ، على سبيل المثال ، في عين التمر ، كانت هناك ثكنات لتغلب ، التي من المؤكد لم يكن في الأماكن الحفاظ عليها في منطقة تعود لقبيلة بكر . وفي مواضع أخرى ايضاً غالباً ما نجد بيانات مفادها ان منطقة تغلب امتدت حتى الحيرة جنوباً ؛ ولهذا يذكر البكري ، في المعجم ( فستفلك ) ص ٩٧ ، ان ( نجد لإلاهه ) ، الواقع غربي الحيرة ، كان يعود في وقت ما الى تغلب .

ولم يكن في نية قبيلة تغلب مهاجمة الحيرة ذاتها ، بل كانت مكتفية بمهاجمة مستوطنات فارسية منفردة غير بعيدة عن منطقتها الخاصة . وقامت بعض العشائر بمهاجمة الأبلّة ، وهي نقطة البداية الهامة للقوافل التجارية ، وتقع حوالي عشرين كياموتراً الى شرق مدينة البصرة الحديثة . وعلى هذا فمن المحتمل جداً ان خالداً اختار أقصر واسهل طريق من النجاف شمالاً - شمالاً شرقياً الى الأبلّة في العراق ، واسهم في القتال هناك ، ومن ثم تقدم شمالاً - غربياً ، مهاجماً المستوطنات الفارسية على الضفة اليمنى للفرات تارة وعلى اليسرى تارة أخرى . وبما ان المنطقة الى الجنوب الشرقي من خفان غير معروفة لدى شخصياً فلن أحاول معالجة حملته هناك بالتفصيل . ويكفي ان نلاحظ انه في عام ٦٣٣ م كانت الحدود الغربية للعراق خالية خلواً يكاد يكون تاماً من الحاميات الفارسية مما يسهل مهمة خالد في هجماته دون ان يبدي الفرس اية مقاومة قبل نهاية عام ٦٣٤ م ؛ ثم في عام ٦٣٥ م قام الفرس بهجوم ، ألزم المسلمين على القتال من اجل المستوطنات التي كان خالد قد هاجمها من قبل .

## روايات الواقدي والمسانني وابن نبيشه

يذكر الواقدي (البلاذري ، الفتوح ، [ دي خويه ] ، ص ٢٤٢ ) « ان خالداً بعد أن اخضع اليمامة ، قام المدينة ثم خرج منها الى العراق (بطريق) فييد والثعلبية ثم اتى الحيرة » . - اما العودة الى المدينة فغير محتمله جداً . لماذا كان على خالدا ان يقوم بتحويلة استغرقت اكثر من ثمانمائة كيلو متر ؟ اما اذا كان خالدا قد عاد الى المدينة فعلاً فلا يمكنه حينئذ ان يكون قد ذهب من هناك الى الحيرة الا بطريق النقل الكبير ماراً بـ ( فيد ) والثعلبية ، وهذه المحطة الأخيرة كانت على بعد ما يقارب الثلاثمائة كيلومتر شمالي النجاف . ولكن ، في كل الأحوال ، لا يبدو ان الواقدي قد حصل على معلومات صحيحة في هذا الشأن . اما فيما يتعلق بالتقدم الموحد مع الرئيس المثنى فلا يذكر شيئاً على الإطلاق .

وزير عم كايتاني ( المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٢١ ، ملاحظه ٩ ب ) ان خالداً ذهب من النجاف الى الحيرة بطريق فييد والثعلبية ، « كما كان قد أكدته سابقاً أفضل مراجعنا التاريخية ، الواقدي » ( البلاذري ، في المصدر السابق ) . والواقدي ، على كل حال ، لا يتطرق الى ذكر النجاف على الإطلاق . وحتى لو كان الواقدي حقاً أفضل مراجعنا التاريخية . وكان منبروه اشخاصاً على دراية جيدة بموقعي النجاف ومخطة فييد . لما كان يكتب ان خالداً زحف من النجاف بطريق فييد . وبما ان النجاف تقع قرابة مئتي كيلومتر الى الجنوب الشرقي من فييد ، فقد كانت المسافة من فييد الى الابلية بطريق النجاف اقرب من النجاف بطريق فييد الى الحيرة ( انظر ايضاً عريب ، في الصلة [ دي خويه ] ، ص ١٧ ) .

ويكتب كايتاني ( المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٢٢ ، ملاحظه ١٢ ) ان العرب زحفوا مباشرة على الحيرة . النبي هاجموها من الصحراء دون ان يقابلوا

اي عدو في طريقهم . ويؤكد ان ابن اسحاق يتفق مع الواقدي بهذا الصدد . ويضيف كايثاني ( في ص ٩٢١ ، ملاحظة ٦ د ) ، ان مقاومة الحيرة الضعيفة ، تقريباً بدون ابداء اية مقاومة ، تبرهن على انهزم فوجئوا وان العرب لذلك لا بد ان هاجموا المدينة وغنموا منها في اول يوم من وصولهم . واستناداً الى كايثاني فان حجباً نفسانية وعسكرية لا تسمح بإمكان قيام خالد بالاقتراب من الحيرة اثناء حملته من البصرة ( الابلية ) الى الشمال الغربي . ومهما يكن من شيء فاني اؤكد انه لا يذكر اي مصدر على الاطلاق ان ابا بكر أمر خالداً بالزحف على الحيرة مباشرة . ان كلمات ابن اسحاق تتعارض هي ايضاً مع استنتاج كايثاني هذا رغم رأي الأخير المناقض ، لانه استناداً الى ابن اسحاق فان خالداً استولى على عدة قرى في المنطقة المحيطة بالحيرة قبل ان يأتي الى المدينة نفسها . فيذكر ابن اسحاق ان خالداً اجتاز المدينة من الجنوب والغرب والشمال ولم يعد إلا من الشمال باتجاه الجنوب ثانية لمهاجمة المدينة . لذلك كان الهجوم المفاجئ غير وارد .

ويروي المدائني ( الطبري ) ، في تاريخه [ دي خويه ] ، السلسلة ١ ، ص ٢٠١٦ ) ان ابا بكر وجه خالداً الى ارض الكوفة ، وفيها المثنى بن حارثة الشيباني « فجعل طريقه البصرة ، وفيها قطيبة بن قتاده السدوسي » . ولا يقصد بارض مدينة الكوفة المنطقة المجاورة لهذه المدينة بالتحديد ، وهي المدينة التي أسست بعد عام ٦٣٧ م ، بل يقصد بها جميع المنطقة التي حول موقع الكوفة في القرن الاول الهجري - اي العراق بأكمله . وهذا يدل ايضاً على اعتقاد المدائني ان خالداً لا بد ان زحف من اليمامة مباشرة الى العراق بطريق النقل المؤدي الى الابلية .

وينكر كايثاني ( المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ص ٩٢٣ وما بعدها ، ملاحظة ٢ ) ان المدائني قصد ان خالداً ذهب الى البصرة ، ويعتبر ان هذا يناقض بداية الحملة مناقضة مباشرة حيث ورد ان خالداً كان قد تقدم بـ

« الطريق الذي دُعي عادة بطريق البصرة » . وبما ان هذا الطريق انقسم في نقطة معينة الى فرعين : فرع يؤدي الى البصرة ، وآخر الى الكوفة ( الحيرة ) فقد افترض كاتباتني ان خالداً اتبع الطريق الأخير . على ان هذا التفسير متكلف جداً ويناقض النص . وفضلاً عن ذلك فإن المدائني لا يقول ان خالداً اتبع « الطريق الذي دُعي عادة بطريق البصرة » ، بل انه تقدم بطريق البصرة . ان عبارة « ذهب بالطريق المؤدي الى الكوفة » لا يمكن ان تستبدل بـ « ذهب عن طريق البصرة » ، كما يبدو ان كاتباتني ، في الحوليات ( ١٩٠٥ ) ، المجلد ٢ ، ص ٩٢٥ ، ملاحظه ٣ ) يعتقد ان ذلك جائز . فالأولى لا تذكر ما اذا تم الوصول الى الكوفة ، بينما يتضح من العبارة الثانية ان البصرة تم اجتيازها قبل وصول خالد الى المحطة الأخيرة .

ويذكر هشام بن الكلبي ( الطبري ، المصادر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٠١٨ ) « لما كتب ابو بكر الى خالد ابن الوليد وهو باليمامة ان يسير الى الشام امره ان يبدأ بالعراق فيمر بها ، فاقبل خالد منها يسير حتى نزل النباخ » اي ان خالداً لم يذهب الى المدينة .

ويروي يزيد بن نبيشه ( البلاذري ، المصادر السابق ، ص ٢٤٣ وما بعدها ) « قدمنا العراق مع خالد بن الوليد فانتهينا الى مسلحة العذيب ثم أتينا الحيرة ، وقد تحصن اهلها في القصور الأبيض ، وقصر ابن بقله ، وقصر العلسيين ، فاجلنا الخيل من عرصاتهم . ثم صالحونا » ولم يذكر يزيد بن نبيشه من اين وبأي طريق جاءوا مع خالد الى العراق . فهو لا يبدأ روايته إلا عند محطة العذيب ، الواقعة على بعد ٣٢ كيلو متراً مباشرة تقريباً الى الجنوب من الحيرة وعلى مفترق طريقين . احدهما يأتي من الجنوب من طريق فيد ، والآخر من البصرة بطريق خفّان . ان موقع العذيب عند مائتي طريقين يجعل من

المتعذر علينا ان نحدد الاتجاه الذي وصل خالده منه الى هناك . ولما كان ابن نبيشيه لا يكسر التحويلة في الطريق ولا الاستيلاء على حصن العذيب فلنا ان نفترض ان الاخير كان الفرس قد هجروه .

### الحيرة

وصل المسلمون الى الحيرة من الجنوب . وكانت هذه المدينة المشيدة على حافة الصحراء تماماً تتكون من بضع مجموعات من ابنية محصنة تتخللها بسايتين وحقول . ومثل هذه المجموعات من الأبنية التي كانت تسمى قصوراً تكون على شكل مستطيل يتكون مركزه من فناء محاط بأبنية منفصلة إحاطة تامة . وكانت الجدران الخارجية ، وهي أعلى من الجدران الداخلية ، مبنية باحكام ومزودة بفتحات للرماية في اقسامها العليا ، وبأبراج في زواياها ، مما يعطي المجموعة باكملها هيئة الحصن . وفي الجدار الخارجي بوابة محصنة واحدة تؤدي الى الفناء ، ومنه تفتح ابواب الى الأبنية المنفصلة ، التي ليس لها أي مخرج آخر . وهذه القصور تكون إما ضيقة او عريضة ، حسب عدد افراد العشائر كل على حدة التي تعيش فيها سرية .

وعند اقتراب العدو ما يسوق سكة القصر افضل حيواناتهم ، وخاصة الخيل ، الى داخل الفناء ويقفلون البوابة ويحكمونها بالملزاج ويصعدون الى السطح المستوي ويصعدون الهجوم من خلال ثغرات الرماة . فان كان العدو من الحضر ايضاً ، فانهم يجلبون معهم معاولهم وسلالمهم ويخترقون جدار الحديقة ، وبعد ان يهتدوا وراء اشجار النخيل يقتربون من القصر . وعند وصولهم الى الجدران يرفعون السلالم اولاً ، محاولين بذلك الصعود الى السطح . فان صدوا ، فانهم يتجمعون في نقاط مختلفة قريبة من الجدار لكي يحدثوا ثغرة فيه . أما إن قسام البدو بالهجوم للغلبة

دون أن يهدفوا الى اخضاع الحضر، فانهم يستولون قبيل كل شيء على القطعان التي لم تكن قد سبقت الى داخل الفناء ويستولون بعدئذ على اكساد سنابل الحنطة المكوّمة على ارضيات البيادر ؛ ويقطفون الثمار الناضجة ، ويتركون حيواناتهم ترعى سنابل القمح القائمة ، ثم يختفون بالسرعة التي قدموا بها . أما إن اراد البدو الرحل ان يحملوا الحضر على دفع جزية منتظمة لهم ، فانهم يخيمون امام القصر ويسوقون الحيوانات التي جاربوها معهم الى الحقول والبساتين ويوقدون ناراً تحت احدى اشجار الفاكهة الكبيرة ويمنعون الحضر من الوصول الى الآبار ويهددون بحرق وتكسير جميع اشجارهم وأحراشهم ، وبهذه الطريقة يجبرونهم على الاستسلام . لقد حدث هذا كله ، استناداً الى يزيد بن نبيشه ، في القصور المختلفة في الحيرة ويقال ان الأهالي كانوا قد انقذوا انفسهم من جيش المسلمين في ابنتهم المحكمة ، مما يبرهن على ان المدينة لم تكن محاطة بسور مشترك . خيّم المسلمون امام القصور المختلفة وساقوا حيواناتهم في البساتين والحقول ، واجبروا الاهاليين على التفاوض والاستسلام اخيراً .

### رواية ابن اسحاق

روى ابن اسحاق عن صالح بن كيسان ( الطبري ، المرجع السابق السلسلة ١ ، ص ٢٠١٦ وما بعدها ) ان ابا بكر رحمه الله كتب الى خالد بن الوليد يأمره ان يسير الى العراق . فمضى خالد يريد العراق ، فنزل بقريات من السواد يقال لها بانقيا وباروسما وأليس ، فصالحه أهلها « . - ووفقاً لهذا النص فان خالداً لم يرجع الى المدينة قبل تقدمه الى العراق . كما لم يرد ذكر الطريق السذي سالكه ؛ الا ان من الواضح انه لم يتقدم مباشرة الى الحيرة ، لانه لو كان قد زحف مباشرة باتجاه شمالي على ما أصبح فيما بعد طريق الحاج او سار اولاً نحو البصرة باتجاه شمالي شرقي ، فانه



في اي من الحالتين توقف قبل وصوله الى الحيرة عند قرى بانقيا وباروسما وأليس . وكانت القرية الاخيرة هذه معقلاً هاماً للعجم عند مفترق طرق النقل الى الجنوب الشرقي من الحيرة ؛ وكان الرئيس هناك وفي الاراضي المحيطة بها المالك الثري ، ابن صلوبا . وتسمي مصادر أخرى شخصاً يدعى جابان على أنه رئيس أليس ، وتنسب لابن صلوبا قريتا بانقيا وباروسما فقط ؛ وفي معاهدة الصلح يشير ابن اسحاق نفسه الى ابن صلوبا على انه صاحب القريتين المذكورتين اخيراً ، وبذلك يناقض نفسه . ويحدد موقع بانقيا على انها تمتد على كلتا ضفتي الفرات في ضواحي محطة أليس . وكان نصف بانقيا والجزء المأهول من باروسما بأكمله مع افضل حقوله يقع على الضفة اليسرى الفرع الغربي من الفرات . وبالنظر لهذا الموقع فلم يكونوا مهملين مباشرة من المسلمين ، ولذلك فانه من اللافت للنظر ان ابن صلوبا بدأ مباشرة بالتفاوض من أجل السلام دون إغارة أي اهتمام للحكومة الفارسية ، كما انه لم يحاول طاب المساعدة من الحيرة ، برغم ان هذه المدينة لم يكن قد تم الاستيلاء عليها بعد من جانب المسلمين . ويستمر ابن اسحاق في روايته قائلاً ثم اقبل خاله بن الرايد بمن معه حتى نزل الحيرة « واستسلم اهلها اليه دون اية محاولة للمقاومة . - وهكذا استولى خالد ، كما يروي ابن اسحاق ، على أشم جزء من الحدود الفارسية دون قتال واراقة دماء ، وبالمسلمين الذين معه فقط ، اذ لم يرد ذكر الرئيس الكبير المشني وقبيلته . ولا يوضح ابن اسحاق استسلام الحيرة دون قتال ، وهي مركز منطقة الحدود بأكملها ، بينما نجد حتى الموضع العسكري البسيط في عين التمر يسلبي مقاومة شديدة . ولا تفيد الدعوى القائلة بان اهل الحيرة أخذوا على حين غرة ، اذ كان في امكانهم مراقبة جيش المسلمين لوقت طويل قبل اقترابه من الجنوب ، وعلاوة على ذلك فلا بد أنهم تلقوا الأخبار عن الغزو الذي يتهدهم من قسرى ابن صلوبا ، التي كانت آنذاك قد غنم المسلمون جزءاً منها في الأقل .

ويقول كاتباتي (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٣١ ، ملاحظة ٨ )  
أنه في ضواحي الحيرة وبين القلاع ، او الشكنات الموجودة على خط الحدود  
المحصن الروماني القديم والتي كانت تدعى برايسيديا ، قامت هناك اديرة مسيحية  
غنية . وفي حقيقة الأمر فانّ خط الحدود المحصن كان على بعد  
اربعمائة كيلو متر من الحيرة .

### رواية ابو يوسف

روى ابو يوسف في كتابه « الخراج (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ص ٨٢ وما بعد  
عن ابن اسحاق

لما قدم خالد بن الوليد من اليمامة دخل على ابي بكر الصديق - (رض)  
وخرج فاقام اماماً ، ثم قال له ابو بكر : تهيأ حتى تخرج الى العراق ، فوجهه  
ابو بكر الصديق الى العراق ، فخرج في الفين ومعه من الاتباع مثلهم ، فمر بفيلد ،  
فخرج معه خمسمائة من طي ، ومعهم مثلهم ، فانتهى الى شراف ومعه خمسة  
الاف او اقل او اكثر ، فتعجب اهل شراف من خالد ومن معه ودخلهم في  
ارض العجم ، فانتهوا الى المخيثة ، فاذا طلائع خيل العجم ، فنظروا اليهم ورجعوا  
فانتهوا الى حصنهم ودخلوه ، فاقبل خالد ومن معه الى الحصن فحاصروهم وفتح  
الحصن وقتل مسن فيه من المقاتلة ، وسبى النساء والذراري ، واخذ جميع  
ما كان فيه من السلاح والمتاع والدواب وهدم الحصن

ثم مضى حتى انتهى الى العذيب وفيه حصن فيه مسالحة لكسرى فواقعهم  
خالد فقتلهم واخذ ما كان في الحصن من متاع وسلاح ودواب وهدم الحصن  
وضرب اعناق الرجال وسبى النساء والذراري ، وعزل الخمس مما افاء الله عليه  
وقسم الاربعة اقسام بين اصحابه الذين افتتحوه ، فلما رأى ذلك اهل القادسية  
طلبوا الصليح واعطوه الجزية

فمضى خالد من القادسية حتى نزل النجف وبه حصن حصين لكسرى فيه رجال من اهل فارس مقاتلة ، فحاصروهم وافتتح الحصن واستنزاهم . . واخذ ما في الحصن من المتاع والسلاح والدواب ، ولم يكن في هذه الحصون التي افتتح أحصن منه ولا اكثر مقاتلة ولا سلاحاً ولا متاعاً ولا رجالاً اشد من رجال كانوا في حصن النجف ، فانحرب الحصن واحرقه ، فلما رأى اهل التيس ذلك وما صنع خالد باهل الحصن طلبوا منه الصلح على اداء الجزية فاعطاهم فأدوا اليه الجزية

ثم مضى الى الحيرة فتحصن منه ادلهما في قصورهم الثلاثة : قصر الابيض وقصر العديس ، وقصر ابن بقليسة ، فأجسأ اصحاب خالد الخيل فسي ذلك الظهر ، وتعرضوا لهم لنال يقتلهم أحسد اويخرج اليهم ، فلم يروا احداً يخرج اليهم ولا يريد قتالهم ، فاشرف ولدان من فوق القصر ، فارسل خالد رجلاً من كبار اصحابه الى القصر الابيض . . فقال له اياك بن قبيصة مالنا في حربك من حاجة وما نريد بان ندخل معك في دينك نقيم على ديننا ونعطيك الجزية فصالحه على ستين ألفاً ورجل . . .

ثم ان خالداً مضى الى قرية اسفل الفرات يقال لها بانقيار فيها مسلحة لكسرى في سبعين لهم فحاصروهم ، فافتتح الحصن وقتل من فيه من الرجال وسبى نساءهم وذرايرهم واخذ ما كان فيه من المتاع والسلاح ، واحرق الحصن وهدمه ، فلما رأى ذلك اهل القرية طلبوا الصلح منه على اداء الجزية ، فكان ولي الصلح عنهم هاني بن جابر الطائي فصالحه عنهم على ثمانين الف درهم ثم سار حتى نزل بانقيار على شط الفرات ، فقاتلوه ليلة الى الصباح وحاصروهم واشتد قتالهم ، فافتتحها بقوة الله تعالى وعونه ، وفيها اساورة كان كسرى صيرهم فيها ، فقتلهم وسبى ذرايرهم ونساءهم واحرق الحصن وهدمه ، فلما رأى اهل بانقيار ذلك طلبوا الصلح منه فاعطاهم .

ثم بعث جرير بن عبد الله الى قرية بالسواد ، فلما اقبحم جرير الفرات  
ليجبر الى اهل القرية ناداه دهقانها صلبوا : لاتعبر انا اعبر اليك ، فعبير اليه فصالحه  
على مثل ما صالحه عليه اهل الحيرة .

ثم ان خالداً رجع الى النجف فاستبطن بطن النجف ، واخذ الادلاء من  
اهل الحيرة حتى انتهى الى عين التمر ، فنزل بعين التمر .. »

يحتوي هذا الوصف لحملة خالد على تناقضات كثيرة وامور مستحيلة ،  
ولذلك لا نستطيع ان نشق بأبي يوسف برغم إشارته الى ابن اسحاق . فالأخير  
لا يذكر عودة خالد من اليمامة الى المدينة . اما ابو يوسف فيروي ان خالدأ  
ذهب من اليمامة الى المدينة ومن هناك سلك الطريق — طريق الحاج فيما بعد —  
الى الكوفة . واو يوسف هو الكاتب العربي الوحيد الذي أجده يصف النجف  
بأنها اكبر وأقوى نغز على الحدود . وبالرغم من ان خالدأ استولى عليها عنوة ، فان  
اهل الحيرة لم يتخوفوا برغم قربهم من النجف . ومن المنطقة المجاورة القرية  
للحيرة تحرك خالد جنوباً شرقياً الى أليس ومن هناك فقط شمالاً شرقياً الى  
الحيرة . وبعد استحاذه على هذه المدينة ، عاد ثانية جنوباً شرقياً الى قرية  
بانقيا التي فتح خالد حصنها مرتين وأحرقه وهدمه مرتين — وهذا خبر آخر  
لأنفرد ابو يوسف بتدوينه . ولم يشكل عبور الفرات اية مشكلات لجرير . ومن  
بانقيا عاد خالد ، ليس الى الحيرة بل الى النجف المحترقة والمهدمة — برغم  
انه لم يكن باستطاعته ايجاد اي مخزن للطعام او مأوى هناك — ومن ذلك  
المكان بدأ زحفه على عين التمر .

واستناداً الى ابي يوسف فان كل الاراضي التي يحكمها الفرس المتغلغلة بعيداً في  
الصحراء ( حتى المغيثة ) كانت مشغولة بالجند ؛ وهذا يتعارض تماماً مع ما هو  
معروف عن الأحوال الادارية في ذلك الزمان في دولة فارس . ان الحاميات  
الفارسية النظامية لحصني المغيثة والعذيب الحدوديتين لا تستطيع الصمود ضد  
هجوم خالد المؤلف من ٢٥٠٠ من الفرسان والجمالة ، الا ان الفرس كانوا

هو دين جديد بالشام والباء وهذا لما كان المهاجرون المسلمون يعانون من نقصهما .  
 ان المصير المظالم لهاتين الحاميتين كان ينبغي ان يحفز جنود الفرس على الدفاع  
 بمقاومة يائسة عن حصن النجف الحارودي الذي كان أمتع حصون الحدود .  
 ومن المؤكد ان المسلمين لم يجلبوا معهم سلالهم او معاول ثقيلة ولذلك لم يكن  
 بمقدورهم هدم التحصينات الفارسية المبنية بالحجارة ، ومع ذلك فانهم  
 فتحو هذا الحصن المنيع الجبار كما لو كان قلعة من الرمال ، ورغم عدم  
 تعودهم محاصرة الحصون ، كما يتبين من حصارهم للحيرة . اذ لا زم اهل  
 المدينة المذكورة اخيراً قصورهم ولم يجروا المسلمون ، الذين لسم يستطع  
 حتى أقوى الحصون مقاومتهم حتى ذلك الحين ، على مهاجمة هذه الابنية المحصنة  
 فقط . وبالاجمال فإن غياب ذكر للمساعدة التي قدمتها للمسلمين قيسية  
 بكر بقيادة رئيسها المثني ، انما هو من السمات المميزة لجماعة المدينة .  
 فأبو يوسف لم يعرف أحداً في العراق سوى المسلمين الذين هم مع خالد . اما  
 عشائر بكر ورئيسها الحكيم ، المثني ، فسلا ذكر لهم ابداً ؛ ورغم انه كان  
 مستحيلاً على المسلمين دخول العراق او العودة منه محملين بالغنائم دون معاونتهم .  
 لانني لا أتفق مع كائتاني ( المصنر السابق ، المجلد ٢ ، ٩٣٢ ) ، الذي  
 يقبل بيانات ابي يوسف الغربية هذه على اساس انها تأتي من مصدر جيد  
 وقديم . ولعل عدد المقاتلين في جيش خالد الذي اورده ابو يوسف وحده هو  
 الصحيح . ولكن حتى هذه الجملة تصيب غير محتملة نظراً للملاحظة التي  
 مفادها ان الألفي مقاتل كان يرافقهم عدد مماثل من غير المحاربين . ففي غارة  
 للغزو ، ويعتبرها كائتاني كذلك ، فإن عدداً كبيراً من التابعين غير وارد ، اذ ان  
 ذلك كان يخرم المحاربين الحقيقيين من حرية الحركة ، كما انه يستنفد ما لديهم  
 من طعام وماء . ان وجودهم لا يمكن فهمه الا اذا كان القصد قيامهم بتقديم  
 المساعدة اثناء اعمال الحصار او للاستيطان . ان جمع البيانات الاخرى التي  
 اوردها ابو يوسف تعود الى تلك الروايات المنمقة بصورة رومانسية والهزيلة  
 وغير الواضحة عن حملة خالد ، وهي روايات كانت متداولة في المدينة وكانت  
 تهدف الى تمجيد خالد ورفاقه اكثر مما كانت وصفاً حقيقياً لحدث تاريخي .

## رواية هشام بسن الكلبى

روى هشام بن الكلبى عن رجل من قبيلة بكر بن وائل (الطبري : التاريخ دى  
خويه السلسلة ١ ص ٢٠١٨ فما بعدها ) ان المثنى بن حارثة الشيباني سار حتى  
قدم على ابي بكر رحمه الله ، فقال امّرني على من قبلى من قريتي اقاتل من  
يلينى من اهل فارس واكفيك ناحيتى ففعل ذلك ، فاقبل فجمع قومه واخذ  
يغير بناحية كسكر مرة وفي اسفل الفرات مرة . ونزل خالد بن الوليد النباغ  
والمثنى بن حارثة بخفان معسكر ، فكتب اليه خالد بن الوليد ليأتيه وبعث اليه بكتاب  
من ابي بكر يأمره فيه بطاعته ، فانقض اليه جواد حتى لحق به . . .

واقبل خالد بن الوليد يسير ، فعرض له جابان صاحب الّيس ، فبعث  
اليه المثنى بن حارثة فقاتله فهزمه وقتل جل اصحابه الى جانب نهر ثم يدعى نهر  
دم لتلك الوقعة ، وصالح اهل الّيس ، واقبل حتى دنا من الحيرة ، فخرجت  
اليه خيول ازاديه صاحب خيل كسرى التي كانت في مسالح ما بينه وبين العرب ،  
فلقوهم بمجتمع الانهار فتوجه اليهم المثنى بن حارثة فهزمهم الله . فلما رأى  
ذلك اهل الحيرة خرجوا يستقبلونه . . فمبايعهم على تسعين ومائة الف درهم  
فكانت اول جزية حملت من العراق .

ثم نزل على بانقيا فصالحه بمصهر بن صلوبا على الف درهم وطيلسان  
وكتب لهم كتاباً .

وكان صالح خالد اهل الحيرة على ان يكونوا له عيوناً ففعلوا .  
ولعل البدوي لم يسرد كل هذا بالدقة التي عرضها النص ، مع انه كان  
على صواب عموماً . فمن المحتمل جداً ان المثنى وهو الرجل الفطن الواعي ، عند  
ادراكه ما نزل بالمرتدين ، سارع الى المسدنة حيث طلب موافقة  
ابي بكر على اعماله . وبهذه الخطوة فإنه قام بتقوية مركزه المصالح ، اذ  
لا يمكن للرؤساء الآخرين مهاجمة بسهولة ، وفضلاً عن ذلك ، فإنه كان قد

ضممن قبيلته من غارات المسلمين او القبائل الغريبة المتصلة بهم عندما يكون مشغولاً بالغارة على القرى الفارسية . اما ابو بكر فاراد ان يكسب المثنى كليا لجانبه ويفتح اطراف الدولة الفارسية ، فارسل ابو بكر الى العراق فيما بعد خالداً الذي يعرف كيف يتعامل مع العشائر العربية . ولدى وصول خالد الى النجاف طلب من المثنى ، الذي كان ضخماً في خفان آنذاك ، ان ينضم اليه هو ومقاتلوه ؛ ويبدوان هذا يؤيد عزمه على اتباع طريق بعيد عن خفان ، والا لكان التقى بالمثنى في خفان . ولم يكن خالد حتى حسب هذه الرواية ميالاً للذهاب الى الحيرة مباشرة ، لانه بدلاً من ذلك ، هاجم بلدة أليس الفارسية الواقعة على « نهر الدم » ، الى الجنوب الشرقي من الحيرة . ولعل هزيمة الفرس امام المثنى في كل من هذا النهر و « مجتمع الانهار » هو السبب في عدم ذكر الواتدي او ابن اسحاق ، الذي لم يكن يعرف شيئاً عن الرئيس المثنى ، هذه الانتصارات . ووفقاً لهشام بن الكلبي فان خالداً لم يعتقد صلحاً مع رئيس قرية بانقيا الا بعد ان استسلمت الحيرة ؛ ومع ذلك فلا بد انه اجتاز هذه القرية وبالتالي هدها اثناء زحفه على أليس وكذلك عندما كان يقوم بالتفاف للوصول الى الحيرة .

اما بصدد المعركة عند « مجتمع الأنهار » فلقد احتفظ لنا بالقول المأثور المسجع التالي ( الطبري . المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٢٦ ) : « صفر الاصفار فيه يقتل كل جبار على مجتمع الانهار » . ان هذا القول ذو اهميته كبيرة لانه حفظ لنا التاريخ الاصيل اي الصحيح للمعركة . ان الجنود المسلمين الأوائل لم يراعوا التواريخ المضبوطة وكان اهتمامهم بها قليلاً ، كما يفعل الاعراب في يومنا هذا . ولكن حتى لو تم الاحتفاظ بالتاريخ الاصيل بوجه صحيح ، فان العرف لا يستطيع الاحتفاظ به إن لم يكن مدعوماً بقول مأثور او اغنية او حدث معاصر مشهور . وبغية التحديد الدقيق للتسلسل الزمني لهذه الأحداث ، فان تواريخ معاهدات الصلح المختلفة كان يمكن ان تفيدنا لو انها وجدت . وعلى كسل حال علينا التأكد من ان هذه الوثائق كما نقلها المدونون

المتأخرون ، كانت حقيقية وتتفق مع المعاهدات الأصلية . ومع ذلك ، فليست لدينا هذه التواريخ ، كما انه لم تكن بحوزة جامعي الروايات المختلفة . وعلى هذا فلا عجب ان ينشأ صراع بشأن التسلسل الزمني للأحداث موضوع البحث . ويُستدل على ان القول المأثور يحدد المعركة عند « مجتمع الأنهار » في فصل الخريف ، بل وفي شهر تشرين الأول ( أكتوبر ) بالذات ، من حقيقة ان صفر الاصفار يعني بالنسبة لبعض الاعراب المحدثين منتصف صفر ( ويشمل فصل صفر السنوي أشهر أيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني ) ، اي ، تشرين الأول ( موسيل ، بلاد العرب الصخرية المجلد ٣ ، ص ٧ ) . وقد سبق ان اقترح هذا فلهاوزن في كتابه تخطيطات وأعمال تمهيدية ( المجلد ٦ ، ص ٤٠ ، ملاحظه ١ ) ويشك كايثاني ( المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٦٠ ، ملاحظه ٢ ) في احتمال رأي فلهاوزن هذا لانه ، من بين اسباب أخرى ، فسي فترة الفتح الاسلامي كانت اسماء الأشهر العربية قد فقدت آنذاك المعنى القديم للفصول السنوية ودلت على اشهر قمرية متحركة .

ان كايثاني يهمل حقيقة انه علينا التعامل مع قول مأثور نابع من الشعب وان اسماء الأشهر بالنسبة لقبائل عربية كثيرة حتى في يومنا هذا لم تفقد معناها الاصلية للفصول السنوية . ويكاد جميع السكان الحاليين لأواب وادوم يسمون الخريف بـ ( صفرات ثلاثه ) . امسا الأشهر القمرية المتحركة فيكادون يجهلونها تماماً .

### الخلاصة

وللحصول على رأي صائب عن هذه الأحداث من بين جميع الأدلة المتضاربة التي قدمها كتاب جماعة المدينة ، فلا بد لنا ان نقرر أولاً ما اذا كان المثني وقبياة بكر قد أسهما في حملة خالد على الفرس ام لا . ان انحصاج التي قدمناها آنفاً ، والتي ستلاقي دعماً إضافياً تحملنا على القول ان خالداً ما كان



ليستطيع المجازفة بغارة واحدة فضلاً عن حملة على الفرس بدون رضی البكرين ومعاونتهم . فإذا اعترفنا ان اعراب هذه القبيلة قدموا له الاسناد ، حينئذ يكون الاحتمال الأقوى انهم هاجموا المدينة التي كانت تنطاق منها القوافل التجارية التي تمر خلال اراضي البكرين متجهة الى الجنوب او الجنوب الغربي او الغرب او الشمال الغربي . وكانت نقطة الانطلاق هذه ، هي الأبلّة ، متصلة بالجزء الشرقي من اراضي البكرين . وبما لا ريب فيه ان خالداً كان يعرف كل شيء عن القوافل التجارية التي تغادر الأبلّة ، لأنها كانت تحمل منتجات متنوعة الى كل من مكة والمدينة . ولا بد انه عرف المزيد عنهم في اليمامة ، وعند النباخ وجد نفسه أخيراً على الطريق الذي يسلكونه عادة . وبما انه لم يكن قد تلقى تعليمات دقيقة من ابي بكر عن الطريق الذي عليه ان يسلكه ، فقد كانت له حريسة التقدم من النباخ عن طريق القوافل الى الأبلّة ومن هناك يقوم بمساعدة البكرين في غاراتهم على القرى الفارسية . إنه بتقديمه سوية مع المثنى لم يتمكن ضمان حصّة اكبر من الغنائم فعسب ، بل التأكد من وصولها دون عائق الى المدينة . ومن المحتمل ان الرواة البارزين الذين يمثلون المدينة لا يذكرون الرئيس الأعلى المثنى ، لانه لم يكن من مصلحة اهل المدينة ان رئيساً اعرابياً لا ينسب الى اهل مكة او المدينة حديث عهد بالاسلام ، يعطى شرف نشره في العراق وشرف فتوح بلاد فارس . وقام آخرون من هولاة الرواة بذكر المثنى ، الا أنهم حاولوا التقليل قدر المستطاع من اهمية إسهامه في انتصارات خالد .

### رواية اهل الكوفة

#### رواية سبيف بن عمر

ان سيف بن عمر هو الممثل الرئيس لروايات اهل الكوفة ( الطبري : المصدر السابق ، السلسلة ١ ص ٢٠٢ وما بعدها ) وهو ينقل عن عدد من الرواة « كتب ابو بكر الى خالد بن الوليد اذ أمّره على حرب العراق ان يدخلها من اسفلها ، والى عياض اذ أمّره على حرب العراق ان يدخلها من اعلاها ، ثم يستبقا الى الحيرة ، فايهما سبق

الى الحيرة فهو امير على صاحبه ، وقال اذا اجتمعتم بالحيرة وقد فضضتمت  
مسالح فارس وامنتما ان يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن احداكما رداءً للمسلمين  
ولصاحبه بالحيرة ، وليقتحم الآخر على عمو الله وعدوكم من اهل فارس دارهم  
ومستقر عزهم المدائن » وبموجب هذا فان الحملة انتهت بالحيرة ، ولكنها  
لم تبدأ منها .

ويؤكد سيف ( المصدر نفسه ، ص ص ٢٠٣٢ - ٢٠٣٥ ) ان خالداً  
زحف شمالاً غربياً من ضواحي المدينة التي عرفت فيما بعد بالبصرة . وبعد لقاء  
مع الفرس عند الولجة قام بمباغطة القائد الفارسي ، جابان ، قرب محطة أليس  
على الفرات ، وهزمه وأمر بقتل جميع السجناء . وقد تفرع نهسر من هناك ،  
وكان المسلمون قد سكروه ثم فتحوه بعد قليل على جيش السجناء  
المقتولين الملقاة في المجرى . فصينغ دهمهم الماء في النهر بحيث اصبح فيما  
بعد يدعى دائماً بـ « نهر الدم » . - وكانت محطة أليس ، وقد كتبت في  
المخطوط ( المصادر نفسه ، ص ٢٠٣١ ، ملاحظة هـ ) بلام مشادة ، على  
منعطف للفرات ولا تزال على الضفة اليمنى . ويستدل من السهولة التي اوقف فيها  
المسلمون الماء في النهر هناك انه لم يكن فيه ماء كثير آنذاك ومن ثم  
فلا بد ان المعركة حدثت في الخريف . انني أحدد موقع الولجة بجوار عين  
ضاحج ، نحو خمسين كيلومتراً جنوب شرقي الحيرة ، وأليس عند قرية  
الشاطي في الشمال الغربي من عين ضاحج .

وبعد استيلاء خالداً على أليس زحف ( المصدر نفسه ، ص ٢٠٣٦ ) على  
بلدة امغيشيا ، التي استولى عليها ثم هدمها . وكانت هذه « مصرراً  
كالحيرة ، وكانت أليس حصنها وكان نهراً دقلى ينتهى اليها .

ويظن كايثاني ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٢٩ وما بعدها ،  
ملاحظة ٣ ب ) ان التيس وامغيشيا هما اسمان مختلفان للموضع نفسه وان  
الاسم امغيشيا محرف عن الجيشية ، وهو الاسم القديم لفولوجيسياس ،  
التي جعلها العرب فيما بعد التيس . انه يحدد موقع امغيشيا عند قرية  
أميشكيديه ( كيرت ، في خارطة الأقاليم الاسيوية [ ١٨٨٤ ] ) على  
الضفة الغربية لنهر الهندية مقابل برس نمرود .

انني لا أرى في امغيشيا تحريفاً عن الجيشية وفولوجيسياس . فالحرف  
العربي الغين ( غ ) صوت واضح جاكاً يتعذر استبداله بحرف الجيم ( ج )  
وكذلك من الصعب ان نفهم السبب في ان العرب عبروا عن الحرف الصحيح  
السين الوارد في الاسم فولوجيسياس بحرف الشين في امغيشيا ، وبالسين في  
التيس . اما سيف فيفرق بوضوح بين التيس وامغيشيا ، ولذلك لا يجوز  
المطابقة بينهما بدون دليل قاطع . ان مقارنة امغيشيا بأميشكيديه غير ممكن  
من ناحية فقه اللغة ، ومستبعدة طوبوغرافياً كلياً . ويجانب ذلك فانها على  
خارطة كيرت لسم تكتب اميشكيديه وانما كتبت ام ايشيديه ، وهو اسم ليس فيه  
اي تشابه مع امغيشيا وتقع التيس نحو خمسة وثلاثين كيلومتراً جنوب شرقي  
الحيرة ، وشكلت ( وفقاً لسيف ) الحصن المنيع لقرية امغيشيا . وهذا سبب  
اضافي آخر يفسر لماذا لا ينبغي مطابقتها مع قرية ام ايشيديه ، التي جاء  
في الروايات انها تقع في موضع ابعد شمالاً من الحيرة . وبالطبع فإن كايثاني  
(المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٣٦ ، ملاحظة ٢ ) مقتنع اقتناعاً راسخاً ان  
خالداً هاجم الحيرة من الشمال ، الا ان هذا الرأي لا يتعارض مع جميع  
المصادر العربية فعسب بل ايضاً مع الاسباب النفسية الصرفة والعسكرية التي  
يسعى بها لدعم نظريته .

والجغرافيون العرب اما انهم لا يدكرون امغيشيا اطلاقاً او يدكرون نسخة حرفية  
لرواية سيف ، التي إقتبست عن المغيرة ( الطبري ، الموضع نفسه ) . وهذا يوضح

ان هذه البلدة اندثرت في القرن الأول للإسلام ، وإن اسمها اختفى بعد ذلك .  
ولما بلغ القائد الفارسي في الحيرة خيبر سقوط امغيشيا ، أخذ يستعد لمقاومة  
زحف خالد ( المصدر نفسه ، ص ٢٠٣٧ ) ، الذي كان قد حمل امتعته كلها  
على قوارب والتي استقلها ايضاً جنوده المشاة . أبحرت القوارب على فرع الفرات  
الغربي ، بينما قام خالد وفرسانه بمرافقتهم بحذاء ضفة النهر . وبغية عرقلة تقدم  
خالد أرسل القائد الفارسي ابنه مع مفرزة ضد خالد ، وخيّم هو نفسه خلف الحيرة .  
أمر الابن بفتح بعض القنوات ، فملأها ماء مما أدى الى هبوط منسوب الماء في  
فرع الفرات هبوطاً كبيراً بحيث ان قوارب خالد جنحت ولم تستطع حراكا .  
وعندما أخبر رجال القوارب المحليين خالداً بسبب هذه العرقلة ، سارع مع  
فرسانه ضد الفرس ، والتقى بطلائع جنائهم عند مصب نهر العتيق ، ولاحقهم  
وابادهم قرب المقر . ثم فاجأ خالد ابن القائد الفارسي عند فم فرات  
بادقلى وقتله . وسد القنوات ثانية واصبح فسرع الفرات بذلك صالحاً للملاحه ،  
وتمكن السفن من التقدم .

يرينا هذا النص بوضوح ان خالداً زحف مُصعباً من أليس ؛ وعلى  
هذا لا يمكن ان تكون أليس واقعة الى الشمال بل لا بد انها كانت الى الجنوب  
الشرقي من الحيرة . ولم يكن في امكان خالد ابدأ مرافقة قواربه المبحرة سريعاً  
مع المجرى ، فإنه لو فعل ذلك لكان من الضروري الركوب على جمل حول  
مستنقعات وقنوات وترع كثيرة . ولكان عليه العودة ثانية لفتح الماء الى فرع  
الفرات ، وتلك حركة كان يمكن ان تؤدي به وبقواربه الى وسط الجيش الفارسي .  
ان نصيحة الملاحين المحليين له بسد القنوات وبالتالي جعل الابحار في الفرات  
ممكناً يشهد انه لم يكن هناك ماء كثير في النهر في ذلك الوقت . وبما ان النهر  
يبدأ بالارتفاع بعد الامطار الغزيرة الاولى التي تبدأ بانتظام في نهاية تشرين  
الثاني ( نوفمبر ) ، وتستمر بالازدياد حتى منتصف أيار ( مايو ) او نهايته ،

فإننا نرى من هذا الظرف ان خالداً لا بد ان كان قد استولى على اليمس في فترة صفر الأصفر ، في وقت ما في شهر تشرين الاول ( اكتوبر ) ،

وحدث آخر في نفس الموضع تقريباً ، يسجله لنا الطبري ( المصدر السابق ، السلسلة ٢ ، ص ٧٢٥ ) المقتبس عن ابي مخنف . فني اثناء الحرب بين ابن الزبير والخليفة عبد الملك ( ٦٨٥ - ٧٠٥ م ) تقدم مصعب بن الزبير من البصرة براً ونهراً لقتال المختار الذي كان مهيئاً على الكوفة .

« ولما بلغ المختار النهر قد اقبلوا اليه من البحر وعلى الظهير سار حتى نزل بهم السيلحين ، ونظر الى مجتمع الانهار : نهر الحيرة ونهر السيلحين ونهر القادسية ونهر بربسف ، فسكروا الفرات على مجتمع الانهار ، فذهب ماء الفرات كله من هذه الانهار ، وبقيت سفن اهل البصرة في الطين ، فلما رأوا ذلك خرجوا من السفن يمشون ، واقبلت عليهم تركض حتى انوا ذلك السكر فكسروه وصعدوا صمد الكوفة ، فلما رأى ذلك المختار اقبل اليهم حتى نزل حرواء » .

تقع السيلحين على مسافة خمسة عشر كيلومتر جنوب شرقي الحيرة أسفل من بلدة ابي مخير الحديثة ، ولا بد من البحث عن مجتمع الانهار ، وبعبارة اصح نقطة ابتداء هذه الانهار من الفرات ، الى الجنوب الشرقي من الحيرة عند ابي صخير في بساتين الجعارة ، حيث بأخذ الفرات العميق الذي يجري الى القادسية ، وكذلك نهر بادق الذي يجري الى جنوب - الجنوب الشرقي . كان نهر الحيرة و بربسف ينتهيان هناك . ومن « مجتمع الانهار » هذا زحف خالد على الحيرة ( المصدر نفسه ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٣٨ وما بعدها ) ، ونعيم بين الخورنق والنجف ، وانتظر في الخورنق وصول بقية جنوده . وفي هذه الاثناء كان القائد الفارسي في الحيرة قد ضرب وعبر الفرات . تحرك خالد وقد اكتمل جيشه الآن من الخورنق واتخذ موقعا بين الفريين والقصر الأبيض الذي كان جنود الفرس قد أسئلوه قبل ذلك بقليل . اما أهل الحيرة فقد اجتمعوا وراء المتاريس في قصورهم المختلفة ،

مما جعل خالد ، الذي لم يستطع أخذهم عنوة ، على تدمير المنطقة المجاورة وهكذا اضطر المحاصرون الى الاستسلام .  
ويقع الخورنق ، حيث انتظر خالد السفن التي تحمل جنائه ، على نحو ستة كيلومترات شمال غربي « مجتبع الانهار » وعلى نفس المسافة تقريباً جنوبي الحيرة . والنجف ، الواقعة على حافة الهضبة التي تقع الحيرة عليها ، وهي تقع ايضاً الى الغرب من الحيرة .

### الاستيلاء

وعند تخصيصنا النتائج التي توصلنا اليها ببعض الأحداث التي ادت الى الاستيلاء على الحيرة ، نلاحظ ان الممثلين الرئيسيين لكلتا الجماعتين ، جماعة المدينة وجماعة الكوفة ، يقرون بالتعاون بين خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة ، وان خالداً حاول بكل الوسائل الاستيلاء على جميع القرى الواقعة على الضفة اليسرى للفرات من الخليج العربي وحتى الحيرة . اما على الضفة اليسرى فقد وصلت اقدام جنوده الارض فقط في اماكن قليلة ، ولم يكن ذلك الا عندما تعرضوا للخطر من ذلك الجانب او توقعوا ان يجدوا غنائم كثيرة هناك ؛ وهذا النهج سار عليه خالد ايضاً بعد ان أتم الاستيلاء على الحيرة .

### قتال في الانبار

يروى الملائني (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٧٦ وما بعد) «ان خالداً بن الوليد اتى الانبار فعبأ جنوده على الجلاء ، ثم اعطوه شيئاً رضي به ، وأنه اغار على سوق بغداد من رستاق المال ، وأنه وجه المثنى فأغار على سوق فيها جميع لقضاء وبكر ، فاصاب ما في السوق ، ثم سار الى عين التمر ففتحها عنوة ، فقتل وسبي وبعث السبي الى ابي بكر ، فكان اول سبي قادم المدينة من الحجاز ، وسار الى دومة الجندل ، فقتل اكيذر ، وسبي ابنة الجودي ، ورجع فاذا بالبحيرة»

سمع خالد للحامية الفارسية في الأنبار بمغادرتها ، وعقد معاهدة صلح مع الأهلين . ان الفارة على المركز التسويقي قرب الموقع الذي شيدت عليه بغداد بعد ذلك دليل على شجاعة خالد الفاتكة ، اذ كان عليه عبور قوات اروائية كثيرة للوصول الى مشارف طيسفون [ المدائن ] ، العاصمة الفارسية .

يعطي كايثاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٤٠ ، ملاحظة ١٣) ، على العموم رواية المدائني اهمية كبيرة باعتبارها تقدم لنا معياراً لتقدير قيمة رواية سيف ؛ انه يرفض قبول اخبار المعارك غير التي دونها المدائني . ومع ذلك فلانني اشك فيما اذا كان من الاسلم ان نعتد على صست المدائني فيما يتعلق بالأحداث المختلفة التي ذكرها سيف . ومن الناحية الأخرى ، فإن كايثاني لا يعترف بالأحداث التي دونها المدائني بهذا الخصوص ، رافضاً جميع الانتصارات على الصفية اليسرى للفرات ، وتبعا لذلك الاستيلاء على الأنبار والسوق القريب من بغداد وكذلك الفارة على دومة الجندل . ويكتب كايثاني (المصدر نفسه ، ص ٩٤٢ وما بعدها ، ملاحظة ١) ان رواية المدينة الذين كان يمثلهم المدائني لم يكونوا على علم بالاستيلاء على الأنبار ، رغم ان المدائني يروي ذلك بتوثيق من عمر بن شبة . ويطابق كايثاني (المصدر السابق ، ص ٩٣٩ ، ملاحظة ١) الأنبار مع خرائب الصفيرة ، الا ان خرائب الأنبار الواسعة حافظت على اسمها الى يومنا هذا ، وهي تقع على مسافة عشرة كيلومترات جنوب غربي الصفيرة . ومهما يكن فان رواية المدائني موضع تساؤل وغير مترابطة بحيث لا نستطيع الاعتماد اعتماداً تاماً على بيانه من ان الاسرى من عين التمر كانوا اول وجبة أرسلت من بلاد فارس الى المدينة .

ويورد البلاذري في كتابه «فتوح البلدان» (دى نخويه ٢٤٥) «واتى خالد الفلاليج منصرفه من بانقيا ، وبها جمع للعجم ، ففترقوا ولم يلق كيداً ، فرجع الى الحيرة ، فبلغه ان جابان في جمع عظيم بنسدر ، فوجه اليه المثنى بن حارثة الشيباني وحنظلة بن الربيع الاسيدي فلما انتهيا اليه هرب » .

وسار خالد الى الانبار فتحصن اهلها ، ثم اتاه من دله على سوق بغداد ، وهي السوق العتيق الذي كان عند قرن الصراة ، فبحث خالد المشني بن حارثة فاغار عليه ، فمألاً المسجون ابا يهم من الصفراء والبيضاء وما خف حملته من المتاع ، ثم باتوا بالسيلحين . اتوا الانبار وخالد بها ، فحصر اهلها ، وجرقوا في نواحيها . فلما رأى اهل الانبار ما نزل بهم صالحوها خالداً على شيء رضى به فأقرهم .

ويقال ان خالداً قدّم المشني الى بغداد ، ثم سار بعسكره فتولى الغارة عليها ثم رجع الى الانبار ، وليس ذلك بثبت »

ويشير كاتاني ( المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٤٢ وما بعدها ) ملاحظة ( ١ ) انه في هذه الرواية ذكرت الفلاليج للدلالة على موضع معين ، بينما هي ليست في الواقع إلا الاسم الشائع لقسرى في المنطقة الرسوبية من ارض السواد ، ويا. كرنا ايضاً ان الاسم ذكر نتمط في الروايات الاولى عن الحملة الى العراق . ولم يذكر مرة أخرى البتة . ومن المحقق انه لم يسبب بصدد النقطة الأخيرة . فالفلاليج لم تذكر في الروايات عن الحملة الاولى فحسب بل كذلك في تلك الروايات من الستين ١٣ هـ ( ٦٣٤ - ٦٣٥ م ) و ٧٢ هـ ( ٦٩١ - ٦٩٢ م ) ( الطبري المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٢٠٢ ؛ السلسلة ٢ ، ص ١٠٧٢ ) . كما ذكرت ايضاً سيوراً في كتب البلدان والجغرافية العربية . وتقع عدة قسرى تدعى الفلاليج جنوب ذوق الحيرة بجانب قناة الفلوجة الكبيرة ، وهي بلدوناس القديمة ، كما نتمتع قسرى من هذا التمهيل الى الجنوب الذوق من الانبار . حيث تقع الناموسان العليا والسفلى .

وينكر كاتاني ( في المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٤٣ ملاحظة ٢ ) الانبياء على الانبار ، انه لم يرد ذكره في اوثق المصادر : ابن اسحاق ، وابو يوسف ، والواقدي . على ان ابا يوسف السدي تناقض روايته الروايات الأخرى عن تسميته الأحداث نفسها ، لا يمكن



بالتأكيد ان نحتسبه من بين افضل المصادر . اما ابن اسحاق والواقدي فهما  
موجزان جداً ، بل وسطحيان . وعن ماينابي استيلاء خالد على الأنبار يمكننا  
الاستشهاد بالعرف المحاي الذي كان يسود الانبار والذي بسببه تسم  
عقد معاهدة صلح بين اهل الأنبار والمسلمين اثناء حكم الخليفة عمر ، وقام بترير  
بن عبدالله بدور الوساطة في ذلك . اما اذا كان هذا لا يشير صراحة الى معاهدة  
الصلح هذه ، ربما بعد هزيمة المسلمين عند الجسر ، فحينئذ  
ينبغي وضع تأكيد مناسب على رواية فتح الأنبار الواردة عند البلاذري  
في المصدر السابق ( ص ٢٤٦ ) ، ويرى كاتباتي ان المسلمين ما كانوا ليستطيعوا  
العبور من الضفة اليمنى الى اليسرى ، حيث كانت تقع الأنبار ، دون مساعدة  
اهل تلك البلدة ، ومع ذلك فإنه يذكر في موضع آخر (المصدر نفسه ، المجلد ٢ ،  
ص ١٢٣٦ ) ، عند التعليق على الاحداث التي وقعت بعد مغادرة  
خالد ، ان المسلمين خاضوا الفرات القيام بغارات فسي المنطقة الواقعة بين  
الفرات ودجلة بأكثرها . وهكذا كان بإمكانهم عبور الفرات بسهولة ،  
بعد مغادرة خالد وليس قبلها ، برغم وجود ماء في النهر بعد مغادرته ،  
في الربيع والصيف اكثر مما كان في الخريف والشتاء السابقين .

ان عبور الفرات لم يكن يشكل عقبة كبيرة للمسلمين لو حاصروا الأنبار ،  
في بداية تشرين الثاني فيما نعتقد ، ففي ذلك الوقت من السنة يكون من السهل  
خوض النهر العظيم إما فوق الأنبار او اسفل منها . وفضلاً عن ذلك كان  
في استطاعة المسلمين ايجاد عدد كبير من القوارب بمختلف الحجم على الضفة  
اليمنى ، ومن ثم كان يتسنى لهم عبور النهر ليس بجميع تجهيزاتهم فحسب بل  
ومع خيولهم وجمالهم كذلك ، تماماً كما فعل القرامطة في وقت لاحق وكذا  
يفعل الآن البدو فسي غزوهم حيث يتجنبون جسر القوارب فسي الفلوجة  
والمسيب . وثمة حجة ثانية تناقض حصار الأنبار وهي تأكيد كاتباتي ان خالداً  
غزا العراق من أجل الغنائم وحدها ، فلو صح ذلك لكان من الحماقة ان يهدر وقته

وقوته امام تحصينات قلعة ما . على ان كايثاني لا يثبت بالبرهان ان خالداً ذهب الى العراق من اجل الغنائم وحدها وليس في حماة عسكرية . فلو كانت حملة خالد مجرد غارة لما توقف لحصار الحيرة او عين التمر التي استولى عليها ووضع حامية فيها . ففي الأنبار مخازن قمح عظيمة كان خالد والمثنى يحتاجان اليها لرجالهما ولخيولهما ، اذ كانت التجهيزات على الضفة اليمنى شحيحة . وعلى اي حال فإن خالداً ، وفقاً للبلاذري ، حاصر الأنبار كما فعل بالحيرة تماماً . إنه قام بمحاصرة البلدة وإتلاف البساتين ، وبذلك أجبر الأهليين على الاستسلام . وبسبب موقعها على حدود الصحراء فقد كان اهل الأنبار معتادين على مثل هذا الحصار . ولكي ينقلوا بساتينهم ، وافقوا على دفع الجزية للمغيرين ، وهذا الالتزام ، بطبيعة الحال ، كان نافذاً فقط عندما تكون الحكومة الفارسية أضعف من ان تقوم بحمايتهم .

#### خالد عند تسعين التمر وصندوقا

يروى البلاذري (المصدر السابق، ص ٢٤٦ وما بعدها) ، دون ان يسمى مصواره انه بعد فتح الأنبار «ثم اتى خالد عين التمر فالصق بحصنها، وكان فيها مسلحة للاعاجم عظيمه ، فخرج اهل الحصن فقاتلوا، ثم لزموا حصنهم فحاصروهم خالد والمسلمون حتى سألوا الامان ، فأبى ان يؤمنهم وافتتح الحصن عنوة وقتل وسبى ، ، ووجد في كنيسة هناك جماعة سباهم » غير ان البلاذري يذكر ايضاً «وقد قيل ان خالداً صالح اهل حصن عين التمر وان هذا السبى ووجد في كنيسة ببعض الطسوج »

ويكتب كايثاني في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ص ٩٤٤) أن خالداً بعد أخذ الأنبار تقدم الى مسافة أبعد شمالاً الى عين التمر . وفي النص الذي أورده البلاذري لا نجد ذكراً لرحل في اتجاه الشمال ، وعلاوة على ذلك فان هذا الاتجاه غير وارد على الاطلاق ، اذ ان عين التمر تكاد تقع مباشرة جنوب الأنبار .

وعلى العموم ، تتفق رواية البلاذري مع تلك التي جاء بها سيف . ويدون البلاذري ايضاً ( المصدر نفسه ، ص ٢٤٨ ) ان هلالاً بن عقة قاد قطعات الاسناد العربية التي كانت تقاتل مع خالد . وفيما يتعلق بواقعة عين التمر لا بد من التمييز بين الحصن الذي فيه حامية من جنود وبين القرية الحقيقية نفسها . اما جنود الحامية فقتلوا الا أن صالحاً عقد مع السكان الاصليين . وهذا يفسر أيضاً التباين الواضح بين الروايات المختلفة . وفي الحسيبة ايضاً استسلم الأهليون بعد ان هربت الحامية الفارسية . على انه كما اريقت الدماء امام الحيرة ، كذلك اريقت الدماء امام عين التمر . والرواية تعطي اسماء الأنصار ( وهم اوائل المؤمنين الذين ناصروا النبي (ص) ) الذين استشهدوا أمام عين التمر ( البلاذري في الموضع نفسه ) . ولهذا السبب يناقض كايثاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٤٠ ، ملاحظة ٣ ؛ ص ٩٤٥ ، ملاحظة ٢ ، وفي اماكن أخرى ) المصادر عندما يذكران الحملة الأولى ضد بلاد فارس كادت تتم دون اراقة الدماء . ويذكر البلاذري ، في المصدر السابق ، ( ص ٢٤٩ وما بعدها ) ان خالداً ، وفقاً لبعض الروايات ، سار من عين التمر متوجهاً الى الشام ، الا ان وفقاً لآخرين ، أتى دومة من عين التمر ففتحتها ثم اقبل الى الشام ، وأصبح ذلك مضيه من دومه وبعد استيلائه على هذه الواحة ، عاد الى عين التمر وسار الى الشام منها وليس من الحيرة . اما تاريخ الحملة فكان في شهر ربيع الأول وفقاً لبعضهم ، وربييع الثاني وفقاً لآخرين . ويضيف كايثاني على هذا ( في المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٤٧ ، ملاحظة ١ ) ان البلاذري أبى تصديق رواية حملة خالد على دومة الجندل على الاطلاق . الا أن هذه الملاحظة ليس لها ما يبررها . فالبلاذري لا يغامر برأي عن الحماية على دومة الجندل ، برغم انه يتابع شهوداً ثقات ، فيذكرها مرتين بدون تعليق . وكلما فعله انه يحدد نقطة بداية حملة خالد على الشام .

ويناقش كايثاني ( في المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ١١٩٣ وما بعدها ، ملاحظة ١ ) أن البلاذري لا يُلزم نفسه بصراحة بشأن الموضع الذي

بأخيراً خالده منه . ويصحح كلاً من البلاذري والمدايني بالاصرار على ان الرواية  
نعطي التاريخ الدقيق لمغادرة خالده من اليمامة ( وليس من العراق ) على انه  
عام ١٢ هـ ( ١٨ آذار ( مارس ) ، ٦١٦٠ م حتى ٦ آذار ٦١٤ م ) . ومع ذلك  
فان محتويات الرواية باكملها تبين انها تتعلق بالحملة من العراق الى الشام وليس  
بتلك الحملة من اليمامة الى العراق . ثم اننا اذا أخذنا برواية البلاذري  
واعترفنا بأنه يحدد مغادرة خالده الى الشام ، فإننا نجد ثانية انه في الرواية الأصلية  
لا بد ان كان المقصود بها الفترات السنوية الثابتة للربيع وليست شهور الربيع  
المتحركة . وقد عرف الاعراب النهر الاول والثاني ، وحتى الثالث ، من فترة الربيع  
وهي فترة سنوية من النماء النزر تستمد من حوالي ٢٠ شباط ( فبراير ) الى ٢٠ ايار  
( مايو ) ؛ وهكذا يتوافق شهرهم الاول والثاني من الربيع مع الجزء المتأخر من  
شباط وآذار والنصف الأول من نيسان ( ابريل ) عندنا .

روى ابو يوسف في « الخراج » ( القاهرة ١٣٠٢ ص ٨٥ - ٨٧ ) عن  
ابن اسحاق وآخرين ان خالداً بعد استيلائه على الحيرة مضى الى بانقيا على شط  
الفرات « ثم ان خالداً رجع الى النجف ، فاستبطن بطن النجف واخذ الادلاء  
من اهل الحيرة حتى انتهى الى عين التمر ، فنزل بعين التمر وبها رابطة في  
حصن ، فحاصره حتى استتر بهم فقتلهم وسبى نساءهم وذريتهم واخذ ما  
كان في الحصن من المتاع والسلاح والدواب ، واحرق الحصن وحرقه ، وقتل  
دمشق عين التمر . وكان رجلاً من العرب ، وسبى نساءه وذريته واهل بيته ،  
واعطاه اهل عين التمر الجزية كما اعطاه اهل الحيرة وغيرهم من اهل القرى ،  
وكتب لهم كتاباً على ما كتب لأهل الحيرة وكذلك لأهل أليس فهو عندهم .  
ثم بعث سيد بن عمرو الانصاري في جمع من المسلمين حتى انتهى الى  
صنودا وفيها قوم من كندة ومن اياد نصاري فحاصروهم اشاء الحصار ثم  
صالحهم على جزية يؤدونها وأسلم من اسلم .

وكان خالده اراد ان يتخذ الحيرة داراً يقيم بها فاتاه كتاب من ابي بكر

(رفض) ان الحق بابي عبيدة حين اناه كتاب ابي عبيدة يستمده ، فتوجه من من الحيرة مع الادلاء منها ومن عين التبر حتى قطع المقازة ، فلما قطعها وقع في بلاد بنى تغلب فقتل منهم قوماً كثيراً وسبى ،

ثم مضى من بلاد تغلب ومضى معه ادلاء من اهلها حتى اتى النقيب والكواثل فلقى جمعاً كثيراً لم ير مثله إلا في اهل اليمامة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل خالد عدة بيده ، واغار على ما حولها من القرى فاخذ اموالهم وما كان لهم وحاصرهم ، فلما اشتد الحصار عليهم طلبوا الصلح على مثل ما صالح عليه اهل عانات ، وقد كان مريبلاذ عانات فخرج اليه بطريقها فطلب الصلح فعصاه واعطاه ما اراد . .

وخرج منهم عدة ادلاء فانحدوا على النقب والكواثل فصالحوه على مثل ما صالحه عليه اهل عانات ، وجرى الصلح بينهم وكتب بينه وبينهم الكتاب على ذلك ثم مضى حتى اتى الى بلاد قرقيسيا فأغار على ما حولها فاخذ الاموال وسبى النساء والصبيان وقتل الرجال وحاصر اهلها اياماً ، ثم انهم بعثوا يطلبون الصلح فاجابهم الى ذلك واعطاهم مثل الذي اعطى اهل عانات .

ويرى كاتباتي ، في المصدر السابق ( المجلد ٢ ، ص ١١٩٩ ، ملاحظة ٢ ) ان رواية ابي يوسف هذه قيصة بوجه خاص لأنها لا تذكر الاستيلاء على الانبار مما قد يحسمنا على اعتبارها بسبب ذلك حكاية من اسبج خيال أجيال لاحقة . ويبدو لي ان كاتباتي يعلق اهمية كبيرة جداً على صحت هذه الرواية لان ابا يوسف لا يشير الى قراقر ولا الى سواء برغم ان خالداً زار الموضوعين كليهما . وبرغم ذلك يبدو ان ابا يوسف يؤكد رواية الاستيلاء على الانبار بذكر صندودا . ووثقاً لابن المقصد ، نفسي الاعتبار ( ديرنبورك ، ص ١٢٧ وما بعدها ) فقد كانت صندودا ، الواقعة بقرب الرمادي الآن ، تعتبر صاحبة من ضواحي الانبار .

وفي رواية ابي يوسف الكثير مما هو مفقود في رواية ابن اسحاق ،

التي يشير إليها ، إلا أنها تتفق اجمالاً مع الرواية التي قدمها لنا سيف ، لأن أبا يوسف ، مثله كمثل سيف ، كان يعلم بأنخبار الحملة إلى الشمال الغربي من عين التمر . فهو يتحدث أولاً عن هذه الحملة في سياق حملة خالد إلى الشام ، إلا أنه بعد وصفه الاستيلاء على قرقيسيا يقطع الرواية دون ذكر ما إذا عاد خالد من هناك إلى الحيرة أم توجه مباشرة إلى الشام . فهو يذكر عين التمر أيضاً على أنه تم الاستيلاء عليها قبل مغادرته إلى الشام : ومن الطريف ذكره أن خالداً بحث عن ادلاء في الحيرة لايصاله إلى عين التمر ، وهو أمر ما كان ليفعله لو كانت الأرض بين الحيرة وعين التمر تعود إلى حلفائه ورفاقه من قبيلة بكر بن وائل . وفي عين التمر يميز أبو يوسف بين السكان الأصليين الذين لم يُبدوا مقاومة لخالد ، وبين الحامية الفارسية - مع اعوانها العرب ممن كان على خالد أن يخضعهم . أن الدهقان العربي الذي أعلم بأمر من خالد كان دون شك قائد هؤلاء الأعوان الذين سبق أن اعترفت بهم الحكومة الفارسية .

ويذكر أبو يوسف بعد روايته الخاصة بالاستيلاء على عين التمر ، رواية من المحتمل أنها نشأت في العراق وترسخت في قرية صندودا . فبالاستناد إلى أبي الفضائل ( المراسد [ جوينبول ] المجلد ٢ ، ص ١٦٨ ) ، الذي توفي في عام ١٣٣٨ م ، أن صندوداء قرية كانت في غربي الفرس خربت وبها مشهد لعلي بن أبي طالب . وفي زمان ابن الكلبي ( توفي عام ٨١٩ ) كانت صندودا ملكاً لعائلة ابن حرام الأنصاري التي عاشت هناك . ومن المحتمل أن هذه العائلة هي التي خلقت الأسطورة التي دونها أبو يوسف عن سلفها سعيد بن عمرو بن حرام ، الذي أرسله خالد إلى صندودا . نقل ابن الكلبي هذه الرواية من العراق إلى المدينة حيث قوبلت بالتصديق ، لأنها كانت تتعلق بأنصاري . ومن الغريب أن سيفاً لم يذكر شيئاً عن هذه الحملة إلى صندودا . وأن سعيد بن عمرو لم يرد ذكره في أي موضع آخر ماعدا كتاب أبي يوسف . حقاً إنه ليس من المحتمل جداً أن يكون سعيد قادراً على الإقامه في قرية صندودا على

أثر وفاة أبي بكر ، عندما أُخرج جميع المسلمين تقريباً من العراق . ومع كل ذلك ، فإن نص أبي يوسف التالي ، « أقام سعد بن عمرو في صندودا في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان حتى مات ، وولده هناك الى اليوم » ، مما يبرهن على أنه حتى جماعة المدينة ائتمرت ان حماة خالدا ليست مجرد غارة بل حملة عسكرية منتظمة ، هدفها فتح قطر والتمسك به بعد فتحه .

واستناداً الى أبي يوسف فمن المحتمل أنه كانت نية خالد جعل الحيرة محل اقامته والبقاء في العراق بصورة دائمة . ومن المؤكد ان هذه الفكرة ما كانت لتخطر بباله لو كانت مجرد غارة بحسب تفكيره . ان نية خالد المفترضة هذه او خطته تفضي بنا الى الاعتقاد انه في ذلك الوقت كان مستولياً على منطقة اوسع من مجرد المنطقة المجاورة للحيرة . انه ما كان في مقدوره الاقامة في الحيرة والقيام منها بغارات متكررة لازعاج الفرس إلا بعد تأكده من طاعة جميع الاعراب أو تعاطفهم ، وهم الاعراب المقيمون الى الشمال الغربي والجنوب الغربي من البلدة . ولو كان الامر بخلاف ذلك لكانت اصبحت اتصالاته بالمدينة معرضة للاضطراب بسهولة . إن ضرورة ضمان هذه البقعة من القطر تجعل مساعي خالد الحربية السابقة بين الخليج العربي والحيرة تبدو محتملة جداً . كما توضح سبب عدم توفر اي بديل لخالد سوى كسب قبيلة تغلب الى جانبه ، وهي التي كانت تنتقل من الحيرة الى الشمال الغربي حتى الرصافة .

### حملة خالدا على قبيلة تغلب

وفي بحثنا حملة خالد على قبيلة تغلب ، كما في معالجتنا لتقدمه على الحيرة ، دعنا أولاً نناقش الأخبار التي وصلت الينا في كتابات ممثلي جماعة رواة المدينة ، ومن ثم نتطرق بعد ذلك الى الرواية الأكثر تفصيلاً وهي تلك التي قدمها سيف ابن عمر من جماعة الكوفة .

## رواية جهنمة أهل المدينة رواية أبي يوسف

استناداً إلى أبي يوسف (انظر ما سبق ص ٤٧١) وما بعدها فإن أبا بكر طلب من خالد الذهاب لنجدة أبي عبيدة في الشام . ان هذا الأمر يحتملنا على الاعتقاد ان جيش أبي عبيدة لا بد انه كان قدامه مضي عليه بعض الوقت في الشام . ولا يصحف أبو يوسف تقام خالد إلى الشام ، وانما يصحف الثارات على اراضي تغلب فقط . تقدم خالد من الحيرة إلى عين التمر ومن هنا ، بارشاد ادلاء من أهل هاتين المدينتين تقدم إلى الشمال الشرقي . ولا يحسد أبو يوسف الطريق الذي سلكه خالد الا انه يتحدث عن المفاوز التي كان عليه اجتيازها فقط للوصول إلى مغارب تغلب . ولنا ان نستنبط من هذا انه تقدم من عين التمر باتجاه الشمال عن طريق عقاة حوران إلى اراضي قبيلة تغلب . اما بصدد الأحداث اللاحقة فيبدو ان ابا يوسف قد دمج روايتين . فاستناداً إلى الأولى يبدو ان خالداً كان قد تقدم إلى الشمال من البصري ، ومن هناك ، وبعد ان شئت التخليين ، عاد إلى شرعيب النقيب وعن طريق الكواثل إلى عانات ؛ واستناداً إلى الرواية الأخرى فإنه ، على كل حال ، زحف عن طريق عانات والنقيب والكواثل إلى قرقيسيا . وأجبر هذه البلدة على الاستسلام . وتضمن الرواية الأولى ان خالداً اخترق النقيب والكواثل في عودته من الشمال إلى الجنوب ؛ اما الثانية فإنه اجتازهما في طريقه من الجنوب إلى الشمال . ان موقع عانات معروف . فهي عانة الحديثة ، على الضفة اليمنى للفرات . وكانت تدعى سابقاً عانات ( جمع عانة ) لأنها كانت في الحقيقة تتألف من أربع قرى ، اثنتان منهن تقعان على الضفة اليسرى ، وواحدة على اليمنى ، وواحدة على الجزر . ثم صارت القرية الغربية على الضفة اليسرى تدعى ( راوة ) ؛ ولما هجرت القرية الشرقية إلى القرية التي على الجزيرة ، بقيت عاتة التي تقع على الضفة اليمنى . ان الكواثل ( او الكواثل ) مححلة هامة ، ومعروفة لدى المؤلفين العرب ، على الطريق من القباقيب إلى الرجبة وهي تقع غرب بلدة الميادين الحديثة وتحمل اسم الكواثل ( او عقولا ) .



ويود كايثاني ، في المصدر السابق ( المجلد ٢ ، ص ١٢٠٣ ، ملاحظة ١ ب )  
ان يطابق الكواتل بكرابلة الحالية الواقعة على الضفة اليمنى للفرات ، فوق  
بلدة عانة . الا انه يستحيل ذلك ، لانه يناقض ما يؤكدّه الجغرافيون العرب .  
وانها لحقيقة ثابتة ان الكرابلة ليست على الضفة اليمنى ، وانما هي جزيرة سكنها  
مهاجرون من كربلا ، والذين يدعون بكرابله .

فالشُعيب ( شُعيب صغير ) هو اسم الشُعيب عبر سلسلة جتنب البشري الجبلية  
على الطريق من محطة القصيبه الى الدركليه . وتقع قرقيسيا ، وهي قرقيسوم  
القديمة ، على الضفة اليسرى للفرات ، عند فم الخابور . وعلى عهد خالد كانت  
قرقيسيا حصناً ثغرياً منيعاً للامبراطورية البيزنطية ضد الفرس ، وكانت فيها حامية  
رومية كبيرة . فلو كان خالد قد استولى على هذه البلدة لتناقلت الرواية الحدث  
تخليلاً له ، لانه كان سيُعتبر اول لقاء مع الروم ( البيزنطيين ) ولما كان  
بامكان سيف اغتيال ذكره . وعلى هذا ففي الامكان استبعاد الرواية الثانية لعدم  
كفاية الأدلة في قصته ابي يوسف التي اشرنا اليها والتي وردت فيها الاشارة الى  
الاستيلاء على قرقيسيا . وبما ان الرواية الاولى تتضمن ان خالد عاد من البشري  
حتى عانت في الأقل ، فلما ان نفترض مسلمتين انه استمر في عودته باتجاه جنوبي  
الى الحيرة ، وان الحملة على التنبليين كانت مستتلة تماماً عن زحفه التالي الى الشام .  
وباستبعاد فان تفسيرنا لهذه الحملة هو كما يلي : سلك خالد في حملته  
المخارجية الدريق المار بمقالة حوران متوقفاً الصحراء ووصل الى مخيم تغلب قرب  
الرصافة ؛ وهنا استدرك الى الجنوب . وفي عودته تقدم باتجاه الفرات . وبعد ان  
اجتاز جبل البشري من خلال مضيق الشُعيب شتيم في الكواتل . ومنها  
قامت تلالها بالانغارة على القرى الواقعة على الضفة اليمنى للفرات مقابل  
قرقيسيا . وبما ان كثيراً من هذه القرى كانت تعود الى أهل هذه البلدة ، نشأت  
عن ذلك فيما بعد رواية مفادها انه أجبر البلدة على الاستسلام ايضاً . ومن ثم  
سار باتجاه الفرات حتى بلغ بلدة عانة الكبيرة ، التي وافق أهلها ايضاً  
على دفع جزية سنوية ، ومن هناك عاد الى الحيرة .

## روايتا اليعقوبي والدينوري

يذكر اليعقوبي في تاريخه ( موطئنا ، المجلد ٢ ص ١٥٠ وما بعدها )  
« ثم كتب ابو بكر الى خالد بن الوليد ان يسير الى الشام ويخلف المثنى بن حارثة  
بالعراق ، فنفذ خالد في اهل القوة ممن كان معه وخلف المثنى بن حارثة الشيباني  
مع بقية الجيش بالعراق ، وسار خالد الى الشام فلما صار الى عين  
التمر لقي رابطة لكسرى عليهم عقه بن ابي هلال النمري ففتحوا منه ، ثم  
نزلوا على حكمه فضرب عنق النمري

ثم سار حتى لقي جمعاً لبنى تغلب عليهم الهذيل بن عمران فقدمه فضرب  
عنقه وسبى منهم سبائا كثيرة بعث بهم الى المدينة ، وبعث الى كنيسة  
اليهود فاخذ منهم عشرين غلاماً

وصار الى الأنبار فاخذ دليلاً يده على طريق المفازة ؛ فدمر بتامر ففتحوا أهلها  
فاحاط بهم ففتحوا له وصالحهم ، ثم مضى الى حوران فقاتلهم قتالاً شديداً  
فقتل ان خالد سار في السرية والمفازة ثمانية ايام حتى وافاهم «  
يفترض اليعقوبي في روايته مقصداً ، شأنه كشأن رواية ابي يوسف ، ان  
خالداً أرسل لنجدة جيوش المسلمين لاحتراز نصر في الشام . ولا يحدد اليعقوبي  
المكان الذي انطلق منه خالد متوجهاً الى الشام ، الا ان السياق يشير الى الحيرة  
ومن هناك زحف الى عين التمر .

ويذكر كاتيتاني ، في المصدر السابق ( المجلد ٢ ، ص ٩٤٩ ، ملاحظة ١ )  
ان عين التمر تقع شمال غربي الأنبار ؛ وعلى اي حال فان ذلك غير صحيح .  
اذ ان هذه القرية الهامة كانت ولا تزال تقع على بعد تسعين كيلومتراً تقريباً  
جنوبي الأنبار . ويستبدل كاتيتاني ( الموضع نفسه ) ، بالأنبار — خطأً كذلك —  
منهل قُرافر . ويتجاهل كاتيتاني ما ثبت من أن مراجع أخرى تذكر ان المناوشة  
التي قتل فيها الرئيس الهذيل بن عمران وقعت عند المصبيح . ويفترض انه لو  
كانت الأنبار صحيحة لكان لازماً على خالد ان يعود ادراجه من عين التمر

الى الانبار . ولما كانت مثل هذه العودة تبادى مستحيلة فقد تجاوز كاتيانى هذه الصعوبة بوضعه قراقر مكان الانبار ، التي لا يضعها اي جغرافي او مؤرخ عربي في منطقة الفرات .

ويظن كاتيانى ان خالداً ما كان ليستطيع ايجاد دليل في مدينة الانبار الثغرية ، ولكن يعقوبي لا يقول بوضوح ان الدليل كان فعلاً من اهل هذا المكان . فالانبار كانت نقطة بداية خطوط النقل المؤدية عبر الصحراء ؛ وتبعاً لذلك يمكن بالتأكيد ايجاد عدد كبير من الأدلاء العارفين بطرق الصحراء هناك . ففي مراكز تجارية من هذا النوع من الطبيعي العثور على أدلاء أفضل من أولئك الذين تجددهم في الصحراء ذاتها . فلو كان خالداً ، على اي حال ، قد تقدم شمالاً غربياً بمحاذاة الفرات ، كما يتصور كاتيانى ، الذي يبحث عن قراقر في تلك المنطقة ، لما احتاج الى دليل على الاطلاق .

ويقول يعقوبي ان خالداً اثناء ذهابه من الحيرة الى الشام وصل الى عين التمر وقام بغارة على التفلبيين بزعامة الهذيل بن عمران . وكما نعلم من مصادر أخرى ، فان الهذيل خيّم عند المصيخ . ففي هذه الحالة كان ينبغي لخالداً قطع ٢٧٠ كيلومتراً من الحيرة الى المصيخ ( عين الارنب ) باتجاه شمالي غربي ثم العودة باتجاه جنوبي شرقي مسافة ١١٥ كيلومتراً الى الانبار . وهناك ، بعد حصوله على دليل متدبر ، كان ينبغي عليه التقدم خلال منطقة موحشة الى الشمال الغربي حتى يبلغ تدمر ، ومن هناك كان يمكنه الوصول الى حوران . ولاسباب طوبوغرافية ، فان مثل هذا الزحف غير محتمل اطلاقاً . فليس من السهل أن نفهم لماذا لم يقيم خالداً ، وهو الذاهب لخدمة جيوش المسلمين في الشام ، بالذهاب مع صفوفه محاربيه من أقصر الطرق واسهلها عن طريق قراقر ، او لماذا كان عليه الدخول الى اراضٍ غريبة لم تفتح بعد ، وبما ان التفلبيين لا بد ان كانوا ساهتمين للذبح اقربائهم في عين التمر والمصيخ ، فانهم ولا شك كانوا سيهاجمون خالداً او في الاقل يمحرقون تقدمه اثناء زحفه من الانبار الى تدمر خلال ما يقارب خمسمائة كيلومتر في اراضيهم . وعندما عاد خالداً

الى الانبار بعد مصرع الهذيل ليستعد هناك للزحف على تدمر خلال الصحراء فان التغلبين لو علموا بهذه الخطة لكان لهم متسع من الوقت للجمع وخلق متاعب له . وكل ما كان ينبغي لهم فعله هو القيام بتسييم منهلين في الصحراء بالقار أو الجراد أو الحيوانات النافقة ، وحينذاك ما كان خالد يستطيع انقاذ جنده من الموت عطشاً . اما إن كان قد تقدم بجلاء الفرات لكان عليه التغلب ليس على مقاومة الثرى الكبيرة المتعددة فحسب بل والتغلب ايضاً على هجمات التغلبين الماورين من أمامهم ومن خلفهم . إنني اشك إن كان في استطاعته التغلب على كل هذه الهجمات بجيشه المنتقى ، والصغير مع ذلك ، في مسيرة تتجاوز ثمانمائة كيلومتر .

وفي ظل التحكم التركي . الذي من المحقق لم يكن أقوى من الفرس والبيزنطيين في تلك اليهود . ما كان لأي رئيس حاز واحتى دومة الجندل ومنع من السرحان ان يسير بسحاذ الفرات الى الشام بجيش لا يفوق جيش خالد قوة . بل كان سينتار الطريق المار بقرقر ( قراجر ) الأسهل والأكثر اماناً . ومن المناسب ان نضيف ان خالداً في زحفه على الشام لا بد أنه لم يكن مجهزاً تجهيزاً كافياً لاحتصار مدن ثوري في منعة عين التمر . ويمكن ان يقال مثل ذلك بالنسبة للانبار . وانما يمكن ان نفترض ان اليعقوبي يربط بزحف خالد على الشام احداثاً سابقة بالضرورة ذلك الزحف . وفضلاً عن ذلك ، لا يقدم اليعقوبي اية تفاصيل تتعلق بزحف خالد عبر الصحراء . واستناداً الى رواية واسعة ذكرها اليعقوبي ( نفس الموضع ) ، فان خالداً لبش ، في الصحراء وفي منطقة تقتقر الى الماء مدة ثمانية أيام . ولم يظهر لنا من أين وإلى أين يجب احتساب مياه المسيرات الثمانية . وفي رأيي فان المسيرات الثمان يجب ربطها بالليالي الخمس ( اي ست مسيرات ) بين قرقر وسوء ، مما يرد عنها الشيء الكثير في الروايات الاسلامية ، كما نربط بالمسيرتين من سوء الى مرج راهط بالقرب من دمشق في الشام ( انظر كتابي « اودية الشام » . ص ٥٥٣ - ٥٧٣ )

فلو حكمنا على رواية اليعقوبي في ضوء هذا لوجدنا انها تتألف من شذرات كثيرة غير مترابطة لا يمكن تفسيرها الا بمعونة مصادر أفضل فقط.

ويدون الدينوري ، في اخباره ، ( كويركاس م ) ، ص ١١٧ وما بعدها ) ان خالداً تسلم من ابي بكر اوامر بالاسراع بجنوده المسلمين لنصرة ابي عبيدة في الشام ، وتلبية لهذه الاوامر زحف خالد بطريق الانبار الى عين التمر وضرب حصاراً حول البلدة ، وقتل الحامية الفارسية هناك . وبعد ذلك هاجم بعض التغلبين والنمرين وفي الاخير وصل الى الشام .

وتقول هذه الرواية ان خالداً في زحفه على الشام انعطف اولاً شمالاً الى الأنبار ، ١٧٠ كيلو متراً من الحيرة ، ثم عاد تسعين كيلو متراً جنوباً الى عين التمر ، ومن هناك واصل سيره شمالاً شرقياً الى المصيخ ، لان الهجوم على التغلبين مرتبط ولا يرب بالمصيخ . ان مثل هذا الزحف الى غير محتمل الى درجة بحيث أننا لا نطلع من الدينوري على خبر ذي قيمة فيما يتعلق بالطريق الحقيقي الذي اتبعه خالد الى الشام . فاذا ما قارنا بين بيانات اليعقوبي والدينوري فسنجد انها لا تعالج الا بعض وقائع حرب خالد في العراق وعلى امتداد المفرات قبل غزوه للشام .

### رواية البلاذري

يقول البلاذري ( فتوح ص ١١٠ فما بعد ) قالوا : لما أتى خالد بن الوليد كتاب أبي بكر وهو بالحيرة خلف المشي بن حارثة الشيباني على ناحية الكوفة وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمان مئة ويقال في ست مئة ويقال في خمس مئة . فأتى عين التمر : ففتحها غزوة . ويقال إن كتاب أبي بكر وافاه وهو بعين التمر وقد فتحها ، فسار خالد من عين التمر فأتى صندوداء ، وبها قوم كندة واياذ والعجم ، فقاتله أهلها فظفر ، وخلف بها سعد بن حرام الأنصاري ، فولده اليوم بها ، وباغ خالداً أن جمعاً لبني تغلب بن وائل بالمصيخ والنخضين مرتدين ، عليهم ربيعة بن بجير .

فأناهم ، فقاتلوه فهزمهم وسبى وغنم ، وبعث بالسبي الى أبي بكر .  
فكانت منهم أم حبيب الصهباء بنت حبيب بن بُجَيْر ، وهي أم عمر بن أبي  
طالب . ثم أغار خالد على قُراقير ، وهو ماء لكلب ، ثم فوّز منه إلى سُوى ،  
وهو ماء لكلب أيضاً ، ومعهم فيه قوم ، من بَهْرَاء . فقتل حُرْقُوص بن النعمان  
البهْراني من قُضاعة واكتسح أموالهم . وكان خالد لما ركب المفازة عمداً إلى  
الرواحل فأرواها من الماء ، ثم قطع مشافرها وأجرّها لئلا تجتر فتعطش ،  
ثم استكثر من الماء وحمله معه ، فنقد في طريقه ، فجعل ينحر تلك الرواحل  
زاحاة راحاة ويشرب وأصحابه الماء من أكراشها . وكان له دليل يقال له  
رافع بن عُمَيْر الطائي ففيه يقول الشاعر :

لله دَرٌّ نافعٌ أنسى اهتدأى      فوّز من قُراقيرٍ إلى سُوى  
ماء إذا ما رامه الجيبسُ انثنى      ماجازها قبلًاك من إنسٍ يرى  
وكان المسلمون لما انتهوا إلى سُوى وجدوا حُرْقُوصاً وجماعةً معه

يشربون ويتغنّون ، وحُرْقُوص يقول :

ألا علّاني قبلَ جيشِ أبي بكر      لعلّ منايانا قريبٌ ولا ندرى

فلما قتله المسلمون جعل دمه يسيلُ في العجفة التي كان فيها شرابه . ويقال  
إن رأسه سقط فيها أيضاً . وقال بعض الرواة : إن المغنّى بهذا البيت رجل من  
كان أغار خالد عليه من بنى تغلب مع ربيعة بن بُجَيْر .

ومن الجدير بالذكر ان بعضاً من رواة البلاذري يصفون الاستيلاء على  
عين التمر قبل ابتداء حملة خالد على الشام ، الألفه وفقاً لآخرين ذهب خالد حال  
استلامه امر أبي بكر من الحيرة الى عين التمر واستولى عليها ؛ ثم زحف  
على صندودا وهزم التغلبيين على المصبيخ والحُصيد ، ثم بعد أن اخترق الصحراء  
وصل الى قراقر . ومن الصعب ان نلهم سبب اضطراب خالد الى التحول من  
المصبيخ الى الحُصيد التي يحتمل انها كانت تقع الى الجنوب الشرقي . وحتى

الزحف بذاته من المصبيخ مباشرة الى قراقر كان يتطلب التناقض كبيراً ، وفي اثناء هذا الالتفاف والى مسافة بضعة مئات من الكيلومترات ما كان خالداً يستطيع العثور على عين ماء . فلو أخذنا بهسذه الرواية كان علينا ايضاً الاعتراف انه زحف ما يقارب ستمائة كيلومتر قبل ان يبدأ حملته على الشام بصورة جادة . الا ان هذا بعيد الاحتمال بحيث اننا نفضل الاتفاق مع المجموعة الثانية من رواة البلاذري ومع ثقات آخرين ، اي مع اولئك الذين اعتقدوا ان الاستيلاء على عين التمر والغارة على المصبيخ كليهما حدثا قبل ابتداء الحملة على الشام . ولا يذكر غير البلاذري قتالاً مع الكليبيين عند قراقر . ان معاملة الجمال التي ذكرها البلاذري فقد تمت مناقشتها في كتاب المؤلف ( بادية الشام ) ، ص ص ٥٧٠ وما بعدها .

ويكتب البلاذري ان بعض المراجع تحدد موقع حكاية المغني او الشاعر في مخيم حرقوص ، بينما يحدد آخرون موقعها في مخيم ربيعة بن بـجير . وتفترض الحكاية ان المغني او الشاعر كان على علم بتقدم المسلمين . ولا يكاد يمكن ان يكون الأمر كذلك عند سوء حيث ام يكن في استطاعتهم توقع المسلمين ، الا أنه من الممكن جداً ان تكون الحالة كذلك في المصبيخ او الحصيد او البشر حيث كان التغليون يتجهزون بالسلاح لمقاومتهم . فضلاً عن ذلك ، يبدو من غير المحتمل ان يحتفل المسيحيون العرب بالقرب من سوء بالشرب والغناء في الاسبوع المقدس ( انظر كتابي « بادية الشام » ، ص ص ٥٦١ - ٥٦٣ ) ، وهو الوقت الذي قدم فيه المسلمون ، وفقاً للمناثني ( الطبري ) ، في تاريخه [ دي نخويه ] ، السلسلة ١ ، ص ص ٢١٠٨ وما بعدها ) .

### رواية الواقدي

يروى الواقدي ( البلاذري ، المصدر السابق ، ص ١١١ ) « خرج خالد من سؤى الى الكواثل ثم الى قرقيسيا فخرج اليه صاحبها في خلق فتركه وانحاز الى البر ومضى لوجهه »

ان هذه الرواية التي اوردها أفضل بمثل لجماعة المدينة هي دليل على قلة ما كان معروفاً في المدينة عن الأحداث المختلفة لحملات خالد، وعلى عدم قدرة مؤرخي المدينة على ترتيب هذه الأحداث بتسلسلها الصحيح من حيث الزمان والمكان .

ويعتقد كاييتاني ، في حواياته ( ١٩٠٥ ) ، المجلد ٢ ، ص ١٢٢٨ ) وهو الذي يود لإدخال المعارك عند المصبيخ والحصيد في الحملة على الشام ، ان خالداً بعد مغادرته سؤاء قام بالتفاف حتى قرقيسياء ، مدعياً ان أفضل مصدرين يدعيان هذا الرأي هما الواقدي والبلاذري . إلا ان كاييتاني عندما اقترح هذه النظرية لم يضع في حسابه موقع كل من سؤاء او قرقيسياء . ومن المعروف ان سؤاء كانت تقع على حدود الشام . ولهذا فان خالداً ، وفقاً لنظرية كاييتاني ، برغم أنه كان قد طُلب منه تقديم العون بسرعة الى الشام ، لم يعجل بالتحرك من سؤاء الى الغرب مباشرة الى دمشق ، بل استدار شرقاً ، وسار ثلاثمائة كيلومتر عبر صحراء مفرقة حتى الكواثل قرب الفرات ، ثم استدار شمالاً شرقياً الى قرقيسياء ، ومن هناك ذهب الى الصحراء ، ومن خلالها عاد ثانية الى الشام . أظن اننا على حق في افتراض ان رواية الواقدي عن مسيرة خالد من سؤاء الى الكواثل وقرقيسياء لا علاقة لها بالحملة على الشام وانها ليست في موضعها الصحيح . ان ذكر الواقدي للكواثل وقرقيسياء ، مع هذا ، مهم جداً ، اذ انه يبرهن على ان جماعة المدينة ربطوا هذه الاماكن بحملة خالد في العراق ، وعلى هذا فان غارته على التغابيين لها اساس تاريخي . ان معاهدة الصلح التي اوردها ابو يوسف ، في خراجة ، ( القاهرة ، ١٣٠٢ هـ ) ، ص ٨٧ ( انظر ما سبق ، ص ٤٧٢ ) لا يمكن تصورها ، لان الواقدي يؤكد ان خالداً انما نجا بنفسه من هزيمة تامه بفراره الى الصحراء فقط . ولا يُسَعَفنا الواقدي بالقول الى اين ذهب بعد هذه الانتكاسة واي اتجاه سلك . واغلب الاحتمال ان عودته بمحاذاة الفرات الى الحيرة تتضح من إغفاله ذكر ذلك .



## رواية جماعة الكوفة رواية سيف بن عمر من الحيرة الى عسین النمر

قدمت لنا جماعة الكوفة رواية اكثر تفصيلاً عما حدث بعد سقوط الحيرة ، وكان سيف بن عمر ممثلاً الرئيس ( الطبري ) ، في تأريخه [ دي خويه ] ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٤٩ . فيروى سيف :

« ولما صالح اهل الحيرة خالدا خرج صلُّوبا بن نسطوراه صاحب قُسن الناطف حتى دخل على خالده عسكره فصالحه على بانقييا وبسما وضمن له ماعليهما وعلى ارضيهما من شاطئ الفرات جميعا ، واعتقد لنفسه واهله وقومه على عشرة الآف دينار سوى الخزرة خزرزة كسرى ، وكانت على كل رأس اربعة دراهم وكتب لهم كتابا فتمتوا وتم ولم يتعلّق عليه في حال غلبه » . وقد روى سيف ان الاتفاق بين خالد وصلوبا تم في شهر صفر ، وهذا من المحقق لا يعني شهر صفر المتحرك ، بل الفصل السنوي الثابت صفر ، اي الخريف .

ويظن كايثاني ( ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٦٦ ، ملاحظه ١ ) أن موقع قسيان ( او قسيانها ، كما ينقل حروفها كيتاني ) غير معروف وان هذا الموضع غيز مذكور في اي مكان آخر . ولذا فهو يصنفها مع الاسماء غير المألوفة المتعددة الأخرى التي حافظ عليها سيف وحده . ومسح ذلك فإن كايثاني نفسه يعرف ويحدد موقع هذا المكان حيثما يكتب في موضع آخر ( المصدر نفسه ، ص ٩٢٩ وما بعدها ، ملاحظة ٣ د ) أنه غير بعيد عن باروسماء تقع « باقسيانها » حيث همزم ابسو عبيدة الفرس عام ١٣ للهجرة . ان قسيانها تطابق « قسيانها » عند كايثاني ( الطبري ) ، المصدر السابق ، سلسلة ١ ، ص ٢٠٣٢ . وتطابق باقسيانها ( با [ بيت ] قسيانها ) عند الطبري ( المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢١٧٢ ) وهو مكان معروف ايضاً عند الجغرافيين العرب باسم قُسن الناطف .

وياء كرياتوت، في معجمه (دستنبد)، المجلد ٤ ، ص ص ٩٧ وما بعدها ) ان  
« تُس الناطف موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي ، والموحة  
موضع على شاطئ الفرات الغربي كانت بسه وقعه بين المسلمين والفرس  
في سنة ١٣ للهجرة . . »

ويستمر سيف قائلاً « اقسام خالسد بن الوليد فيما بين فتح الحسيرة الى  
خروجه من الشام اكثر من سنة يعالج عمل عياض الذي سمي لسه  
( الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٥٦ ) في منطقة كان إخضاعها  
وكولاً الى عياض بن غنم . الا ان عياضاً كان تحت ضغط شديد  
في دومة ، وان جنود الفرس كانوا يقيمون بحماية العسین والأنبار والفراس .  
وحسب السياق فان دومة هذه لا بد أن كانت دومة الجندل ، تماماً كما  
كانت العين ولا شك عين النعم الشهيرة . وعين التمر والفراس تقعان غربي  
الفرات والأنبار الى شرقه ، وكانت جميع المواقع الثلاثة مراكز نقل هامة للغاية .  
فكل من يسيطر عليها وكذلك على واحة دومة الجندل الواسعة يعتبر السيد الحقيقي  
لبلاد العرب الشمالية . والآن ، إن كانت نية ابي بكر فتح بلاد العرب بأكملها ،  
كما يزعم سيف ، متابعاً ما ادعته عدة مراجع ، في اربعة اماكن مختلفة ، فإن  
ارسل عياض بن غنم الى الشمال الشرقي لبلاد العرب كان عملاً يدل على  
حنكة فائقة . وكان واجب عياض تسهيل الطريق لخالد ومن ثم بصورة غير  
مباشرة حماية المسلمين الذين كانوا يتقدمون في الشام من التعرض للالتفاف عليهم .  
ولما لم يكن عياض قادراً على انجاز هذه المهمة ، وكان القصد منها اولاً احتلال  
واحة دومة ، فلم يكن لخالد من خيار سوى الذهاب لمساعدته ( المصدر نفسه ،  
ص ص ٢٠٥٧ وما بعدها ) . وفي ذلك الوقت كانت المنطقة غربي الفرات  
بأكملها من الفلايج والحيرة الى الخليج العربي قد دخلت تحت سيطرة خالد .  
وكان حلفاؤه الاعراب بقيادة الرئيس المشني يراقبون تحركات الفرس شرقي  
الفرات ، بينما انطلق خالد الى الشمال الغربي من الحيرة متجهاً الى كربلاء .  
ويزعم كاتيتاني في المصدر السابق ( المجلد ٢ ، ص ص ١١٩٣ وما بعدها ،

ملاحظه ١ أ) استناداً الى رواية جماعة المدينة ، ان منجزات خالد العسكرية في العراق كانت غير ذات شأن بحيث ان مدتها المزعومة البالغة سنة واحدة غير ممكنة ابداً ، ان أفضل الرواة يؤكدون ان جميع اعماله شسالي الحيرة وقعت اثناء حملته على الشام . — وانما يقول كابتاني كل هذا لانه يتعرف في جميع هذه التواريخ تلك الاشهر الخاصة بازمة لاحقة ، وليس الفصول السنوية الثابتة التي وردت في الرواية الأصلية . انه يحاول التخلص من الصعوبات المترتبة دون ان يعتبر انه ما كان من طبيعة خالد القيام بمغامرات متنوعة تتطلب رجالاً كثيرين ووقتاً طويلاً بعد تسلمه الاوامر من ابي بكر ، الذي تمنى له التوفيق ، يحثه فيها على الاسراع لنصرة المسلمين في الشام .

ويخبرنا سيف ان خالداً انطلق مسن كربلاء الى الأنبار ( الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ص ٢٠٥٩ وما بعدها ) .

« قالوا خرج خالد بن الوليد في تعبته التي خسر ج فيها مسن الحيرة وعلى مقدمته الأقرع بن حابس فلما نزل الأقرع المنزل الذي يسلمه الى الأنبار انتج قوم من المسلمين ابلهم فلم يستطيعوا العرجة ولم يجدوا بداً من من الاقدام ومعهم بنات مخاض تتبعهم فلما نودى بالرحيل صرّوا الأمهات واحتقبوا المتوجات لانها لم تطلق السير فانتهوا ركبانا الى الأنبار وقد تحصن اهل الأنبار وخندقوا عليهم واشرفوا من حصنهم وعلى تلك الجنود شيرزاد صاحب سابط وكان اعقل اعجمي يومئذ واسوده واقنعه في الناس العرب والعجم فتصايح عرب الأنبار يومئذ من السور فيبناهم كذلك قدم خالد على المقدمة فاطاف بالخندق وأنشبت القتال وكان قليل الصبر عنسه اذا رآه او سمع به وتقدم الى رمايته فأوصاهم وقال إنني ارى اقواما لا علم لهم بالحرب فأرموا عيونهم ولا تَوَخَّوْا غيرها ، فرموا رشقا واحدا ، ثم تابعوا ففقد ألف عين يومئذ فسميت تلك الوقعة ذات العيون ، وتصايح القوم ذهب عيون اهل الأنبار فقال شيرزاد ما يقولون ففسر له فقال « آباء .

فراسل خالدا في الصلح على أمر لم يرضه خالك فزدد رسله ، وأتى خالك  
اضيق مكان في الخندق بزدايا الجيش فنجرها ثم رمى بها فيه فافعمته ثم اقتحم  
الخندق والرذايا جسورهم فاجتمع المسلمون والمشركون في الخندق وأرز  
القوم الى حصنهم وراسل شيرزاد خالدا في الصلح على ما اراد فقبل منه على  
ان يخليه ويُلحقه بمأمنه في جريدة خيل ليس معهم من المتاع والاموال  
شيء فخرج شيرزاد .

والأنبار الواقعة كما هي الآن على التواء الشمالي الغربي من السهل  
الرسوبي للعراق ، سيطرت في الأزمنة القديمة على معبر هام على الفرات .  
وحالما أصبحت هذه البلدة الثغرية بيد خالك لسم يبق ما يستوجب التوجس  
من هجوم فارسي مفاجي على الحيرة من الشمال الغربي . وكان أهل الأنبار  
عرباً يعرفون سبل التعامل مع الأعراب ، لما تركوا أمر الدفاع عن البلدة الى  
الحامية الفارسية في الحصن وقاموا هم انفسهم بعقد ميثاق مع جيش المسلمين  
المتفوق عليهم .

وبعد استيلاء خالك على الأنبار ، يستمر سيف قاتلاً ( المصدر نفسه ،  
السلسلة ١ ، ص ص ٢٠٦٢ وما بعدها ) ، « ولما فرغ خالك من  
الأنبار واستحكمت له استخلف على الأنبار الزبيرقان بن بدر  
وقصد لعين التمر وبها يومئذ مههران بن بهرام جوين  
في جمع عظيم من العجم ، وعقته ابن أبي عقبة في جمع عظيم من العرب من التمر  
وتغلب وايد ومن لاقيهم .. ، ونزل عتته لخالد على الطريق وعلى ميمته بجير  
بن فلان احد بني عبيد بن سعد بن زهير ، وعلى ميسرته الهذيل ابن عيمران وبين  
عقته وبين مهرا روحة او غدة ، ومهران في الحصن في رابطة فارس ، وعقته  
على طريق الكرخ كالحفير ، فقدم عليه خالك وهو في تعب جنده ، فبى خالك جنده  
وقال لمحبتيه اكفونا ما عنده فأتى ، حامل ووكل بنفسه حوامي ثم حمل

وعقّة يقيم صفوفه، فأحتضنه فأخذه اسيراً وانهزم صفته من غير قتال فأكثرُوا فيهم الأسر، وهرب بُجّير والهذيل، واتّبعهم المسلمون. ولما جاء الخبر مهران هرب في جنده وتركوا الحصن؛ ولما انتهت فُلّال عقّة من العرب والعجم إلى الحصن اقتحموه واعتصموا به، واقبل خالد في الناس حتّى نزل على الحصن ومعه عقّة أسير وعمرو بن الصّعق وهم يرجون أن يكون خالد كمن كان يُغير من العرب فلمّا رأوه يحاولهم سألوه الأمان فأبى إلاّ على حكمه، فسلسوا له به، فلمّا فتحوا دفتهم إلى المسلمين فصاروا مساكاً، وأمر خالد بعقّة وكان خفير القوم فضربت عنقه ليؤثس الأسراء من الحياة ولما رآه الأسراء مطروحاً على الجسر يسوا من الحياة، ثم دعوا بعمر بن الصّعق فضرب عنقه وضرب اعناق أهل الحصن اجمعين وسبى كلّ من حوى حصنهم وغنم مافيه، ووجد في بيعتهم اربعين غلاماً يتعلّمون الانجيل عليهم باب مُغلّق فكسره عنهم وقال ما انتم؟ قالوا رهّئ، فقسّمهم فسي أهل البلاء. وبعض اجزاء هذه الرواية لا يخلو من فائدة كبيرة، فترى ان الواحة العظيمة التي تقع عين التمر فيها لم تعد ملكاً لقبيلة بكر بن وائل، بل ان قبائل أخرى وخاصة تغلب ادعت ملكيتها. وما لاريب فيه ان الشبان المحتجزين هناك بصفة رهائن كانوا ابناء مختلف الرؤساء أتى بهم اقرباؤهم إلى مدرسة الدير في الحصن تعبيراً عن حسن النية من ناحية وبالاكرام من ناحية أخرى، تماماً كما أعطى رؤساء مختلفون في العصور اللاحقة ابناءهم او ابناء اقربائهم إلى السلطات العثمانية، التي قامت هي كذلك بارسالهم إلى القسطنطينية بغية ضمان اخلاصهم ونجس احترام السلطة والحكومة فيهم. ان الكلمات التي استعملها سيف في وصف المسافة بين الموضع الذي احتله عقّة وعين التمر تشبه إلى حد كبير عبارات يستعملها البدو الآن. «روحه» وتعني مسيرة يوم، او المسافة التي يمكن قطعها قبل استراحة الليل، «يراوح». وتعني «غدوة» كذلك نهراً بأكمله زائلاً فترة كبيرة قبل شروق شمس النهار التالي.

ولا يترجم كائنان في المصدر السابق ( المجلد ٢ ، ص ٩٧٨ ) الجملة التي ترد فيها هذه الكلمات ولا يشرحها ؛ إذ أنه لا يحدد موقع طريق الكرخ حيث كان عقبة يكنى لخالد . وفي اعتقادي ان الأخير كان الطريق المباشر المؤدي من الأنبار الى عين التمر ويمتد بين مستنقعات الجبانية والبحيرة ( التي اشتق منها اسم الكرخ ) ؛ اما المكان الذي كمن فيه عقبة فمن المحتمل انه كان على مسافة خمسة وخمسين كيلو متراً شمالي عين التمر ، حيث المستنقعات الواقعة شمالاً و جنوباً على السواء ما كانت تسمح لخالد بالانحراف عن الطريق .

### عين التمر الى المصيخ

وبعد ان تمّ لخالد الاستيلاء على الأنبار وعين التمر فذهب وجماعته الى واحدة دومة الجندل استجابة الى طلب النجدة المستعجل عياض . وعندما كان خالد مقيماً بدومة ( الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٦٧ ؛ انظر ايضاً كتابي : بداية الشام (ص ص ٥٥٠-٥٥٢) قام الفرس بمحاولة لاستعادة الأنبار «قالوا وقد كان خالد اقام بدومة ، فظنّ الاعاجم به ، وكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لعقبة ، فخرج زرمهر من بغداد معه روزه ، يريدان الأنبار ، واتحدا حصيئاً والخنافس فكتب الزبيرقان وهو على الأنبار الى القعقاع بن عمرو وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة فبعث القعقاع أعبدة بن فندكسي السعدي وأمره بالحُصيد ، وبعث عروة بن الجعد البارقي وأمره بالخنافس ، وقال لهما ان رأيتماهما فأقدهما ، فخرجتا فحالا بينهما وبين الريف واغلقاهما ، وانتظر روزه وزرمهر اجتماع من كاتبهما من ربيعة ، وقد كانوا كاتبوا واتحدوا . فلهما رجع خالد من دومة الى الحيرة على الظهيرة وبلغه ذلك وقد عزم على مصادمة اهل المدائن كره خلاف ابي بكر وأن يتعلق عليه بشيء ، فبعث القعقاع بن عمرو وابا ليلي بن فندكسي الى روزه وزرمهر فسبقاه الى عين التمر ، وقدم على خالد كتاب امرى القيس الكاهلي ان الهذيل بن عيمران قد عسكر بالمصيخ ونزل ربيعة بن بجير بالثني وبالبشر في عسكر غضباً لعقبة يريدان زرمهر وروزه ، فخرج خالد وعلى مقدمته الأقرع بن حابس

واستخلف على الحيرة عياض بن غنم وأخذ طريق القعقاع وأبى ليلى الى الخنافس حتى قدم عليهما بالعين، فبعث القعقاع الى حصييد وأمره على الناس، وبعث ابا ليلى الى الخنافس وقال ليجتمعوا ومن استثنى رهم والافواقعاهم فأبوا الا المقيم.

### خبر حصييد

فلما رأى القعقاع ان زمره وروزبه لا يتحرر كان سار نحو حصييد وعلى من مر به من العرب والعجم وروزبه ولما رأى روزبه ان القعقاع قد قصد له استمدا زمره، فامده بنفسه واستخلف على عسكره المهيوذان فالتقوا بحصييد، فاقتتلوا فقتل الله العجم مقتلة عظيمة، وقتل القعقاع زمره، وقتل روزبه قتله عصمة بن عبد الله احد بنى الحارث بن طريف من بني ضبة، وكان عصمة من البررة، وكل هاجرت بأسرها تدعى البررة، وكل قوم هاجروا من بطن يدعون الخيرة فكان المسلمون خيرة وبررة. وغنم المسلمون يوم حصييد غنائم كثيرة، وأرز فلأل حصييد الى الخنافس فاجتمعوا بها.

### الخنافس

وسار ابوليل بن فلكي بمن معه ومن قدم عليه نحو الخنافس، وقد ارزت فلأل حصييد الى المهيوذان، فلما احس المهيوذان حرب ومن معه وأرزوا الى المصبيخ وبه الهذيل بن عمران ولم يلق بالخنافس كيذا وبعثوا الى خالد بالخبر جميعا. ويقول ياقوت، في معجمه (فستنفلد)، المجلد ٢، ص ٢٨٠ (الحصييد موضع في اطراف العراق من جهة الجزيرة. اي على الضفة اليمنى من الفرات؛ قال نصر حصييد واد بين الكوفة والدام اوقع به القعقاع بن عمرو سنة ١٣ بالعجم ومن تجمع الها من تغلب وربيعه وقعة منكورة).

ويكتب كايثاني في المصدر السابق (، المجلد ٢، ص ٩٨١، ملاحظة ٢ أ، ان ياقوت « ٢ و ١٠ وما بعده » ( والأصح، المجلد ٢، ص ٢٨٠، الاسطر ١٠ وما بعد )، يؤكد ان المعركة وقعت في عام ١٣ هـ، اي بعد مغادرة خالد الى الشام، وبمساعدة القائد المتني بن حارثه فقط. اما ياقوت فيذكر القعقاع بن عمرو فقط ولا يذكر المتني. والسنة ١٢ المكتوبة بالعربية كان يمكن بسهولة على ياقوت نقلها ١٣ خطأ.

ويتابع سيف كلامه فيقول : « قالوا ولما انتهى الخبر الى خالد بمُصْحاب  
 اهل الحصيد وهرب اهل الخنافس كتب اليهم ووعد القعقاع وابا ليل وأعبد  
 وعُرو ليلة وساعة يجتمعون فيها الى المصبيخ وهوبين حوران والقنات وخرج  
 خالد من العين قاصداً اللهصبيخ على الإبل يجنب الخيل فنزل الجنباب البردان  
 فالحنى ، واستقل من الحنى فلما كان تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا  
 جميعا بالمصبيخ فأغاروا على الهذيل ومن معه ومن اوى اليه وهم نائمون  
 من ثلاثة اوجه فقتلوههم وأفلت الهذيل في اناس قليل وامتأ الفضاء قتلى » .  
 ان هذا التقرير يُظهر ان الرواة الذين استقى سيف معلوماته منهم كانوا  
 على دراية جيدة بجميع الظروف وبالترتيب الطبوغرافي لتلك المنطقة ايضاً .  
 وما دام العدو محتلاً للحصيدوالخنافس ، فما كان في استطاعة خالد مغادرة  
 عين التمر ، لانه في تلك الحالة كان يمكن ان تنقطع بسهولة اتصالاته مع  
 الحيرة . اذ لم يعد يخوض حرباً في اراضي قبيلة بكر بن وائل ، وهم الذين  
 تحالفوا معه ضد الفرس ، بل في اراضي اعوان الفرس ، قبيلتي تغلب وريعة ،  
 الذين كانوا انذاك يتجمعون في نقاط مختلفة ليخرجوه من ديارهم بمساعدة  
 الفرس . إلا أنه لكي يتجمع الاعراب على هذه الشاكلة فانهم على العموم يحتاجون  
 الى وقت طويل ، فالعشائر المتعددة غالباً ما تخيم على بعد مسيرة أيام كثيرة  
 بعضها عن بعض ، خاصة في موسم الأمطار ، وحتى عندما يصل الخبر الى  
 مقاتليهم ، لا يستطيعون دائماً ترك قطعاتهم فوراً والاسراع الى مضارب خيامهم  
 المشتركة . فلا بد ان تُتخذ التدابير اولاً لحماية عوائلهم وقطعاتهم . وعليهم ان  
 يجدوا لنصب خيامهم اماكن قريبة من آثار غزيرة الماء ووسط مرعى جيد بما  
 يمكن الدفاع عنه بسهولة . وربما تهضي عدة اسابيع احياناً قبل ان يحصلوا  
 على كل هذا ويجلبوا عوائلهم وماشيتهم الى هناك . وبعد اكمال كل هذه  
 التدابير فقط يستطيع المقاتلون التوجه الى موقع التجمع المحدد ، حيث يتداولون  
 في جميع الأخبار التي يجلبها جواسيسهم مما يقوم به العدو من تحرركاته  
 جديدة .



ولاريب انه كان من الضروري التداول في قضايا كثيرة في المصيخ  
اذ ان الهاريين من الحصيد والخنافس لم يكونوا من عوامل اشاعة الانسجام .  
إلا ان خالداً ، كعادته في التكتيك الحربي المداهم ، فاجأ العرب قبل ان  
يتمكنوا من اتخاذ قرار . فبعد أن تخلّص من العدو على جناحيه في الحصيد  
والخنافس تمكن من التقدم بجرأة ضد قبائل الشمال الشرقي وأخذ تحمسهم  
للقتال . وكان يعرف جيداً أنه إن استطاع مفاجأتهم وسحقهم في خيامهم فإن  
شمال بلاد العرب بأسره سيخضع للمسلمين ، وإن خطته معقود لها النجاح اذا  
إنطلق حال تسلمه خبر الهزيمة عند الحصيد والفرار من الخنافس . ففي حالة  
وصول الخبر الى خالد في الصباح في عين التمر فإن الجيش الموجه على الخنافس  
كان يمكن ان يتلقى الأمر الجديد بالزحف في تلك الليلة والتقدم على المصيخ ،  
بينما يستطيع خالد - وجيشه على اية الاستعداد - الشروع من عين التمر  
قبل ظهور اليوم التالي . ويقع هدفه : المصيخ ، بين حوران والقلت ، وكلا الموضعين  
باق حتى الآن .

ويزعم كايثاني في المصدر السابق ( مجلد ٢ ، ص ص ٩٨٢ وما بعدها ،  
ملاحظة ١ ) ان حوران هذه لا بد ان تكون غلطة أخرى وقع بها سيف او أحد  
نساخه ، او ان سيفاً يشير الى اسماء خيالية ، انه يعتقد ان هذا ايضاً ينطبق على  
القلت . فيذكر في الملاحظة ٢ د ، ان البكري والهمداني ، وهما اثنان من  
أقدم وافضل مصادرنا الجغرافية عن الجزيرة العربية ، لا يعلمان شيئاً البتة عن  
هذين الموضعين اللذين ، وفقاً لسيف ، يقعان في السماوة . ولذا فإن كايثاني  
صنفهما مع المواضع الجغرافية الكثيرة التي انفرد سيف بذكرها ، وهذا مما يجعل  
وجودهما عند كايثاني موضع شك كبير . ومع ذلك فإن حوران التي ذكرها سيف  
كانت معروفة لدى الجغرافي بطليموس ب ( اورانيوس )  
( الجغرافية ، ٥ ، ٢٠ : ٣ ) ، وانه واد طويل ينتهي عند الفرات نحو ١٦٠  
كيلومتراً شمال غربي عين التمر . كما تقع ايضاً القلت وبردان والحني في المنطقة  
التي يحدد سيف مواقعهم فيها . ولذا من غير المقبول واتهام التشكك بوجودهم  
سيف بالاختلاق . اما ان الهمداني الذي يشير اليه كايثاني قلما يعلم عن

طوبوغرافية شمال بلاد العرب فهي حقيقة معروفة عموماً . كما ان اطلاق  
البكري المحدود على المنطقة نفسها يظهر في حالات كثيرة . وفيما يتعلق  
بالقلت فاني اوجه النظر الى بئر ابي سبلته نحو خمسة وسبعين كيلومتراً في  
جنوب - الجنوب الشرقي من عقلة حوران . ان مضرب خيام المصبيخ ، الذي  
يمكن البحث عنه في مكان ما بينهما ، كان له ولا ريب منهل جيد . ولم اعثر  
على اسمه ، الا ان موقعه كما يتطلبه السياق بكاد يكون مؤكداً ، اذ ان اسماء  
المواضع التي مرَّ بها خالد تؤيدنا في الموضع الذي حددناه لها . فمن عين التمر  
ركب خالد عن طريق الجنباب وبردان والحني الى المصبيخ . انني احدث موضع  
الجنباب عند عين العصبية الدافقة ، على بعد ٢٧ كيلومتراً في شمال - الشمال  
الغربي لعين التمر . وتتطابق بردان مع منهل بردان ، على مسافة عشرة  
كيلومترات أبعد الى الشمال الغربي ، بينما تكون الحني على بعد ٦٠  
كيلومتراً من بردان ، الى الشمال الغربي ايضاً . ان هذه المواقع تُظهر  
جلياً الاتجاه الذي سار فيه خالد . ولا يمكن ان نأخذ (الجنباب ) التي اوردها  
سيف على انها الموضع الذي حدده ياقوت في المصدر السابق ( المجلد ٢ ،  
ص ١١٩ وما بعدها ) في منطقة الكلبين ، كما فعل كايثاني في المصدر السابق ،  
(المجلد ٢ ، ص ٩٨٣ ، ملاحظة ٣ أ ) لان جميع الاماكن التي ذكرت سوية  
مع الجنباب هذه في الاشعار التي اقتطفها ياقوت تقع في النصف الغربي من  
بلاد العرب الشمالية . فهنا ، شرقي منطقة مآب وشرقي المشتى ، يوجد مخيم  
الجنباب الربيعي المعروف الذي كان وقتاً ما مُلكاً لقبيلة كلب التي لم  
يكن موطنها بجوار عين التمر قط .

وقد استشهد الطبري برواية شاعر عيان (المصدر السابق السلسلة ١  
ص ٢١١٤) قال ذاغار بنأخالد من سؤى على مُصَبِّخٍ بهراء بالقُصْبَوَانِي ، ماءً من  
المياه فصَبَّحَ المُصَبِّخَ والنَّهْمِرَ وانهم لغازون وان رفقة لنشرب في وجه  
الصبح وساقهم يغنيهم بقول

أَلَا صَبَّحَ حَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ

وَضُرِبَتْ عَنْقُهُ فَاخْتَلَطَ دَمُهُ بِخَمْرِهِ »

وبرغم الاستشهاد بشاهد عيان فإن هذا السجل يحتوي الكثير مما يستحيل تعيين موضعه بعد وصول خالد الى سِواء ، أما ان يكون خالد قد هاجم مخيم بهراء بعد وصوله الى سِواء فيؤيده تقريباً جميع رواة هذه الأحداث . فاستناداً الى بعضهم فإنّ احد المغنين لقي حتفه في الفوضى التي صاحبت الهجوم ، واستناداً الى آخرين فإن مغنياً يدعى حرقوق سقط قتلاً إما في البشر او في المصيخ . والمصيخ وفقاً لهذا التقرير هو منهل يقع في القصواني . وقد رأينا ان رواة سيف ، على اي حال ، لا يحددون موضع المصيخ قرب سِواء وانما يقولون انه بين شعيب ابو جلته ( القلت ) ووادي حوران . وتدعى المنطقة المتاخمة لوادي حوران في الجنوب بالقاصي .

ويظهر ان هذه تناظر القصواني ، وبهذا تقدم حجة جديدة على صحة بيانات سيف الطوبوغرافية . وعلى هذا قد يكون المصيخ هو منهل عين الارنب في يومنا هذا ، فضلاً عن ذلك ، فإن هذا الموقع تؤيده الحقيقة بان هذه المنطقة المجاورة كانت في العادة مضرب خيام قبيلة النمير ، التي تعزو اليها بعض الروايات ملكية الاراضي شمال غربي عين التمر ( ابو الفرج ، الاغانى [ القاهرة ، ١٢٨٥ هـ ] ، المجلد ٢٠ ، ص ص ١٢٧ وما بعدها و ١٣٤ ) .

### الى البشر والعودة الى الحيرة

يخبرنا سيف ( الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ص ٢٠٧٢ وما بعدها ) ان خالداً زحف من المصيخ مسافة ابعده الى الشمال الغربي لمباغثة التغليين ايضاً في ساحات تجمعهم الأخرى فيذكر « وزحف القعقاع وقد نزل ربيعة بن بُحَيْرٍ التغلبيّ التّنبّيّ والبشّر غصباً لعقّة وواعد رؤزبه وزرمهر والهذيل ، فلما اصاب خالد أهل المصيخ بما اصابهم به تقدّم الى القعقاع والى ابي ليلى بأن يرتحلا امامه وواعدهما الليلة ليفترقا فيها الغارة عليهم من ثلاثة اوجه كما فعل بأهل المصيخ . ثم خرج خالد من المصيخ فنزل حوران ثم الرق ثم الحماة ، وهسي اليوم لبنى جنانة بي زهير مسن كلب ثمس الزميل

وهو البشر والثني معاً، وهما اليوم شرقي الرصافة؛ فبدأ بالثني واجتمع هو واصحابه فيبيته من ثلاثة اوجه بيئاتاً ومن اجتمع له واليه ومن تأشّب لذلك من الشان فجردوا فيهم السيوف فلم يُفلت من ذلك الجيش مُخبر، واستبى الشرخ . . ثم عطف خالد من البشر الى الرضاب وبها هلال بن عقة وقد ارفض عنه اصحابه حين سمعوا بدنو خالد وانقشع عنها هلال فلم يلق كيداً بها . «

ووفقاً لهذا الجزء من الرواية فان خالداً زحف من المصيخ الى البشر . والبشر ( او كما تدعى اليوم ، البشري ) هو أقصى الطرف الشرقي ، نحو مئة كيلومتر طولاً ، من السلسلة الجبلية الممتدة بأسماء مختلفة من سلسلة جبال لبنان شمالاً شرقياً والمنتبهة عند الفرات .

ويحدد كايثاني في المصدر السابق ( المجلد ٢ ، ص ١٢٢٩ ) موقع البشر الى يسار الفرات شمالي تدمر ، برغم ان جميع الكتاب من الألف الثاني قبل المسيح كانوا يعرفون البشر على انه يقع على يمين النهر . وكانت تدمر بعيدة الى الجنوب الغربي من البشر بمسافة بعيدة . «

وحتى اليوم فان قبائل ضنا البشر ، وهم من مجموعة عنيزة ، الذين يتجولون بين النجف وحلب ، تعتبر البشري مركزاً لمخيماتها ، اذ انهم دائماً يجدون ماءً هناك وفي استطاعتهم الدفاع عن انفسهم بسهولة حتى ضد عدو يفوقهم قوة . ومن هذه المنطقة كان خالد مهدداً بخطر كان يرغب في تفاديه بسرعة . فقد اجتمع التغليون عند الثني والزُميل . وتقع الثني عند السفح الجنوبي لجبل البشر . انه واطى نسبياً ومنعزل ويمكن رؤيته من بعيد ويدعى الآن جبيلة الثني او الجبيلة ( التل الصغير ) اختصاراً .

ومن على قمته يمتد منظر رائع بعيداً الى الشرق والجنوب والغرب ، الى الجنوب الشرقي منه توجد عدة اماكن للسقاية . وتشكل الاراضي المجاورة موقعاً جيداً يصلح لاقامة الخيام . ويمكن قول الشيء نفسه عن مرتفع الزُميلي ( الزُميل في رواية سيف ) في الارض المستوية شمالي البشري .

ولأجل الوصول الى مضرب بي الخيام هذين أسرع خالداً الآن بأقصى سرعة ممكنة . ان الامر الذي اصدره للقائدين القمعاق وابي ليلي بالسير قبله كان حكيماً جداً ، فهذه الطريقة خففت شعورهم بالحاجة الشديدة الى المراعي وأمكن تجنب الازدحام عندما كن السقاية بسهولة اكثر . اما خالداً نفسه فسلكت الطريق المؤدي من المصبيخ الى الشمال الغربي . ولعل مضرب خيام حوران الذي اورده سيف يتطابق مع مكان سقاية عقلة حوران في وادي حوران . ويتطابق مضرب الخيام التتالي ، « الرنسق » ، مع الرثقة . والكلمة الانجليزية في العربية يمكن بسهولة تهجتها خطأ وكتابتها « الرنق » . وبرغم ان اسم « الرنق » غير معروف شمالي عقلة حوران ، فإن الرثقة منهله مشهور يبعد نحو ١٤٠ كيلو متراً شمال غربي عقلة حوران . ولا اعرف المحطة التالية ، حمه .

وبرغم المنظر الواسع الذي يتجلى من قسم تل الثني ، فإن مجيء قوة خالدا لم يلاحظها الحراس التغليبيون المعينون هناك . فمن المحتمل انه اخترق الاراضي المنخفضة بين المرتفعات المجاورة المختلفة واقترب من المخيم ليلاً . وحدث الشيء نفسه قرب الزميل حيث كان البدو يعتقدون انهم يخيمون في مأمن تام من الاخطار ، اذ علموا ان مواطنيهم كانوا يقومون بحراسة الطرق المخترقة للجميل من الجنوب الى الشمال . واستناداً الى سيف فقد كان مضرب خيام الرضاب خارج حدود البشري ، واعتماداً على السياق يجب البحث عنها شمالي الزميل .

ويطلق ياقوت في المصدر السابق ( المجلد ٢ ، ٧٨٩ ) اسم الرضاب على المكان الذي بنى فيه الخليفة هشام فيما بعد مسكنه ، الرصافة . ولكن بما ان الرصافة كانت قد بنيت قبل عهد هشام وتخالداً بوقت طويل فالاستنتاج الوحيد من قول ياقوت هو ان رواته وضعوا الرضاب قرب المنطقة المجاورة للرصافة . فإن كانت هذه هي الحالة فنستطيع بسهولة ان نفهم كيف استطاع التغليبيون المخيمون عند الرضاب ، الهرب . فعندما علموا في الوقت المناسب بالغارة على الزميل فروا وزوجاتهم واطفالهم ومواشيهم الى بلدة الرصافة المجاورة التي حذرت

جدرانها البيضاء خالداً من بعيد . فهو يستطيع ترك هذا المكان وشأنه ، فإن المهمة التي وضعها نصب عينيه قد انجزها على النحو الذي اراد تماماً . فكان النصف الشرقي لشمال بلاد العرب يرتجف امام المسلمين .

وبعد دحر التغليين دحراً مفاجئاً وكاملاً ( الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٧٤ وما بعدها ) يمضي سيف ليروي ان خالداً استدار نحو الفراض ، وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة . ان السياق بأكمله يبرر الاعتقاد ان خالداً لم يذهب من الرضاب ابعد الى الشمال او الشمال الغربي ، بل انه عاد الى الجنوب الشرقي بعد ان تطهرت اماكن تجمع التغليين . على ان قلاع البيزنطيين لم تكن بعيدة عنه . ومن المؤكد ان خالداً لم ينو محاربة البيزنطيين ايضاً . ولهذا قفل هائداً . وفي زحفه الى البشري اتبع طريق النقل خلال الصحراء بعيداً عن الفرات . ومن المحتمل انه وفي اثناء رجوعه ، اقترب من النهر العظيم ليتمون من القرى في تلك المنطقة . ان التقرير الذي استشهدنا به يذكر بالاسم قرية الفراض . وهي جمع الفُرْضة ، وهي اسم محطة معروفة لدى جميع الجغرافيين العرب على الضفة اليمنى للفرات فيها يفرع طريق الى البشري . انها تطابق خرائب الصالحية الحالية .

وفي تلك الاثناء اخذ البيزنطيون وحاميات الحدود الفارسية وكذلك القبائل البدوية المختلفة يتجمعون مقابل الفراض على الضفة اليسرى للفرات . ثم عبروا منطقة اسفل من الفراض الى الضفة اليمنى وهاجموا خالداً ، الا انه هزم (المصدر نفسه ) اصابوا بهزيمة تامة . ويروي ان مئة الف رجل سقطوا قتلى . وبقي خالد عشرة ايام أخرى عند الفراض حيث عاد منه الى الحيرة . والأرقام تكاد تكون دائماً مبالغاً فيها ، الا ان القتال نفسه ربما كان حقيقياً . فقد كان من بين أسرى خالد بساو وفرس مبن رعايا الروم والساسانيين . وما لا شك فيه ان التغليين الذين كانوا قد هربوا من البشري الى

الضفة اليسرى ، تساءلوا الحراس الروم والفرس هناك بما حدث ، وإن الأخيرين معززون بالبدو المقيمين على الضفة اليسرى ، قاموا بمحاولة لقطع الطريق الذي كان المسلمون عائدون منه ولإطلاق سراح الأسرى . وعند هبوطهم الفرات جنوب شرقي الفراض قاموا بمهاجمة المسلمين ، فكان نصيبهم الاندحار .

واستناداً الى الطبري ( المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٢٠٧٥ وما بعدها ) ، الذي لسم يذكّر مصدّره ، « فإن خالداً أثناء عودته من الفراض خرج « مكتتماً بحجة » ، ومعه عدة من اصحابه ، يعتسف البلاد حتى اتى قلة بالسمت ، فتأتى له من ذلك ما لم يتأت للبلبل ولا رثيال . . . فكانت غيبته عن الجند يسرة ، فما توانى الى الحيرة آخرهم حتى وافاهم . . . وكان مسير خالداً من الفراض ان استعرض البلاد ، متعسفاً متسماً ، فقطع طريق الفراض ماء العنبري ثم مثقبا ثم انتهى الى ذات عرق فشرق منها ، فاسلمه الى عرفات من الفراض .

ان المسافة من مكة الى الفراض بخط مستقيم هي اكثر من ٨٠٠ كيلومتر وإلى الحيرة من مكة ما يزيد على ٧٠٠ ، ولهذا فقد كان خالداً يتطلب لرحلته وحدها خمسة وعشرين يوماً في الأقل ، حتى لو كانت معه عدة جمال جيدة ، لانه لم يكن في امكانه إجهاد قواه الجسمانية لمدة غير محدودة . ومن الناحية الأخرى ، فلو كان جنده المقاتلون قد واصبوا سيرهم على مقربة من الفرات ، أخذين قسطلهم من الراحة مع حيواناتهم بجانب الطريق وكانوا مضطرين للحصول على تموينهم من الترسى التي مروا بها ، فانهم ما كانوا يقدرّون على قطع المسافة من الفراض الى الحيرة في ثلاثين يوماً . وعليه فليس من المستحيل تماماً ان يكون خالداً قد عاب من مكة الى الحيرة في الوقت الذي عاد فيه مقاتلوه . ومع ذلك لا استطيع فهم سبب اضطرار خالداً ترك جيشه والسفر متكرراً الى مكة . إن الاماكن التي كان عليه اجتيازها في هذه الرحلة وهي : العنبري ومثقب وذات عرق يمكن ، بالطبع ، التعرف بها في شمال بلاد العرب ، ولكن من الصعب حقاً معرفة سبب عدم قيام خالداً عندما كان قريباً جداً من المدينة بزيارة ابي بكر المتمني له الخير والتفاخر بانتصاراته .

## الملحق الثامن

### بربالييسوس وبالس وثبساكوس للمؤلف زينوفون وابانيس

#### بربالييسوس وبالس

بالس هي بربالييسوس القديمة ، بيت بلش ، او باختصار بلش .  
واستناداً الى بطليموس ، في جغرافيته ( ٥ ، ١٥ : ١٧ ) فقد كانت  
بلدة بربالييسوس تقع في خاليونيتس على الفرات .

فعلى جدول بويتنكر ( فينا ، ١٨٨٨ ، الجزء ١٠ ) تظهر بربالييسوس  
بمنحطة على الطريق الروماني الممتد بمحاذاة الضفة اليمنى للفرات .

وبعد عام ٢٩٣ م كانت بربالييسوس تعود الى اقليم اوغسطا الواقعة على  
الفرات وكانت حاميتها مكونة من فرسان دالماتيا الألبيريين ( أخبار المشاهير  
، المشرق ٣٣ ، العدد ٢٥ ) .

وفي نهاية القرن الثالث او بداية الرابع للميلاد اصدر القائد انتيوخوس  
اوامره بأن يُعذَّب باخوس ، نائب قائد حرس فلسطين الاجنبي حتى  
الموت ، ورفض ان يسمح بدفن جثته . حدث هذا في حصن برباريسوس  
الواقع في ابرشية اوغسطا عند الفرات على الحدود بالقرب من السراقنة .  
الا انه في المساء جاء بعض الاخوان المتنسكين ، وكانوا يسكنون في الكهوف  
القرية ، ودفنوا الجثة في أحد كهوفهم . وبعد هذا بفترة قصيرة اخذوا جثمان باخوس  
من الكهف واعادوا دفنه بجانب القديس سيرجيوس في الرُصافة ( بولاند  
الوثائق الكنسية ، المثلث ، المجلد ٣ ، [ ١٧٧٠ ] ص ص ٨٣٥ وما بعدها ،  
شذرات بولانديه ، المجلد ١٤ ، ص ص ٣٨٤ وما بعدها ) .

ان قائمة للتواقيع العربية للمجلس الكنسي في نكايه لعام ٣٢٥ م



تتضمن توقيع المطران انطونيوس البرباليسي . ويفسر جلازر في مؤلفه ( اسماء مشاهير الآباء من نكائية ( ١٨٩٨ ) ، ص ١٧١ ) برباليس بأنها هيرابوليس ، الا ان القائمة نفسها (المصدر نفسه ، ص ص ١٤٧ و ١٦٥ ) تتضمن ايضاً توقيع المطران فيلوكسينوس من منيج التي تتطابق مع هيرابوليس . ولا يرد ذكر المطران انطونيوس من برباليسوس في النصوص الاخرى . وفي اثناء الانشقاقات بين الاسكندرية مطران هيرابوليس ، ويوحنا بطريرك انطاكية ، بعد مجلس افسوس في عام ٤٣١ قام البطريرك يوحنا بطرود المطران اسيلينوس البرباليسي من الحصن ( منسي ، في المجمع الكني [ ١٧٩٨ - ١٧٥٩ ] ، المجلد ٥ ، للعمود ٩٦٦ ) وعين في منصب مطران بدله بصورة غير مشروعة شخص يدعى مارينيانوس ( المصدر نفسه ، العمودان ٩٠٨ و ٩١٣ ) .

ويكتب اسطيغان البيزنطي في كتابه الأجناس ( مانيكه ) ، ص ١٥٨ ) ان برباليسوس هي بلدة محصنة . ويذكر ثيودوسيوس ، في كتابه موقع الارض المقدسة ( جابر ص ١٥٠ ) ان المسافة من كوبرو الى برباريسو ، حيث قُتل القديسان سيرجيوس وباكتو ، ستون ميلاً . ومن برباريسو وحتى اينابولي . . . في كالونيكو ثمانون ميلاً . ومن كالونيكو الى قسطنطينية ، ستون ميلاً . ومن المحتمل ان اينابولي محرفة عن ليونتوبولي ، كما كانت تدعى كالينيكيوس احياناً . والمسافة هي ليست ثمانين بل مائتارب سبعين ميلاً فقط ( اي ٩٨ كيلو متراً ) .

وفي ربيع عام ٥٤٠ م سار كسرى الأول بطريق زنوبيا ( حلبية ) وسورا ( سوريا ) على بلدة هيرابوليس ( منيج ) ، التي افتدت نفسها ، ثم تقسدم على بيروثيا وانطاكية ، فاستولى عليهما وهدمهما . وبعد مغادرته انطاكية ، هاجس ميناء سلوقية اخامية وخالكيس ، وكانت البلدة الانخيزة على بعد ٨٤ ستاد من بيروثيا . ولما عزم كسرى على اتصال

غنائمه الى بلاد فارس بأمان لم يعد من الطريق الذي أتى منه بمحاذاة الضفة اليسرى للفرات ، انما أمر بنصب جسر قوارب على النهر عند بلدة أباتيس التي تبعد اربعين ستاداً من حصن برباليسوس ؛ وهناك عبر الى الضفة اليسرى ووصل الى إديسا من طريق بلدة بتنا الصغيرة ( بروكوبوس في كتابه الحرب الفارسية ، ٢ ، ٥ - ١٢ ) . فان كان كسرى قد استطاع الانطلاق من أباتيس الى بلاد ما بين النهرين مع هذا العدد من آلاف الأسرى والغنائم الكثيرة جداً ، فلا بد أن كان هناك طريق جيد من ذلك المكان . ويمكن البحث عن مخاضة أباتيس في حقول الاسحاقية بجوار خزائب سموما .

ويروي ميخائيل السوري في مدونته التاريخية ( شابو ) ، المجلد ٤ ، ص ٣٤٨ ) انه في العام التاسع من حكم الامبراطور جستنيان خرج القائد اذرمون ، بأوامر من كسرى ونهب بيت بلش وقصرين ( قاصرين ) وبيت داما وضواحي بلدة كبول وقنيسرين وعاد بأسرى كثيرين ( ييجان في سجل الشهداء والقديسين ، مجلد ٣ ، ص ٣٩٩ ) .

وفي العام الخامس عشر من حكم الامبراطور جستنيان نهب الفارسي كاليينيكوس وبيت بلش واخذوا معهم مخلفات الشهيد باخوس وكذلك الزينات الذهبية من للتابوت الحجري للقديس سرجيوس ( ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٢٩٦ ) .

وقد اولى جستنيان انتباهاً كبيراً لجميع المدن والقرى المحيطة على حدود إقليم الفرات مثل برباليسوس ونيوقيساريه وكابولون ( كابولا ) الخ . ( بروكوبوس ، المباني ، ٢ ، ٩ : ١٠ ) .

ويقول انتونين من بياجنزا ، في رحلته ( جابر ، ص ١٩١ ) انه قام برحلة من كران ( كارهي ) مستطراًس ابراهيم ، الى بلدة برباريسو حيث استراح القديس باخوس ، اخو القديس سرجيوس . وكذلك

يبرهن هذا السجل ، وكان القصد منه ان يكون دليلاً للحجاج ،  
ان طريقاً للنقل، امتد مسن كاهي (حران) الى براليايوس ،  
وان مخاضة القسرات كانت في جوار بالس في يومئذ .

في السهل الممتد بين بالس والرتة مع ديسر مارحانيا ( ميه خايل  
السوري ، المصدر السابق ، المجلد ص ٣٧٩ ) . ولعل مارحانيا  
يتطابق مع خربة مدينة الفار .

وعندما تقدم ابو عبيدة بالجيش الاسلامي الى هذه المنطقة « قدم مقدمته الى بالس ،  
وبعث جيشاً عليه حبيب بن مسلمة الى قاصرين ، وكانت بالس وقاصرين لاختوين  
من اشراف الروم .

فلما نزل المسلمون بها صالهم على الجزيرة والجللاء ، فجلوا اكثرهم  
الى بلاد الروم واراض الجزيرة وقرية جسر منبج .. ورتب ابو عبيدة بالس جماعة  
من المقاتلة واسكنها قوماً مسن العرب الذين كانوا بالشام فاسلموا بعد قدوم  
المسلمين الشام وقوماً لم يكونوا مسن البعث فزعوا عن البوادي من قيس ،  
واسكن قاصرين قوماً ثم رفضوها واعقباهم بها .. وكانت بالس والقرى المنسوبة  
اليها في سبيلها الاعلى والاوسط والاسفل اعداء عشيرة فلما كان مسلمة بن عبد الملك  
بن مروان توجه غازياً للروم مسن بحر الثغور الجزيرة عسكر ببالس فأثاه  
اهلها واهل بوبلس وقاصرين وعابرين وصفين ، وهي قرى منسوبة اليها ،  
فأثاه اهل الجد الاعلى فسألوه جميعاً ان يحفر لهم نهراً مسن الفرات يسقي  
على ان يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد حشر السلطان الذي كان يأخذها ، ففعل ،  
فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ، ووضعوا له بالشروفت ، ورم سور المدينة  
وأحكمه . فلما مات مسلمة صارت بالس وقراها لورثته فلم تزل في ايديهم  
الى أن جاءت الدولة المباركة (العباسية) ، فقبض عبد الله بن علي اموال بنى امية قد  
دخلت فيها (البلاذري، الفتوح [دي خويه] ، ص ص ١٥٠ وما بعدها ، الشبيه  
بديو نيسوس التلمجري ، المدونة [شابر] ، ص ص ٢٦ وما بعدها ) .

ويذكر البلاذري قسري أعلى من بالس دون تسمياتها وتلك التي ذكر أنها واقعة أسفل من بالس يجب البحث عنها بين هذه القرية وصفين . وربما أمكن الاهتداء الى بوليس في ركام الخرائب عند الطرف الشرقي لشعيب أم خروم ؛ وقاصرين في خرائب الحويره شرقي قصير الابسي ؛ وعابدين في ركام الخرائب على الجانب الايمن لقناة ري قديمة أبعد الى الشرق بمسافة اكبر . وعليه فلا بد ان صفين كانت ، استناداً الى هذه الرواية ، مطابقة مع ابي هريرة الحالية ، لان القناة التي تروي بالس والقرى الاخرى كان يمكن ان تمتد الى هذا الحد فقط . وما لاريب فيه ان هذه القناة تفرعت من الفرات أسفل من بلدة الطنوزه عند الموضع الذي ينحرف النهر فيه من اتجاه جنوبي الى شرقي . إن بقايا مثل هذه القناة القديمة ، وهي دون شك نهر مسلمة ، ظاهرة للعيان من حقول الملاح حتى ابو هريرة . وما بين طرف شعيب ام خروم وخربة الدبس وكذلك بالقرب من ابو هريرة غير الفرات مجراه واخذ هذه القناة . ومن غير المؤكد ما اذا كان مسلمة قد أمر بحفر نهر جديد ؛ والاكثر احتمالاً أنه أمر بتطهير نهر قديم . ويمكن الاستدلال على هذا ايضاً من واقع ان المؤلفين العرب اللاحقين لا يذكرون نهر مسلمة على الاطلاق . فلا بد اذن انها انضمرت ثانية .

ويربط ميخائيل السوري ايضاً قاصرين بصفين ( المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٣٤٨ ) ، وكذلك يفعل ثيوفانيس ، في كتابه كرونوغرافيا ( دي بور ) ، ص ٣٤٦ وما بعدها ) ويقولان انه في عام ٦٥٧ م عسكر معاوية ما وراء برباليسوس قرب قيسريون ( قيساريوم ) وعسكر جيش علي ( ع ) عند سابفين . ... وتتطابق قيسرون مع قاصرين التي نعرفها ، وسابفين مع صفين .

ويذكر الشاعر عمرو [ بن كلثوم ] ( المعلقات [ نولده ] ، ص ٢٤ ) قاصرين ، على انها المكان الذي شرب فيه نبيذاً جيداً .

ذكر ياقوت في معجمه (فستنفلد) ، المجلد ٤ ، ص ١٦) أن « قاصرين  
بلد قارب بالس التي تقع على الفرات .

عاش أحفاد مسلمة عند بالس في الحصن الذي بناه هناك . وفي عام  
٧٥٠م اغار مئة وخمسون من فرسان الجيش العباسي على بالس ، واساؤا  
وقائداهم معاملة اولاد مسلمة وزوجاتهم نسيم وصل انصارهم لنجدتهم  
وقتلوا المعتدين جميعاً ( الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ص  
٥٢ ) .

وفي عام ٨٢٠م تشاور البطريك ديونيسيوس من تل محرى مع بضعة  
مطارنه في حصن بيت بلش وميخائيل السوري ، المصدر المجلد ٤ ، ص ٥٠٤).

وفي عام ٨٢١ م قام نصر بن شيب ، زعيم المناوئين للنفوذ الفارسي  
المتزايد ، بشراء حصن بيت بلش ، ووضع فيه حامية مسن أنصاره ، ثم  
تقدم الى قناة الهني الذي يجري حول كاليينكوس ( المصدر نفسه ، ص ٥٠٥).

وقد هزم عبدالله بن طاهر اتباع نصر ؛ وفي عام ٨٢٥ م استولى على  
حصن بيت بلش ، وكان يسكنه فيه كثير من المسيحيين الذين عانوا كثيراً أثناء  
الحصار ( المصدر نفسه ، ص ٥١٠ ) .

وفي عام ٨٥٩ م أحدث زلزال ضحراً جسيماً في بالس والرقه وبعض  
المدن الأخرى ( انطري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ، ص ١٤٤٠ ) .

ويصف الاصطخري ، في مسالكه ( دي خويه ) ، ص ٦٢ بالس بأنها  
« مدينة على شط الفرات صغيرة ، وهي اول مدن الشام من العراق والطريق  
اليها عسير ، فهي فرضة الفرات لاهل الشام وهذا يسدل  
على انه من مخاضة بالس كان طريق نقل هام يؤدي الى المناطق الداخلية  
لبلاد الجزيرة .

ويذكر ابن حوقل في المسالك ( دي خويه ) ، ص ١١٩ ، ان بلدة بالس  
المسورة عانت كثيراً بعد موت سيف الدولة ( ٩٤٤ - ٩٦٧ م ) ، الامير

القوى المنطقة حلب . وكانت النتيجة ان القوافل التجارية توقفت عن المجيء الى هناك واقتصرت صادراتها على القمح والشعير فقط . وكانت بين البلدة والفرات مزارع واسعة . وفي آذار ، ١٠٦٠ م ، كانت بالس يحكمها عطية ، أخو عامر . حلب (ابن تغري بردي ، النجوم [ الزاهره ] [ بوبر ] المجلد ٢ ، الجزء ٢ ص ٢٢٧ ) .

ويذكر سبط ابن الجوزي ( المرأة ( دي مينار ، ص ٥٥٤ ) ( مشيراً الى عام ١١١٥ م ) ان الطريق من حلب الى الرقة كان يعبر الفرات عند بالس ، اما الطريق من الرقة الى دمشق فكان يعبره عند الرمر ( وهذه الكلمة نُقلت محرقة في الترجمة الفرنسية على انها « الزور » ) .

وفي عام ١١١٧ م حاصر الصليبيون حصن بالس ؛ ولكن دون جدوى ، فقد اضطروا الى الانسحاب امام الامدادات القادمة من ماردين ( كمال الدين ، في تاريخه [ دي مينار ] ، ص ٦١٣ ) .

وفي عام ١١٨٢ - ١١٨٣ م ، في الحرب من أجل تركة نور الدين ، هُدم حصن بالس ، وفي عام ١٢٠٠ - ١٢٠١ م ، اثناء النزاع بين ورثة صلاح الدين انتهت بلدة بالس ( كمال الدين ، التاريخ [ ترجمه بلوشيه ] ، مجلة الشرق باللاتينية ، المجلد ٤ ، ص ١٦٢ و ٢٢٣ ) .

ويصحح ابو الفضائل ( المراهد [ يرينبول ] ، المجلد ١ ، ص ١٢٢ ) ما اورده ياقوت ويذكر انها على الفرات مسن الجانب الغربي بينها وبين شاطي الفرات يسير وهي تحت صفين .

ان عبارة ياقوت لا تتفق مع رواية البلاذري ولا مع الحقائق . فعلى مسافة خير بعيدة الى الشرق من بلدة بالس يمكن رؤية قناة قديمة ، الا انه ليس ثمة اي اثر لمجرى قديم لنهر الفرات . والمسافة من خرائب بالس الى الفرات

تبلغ كيلو مترين تماماً ، ولا تقع بالس أسفل من صفين بل أعلى منها .

وفي عام ١٢٤٠ م عبر الخوارزميون على الفرات جسر القوارب عند الرقة وانتهبوا بالس وفتحوا بجميع سكانها الذين لم يستطيعوا الهرب اما الى حلب او الى منبج . ثم عبروا ثانية الفرات على الجسر ذاته في بداية عام ١٢٤١ م ووصلوا الى الفاياء وديسر حافر وجبّول وحتى تسل عَرََن . وفي اثناء عودتهم نهبوا سلمية والرصافة (٨) ، حيث هزمهم العرب بقيادة علي بن حديشة ، وأخذت منهم غنائمهم . واثناء هروبهم متجهين صوب الفرات عسكروا في ١٩ شباط (فبراير) مقابل الرقة والى الغرب والشمال من باليل . فاسرع الجنود الحلييون من طريق صفين لمنعهم من عبور النهر إلا أنهم وصلوا متأخرين بساعة واحدة . فعخذوا الخوارزميون عند بستان باليل وراء استحكام وخندق وصدوا جميع هجمات الحليين حتى غروب الشمس . وبعد ساعة من غروب الشمس عاد الجنود الحلييون الى صفين ولم يتركوا وراهم الا عسداً قليلاً من السرايا ، فقام الخوارزميون بقتلهم ومن ثم عبروا الى الرقة ( كمال الدين ، المصدر السابق ، المجلد ٦ ، ص ٣ ، المقرئ ، السلوك [ ترجمة بلوشية ] ، ص ٤٦٨ وما بعدها ) . ان دير حافر ، جبّول ، وتل عَرََن هي قسرى تقع في غرب — الشمال الغربي من بالس .

وفي عام ١٢٥٧ م قام المافريان ( المطران ) صليبية التكريتي برحلة من طريق بلش الى حلب » ( ابن العسيري ، التاريخ الكنسي [ ايلوس ولامي ] . المجلد ١ ، العمود ٧٢٣ ) .

وفي عام ١٢٦٠ م استولى المغول على حصن بلش ، وقتلوا جميع أهله ، وتركوا حاميتهم الخاصة بهم هناك ( المؤلف السابق ، التاريخ السوري [ بجان ] ، ص ٥٣٢ ) .

---

(٨) وردت هذه الكلمة عند المؤلف بفتح الراء والصحيح الرصافة يضم الراء ( المترجم ) .

وينقل القزويني في عجائبه ( فستنك ) ، المجلد ٢ ، ص ٢٠٣ ماورد في ياقوت ويذكر ان « بالس بلدة على ضفة للفرات الجانب الغربي ، فلم تزل الفرات تشرق عنها قليلا حتى صار بينهما في ايامنا هذه اربعة أميال . ويقول الدمشقي في النخبة ( ميرين ) ، ص ٢٠٥ » ان بالس كانت مهجورة آنذاك ويقول انها بلدة قديمة بجانب الفرات غير بعيدة عن صفين والرصافة ، والأخيرة بناها هشام بن عبد الملك على انقاض ابنية اغريقية قديمة .

ويذكر حاجي خليفة ، في جهان نامه (٩) ( القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ ، ص ٥٩٣ ) الذي استخدم مصادر قديمة ، ان ناحيتي بالس والرصافة تعودان الى ولاية قنسرين التي عاصمتها حلب ، وانها ، مثل بالس وقلعة جعبر مأهولة بالتركمان ايضا .

ويقول اوليسا جلبي في تاريخه ( ترجمة فسون هامر ) ، المجلد ١ ، ص ٩٤ ) ان بالس سنجق تابع لولاية حلب وانها تدفع لها سنوياً ٢٠٠٠٠ قطعة من النقود .

### ثيساكوس عند زينوفون

الى الشمال من بالس أحسدد موقع مخاضة تفسح ( ثيساكوس ) القديمة وذكر في سفر الملوك ، ٥ : ٤ ، أن سليمان حكم جميع البلاد التي على الجانب الآخر من النهر ( الفرات ) من تفسح حتى غزة .

وتنص فقرة (٢) في سفر التواريخ ، ٨ : ٤ ، ان سليمان قام أيضاً بتحصين تدمر في الصحراء . وحتى بلدة رصف ، الرصافة الآن ، ورد ذكرها

---

(٩) وردت جهان نومه عند مؤلفنا ، الصحيح جهان نامه وتعني سجل العالم ( المترجم ) .



عنسند الحديث عن سليمان ، وهسلما ما يوضح ، وفقاً لروايات التوراة ، انه سيطر على طرق نقل هامة . اما فيما يتعلق بتدمير فليس لدينا حتى الان سجلات أقدم عهداً ، الا أنه لا ينكر ان هذه الواحة كانت ذات اهمية كبيرة وذلك منسند وقت مبكر يرجع الى حكم الأخمينيين . ففي المشرق تعتبر اخبار النشاط العمراني للحكام الأوائل مصادر تاريخية على جانب كبير من الأهمية .

عبر زينوفون ( انابسيس ، ١ ، ٤ : ١١ ) الفرات من مخاضة ثيساكوس في ربيع عام ٤٠١ ق . م مع جيش قورش الأصغر .

ويروي اريان ( انابسيس ، ٣ ، ٧ ) الخبر نفسه عن الاسكندر الكبير ، الذي وجد في نهاية حزيران ، ٣٣١ ق . م ، عند ثيساكوس جسري قوارب . ويذكر سترابون ( الجغرافيه ، ١٦ ، ١ : ١١ ) أنه وفقاً لارستوبولوس فقد امر الاسكندر ببناء زوارق في فينيقيا وفي جزيرة قبرص حملها مفككة ، وأتى بها بمسيرة سبعة أيام الى ثيساكوس حيث تسمّ تجمع الاجزاء وابتحسرت الزوارق منحدرة الى بابل ( اريان ، المصدر السابق ، ٨ ، ١٩ ، بلوتارك ، الاسكندر [ سنتيس ] ، ص ٣٥٤ ) .

واستناداً الى ارستوبولوس نفسه ( سترابون ، المصدر السابق ، ١٦ ، ٣ : ٣ ) فإن شعب كرها حملوا بضائعهم على سفن خفيفة الى بابل ومن هناك على الفرات حتى ثيساكوس ، ومنها وزعت في انحاء القطر .

ويكتب كاسيوس ديو ( التاريخ ، ٤٠ ، ١٧ ) أن كراسوس ( في عام ٥١ ق . م ) عبرالفرات عند زوكما ، وأطلق اسم زوكما على هذا المكان منسند حملة الاسكندر ، الذي خاض النهر هناك .

ويذكر بليني ( التاريخ الطبيعي ، ٣٤ ، ١٥٠ ) سلسلة حديدية بجانب الفرات في بلدة تدعى زوكما استخدمها الاسكندر الكبير في تثبيت الجسر هناك .

ولا تتطابق زوكما التي اوردها كاسيوس ديو ولا تلك التي ذكرها بليني مع ثيساكوس القديمة ، بل مع مخاضة زوكما المتأخرة ، حيث كان الفرات يُعبر في الفترة السلوقية . والمنطقة حول زوكما هذه كانت مليئة بالروابي ( انظر الى كاسيوس ديو ، المصدر السابق ، ٤٩ ، ١٩ ) .

ويذكر بليني ( المصدر السابق ، ٥ ، ٨٧ ) في سوريا مدن : اوروبوس وثيساكوس السابقة ، التي كانت تدعى في زمانه امفيوليس ؛ وكذلك عرب الاسكينيون . ويصل الفرات الى سورا حيث يستدير الى الشرق ويغادر صحارى تدمر السورية التي كانت تمتد حتى بتر [ البتراء ] وارااضي بلاد العرب السعيدة .

ان بيانات بليني ، شأنها شأن كثير غيرها ، شاهد على إهماله في ترتيب مقتبساته ، واستناداً الى اسطيغان البيزنطي الاجباس ( ما ينكسه ) ، ص ٩٠ و ٧١١ ) فإن امفيوليس تقع بجانب بلدة اوروبوس وكان ، اسمها الاصيلي تلميسوس ( كركميش ) ، بينما كان السوريون يطلقون على امفيوليس اسم ترميدا . وكانوا يطلقون على اوروبوس اسم اغريبوس الذي حولوه فيما بعد الى جرايش العربية .

ويدون اسطيغان البيزنطي ( المصادر السابق ، ص ٣٠٧ ) عن ثيساكوس انها بجانب الفرات ، وكان ثيوبمبس المصدر الذي اعتمد عليه .

وفيما يتعلق بـثيساكوس انظر ايضاً ما سبق ، ص ص ٣٢١ - ٣٢٨

### ابانيسيس وسومما

على مسافة غير بعيدة من ثيساكوس يحدد اسطيغان البيزنطي موضع بلدة اينوس ( المصدر نفسه ، ص ٥٢ ) . ونقارن بلدة « اينوس » اسم بلدة أبانيس ، حيث عبر الفرس الفرات عام ٥٤٠ م ، ( بروكوبيوس ، الحروب الفارسية ، ج ٢ ، ١٢ : ٤ ) . وتعني عباً فسي اللغة السريانية

خليج او انعطاف نهر او ذراع من البحر ، او منخفض في سهل ، تماماً كما تعني الكلمة العربية عُب . ولذا يمكننا تقسيم الاسم ابانيس الى عب وانيس . والكلمة الاخيرة هذه تشبه كثيراً اينوس ؛ وربما يسهل ان تكون قد نشأت عنها إما نتيجة لخطأ في السماع او عن خطأ في الاملاء . وكانت البلدة تدعى « اينوس » ، والخليج المجاور - حيث كانت تقع المخاضة او محل العبور - ربما كان يدعى عب اينيس نسبة للبلدة ، وهكذا ربما سميت البلدة نفسها فيما بعد بهذا الاسم .

وتقع مخاضة ابانيس على مسافة اربعين ستاداً ، او نحو ستة كيلومترات أعلى من برباليسوس ( بالس ) . فإن صح ما نراه فيما يتعلق بهوية ابانيس واينوس ، فلا بد من البحث عن ثيساكوس في المنطقة المجاورة لاينوس ، ومن ثم بالقرب من برباليسوس . وتستمد تأييد ذلك من زينوفون ( انابيس ، ج ١ ، ٤ : ١٠ وما بعد ) الذي يتحدث عن ثيساكوس مباشرة بعد ذكر عزبة بليسيس ، والمرزبان السوري . ومن المؤكد ان العزبة لم تكن قائمة على انفراد فهي ، شأنها شأن البلدة - وليس المرزبان الذي كان يقيم هناك - ، من المحتمل انها كانت تدعى بليسيس . ويتطابق هذا الاسم مع بليسيوس ببلش وبالس ، لان المقطع بر في الكلمة برباليسوس انما يعني ابن . وبالطبع يحدد زينوفون موقع عزبة بليسيس على نهر درداس ، وليس على الفرات ، الا ان هذه ليست سوى غلطة من اغلاطه المتعددة .

وكان من السهل الوقوع في هذا الخطأ لانه حتى بليسيس (بالس) التي نحن بصدددها لم تكن واقعة على الفرات مباشرة ، بل على قناة آخذة منه .

وللوصول الى هدف معين ، لا تزال تستعمل في المشرق نفس الوسائط وغالباً نفس الطرق ايضاً كما كان الحال في الأزمنة الغابرة . ففي عام ١٩٠٦ م ارادت الحكومة العثمانية ان تقوي نفوذها السياسي في العراق وعلى الساحل الشمالي الغربي من الخليج العربي . وتم شحن المعدات العسكرية المؤلفة من

مدافع وعتاد وخيام ومؤن ضرورية جداً في نهاية العام تقريباً بسفينة بخارية الى بيروت ومن هناك بالقطار الى حلب . حيث تمّ تحميل السلاح الذي يزن ٤١٠٠ قنطاراً بأكمله على شاحنات ، ونُقل الى المسكنة الواقعة على الفرات ، على مسافة اربعة كيلومترات من خرائب بالس . وكان سبب اختيار هذا المكان قربه من كل من حلب والبحر الأبيض المتوسط . وفي المسكنة ( قرب سمومسا وضعت كل هذه الأشياء في ستة وسبعين زورقاً ثقيلًا مسطح القعر ، يدعى شاختوره ، وتمّ تعويمها في ثلاثة اقسام الى الفلوجة ، ووصلت اليها في ثمانية أيام (ريبل ، مدونة الأخبار [ ١٩١٣ ] ، ص ص ١٧٧ وما بعدها) .

ومما لا شك فيه ان الرجال الذين نفذوا اوامر الاسكندر الكبير كانوا يعرفون شمال سوريا معرفة تامه كما عرفها الجنرال التركي برتو باشا . فهم كذلك نقلوا الزواقي محمولة الى الفرات بأقصر الطرق ، وبما ان اريستوبوبوس يذكر ( سترابون ، المكان نفسه ) بأن القوارب بعد انزالها تمّ تعويمها على الفرات عند ثيساكوس ، فلنا ما يبرر البحث عن ثيساكوس التي اقترنت بحملة الاسكندر عند سمومسا بالقرب من بالس .

ويقول اميانوس مارسلينوس ( ج ٢١ ، ٧ : ٧ ) أنه في عام ٣٦١ أمسر الامبرطور كونستانتينوس ببناء جسر على الفسرات عند كبرسنام ، ، وزار اديسا ، ثم عاد الى هيرابوليس .

ويكتب ثيودوزيتوس ( التاريخ الديني ، ( ميني ، العمود ١٤٢٧ ، ان الراهب سلمانيس رحب بهم من قرية كبرسنا على الضفة اليمنى للفرات . ويوحى اسم خرائب سمومسا بقرية كفر ( قرية ) سنام ، إن جاز لنا قراءة سنام بدلاً من سمام ( سمومسا ) .

## الملحق التاسع

### سببي وصفين وأبو هريرة

ان أبو هريرة هي سببي القديمة وصفين في المراجع العربية . ولا يمكن مشاهدة اية مادة من مواد البناء القديمة في اي مكان تحولاً . وفي اغلب الاحتمالات انها نُقلت الى حصن جعبر المجاور لها .

ويسمى جغرافياً ريفاً المجهول في كتابه ، الكوزموغرافيا ( ج ٢ ، ٥ ( بنسدر وبارثي ، ص ٥٤ ) ، سبي ، وايضاً سببي . وتسمى سببي الى الصافية ، وهو الاسم الذي تُعرف به مصادر شعيب سلماس المنتهية عند ابو هريرة . ويذكر سقراط في التاريخ الكنسي ( ج ٣ ، ٢٥ ) سبياً .

ويقول حمزة الاصفهاني ، التاريخ ( كوتفت ، ص ١١٩ ) ان جبلة بن النعمان وهب و صاحب عين زباج وقاتل المنذر بن ماء السماء كان منزله في صفين . وفي عام ٦١٤ - ٦١٥ م « لما رجع المثنى الى الانبار سرح فرات بن حيان وعتبة بن النحاس وامرهما بالغارة على احياء من تغلب والنمر بصفين ثم اتبعهما . فلما دنوا من صفين افرق المثنى وفرات وعتبة . وفر اهل صفين وعبروا الفرات الى الجزيرة وحصنوا . وارمل المثنى واصحابه من الزاد حتى اقبلوا على رواحهم الامالابد منه فاكلوها حتى انخافوا وعظامها وجلودها ، ثم ادر كوا عيراً من دياف وسحوران فقتلوا العارح واصحابوا ثلاثة نثر من بني تغلب » ( الطبري ، التاريخ ( دي خويه ) ، السلسلة ، ص ٢٢٠٦ وما بعدها ، ابن الاثير ، الكامل [ تورنبرك ] المجلد ٢ ، ص ٣٤١٣ ) .

تقع صفين على الضفة اليمنى للفرات ، وعليه فلا بد ان المثنى زحف بمحاذاة هذه الضفة . وعلى الضفة اليمنى من الفرات على مسافة ١٣٥ كيلومتراً الى شرقي

الجنوب الشرقي من صنفين كانت تقع بلسدة الزباء المحصنة ؛ لذا فالقراءة الصحيحة يجب ان تكون زباء ، وليس « دباء » كما هو مطبوع في طبقات كتب كل من الطبري وابن الأثير . وعلى الضفة اليمنى للفرات ، على مسافة ٣٤٠ كيلوم - ثرا من زباء ؛ وليس بعيداً عن بلسدة جبّة ينتهي وادي حوران العريض . ومن المحتمل ان مقيمين او بدوا كانوا يخيمون هناك في ذلك الوقت ، واستولى المثنى على ما يملكون ايضاً .

وفي نحو نهاية ربيع عام ٦٥٧ م حاثت معركة عنسد صنفين بين الخليفة علي ( ع ) وخصمه معاوية . و فنزل معاوية ، واهل الشام منزلاً اختاروه مستولياً مبسوطاً واسعاً ، اخذوا الشريعة فهي في ايديهم وبذلك حالوا بين جيش علي والماء فهسد على باستعمال القوة والقتال مما حمل معاوية على الاذعان ، ( الطبري ، المصادر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٣٢٦٨ ) .

ويكتب نيوفانيس ( الكروغرافيا ( دي بور ) ، ص ص ٣٤٦ وما بعدها ) أنه في عام ٦٥٧ تقابل معاوية وعلي بجانب الفرات . ونجّم معاوية فيما وراء بلدة برباليسوس قرب قيصر روم ، بينما خيم علي في سفين .

ويقول الدينوري ، الأخبار ( كويركاس ) ، ص ص ١٧٨ وما بعدها ، ان علياً بعد ان مكث ثلاثة أيام قرب البليخ ، امر ببناء جسر قوارب عليه عبر الفرات . وقابل رجلاً ارسلهما للاستطلاع جيش العدو في سور الروم ، واثناء الليل عسكر معاوية مع فرسانه هناك صنفين ، وهي بلاسة مهدمة بناها الاغريق اصلاً على مرمى سهم من الفرات . وتحتل بينها وبين النهر احراش على مدى فرسيتين ينتشر خلالها نيز الماء من الارض . ويُنفضي طريق واحد فقط ، الا أنه مرصوف بالحجارة . الى الفرات . ومعظم منطقة الأدغال ليست سوى اوحال او ارض سبخة ولما كانت الاجراف الشديدة الانحدار تشكل عائقاً آخر للسفر ، فيبقى الطريق الوسيلة الوحيدة الذي به يمكن الوصول الى النهر بسهولة . ومن نهاية

شعيب الشعبة الى بنات ابو هريرة يكون السهل الفيضي محاطاً من الجنوب بأجراف صخرية لا تتيح مجالاً للنزول الى النهر الا من خلال فجوات قليلة . والسهل الفيضي ذاته عبارة عن مستنقع مغطى بالطرفاء واحراش أخرى التي تجعل الاقتراب من النهر امراً صعباً .

ويكتب الاصطخري ، في مسالكه ( دي نخويه ) ، ص ص ٧٥ وما بعدها ) انه في غربي القرات ، بين الرقة وبالس ، تقع ارض صفين وبها قبر لعمار بن ياسر .

ويقول البكري ، في معجمه ( فستفد ) ، ص ٦١٠ ) ان صفين موضع في العراق كانت فيه الحرب بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب ومعاوية ، وفي هذا الموضع هزم سيف الدولة الحمداني الاخشيدي محمد بن طافج وتلك الشام . ويحدد البكري موقع منطقة صفين في العراق ، وهي في الحقيقة لم تكن من العراق مطلقاً . وقد استولى سيف الدولة على بلاد الشام عام ٩٤٤ م واختار حلب لاقامته .

وفي عام ١١٠٨ - ١١٠٩ م هاجم رجال من قبيلة نمير علي بن سسالم ، صاحب الرقة وطاردوه وملكوا البلدة ، فبلغ ذلك الملك رضوان فسار من حلب الى صفين وصادف تسعين رجلاً من الفرنج ، معهم مال من فدية النقص صاحب الرها قد سيره الى جاولي ( والى الرها ) فاختارته واسر عدداً منهم وأتى الرقة ، فصالحه بنو نمير على مال . فرحل عنهم الى حلب ( ابن الاثير ، الكامل [ تورنبرك ] ، المجلد ١٠ ، ص ٣٢٤ ) .

وفي مستهل عام ١١٢١ م اغار جوسيلين ، حاكم تل باشسر مع جماعته الصليبيين على العرب والتركمان المقاتلين بصفين ، وغنم منهم ومن مواشيهم بشاطئ القرات ( ابن القلانسي ، السليل [ امدرود ] ، ص ٢٠٣ ) .

وفي عام ١١٣٩ م دُفن القاضي بهاء الدين بن الشهرزوري في جامع في صفين ( المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ ) .

وفي ١٤ أيلول (سبتمبر) ١١٤٦ م قُتل السلطان عماد الدين الزنكي عندما كان يحاصر قلعة جعبر التي كانت ملكاً لعائلة الأمير سالم بن مالك العقيلي ، فترك به جموده أنفسهم ودفن في صفين ( ابن الأثير ، التاريخ [ دي سسلان ] ، ص ١١٢ - ١٣٥ ) ، واستنداً إلى كتابه الكامل [ القاهرة ، ١٨٨٤ ] ، المجلد ١١ ، ص ٥٠ ) ، فإنَّ زنكي دفن في الرقة .  
وفي أول أيار (مايو) ١١٩٥ مُتَّحِد اجتماع في صفين بين الملك الأفضل وعمه الملك العادل . فأعطى الأثير ابن أخيه حصن جعبر لسكناه . ( المقرزي ، المواعظ [ ترجمة بلوشية ] ص ٢٢٩ وما بعدها ) .

ويقول ياقوت ، في معجمه ( فستقلاذ ) ، المجلد ٣ ، ص ٤٠٢ «ابوعلدا» صفين موضع بالقرب من الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس ، وكانت وقعة صفين بين علي ومعاوية في غرة صفر سنة ٣٧ هـ وفي خلال مئة وعشرة أيام وقعت بينهما تسعون مناوشة .  
ويذكر القزويني ، في المعجائب ( فستقلاذ ) ، مجلد ٢ ، ص ١٤٢ «ان صفين قرية قديمة البوار من بناء الروم بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي ، وما يليها خيضة مائية ذات بزور طولها نحو فرسخين وليس في ذيلك الفرسخين طريق إلى الماء الا طريق واحد مفروش بالحجارة ، وسائر ذلك غرب وخلاف ملتفة » .

والمسافة من قلعة جعبر إلى الرقة سبعة فراسخ . والسوق النضبي المخمور بالمستقعات مدار الحديث لا يزال باقياً ويمتد مقابل قلعة جعبر حتى يناسه ابو دريرة .

ويقول ابو الفداء في تقويمه : ( رينو ودي سسلان ) ، ص ٢٦٩ «ان بالس منها إلى قلعة دوشر ، المعروفة الآن بقلعة جعبر في شرقي الفرات خمسة فراسخ . وفي شرقي من الفرات ، متقابل قلعة جعبر ، ارض صفين التي كانت بها الواحة بين علي ( ع ) ومعاوية » .



ويصحح أبو الفضائل، في مراصده ( يوينبول ) ، المجلد ٢ ، ص ١٦٢ )

ياقوت وذلك بملاحظة إن صفين منبسطة أعلى من بالس وتقع على نصف مرحلة منها على الضفة اليمنى للانسرات ، بينما تقع الرقعة شرقي النهر العظيم أسفل من بالس : ويحدد أبو الفضائل في مكان آخر ( المصائر نفسه ، المجلد ٢ ، ص ٤٤٢ ) موضع حصن جعبر عندما يذكر أن المسافة منه إلى الفرات ميل واحد تقريباً ، بينما تبعد صفين أكثر من عشرة أسبوعاً صغوداً في النهر من هذا الحصن . أن بيانات أبي الفضائل هذه لم تحفظ بصورة صحيحة . فمن قلعة جعبر إلى بالس أربعون كيلومتراً . فإن كانت صفين تقع أعلى من هذه البلدة ، فإنها لا يمكن أن تكون على بعد عشرة أميال من قلعة جعبر . ومن بالس إلى أبو هريرة سبعة وعشرون كيلومتراً ، أو قرابة نصف مرحلة ، ليس صغوداً بل منحدراً مع النهر . ومن أبو هريرة إلى قلعة جعبر أربعة عشر كيلومتراً ، أو عشرة أميال بخط مستقيم . وهكذا يؤدي بنا أبو الفضائل أيضاً إلى أبو هريرة .



## الملحق العاشر

### سورا أو سوريّا

وفي اثناء تدهور السلوقيين تغيير مسار طرق النقل الكبرى ؛ فانخذت تدمر تزداد أهمية ، واصبحت تعبر الفرات عند سوريّا ، لذلك فقد تمّ الحفاظ على سجلات كثيرة عن هذه البلدة .

ويذكر بليني ، ( التاريخ الطبيعي ، ج ٥ ، ٨٧ ) ان الفرات عند سورا يتشرب شرقاً ، تاركاً وراءه صحراء تدمر ؛ ونهر الفرات لا يستدير شرقاً عند بلدة سورا المسورة بالضبط ، بل على بعد خمسة وسبعين كيلومتراً الى الغرب .

ويذكر بطليموس ( الجغرافية ، ج ٥ ، ١٥ : ٢٥ ) سورا من بين المدن التدمرية الواقعة على الفرات .

ومن المحتمل ان يكون أفديوس كاسيوس في عام ١٦٥ م قد هزم البارثيين عند سورا واستولى على بلدي نيقفوريم ودوسرا ( سويداس ، المعجم ، تحت مسادة زوكما [ بكسر ، ص ٤٥٩ ، لوميان ، تدوين التاريخ ، ٢٩ ؛ فرونتو ، رسالة حول الحقيقة ، ج ٢ ، ١ ) . ويسجل جدول بويتنكر ( فينّا ، ١٨٨٨ ) ، الجزء ١١ ) سوره [ كذا ] على انها المحطة الأخيرة للطريق الروماني الرئيس من دمشق من طريق تدمر واوروبا ( الطيبة ) الى الفرات . وعند سوره تنتهي حدود الامبراطورية الرومانية وتبدأ حدود بلاد البرابرة .

وبعد عام ٢٩٣ م كانت سورا تعود الى إقليم اغسطا الواقعة على الفرات وكانت استناداً الى أخبار المشايخ ( المشرق ٣٣ ، العدد ٢٨ ) محل إقامة قائد جيش الاسناد الامبراطوري السادس هشور .

وفي نهاية القرن الثالث او بداية الرابع للميلاد أخذ قائد الحرس البلاطيني الاجنبي ، سيرجيوس ، من حصن برباريسوس ( بالنس الحالية ) الى حصن تترابرجيوم ( قصير السيل في يومنا هذا ) على مسافة تسعة اميال

رومانيه (بولان ، الوثائق الكنسية ، القبط المشرقي ، المجلد ٣ ، ص ٨٢٥) .  
وكانت قرارات المجمع المسكوني لسمام ٤٥١ م قد وقعها المطران  
اسطيفان من هيرابوليس (منيج) نيابة عن اسقفه المساعد ، شخص اسمه  
اورانيوس بوليوس سورون (اورانيوس من بلدة سسورا) ( هاردان :  
مجموعة القرارات [باريس ، ١٧١٥] ، المجلد ٢ ، ٤٨٥ ) .

وفي حزيران (يونيو) من عام ٥٥٤ م ، عاد قسطنطين البيزنطي  
الذي كان قد انضم الى الفرس مخترقاً الصحراء الى سوريا . وعلى مدى  
اسبوعين سافر مع زوجته نهارة وولداً دون ان يصادف احداً . ولم يقابل  
احداً من العرب الا بعد وصوله الى شيلا (ووردت ، شينا) . وقام  
هؤلاء العرب بمرافقته الى حصن شورا ، ومن هناك الى بلدة اديسا  
(يشوع العمودي ، المدونة [مارتن] ، ص ٧٥) . وربما تكون شيلا  
هزة السيلة ، على بعد اثني عشر كيلومتراً جنوب - الجنوب الغربي من  
شورا ، وهو الاسم الذي يطلقه السوريون على شورا .

وفي عام ٥١٢ م أسهم ماريون ، مطران بلدة شورا الرومية  
فسي مراسيم تكريس المطران سيفيروس فسي منصب البطريركية  
(ملاحظات تتعلق بسيفيروس [كوجنر] ، ص ص ٣١٩ و ٣٢١ ، المدونة  
الصغرى [كويدي] ، ص ٢٢١ ، حياة مشاهير الرجال المونوفيست  
[بروكس] ص ٤١) .

وكان ماريون مطراناً حتى عام ٥٢١ م ، وقد توفي في هذا العام (ميخائيل  
السوري ، المدونة التاريخية [شابو] المجلد ٤ ، ص ٢٦٧) .

ونظالغ في حوليات جون ميلاس (منه ١٨٥ ، ١٧٥) أن الإمبراطور  
جستنيان ارسل الى المشرق عدة شخصيات بارزة لادارة امر الدفاع  
عن بعض المدن ضد الملك الفارسي قيساذ الأول (٤٩٦ - ٥٣١) .  
ومن بين مدن أخرى أعدت لمدن برويه (بروتيا او حلب) وسورون  
(مورا او سوريا) وكونستانتينا . (قسطنطين) العاة للدفاع عن نفسها .

وفي عام ٥٣١ م طارد بليساريوس مع جيشه الفرس العائدين مع غنائمهم  
من سوريا . وذهب حتى بلدة سورون (سورا) ، حيث نشبت معركة بين

الطرفين ( بروكويوس ، الحرب الفارسية ، ١ : ١٨ ، ١٤ ) .  
 وفي ربيع عام ٥٤٠م زحف خسرو بن قباد (المصدر نفسه ، ٢ : ٥٠ ،  
 كويدي ، نصن . جديد [ ١٨٩١ ] ، ص ١٣ ، فيمولياديتس [ هالير ] ص ١٥٦  
 وما بعدها ، اسيمانوس ، المكتبة الشرقية [ روما ، ١٧١٩ - ١٧٢٨ ] ،  
 المجلد ١ ، ص ٤١٦ ، جيمس من اديسا ، القانسون [ بروكس ] ،  
 ص ٣٠٠ ؛ ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٢٨٧ ) على  
 امتداد الضفة اليمنى للفرات . ووصل الى نقطة مقابل حصن قرقيسيا الروماني ،  
 الا انه لم يقيم بالهجوم عليه ، كما انه لم يعبر الفرات . وزحف بعد ذلك ثانية  
 الى السلد الذي يستطيع رجل قوي الذهاب اليه . في ثلاثة أيام ، ووصل الى امام  
 بلدة زنوبيا على الضفة اليمنى . عندما لاحظ ان المنطقة غير آهلة بالسكان ،  
 وكانت محبوبة ولا اهمية لها البتة ، قام بمحاولة اقناع اهل البلدة عتلى  
 الاستسلام . وعندما أخفق في مساعده هذا . واصل سيره . وبعد قطع ما يماثل  
 المسافة بين قرقيسيا وزنوبيا ، وصل الى بلدة سورون ( سورا ) على الفرات  
 وأمر بالاستيلاء عليها عنوة . فصد القائد ارساكيس الهجمة الاولى ، ولما  
 قتل تمكن الفرس من دخول المدينة التي انتهبوا وأخذوا جميع اهلها اسرى .  
 ويقول بروكويوس ( الماني ، ٢ : ٩ ، ١ : ١٠ وما بعد ) ان تحصينات  
 سورون بوليسما ( بلدة سورا الصغيرة ) كانت ضخمة جداً بحيث انها  
 لم تقاوم خسرو اكثر من نصف ساعة . لذا امر الإمبراطور جستنيان باعادة  
 تعمير البلدة وإحاطتها بسور قوي ولجهيزها بمختلف المتطلبات الدفاعية الأخرى .  
 وفي عام ٥٤٣م كان شخص يدعى سنجيوس مطراناً لشوراء ( ابن  
 العبري ، المدونة الكنسية [ ايلوس ولامبي ] ، المجلد ١ ، العمود ٢١٥ ) .  
 ويدون انطونين من بياجزا ، في رحلته ( كبير ) ، ص ١٩١ ) كيف  
 انه ( انطونين ) قدم من برباريسو ( برباليسوس ، بالنسبة الحديثة ) الى بلدة  
 سراس ( سورا ) التي يخترقها نهر الفرات ، وعبره هناك فوق جسر  
 وفي هذه البلدة تم تعذيب القديسين سنجيوس وباخوس حتى الموت  
 ويرقد القديس سنجيوس على مسافة اثني عشر ميلاً أبعد في صحراء السراقنة

عند بلدة تترابريجيو . وقد عُذِّبَ باخوس في برباريسو ( بالس ) ، وسيرجيوس في الرصافة حيث دفن هناك ايضاً . وفي تترابريجيو ، التي تدعى الآن بقُصير السيلة ، قضى الأخير الليلة فقط .

وورد ذكر بلدة سرا الصغيرة في نهاية القرن السادس في كتاب نيقفورس الموسوم بـ ( حياة القديس سيمانوس الأصغر ) ( منه ) ، العمود ( ٣١٨٤ ) .

وفي عام ٦٥٧ م قطع الخليفة علي الفرات ثم دعا زياد بن النضر وشريح بن هانيء فسرحهما امامه نحو معاوية على حالهما التي كانا خرجا عليها من الكوفة ، قال وقد كانا حيث سرحهما من الكوفة اخذا على شاطئ الفرات من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات ، فبلنهما اخذ علي طريق الجزيرة ، وبلغهما ان معاوية قد اقبل من دمشق في جنود اهل الشام لاستقبال علي ، فقالا لا والله ما هذا لنا برأي . ان نسير وبيننا وبين المسلمين وامير المؤمنين بهذا البحر ، ومالنا خير في ان نلقى جنود اهل الشام بقلة من معنا منقطعين من العدد والمدد ، فذهبنوا ليغبروا من عانات ، فمنعهم اهل عانات وحسنوا عنهم السفن ، فاقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت ، ثم لحقوا علياً بقرية دون فرقيسيا ، وقد ارادوا اهل عانات فتحصنوا وفروا ، ولما لحقت المقدمة علياً قال : مقدمتي تأتيني . مسن ورثي ، فتقدم اليه زياد بين النضر الحارثي وشريح بين هانيء فاخبراه بالذي رأيا حين بلغهما من الامر ما بلغهما ، فقال سددتما ، ثم مضى علي ، فلما عبر الفرات قدمهما امامه نحو معاريد ، فلما انتهيا الى سور الروم لقيهما ابو الاعور السلمي عمرو بن سفيان في جند من اهل الشام « ( الطبري ) ، التاريخ [ دي جيويه ] ، السلسلة ١ ، ص ٢٣٦٠ وما بعدها ) .

وسور الروم هي الترجمة العربية الصحيحة للاسم السوري شوراء الرومانية . ولم يكن ياقوت ، في معجمه ( فستفلد ) ، المجلد ٣ ، ص ١٨٤ ) على علم ببلدة شوراء ويذكر فقط انها ، استنادا الى ابي الحسن الادريسي ، موضع بالجزيرة ، وتلفظ شوراء .

واوردها النبتاني ( الزيج ) ( نلينو ) ، الجزء ٣ ، ص ٢٤٠ ) بصيغة شوراء ، بمحدد موقعها الجغرافي على خط العرض ٣٦° وخط الطول ٣٠° ٨٠' . ويذكر ابن العبري ( المصدر السابق ) ، المجلد ٢ ، الاعمدة ٥٤٥ وما بعدها ) حتى وقت متأخر ، اي عام ١٤٧١ م ، دير مار ابي عند شوراء .

## الملحق الحادي عشر

### نيقفوريم ، كالينيكوس ، والرقعة

كان سترابون ( الجغرافية ، ج ١٦ ، ١ : ٢٧ ) على علم بنهر يسمى باسيلوس بين الفرات ودجلة . وفي اقليم اثيموسيا كان يعرف نهراً اسمه ابوراس . وفي باسيلوس يختفي الاسم بليخوس . اما راوية سترابون ، الذي كان يعرف الاراميه ، فقرأ الاسم مليخوس ( ملك ) وترجمه على انه باسيلوس . وتقع بلدة اثيموسيا . ( ايسيدور الكرشسي : المحطات البارثية [ ملر ] ، ص ص ٢٤٤ وما بعدها ) على الطريق من زوكا — افاميا الى اديسا ، على مسافة ثمانني سكونات شرقي افاميا ، ومن ثم فهي بعيدة عن حوض نهر ابوراس ، او الخابور لئلا يحافظ نهر بليخوس على اسمه الى هذا اليوم ، اذ يدعى الآن البليخ .

ويمكن ارواء السهل الفيضي على الضفة اليسرى للفرات من البليخ ومن قنوات آخذة من الفرات نفسه . ويمكن البرهنة على ان هذا السهل كان في زمن ما اكبر بمرتين مما هو عليه اليوم ، منذ غير الفرات مجراه ، وذلك بنظرة على ارض المستنقعات الواسعة التي على الضفة اليمنى للنهر في هذه المنطقة . ومن بين الانهار على الضفة اليسرى يعتبر نهر الهني والمرى من اكثرهما اهمية . وظل الاسم الأخير باقياً حتى العصور الوسطى في اسم البلدة التي كانت المنطقة

المحيطلة تعود إليها في وقت ما . ويسكن تحديد موضع مدينة مري هذه بين الضفة اليسرى لنهر المري والبلخ . ومنذ ان امتد خط تجاري مهم بمحاذاة الأخير من بلاد ما الجزيرة العليا الى الفرات ومنذ ان عبر خط آخر عند مري متابعاً الضفة اليسرى للفرات ، فإن أهل المري وقد كانت تدعمهم ارض خصبة يسيطرون عليها ، كان في امكانهم الهيمنة بسهولة على القوافل التجارية وكذلك على القرى الاخرى الأقل ثراء على امتداد الفرات . فلا عجب اذن ان تكون مدينة مري قد سيطرت منذ وقت مبكر يناهز ختام الألف الثالث قبل الميلاد على النصف الأعلى للفرات الاوسط كله كما سيطرت خانه ( ريماعانه ) على النصف الأسفل ( هرتزفلد ، خانه ومري [ ١٩١٤ ] ، ص ١٣٦ ) . وعلى موقع مري القديم او بجانبه عند مصب البلخ في الفرات كانت تقع المدينة المشهورة نيقفوريم ( ايسيدور الكرخي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ) . ويروي ابيان ( تاريخ سوريا ، ٥٧ ) ان سلوقس نيقاتور ( ٣٠١ - ٢٨١ ق.م ) اسس عادة مدن في سوريا ومنحها اسماء اغريقية او مقدونية ، ومنها نيقفوريم في بلاد الجزيرة . ومن المؤكد ان بلدة كانت قد وجدت عند هذا المكان من قبل . وكانت تدعى ماري ( اونكر ، نقوش بارزة على مسلة اداد نيراري [ ١٩١٦ ] ، لوحه ٢ ، السطر ٢٣ ، ص ١٠ ) ؛ وبقي الاسم متداولاً باسم قناة مري ( ميخائيل السوري في مدونته [ شابو ] ، المجلد ٤ ، ص ٤٥٧ ؛ البلاذري في فتوحه [ ذي خويه ] ، ص ١٨٠ ) . اما ان الأغريق كانوا يفضلون تغيير الأسماء المحلية فكانت حقيقة معروفة اذ ذاك لدى بوسيدونيوس ( سترابون ، المصدر السابق ، ج ١٦ ، ٤ : ٢٧ ) ، إلا ان اميانوس سارسيلينوس ( المصدر السابق ، ج ١٤ ، ٨ : ٦ ) وجد في مصادره ملاحظة مفادها ان سلوقس نيقاتور والذين جاؤوا من بعده ، مع انهم كانوا يغيرون اعتباراً أسماء مواقع كثيرة ، فانهم لم يمحوا الاسماء الأصلية التي ظلت مستعملة .

ويعزو إيسيدور الكرخي ( المصدر السابق ) تأسيس نيقفوريم إلى الاسكندر الكبير ، كما فعل بليني أيضاً الذي ذكر في تاريخه الطبيعي ( ٦٣ ، ١١٩ ) أنه بالقرب من الفرات تقع نيقفوريم التي بناها الاسكندر بعد أن تبين له أهمية الموقع . ولا نملك أي دليل قاطع على أن الاسكندر قد وصل في وقت ما إلى فم نهر البليخوس ، ولذا لا يتسنى لنا الحكم بأنه هو الذي أمر ببناء مدينة نيقفوريم . إن رواية مماثلة نشأت عن مدن أخرى على امتداد الفرات ، وكل منها ينسب تأسيسها إلى الاسكندر ، رغم أننا نعرف دون شك أن الأمر لم يكن كذلك .

وعند مصب البليخوس في الفرات ، أي قرب الموضع الذي كانت نيقفوريم تقع فيه ، نشأت فيما بعد كالينيكوس ( اميانوس مارسلينوس ، المصدر السابق ، ٢٣ ، ٣ : ٧ ) .

وتعزو حوليات باسكاله ( منه ) ، العمود ٤٢٩ ، وميخائيل السوري ، في مدونته ( شابو ) ، المجلد ٤ . ص ٧٨ ) تأسيس هذه المدينة إلى سلوقس الثاني كالينيكوس ( ٢٤٧ - ٢٢٦ ق . م ) وذلك إما في عام ٢٤٤ أو ٢٤٢ ق . م .

ويقول ليانيوس ، في رسائله ( ١ ، ٢٠ ) أن مدينة كالينيكوس الواقعة على الفرات سميت نسبة إلى استاذ البلاغة كالينيكوس الذي أقام هناك . — عاش استاذ البلاغة هذا ، وهو من أهل (بطرا) ، في زمن حكم كالينوس ، حوالي ٢٦٩ م . ومما يشك فيه كثيراً أن يكون المسيحيون ( وكان عدد كبير منهم في المدينة في وقت مبكر يرجع إلى القرن الثالث والذين احكموا السيطرة عليها في القرن الرابع ) قد وافقوا واحتفظوا للمدينة بالاسم الجديد المعطى لها نسبة إلى استاذ البلاغة الوثني . ويبدو أنه وجدت بلستان عند مصب نهر البليخوس في الفرات منذ زمن سحيق : اولاهما وهي التي احمد بناءها سلوقس نيقاتور ، سميت نيقفوريم ؛ والثانية ، وهي التي اعاد تسميتها



ملوقس الثاني ( كاليينيكوس ) سديت كاليينيكوس . وكانت نيقفوريم لعدة قرون اكثر اهمية من كاليينيكوس ، الا ان الامر انعكس فيما بعد لصالح المدينة الثانية التي بدأت بالانتعاش الى حد كبير . واخيراً ، في القرن الثالث للميلاد اضممحت نيقفوريم بوصفها مدينة ، وبقيت مجرد ضاحية من ضواحي كاليينيكوس . ان هذا الامر يؤيده الكتاب العرب ، وبوجه خاص شعراء ذلك العهد قبل زمن العباسيين ، الذين يطلقون على المدينتين اسم الرقتين ، ويدعون واحدة بالرقعة «السوداء» ، او «المحترقة» ، والأخرى الرقة «البيضاء» . ويدعون الرقة البيضاء ايضاً بالاسم القديم كاليينيكوس . ومن هذا استنتج ان المدينة «السوداء» او «المحترقة» كانت نيقفوريم القديمة .

ويحدد درويسن ، في تاريخه ( ١٨٧٨ المجلد ٣ ، ص ٢ ، ص ٣١٠ ) موقع كاليينيكوس في خرائب «هرقلة» ، الا ان هرقلة كانت قصراً بنسائه الخليفة هارون الرشيد لحسناء بيزنطية رفيعة الأصل ، كان قد اخذها أسيرة ( ياقوت ، المعجم [ فستفلد ] ، المجلد ٤ ، ص ٩٦٢ ؛ الطبري : التاريخ [ دي خويه ] ، السلسلة ٣ ، ص ٧١٠ ) .

وكان كراسوس في عام ٥٤ ق . م يستولي بسهولة على مدن تسكنهاغالية اغريقية ، كما كانت الحالة مع نيقفوريم (كاسيوس ديو ، التاريخ ، ص ٤٠ ، ١٣) . ويروي فلورس فسي الخلاصة ( ، ص ٣ ، ١١ ) أنه حينما خيم كراسوس عند نيقفوريم زاره هناك مبعوثو روديس .

واستناداً الى سترابون ( المصدر السابق ، ص ١٦ ، ١ : ٢٣ ) فقد عاش في المنطقة الحصبة جداً الواقعة بين زوكما في كوماجين وزوكما القديمة بالقرب من ثيساكوس شعب سماه المقدونيون باسم مكدونيس . وكانت فسي منطقتهم مدن نسيبيس وتكرانوسيرتا وكارهي ونيقفوريم : الخ .

وكان بليني ( المصدر السابق ، ص ٥ ، ٨٦ ) ايضاً يعلم بمدينة اسمها نيقفوريم في ولاية الجزيرة .

واستناداً الى بطليموس (الجغرافية ، ج ٥ ، ١٧ : ٥) فإن نيقفوريس كانت تقع على الفرات في بلاد الجزيرة .

ويبدون كل من يوتروبيوس فسي موجزه ( ج ٩ ، ٢٤ ) وثيوفانيس في الكرونوغرافياً ( منه ) ، العمود ٦٩ ( أن كاليريوس ماكسيميانوس هزم هزيمة تامة في عام ٢٩٧ بين مدينتي كالينيكس وكارهي . ويدون لبيانوس ( المصدر السابق ، ج ١ ، ٢٠ ) أن حامية كالينيكوس لم تستطع تموين نفسها ، فكان على حاكم اقليم الفرات ان يمونها .

وفي عام ٣٦٣ قام اميانوس مارسلينوس بزيارة كالينيكوس ووصفها بأنها حصن ضخم وانها هامة باعتبارها مركزاً تجارياً ( المصدر السابق ، ج ٢٣ ، ٣ : ٧ ) .

ويذكر يورانيوس ، في الشذرات ( ملر ) ، ص ٥٢٩ الاسم القديم نيقفوريس ويضيف الى ذلك ان المدينة تدعى ايضاً ( قسطنطينة ) وانها تقع قرب اديسا .

وفي عام ٣٩٣ أشعل المسيحيون النار في الكنيس اليهودي في كاستروم كالينيكوم . فأمر الامبراطور ثيودوسيوس مطران تلك البلدة ان يعيد بناء الكنيس . واستجابة لهذا قام المطران امبروز من ميلان بالكتابة الى الامبراطور مشتكياً ان اليهود سبق لهم أن أحرقوا كنائس متعددة دون ان يدفعوا شيئاً لاعادة بنائها ( امبروز ، رسالة الى ثيودوسيوس [ منه ] ، الاعمدة ١١٠٥ وما بعد ) .

وقد حضر داميانوس مطران كالينيكوس المجمع المسكوني ( ٥٤١ م ) ووقع على رسالة مطارنة اقليم اوسروئين الى الامبراطور ليسو ( منسي ، المجمع [ ١٧٥٩ - ١٧٩٨ ] ، المجلد ٦ ، العمود ٥٧١ ؛ المجلد ٧ ، العمود ٥٥٣ ) .

وفي عام ٤٦٥-٤٦٦ م قام الامبراطور ليو باعادة بناء مدينة كالينيكوس

في اقليم اوسروئين ، واطلق عليها اسم ليونتوبوليس ، ونصب مطراناً فيها (ابن العبري التاريخ السوري [بيجان] ، ص ٧٧ ؛ اسيمانوس ، المكتبة الشرقية [روما ، ١٧١٩ - ١٧٢٨] ، المجلد ١ ، ص ص ٢٥٨ و ٤٠٥ ؛ تاريخ اديسا [هالير] ، ص ١٥٢) .

وفي اواخر عام ٥٠٣ م كن الملك الفارسي قباذ الأول عائداً بحداء القرات من اراضي بلدة سروج . وعندما وصل الى كالينيكوس أمر أحد قاداته بمهاجمة البلدة . فنفذ القائد ما أمر به ، الا أنه فوجيء بالقائد الروماني تيموستراتس الذي اخذته اسيراً . ثم هدد قباذ بمحاصرة كالينيكوس وتدميرها تدميراً تاماً إن لم يطلق تيموستراتس الاسير . فقام تيموستراتس بتنفيذ ذلك . (يشوع العمودي ، المدونة [مارتن] ، ص ٥٥ ؛ اسيمانوس ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٢٧٦) .

وفسي بداية القرن السادس للميلاد ورد ذكر الديرين مار زكاي وقدر او عمود ، بالقرب من كالينيكوس (حياة مشاهير الرجال المنوفست [بروكس] ، ص ٣٨ ؛ ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ص ٤١٤ وما بعدها) .

وفي عام ٥٢٩ م اصدر جستنيان امراً ان تنحصر اعتباراً من ذلك التاريخ فصاعداً جميع الأعمال التجارية بين البيزنطيين والفرس فسي المدن الثغرية نصيبين وكالينيكوس وارتاكساتا فقط ، وذلك لمنع التجار البيزنطيين من التجسس في الامبراطورية الفارسية ، والتجار الفرس من القيام بنفس العمل في الامبراطورية الرومانية . (مجموعة قوانين جستنيان ص ٤ ، ٦٣ ، ٤ ؛ [كروكر] ، ص ١٨٨) . ومن الطريف ان فلاسفلان جستنيان لا يعترف باسم ايونتوبوليس الذي اطلقه سلفه على كالينيكوس .

ويحسب ثيودوسيوس ، في كتابه موقع الارض المقدسة (كثير ، ص ١٥٠) المسافة من كالونيكو (كالينيكوس) الى قسطنطينية ستين ميلاً

ومن قسطنطينيه الى اديسا ثمانين ميلاً . وفي المدينة الأخيرة عاش الملك ابجر الذي كتب الى اليسوع المسيح .

ويذكر هيروقليس ( في حوالي ٥٣٥ م ) ان من بين مدن ابرشية اوسروئين مدينة ليونتوبوليس او كالينيكية [ بركهارد ] ، ص ١٢٩ . ويريوي بروكويوس ، في كتابه الحرب الفارسية ( ح ٢ ، ٢١٠ ، ان كسرى استولى في عام ٥٤٢ م على كالينيكوس بسهولة كبيرة . ولما كانت التحصينات متداعية في بعض الاماكن ، فان جستنيان كان قد أمر باعادة بنائها ( المؤلف السابق ، المباني ، ح ٢ ، ٧ ) . وكانت الخطة أن يتم ذلك بهدمها جزءاً فجزءاً واعادة بنائها في الحال . وعند ما لم يمكن كسرى من الاستيلاء على سيرجيوبوليس ، فإنه أمر بمد جسر قوارب على الفرات ، وبهذا اقترب من كالينيكوس ، ودخل المدينة من موضع كان الجدار فيه قد هُدم آنذاك تماماً . فالتجأ الجنود والأهلون الاكثر ثراءً الى محل آخر ، الا أن المدينة كانت مكنتة بالفلاحين من المنطقة المجاورة . الذين اخذوا اسرى وهدمت المدينة ، ولكن جستنيان سرعان ما قام بتحسينها ثانية ( جيمس الرهاوي ، القانون التاريخي [ بروكس ] ، ص ٣٠٠ : ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٢٨٧ ) .

وكان المطران العلامة كيرياك الالماني ( ٥٧٨ - ٦٢٣ ) يأتي من دير مار زكاي في كالينيكوس ( المصدر نفسه ، ص ٣٩٩ ) .

وفي المجمع الكنسي الذي عقد في دير مار حنانيه : الواقع في الصحراء بين اربيليسوس وكالينيكوس تم انتخاب القس الشاب بطرس ، ابن بولس من كالينيكوس ، بطريركاً لانطاكية ( المصدر نفسه ، ص ٣٧٠ و ٣٧٩ : ابن العبري ، المسبوبة الكنسية [ ابيلوس ولامي ] ، المجلد ١ ، العدد ٢٥٠ : يوحنا من افيسوس ، التاريخ الكنسي ، ح ٤ ، ٢٢ ) .

وبعد ارتقاء الامبراطور جستين الثاني العرش قسام بارسال الشريف  
الروماني يوحنا من كالينيكوس مع هدايا الى كسرى . وعند عودته  
عُقد مجمع كنسي في دير ماز زكاي . وفي هذه الفترة ورد ذكر مار  
قيروس في كالينيكوس : ( ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ،  
ص ٣٣١ و ٣٣٤ ) .

وفي بداية القرن السابع ( ٦٠٢ م ) يستخدم جورج جوس قبريوس ( الوصف  
[ جلتيبر ] ، ص ٤٥ ) في قائمة مدن ابرشية اسزوثين الاسم الاقدم  
كالينيكوس ولكن يضيف انها تسمى ايضاً ليونوبوليس .  
ويذكر دنخا ( تاريخ مروثا [ فاو ] ، ص ٧٠ ) قبل عام ٦٢٩ بقليل  
دير زكاي في كالينيكوس .

وفي عام ٦٣٩ م استولى المسلمون على كالينيكوس . او الرقة ، كما كان  
الكتاب السريان يدعونها ايضاً . فقد ارسل قائدهم ، « عياض طريفة الى الرقة ،  
فاغاروا على حاضركان حولها العرب وعلى قوم من الفلاحين فأصابوا  
مغنماً ، وهرب من زبنا من اولئك قد دخلوا مدينة الرقة . واقبل عياض من عسكره حتى  
نزل باب الرها . فلما مضت خمسة ايام اوسدة ونم على ذلك ارسل بطريق المدينة الى  
عياض يطالب التعاون : فصالحه عياض على ان آمن ببيع اهلها على أنفسهم  
وذراريهم واموالهم ومدنهم » ، ( ايايا النصيبى : المدونة التاريخية الكبرى  
[ بروكس ] ، ص ١٣٣ ، البلاذري ، الفتوح ، [ دي خويه ] ، ص ١٧٢  
وما بعدها ص ١٧٥ )

وفي حملة على بن ابي طالب على معاوية في عام ٦٥٦ م « خرج على من الخيابة  
بمن معه ، فلما دخل المدائن ... فلما انتهى علي الى الرقة قال لائل السروقة اجسروا  
لى جسراً حتى اعبر من هذا المكان الى الشام . فبعثوا اليه انا ناصبون لكم جسراً  
فأقبلوا ، وجاء عساي فنصبوا له الجسر ، فمضى عليه بالانقال والرجال ،  
( الطبري ، التاريخ [ دي خويه ] السلسلة ١ ، ص ٣٢٥٩ ، ابن مسكويه ،

التجارب [ كاتاني ] ، ص ٥٧١ . ) وتطبق النخيلة على نخان ابن نخيلة الذي يبعد مسافة ميتين كيلو متراً شمال - الشمال الغربي للكوفة . والمدائن هي التسمية العربية لطيسنتون والمائن المجاورة ، وهي ضواحي ساوقية السابقة . ويذكر ابن قيس الرقيات ، في ديوانه ( رودوكناكيس ) ص ٢٢٢ ، انه حوالي عام ٦٩٠ كانت بلادنا الرقة والتكس - مهجورتين ، كما أن لحم يسكن بهما آنذاك ، وحتى الدبر بالرقبة رب من بليخ كان خالياً وارتفعت جدرانها العالية كتسبب تلكاري لشبب بئد . ويقول في موضع آخر ( ص ٢٨٥ ) انه ، أثناء رحلته من الجنوب الغربي أو الجنوب للاح له جليل البشير بالتدريج ثم الرقة السوداء أخيراً .

أما ان مسلمة القرى المتعددة حول الرقة كانت مهجورة وأنه لذلك اضطر أناس كثيرون الى هجرة الرقة ، فذلك مما نتج عنه من مصادر عربية أخرى . واما القول بأنه لم يكن فيها سكان على الاملاحة ، فانه ولا ريب من قبيل مبالغات الشعراء . ومن المحتمل أن تكون التكس اسماً حرفه الشعراء كالينكوس . واما لاريب فيه ان الدبر القائم بالقرب من البليخ مطابق لايسر اس - تونا او انورد ( ميخائيل السوري ) المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٤١٤ ) ، انه حتى مسدا لاسم يكن مهجوراً آنذاك . وينسج رودوكناكيس ( المكان نفسه ، ملاحظة ٣ ) دبر الجانحين ( كرايكوس ) على دبره ، وهو دبر مستحيل على الانسان ، والبشير هو جليل البشري الحالي ، والرقة السوداء كانت إحدى المدينتين السابقتين ، واماها نيتانوريم . وكانت المدينة الثانية تدعى الرقة البيضاء ، وقد ذكرنا على ان الشاعر الأسطوري . في ديوانه ( الصالحاني ص ٣٠٤ ) الذي وصف برين ابراهيم .

وقد أمر الفيلسوف هشام الذي آلت اليه المنطقة المجاورة لارقة على

شكل اقطاعية بشطهير نهري الطني والمري ونزلا . في بداية القرن الثامن الميلادي ، كما  
تأسست عدة مساجد على ضفافهما ، وُشيد جسر على القنات ( ميهخائيل  
السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٤٥٧ ؛ المنسوب لديونيسيوس من  
التل معري في المدونه [ شابو ] ، ص ص ٢٦ و ٣١ ؛ ابن الطبري ،  
التاريخ السرياني [ بيجان ] ، ص ١٥٦ ) .

وفي عهد مروان الثاني ( ٧٤٤ - ٧٥٠ م ) ورد ذكر اسم يوحنا  
مطران كاليينيكوس ، الذي انتخب بطريركاً في عمام ٧٦٠ م ( ميهخائيل  
السوري ، المصدر السابق ، ص ٤٦٨ ؛ المنسوب لديونيسيوس التل معري ،  
المصدر السابق ، ص ٧٠ ؛ ابن الطبري ، التاريخ الكنسي  
[ ابيلولس ولامي ] ، المجلد ١ ، العمودان ٢٢٢١ و ٢٢٢٣ ؛ ايليا النصيبى ،  
المصدر السابق ، ص ١٧٦ ) .

وفي عمام ٧٧٢ م شيد الخايضة النصور مدينة الرافقة بالقسرب من  
كاليينيكوس . وأمر ر هارون الرشيد باحاطتها بسور آخر ( ميهخائيل  
السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ص ٤٧١ و ٤٨٣ ؛ المنسوب لديونيسيوس  
من تل معري [ لعلها تل معرق ] ، المصدر السابق ، ص ص  
١٢٠ وما بعدها في اليمقوبي ، التاريخ [ خوتسما ] ، المجلد ٢ ص ٤٣٠ ) .  
وفي عام ٧٩٣ م أنتخب كيريلك بطريركاً ، وهو راهب من دير بيزونا ،  
او استونا ، ( عبود ) في كاليينيكوس ابن الطبري : التاريخ الكنسي  
( ابيلولس ولامي ) ، المجلد ١ ، العبود ( ٣٢٩ ) .

ويذكر ابن الطبري المصدر السابق ، المجلد ٢ ، العمود ( ٢٠٥ )  
انه في سنة ٨٧٢ كانت كنيسة القديس توماس تعود الى اهالي تكريت  
المقيمين بالركة . وفي عام ٨٧٣ دُفن البطاريك يوحنا في دير مارزكاي ،  
حيث كان راهباً فيما سبق ( المصدر نفسه ، المجلد ١ ، العمودان ٣٨٥  
و ٣٨٧ ) .

ويذكر ابن الفقيه ، في البلدان ( ذي خويه ) ، ص ١٣٢ ) ان الرقة في ديار مصر .

ولم يكن للرافقة اثر ، وإنما بناها المنصور على بناء مدينة بغداد ، ورتب فيها جنوداً من أهل عراسان

ويقول ابن سيرايون ، في العجائب (لوسترنج) ص ١٢ ) ان نهر البليخ اوله من ارض جبال من عين يقال لها الذهبانية يمر فيمقتى نهباتاً ورسانيق ويمر في ظهر مدينة الرقة ويصب في الفرات اسفل من الرقة السوداء في الجانب الشرقي

ويذكر الاصطخري قسماً مالكة (دي نخويه) ص ٧٥ فلما بهمد ، ديار مضر فان الرقة اكبر ما فيها من المدن ، والرقة والرافقة مدينتان متلاصقتان ، وفي كل واحدة منهما مسجد جامع ، وهما على شرقي الفرات كثيرتا الاشجار والمياه في مستوى ، وفي غربي الفرات بين الرقة وبالس ارض صفين وبالرقة موضع يقال كان بيت علي أيام صفين .

وبالاضافة الى الرقة ، مركز ديسار مغبر ، يذكروا المقدسي ، في حسن التماسيم (دي نخويه) ص ١٣٧ و ١٤١ ايضاً المدن المحترقة : الرقة (الرافقة) وخرانوقة الخريش وتدل على (١٢) . والرقة حصار عريض يسير على متنه فارسان ، غير كبيرة ، ولها بابان ، غير ان لها طيبة نسيخة قديمة الخطية ، حسنة الاسواق ، كثيرة الثرى والبساتين والخيرات ، ومكان الصابون الجيد والزيتون ، ولها جامع عظيم ، وبها حمامات طيبة . قد خاللت اسواقها وبرقت قصورها ، وانتشر في الافليمين ذكرنا ، فاشام على ثمنها والفرات الى جنبها ، وانما هم كثير بها ، الا ان الاء راب بها ، والبس ، اليها صعبة والرقة المحترقة قريبة منها قد خربت وخربت .

والرافقة في ريف الرقة : الجامع في المباشرة ، وجامع الرقة في البرازيين ، فيه شجرتا عناب وشجرة توت ، وبالقرب مسجد سابق علي بن ابي طالب

ويكتب الشابشي الديارات (اللوطة برلين) ، ورقة ٩٥ الوجه المقابل ) ان دير زكـ اي ية . مع في الرقة على الفرات ومن نهج نهر البليخ



وهو من احسن الديارات، موقعاً وازدهاراً موضعاً ، وكانت الملوأ اذا اجتازت به  
نزلته واقامت به ، لانه يجتمع به كل ما يريدونه من عمارته ونفاسة ابنيته  
وطيب المواضع التي به ، ونزهة فطاهرة ، لان له بقايا عجيبة ، وبناحيته  
مسن الغزلان والارانب وما شاكل ذلك مما يصطاد بالجراح من طير الماء  
والحبارى واصناف الطير ، وفي القسرات بين يديه مطارح الشباك للسماك .  
وفي شباط ( فبراير ) ، ١١٣٥ م ، ذهب زنكي الاتابكي من الرقة  
بطريق العبيدية الى حماة ( كمال الدين : التاريخ [ دو مينار ] ، ص ٦٦٩ ) .  
وكان ياقوت ، في معجمه ( فستلند ) ، المجلد ٤ ، ص ٩٩٤ ، على  
دراية بنهرى الهني والمري عند الرقة والرافقة . فقد ذكر الهني والمري نهران بازاء  
الرقة والرافقة حضرهما هشام بن عهـد الملك واسـديـث . فيهما  
واسط الرقة ، ثم ان تلك للضيعة ، اعنى الهني والمري قبضت في اول ايام  
الدولة العباسية ، وانتقلت الى ام جعفر وزادت في عماراتها قال ذلك البلاذري ،  
وفي نحو ١١٧٧ م كان حنا ذنبا مطراناً في كاليـنيـكوس ( ابن العبري ،  
المصدر السابق ، المجلد ١ ، العمود ٥٦٥ ) .

ويذكر الدمشقي ( النخبة (ميرن) ، ص ١٩١ ) ان الرقة هي المركز الرئيس لبلاد  
مضير . ويفترض ان تكون الرقة البيضاء مدينة رومانية موعلة في القدم .  
وقام الخليفة المنصور في عام ٧٧٢ ببناء مدينة جديدة بجانبها واطلق عليها  
الرافقة . ويقال ان المدينة الاولى ( اي الرقة البيضاء ) كانت قد هدمت ، الا  
ان اسمها ظل باقياً ولا يزال يستعمل فيما يتصل بمدينة الرافقة . ويجري نهر  
الهني والمري بجانب المدينة وعلى ضفافهما قري . وتعتبر هذه المنطقة المجاورة  
من اجمل بقاع العالم . واصبحت مدينة حران عاصمة بلاد مصر .  
ويروي ابو الفداء ، التقریم ( رينر وديسلان ) ، ص ٢٧٧ ان الرقة في  
زمانه ( في بداية القرن الرابع عشر ) كانت مهدمة ومهجورة تماماً .

ويذكر أوليا جلبي ، التاريخ ( ترجمة فون همبر ) ، المجلد ١ ، ص ١ ،  
ص ٥٥ سناجق : جماسا وخازبود ودير رجة وبني ربيعة وسروج وحران  
ورقي وورها ( اووزفه ) حيث يقفم الباشا .

## الملحق الثاني عشر

### بيرثا وزنوبيا وحلبية

وفي حلبية أحدد موقع مدينة دور كرباتي ، او نيرتي اشور التي بنيت في عام ٨٧٧ ق . م بأوامر من اشور ناصربال الثالث ( الحوليات [ رولسن ، كتابات مسمارية ( ١٨٦١ - ١٨٨٤ ) ، المجلد ١ ، الاوجه ٢٤ ] ، العمود ٣ ، الأسطر ٤٩ وما بعدها ؛ سيج وكنكك ، الحوليات [ ١٩٠٢ ] ، ص ٣٦٠ وما بعدها ؛ انظر ما سبق ، ص ٣٠١ ) .

وسميت حلبية فيما بعد زنوبيا ومن ثم الزباء .

ذكر بروكوبيوس في كتابه المرسوم بالباباني ( ٢ ، ٨ : ٤ - ٨ ) انه بين إقليم كوماجين الحلوذي ، وهو الاسم الذي كان يطلق على اقليم الفرات سابقاً ، والامبراطورية الفارسية تستند منطقة شاسعة متفرقة لا تحتوي على شيء يستحق القدر . مال من اجله وقد بنى كل من الفرس والرومان على حدود هذه الصحراء حصوناً من الآجر التي لم تهاجم قط لانها لم تكن تحمي شيئاً يستثير الطمع في الثنائيم . وفي هذه الصحراء امر الامبراطور دقلديانوس ببناء ثلاثة حصون من الآجر : ومن بين هذه الحصون الثلاثة أفسس الامبراطور جستنيان لإعادة بناء حصن مبري (ورد ايضاً ميسري ) المنهدم الذي يقع على بعد خمسة أميال رومانية تقريباً من زنوبيا . ويمكن البحث عن مبري او مبري ، فسي خرائب الشيخ مبارك عند محطة التبني الحالية ، على مسافة سبعة كيلومترات من حلبية .

ويدون بروكوبيوس ( الحرب الفارسية ، ٢ ، ٥ : ٤ - ٧ ) المؤلف نفسه ، الباباني ، ٢ ، ٨ : ٨ - ٢٥ ) ان مدينة زنوبيا تقع على مسيرة ثلاثة أيام كاملة من قرقيسيوم . وقد اسسها زنوبيا وسميت نسبة اليها . وزنوبيا هي

زوجته اوديبوس [ اي اذينه ] ، سلك سراقنة تلك المنطقة .  
الذين كانوا متحالفين مع الرومان . وبمرور الزمن عندما تحولت الخصمينات  
الى خرائب غادر الأهليون المدينة ، مما اتاح للفرس دخول الاراضي الرومانية  
متى شاءوا دون ان يحلم الرومان بذلك . إلا بعد وقت طويل . ثم أمر جستنيان  
بإعادة بناء هذه المدينة واسكان الناس فيها ووضعت حامية قوية هناك وعلى  
رأسها قائد . ولم تقهر القسطنطينات على المدينة القديمة فحسب بل على الروابي  
المحيطة بها كذلك لكي لا يمرض الأهليون لرمي من القمم الأعلى منها .  
ويجري الفرات بين الاجراف الصخرية السامية القريبة من المدينة . وعندهما  
يفيض النهر يصل الى اسوار المدينة وينخرها . ولهذا السبب أمر جستنيان ان  
يبنى هذا الجزء من الاستحكام بجلاميد صخرية كبيرة وقواها اضافة الى ذلك  
بسد واق من الجلاميد البازلت الصخرية حتى لا يتمكن الماء من الوصول الى  
الجلاميد الصخرية . وامتدت المدينة شمالاً ، كما تحمى من النمل العالي الى الغرب  
منها ، وبنيت كنيسة وحمامات ومبان ذات اروقة . والمسافة بين قرقيسيا الى  
حامية مئة كيلومتر ؛ اذن يحسب بروكتر بيوس ثلاثة وثلاثين كيلومتراً للمسيرة  
الواحدة .

واستناداً الى تاريخ الخلفاء ( لاند ) ، ص ١٦ ) ففي ٦٠٩ - ٦١٠ م  
قام الفرس باحتلال مسكن ، ديسا وخرآن وكالينيكوس وقرقيسيا وكذلك  
جميع المدن شرقي الفرات التي كانت تشكل محطاً حدودياً . وفي ٦ آب  
( أغسطس ) ، ٦١٠ م عبر شهر براز النهر واستولى على مدينة زنوبيا على  
الضفة الغربية من الفرات .

ويروي ابن قتيبة ( المعارف ) ( فستفلد ) ، ص ٣١٧ ) ان جلديمة ( الاسطوري )  
نحطب الزباء وكانت بنت ملك الجزيرة وملكت بعد زوجها فاجابته فاقبل  
اليها ، فلما دخل عليها قتلته ، فطلب عمرو ابن اخته وقصير بخلامه بثأر قتلها  
وخلفا في بلادها رجلاً ورخباً بالبنائهم

أطلب عدس وابن اخيه وتصير غلامه بأثره فقتلها وخلفا في بلد ما رجلاً وجعل بالغنائم .  
ويروي اليعقوبي ( التاريخ ( هوتسما ) ، المجلد ١ ، ص ٢٣٨ ) ان  
المتقدمين لجديمه استخدموا مكيدة للدخول الى مدينة الملكة الزباء ، اذ قاموا  
بجمل اربعة آلاف رجل على الفى بجمل بهم السيوف ثم ادخلوهم مدينتها وفيهم  
عمرو وفرق الصناديق في منازل اصحابها وادخل عدة منها دارها ، فلما كان  
الليل خرجوا وقتلوا الزباء .

ذكر ياقوت في معجمه ( فستفك ) ، المجلد ٢ ( ص ٩١٢ ) وابو  
الفضائل في مراصده ( يوينبول ) ، المجلد ١ ، ص ٥٠٤ ، أن الزباء مدينة  
على شاطئ الفرات سميت بالزباء صاحبة جديمة الابرش .

وفي حوالي نهاية القرن الثاني عشر هدمت مدينة الزباء القديمة ، الا ان عدداً  
كبيراً من النصب التذكارية الجميلة ظلت قائمة تثير الاعجاب .

والى الجنوب الشرقي من حلبية عند النقطة التي تأخذ فيها قناة المصهران من  
الفرات تمتد خرائب زلبه . ان موقعها ذو اهمية كبيرة . وزلبه تقع على الحد  
الغربي لسهل فيضي طويل كان يجهزها بجميع احتياجاتها ، وكانت تسيطر  
على كل الطرق البرية والمائية للمنطقة ولهذا السبب كان لسكانها الاصليين  
منذ بداية الألف الأول قبل المسيح حصنهم الخاص بهم  
وهو الحصن الذي اضدر اشور ناصربال اثناء حملته في ٨٧٧ ق . م  
( الحوايات [ رولنسن ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، اللوحة ٢٤ ] ، العمود  
٣ ، السطور ٢٧ - ٥٠ ؛ بيغ وكنتك ، المصدر السابق ، ص ٣٥٣ -  
٣٦٦ ) امره بتقويته ، وسماه اياه كار - آشور ناصربال . ولنا ان نفترض  
ان السكان الاصليين اطلقوا على مركزهم الإداري بـ ( حصن )  
وان الاسم الرسمي كار - آشور ناصربال . كان قد اختفى ، الا ان الاسم  
المحلي بـ ( بروتو ) الذي كان يطلق على الحصن الرئيس للمنطقة ظل باقياً ( فورر ،  
تقسيات ادارية ، ص ١٠٥ ) .

ونعلم من ايسيدور الكرنخي ( المحطات الفرعية . ( ملتر ) ، ص ٢٤٧ )  
انه كان يوجد في زلبه فيما مضى محلة ملكية فيها هياكل لأرتيميس

وان الملك دارا بنى قصراً ملكياً ، سمى رحضرت عنده اميس قناة لاري . ولكي يجري الماء من النهر الى القناة ، تم تضيق الفرات بسد مبني بالحجارة . وفي فصل الخريف عندما يقل الماء في النهر ، كانت قوارب كثيرة تتحطم على هذا السد ويحتمل ان الملك دارا طلب بناء قصره الملكي في مركز المنطقة الادارية ، وان هذا المركز كان بيرثا اي بيرتو الآشورية .

وفي زمن السلوقيين اسس المقدونيون عدداً من القسرى على الضفة اليسرى للفرات الأوسط . ويدعو المؤلفون المتأخرون مدينة بيرثا ايضاً باسم مقدونوبوليس ، مما يحملنا على الزعم بان المقدونيين ايضاً توطنوا في بيرثا ؛ ولعل هيكل ارتيمس كان نصباً تذكارياً لذلك . ومن الواضح ان الاسم الرسمي الجديد لم يصبح شائعاً عند المواطنين الاصليين قط ، وانه اختفى بزوال الحكم السلوقي ؛ ولم يظهر ثانية حتى العهد المسيحي عندما انعشت الكنيسة استعمال اللغة الاغريقية في منطقة الفرات الاوسط . وهذا يفسر لماذا أغفل ايسيدور الكرخي اسم المحطة الملكية التي يقع هيكل ارتيمس فيها .

ويدون بطليموس ( الجغرافية ، ٥ ، ١٩ : ٣ ) قسرية باسم بيرثا إلا انه يضعها على الضفة اليمنى للفرات في بادية الشام جنوب شرقي مصب نهر ابوراس ( الخابور ) ، وهكذا تكون في منطقة خندانو السياسية القديمة . وبما ان كلمة بيرثا هي تسمية شائعة لحصن وانه كانت عدة اماكن فسي الاراضي التابعة للفرات الاوسط ودجلة تحمل هذا الاسم ، فلعل بطليموس كان يقصد حصناً آخر .

وكانت مقررات مجلس نيقية في عام ٣٢٥ م قد وقعها شخص يدعى مارياس من مدينة مقدونوبوليس باعتباره أحد مطارنة اقليسم الجزيرة . وفي النص السرياني يُقرأ اسمه مارا من بيرثا ( كلتسر ، اسماء مشاهير الآباء من نيكائية [ ١٨٩٨ ] ، ص ٢٢ و ٦٤ و ١٠٢ ) . ولم يصل إقليم الجزيرة الى الضفة اليمنى للفرات فسي اي موضع كسان ؛ فسلا بد اذن

من البحث عن اسقفية بيرثا ، او فقد ونوبوليس ، على الضفة اليسرى .  
 وشارك مطران اسمه دانيال من بيرثا (مقدونوبوليتانوس ، باللاتينية )  
 من ابرشية اسروئين في المجمع المسكوني ( ٤٥١ م ) (ميخائيل السوري ،  
 المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ١٩٩) . ان اسروئين لم تصل الى ضفة  
 الفرات اليمنى قط .

وبعد هذا المجمع فُصل يوحنا ، وهو كاهن محلي يلي الاسقف في المرتبة ،  
 ولقد ورد ذكر اسم الكاهن الذي يلي الاسقف بالمرتبة قسطنطين من دير من كنرا  
 بيرثا (المصدر نفسه ص ٢٦٦) . كفرا بيرثا في وثائق ... مونوفيسية .  
 ( شابو ) ، ص ص ١٦٣ و ١٧٣ و ١٨١ و ١٨٤ .

وتسلم المطران سيرجيوس ، من حصن بيرثا الواقع على ضفة الفرات  
 اليسرى ، نحو نهاية عام ٥٠٥ م إعانة مالية من الامبراطور انستاسيوس (٢٩١-٤٠٠  
 ٥١٨) تمكن بها من ترميم اسوار محل اقامته (يشوع العمودي ، المدونة [ مارتن ]  
 ٩٣) .

ويذكر هيروقليس في كتابه : السينود (يركهات) ، ص ٣٩ (وجورجيوس  
 كبريوس ، في كتابه اسوسوم بـ) الوصف «كلتسر» ، ص ٤٥) الاسم بيرثا  
 على انه احد مدن ابرشية روسروانيس (اسروئين) .



## الملحق الثالث عشر

### فاليكا وقرقيسيوم وقرقيسياء

ان مستوطنة البسيرة الحديثة هي قرقيسيوم القديمة .  
 يروي ميخائيل السوري في مآلونه (شابو) ، المجلد ٤ ، ص ٧٨ )  
 ان الملك السوري سلوس ، ويدعى كالينيكوس ، بني مدينتين على نهر  
 خابورا (أو الخابور) سمى احدهما كالينيكوس نسبة له ، والثانية قرقيس .  
 ويكتب ، ابن العبري (التاريخ السوري [بيجان] ، ٣٨) قرقيسيون بدلاً  
 من قرقيس .

ولا يذكر احد من المؤلفين القدامى الذين نعرفهم بلدة باسم قرقيس ، بناها  
 سلوقس كالينيكوس (سلوقس الثاني ، ٢٤٧ - ٢٢٦ ق . م) . على ان  
 السلوقيين كانوا من اعظم البناة ولذا فمن الممكن ان يكونوا قد اسسوا  
 بالبلدة قرقيس اليونانية عند ملتقى الخابور بالفرات ، وهي نقطة تجارية  
 هامة ، ومن المحتمل ان كان هناك بلدة محلية قبل ذلك . والاسم اليوناني  
 قرقيس اعاده الى الوجود فيما بعد ديوقليانس بصيغة قرقيسيوم .

ويشير ايسيدور الكرخي ، في المحطات القرثية (ملر) ، ص ٢٤٨ )  
 الى بلدة فاليكا عند مصب خابوراس في الفرات ، ويذكر ان الاسم  
 فاليكا يعني منتصف الطريق ، ويذكر ايضاً بلدة صغيرة محصنة باسم  
 نيكث متصلة بفاليكا .

وفسي وصف اريان ، في شاراته ، ص ١٠ (ملر، ص ٥٨٨) ، ابصار  
 اسطول تراجان على الفرات ، مكاناً كان يطلق عليه فلكا (انظر  
 روس ، دراسات اريانية [١٩١٢] ، ص ص ٥٠ وما بعدها) .

وقد اصحاب اسطيفان البيزنطي في قوله ( في كتابه الاجناس ( ماينكه )  
 ص ٦٥٦ ) عندما وضع ان فلكا مكان يقع في منتصف الطريق بين سلوقية  
 بياريا وسلوقية في بلاد ما بين النهرين . والمسافة من فلكا الى سلوقية  
 بياريا بحذاء الفرات تبلغ ٨٤٠ كيلومتراً . ومن هناك الى سلوقية في  
 بلاد ما بين النهرين ٨٥٠ كيلو متراً . ويحتمل ان يكون اسم فلكا قد  
 اطلقتها القوافل التجارية على البلدة بينما كان الاسم الأصلي : ولارب ،  
 يلفظ بصورة مختلفة تماماً . وارى ان فلكا مطابقة لقرقيس اليونانية ، بُنيت  
 للتحارب بالقرب من بلدة نيكاث المحلية ؛ وحتى الخرائب الحالية  
 تبدو مقسمة الى نصفين غير متكافئين . ففي النصف الجنوبي او البسيرة  
 الحالية احدد موقع بلدة نيكاث المحصنة ؛ وفي النصف الشمالي ،  
 او المتراص الحالية ، احدد موقع المركز التجاري لقرقيس او فلكا .

ولا بد ان بليني كسان يفكر في المركز التجاري لفاليكا حينما ذكر  
 ( التاريخ الطبيعي ح ٥ ، ٨٩ ) ، ان بلدة فيليسكوم القريضة تقع قريباً جداً  
 من مدينة سورا الرومانية ، على بعد حوالي عشرة أيام بطريق النهر من  
 سلوقية وعلى نفس البعد من مدينة بابل تقريباً .

ويروي ايمانوس مارسلينوسس ، ح ٣٣ ، ٥ : ٢ ، ان الامبراطور  
 دوليانوسس أمر باحاطة بلدة قرقيسيوم (قرقيسيوم الصغيرة الباسطة بجدران عالية مع  
 أبراج وذلك لمنع الفرس من نهب سوريا بسهولة كما كانوا يفعلون حتى  
 سنوات قليلة سابقة . ويستنتج من هذا ان ديو كليسيان لم يبين بلدة  
 جديدة ، بل انه قام بتحسين قرقيسيوم القديمة (او قرقيس [ فاليكا ] فقط ، جاعلاً  
 منها حصناً حدودياً منيعاً . وتم وصل بلدة نيكاث ببلدة قرقيس  
 اليونانية وبذلك انتعشت التسمية اليونانية .

وفي عام ٣٦٣ م ، بينما كان الامبراطور جوليان يزحف ضد الفرس ،  
 وصل الى قرقيسيوم ، وهي معسكر روماني على حدود بلاد آشور محاطة



بنهري ابورا (الخابور) والفرات (اميانوس مارسلينوس، المصدر السابق ج ٢٣ ، ٥ : ٢ في مكنوس كارهيتوس ، الشذرات [ملر] ، ص ص ٤ . وما بعدها ؛ زوسميوس ، التاريخ الحديث : ج ٣ ، ١٣ ) . وكان ابراهام ، مطران قرقيسيوم ، من بين من وقعوا على مقررات المجمع المسكوني في عام ٤٥١ م . زميخائيل السوري ، التاريخ [شابو] ، المجلد ٤ ، ص ١٩٩ في هاردوين في مجموعة القرارات [باريس] ، [١٧١٥] ، المجلد ٢ ، العمود ٤٧٣ ؛ مانسي ، [١٧٥٩ - ١٧٩٨] ، المجلد ٧ ، العمود ٤٣٢ . . .

وفي عام ٥٠٢ م ظهر فجأة المناذرة المنحازون للفرس قرب حصن قرقيسيوم الواقعة على الخابور ، الا ان القائد تيمو ستراتيس من مدينة كالينيكوس لمحق بهم وأبادهم ( يشوع العموديني ، التاريخ [مارتن] ، ص ٥٨ ) . وفي مطلع القرن السادس ورد ذكر اسم شخص يدعى نونا من قرقيسيوم باعتباره مطراناً ( الحياة الحقيقية لمشاهير المونوفيسيت [بروكس] ، ص ٦١ ) .

وفي عام ٥٣٦ م وقع داود مطران قرقيسيوم على اعلان المطارنة الشرقيين ضد الاكفالبيين ( هاردوين ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، العمود ١٢٢٢ ) .

وفي ظل حكم جستنيان قسام المنذر ملك المناذرة المواليين للفرس ، بنهب المناطق الحدودية على امتداد الخابور والبلخ وكذلك ، استولوا على مدينة حمتس ( ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ص ٢٧٠ وما بعدها ) .

ويقع حصن قرقيسيوم الثغري الروماني على الضفة اليمنى لنهر ابوراس (الخابور) حيث يصب في الفرات ، وكان يشكل بجدرانها المحصنة مثلثاً بين نهدين النهرين ( بروكوبوس ، الحرب الفارسية ، ج ٢ ، ٥ : ٢ - ٤ ) . ولم يتم دو قليانس بتسوير الحصن بأكمله بل اكتفى بمجرد اقامة

استحكامات خارج المدينة من ابوراس الى الفرات ، متوياً إليها ، بالإضافة الى ذلك ، بـرج يطل على كلا النهرين . اما الجهتان الملاصقتان للنهرين فقد بقيتا بايون استحكامات ، لان النهرين وحدهما كانا يشكلان في نظره حماية كافية . وعندما تداعى اساس البرج الجنوبي بجانب ابوراس الى الـحـد الذي اصبح فيه معرضاً للانهدام ، أمر جستنيان باعادة بنائه بحجر البازلت ، وكذلك تم تزويد الجانبين المتحاذيين للنهرين بأسوار وافية ، ورفعت البلدة الى مرتبة مدينة ، ومنحت حامية بامرة قائد ؛ وفضلاً عن ذلك فقد تم بناء حمامات فيها . ( بروكويوس ، المباني ، ٢٠ ، ٦ : ٢ - ١٢ ؛ ايفاكريوس ، التاريخ الكنسي ، ٥٠ ، ٩ ) .

وفي عام ٥٨٠ م زحف جيش روماني بقيادة موريس ماراً بمدينة قرقيسيوم الرومانية . وكان ينوي قطع بقية بادية الشام ومن ثم مباغته بلاد بابل . الا انه يقال ان الامير الامستدار ( المنذر ) أخذ بر الفـرس بذلك ، فتألموا بتدبير الجسر على الفرات في اقليم بيت ارميا . وفي الوقت ذاته ظهر جيش فارسي كان يتـودده ادورمسان ( وورد ايضاً ذرمهان ) امام مدينة كاليينيكوس . وقسم موريس بتدابير مضادة ، فأمر باحراق قوارب التموين التي على الفرات . ثم أسرع مع صفوفه من جنده لنجدة المدينة المهتدة حتى تمكن من إجبار الفرس على التراجع . ( يوسينا الانسوس ، التاريخ الكنسي ، ٣٠ ، ٤٠ ؛ ٦٠ ، ١٦ وما بعسهما ؛ ثيوفياكتوس سيموكاتا . التاريخ ، ٣٠ ، ١٧ : ٥ - ١١ ؛ ايفاكريوس ، المصدر السابق ، ٥٠ ، ٢٠ ) .

وفي عام ٥٩٠ م كان كسرى الثاني ينـر أمام خصمه الأقوى منه ( ورهان ) على امتداد الفرات بين حصون تابعة للفرس من امثال بيروز شابور ( الامبار ) وديت وعانه ، باتجاه قرقيسيوم . وعندما وصل الى قرابة عشرة أميال من هذا المقتل الثغري بعث برسل الى حاكمها برويوس . وبعد مسيرة ثلاثة ليال وصلوا الى امام البوابات ، سمح لهم الدخول فوراً ؛ وفي الصباح

التالي دخل كسرى نفسه المدينة مع نسائه واطفاله الرضع . ( نولدكه ،  
التاريخ السوري [ ١٨٩٣ ] ، ص ٥ وما بعدها ؛ كويدى ، نص جديد  
[ ١٨٩٣ ] ، ص ٧ ؛ ثيوفيلكتوس سيموكاتا ، التواريخ ، ج ٤ ، ١٠ ،  
: ٤ - ١١ . )

ويذكر جورجيوس كبريوس ، الوصف ( كيلزر ) ، ص ٤٦ )  
من بين مسدن ابرشية اسروئين مدينة قرقيسيا ( قرقيسوم ) الواقعة على حدود  
الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية . »

وفي عام ٦٣٧ م وصل المسلمون من مدينة هيت الى قرقيسيا ( قرقيسوم )  
وافتحوا عنوة ( الطبري ، التاريخ [ دي خويه ] ، السلسلة ١ ، ص ٢٤٧٩ ) .  
يذكر البلاذري ، في فتوحه ( دي خويه ) ، ص ١٧٥ ، ان المسلمين في  
٦٣٩ - ٦٤٠ م « فتحوا قرقيسيا صلحا مثل الرقة » .

وفي عام ٦٨٤ م ورد ذكر يوحنا ، مطران قرقيسوم او خابورا ( الخابور )  
( ميخائيل السوري ، التاريخ [ شابو ] ، المجلد ٤ ، ص ٤١٨ و ٤٤٠ ) .  
ولذا لم يدع المؤلفون العرب والسريان المدينة بقرقيسيا فحسب بل انهم اطلقوا  
عليها اسما مشتقا من اسم نهر الخابور .

وفي نحو عام ٧٠٠ م فسي زمن الخليفة عبد الملك ، عسكر عمير بن  
الحباب مع رهبانه التيسيين بجوار نهر البليخ بين حران والركة ، ومن هناك  
قام بغارات على قبائل كلب واليمانية . ثم تحول بمعسكره الى الخابور .  
وكانت قبيلة تغلب تعسكر في ذلك الوقت بين أنهار الخابور والفرات ودجلة .  
هاجم عمير قرية تغلب عند ماكسين بالقرب من نهر الخابور وعلى  
مسيرة يوم من قرقيسيا . وبغية الأشد بالنار قسام مقاتلو قبيلة تغلب بانتهاب  
ديار قبيلة قيس بجوار قرقيسيا . ( ابو الفرج ، الاغانى ، بولاق ، ١٢٨٥  
، المجلد ٢٠ ، ص ١٢٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل [ تورنبرك ] ، المجلد  
٤ ، ص ٢٥٤ وما بعدها ) .

ويذكر ابن رُسته ، في العلاقات ( دي خويه ) ، ص ١٠٦ ) ، من كسور الجزيرة منها : رأس العين وقرقيسيا والرقسه .

ويقول ابن سيراينون ، العجائب ( مخطوطة المتحف البريطاني ) الاوراق ٣٢ الوجه الصحيح وما بعدها ، ( لوسترايج ) ، ص ١٢ ) ، ان نهري الخابور والهرماس « يجتمعان في البرية والهرماس منصب فيه فيصيران نهراً واحداً . والغالب عليه الى مصبه الخابور ، فيسمر فيسقى الضياع التي في شمال قرقيسيا ويصب في الفرات بقرقيسيا في الجانب الشرقي » .

ويقول ابن حوقل في مسالكه ( دي خويه ) ص ١٣٩ وما بعدها ، و ١٥٥ ) « وعلى ظهر الخابور وبنواحي عرابان وبالمبعد من الخابور عن مرحلة مدن كثيرة قد غلبت عليها البادية فحكمتهم دون اهلها فيها امضى : وامرهم في غلاتهم واموالهم انفسا واعمل كالامبيدية وتنينير والجحشية وطلبيان ، وهذه مدن عليها اسوار لا تحصنها ، وقد لجأ الى الخنازير والاذمة اهلها ، فكل من ساقهم تبعوه وكل من خافوه اطاعوه ، فاذا ملك الفرات سلطان قادر امنوا ، واذا ضعف السلطان بنواحيهم هم هلكوا وغفوا . واما قرقيس - يا فمدينة على الخابور ، وبساتين واشجار كثيرة وفواكه ، هي في نفسها انزهة ويجلب من فواكهها وفواكه الخابور الى العراق في الشتاء وان كان الاحتلال قد شابها وبينها وبين مدينة الخانوقه يومان . »

ويقول الاصطخري ، في مسالكه ( دي خويه ) ، ص ٧٤ ) ان « فهر ابادور الذي يقع الى قرقيسيا ومسافة هذا النهر نحو عشرين فرسخاً قري ومزارع » ويدون الادريسي ، في نزهته ( ترجمة جنوير ) ، المجلد ٢ ، ص ١٤٥ . ان الخابور بلدة على الفرات ، ليست كبيرة ولكنها جسيمة المنظر . وهي محاطة باشجار وبساتين فيها فاكهة وخضروات كثيرة .

وفي عام ١٢٢٠ م أصبر الملك الأشرف بالقاه القهص على ابن عماد الدين ، حاكم مدينة قرقيسيا ، ومن ثم استولى على بلدة عانة واماكن اخرى تسود

اليه (كمال الدين التاريخ [ترجمة بلوشي] ، مجلة المشرق باللاتينية .  
 ، المجلد ٥ ، ص ٦٣ ) .  
 وفي عام ١٢٦٠ م تم تشييد جسر عائم عند قرقيسيا للمغول (ابن العبري ،  
 التاريخ السرياني [بيجان] ، ص ٥٥٤ ) .  
 ذكر ابو الفداء في تقويمه (رينو ودي سلاتن) ، ص (٢٨١) ، ان  
 « قرقيسيا مدينة الزبباء صناعية جديدة الاورش وبها عمارة »  
 ويذكر الدمشقي في تخطيطه (ميرن) ، ص (١٩٢) ان نهر الخابور ينبع  
 عند رأس العين وطوله سبعة فراسخ ، وتحاذيه مناطق الصوار وماكسين وشمسانيه  
 وعربان وطابان والمجدل وساعا ، وهو يحاذي قرقيسيا ، الا ان الاخير  
 كانت قد تهدمت قبل عصر الدمشقي (اي بداية القرن الرابع عشر) .  
 ويذكر حاجبي خليفة ، في جيهان نامه (القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ) ، ص  
 (١٤٤) ان مدينة قرقيسيا تقع في ديار مضر على الضفة اليمنى للخابور  
 عند مصبه في الثرات . وقد توفي فيها جريس بن عبد الله البجلي .



## الملحق الرابع عشر

### زيثا و دورا و سسائوكوراس

كانت المروانية شغلة زيثا وهي الممثل الذي دفن فيه الامبراطور كورديان .  
ويروي يوتروبيوس فسي المسوجز ( ج ٩ ، ص ٢ ) ان كورديان  
اغتيل غير بعيد عن الحدود الرومانية بتحريرض من فيليب الذي أصبح امبراطوراً  
بعده . وعند علامة الميل العشرين من قرقيسيوم شيد ابلينود ضريحاً تكريماً  
له ، الا انهم قتلوا جثمانه الى روما .

ويضيف جوليوس كابينولينوس ( في كورديان الثالث ، ٣٤ ) الى هذا بقوله  
ان ابلينود بنوا الضريح لكورديان عند قرقيوم ( ووردت قرقيسيوم )  
على الحدود الفارسية ونشوا عليه كتابات اغريقية ولاتينية وفارسية وعبرية  
ومصرية . ويقال ان هذا الضريح دهره اميكينيوس فيما بعد .

وفي النصف الاول من القرن الرابع للميلاد كان الراهب الناسك بنيامين  
يعيش في مدينة دورا المهجورة التي سميت كل الصحراء المحيطة بها نسبة اليها .  
وأمره ملاك الله ( رسول الرب ) بان يذهب من هناك الى جبل سينجار الواقعة  
الى الشرق . ( هو فمان ، مقتطفات [ ١٨٨٠ ] ، ص ٢٨ وما بعدها )  
و مدينة دورا هي الصالحة والجمالية في وقتنا هذا .

و دون اميانيوس مارساينوس ، ( ج ١٣ ، ٥ : ٤ - ٨ ، ص ١٤ )  
( ١ : ٥ ) أنه في عام ١٣٦١ م وصل الجيش الروماني من ابورا  
( البوير ) الى مكان كان يدعى زيثا ؛ ويعني هذا الاسم « شجرة  
الزيتون » حيث اقيم نصب الامبراطور كورديان يمكن رؤيته من بعيد .  
وبعد أن كرم جوليان سلفه اسرع نحو مدينة دورا المهجورة . وفي  
الطريق اقتنص ابلينود اسداً كبيراً . ( يتج دورا على مسافة مرحلتين من قرقيسيوم )

( قرقيسيوم ) على ضفة النهر . وكانت بضعة قطعان من الغزلان ترعى في المنطقة المجاورة .

ذكر زوسيموس ( التاريخ الحديث ، ج ٣ ، ١٤ ) أن جيش جوليان بعد زحفه مسافة ستين ستاداً ( من قرقيسيوم ) وصل الى محطة زاوثا ومن هناك وصل الى بلدة دورا القديمة حيث اقيم مشهد لكورديان .

لم ينقل لنا زوسيموس المسافة من بلدة زيثا الى قرقيسيوم على وجه صحيح ، كما انه لم يسجل موقع الرابية التي شيد عليها ضريح كورديان على وجه صحيح ، اذ لم يكن الضريح في دورا بل في زيثا . وزوسيموس هو اول من يقرن بلدة زيثا ببلدة دورا : ويعزو للأخيرة احداثاً وقعت في حقيقة الأمر في الاولى . وتقع بلدة زيثا في منطقة دورا التي سميت بهذا الاسم نسبة الى بلدة دورا القديمة ، او نيقسانوروبوليس . التي بناها المقدونيون والتي منحها الاغريق اسم اوروبوس ( ايسيدور الكرخي . المصدر السابق ص ٢٤٧ ) . ويروي الطبري في تاريخه ( دي خويسه ) السلسلة ٢ ، ص ١٧٣٥ ) ان الخليفة هشاماً « اقطع ارضاً يقال لها دورين ، فارسل في تبصيحها فاذا هي خراب » ومنطقة دورين هذه مطابقة لصحراء او منطقة دورا .

ويذكر الكتاب المنسوب لابونيبيوس الناحري : التاريخ ( شابو ) ص ٢٢٦ أنه في عام ٧١٧ - ٧١٨ م أمر هشام بحفر قناة اروائية ، وبإعادة تعمير مدن متعددة ومصون وقسري متعددة ، وبزراعة اشجار أيضاً كل هذا في منطقة الزيتون . ومنطقة «الزيتون» التي سميت نسبة الى بلدة زيثا ما هي الا اسم آخر لصحراء دورين او دورا .

ويذكر البلاذري في فتوحه ( دي خويسه ) ، ص ١٧٩ ) « اما رصفه هشام فان هشام بن عبد الملك احدهما وكان ينزل قبلها الزيتونة ، وحفر الهني والمرى ، واستخرج القرية التي تعرف بالهني والمرى ، وحدث واسط الرقة »

وبالاستناد الى هذه الرواية في انّ هشاماً أقام في الزيتونة (شجرة الزيتون) ، بلدة زيتا الرومانية القديمة، في اقطاعه دورين او الزيتون . وعندما أصبح خليفته وبنى لنفسه سكناً رابعاً في الرُصافه امر بحفر نهري الهني والمرى بالترب من الرقة التي لم تكن بعيدة عن محل سكناه ؛ فهذان النهران يرويان ضواحي الرقة على الضفة اليمنى للبلخ .

تلقى هشام نبأ اختياره خليفة في عام ٧٢٤-٧٢٥ م وهو في بيت متواضع في الزيتونة ( الطبري المصدر السابق ، السلسلة ٣ من ص ١٤٦٧ وما بعدها ) - أي في بلدة زيتا - .

وفي عام ٧٤٤ - ٧٤٥ م ( المصادر نفسه ، السلسلة ٢ ، ص ١٨٩٥ و ١٩٠٧ و ١٩٠٨ وما بعدها و ١٩١٣ ) أرسل الخليفة مروان بن محمد قائده ابن هبيرة ، مع عشرين الف جندي اضافي لاحتف نحو العراق ، ولكنه أمره بان يعسكر عند دورين و ينتظره هناك . ثم زحف مروان من الرُصافه بطريق الرقة باتجاه قرقيسيا ، وكرر أمره لا أن هبيرة بالبقاء في محسكة قرب دورين . وتقول رواية أخرى ان ابن هبيرة عسكر بجانب نهر سعيد بن عبدالمالك . وكلتا هاتين الروايتين ، برغم اختلافهما في الظاهر ، متفقتان وتؤيدان ما يسلي من توضيح للظروف . فلا بد أن مروان زحف من الرصانة بطريق الرقة نحو قرقيسيا متبعاً قائده ابن هبيرة . ووفقاً لذلك فانه يجب تحديد موقع الأخيرة الى الجنوب الغربي من قرقيسيا حيث تمتد منطقة دورين بين الضفة اليسرى للخابور الاسفل والفرات . وكان نهر سعيد - اي القناة المنسوبة الى سعيد بن عبدالمالك - يتشعب من الفرات على مسافة نحو ثلاثة عشر كيلاً متراً الى الشمال الغربي من قرقيسيا لارواء البصيل النيفسي على امتداد الضفة اليمنى للنهر نازلاً حتى الطرف الجنوبي لمنطقة دورين . ولا ريب في انّ الجيش الذي بقيادة ابن هبيرة عسكر على الضفتين الى الجنوب الغربي من قرقيسيا ، وبهذا جعل جزءاً من معسكره في دورين وجزءاً آخر في منطقة نهر سعيد .



ويذكر ابن جرّدا ذبّه في مسالكه ( دي شويه ) ، ص ٧٤ ) الزيتونة من بين المناطق الادارية الاكثر اهمية في تلك الفترة . ومن الواضح ان الزيتونة هذه كانت تشير الى المنطقة المجاورة لبلدة زيتا القديمة ومن ثم الى منطقة دورين بأكملها . وفضلاً عن ذلك فلما كان هشام الذي ينتسب الى بني مروان قد أقطع منطقة الزيتون ( او دورين ) اقطاعية ، وأعاد تعمير القنوات مما جعل المساحات الزراعية والمدن والنـزى على السواء تزدهر هناك من جديد ، فليس من الغريب ان تبقى ذكرى بني مروان ، السادة السابقين ، حية في نفوس الأهلين ، وأن يُطلق اسم المروانية على مساكن هؤلاء السادة ، أي بلدة زيتا ، تكريماً لهم .

اصدر الخليفة مروان الثاني ( ٧٤٤ - ٧٥٠ م ) امراً بهدم قرى هشام الواقعة على الفرات وفي اماكن أخرى ؛ الا ان الموالين لهشام تراجعوا الى حصنه على الفرات مقابل الرحبة ، ومن هناك تحذوا مروان بطريقة مهيئة فجمع مروان بعض الجند على عجل وزحف على حصنهم واستولى عليه وأمر باعدام اربعمائة منهم ( اغاييوس : العنوان [ فاسيلييف ] ، المجموعة الشرقية ٨ ، ص ٥١٧ وما بعدها ) . ولا نكون مبالغين في الخطأ في تحديد موضع حصن هشام في معسكر زيتا الروماني ، زيتونة هشام ، المروانية في يومنا هذا . وتقع الرحبة وهي الميادين الحالية ، قرابة عشرين كيلومتراً الى الشمال الغربي على الضفة اليمنى للفرات . واستناداً الى العماد ( ابو شامة : الروضتين [ القاهرة ، ١٢٧٧ - ١٢٧٨ هـ ] المجلد ٢ ، ص ٣٢ ) ، فإن صلاح الدين فسي اواخر عام ١١٨٢ م استولى على رأس العين ودورين وماكيسين والشمسانية والبيدين والمجدل والحنصين ، وجميعها كانت تقع على نهر الخابور الذي عبره ما وراء قنطرة التسنير على الطريق الى نصيبين . ولم تذكر اسماء الأماكن بحسب ترميزها الجغرافي ، ومن المحتمل ان دورين تمثل المنطقة بأكملها ، ومع هذا فليس من غير المحتمل

ان الهماد أطلق هذا الاسم على بلدة السكير التي عندها تنفرع قناة دورين من نهر الخابور .

وتأخذ قناة دورين من الخابور أسنبل من بلدة السجر ، السكير القديمة ، واستناداً الى ابن سيرابون ( العجائب (مخطوطة المتحف البريطاني ، الوراقات ١٣٢ الوجه المصحح وما بعدها ، (أوسترنج) ، ص ١٢) فان نهر الخابور «يجتمع هو والهرماس في البرية والهرماس منصب فيه فيصير ان نهراً واحداً والغالب عليه الى مصبه الخابور ، فيمر فيبقى الضياع التي في شمال قرقيسيا ، ويصب في الفرات بقرقيسيا فسي الجانب الشرقي . ويخرج من الهرماس ايضاً نهر يقال له الثرثار اوله عند سكير العباس ، ويمر فسي وسط البرية ويصب في دجلة اسنبل من تكرت بعد ان يمر بالحضر ويقطع جبل بارما» . ويقدم لنا ابن سيرابون حلاً للغز نهر ساوكوراس ؛ فان هذا النهر وفقاً لبطليموس (الجغرافية ، ٥٠ : ١٨ : ٢٣) ينبع الى الشرق من خابوراس (الخابور) ويصب الى الجنوب الشرقي منه في الفرات . ان المجري العلوي لنهر ساوكوراس الذي اورده بطليموس يطابق الهرماس عند الكتاب العرب ، وهو يجري من الشمال الشرقي منضمماً الى الخابور الاصلي . وينبع الأخير الى الشمال الغربي . وعند بلدة السكير على مسافة خمسة عشر كيلومتراً من قرقيسيا يأخذ نهر دورين من الخابور والهرماس المتحدين ، ويجري الى مسافة ١١٢ كيلومتراً الى الجنوب الشرقي حيث يصب في الفرات . ومن الواضح ان بطليموس اعتقد ان هذا النهر كان المجري الاسفل لساوكوراس ، مشتقاً الاسم من بلدة سكير ، حيث تنفرع النهر من الخابور . إنه سجل بصورة صحيحة المجريين الأعلى والأسفل لنهر ساوكوراس ، الا أنه لم يذكر ان النهر في جزئه الأوسط شكل مع الخابور جدولاً واحداً . وكان بطليموس ، مصدر كثير من معلومات البلدانين المعرب والذين ادركوا ادراكاً كافياً ان نهر ساوكوراس عند منبعه كان مطابقاً للهرماس ، وكانوا يعرفون ايضاً أنه لم يجر الى الفرات بصورة مستقلة ، لذلك ربطوا مجراه الاعلى والأوسط بالثرثار الغامض .

## الملحق الخامس عشر

### ثيساكوس عن بطليموس والرحبة عند النهر

انني اعتبر الميادين مخاضة ثيساكوس التي حدد مكانها بطليموس في جغرافيته (١٩: ١٣) على الضفة الفرات اليمنى أسفل من فوهة نهر خابوراس (الخابور) (انظر كتابي بادية الشام ، ص ٥٠٢ وما بعدها) . وهذا ما تؤكد الرواية الاسلامية التي تذكر ان هذه البلدة كانت تسمى قبل الاسلام فرضة نهم . ويقول القلبري في تاريخه (دي غويه) ، السلسلة ١ ، ص ٩١٧ ) ان فرضة نهم هي رحبة مالك بن طروق .

ويذكر ابن مسكويه في تجاربه ( كتابتي ) ، ص ٨٧ ) ان رحبة مالك بن طروق كان اسمها قديماً الفرضة .

ويؤكد ياقوت ( المصدر السابق : المجلد ٤ ، ص ٧٩٧ ) ان نهم تقع عند رحبة مالك بن طروق على الفرات وكنان ، بقربها غير نهم ( المصدر نفسه ، المجلد ٢ ، ص ٧٠٤ ) . ويقول في موضع آخر ان وادي نعمان في سوريا يلتوي قرب الرحبة ( المصدر نفسه : المجلد ٤ ، ص ٧٩٦ ) .

والاسم ثيساكوس ( مخاضة ) يعني ما تعنيه الكلمة العربية الفرضة ، وكانت الفرضة اول بلاسة رومانية صعدوا في الفرات ، ينما كانت القايم اول حصن غربي فارسي ( منحدرين مع الفرات ) ( القلبري : المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٨٦٠ ؛ ابو الفرج : الاغانى ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، المجلد ٥ ، ص ١٢٣ وما بعدها ؛ اليكري : المعجم ، فستيفلد ] ، ص ٣٥٩ ؛ ابو الفضائل ، المراصد [ يوينبول ] ، المجلد ١ ، ص ٤٣٧ ) .

ويطابق حصن القايم للفارسي محطة القايم الحساليه على بعد ١٠٦ كيلو مترات الى شرق - الجنوب الشرقي من الميادين ، ثيمسكوس الرومانية والرحبة عند المسلمين الأوائل .

ويروي البلاذري ( الفتوح ) ( دي خويه ) ، ص ١٨٠ ) انه « لم يكن للرحبة التي في أسفل قرقيسيا أثر قديم ، انما بنادما واحدتها مالك بن طوق بن عتاب التغلبي في خلافة المأمون » ( ٨١٣ - ٨٣٣ م ) .

ويقول ابن الاثير ايضاً ( الكامل ) ( تورنبرك ) ، المجلد ٧ ، ص ١٨٨ ) ان مالكاً بن طوق التغلبي بنى مدينة الرحبة . وتوفي في عسامة ٨٧٣ - ٨٧٤ م وقد خلفه ابنه أحمد على البلدة ، ولكنه في عام ٨٨٣ م طرده منها ابن ابي الساج الذي آلت اليه الانبار وطريق القرات ورحبة طوق ( الطبري : المصدر السابق ، السلسلة ٣٠ ، ص ٢٠٣٩ ) .

وفي اليوم الثالث من شهر آذار ( مارس ) عام ٩٢٨ م هاجمت القرامطة مدينة الرحبة ونهبوها واخذوا منها ومما حولها خمسة آلاف اسير ( ابن مسكويه ، التجارب [ امسباروز ] ، المجلد ١ ، ص ١٨٢ وما بعدها ، عريب ، الصلة [ دي خويه ] ، ص ١٣٤ ، المسعودي ، التنبيه [ دي خويه ] ، ص ٣٨٤ وما بعدها ، ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ٨ ، ص ١٣٢ ) .

وكانت الأعوام التالية حافلة بالتشال المتواصل للاستيلاء على المدينة التي عانت كثيراً نتيجة لذلك . ففي عام ٩٣٨ - ٩٣٩ م وصل جنود كان قد ارسلهم بجكم تحاكم بغداد الى الرحبة في خمسة أيام . وقاموا بأسر الحاكم غيسر الموثوق به وجلبوه على جسر الى بغداد ( ابن الاثير : المصدر السابق ، المجلد ٨ ، ص ٢٦٦ وما بعدها ) .

وفي عام ٩٤١ - ٩٤٢ م استولى احمد وجسمال بجكم واسمه عادل ، على الرحبة وعلى جميع منطقة طريق القرات وكذلك على جزء من الخابور ( المصدر نفسه ، ص ٢٩٥ ) .

وفي عام ٩٤٧ - ٩٤٨ م أصبح جمان التغلبي وهو موظف غير جدير بالثقة عند ناصر الدولة - حاكماً على الرحبة . وكان جمان قد تمرد على رئيسه وحاصر مدينة الرحبة ، ولكنه صد . ثم قسام اهالي الرحبة بالهجوم على اتباعه وقتلوا كثيراً منهم انتقاماً لظلمهم . لذلك فقد نكس جمان بأهالي الرحبة عند عودته ؛ ثم طرده بعد ذلك احد رجال ناصر الدولة ومات غسراً في الفرات وهو يحاول الهرب (المصدر نفسه ، ص ص ٣٥٧ وما بعدها ) .

وكان ابناء ناصر الدولة يحسد بعضهم بعضاً على ميراث أبيهم وتحولوا من المشاحنات الى التضارب بالأيدي - قوله . وكانت الرحبة من نصيب ابن ناصر الدولة ، حمدان ، الا أنه طرد في ربيع عام ٩٦٩ م وهرب الى العراق . وعندما تصالح مع اخوته عاد الى الرحبة في ربيع عام ٩٧٠ م ، ولكنه اضطر بعد ذلك بوقت غير طويل الى التنازل عن مركزه لأخيه ابي البركات واللاجوء الى بادية تدمر فلما زحف ابو البركات على الرقة اقترب حمدان وصحبه مسن المدينة ايلان ؛ وتسلق بعض جسده الاسوار وفتحوا البوابة لحمدان ، فدخلوا المدينة ثانية دون ان يعلم بذلك الحاكم الذي كان ابو البركات قد عينه . ثم امر حمدان باستنفار المدينة وذلك بالنفخ بالقرون وقرع الطبول فهاجم المدافعون الى الأسوار لأنهم اعتقدوا ان العدو يطسق النار خارج السور . فقتل بعضهم وأسـر آخرون ، واصبح حمدان حاكماً على الرحبة للمرة الثانية . وبعد ان ترك قائده هناك عبر الفرات وزحف على مدينة عربسان . الا ان قائده ، بعد ان سرق جميع ممتلكات سيده ، هرب بها الى اخي حمدان ، ابي تغلب . وحمل هذا حمدان على العودة بسرعة الى الرحبة ، الا انه سرعان ما حاصره جيش ابي تغلب فاضطر الى الهرب . وهكذا اصبح ابو تغلب حاكماً على الرحبة وأمر باعادة بناء أسوارها . ويقول ابن حوقل ؛ في ميسالكنا ، ( دي خويه ) ، ص ١٥٥ ) ان رحبة

مالك بن طوق اوسع من الخانوقه ، « وهي كثيرة الشجر والماء في شرقي الفرات وقد عراده الانتلال . وهي ذات سور صلب وبها نخيل وتمر ونخيل كثير من ج. بيع النخل » . ان رواية ابن حوقل ليست واضحة بصورة كافية ، اذ يبدو ان الرحبة تقع على الجانب الشرقي للفرات ، بينما هي في الحقيقة بُنيت على الضفة اليمنى . ومن المحتمل ان كان على الضفة اليسرى ضاحية وبقاع مروية يملكها اهل المدينة وتندو فيها اشجار النخيل ، الا ان ثمارها لا تنضج . ويقول السكان الحاليون ان التمر ينضج نادراً فقط في ضواحي ابو جمال وذلك عندما يكون الصيف حاراً جداً وعندما يتأخر حلول الشتاء كثيراً عن مواعيد المعتاد . ان حدود حزام التمر تمثل بعزيرة الكرابل الصغيرة قرب عانة ، التي تشق الرياح الجنوبية الشرقية الحارة طريقها اليها صُعداً في وادي الفرات . ويكتب الاصطخري ، في مسالكه ، (دي خويه) ، ص ٧٧) أن «رحبة مالك بن طوق هي اكبر من قرقيسياء وهي كثيرة الاشجار والمياه على غربي الفرات» .

وفي عام ٩٧٨ - ٩٧٩ م قفد ابو تغلب الرحبة فاصبحت مع الرقة تحت سيطرة عضد الدولة ( ابن الاثير ، المعتمد السابق ، المجلد ٨ ، ص ٥١١ وما بعدها ) .

ويذكر المقدسي في احسن [ التقاسيم ] ( دي خويه ) ، ص ١٤٢ ، «ناحية الفرات ، اجلها الرحبة : مائة كبيرة من نحو البادية طياسان ، ولها حصن وريض ، وبقية المدن من جانب البادية عامرات » .

وفي عام ٩٩١ - ٩٩٢ م لُتمس اهل الرحبة بهاء الدولة ليرسل اليهم والياً ، فلبى طلبهم ( ابن الاثير ، المعتمد السابق ، المجلد ٩ ، ص ٦٤ ) . وبعد ذلك بقايل آلت الرحبة الى ابي علي بن ثمال الخفاجي الذي قتله عيسى بن خلاد العقيلي في عام ١٠٠٨ - ١٠٠٩ م ، الا ان الجيش الذي

ارسله ضده السلطان المصري الحاكم بأمر الله ، هزمه وقتله مقابل ذلك . وقد طرد هذا الجيش من قبل بدران بن المتولد ، وهو عقيلي ايضاً . اذ ان لؤلؤاً قائد السلطان المصري في دمشق استولى بعدئذ على الرقة والرحبة كليتهما واعادهما مرة أخرى للحكم المصري . وعلى كل حال قام مواطن من الرحبة يدعى ابن مُحكان ( او مَجلكان ) بالاستيلاء على المدينة . ولأجل الحصول على تأييد ودعم تحالف في آخر الامر مع صالح بن مرداس الكلابي الذي كانت الحلة في حيازته . كما استولى ابن مُحكان على مستوطنة عانة ، الا ان حليفه إغتناله واصبح بعدئذ مالِكاً للرحبة ( المصدر نفسه ، ص ١٤٨ ، ابن خلدون : السيرة [ بولاق ، ١٢٨٤ هـ ] ، المجلد ٤ ، ص ٢٧١ ) . وخلف ابو علوان ثمال ابن صالح اباه في السيطرة على الرحبة ، كما انه استولى على حصن مدينة حلب . في شريف عام ١٠٤٢ م ( ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ٩ ، ص ١٦٢ ) .

وفي هذا الزمن كان في الرحبة كثير من المسيحيين ، وكان لهم مطرانهم ايضاً ( اسيمانوس ، المكتبة الشرقية ، المجلد ٣ ، ص ٢٦٣ ) . وكان المؤلفون السريان يسمون هذه المدينة رحبوت ( ابن العبري ، التاريخ السرياني [ بيجان ] ص ص ٢٩١ و ٣٠٥ ) .

وفي ربيع عام ١٠٦٠ م استولى على المدينة عطية وهو احد ابناء صالح ( ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ٨ ) .

وفي عام ١٠٨٦ - ١٠٨٧ م أقطع السلطان ملكشاه محمداً ابن شرف الدولة الرحبة مع جميع ضواحيها ، وكذلك حرّان وسروج والرقة والخابور ( المصدر نفسه ، ص ١٠٥ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، المجلد ٥ ، ص ٩ ) .

وفي عام ١٠٩٦ سار شخص يدعى كربوقا من الحلة على مدينة الرحبة ففتحها ونهبها ( ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ١٧٧ ) .

وبعد وفاة كربوقا في عام ١١٠٢ م ولي الحكم في الرحبة شخص اسمه قايمار ، أحد قادة السلطان الب ارسلان سابقاً ، فقام سلطان دمشق بمحاصرته بدون جدوى . ثم توفي قايمار في نهـاية ربيع عام ١١٠٣ م وابعـقه قائد تركي يدعى حسن . لذلك ارسل سلطان دمشق حملة جديدة على الرحبة التي استسلمت له على يد أهليها . دافع حسن عن نفسه في الحصن بعض الوقت ، الا انه في الأخير قـبـلَ عنـواً وكوفئ على ذلك باقطاعية تتألف من بضعة قرى في بلاد الشام وقام سلطان دمشق باعادة النظام في المدينة وعامل الأهـلين بالـحسن وترك حامية هناك ، وفي الرقت ذاته عين عليها والياً محمد بن السباق من قبيلة بني شـيـبان الذي أخذ ابنه الصغير معه الى دمشق رهينة . ( ابن الاثير : المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ٢٤٩ )

وفي مستهل عام ١١٠٧ م انطلق جاولي من الموصل بطريق سنجار الى الرحبة ، التي حاصرها من ٢٦ شباط (فبراير) الى ١٩ أيار (مايو) . وظهر الأهلون مقاومة باسلة ، الا انه عندما بلغ الكربُ حداً لا يطاق في المدينة ، وعد مدافعوا أحد الأبراج قائد العدو ان يسمحوا له بالدخول إن ضمن لهم حياتهم وتلكائهم فارسل القائد بعدئذ رجاله بزوارق على النهر الفاض حتى الاسوار ، ومن هناك في منتصف الليل رُفـعوا بالجبال الى أحد الأبراج . وما ان وطأوا ارض المدينة حتى اخلوا ينفخون الابراق وترعون الطبول ، فادخلوا الرعب في بقية المدافعين فتمكن جاولي من دخول المدينة في الصباح التالي . وسمح لجيشه بالسلب حتى ظهر ذلك اليوم ، ثم تصالح محمد الشيباني معه وقبل الخدمة تحت امرته ( ابن القلانسي : الذيل [ امدرود ] ، ص ص ١٥٥ وما بعدها ؛ ابن الاثير : المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ٢٩٧ . ) وسرعان ما اصبحت الرحبة بعد هذا في قبضة عائلة البرسقي ( المصدر نفسه ، ص ص ٣٦٠ وما بعدها ) . وفي عام ١١٢٧ م توفي عز الدين محمود



بن البرسقي الذي حاول فتح سوريا هناك . وقد بدأ حملته عند الرحبة ، التي كان قد ضرب حصاراً حولها . ودافع الاهلون عن انفسهم دفاعاً شديداً . ومرض عز الدين ، الا انه شعر بالأرتياح الكبير عندما علم ان حامية الحصن الرئيس قد استسلمت . ولما توفي بعد ذلك بساعة ندم الاهلون لسماحهم لجنده دخول الحصن . وتفرق اصحابه بعد موته وطارد وقتل بعضهم بعضاً غير مباينين بجثمان قائدهم المتوفى الذي لم يدفن الا بعد مضي بعض الوقت . واعتبه في الحكم اخوه الاصغر وهو المملوك جاوي الذي كان يدير شؤونه ، وقد اقطعه السلطان عماد الدين زنكي الرحبة ( المصدر نفسه ، ص ص ٤٥٣ وما بعدها ) .

وفي عام ١١٤٩ - ١١٥٠ م كان قطب الدين ، ابن زنكي ، والياً على الرحبة . ( المصدر نفسه ، المجلد ١١ ، ص ٩١٣ ) . وكانت المدينة الواقعة على ضفاف النهر والى الشرق من الفرات عامرة آنذاك . ويذكر الادريسي ، في زعمته (ترجمة جوبير) ، المجلد ٢ ، ص ١٤٥ ، انها كانت محاطة بأسوار من الآجر البليني ومزينة بعمارات واسواق متنوعة .

ويسجل ابن اقلانسي ( المصدر السابق ، ص ٣٤٤ ) انه في ١٢ آب [ اغسطس ] ١١٥٧ تهدمت السامية والرحبة كليهما بهزة ارضية .

وفي نهاية عام ١١٦١ م كان رجال قبيلة خفاجة يسلبون الريف حول الحلة والكوفة ، وعندما تحرك الجند عليهم تراجعتهم حتى رحبة الشام حيث استمر الجند في ملاحقتهم . ولما كانت اعداد من بلدو آخرين قد انضموا الى قبيلة شناعة نازحهم فاجتمعوا معسكر الجند واستولوا على تجهيزاتهم وبغالهم ؛ واذ ذاك لاذ الجند بالفرار وهلك كثير منهم . ولجأ احد قادتهم الى ما وراء اسوار الرحبة ودمتها أرسل الى بناد . (المصدر نفسه ، ص ص ١٨٢ وما بعدها) . وبما تجدر ملاحظته هنا ان هذه الرواية تذكر اولاً رحبة الشام وبعد ذلك الرحبة . وعلى ما يبدو من السياق فان الاسمين لايشيران الى المدينة نفسها .

أقطع صلاح الدين الرحبة وخصص الى ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ، وكان مدمناً وتوفي بين اقلده . الا ان الرحبة بقيت بأيدي عائلته حتى عام ١٢٦٤ م عندما عين السلطان بيبرس المصري حاكمه الخاص هناك . ( ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ١١ ، ص ٣٤١ ؛ المجلد ١٢ ، ص ١٨٩ ؛ ابو الفداء ، المختصر الادبار ، المجلد ٤ ، ص ١٤٢ ؛ المجلد ٥ ، ص ١٦٠ ) .

ويكتب ياقوت الذي زار المدينة انذاك ( المعجم [ فستفلد ] ، المجلد ٢ ، ص ٧٦٤ ) ان من رحبة مالك بن طوق الى دمشق ثمانية أيام ، والى حلب خمسة أيام ، والى بغداد مئة فرسخ ، بينما تزيد المسافة الى الرقة على عشرين فرسخاً بقليل . وتقع الرحبة بين الرقة وبغداد على ضفة الفرات أسفل من قرقيسيا ، ويذكر بعضهم انها كانت قد بنيت على عهد الخليفة المأمون ؛ وعلى عهد هارون الرشيد في قول آخرين . وهي على خط عرض ٣٣° وخط طول ١٥ ٦٠° .

اما ابو الفضائل في مـ راحته ( بوينبول ) ، المجلد ١ ، ص ٤٦٤ وما بعدها ، فانه كرر عبارة عبارة ياقوت ، ولكن يذكره شراً عن بغداد ، ويذكر ان الرحبة تقع على الفرات بين الرقة وعانة .

ويذكر الهمشقي في النخبة ( ميرن ) ، ص ٢٠٢ ان الرحبة الفـ رائيه بين المدن السورية الشرقية وانها تقع على - نادر العدو وتهيمن على اراض واسعة . وفي عام ١٣١٣ م قام شربنده مع جماعته المخول بمحاصرة الرحبة وبغارات داخل سوريا . فتجسج ولاية المدن السورية المختلفة مع جيوشهم في ضواحي حماة وتغلغل جواسيسهم حتى عُرِض والسُخنة . وحينما تفشى الجوع والطاعون في معسكر شربنده تراجع تاركاً وراءه آلات الحصار . فقام المدافعون بقتلها الى حصن الرحبة . ( ابو الفداء ، المصدر السابق ، المجلد ٥ ، ص ٢٦٨ وما بعدها ) .

وفي عام ١٣١٥ - ١٣١٦ م توفي في دمشق ابن الاركشي حاكم الرحبة في الوقت الذي كان خربنده يحاصرها ، ( المصدر نفسه ، المجلد ٥ ، ص ٣٠٠ ) .

ويكتب خليل الظاهري في الزبدة ( رافيس ) ، ص ٥٠ ) في النصف الثاني من القرن الخامس عشر « ان الرحبة مدينة لطيفة ولها قلعة واقليم به عدة قرى وهي ايضاً من معاملة حلب » .

ولا يقوم حاجي خليفة ( جيهان نامه ) ( القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ ) ، ص ٤٤٤ ) الا بتكرار الروايات القديمة عن الرحبة . فيقول ان مالكا بن طوق بناها على تل بنانب الفرات بين عانة والركة . وبعد مدة من الزمن تهدمت ، الا انه في عام ١٣٢١ أمر شيركوه بن محمد والي حمص باعادة بنائها وكانت على عهده مركزاً هاماً للقوافل بين سوريا والعراق . ومما لاشك فيه فان حاجي شايخه كان يفكر في حصن الرحبة الواقع قرب بلدة الميادين ، لانه في زمانه كانت جميع القوافل الداهية من بغداد الى سوريا تبتعد عند هذا المنع من الفرات ، كما يخبرنا المؤلفون الأوربيون . وبهذا الصدد يكتب تافرنيه ( الرحلات الست ) ( باريس ، ١٦٧٦ ) ، المجلد ١ ، ص ٢٨٥ ) ان شيد - رابا حصن غير بعيد عن الفرات يقع على تل في أسفل عين شزيرة تملأ بركة ماء ، وكان هناك سور عال يتخلله عدة أبراج مستديرة الشكل يعللها اكواخاً بيضاء ، حيث احتفظ الأهليون بماشيتهم . وشيد - رابا من هذه هي التحريف الفرنسي لكلمة مشهد الرحبة وتشير الى مستوطنة الماشية المحصنة ، او مشهد علي ، الواقعة على مسافة تسعة كيلو مترات جنوب غربي حصن الرحبة ، قرب الميادين .

## الملحق السادس عشر

### انشاء او عانة

يقع مركز بلدة عانة أصلاً على الجزر التي كانت دوماً خصبة جداً . ومن المؤكد انها لم تكن متآكلة في ازمان غابرة الى الحد الذي هي عليه في يومنا هذا . ولم يكن الأهليون في أمن من الأعراب فحسب بل انهم كانوا فضلاً عن ذلك قادرين على اخضاع المستوطنات المحيطة بهم . ولهذا السبب اعتاد الآشوريون تكليف حكام عانة بإدارة منطقة سونخي السياسية .

تسلم توكتلي اينورتا الثاني ( ٨٨٩ - ٨٨٤ ق . م ) على شكل جزية مستحقة له من ابنه ايلو ابني حاكم سونخي الذي كان يسكن في مدينة انبات الواقعة وسط الفرات المواد التالية : ثلاثة تالقات من الفضة ، وعشرين من الذهب ، وكرسياً مطعماً بالعاج ، وثلاثة بدوات من العاج ، وثلاثي عشرة قطعة من الرصاص ، وثلاثة واربعين صندوقاً من خشب المشكاني ، واريكة من خشب المشكاني ، وست مناضل من خشب المشكاني ، وابريقاً من البرنز ، وثياباً متنوعة ومطرزات ومنسوجات مرقشة وماشية واغناًفاً وخبزاً وشراباً ( السجلات [ شاييل ، التحليلات ( ١٩٠٩ م ) اللوحة ٣ ] ، المنايل ، الأسطر ١٩ - ٦١٠ ؛ شاييل ، المصدر السابق ، ص ١٨ ) . ويدعو اريان عندما كان يصف في كتابه العاشر لبحار اسطول تراجان الى كوشته ، هذه المستوطنة : ( أنا ) و ( تيروس ) ايضاً ( اسطيفان البيزنطي الأجنبي [ دابنكه ] : ص ٦٤٢ ؛ روس ، دراسات اريانيه [ ١٩١٢ ] ، ص ٥٠ وما بعدها ) .

وبعد ان تنصّر بعض الهندي كان قائداً تجمعت امرة الملك

الساساني شابور الثاني ( ٣٠٩ - ٣٧٩ ) ، قام ببناء ستة وتسعين ديراً وكنيسة ومعابد أخرى ، وكرّس القبس وكهنة آخرين في شيكار (سنجار) . ثم ذهب الى عازات حيث بنى لنفسه على سفاف الفرات على بعد ميلين من عازات معتكفاً عاش فيه سبع سنين . وكان يشفى المرضى بنجاح كبير بحيث انتشرت شهرته في جميع ارجاء البلاد ( هوفمان ، مقتطفات [ ١٨٨٠ ] ، ص ٣٠ ، رايت ، الفهرس [ ١٨٧٠ - ١٨٧٢ ] ، ص ١١٣٥ ، العمود ١ )

وكان حصن انثا يقع على جزيرة . وفي عام ٣٦٣ م اجاط الاسطول الروماني بها قبل مطلع الفجر . وعندما انتبه الاهلون للبلك عند شروق الشمس وضع الرومان آلات الحصار في حالة تأهب ودعوا الاهلين الى الاستسلام . وبعد قيام الاهلين بالتشاور فيما بينهم لبثوا طلبهم وساقوا امامهم ثوراً مكلاً بالنار علامة على رغبتهم في السلام . ثم اضرمت النار في الحصن وانتقل الاهلون مع ممتلكاتهم الى مدينة خالكيس السورية . وفي اليوم التالي غرقت عدة بواخر بفعل الرياح والمياه المتزايدة وبهشمت على الجدران البنية في النور لمرض الارواء ( اميانوس مارسلينوس ، ج ٢٤ ، ١ : ٦ - ٩ ) .

وكان مبارك ، وهو معاصر لماز بار عدلاء في منتصف القرن السادس للميلاد ، من اصل عانة وهي بلدة بأزاء نهج الفرات ( بيح ، التواريخ [ ١٩٠٢ ] ، المجلد ١ ، ص ١٢٧ ) .

وفي بداية عام ٥٩١ م ارسل فراموس عدداً كبيراً من الجند الى حرس عانة الواقعة على الفرات قرب قرقيسيوم للحيولة دون عودة كسرى الى بلاد فارس . الا ان الجند قتلوا قائدهم واغلنوا ولاهم الى كسرى . ( ثيو فيليكتوس سيموكتا ، التاريخ ، ج ٥ ، ١ : ٢ ، ج ٥ ، ٢ : ٣ )

وفي بداية القرن السابع للميلاد كان مطران اعراب النبطية يقيم في عانة  
(اسيمانوس ، المكتبة الشرقية [ روما ، ١٧١٩ - ١٧٢٨ ] ، المجلد ٣ ،  
القسم ٢ ، ص ٦٠٧ ) .

ويذكر امرؤ القيس (الديوان [ ديستان ] ، ص ٣٦ ) ، والأخطل  
(الديوان [ مهالحاني ] ، ص ١١٧ ) وعالمقه (الديوان [ موسين ] ، ص ٧ )  
نبيذ عانة .

ويسمي ابن خرداذبه في مسالكة (دي خويه) ، ص ٧٤ ، من بين  
مدن متعلقة النترات الادارية : قرتيسيا ، الرحبة ، الدالية ، عانات ،  
هيت ، حاديه ، والرب . ويسمي ابن خرداذبه المدن المنفصلة بحسب مواقعها  
من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي .

ويكتب قدامة في الخراج (دي خويه) ، ص ٢٣٣ ، ان النترات «يسربا رحبه  
حتى يلتحف على - اذ لانها في وسطه ، ثم يمشى على سطحه ويرى بيت والأبنار » .  
وكذلك يشير الهماماني : الضميمة (ملر) ، ص ١٢٩ ) الى عانات انها  
من بين المدن المشهورة بنبذها .

ويصف الاصطخري في المسالك (دي خويه) ، ص ٧٨ ) عانة بانها  
مدينة صغيرة في وسط الفرات .

ويقول المتلوسي في احسن التتاسيم (دي خويه) ، ص ١٢٨ ) ان  
المدن الفراتية اكبر هن رحبة ابن طسوق وقرتيسيا وعانة والداليا  
والحمانيه . ويشير الشاذلي ، في الديارات (مخطوطة برلين) ،  
الاوراق ١٠٠ للوجه المقابل ومابعداها الى دير «موسرجيس» ويقول ان «عانة  
مدينة هـ الى الثمرات هـ - عامرة وبها هذا الدير وهو كبير حسن كثير  
الرباذه ، والناس يسمونه من هيت غيرها للتمزة فيه وهناك كروم وهاهروساتين  
وشجر والموضع في نهاية الحسن جامع لما يحتاجه أهل التلارب والتفرج .

وبهذا الموضع قبرام الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك ، وكان الرشيد لما شخص من الرقة الى بغداد يريد الحج شخص معه البرامكة ، فتوفيت أم الفضل ، وكانت أرضعت الرشيد بلبن الفضل ، وكان يحيى ويجعلها . فأمر الرشيد فاشترت له عشرة أجربه من بستان عند وادي القناطر على شاطئ القنات فدفنت هناك ، وبنيت عليها قبة فهي تعرف بقبة البرامكة ( ياقوت ) ، المعجم [ فستقلا ] ، المجلد ٢ ، ص ٦٩٣ وما بعدها ، أبو الفرج ، الأغاني [ ( بولاق ) ، ١٢٨٥ هـ ] ، المجلد ١٧ ، ص ١٢٩ .

وفي عام ١٠٠٨ - ١٠٠٩ م تقبل اهالي بلدة عانة الصغيرة ابن مُحسَن والياً عليهم ، فأرسل اليهم عبداً من اتباعه وعهد اليهم بممتلكاته ، لكنه أخذ رهائن منهم . الا انهم بعد ذلك بوقت قصير ثاروا عليه واستبدلوا اطفاله الأسرى برهائنهم واحتفظوا بممتلكاته . ووجد ابن مُحسَن حليفاً له في شخص صالح بن مرداس امير قبيلة كلاب ، وبمساعده استعاد عانة الا ان صالحاً سرعان ما اغتاله واصبح الأمير الوحيد لعانة والرحبة . ( ابن الاثير : الكامل [ تورنبرك ] ، المجلد ٩ ، ص ١٨٤ . )

وفي عام ١٠٢٣ - ١٠٢٤ م شكّل حسان امير قبيلة ظبي ، وصالح بن مرداس امير قبيلة كلاب ، وسنان بن عليان عصابة ضد حاكم سوريا المصري وانفقوا فيما بينهم على ان يمنح صالح المنطقة الواقعة بين حلب وعانة وحسان المنطقة من الرملة وحتى مصر ، بينما تكون دمشق من حصص سنان . وبالفعل نجح صالح في الاستيلاء على جميع الاراضي من بعلبك الى عانة ، وأقام في حلب لمدة ست سنوات ( المصدر نفسه ، المجلد ٩ ، ص ١٦٢ . ) ويقول البكري : المعجم ( فستقلا ) ، ص ٦٤١ » كانت عانة وهيت مضافتين الى طساسيج الانبار ، وكانت الخمر الطيبة تنسب اليها ، فلما حفر النشروان الخنادق من هيت حتى ياتي كاظمة مما يلي البصرة

وينفذ الى البحر ، ويجعل المناظر لنيت العرب في اطراف السواد وما يليه  
تخربت عانات وهيت بذلك السبب .

لقد قمت بفحص المنطقة جنوب شرقي هيت لمسافة تقارب ٢٥٠ كيلومتراً  
دون العثور على أثر لحدائق التعمير ، بالرغم من انني بذلت جهداً كبيراً في  
البحث عنه . ومن المحتمل ان القبة نشأت بسبب التكوين الطبيعي للارض .  
فعلى مسافة خمسة ونجسين كيلومتراً الى الجنوب الشرقي من هيت تبدأ  
مضارب طار الحبان وطار الصبيها ، وتيزهما ، التي تتحدر انحداراً خفيفاً الى  
الشرق ، ولكن غريبتها لا تسهل على متخلفي البحيرة وجهر المالح ذي  
الجرف الشديد الانحدار نوعاً ما . ويسكن متابعة هذا الجرف الذي يتخلله  
فجوات متفاوتة عرضاً في بعض الاماكن ، بعيداً الى الجنوب الشرقي . وعلى  
بعد كيلو مترات قليلة أسفل من متوطنة هيت لا تزال ترى بقايا قناة  
لروائية ضخمة . امتدت هذه القناة حتى بداية جرف طار الحبان الطبيعي .  
وكانت جميع المحطات المحدودية الفارسية قد بنيت الى شرق الجرف الذي  
شكل بالنسبة اليهم خطأ طبيعياً للدفاع ، اذ كان لا يمكن صعود الجمال  
العربية مع راعيها او حملاتها الا في الاماكن التي يسهل اجتيازها اكثر من غيرها .  
واخذ اهالي عانة مذهب الباطنية . ولهم ينظر هذا المذهب  
بالاهتمام لمدة طويلة ، حيث انهم في اثناء خلافة الخليفة المقتدي وشي  
بهم اليه . فامتحن الوزير ابي شجاع ( ١٠٨٣ - ١٠٩١ م ) شيوخهم  
في بغداد ، ولما اذكروا ما نسب اليهم لم يتخذ أي اجراء بشأنهم .  
ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ٢٢١ .

وفي تشرين الاول ( اكتوبر ) ، عام ١١٠٣ م ، استولى التركمان على بلدتي  
عانة والحديثة اللتين كانتا حتى ذلك الوقت تحت نفوذ جيش رة بني يميش  
وهندما أقبل على هذه الدولة صمدقه بن مزيد لمساعدة العشيرة هرب



التركان . ولكن ما ان عاد الى مدينة الحلة حتى استولى التركمان على المدينتين  
ثانية . وانتهبوها واسروا جميع النساء ، ثم تقدموا على هيت بحذاء  
الضفة اليمنى . وعلى مسافة ليست بعيدة من هيت قفلوا عائدين غير راغبين في  
مواجهة الجيش الذي ارسله سيف الدولة ضدهم . ( المصدر نفسه ، المجلد  
١٠ ، ص ٢٥٢ . )

وفي عام ١١٤٣ - ١١٤٤ م احتل اتابك زنكي عائلة ( المصدر نفسه ،  
المجلد ١١ ، ص ٦٤ )  
ويكتب الادريسي ( التزه ( ترجمة جوير ) ، المجلد ٢ ، ص ص  
١٤٤ وما بعدها ) ان عاتب بلدة صغيرة على جزيرة في الفرات . وفيها اسواق  
ومصانع

ويذكر ياقوت ( المصدر السابق المجلد ٣ ، ص ٥٩٤ وما بعدها ) « عائلة بلاد مشهور  
بين الرقة وهيت يعد من اعمال الجزيرة . وهي مشرفة على الفرات قرب حادثة  
النورة وبها قلعة حصينة ، فلما ملك انوشروان بلغه ان دلائب من الاعراب  
يغيرون على ما قرب من السواد الى البادية فامر بتجديد سور لمدينة تعرف بالوس  
كان سابور ذو الاكتاف بناها وجعلها مسلحة لحفظ ما قرب من البادية ، واسر  
بحفر خندق من هيت ، يشق طف البادية الى كاظمة مما يلي البصرة وينفذ الى  
البحر ، وبنى عليه المناظر والجواسق وفظمه بالمسالح ليكون ذلك مانعاً لاهل  
البادية عن السواد وسبب ذلك السور حين طسوح شاذ فيروز لان عاتب كانت  
قري مضمومة الى هيت » وكانت هذه التحصينات السبب في دمار هيت وعائات .  
وكسان انوشروان الذي ذكره البكري وياقوت هو كسري الأول  
( ٥٣١ - ٥٧٨ م ) ، وآوسر هي محطة الوسة الواقعة قرابة ستين كيلو متراً  
الى الشمال الغربي من هيت . اما الملك شابور فهو شابور الثاني ( ٣٠٩ -  
٣٧٩ م ) . واستناداً الى هله الرواية فقد سقطت هيت وعائات لوقوعها الى  
الشمال الغربي من التحصون الجلودية ولم تستطع حامية حصن الوس الدفاع عنهما .

وفي عام ١٢٣٨ م أنضمت عانة وكذلك الرحبة والخابور الى حاكم حمص ( المقريري ، السلوك [ ترجمة باوشي ] ص ٤٢٧ ) .  
وفي نهاية كانون الثاني ( يناير ) ، عام ١٢٣٩ م سلم نجم الدين ايوب مدن سنجار والرقّة وعانة الى الأمير يونس الملك الجواد الذي باع عانة الى الخليفة المستنصر . وبالعوائد الناجمة عن البيع عبر الأمير يونس الصحراء الى غزّة وانضم الى حصن عكا . ( ابو الفداء المختصر [ ادلر ] ، المجلد ٤ ، ص ص ٤٣٨ و ٤٦٠ وما بعدها ) .

وفي ربيع عام ١٢٤١ م كانت عانة ملكاً للخليفة . وقد طلب اللجوء اليها الخوارزميون الحاربون من ملاحقة الملك المنصور الذي كان اذالك قد قد فتح تال خابور وقرقيسيا . ( كمال الدين ، التاريخ [ ترجمة بلوشي ] ، مجلة الشرق باللاتينية ، المجلد ٦ ، ص ص ١٢ وما بعدها ) .  
وفي حوالي نهاية عام ١٢٤٩ م تحرك السلطان الملك المعظم طورانشاه من عانة مع مائةارب خمسين مرافقاً في رحلة شتال صحراء السداوة ووصل من غير حادث الى منسة ووطنه . ( التقيصة ، شرقية دمشق ) ( المقريري ، المصدر السابق ، ص ٥٢٨ ) .

وفي عام ١٢٥٣ م - ١٢٥٤ م أطلق سراح الملك الناصر داود امير الكرك السابق السدي كان قد سجن في حمص ، بشفاعة الخليفة . ثم عبر الملك الناصر الصحراء الى بغداد طلباً للجواهر التي كان قد اودعها هناك ، الا انه لم يسمح له بالدخول الى المدينة . ولذلك مكث بجوار عانة والحديثة . وكان في حالة من الضلال والعمى بحيث ان أمير مدن تل باشر وتدمر والرحبة اذالك ارسل اليه بالتحسين والشعير . ثم سمح له بالاقامة في مدينة الانبار على مسافة ثلاثة أيام من بغداد . ( ابو الفداء ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ص ٥٣٠ وما بعدها ) .

ويكتب القزويني في عجائبه ( فستنفلد ) ، المجلد ٢ ، ص ٢٨٠ ، ان عانة الواقعة بين هيمت والرقّة ، يحيط بها الفرات من جميع الجوانب . وفيها اشجار وفاكهة ، وكذلك بساتين كروم تنتج نبيذاً مشهوراً .

وفيها حصن قوي . وحينما يمر أهل بغداد بأوقات عصيبة يتمنون ان الخليفة في عانة . ويعود تاريخ هذا القول المأثور الى عام ١٥٥٩ م عندما كان خليفة تلك الفترة ، القائم بأمر الله ، سجيناً في عانة ، والتي لم يعد منها حتى ربيع ١٥٦٠ م .

وفي نهاية شهر آب ( اغسطس ) ، ١٣١٦ م ، خرج مهنا بن عيسى الذي كان قد قام بزيارة القائد المغولي خربنده . بالترب من مكان في «قنغولان» ، في المنطقة المجاورة لعانة ( ابو الفداء ، المصدر السابق ) ، المجلد ٥ ، ص ٣٠٨ ) .

ويستغل ابو الفداء في التقويم ( رينو وديسلان ) ، ص ٢٨٧ ) ان عانة مستوطنة صغيرة نوهاً ما تقع على جزيرة في وسط الفرات . ويكتب حاجي خليفة ، في فذلكة التواريخ (مخطوطات فينا ، عدد ١٥٦٤ ، ورقة ١٦٢ الوجه الصحيح ، عدد ١٥٦٥ ، ورقة ١٤٠ الوجه الصحيح) ، انه في عام ١٦١٦ م كان احمد ابوريش اميراً على عانة وحديثة .

وفي عام ١٦٢٩ م جاء فيليب الكرملي ( وصف الرحلة الشرقية - [ فرانكفورت ، ١٦٧١ ] ، ص ٧٨ ) بعد مرحلتين من ثياسس الى مستوطنة ريسه ( الرحبة ) ، الواقعة على رابية غربية بعيدة عن الفرات . وبعد ان سار مسافة أبعد وجد جسراً صغيراً فقتل بالقرب من بلدة أننا . وقيل ان هذه البلدة كانت اكبر البلدان في ذلك الجزء من الصحراء وانها كانت مشهورة جداً الى ان قام الفرس بهدمها قبل ذلك بسنوات قليلة وانها امتدت على جانبي الفرات قرابة ميل عند سفح جبل كانت مفصولة عنه بحاجز . وعلى الجزيرة الصغيرة في النهر بُنيت قلعة يمكن ان تكون على مرمى النار من جميع التلال المحيطة بها . وكانت البلدة انذاك تصف مخربة وكان يسكنها عرب ويهود فقط .

ويروي تافيرنيه (الرجلات الست) (باريس ، ١٦٧٦) ، المجلد ١ ،  
 ص ٢٨٥ - ٢٨٧ ) انه بينما كان ذاهباً من بغداد مخترقاً الصحراء الى  
 بلدة مائة وهو يكتبها (أنا) الصغيرة رأى على مسافة خمسة مائة خطوة اسداً ودهيزاوج لبوة .  
 ووصف بلدة غانة بأنها ليست كبيرة وقال انها كانت وتعود الى أمير عربي .  
 وكانت الأرض مزروعة زراعة جيدة حولها على مسافة نصف ميل . وكانت فيها  
 جنائن واماكن للتره . ويذكر المرء موقعها بباريس لأنها كانت مبنية على  
 جانبي النهر مقابل جزيرة صغيرة حيث كان يقوم جامع فشم .

ويذكر ديلا فالليه ( الرحالة ) (البندقية ، ١٦٦٤ ، المجلد ١ ، ص  
 ٥٦٥ ) ان بلدة غانة تقع على كلتا ضفتي الفرات الذي كان  
 يعبر بالقوارب ؛ وكان الأهليون يمتلكون عدداً كبيراً منها .  
 وعلى كل من الضفتين كانت البلدة تتألف من شارع واحد يبلغ طوله  
 أكثر من خمسة أميال . وكانت معظم الأكواخ مبنية بالطين ، الا انها  
 كانت محكمة وجميلة المنظر . وكان لكل منها حديقة فيها اشجار  
 متنوعة كالنخيل والبرتقال والليمون والتين والزيتون والرمان وما شابه ذلك .  
 وكانت في النهر جزر صغيرة كثيرة مغطاة ايضاً بأشجار الفاكهة . وكان  
 على الجزيرة الوسطى حصن . ولم تكن البلدة مسورة ، الا ان  
 الأجراف الشديدة الانحدار كانت تحجز الحداثق من الخلف تاركة على  
 كلا الطرفين ممراً ضيقاً فقط على امتداد النهر . وكانت الأجراف شديدة  
 الانحدار جداً بحيث كان من المستحيل حتى دخول البلدة منها . وكان  
 سيد البلدة والصحراء بأكملها هو الأمير فياض وكان يمتلك بيتاً فاخراً هناك .  
 وكان اسمه عائشة القديم ابو رزك ( « ابو الريشه » ) . وكان  
 أهلها من مصلحيين ، الا ان عدداً منهم كانوا يتبعون بعض المذاهب  
 السرية .

وكان الامير فياض ابو ريش ينتمي الى قبيلة الموالي التي كانت تسيطر على الضفة اليمنى للفرات من تدمر الى الكوفة .

وفي منتصف القرن السابع عشر شكلت عمالة وبيروهاك جزءاً من عمالة رقّة ، الا ان بالس كانت ضمن عمالة حلب ( ريكسوت ، الامبراطورية العثمانية [ ١٦٧٠ ] ، ص ١٧٨ .

ويكتب حاجي خليفة (جيهان نامه : القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ ، ص ٤٦٥ ) ان بلدة عانة الجزرية تقع أعلى من مستوطنة هيت والحديثة على حدود منطقة بغداد ، وقيل انها كانت المستوطنة الوحيدة في هذه البقاع التي يدكو فيها نمو الزيتون ، وكانت لها سمعة عظيمة باعتبارها موطن كثير من العلماء والاولياء والموسيقين وعلماء الفيزياء . وكان في المنطقة في الازمنة الغابرة كثير من النصيريين ولكن لم يبق منهم في القرن السابع عشر غير عدد قليل .

ويقول اوليا جلبي في التاريخ ( ترجمة فون همر ) : المجلد ١ ، القسم ١ ، ص ١٠١ ) ان عانة كانت تتبع اقليم الرقة .

وفي عام ١٨٠٧ م قام سعود بن عبد العزيز مع جماعته الوهابيين بنهب عانة ودير الزور ( روسو : باشوية بغداد : ١٨٠٩ ص ١٨٠ وما بعدها ) .

## الملحق السابع عشر

### اد أو هيمت

خيّم توكولتي اينورثا الثاني في عام ٨٨٥ ق. م مقابل مستوطنة إد بالقرب من عيون القصار (إدّو) حيث يتوفر حجير الأشميتا وحيث يتكلم كبار الآلهة (الحوليات) [شابل، الحوليات (١٩٠٩)] اللوحتان ٢ وما بعدها [، السطر ٥٩، شابل، المصدر السابق، ص ١٦]. وتتميز أكثر عيون القار على الضفة اليمنى بينما يخرج النفط معجوباً بفقاعات خاصة على الضفة اليسرى. وهناك إلى الغرب والجنوب الغربي من هيمت مقالع قديمة للحجارة تجلب منها مواد البناء للسدود المشيدة على الفرات. ولعمل حجارة الكلس المائلة إلى الاصفرار كانت تؤخذ من هناك لتشيد الابنية البابلية. وبالإمكان مطابقة هذه الحجارة مع حجير الأشميتا. ومع ذلك فلمل اشميتا تعني القار المتصلب الذي ينبع من عيون متعددة في تلك النواحي محدثاً صوتاً غريباً. وللأسم «إد» أو «إت» بعض الصلة بكلمة إدّو، كما كان يدعى القار البابلي (المصدر نفسه، ص ٣٨).

ويشير هيرودوتس (التاريخ، ١، ١٧٩) إلى بلدة إس على مسافة ثمانية أيام من بابل. يمر بهذه البلدة مجرى نهر صغير، يدعى إس أيضاً، ويصب في الفرات. وتحمل مياهه قاراً كالذي كان يستعمل في بناء تحصينات بابل.

ويذكر ايسيدور الكرخي في المحطات القرنية (ملر) ص ٢٤٩) محطة إسبوليس، وهي الامسلاء الصحيح للكلمة وليس ايبوليس كما ورد في المطبوع.

أما بطليموس (الجغرافية، ٥، ١٩ : ٤)، فيذكر على الضفة اليمنى

للفترات بالبلدية اديكارا . ونستطيع تشطير هذا الاسم الى إد وكارا .  
وإد هي الكلمة البابلية وقار هي الكلمة الارامية - العربية للقار .  
وفي الادب التلمودي ورد ذكر بلدة إهي (بدلاً من ادي) أو إهداكير  
( برلينر ، مقالات [ ١٨٨٢ - ١٨٨٣ ] ، ص ٦٢ ) .

ويروي اميانوس مارسلينوس ( ٢٤ ، ٢ : ٣ ) وزوسيموس ،  
( التاريخ الحديث ، ٣ ، ١٥ ) أنه في عام ٣٦٣ م  
دخل الجيش الروماني بلدة دياكير ، وكانت ترتفع فوقها كنيسة شيدت  
في حصن يقع على تل عال . وكانت المدينة مهمجرة ولم يبق فيها سوى  
عدد قليل من النساء اللواتي فتكوا بهن . ووجد الرومان فيها قمحاً وفيراً  
وملحاً أيضاً . ويدعو زوسيموس البلدة داكيرا ويضيف قائلاً انها كانت  
مهدمة تهديماً كاملاً بحيث انها تبدو من الضفة اليسرى وكأنه لم يكن هناك  
بلدة قط . وداكير هي الكلمة السريانية داقيرا والعربية ذوقير ، وتعني  
الموضع الذي يخرج فيه القار من الارض .

وفي عام ٥٢٥ م قابل الملك الفارسي قباد الاول ( ٤٨٨ -  
٥٣١ ) ، ابن فيروز ، عند قنطرة الفيوم الملك الحارث بن عمرو الكندي  
( الطبري ، التاريخ [ دي خويه ] ، السلسلة ١ ، ص ٨٨٨ ) . والفيوم  
يُفترض انها كانت مستوطنة غير بعيدة عن بلدة هيت ( ياقوت ،  
المعجم المستفاد ] ، المجلد ٣ ، ص ٩٣٣ ) .

ويروي ابن قتيبة انه بعد هذا اللقاء بفترة غير طويلة طرد الملك المنذر  
الحارث وأغتيل ابنه مسالك في هيت . ولجأ الحارث الى مسحلان  
حيث قتلته قبيلة كلب ( ابو الفرج . الأغاني [ بولاق ، ١٢٨٥ هـ ] ، المجلد  
٨ ، ص ٦٥ ) .

وفي عام ٦٣٧ م تخندق أهل هيت في نخسندق عميق اعتمسوا  
بسهل فحاصرههم المسلمون ، ومنعوا الخروج والدخول

منها . ثم زحف نصفهم يمارضون الفرات يشتمون في طريقهم حتى بلغوا  
قرقيسياً في غرة واخذوها عنوة . ولما رأى أهل هيت إن المسلمين  
كانوا يعدون العدة لتطويق البلدة بخندق آخر وبسدة ترابية استسلموا .  
ثم انسحب المسلمون باتجاه شمالي غربي ( الطبري ، المصدر السابق ،  
السلسلة ١ ، ص ٢٤٧٩ )

وفي عام ٦٥٩ م «وجه معاوية سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل وأمره أن يأتي  
هيت فيقطعها فصار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحداً ، ثم أتى الأنبار  
وبها مسلحة لعلى . » ( المصدر نفسه ، السلسلة ١ ، ص ٤٤٥ ، ٣ )

وفي عام ٦٨٥ م سار التوابون من موضع قبر الحسين وتقدموا  
بطريق الحصاصة والأنبار والصدود والقيصرة إلى هيت ، ومن هناك إلى  
قرقيسياً ( المصدر نفسه ، السلسلة ١ ، ص ٥٤٨ - ٥٥١ ) .

وقبر الحسين في كربلاء الحاليه . والحصاصة يمكن البحث عنها  
شمالي كربلاء بجوار المسيب في يومنا هذا ، وكان يخترقها سابقاً طريق  
يؤدي إلى الأنبار ( ابن الأثير ، الكامل [ تورنبرك ] ، المجلد ٤ ، ص ٣٢٨ )  
وإلى الصدود الواقعة إلى الشمال الغربي من الأنبار . أما القيارة فهي ولا ريب  
تطابق عين النفاضة ، على مسافة اثنين وثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من  
هيت . وقد سار التوابون من الأنبار إلى قرقيسياً بحذاء الضفة اليسرى للفرات .  
ويذكر ابن الفقيه في البلدان ( دي خويه ) ، ص ١٨٧ ( «  
على فراسخ من هيت عيون العيرق » . ويكرر ياقوت هذا ( المصدر  
السابق ، المجلد ٣ ، ص ٦٥٢ ) . وتقع عيون أبو عرجاية على مسافة  
خمسة وثلاثين كيلومتراً إلى شرق - الشمال الشرقي من هيت .

ويذكر ابن رسته في الاعلاق ( دي خويه : ص ١٠٧ )  
« وقد كانت هيت وعانات أيام الفرس داخلة حشد السواد ، تعد من  
طسوج الأنبار إلى أن بلغ أنوشروان أن طائفة من الإعراب أغارت على ما قرب من حد  
السواد إلى البادية ، فأمر بتجديد سور مدينة تعرف بألس كان بناها سابور ذي الاكتاف  
وجعلها مسلحة لحراسة ما قرب من البادية ، وأمر بحفر خندق من هيت يشق طرف



البادية حتى يأتي كاظمة مما يلي البصرة وينفذ الى البحر ، وجعل عليه المناظر والمسالح ليكون ما اذا لمن اراد السراة من اهل البادية »

وفي عام ٩٠٦ م قام القرامطة من مخيبتهم قرب الدمام والحالة ، بفارقات على هيت ، « وصبحوها وادلبها غارون .. مع طابع الشمس ، فنهب ربضها وقتل من قدر عليه من اهلها واحرق المنازل ، وانتهب السفن التي في فرضها .. واخذها ما قدر عليه من الاموال والمتاع .. ثم رحل عنها بماء المغرب الى البرية ، وانما اصاب ذلك من ربضها ، وتحصن منه اهل المدينة بسورها » (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ، ص ٢٢٥٨ ) . انني احدث موقع مخيبتهم بجوار القمارة على طريق درب الساعي من دمشق الى هيت ( انظر كتابي بادية الشام ، ص ٦٢ ، ملاحظة ١٥ ) .

ويذكر علي بن عيسى ( كريمر : تقديرات الجباية [ ١٨٨٧ ] ، ص ٢٧ ) الطريقة التي كانت تجمع فيها الرسوم في هيت في عام ٩١٨ م — ٩١٩ م . وكانت هيت تشكل منطقة ادارية وفقاً للمؤلف نفسه استثنيت منها مزارع السكركر ، ( المصدر نفسه ، ص ٣١ ) . هكذا يكتب كريمر مشيراً في هامش رقم ١٠ الى المقدسي في احسن التقاسيم ( دي خويه ) ، ص ٥٣ و ١١٤ ) حيث يرد ذكر مستوطنة السكركر كذلك . على ان هذه المستوطنة تقع في منطقة واسط الادارية وعلى هذا لا يمكن ان تلحق بمنطقة هيت . ويرد في المخطوطات اسم — السكن — إما بنقطة فوق حرف النون او بدونها ، او يرد « السكركر » . ولا ريب في ان حرف الراء هو تحريف لحرف النون وينبغي ان نقرأ « مسكن » . ان حرف الميم بارتباطه بحرف السلام يمكن ان يفتح على علة التباس بسهولة . وكانت بسلطة المسكن الواقعة على مسافة ١٣٣ كيلو متراً الى الشرق — الشمال الشرقي من هيت تؤلف مركز منطقة أخرى .

وفي عام ٩٢٨ م وصل ابو طاهر . وهو زعيم القرامطة في البحرين ، الى خارج هيت حيث كان اهلها معززين بحامية الخلافة . وبعد ان قام قسم من ٥٧٣

اتباع ابي طاهر بنهب ضواحي الأنبار ، عبروا من الضفة اليسرى الى اليمنى بقوارب كانوا قد استولوا عليها في مكان يدعى فم بقة أسفل من هيت . ثم انضسوا الى ابي طاهر وقاموا بهجومهم الأول في يوم الأحد ، ( المصادف ٣ شباط [ فبراير ] . وأحرق المدافعون كثيراً من آلات الحصار القرمطية . وبعد ان أجبر ابو طاهر على العودة الى معسكره دون تحقيق نجاح ، انسحب صباح يوم الاثنين وتوجه الى منطقة رجة مالك بن طوق حيث استولى على تلك البلدة عنوة وكذلك على قرقيسياء . وبعد مرور سبعة أشهر حاول ثانية الاستيلاء على هيت ، الا ان أهليها كانوا في هذه الفترة قد رموا تحصيناتهم وعززوها ففصلوا هجومه . ثم ذهب بعد ذلك الى الكوفة . ( ابن مسكويه ، التجارب [ امدرود ] ، المجلد ١ ، ص ١٨٠ — ١٨٣ ؛ المدعوي ، التنبيه [ دي خويه ] ، ص ٣٨٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل [ تورنبرك ] المجلد ٨ ، ص ١٢٦ وما بعدها ) .

ويدلنا الاسم فم بقة (مدخل بقة ) انه تفرعت عند مستوطنة بقة قناة من الفرات . وتقع هذه المستوطنة أسفل من هيت على الضفة اليسرى ، اي الى الجنوب الشرقي . ولا يمكن ان تكون على مسافة بعيدة ، اذ ان المدافعين عن هيت كانوا قد أنفقوا قواربهم هناك . انني أحدد موقعها بحوالي كيلومترين الى الجنوب الشرقي من هيت في بساتين البق ، حيث يمكن رؤية بقايا قناة في الوقت الحاضر .

ويكتب الاصلخري في مسالكة (دي خويه : ص ٧٧ ) وابن حوقل في مسالكة ( دي خويه ) ، ص ١٥٥ ، « هيت مدينة وسطية على غربي الفرات وبنائها حصن ، وهي عامرة آهلة . وهي بخلاء تكريت ، وبها قبر عبدالله بن المبارك » .

ويقول المقدسي : احسن التقاسيم ( دي خويه ) ص ١٢٣ هيت « كبيرة عليها سور على الفرات بقرب البادية » .

وفي ١٠٣٨ - ١٠٣٩ م توفي في هيت الوزير المخولع ابو القاسم الذي كان مسجوناً فيها لمدة سنتين وخمسة اشهر (ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ٩ ، ص ٣١٧) .

ويذكر البكري : المعجم (فستفيلد) ، ص ٨٣٤ ) ان «هيت مدينة مذكورة في تحديد العراق وهي على شاطئ الفرات ، والهيته الهوة ، وسهيت هيت لانها في هوة ، وقال ابن دريد الهيته الموضع الغامض المنخفض . وقال الرازي : يارب هيت نجنا من هيت وقال آخر والحوت في هيت رداها ديت ، فان ان الحوت هناك التقم يونس عليه السلام ، فقال بنير عالم »

وفي ١٠٥٦-١٠٥٧ م كان قريش بن بدران أميراً على المناطق الآتية : نهر الملك وبادوريا وهيت ودجيل ونهر بيطر وعكبرا واوانا وتكريت والموصل ونصيبين (ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ٩ ، ص ٤٣٣) .

وفي عام ١٠٦٥ - ١٠٦٦ م اقتلع شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران ، أمير الموصل ، الأتبار وهيت . (المصدر نفسه ، المجلد ١٠ ، ص ٣٥) .

وفي عام ١٠٨٧ . ١٠٨٨ م انتزع اهل هيت انفسهم طواعية الى حاكم العراق الذي كان آنذاك كمال الملك ابو الفتح الدهستاني . (المصدر نفسه ، المجلد ١٠ ، ص ١٠٧) .

وفي عام ١٠٩٢ م قام تثنش بن زلب ارسلان امير دمشق برحلة الى ارضيه السلطان ملك شاه في بغداد ، وعنا وصوله الى هيت بلغه زباً وانه ابيه ، فاستولى على مملكته الباغية وعلى الرحبة ايضاً (المصدر نفسه المجلد ١٠ ، ص ١٢٩) .

ولم يظل تثنش اميراً على هيت لمدة طويلة لان السلطان بركيارق أقبلها لانهاء الدولة ثروان بن وهيبه من قبيلة بني عقيل ، وكانت له صلة قريبي قوية بسيف الدولة حمدقة . وكان الأخير يريد الاستيلاء على هيت .

غيران محاولته الأولى فشلت لأد ( ابنه دُيس ، الذي كان قد أرسل الى هناك ، عاد دون ان يحقق شيئاً . ثم استولى صدقة على بلدة واسط ، ثم عاد يزحف على هيت ثانية حيث وجد ابن اخي ثوران يمارضه هناك . إلا ان بعض رجال قبيلة ربيعه فتحو البوابات ، فدخل صدقة البلدة واستولى عليها ، وفي عام ١١٠٢ - ١١٠٣ م عين أحد اقاربه حاكماً عليها . ( المصدر نفسه ، المجلد ١٠ ، ص ٢٤٧ ، ابن خلدون ، العبر [ بولاق ، ١٢٨٤ هـ ] ، المجلد ٤ ، ص ٢٨١ ) .

وقد عين الجاثليق النسطوري اليازر الثاني ( ١١١١ - ١١٣٢ م ) الراهب زخراس مطراناً على الانبار وديت ( اسيدانوس ، المكتبة الشرقية ، المجلد ٢ ، ص ٤٤٩ ) .

ويقول الادريسي في نزهته ( ترجمة جوبير ) ، المجلد ٢ ، ص ١٤٤ ) ان بلدة هيت المسورة كان فيها من السكان ما يفوق جميع البلد على الفرات قاطبة ، وانها تقع غربي الفرات مقابل تكريت التي تغلب سدة العراق الشمالي على الضفة اليمنى من دجلة .

ويذكر ياقوت ( المصدر السابق . المجلد ٤ ، ص ٩٩٧ ) ان هيت بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار ذات نخيل كثير ومنهيرات واسعة . « وبقية - ول القزويني في عتباته ( فستفلك : المجلد ٢ ، ص ١٨٦ ) » ان هيت بلدة طيبة على الفرات ذات أشجار ونخيل وخيرات كثيرة وطيب الهواء وعذوبة الماء ورباض مؤنقة . «

ويذكر ابو الفداء في تزيينه ( ريند و ديسلان : ص ٢٧٥ و ٢٩٩ ، ( نقلاً عن ابن حوقل ) ان في هيت . . اثار ابنه امير المؤمنين ابي الجاس القاسم وكانت داره التي يسكنها ومعه في ذات نخيل وزروع شرقي الفرات . . وبني على غربي الفرات فرقة من فرض الفرات ، وبينها سيون القار والندل ، وبينها وبين الفادسية ثمانية فراسخ . وبينها ايضاً وبين الانبار واحد وعشرون فرسناً . وترى هنا ان المسافة من هيت

الى القادسية قسماً، التبت بالمسافة الى الأنبار . وتكون المسافة من هيت الى الأنبار خمسة وثمانين كيلو متراً ، او ما يقارب اربعة عشر فرسخاً ، بينما هي الى القادسية مئتان وخمسة واربعون كيلو متراً ، او ما يقارب اربعين فرسخاً . وينسب ابو الغداء الى هيت ما كتبه ابن حوقل عن الأنبار . فالأخيرة تقع شرقي الفرات وبها بنى ابو العباس سكناً له .

وقال حاجي خليفة ( جيهان نامه ) القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ ، ص ٤٦٥ : ان هيت تابعة الى عانة وانها تبعد ثمانية فراسخ عن الأنبار وانها مشهورة بالمشهد الذي يضم غارة عبد الله بن المبارك فعنصب ، وانما بسبب ما فيها من عيون القاز والنفط ايضاً .



## الملحق الثامن عشر

### بيريسابوراس أو الأنبار

يذكر الطبري ، في تاريخه ( دي خويه ) ، السلسلة ١ ، ص ٧٤٨ ) .  
« واما سميت الانبار لانها كانت تكون فيها انابير الطعام وكانت  
تسمى « الالهراء » لان كسرى كان يرزق اصحابه رزقهم منها » .  
ويذكر ايضاً ( المصدر نفسه ، السلسلة ١ ، ص ٨٣٩ ) ان سابور الأول  
( ٢٤١ - ٢٧٢ م ) ، « امر فبنيت بارض السواد مدينة وسماها يزرع  
سابور - وهي الانبار - » .

ويذكر اميانوس مارسلينوس ( ، ج ٢٤ ، ٢ : ٩ - ٢٢ )  
ان مدينة بيريسابوراس الواقعة المكتشفة بالسكان تقع في منطقة اشبه  
بالجزيرة وكانت محاطة بأسوار دفاعية مضاعفة بالخشبة المتينة .  
وفي احدى الليالي من عام ٣٦٣ م نجح الرومان بقيادة الامبراطور  
جوليان في تدمير برج قوي عند احد الأركان مما حمل الاهلين على ترك المدينة  
والهرب طلباً للنجاة الى قلعة بُنيت على تل منعزل شديد الانحدار ترتطم به  
مياه الفرات . وكانت اسوار القلعة هذه مبنية بالأجر والتمار ، فدافع المحاصرون  
عن انفسهم ببسالة ، الا انهم استسلموا عندما حصلوا على وعد بأن يسمح لهم  
بالمغادرة بحرية . غادر القلعة نحو ٢٥٠٠ رجل ، أما الباقون فنجوا بانفسهم  
في قوارب صغيرة حملتهم الى الضفة الأخرى من النهر ، وكانت المخازن في  
القلعة مملوءة بالطعام والسلاح ، فأخذ الرومان ما ارادوا واحرقوا الباقي والمدينة  
ايضاً .

وفي نهاية القرن الرابع للميلاد اتخذ الناسك ماريونان سكناً له في ضواحي  
الأنبار التي كانت مهجورة آنذاك . وبعد موته دفن في ضاحية الانبار وبُنيت

فوق قبره كنيسة وعدد قليل من الحجرات للدلالة على البقعة. وفي أحد الأيام تجلّى المسيح على القس مسار عبده وأمره بأن يتلو الصلوات عند قبر مار يونان ومن ثم ان ينقل رفاته الى الكنيسة في الأنبار وقد نفذ ماطلب اليه ، فدفن ماريونان على يمين مذبح الكنيسة غير بعيد عن جُرن المعمودية . ( تاريخ سعرت [ شير ] ، آثار الآباء الشرقيين ، المجلد ٥ ، ص ٢٤٨ . )

ويقول ياقوت في معجمه ( فستنقلد : المجلد ٢ ، ص ٧٠١ ) ان دير ابار يونان كان يدعى ايضاً (عُمُر مار يونان) . وكان كبيراً ومحصناً تحصيناً قوياً ومجاوراً للجامع الكبير .

ويضيف ابو الفضائل في مراصده ( يوينبول : المجلد ١ ، ص ٤٤١ ) ان هذا « هو الدير المعروف بدير الغراب تحت الانبار ، وكان للنصارى به موسم يخرجون اليه كل سنة . وهذا الغراب كان من نزهات النصارى » ويكتب اسيدانوس ( المكتبة الشرقية : روما ، ١٧١٩ - ١٧٢٨ م ، المجلد ٣ ، ص ١٩٨ و ٥١١ ) ، نقلاً عن عمرو ، انه حوالي ٥٤٠ م كان عبد المسيح من اهل الحيرة قد طلب بناء دير للقديس يونس قرب الانبار وقد هدم هذا الدير وكذلك دير القديس كيريالعام ٨١٥ م ابان خلافة الخليفة المتوكل .

اقام الحارث بن عمرو في الانبار . وعندما قسام المنذر بمهاجمته هرب منه الى الثوية حوت فوجئ بجيش من فرسان تغلب وبهراء وإياد . ولذلك طلب اللجوء الى ديار قبيلة كلب . ( امرؤ القيس ، الديوان [ ديسلان ] ، ص ٤ )

وفي عام ٥٣١ م انطلق كسرى الاكبر من بلاد بابل ( طيسفون ) الى الصمخر قرب مستوطنة ابارون ( الانبار ) على مسافة خمس مراحل من حصن كركيسيون ( كركيسيوم ) الثغري الروماني ،

حيث قسم جيشه ، فأرسل القسم الأول بقيادة ادرومانيس بهيمنة الفرات الى الاراضي الرومانية ، وقام هو بقيادة القسم الآخر الى نهر ابوراس ( الخابور ) حيث فاجأ الرومان الذين كانوا يحاضرون داراس . عسير ادرومانيس الفرات ثم التف حول كركيسوم وذهب سوريا ( ثيو فيليكتوس سيموكتا ، التاريخ ، ٣ ، ١٠ : ٦ - ٨ . )

ويقول يوحنا الايفاني : الشذرات ( ملر ) ، ص ٢٧٥ . انه ادارمانيس عبر الفرات قرب كركيسوم .

وفي نهاية عام ٥٩٠ م فر كسرى الثاني بطريق المستوطنتين المحصنتين اتاريون ( الانبار ) واثاثون ( عانة ) الى حصن كركيسيون ( كركيسوم ) . وعند توقفه عند علامة الميل المباشر من ذلك المكان ارسل التماساً الى القائد ( ثيو فيليكتوس سيموكتا ، المصدر السابق ، ٤ ، ١٠ : ٤ وما بعد ) . وقد فر كسرى بطريق بيروت شابور عانات الى كركيسوم ومنها طلب حماية الامبراطور موريس ( التاريخ المختصر [ كويدي ] ، ص ١٥ ، نولدكه ، التاريخ السوري [ ١٨٩٣ ] ، ص ٦ ) .

وفي عام ٧٥٢ م انتقل الخليفة ابو العباس من الكوفة الى الانبار حيث اُمر ان يُبنى له مسكن هناك ( ايلييا النصيبسي ، التاريخ - شيخ الرئيسي ، [ بروكس ] ، القسم ١ ، ص ١٧٣ ) .

وفي عام ٧٥٤ م توفي ابو العباس السفاح ودفن في قصره عند الانبار ( اليعقوبي ، التاريخ [ هوتسما ] ، المجلد ٢ ، ص ٤٣٤ ) .

وفي عام ٧٩٧ م قام هارون الرشيد بزيارة الى الانبار واتخذ مقاماً له في بلدة ابي العباس الواقعة على مسافة نصف فرسخ من الانبار . وفي هذه البلدة ظل يقيم كثير من الناس الذين جلبوا من خراسان ( الدينوري : الاخبار [ كويركاس ] ، ص ٣٨٦ . )

وعندما عاد هارون الرشيد من الحج عام ٨٠٣ م « نزل الحيرة ناهماً اياماً ثم مضى على طريق البرية فنزل بموضع من الانبار يقال له الحرف بدير يقال له



دير الغُبُور ، حيث أُمِرَ بقتل وزيره جَعْنَبِر بن يحيى (اليعقوبي ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٥١٠) .

ويذكر الطبري ( المصدر السابق ، السلسلة ٣ ، ص ٦٧٨ ) ان هارون الرشيد شخص من الحيرة في السفن حتى نزل العُمُر الذي بناحية الأنبار . والعُمُر هو دير مار يونس .

ويصف الاصطخري في مسالكة (دي نخويه) ، ص ٧٧ ، « الأنبار مدينة واسعة ، وبها اثار ابنية ابي العباس السفاح اول خلفاء بني العباس ، وكانت داره التي يسكنها ، وهي مدينة عامرة آهلة ، ذات نخيل وزرع وشجر ، وهي شرقي الفرات » وكان مما يزرعه الإهاون القوغ والصفصاف التي كانوا يستعملون اخشابها في بناء القوارب والبيوت وادوات متنوعة . والقوغ والصفصاف كلاهما ينموان نمو أجسناويو حاص الى الشمال الغربي من الامبار . اما المقدسي في احسن التقاسيم ( دي نخويه ) ، ص ١٢٣ ) فيصف

الأنبار «مدينة كبيرة اول ما نزل المنصور بها ، وثم داره ، وقد خفت » ويكتب الادريسي ، في تقويمه ( ترجمة جوبير ) ، المجلد ٢ ، ص ١٤٤ ، ان الأنبار بلدة صغيرة مزدحمه ولها سوق ومعامل متنوعة . وبساتين واسعة للخضروات . وعندها يتفرع من الفرات نهر عيسى الذي حفره المسلمون للوصول الى بغداد بالقوارب من الفرات .

وفي ١٣ كانون الثاني (يناير) ، ١٢٥٨ م عبر القائدان المغوليان بايجو و تويان سنجق دجلة وبعد زحفهما بجانب طريق الدجيل وصلوا الى نهر عيسى حيث عسكروا . ومن هنا تقدم سنجق بجى وصل الى جوار الحربية . وعند ذلك قام قادة الخليفة ، وكان معسكرهم يقع بين بعقوبة و باجسرا . بعبور دجلة ايضاً وهاجموا سنجق على مسافة تسعة فراسخ من بغداد في المنطقة المجاورة للأنبار ، غير بعيد من قعر المنصور الواقع فوق المزرقة . ثم عماد سنجق بعدد الى البشريه الواقعة على الدجيل . وفي ١٧ كانون الثاني (يناير) داهم الجيش المغولي فجأة جيش الخليفة ، الذي دمر وسحق سحقاً كاملاً بحيث لم يهرب الى مدينتي الحلة والكوفة سوى القليل من الجنود

رشيد الدين في جامع التواريخ [كاترمير] ص ص ٢٧٨ و ٢٨٠ ) .  
وفي عام ١٢٦٢ م قام القائد التتري كروبوقا بنهب الانبار والفنك  
بكثير من اهليها (المقري السوك [كاترمير : المجلد ١ ، القسم ١ ،  
ص ١٧١ ) .

وكانت بيروز شابور ، اي الانبار ، مقراً للمطران . ويسجل شابو  
في المجمع الكنسي ( ١٩٠٢ ) ، ص ٥٣ ) انه في عام ٤٨٦ م شارك  
المطران موشى من بيروز شابور في المجمع الكنسي النسطوري . وفي عام ٤٩٧ م  
كان المطران هناك اما موشى ، أو شمع ( المصدر نفسه ص ٦٢ و ٦٧ ) .  
وفي عام ٥٤٤ م كان شخص يسمى شمعون مطراناً في بيروز شابور ،  
وهي بلدة الطيائية ( المصدر نفسه ، ص ص ٧٠ و ٧٣ ، اسيمانوس ،  
المكتبة الشرقية [ روما ، ١٧١٩ - ١٧٢٨ ] ، المجلد ٢ ، ص ٤١٣ ) .  
وطيائية هي الاسم الذي اطلقه المؤلفون السريان على العرب الأوائل .  
وفي عام ٥٧٦ م ورد ذكر اسم المطران مرثي هناك ( شابو ، المصدر  
السابق ، ص ١١٠ ) .

وفي ٦٠٥ م ورد ذكر اسم المطران شمعون فيها ( المصدر نفسه ، ص ٢١٤ ) .  
وفي عام ٧١٩ م ورد ذكر اسم المطران يوحنا فيها ( المصدر نفسه ،  
ص ٦٠٣ ) .

وكان لليعاقبة ايضاً مطران في الانبار . ويذكر ميخائيل السوري في  
تاريخه ( شابو : المجلد ٤ ، ص ٤١٣ ) انه في عام ٦٢٩ م كان المطران  
اليعقوبي احا مطراناً في بيروز شابور وفي الاراضي التي كان يخيم فيها  
عرب ( طيائية ) من قبيلة النسر .

واستناداً الى المطران الياس اندمشقي الذي نُقل في العقد الأخير من  
القرن التاسع مـبن القدس الى دمشق فان الجاثليق النسطوري كان رئيساً  
لمطارنة كشكر والظيرهان ودير هرقل والحيرة والانبار والسين وعكبرا  
( اسيمانوس ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٤٥٨ ) .

وفي عام ٩٠٠م كان رجل يسمى الياس مطراناً في الانبار (ايليا النصيبى المصدر السابق ، القسم ١ ، ص ١٩٦) . اما اسيمانوس ، المصدر السابق ، المجلد ٣ ، ص ٢٥٨ ، فيذكر ان المطران في عام ٩٨٧ م كان المطران النسطوري الياس .

وفي عام ١٠٢٨ م كان المطران رجلاً اسمه المنذر (المصدر نفسه ، ص ٢٦٤) .

وتقع الانبار على الخط الحدودي الفاصل بين بلاد الجزيرة وبلاد بابل .

ذكر ابن حوقل ( المسالك ( دي خويه ) ص ١٣٨ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ) «الجزيرة التي بين دجلة والفرات » ويتقطع الحد عن الفرات مما يلي الجزيرة بالانبار ، ثم يعود وحد الجزيرة في سمت الشمال فيكون الى تكريت الحد العراق وتكريت على دجلة ، وينتهي الحد منها مصاعداً على دجلة الى آمد . ثم يعود ذلك مغرباً على البر الى سميساط ، ثم ينثنى الى مخرج ماء الفرات على حد الاسلام من حيث ابتدائه . وعلى شرقي دجلة وغربي الفرات مدن وقرى تنسب الى الجزيرة وهي خارجة عنها ونائية منها .

وبالجزيرة براري ومفاوز وسبخ بعيدة الاقطار تتجمع لامتيار الملح والاشنان والقلى . وكان يسكنها قبائل من ربيعة ، اهل خيل وغنم وابل قليلة ، واكثرهم متصلون بالقرى وباهلها ، فهم بادية حاضرة ، فدخل عليهم في هذا الوقت من بطون قيس عيلان الكثير من بني قشير وعقيل وبني نمير وبني كلاب ، فازاحوهم عن بعض ديارهم بل جلها ، وملكوا غير بلد واقليم كحران وجسر منبج والخابور والخانوقة وعرابان وقرقيسيا والرحبة في ايديهم يتحكمون في خفائرها ومرافقها . »

ويحدد الاصطخري في مسالكة (دي خويه) ، ص ٧١ وما بعدها و(٧٧ و ٨٧) بلاد الجزيرة ما بين دجلة والفرات . ومخرج الفرات من داخل بلد الروم

ويمر على بالنس والرقبة وقرقيسيا والرحبة والانبار ، وقد انقطع حد الفرات مما يلي الجزيرة . ثم يعدل حد الجزيرة من سمت الشمال الى تكريت وهي على دجلة ، ومنها يتبع هذا النهر نحو الشمال . والى الغرب من تكريت عن غربها الى الانبار بين دجلة والفرات قليل العمارة ، وانما العمارة منه ما يحاذي الشاطئ أميلاً يسيرة والباقي يادبسة .

ويسجل القزويني في عجائبه ( فستفلد ) ، المجلد ٢ ، ص ٢٨٠ ) ان العراقي من الموصل الى عبادان طولاً ومن القادسية الى حلوان عرضاً ، فالحدود الشرقية لبلاد الجزيرة ، وفضلاً للقزويني ، من خط يمتد من الموصل الى القادسية .

وكان مفهوماً عند ابني القسداء في تقويمه ( رينو دي سلان ص ٢٧٣ ) ان بلاد الجزيرة هي الاراضي بين دجلة والفرات ومعها المناطق الشاسعة الى الغرب من الفرات مثل الرحبة الخ . . . التي تعود أصلاً الى سوريا . ويضيف الى ذلك ، على كل حال ، بان الحد المعترف به عموماً يتكون من مجرى الفرات حيث يمر في بالنس والى الرقة والى قرقيسيا والى الرحبة والى هيت والى الانبار . ثم يعطف من الانبار الى تكريت وهي على دجلة الى السين والى الحديثه على دجلة والى الموصل .

ويجمل كاتالي ، في حولياته ( ميلانو ، ١٩٠٧ ) ، المجلد ٢ ، ص ١٩١٩ ، ( الملاحظه ١ ) حدود العراق الشماليه خطأ مستقيماً من هيت على الفرات الى تكريت على دجلة . وبالرغم من ان هذا يتفق مع بيانات بعض الجغرافيين العرب ، فانه مناقض لبيانات المؤلفين الكلاسيكيين ، كما انه لا يمت بصلة الى الشكل الفيزيوجرافي [ الجغرافي الطبيعي ] للارض .

## الملحق التاسع عشر

### خفان او القايم

ان القايم الحالية الواقعة على الطريق المسلوكة من الكوفة الى البصرة هي على موقع خفان القديمة .

يقول ياقوت في المعجم ( فستفلد ) ، المجلد ٢ ، ص ٤٥٦ )  
« خفان موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج احياناً وهو مأسدة ، قيل هو فوق القادسية وقال ابو عبيد السكوني خفان من وراء النسخ على ميلين او ثلاثة عين عليها قرية لولد عيسى بن موسى الهاشمي تعرف بخفان وهما قريتان من قرى السواد من طف الحجاز ، فمن خرج منها يريد واسطاً في الطف خرج الى نجران ثم الى عبد ينيا وجنبلاء ثم قناطر بنى دارا وتل فخارثم الى واسط وقال السكري خفان وخفية اجبتان قريبتان من مسجد سعد بن ابي وقاص بالكوفة » .

ويصف ابو الفضائل ، كما يفعل ياقوت ( المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٣٥٩ ) ، موقع خفان وصفاً غير دقيق ، مما يوضح ان هذا المكان على عهد هذين المرجعين إما كان قد اكتسب آنذاك اسماً مختلفاً او انهما لم يعرفاه شخصياً . ويرينا السكري ايضاً مجرد المام سطحي بالمنطقة عندما يربط خفان بخفنية مجدداً موقعها قرب مسجد سعد بن ابي وقاص الذي كان يقع في الحقيقة على طريق الحاج جنوبي المغيثة في صحراء محرقه لا تنبت فيها الادغال . والواضح ان خفيه التبت على ياقوت بخفان ، لان خفيه وليس خفان هي التي كان يجب على الحاج اجتيازها كلما غمرت مياه الفيضان الطريق شمالي القادسية .

ان بيانات السكوني على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لنا خاصة حينما يحدد موقع مستوطنة النسخ بانه قرابة عشرة أميال شرقي القادسية على

طريق يؤدي إلى خفّان ( ياقوت ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٧٨٢ ) .  
 ( وأرى ان ضبيعة النسخ تدلّ على خرائب ام العصفير على مسافة خمسة عشر  
 كيلو متراً إلى الجنوب الشرقي من القادسية ) لذلك فالمسافة من القادسية  
 إلى خفّان ، وفقاً للسكوني ، كانت اثني عشر او ثلاثة عشر ميلاً . ومهما يكن  
 فان الشرق في هذه الحالة يعني الجنوب الشرقي . ويتفق الموقع والمسافة  
 كليهما بهذا الصدد مع بيان يحيى بن ميمون ، وهو مواطن من اهل القادسية  
 (الطبري: التاريخ [ دي خويه ] ، السلسلة ٣ ، ص ٢٩٥) . فهو يقول ان ابن معقل  
 في عام ٧٦٢ م « ولى القادسية ليمنع اهل الكوفة اتيان ابراهيم « في البصرة » .  
 وكان الناس قد رصدوا طريق البصرة فكانوا ياتون القادسية ثم العذيب ثم  
 وادي السباع . ثم يعدلون ذات اليسار من البر حتى يقدموا البصرة . فخرج  
 نفر من الكوفة اثنا عشر رجلاً حتى اذا كانوا بوادي السباع لقيهم رجل . .  
 من اهل شيراف دون واقصة بميلين . . فأتى ابن معقل فاخبره ، فاتبعهم  
 فادركهم بخفّان ، وهو على اربعة فراسخ من القادسية . »

على ان هناك ايضاً اخباراً اخرى تدعونا إلى البحث عن خفّان إلى  
 الجنوب الشرقي من القادسية وعلى حدود الصحراء . فيذكر المسعودي  
 (التنبيه ( دي خويه ) ، ص ٣٩٠ ) ان المسافة من القادسية إلى  
 خفّان هي ستة أميال ، الا انه بعمله هذا يخلط بين هذه المسافة والمسافة  
 من القادسية إلى العذيب . ويتبين لنا ايضاً ان خفّان تقع إلى الجنوب الشرقي  
 من القادسية على الطريق إلى البصرة وذلك من قيام القائد القرمطي ابو طاهر  
 بالزحف باتجاه شمالي غربي إلى القادسية ، حيث طلب من جنوده الاستدارة  
 ليقطع طريق الحجاج الهاربيين شمالاً . وقد ادركهم عند العذيب على مسافة  
 ستة أميال ( المصدر السابق ، ص ٣٨٩ وما بعد ) .

ويكتب كابتاني في حولياته (١٩٠٧) ، المجلد ٢ ، ص ٩٢١ ، (الملاحظة ٦ ب) ،

انذا لمسعودي يذكر ان الطريق من جزيرة العرب الى الكوفة يمر بخفّان ،  
وبجوارها كانت لأمرأء لخم قصور تترف بالخورنق ( وبهذا الصدد يشير  
كايتاني ايضاً الى الطبري (المصدر السابق : السلسلة ١ ص ٢٨٥١) ولاندعم  
نصوص المسعودي ولا الطبري ماذهب اليه كائتاني في هذا الشأن

وفي عام ٩٠٦ - ٩٠٧ م اجتازت خفان (عريب ، الصلة [دي خويه] ،  
قطعات من جيش الخليفة عند زحفها لمعاينة زعمهم القرامطة زكرويه  
الذي كان يحاول الهرب بالحجاج الاسرى والمنهويين من محطة فيد  
بطريق النجاج وحفير ابي موسى الاشعري الى البصرة . ص ١٧ )

ويروي ابن الأثير في الكامل ( تورنبرك ) ، المجلد ٩ ، ص ص  
٤١١ وما بعدها ) ان بني خفاجه في عام ١٠٢٦ م قاموا بنهب الجامعين  
والمنطقة المجاورة لها ، فلهق بهم والى المنطقة ابن مزيد ، وادركهم  
عند حصن خفان الصحراوي ، وبعد ان فرق شملهم واخذ مقادير كبيرة من  
ممتلكاتهم حاصروا الحصن ، ثم استولوا عليه وهدموه . وكان  
يريد هدم البرج ( قايم ) المشيد بالآجر والكلس ، الا انه عدل عن ذلك  
عندما قدم له صاحب البرج ربيعة بن مطاع هدايا كبيرة . ويقال ان هذا  
البرج ( القايم ) كان مناراً للسفن عندما كان البحر يصل حتى النجف .  
وتظهر جميع البيانات ان خفّان القديم يمكن البحث عنها عند قرية  
القايم الحالية .

زار ابن بطوطه ( التحفه ) دفرميري وسانكونيتي ) ، المجلد ٢ ،  
ص ٢ ) هذا المكان في رحلته من النجف بطريق الخورنق الى البصرة وسماه  
( قايم الوراق ) . ويبدو ان الخليفة الوراق ( ٨٤٢ - ٨٤٧ ) كان قد أمر  
بتشييد مسجد هناك لم يبق قائماً منه على عهد ابن بطوطه أثر الاصومعته .  
ويؤكد هذا ابو الفضائل ( المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٣٨٢ ) الذي يقول  
ان القايم «بناء قديم بخفّان في بر الكوفة يعرف به» . ومن الممكن ايضاً

ان الخليفة الواثق بنى المسجد على موقع دير قديم ، وان القايم لم يكن سوى بقايا كنيسة مسيحية او برج مراقبة فارسي .

ذكر ابو الفضائل ( المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٤٢٨ ) ان دير حنا هو دير قديم بالبحيرة بمقابل منارة عالية كالمقرب يقال لها القايم ، واظنه الذي يقال له خفان .

وينقل ياقوت ( المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٦٨٤ ) عن ابي الفرج الاصفهاني « اصبح خفان بجوار الكوفة وعنده دير هو الآن خراباً » ويقو ايضاً ان « اصبح خفان بناء عظيم قرب الكوفة من ابنية الفرس واظنهم بنوه هناك ليكون منفرة ، ياقوت . المصدر نفسه ، المجلد ١ ، ص ٢٩١ ) . وهذا ماكرره ابو الفضائل ( المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٧١ ) .

ويصف البكري في معجمه ( فستفلد ) ، ص ٣٢٣ ) خفان بأنها « موضع قبل اليمامة اشب الغياض ، كثير الاسد ، ومنازل تغلب بين خفان والعذيب . قال عمرو بن كلثوم :

فيهنى ترأسى تغلب بنه وائل اذا نزلوا بين العايب وخفان  
وكان الشاعر الاخطل ، وهو من بني تغلب ، مجتاداً ان يخسيم  
في خفان . ( الديوان : [ صالحاني ] ص ٢٩٤ ) .

ويقع القايم على الحدود الجنوبية الغربية لمستنقعات واسعة حيث كان من السهل ان تختفي فيها حيوانات وحشية من انواع مختلفة . وفضلاً عن ذلك فالى مسافة خمسين كيلو متراً غربي الفرات يتوفر ماء كثير وإن كان مذاقه يميل الى الملوحة قليلاً . وفي السهول والوديان المتعددة لهذا المنخفض تشكل الطرقات مجموعات مسن الشجيرات تسمتخ



فوقها اشجار نخيل برية كثيرة السعف تكاد تكون سوداء او جافة  
ورمادية قائمة : وبسبب لونها يدعوها اهل البلد بالسُمُر ( اي السود ) .  
وكان في امكان الاحراش السفلى والبرك الضحلة ان تقدم للحيوانات الوحشية  
الملجأ والماء .

وينقل ياقوت . ( المصادر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٣٥٩ ) عن راويته  
العُرتي « من البصرة الى عين جمل ثلاثون ميلاً ، والى عين  
صيد ثلاثون ميلاً ، والى الاتحاد ثلاثون ميلاً والى أقر ٣٠ ميلاً ،  
منها الى سلمان ٢٠ ميلاً ، ومنها الى لعل ٢٠ ميلاً ،  
والى بارق ٢٠ ميلاً ، والى مسجد سعد ٤٠ ميلاً ،  
والى المغيرة ٣٠ ميلاً ، والى العذيب ٢٤ ميلاً ، والى القادسية ٦  
أميال ، والى الكوفة ٤٥ ميلاً . » فالمسافة من سلمان الى الكوفة  
اذن ، وفقاً للعُرتي ، هي ١٨٥ ميلاً ، او ٣١٤ كيلو متراً ؛ وفي الواقع  
انها قرابة ١٦٠ كيلو متراً . ولذا فان المسافات المختلفة المذكورة غير  
جديرة بالاعتبار .

اما من القادسية الى الكوفة فان المسافة ، وفقاً للعُرتي ، هي ٤٥ ميلاً او  
٧٦ كيلو متراً . وهي في الحقيقة ٣٠ كيلو متراً فقط ، او ١٧ ميلاً .  
والمسافة من القادسية الى العذيب هي ثمانية كيلو مترات ، وهي وفقاً  
للعُرتي ٦ أميال التي قد تتفق بمافيده الكفاية لو احتسبنا ان كيلو متراً ونصف  
تساوي ميلاً واحداً .

والمسافة من العذيب ( عين السيد ) الى المغيرة هي ٣٦ كيلو متراً ؛  
وهي وفقاً للعُرتي ٢٤ ميلاً ؛ وهذه تتفق ايضاً ، عند احتساب كيلو متر  
ونصف للسيل الواحد .

والمسافة من المغيرة الى مسجد سعد وفقاً للعُرتي هي اربعون ميلاً ، مع  
ان المسافة من هناك الى المسجد ، كما يدعى المكان الاخير الآن ، لا تمثل في  
الواقع الا ٢٣ ميلاً .

ان موقع محطة بارق غير معروف . ويجعل ياقوت ( المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٤٦٣ ) بارقاً حداً فاصلاً بين القادسية والبصرة . وعلى كل حال فإني اظن ان جُدْ ( بئر ) هي الكتابة الصحيحة ، وليس حـسـدْ ( اي النقطة الفاصلة ) ، لان القادسية لسم تكن قسـط مركزاً لادارة سياسية ولهذا لايمكن ان تفصل بارق بين منطقتين اداريتين . ومن ناحية اخرى فقد كان هناك طريق من البصرة الى القادسية يمر بمحطة بارق ، ولما كان لكل محطة صحراوية منهل ماء فمن الجائز ان نفترض ان هذا المنهل في بارق كان يتمثل في البئر المذكور ( جد ) . والمسافة من المسجد الى سلمان هي ستون كيلو متراً .

ولقد قام ابن بطوطة ( المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ص ١ وما بعدها ) برسالة من مشهد علي (ع) بأزاء الخورنق الى محطة قائم الوثائق فقال ( وبه اثر قرية خربة ومسجد شرب لم ابق منه سوى صومعته ، ثم رحلنا عنه آخذين مع جانب الثرات بالموضع المعروف بالعدار وهو غابة قصب في وسط الماء يسكنها اعراب يعزون بالمهادي ودم قطع الطريق » . ثم استأنف رحلته الى البصرة . وتعرف ارض المستنقعات المسماة العِدار حاليّاً ، بالغازاري ؛ فبدلاً عن عدار كان ينبغي ان يكتب عِدار .

ان اسم عشيرة المعادي مطابق لاسم عشيرة المعدان ، التي استوطنت على كلتا الضفتين اليمنى واليسرى للفرات .

## الملحق العشرون

### أهاوا ، مسكنه ، مسجبن

ان موقع مسجبن ذو أهمية كبيرة ويفسر لماذا ظهرت فيما بعد مستوطنة كالسميجه وازدهرت هنا في المنطقة المجاورة للخرائب . ففي هذه النقطة في الازمان الغابرة ، كما هو الحال اليوم ، تفرع طريقان : احدهما يتجه غرباً ، والآخر في اتجاه شمالي غربي من طريق النقل الذي يتابع الضفة اليمنى لدجلة . وكان موقع مسجبن ولا يزال ملتقى طرق مهمة ، وهي تذكرنا بأهاوا العبرية وسكنائي القديمة او مسكنه .

ويكتب اسداس ( ٨ : ١٥ ، ٢١ ، ٣١ ) انه جمع اليهود ، الذين كان عليهم العودة معه من بلاد بابل الى فلسطين ، بجوار نهر يجري باتجاه اهاوا ؛ وهناك مكثوا ثلاثة ايام وهم صائمون . ويظهر ان هذا النهر او القناة التي تجري باتجاه اهاوا يجب البحث عنها على حدود بلاد بابل الاصلية ، لان المنطقة التي كان على اليهود اجتيازها فيما وراء تلك النقطة كانت محفوفة بالخطار . وتعني كلمة اهاوا مستوطنة تأسست من خيام ، وهي شبيهة بـ (سكنائي) او مسكنه . وكان في مقادير اليهود العودة إما بمحاذاة الفرات او باختراق المنطقة الوسطى من بلاد ما بين النهرين . وكان الطريق الأول هو الأقصر ، الا أنه اصعب وخطير بكثير من الثاني . فلم يكن الى الفرات في باية نيسان (ابريل) تفتح ناضج ، وعـلى هذا ما كان في وسع العائدين ايجاد طعام لأنفسهم ولا مـرعى لحيواناتهم . وبالإضافة الى ذلك ، فان رؤساء المساند المختلفة على امتداد الفرات ، وهم دائماً مستقون الى حد ما ، كانوا ولا ريب سيثقلون عليهم بمطالبهم . فرؤساء من المنطقة المحيطة لم يكونوا ليرددوا في الهجوم على جماعة من الغرباء ليسوا في حماية جنود من الفرس ،

وكانوا يعلمون او يتصورون في الاقل ، انه كان لديهم كثير من المال والتجهيزات . ويشير إسدراش نفسه ( ٨ : ٢١ ) الى الخطر المحدق به وبشعبه في الطريق الى ديارهم ، ولما كان لا يرغب مطالبة الفرسس بحماية عسكرية ، فانه وضع ثقته بالله وحده واختار في اغلب الاحتمال الطريق الأطول ، وهو الأسهل والاكثر أمناً ، مخترقاً وسط بلاد ما بين النهرين .. وادى هذا الطريق أولاً بمحاذاة الضفة اليمنى للجلة باتجاه الشمال حتى الموصل في يومنا هذا تقريباً ؛ ثم انحطف غرباً باتجاه سفح السلسلة الجبلية الشمالية مخترقاً المنطقة بين البادية والمنطقة الحضرية حتى الفرات الذي وصل اليه عند مخاضة ثيساكوس في المنطقة المجاورة لخرائب بالس الحالية . فاذا كان إسدراش قد اختار هذا الطريق فلا بد ان تكون مسجين هي الموضع الذي انطلق منه ( اي سكينائي ، الكلاسية واهاو العبرية ) .

ويقودنا سترابو ( الجغرافيه ، ج ١٦ ، ١ : ٨ ، ٢٦ وما بعد ) الى النقطة نفسها . فهو يرى ان جيران بلاد بابل ، على جانب اديابيني و كوردانيه ، هم عرب مسكنه ( الاسكينيون ) ، ومخيماتهم تقع جنوبي السلسلة الجبلية في ذلك الجزء من بلاد الجزيرة الذي يفتقر الى الماء . وهذا كان مجدياً . وبين الفرات و دجلة يجري ما يسمى بالنهر الملكي ثم الاراس الذي يقطع اراضي انشوسيا ومنطقة سكينائي المسماة آنذاك ( اي في زمان سترابو ) مالي . وخلال الجزء السوري من الصحراء يؤدي طريق تجاري من سوريا الى سلوقية وبابل ، اذ يعبر التجار الفرات . اندوسيا ، وهي مكان في بلاد الجزيرة . وفيما وراء النهر ، على مسافة اربع سكونات ، تقع بامبيكه ، ودعيت ايضاً اديسا وهيرابوليس ، وهي محل عبادة الإلهة السورية اتركاتيس . ويخترق طريق من المخاضة الصحراء حتى سكينائي ، وهي بلدة كبيرة الحجم على حدود بلاد بابل مشيئة قرب قناة للري . والرحلة من مخاضة الفرات الى سكينائي تستغرق خمسة وعشرين يوماً . ويسافر التجار على ظهور

الجمال ، وكانت خاناتهم على عارضة الطريق تجهز بالماء الذي يحفظ عادة في صهاريج ، الا انه يُجلب من مكان آخر . والاسكينيون أناس طيبون يكتفون بمبالغ زهيدة ، ولهذا السبب بالتحديد يتفادى التجار ضفاف الأنهار ، ويفضلون احتراق الصحراء ، وبذلك يتركون النهر على يمينهم على مسافة ثلاث مراحل تقريباً ، وذلك لأن الرؤساء على امتداد كلتا ضفتي النهر في منطقة قليلة الخصوبة مع انها مزروعة ، مستقل احدهم عن الآخر ، ويتقاضى كل منهم مبلغاً - من النادر ان يكون معتدلاً - عند المرور باراضيه . ومن الصعب جداً بالنظر الى هذا الحشد من الناس المنومطين في الجشع ادخس نظام مشترك من الرسوم يلائم التجار . والمسافة من سلوقية الى سكيناثي هي ثمانية عشر سكونرساً .

ان بيانات سترابو غير واضحة وضوحاً كافياً . فهو يرى ان العسرب الاسكينيون خيموا جنوبي السلسلة الجبلية في القسم الجنوبي من بلاد الجزيرة بين الفرات ودجلة ، وتناخمهم بلاد بابل من الجنوب الشرقي . اما النهر الملكي عنده فهو بليخ عند العرب ، او بايخوس في المكتبات الكلاسيكية . وقد اورد راويته كلمة مليخوسس وترجمها بالملكي . اما الآبورامس فهو الدخابور . وام تكن انتموسيا تقع اعلى من مخاضة الفرات بل بعيداً الى الشرق منها . كما ان بامبيكه ليست مطابقة لاديسا . فلو سارت القوافل من المخاضة الى سكيناثي بخط مستقيم لكانت تبعد مسافة ثلاث مراحل من الفرات عند ثلاثة اماكن فقط . ولو ارادوا ان يسيروا لمدة اطول كثيراً ، لكان عليهم اثناء سفرهم أن يعثروا من النهر مسافة تزيد كثيراً على ذلك ولا تزيد احياناً ايس اكثر من ثلاثين كيلومتراً . وفي مثل هذه الاماكن كان يمكن طبعاً ان يتعرضوا الى مضايقات من رؤساء القرى على امتداد مجرى النهر . ويعبرنا من مزايا السير خلال الصحراء . ولم يصل الينا اي ذكر لطريق نزل على مسافة ثلاث مراحل الى الشمال الشرقي من الفرات الاوسط ، الا اننا نعرف خط طريق النقل القديم الى الشمال الشرقي من الفرات بمحاذاة السفح الجنوبي للسلسلة الجبلية وبمحاذاة الخط الفاصل بين البادية

والمسطقة الحضورية . وفي قسمه الشرقي يستدير هذا الطريق نحو زهر الثرثار ويصل اليه قرب موقع خرائب مدينة الحضر ، ومن هنا يتجه فرع شرقا نحو مدينة آشور التديمة ، وهي قلعة شرقاقل الحالية ، وفرع آخر يعترق وادي الثرثار باتجاه جنوب - الجنوب الشرقي ، ويستدير الانخير بعد مغادرة الوادي اسفل من خرائب الجدمه متجنباً جميع الشعبان الوعرة الى شرق - الجنوب الشرقي ، مؤدياً في النهاية الى مسا يعرف الآن بخرائب مسجين . وفي رأيي ان الطريق التجاري الذي ذكره سترابو ربما يتطابق مع هذا الطريق ، وبهذه الطريقة فقط يمكن تفسير منشأ مدينة الحضر وازدهارها . ان المحطات المختلفة من الحضر الى جنوب - الجنوب الشرقي لاتزال ظاهرة للعيان ، وتدعى الخرائب الباقية بنية ( اي البناء ) . والساكنة من ساوقيه الى مسجين هي حفصة وثمانون كياو مترأ أي اربعة عشر سكونوساً وليس ثمانية عشر .

ويذكر اسينيوس كوادراتوس ( اسطيفان البيزنطلي ، الانباس : ماينكه [ ص ٤١٧ ] ) في معرض حديثه عن الحرب بين الامبراطور سبتيميوس سيفيروس والفرث ، بلدة مسكنه الواقعة قبالة منبسة حرب الاسكانيين . ويذكر هذا مع موضع مسجين الذي نحن بصدده ، لان الامبراطور سبتيميوس سيفيروس الذي حاصر مدينة السنبر مرتين ، استلح التمدن من مسجين بهجاجة الثرثار اليها .

وكان بيت مسكنه في تاريخ مبكر اي منذ عام ٢٢٤ م ، مترأ لطران مسيجي ( تاريخ اربيل [ ترجمة سخاو ] ، ص ٦٢ ) .

وفي وقت ما بعد عام ٤٢٢ م سرق الملك الفارسي فرهادان من كنيسة - قارفان في مشك جواهرها الرائعة التي كان الملك الروماني قد ارسلها بواسطة الملك - ران اكاسيوس تكريماً لوالد فرهادان ، الملك يزديجرد ( هوفمان ، مقتنيات [ ١٨٨٠ ] ، ص ٤٠ وما بعدها : براون : الشهداء الفرس [ ١٩١٥ ] ، ص ١٦٥ ) .

ويظهر من السياق ان مشك تطابق بيت مشكنه الأقدام ومسكن العربية  
او مسجين . وربما شُيدت كنيسة قافان مسن قبل التجار الذين كانوا  
يستوردون ويصدرون بضائع الى هناك براً ونهراً .

ويشير الأخطل ، في ديوانه ( صالحياني ) ، ص ٧٩ الى مسكن .  
ويذكر ياقوت ، في معجمه ( فستنفلد ) ، المجلد ٤ ، ص ٥٢٩ ، ان  
ان مسكن موضع قُرب اواناء على نهر الدجيل عند ديسر الجاثليق .  
ويضيف ابو الفضائل ، في مراصده ( يوينبول ) ، المجلد ٣ ، ص ٩٨ ، ان  
مسكن « اسم للطسوج الذي منه اوانا من اعمال دجيل ، والمرضع الذي فيه عبر  
مصعب على جانب به الآن ، وجبل به الآن قرية ، ودير الجاثليق قريب منه » .  
ان اكبات خرائب اوانا وصريفين او لصريفين ظاهرة للعيان الى  
الشرق من مسجين .

ويقول ياقوت : « المصدر السابق : المجلد ٣ ص ٣٨٤ » « صريفون  
في سواد العراق في موضعين احدها قرية كبيرة غناء شجراً قرب عكبرا واوانا على  
ضفة نهر دجيل اذا أُذن بها سمعوه في اوانا وعكبرا ، وبينهما وبين مسكن وقعت  
عندها الحرب بين عبد الملك ومصعب ساعة من نهار » وقد صحح هذا الكلام ابو  
الفضائل ( المصدر السابق : المجلد ٢ ص ١٥٤ فما بعدها ) فقال « انما هي بقرب  
دجلة القديمة التي تسمى الشطيطة فوق اوانا ، تتصل بضياعها ، عكبرا تقابل  
اوانا من جانب الشطيطة الآخر ، ونهر دجيل بعيد منها » .



## الملحق السادس والعشرون

### برتو و تكريت

يظهر اسم تكريت في التاريخ البابلي في لوحة المتحف البريطاني التي تحمل رقم ٢١٩٠١ ، الاسطر ١٦ - ٢٢ ( كاد ، شقونط ، نينوى [ ١٩٢٣ ] ، ص ٣٨ ) . ففي عام ٦١٥ ق . م هاجم نبوبولصّر ، ملك بلاد بابل ، مدينة آشور ( قلعة شرقاط ) الا انه أجبر على الحرب متجهاً الضفة اليمنى للجلية حتى مدينة تكريت . وحمل جيشه على الصمود الى قلعة ( برتو ) تكريت ، حيث تمت محاصرته . وعلى مدى عشرة أيام قام ملك بلاد آشور بهجمات عليهم ، الا انه لم يستول على المدينة فباد الى بلاده . وبما ان القلعة ، ( برتو ) كانت الجزء الأكثر منعة والأكثر أهمية في مدينة تكريت الواقعة على تلّين ( ولهذا استعملت صيغة المثني تكريتين ) ، فقد أطلق الآشوريون اسم برتو على المدينة نفسها ( اللوحة الجعزية : رولسن ، كتابات مسمارية ( ١٨٦١ - ١٨٨٤ م ) ، المجلد ٢ ، اللوحة ٩٧ ] ، الوجه المتأبل ، الاسطر ٨ وما بعدها ؛ روست ، نصوص مسمارية [ ١٨٩٣ ] ، المجلد ١ ، ص ٥٦ ؛ شريار ، المكتبة المسمارية [ ١٨٩٩ - ١٩٠٠ ] ، المجلد ٢ ، ص ٥ و ١١ و ٢٦ ) . ويتبع بيلانيوس ( الجغرافيه ، ج ٥ ، ١٨ : ٩ ) - وهو الذي يعرف أيضاً بلدة برتا حوالي القلعة التي تمسح عندها تكريت في يومنا هذا - الاستعمال الآشوري .

ويروي اميانوس مارتانيوس ، ج ٢٠ ، ٧ : ١٧ ) عن سبأور الذي ( ٣٠٩ - ٣٧٩ م ) انه بعد ان استول على بضعة حصون صغيرة حاصر حصن فيرتا الثاني . وقد راج الاعتقاد بان الاسكندر



المقدوني أو الذي ، شيد هذا الحصن على أبعد حد لبلاد الجزيرة .  
وكان شتلاً بأسوار ضخمة مزودة بأبراج ، وكان يصعب جداً الاقتراب منه .  
وبالنظر لعدم استطاعة سايور الثاني الاستيلاء على البلدة بالقوة أو بالترغيب  
كما أنه تعرض لخسائر اعظم مما انزل بهدوه ، انسحب أخيراً من  
فيرتا بدون نجاح .

ذكر اليعقوبي ، في تاريخه ( هوتسما ) ، المجلد ١ ، ص ٢٥٨ )  
« كانت ديار اياذ بعد اليمامة الحيرة ، ومنزلهم الخورنق والسدير وبارق ،  
ثم اجلاهم كسرى من ديارهم فأزلههم تكريت ، مدينة قديمة على شط  
دجلة ، ثم انخرجههم عن تكريت الى بلاد الروم » وسرعان ما استعرب اهمل  
تكريت ( تكراتة ) . وهذا مما يسهل فهمه ، إذ ان البلدة أصبحت مركز تسويق  
للبدو بين الفرات الاوسط ودجلة بعد اضمحلال دولة الحنسر .

وانضم اهل تكريت الى اليعاقبة . فيروي ابن البري في تاريخه الكنسي  
( ابيلولس ولامي ) ، المجلد ٢ ، النمودان ٦٧ و ٨٥ ) ان برصوما  
بعد طرده من نصيبين ( ٤٤٩ م ) ، سعى لأدخالهم في المذهب النسطوري ،  
ولكن محاولته باءت بالفشل .

وأصبحت تكريت مقراً للمافريان [ المطران ] ، او ممثل بطريرك انطاكية  
اليقوبي ، وكان تحت ادارته الشرق اليعقوبي بأسره .  
وبني المطران احوديته ( ٥٥٩ - ٥٧٥ م ) دير ككتاني على مسافة  
شعر بعيدة عن تكريت ، عند طريق قتل ليس فيه ماء ( المصالح نفسه ،  
العمودان ٩٩ و ١٠١ ، احوديته ، التاريخ [ فار ] ، ص ٣٢ ) .  
اما أسقفانوس ، المكتبة الشرقية ( روما ، ١٧١٩ - ١٧٢٨ ) ، المجلد ٢ ،  
ص ٤١٤ ) فيحدث عن ديزين بناهما المطران اوديمه عناء جويوكاوعين قيناء .  
وكان أول مافريان [ مطران ] في تكريت هو مروتا ( ٦٢٩ م ) .  
وكانت تتبعه في البداية عشرة اسقفيات فقط ، ولكن سرعان ما أصبحت  
اثنتي عشرة اسقفية ( ميخائيل السوري ، المدونه [ شابو ] ، المجلد

٤ ، ص ٤١٣ ؛ ابن العبري المصدر السابق ، المجلد ٢ ، العمود ١٢٣ ؛  
إيليا التميمي : التاريخ العام [ بروكس ] ، القسم ١ ، ص ١٢٧ ، دنحا  
، تاريخ مروتاء [ ناو ] ، ص ٧٩ .

استولى المسلمون على تكريت، عام ٦٣٧ م . فيروي البلاذري ،  
(المصدر السابق ، ص ٢٣٣) «أن عتبة بن فرقد افتتح الطبرهان وتكريت وأمن  
أهل حصن تكريت على أنفسهم وأموالهم ، وحلثني شيخ من أهل تكريت أنه كان معهم  
كتاب أمان وشرط لهم ، فخرقه الخرشى حين أخرج قري الموصل نرساباد وهاعله وذواتها  
وذلك عند هجوم معادي بعد ذلك بوقت قصير» . (الطبري ، المصدر  
السابق ، السلسلة ١ ، ص ص ٢٤٧٤ - ٢٤٧٧ .)

أما ابن العبري في المصدر السابق ( المجلد ٢ ، الأعمدة ١٢٣ و ١٢٥  
و ١٣١ ) فيقول أن المطران مروتا ( ٦٢٩ - ٦٤٩ ) سلم قلعة تكريت إلى  
المسلمين . وبني هذا المطران في قلعة تكريت كاتدرائية دفن فيها .

وبني باريسو ( ٦٦٩ - ٦٨٣ ) في تكريت كنيسة الشهيد المقدسين  
سيرجيوس وباجوس ، وأصبحت فيما بعد الكاتدرائية الثانية . وعلاوة  
على ذلك، فإنه أسس قرب تكريت دير بيت عرباي ( اسيمانوس : المصدر  
السابق ، المجلد ٢ ، ص ص ٤٢٢ و ٩٢٩ ؛ ابن العبري : المصدر  
السابق ، المجلد ٢ ، الأعمدة ١٣٣ و ١٤٣ و ١٤٥ ) . ولعل بيت عرباي  
تطابق الأربعين الحالية .

ولرغبة المافريان [ المطران ] دنحا ( بعد عام ٦٨٤ م ) في الاستقلال ،  
فإنه عين مطارنة بدون موافقة البطريرك . ولهذا السبب فإنه عزل واحتجز في  
أحد الأديرة ، ولم يتسن إعادته إلى مركزه ثانية إلا بعد وفاة البطريرك جوليان .  
( ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٤٤٨ . ) فبنى كنيسة  
جديدة للقديس إوحديمه ، التي أصبحت الكاتدرائية الثالثة ( اسيمانوس : المصدر  
السابق ، المجلد ٢ ، ص ٤٣٠ ؛ ابن العبري ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ،  
العمود ١٤٧ ) .

وفي عام ٧٦٧ م بنى النساطرة لانفسهم كنيسة صغيرة خارج الاسوار  
الا انها قريبة من تكريت وبقوا فيها حتى نهاية القرن الثالث عشر (المصادر  
نفسه ، ص ١٥٧ ؛ اسيمانوس ، المصدر السابق ، ص ٤٣٢) . وفي عام  
٨١٧ م توفي البطريرك اليعقوبي ، كيرياك ، في الموصل . وحُمل  
جثمانه في قارب الى تكريت ودفن هناك في كنيسة الحصن الكبرى ( التاريخ  
السرياني [ بروكس ] ، ص ص ٥٧٨ وما بعدها ) .  
ويتول ابن رسته في الاعلاق (دي خويه ) ، ص ١٠٦ ) أن تكريت  
من كور الموصل .

وفي عام ٩٣٩ م خرج الخليفة الراضي والقائد التركي بجيكم من  
بغداد للملاقاة ناصر الدولة الذي كان يقترب من الموصل . وبقي الخليفة  
في تكريت ، بينما لاقى جيشه ناصر الدولة قرب مستوطنة الكحيل . ( ايليا  
النصيبى ، المصدر السابق ، القسم ١ ، ص ٢١٠ )

ويروى المسعودي في التنبيه ( دي خويه ) ، ص ١٥٥ ) « ابو زكريا  
دخا النصراني وكان متفلسفاً جدلاً نظاراً جرت بيني وبينه مناظرات  
كثيرة ببغداد فسي الجانب الغربي بتولية ام جعفر وبمدينة تكريت فسي  
الكنيسة المعروفة بالخضراء في الثالوث وغيره » وكان ابو زكريا ، تحت  
اسم دنحا ، مطراناً من عام ٩١٢ الى ٩٣٢ .

ويذكر المسعودي ( المروج ( دي مینار ودى كورتي ) ،  
المجلد ٢ ، ص ٢٢٩ ) ان معظم اليعاقبة يتطنون في السراق في المنطقة  
المجاورة لتكريت ، وان هذه السلسلة هي ايضا مفتوحة ومطارانهم .  
ويقول الاصطخري ( المسالك ( دي خويه ) ، ص ٧٧ ) ان « تكريت  
بلد على غربي دجلة اكثر اهلها نصارى » .

ويذكر ابن حوقل ( المسالك : دي خويه ص ص ١٥٦ ، ١٦٨ ) ان  
« تكريت على غربي دجلة ، واكثر اهلها نصارى » ، مظلة على جبل عظيم  
شاهق ، وعلى ظهر هذا الجبل منها الموضع المعروف بالقلعة ، وكانت حصناً ذا

مساكن ومجال يشملها سور ، وهي قديمة أزلية وتجمع سائر فرق النصارى ، وبها من البيع والأديرة القديمة التي تقارب عهد عيسى عليه السلام والحواريين ، لم تنغير ابنيتهما وثاقمة وجلداً ، ومن أعظم بيعة بها محلاً واقدمها بيعة الخضراء . وابنيتهما بالجص والحجر والاجر والحصى . « وفي عام ٩٣٢م شاهد ابن حوقل أسفل من تكريت بقايا جسر قديم مبني بالاجر . ويسمى المقدسي في أحسن التقاسيم ( دي خويه ) ، ص ص ١١٥ و ١٢٣ ) من بين المدن التابعة الى منطقة سامراء الادارية المدن التالية : عكبراء واوانا ودميا والانباء وهي تكريت . ويقول عن تكريت انها « كبيرة معادن السمسم وصناعات الصوف ، وللنصارى بها بيت يقصد . » ويصف الشاشيتي ( الديارات ) (مخطوطه برلين) ، الورقة ٧٣ الوجه المعاكس) دير مريوحنا « انه الى جانب تكريت على دجلة ، وهو كبير عامر ، كثير القلايات والرهبان ، مطروق مقصود لا يخلو من المتطربين والمنترهين ، ولامن مسافر ينزل ، ولكل من طرقة من الناس ضيافة قائمة على قدر المضاف لا يخلون بها ، وله مزارع وغلات كثيرة وبساتين وكروم وهو للنسطورية ، وعلى بابه صومعة عبادون الراهب ، رجل من الملكية بنى الصومعة ونزلها فصارت تعرف به وهو الان المستولى على الدير والقيم به ويمن فيه ، وقد بنى الى جانبه بناء ينزله المجتازون ، فيقيم لهم الضيافة ويحسن لهم القرى . » وليس للشاشيتي ما يبرر وصفه لعيدون بالملكاني ولا في نسبته للدير الى النساطرة .

ويقع دير آخر يدعى العجاج ، وفقاً للشاشيتي في المصدر السابق ، الاوراق ١٣٣ الوجه الصحيح وما بعدها ) بين تكريت وهي « عامر كثير الرهبان ، وخارجه عين ماء تصب الى بركة هناك ، وفي البركة سمك اسود ، وهو طيب عذب الطعم وحوله مزارع ونخيل تسقى من تلك العين » ولعل للخرائب قرب قويرات عمن وبشر الفوارة ، على بعد ٣٥ كيلو متراً

الى الشمال الشرقي من هيت الى الطريق المؤدي الى تكريت ، هي بقايا هذا الدير .

وعندما يتحدث ياقوت عن العجائب في معجمه ( فستفلك ) ، المجلد ٢ ، ص ٦٧٨ ) فانه اورد كلمة حصن بسالاً من خضر ( بساتين الخضر ) . وبذلك جعل من بساتين الخضر وات حصناً ، بينما حوله ابو الفضائل في مرصده ( يوينبول ) ، المجلد ١ ، ص ٤٣٥ ) الى دير حصن .

وفي عام ١٠١٧ م هرب المطران اغناطيوس وأخذ معه اواني الكنيسة وزيناتها الى بغداد حيث أشهر اسلامه ( ايليا النصيبى المصدر السابق ، القسم ١ ، ص ٢٢٦ وما بعدها ) ابن العبرى ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، العمودان ٨٧ و ٢٨٩ ) .

وفي عام ١٠٨٩ م في زمن المطران يوحنا ( ١٠٧٥ - ١١٠٦ ) ، أضر والى تكريت بهدم كنيسة القديس سيرجيوس وباخوس الواقعة على التل الأعلى . كما انتهبت كنيسة القديس احوديته وشرد المسيحيون وهرب المطران الى الموصل . ( ابن العبرى ، المصدر السابق ، العمودان ٣٠٥ و ٣٠٩ ؛ اسيمانوس ، المصدر السابق ، ص ٤٤٨ ) .

عاد المطران ديونيسيوس ( ١١١٢ - ١١٤٢ ) الى تكريت وجمع شمل النصارى ورسم الكنائس . وُدفن في كنيسة القديس جورج تحسب مذبح برصوما . الذي كان هو قد بناه ( ابن العبرى ، المصدر السابق ، العمودان ٣١٧ و ٣٣١ ؛ اسيمانوس ، المصدر السابق ، ص ٤٤٩ ) . وبعد عام ١١٥٣ م لم يعد المطران يقيم في تكريت . وتناقص عدد المسيحيين بينما ازداد عدد المسلمين ( ابن العبرى : المصدر السابق ، العمود ٣٣٧ ) .

ويسجل الادريسي في نزهته ( ترجمة جوير ) ، المجلد ٢ ، ص ٣٣

١٤٧ وما بعدها ) ان تكريت تابعة في ادارتها للموصل ، واذنها تقع غربي دجلة مقابل مدينة الحضر وانه كان قسم كبير من اهل تكريت مسيحيين ، وبيوتها مبنية بالجص والآجر .

وفي اول حزيران ( يونيو ) عام ١١٨٢ م زار تكريت الرحالة ابن جبير . وقال ( في رحلته [ ذي خويه ] ، ص ٢٣٢ ) انها « مدينة كبيرة واسعة الارعاء ، فسيحة الساحة ، حفيلة الاسواق كثيرة المساجد ، غاصة بالخلق ، اهلها احسن اخلاقاً وقسطاً في الموازين من اهل بغداد ، ودجلة منها في جوفها ، ولها قلعة حصينة على الشط نبي قصبتها المنيرة ، ويطلق بالبلد سور قد اثر الوهن فيه ، وهي من المدن العتيقة المذكورة » .

وفي عام ١٢١٨ م زار المطران اغناطيوس تكريت وهي مقام أسلافه ، وذلك لكي يرى المدينة التي سبق أن كانت عاصمة المشرق . فخرج الأهلون فيها للقائه بابتهاج عظيم وهم يحملون الانجيل والصلبان على رماحهم ، وينشدون التراتيل السريانية والعربية . فاغاض هذا الترحيب المسلمين إغاضة شديدة فالتقوا المطران في السجن ، وفرضوا غرامة على اهل تكريت مقدارها عشرون الف قطعة من الذهب . فهرب المطران من تكريت الى الخابور ( قرقيسيا ) وانتخب فيما بعد بطريركاً لليعاقبة . ( ابن العبري : المصدر السابق ، العمود ٣٨٩ ، اسيدانوس في المصدر السابق ، ص ص ٤٥٠ وما بعدها ) . ويروي المطران ابن العبري ( المصدر السابق ، العمود ٤٤٧ ) انه زار تكريت بنفسه في عام ١٢٧٧ م . وحوالي سنة ١٣٦٥ م اقترب المطران اثناس ، اثناء سفره الى بغداد من تكريت . فخرج المسيحيون للملاقاة بابتهاج عظيم وحملوه الى المدينة على كرسي المطران القديم . ( المصدر نفسه ، العمود ٥٢٧ ) .

ويكتب ابن بطوطة ، في التحفة ( ديفر يميري وسنكوينتي ) ، المجلد ٢ ، ص ١٣٣ ) ان مدينة تكريت « هي مدينة كبيرة فسيحة الارعاء ، مليحة الاسواق ، كثيرة المساجد ، واهلها موصوفون بحسن الاخلاق ، والدجلة

في الجهة الشمالية منها ، ولها قلعة حصينة على شط الدجلة ، والمدينة عتيقة البناء ، عليها سور يطيف بها .»

ويلاحظ الدمشقي في نخبته ( ميرن ) ، ص ١٩٠ أن تكريت تقع على تل مرتفع غربي الفرات . اما نهر الثرثار الذي يأخذ من نهر الهرماس ويصب في دجلة فيجري في طرف المايينة . ولا تقع تكريت غربي الفرات ، بل على الضفة اليمنى للدجلة . ويجري نهر الثرثار على بعد خمسين كيلو متراً غربي تكريت ولا يصب في دجلة مطلقاً .

ويذكر ابو الفداء في تقويمه (رينو وديسلان ) ، ص ٢٨٩ - « تكريت اخر مدن الجزيرة مما يلي العراق . وهي على غربي دجلة في الموصل . وبينهما ستة أيام » .

يذكر ابو الفضائل في مراصده ( يوينبول ) المجلد ١ ص ٢٠٩ ، ان الاسم الصحيح للمدينة هو تكريت « وانها بلد مشهور بين بغداد والموصل ، وبينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً في غربي دجلة ، ولها قلعة حصينة احد جوانبها الى دجلة » وجاء ثيفنو ( الرحلات ) امستردام ، ١٧٢٧ م ) ، المجلد ٢ ، ص ٢٠٢ وما بعدها الى تكريت وهي المحطة السادسة للقوافل القادمة من الموصل ، وقد حاول مرتين الدخول الى المدينة ، الا انه لم يستطع تساق الصخور الشديدة الانحدار المؤدية الى السور . لذلك فإنه دقق النظر في البيوت الواقعة على جبهة النهر فقط وبنائها جلييلة الى حد كبير اذ كانت جميعها مبنية بالحجارة . وجل ما علمه انها كانت فيما مضى مدينة عظيمة ، لم يبق منها الآن سوى الخرائب ، وضيعة غير ذات اهمية . وتقع المدينة على جرف عال ، وما لا ريب فيه ان التصدد من ذلك هو حمايتها من فيضان دجلة في مواسم الربيع .

ووصف تافسرنيه ( الرحلات الست ) ( باريس ، ١٦٧٩ ) ،

المجلد ١ ، ص ٢٠٦ ) مدينة تكريت فسي الجزيرة . فرأى هناك حصناً متهدماً ليس فيه سوى غرف قليلة بحالة سليمة . ويشكل نهر دجلة خندقاً مائياً لهذه المدينة من جهتي الشمال والشرق على السواء . اما من الغرب والجنوب فإن الانحدار الشديد تعجت الحصن مغطى بصخور منحوتة . روى العرب ان الحصن كان في سالف الازمان اعظم الحصون في بلاد ما بين النهرين ، بالرغم من ان هناك تآليق متجاورين يرتفعان الى مستوى أعلى . وكان المسيحيون يعيشون على قرابة ربع ميل عن المدينة ، حيث لا يزال يمكن مشاهدة خرائب كنيسة وبرج تدل سمعتها على انها كانت بلا ريب بناية كبيرة الحجم .

ويكتب حاجي خليفة ، جهميان نامه (القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ) ، ص ٤٣٤ ) ان منطقة تكريت الادارية ، كانت لواء (قسم من ولاية ) ، يشكل اقصى حدود بلاد الجزيرة . وتمتدح مدينة تكريت ، وهي على مسيرة ستة أيام من الموصل ، على الضفة اليمنى لدجلة . وكان حصن هذه المدينة الذي بناه شابور بن اردشير بابل في حالة خراب . وتتدفق عين فقط بالقرب منها . ويذكر اوليا جلبي في تاريخه (ترجمة فون همر ) ، المجلد ١ ، القسم ١ ، ص ٩٧ ) ان تكريت كانت من إقليم الموصل .



## لوحات الصور والاشكال

العنوان	الصفحة	رقم اللوحة
دير الزور	٢٣	١
الرجبة	٢٣	٢
مرقد الشيخ على	٢٥	٣
الصالحية	٣٠	٤
الصالحية	٣٢	٥
الجابرية	٣٥	٦
حلب الماعز في الجابرية	٣٥	٧
الجابرية	٣٧	٨
ناعور حقول الحافي	٣٨	٩
راوة من الجنوب الغربي	٣٩	١٠
عانة من الجنوب الغربي	٤٠	١١
بيت يهودي في عانة	٤٩	١٢
مخيم على الجهة المقابلة لنسب	٥٠	١٣
ابو البرايح		
قبر الشيخ حديد	٥٢	١٤
قبر السيد محمد	٥٤	١٥
قارب على الفرات قرب الكوفة	٦١	١٦
جسر فوق نهر مرة	٦٦	١٧
قنطرة المسيب من القرب	٧٣	١٨
ركام سور جاور	٨٢	١٩
سفلة دجلة اليمنى الصغيرة	٨٦	٢٠
قرب قصر العاشق		
قبة مبنية في الثرار	٩٧	٢١
الشفة اليسرى من الثرار	١٠١	٢٢
القافلة عند ابو سماح	١٠٢	٢٣
مخيم القافلة قرب راود	١٠٩	٢٤
نهر الفرات	١١٥	٢٥
بئر العوجة	١١٨	٢٦
مملحة الحاجد	١١٨	٢٧
قرت الحصان من الجنوب	١١٩	٢٨
مملحة العديد	١٢٢	٢٩

رقم اللوحة	المصحفة	المصان
٣٠	١٢٧	خان الصوار من الشرق
٣١	١٣٢	بئر المالحه
٣٢	١٣٥	من الخضيان غرباً . وادى
		الفرات على بعد
٣٣	١٤٧	مقبرة شمال النجف
٣٤	١٥٧	الخورنق
٣٥	١٦٢	القادسية من الشمال
٣٦	١٦٤	نهر السيد من الشرق
٣٧	١٦٩	القايم من الشرق
٣٨	١٧٠	قلعة القايم
٣٩	١٧٢	القايم - النبع
٤٠	١٧٨	بساتين الكوفة من الغرب
٤١	٢٠٢	سميكة من الجنوب
٤٢	٢١٤	في الابيتير : شجيرات غضا في
		الخلف
٤٣	٢١٦	الطرف الجنوبي لام رحل
٤٤	٢٢٦	الوشاش من جهة الشرق
٤٥	٢٢٧	عند الوشاش رجل يحمل فالة صياد
٤٦	٢٣١	ممر صخري بمعاذاة الفرات
٤٧	٢٤٠	قرية حبين
٤٨	٢٤٢	تلبس من جهة الشرق
٤٩	٢٤٣	ناعورة غرب راوة
٥٠	٢٥١	زور الكشمة
٥١	٢٥٣	خريطة خرائب الجعابي
٥٢	٢٥٥	مخطط خرائب المروانية
٥٣	٢٥٧	خريطة خربة المسايح
٥٤	٢٦٢	من السيف محمد الويس ناظرين
		غرباً
٥٥	٢٦٣	عمود من الطرفاء فوق قبر
٥٦	٢٦٤	تل السن
٥٧	٢٧٢	مضيق العكرشة
	١٢	خريطة الطرق العامة

## مراجع المؤلف

تشمل القائمة التالية ما تمت الاشارة اليه من المؤلفات في هذا الكتاب ، ودونت التواريخ بالتقويم الميلادي . وقد حافظنا على ما اوردده المؤلف ، غير اننا افردنا المراجع العربية والتركية وجعلناها قائمة خاصة ، ووضعنا عناوينها واسماء مؤلفيها بالعربية ، وذكرنا الطبقات التي اعتمدها المؤلف دون ان نشير الى الطبقات المتعددة الاخرى التي ظهرت لكل من هذه الكتب ولكتب اخرى استجد طبعها بعد صدور الكتاب ، رغم ما فيها من معلومات تؤيد او تعدل او تضيف الى المادة التي ذكرها المؤلف .

### (١) المراجع العربية

#### والتركية والفارسية

- ابن الأثير : علي بن محمد ، عز الدين ( ١١٦٠ - ١٢٣٤ م )
- (١) الكامل في التاريخ . طبعة س . ج تورنبرج . ليبزج ١٨٨٠  
وطبع في القاهرة ١٢ جزءا سنة ١٣٠١ هـ ( ١٨٨٣ - ١٨٨٤ )
- (٢) تاريخ الدولة الاتابكية مارك الموصل . طبعه وترجمه الى الفرنسية : و . ماك جكين دى سالان في باريس ١٨٧٦ .
- ابن بطوطة : محمد بن عبدالله ( ١٣٠٤ - ١٣٧٧ م )
- تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار . طبعه ك . ديفريرى و ب . س . سانكويستى في باريس ( ١٨٥٣ - ١٨٥٨ م )
- ابن تغرى بردى : ابو المحاسن جمال الدين يوسف ( ت ١٤٦٩ م ) .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . طبعه ت . ج . ح جوينبول و ب . ف مائيس في لندن ( ١٨٥١ - ١٨٦٧ م ) ، وطبعه وليم بوبر في بيركلى ( ١٩٠٩ - ١٩٢٣ م ) .
- ابن جبير : ابو الحسين محمد بن احمد ( ١١٤٥ - ١٢١٧ م )

الرحلة : طبعها و. رايت في لندن ١٨٥٢ ؛ وطبعها مصححة  
م. حى خويه في لندن ١٩٠٧ ضمن سلسلة ذكرى ج. و. جب  
( ج ٥ )

الاختل : ابو مالك غياث بن غوث ( ت حوالى ٧١٠ م )  
الديوان : طبعه أ. صالحاني بعنوان : ديوان الاختل : نص عربي طبعه  
لاول مرة من مخطوطة سان بطرسبورغ مع تعليقات \* بيروت  
١٨٩١ - ١٨٩٢ م

الادريسي : ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الشريف  
( ١١٠٠ - ١١٦٦ م )

كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق  
ترجمه الى الفرنسية ب. أ. جبريت ونشره في الجمعية الجغرافية  
الفرنسية م ٦٥٥ باريس ١٨٣٦ - ١٨٤٠  
كتاب نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمدائن  
والافاق \* روما ١٥٩٢

الاصطخري : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي ( حوالى سنة ١٩٥١ م )  
كتاب مسالك الممالك : طبعه م. حى خويه في سلسلته « المكتبة  
الجغرافية العربية » ( م ١ ) لندن ١٨٧٠ م

اغاببوس المنبجي ( حوالى القرن الاشر الميلادي )  
كتاب العنوان \* طبعه وترجمه الى الفرنسية الكسندر فازلييف  
امرؤ القيس بن حجر ( حوالى ٥٣٠ م )  
الديوان \* طبعه و. ماجوكين دى سلان باريس ١٨٣٧

ابن الفقيه : ابو بكر احمد بن محمد الهذلي ( الف حوالى سنة ٩٥٢ م )  
كتاب البلدان : طبعه م. حى خويه من سلسلته المكتبة الجغرافية

- العربية ( م ٥ ) ليدن ١٨٨٥ •
- ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله بن مسلم ( توفي حوالي سنة ٩٨٩ م ) •
- المعارف : طبعه ف • وشتمفلد في جوتنجن • ١٨٥٠ م •
- ابن القلانسي : ابو يعلى حمزة ( ت ١١٦٠ م ) •
- ذيل تاريخ دمشق : طبعه ١ • ف • امدروز في ليدن ١٩٠٨ •
- ابن كثير : ابو الفدا : اسماعيل بن عمر ( ت ١٣٧٢ م ) •
- البداية والنهاية : مخطوط رقم ٨١٣ ( ١٨٧ ) سبعة مجلدات المكتبة الوطنية في فينا •
- ابن مسكويه : ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب ( ت ١٠٣٠ م ) •
- كتاب تجارب الامم : طبعه كايثاني ( امين تيانو ) مستنسخا عن مخطوطة القسطنطينية مع مقدمة وتلخيص ونشره في سلسلة ١ • ج • ب •
- جب التذكارية ( م ٧ جزءا ليدن ١٩٠٩ م ) •
- القسم الاخير من كتاب تجارب الامم طبعه ه • ف • امدروز في مجلدين • اكسفورد ( ١٩٢٠ - ١٩٢١ م ) •
- ابن منقذ : ابو المظفر اسامة بن مرشد • مجد الدين مؤيد الدولة اسامة ( ت ١١٨٨ م ) •
- كتاب الاعتبار : طبعه وترجمه ه • ديرنبورج من مطبوعات مدرسة اللغات الشرقية الحية ( السلسلة الثانية ) م ١٢ باريس ١٨٨٦ •
- ابن الوردي : الشيخ زين الدين عمر ( ت ١٣٤٩ م ) •
- التاريخ : بولاق ١٢٨٥ هـ ( ١٨٦٨ - ١٨٦٩ م ) •
- ابن حوقل : ابو القاسم ( الف سنة ٩٧٧ م ) •
- كتاب المسالك والممالك • طبعه م • ج • ديخويه في سلسلته المكتبة الجغرافية العربية ( م ٢ ) ليدن ١٨٧٣ •
- ابن خلدون • ابو زيد عبد الرحمن بن محمد ( ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م ) •
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر من ايام العرب والعجم والبربر •

- سبعة مجلدات • بولاق ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ - ١٨٦٨ م )
- ابن خرداذبه : ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله ( الفه ٩٧٧ م )
- كتاب المسالك والممالك • طبعه وترجمه الى الفرنسية م • ج دي خويه
- سلسلته : المكتبة الجغرافية العربية ( م ٦ ) ليدن ١٨٨٩
- ابن رسته : ابو علي بن عمر ( زار المدينة سنة ٩٠٣ م )
- كتاب الاعلاق النفيسة • طبعه م • ج • دي خويه من سلسلته المكتبة الجغرافية العربية • ( م ٧ ) ليدن ١٨٩٢
- ابن سيرايون ( حوالي سنة ٩٠٠ م )
- كتاب عجائب الاقاليم السبع • مخطوطة المتحف البريطاني ( رقم ٣٧٩ ، ٢٣ ) طبعها وترجمها جى ليسترانج ونشرها في مجلة الجمعية الملكية الاسيوية : لندن ١٨٩٥ ص ١ - ٧٦ ، ٢٢٥ - ٣١٥
- ابو الفرج الاصفهاني ( ٩٦٧ م )
- (١) كتاب الاغانى • عشرون جزءاً • بولاق ١٢٨٥ هـ ( ١٨٦٨ - ١٨٦٩ م )
- وطبعه ر • أ • برونو في ليدن ( ١٨٨٨ م )
- وطبعه أ • جويدى في ليدن ( ١٨٩٥ - ١٩٠٠ ) فهرساً الفبائياً
- ابو الفضائل : صفى الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق ( ت ١٣٨٨ م )
- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع • طبعه ت • ج • ج • ج
- جوينبول • ٦ اجزاء • ليدن ١٨٥٠ - ١٨٦٤ م
- ابو شامة : شهاب الدين ابو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل ( ١٢٠٣ - ١٢٦٨ م )
- كتاب الروضتين في اخبار الدولتين • القاهرة ١٢٨٧ - ١٢٨٨ هـ
- ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الكوفي الانصارى ( ت ٧٩٥ م )
- كتاب الخراج • القاهرة ١٣٠٢ هـ ( ١٨٨٤ - ١٨٨٥ م )
- ابو الفدا : اسماعيل بن على بن محمد بن شهاب بن ايوب • عماد الدين

الايوبي ( ١٢٧٣ - ١٣٣١ م )

(١) المختصر في تاريخ البشر . طبعه ج . ك . ادلر في كوبنهاجن

( ١٧٨٩ - ١٧٩٤ )

طبعة اخرى : اربعة مجلدات . القاهرة ١٩٠٥م

(٢) تقويم البلدان . طبعه ج . ت . رينو و ماكجوكين دي سلان

باريس ١٨٣٠ .

البتاني : ابو عبدالله محمد بن سنان بن جابر الحراني ( ت ٩٢٩ م )

كتاب الزيج الصابي . طبعة مع ترجمة لاتينية ك . أ . نالينو

البكري : ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز ( ت ١٠٩٤ )

معجم ما استعجم . طبعة فرديناند وستنفلد

البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر ( ت ٨٩٢ )

كتاب فتوح البلدان . طبعه م . ج . دي خويه . ليدن ١٨٦٦

البنداري الاصفهاني : الفتح بن علي بن محمد ( الفه سنة ١٢٢٦ م )

تواريخ ال سلجوق وهذا الجزء مشتمل على كتاب زبدة النصر

من انشاء الامام عماد الدين محمد بن محمد حامد الاصفهاني . طبعة

م . ت . هو تسما . مجلدين . ليدن ١٨٨٩ .

حاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله . كاتب جلبي . ( ت ١٦٥٨ م )

(١) جيهان نامه . القسطنطينية ١١٤٥ هـ ( ١٧٣٢ - ١٧٣٣ م )

(٢) فذلكة التواريخ : مخطوطة المكتبة الوطنية . فينا رقم ١٠٦٤

( ٦٤ ) ١٠٦٥

حمزة بن الحسن الاصفهاني ( حوالى ٩١٣ م )

كتاب تاريخ سنى ملوك الارض والانبياء . طبعه ج . م . ي

جوتولد . بطرسبورج ١٨٤٤ .

الخوارزمي : محمد بن موسى ( الفه سنة ١٠٣٦ م )

كتاب صورة الارض . مخطوط مكتبة جامعة ستراسبورغ رقم

( عرب • ملحق ١٨ )

الدمشقي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري الصوفي  
( ١٣٢٧ م )

نزهة الدهر في عجائب البر والبحر • طبعه ا • ف • مهرن في سنت  
بترسبورغ ١٨٦٦ م ( واعيد طبعه في ليبزج ١٩٢٣ م ) •  
رشيد الدين ( ت ١٣١٨ م ) •

جامع التواريخ • طبعه ا • م • كاتمرير في باريس ١٨٣٦ م •  
الرقيات : عبيد الله بن قيس ( ت حوالي ٦٩٠ م ) •  
الديوان • طبعه رودوكاناكس في مطبوعات اكااديمية العلوم والفلسفة  
والتاريخ م ١٤٤ رقم ١٠ فيينا ١٩٠٢ •  
سبط ابن الجوزي • شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلو بن عبدالله  
( ت ١٢٥٧ م ) •

كتاب مرآة الزمان في تاريخ الاعيان : انتخبها وطبعها وترجمها س •  
ا • ك • باريه دي منيارد في باريس ١٨٨٤ م ص ٥١١١ - ١٧٥٠ في  
مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية : المؤرخون المشاركة ، ثلاثة  
مجلدات • باريس ١٨٨ م ص ٥١١ - ٥٧٠ •

تاريخ سعرت طبعه وترجمه ادي شير ونشر نصه العربي • م ج بريه من  
المجموعة الشرقية م ٤ رقم ٣ باريس ١٩٠٧ ص ٣١٣ •  
سعد الدين ( ت ٥١٩٩ - ١٦٠٠ م ) •

التواريخ • النص التركي نشره مع ترجمة لاتينية ا • ف كولار في  
فيينا ١٧٥٥ •

الشابشتي : ابو الحسن علي بن محمد ( ت ١٠٠٠ م ) •  
كتاب الديارات مخطوطة ونزستين ١١٠٠ م مخطوطات عربية رقم  
٨٣٢١ مكتبة الدولة الروسية • برلين •

الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير ( ت ٩٢٣ م ) •



- تاريخ الرسل والملوكة • طبعه م. ج. • دي خويه وآخرين ونشره في  
ثلاث سلاسل ( ١٥ مجلد ) بليدن ١٨٧٩ - ١٩٠٣ م ) بليدن •  
الظاهري : رشيد الدين خليل بن شاهين ( م ١٤٦٨ م ) •  
زبدة كشف الممالك ، طبعه بول رافيه ونشره في باريس ١٨٩ م •  
عريب بن سعيد الكاتب القرطبي ( الفه ٩٧٦ - ٩٧٧ م ) •  
صلة تاريخ الطبري • طبعه م. ج. • دي خويه في ليدن ١٨٦٧ •  
علقمة بن عبدة الفحل ( أوائل القرن التاسع الميلادي ) •  
الديوان • طبعه البرت سوكيه في لينزج ١٨٦٧ م •  
قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي : ابو الفرج ( ت ٩٢٢ م ) •  
نبد من كتاب الخراج • طبعه م. ج. • دي خويه في مكتبته الجغرافية  
العربية م ٦ ، ليدن ١٩٨٩ ص ١٨٤ - ٢٦٦ •  
القزويني : زكريا بن محمد بن محمد ( ١٢٨٣ )  
(١) كتاب عجائب المخلوقات  
(٢) كتاب آثار البلدان  
طبعها فرديناند وستنفلد في مجلدين • جوتنجن ١٨٤٨ - ١٨٤٩ م •  
وطبع كتاب عجائب المخلوقات في القاهرة ١٣٣١ هـ ( ١٩٠٣ - ١٩٠٤ )  
القظامي : عمير بن سحيم التغلبي ( ت ٧٢٨ م )  
الديوان • طبعه ج. • بارث • ليدن ١٩٠٢  
كمال الدين : ابو القاسم عمر بن احمد بن النديم العقيلي الحلبي ( ١٢٦٢ م )  
تاريخ حلب • طبعه وترجمة الى الفرنسية ج. ١ • ك. • باريه  
دي مينارد ضمن سلسلة مجموعات مؤرخي الحروب الصليبية •  
المؤرخون المشارقة م ٣ باريس ١٨٨٤ ص ٥٧١ - ٥٧٥ وترجمة ١ •  
بلوشيه الى الفرنسية ونشر الترجمة في مجلة الشرق اللاتيني • باريس  
ج ٣ ( ١٨٩٥ ) ص ٥٠٩ - ٥٦٥ • ج ٤ ( ١٨٩٦ ) ص ١٤٥ - ٢٢٥ م  
( ١٨٩٧ ) ص ٣٧ - ١٠٧ ، ٦٨ ( ١٨٦٨ ) ص ١ - ٤٩ )

لغة العرب : مجلة شهرية ، ادبية ، علمية ، تاريخية بيد الابهاء الكرملية  
المرسلين . صاحب امتيازها الاب انتاس ماري الكرملي \* مديرها  
المسؤول : كاظم الدجيلي . بغداد . السنة ١ - ٤ ١٣٢٩ - ١٣٣٢ هـ  
( ١٩١١ - ١٩١٤ م )

المتلمس : جرير بن عبد المسيح الضبيعة ( ت ٥٨٠ م )  
الديوان \* طبع فولبر طبعه وترجمه الى الالمانية في مقتطفات من علوم  
اللغة السامية م ٥ ، ليزج ١٩٠٣ ص ١٤٩ - ٢٣١  
المتنبى : ابو الطيب احمد بن الحسين ( ت ٩٦٥ م )

الديوان : طبعه ف . ديتريشى في برلين ( ١٨٦١ م )  
المسعودي : ابو الحسن على بن الحسين ( ت ٩٥٦ م )  
(١) كتاب التنبيه والاشراف \* طبعة م . ج . ديخوية في مكتبته  
الجغرافية العربية \* م ٨ ليدن ١٨٩٤

(٢) مروج الذهب ومعادن الجواهر \* طبعه وترجمه الى الفرنسية  
ك باريه دي مينارد وبافيه دي كورتيل ٩ مجلدات في باريس ١٨٦١ -  
\* ١٨٧٧

المعلقات : طبعها ث . نولدهكه في محاضر الاكاديمية القيصرية للمعرفة  
واصناف الفلسفة والتاريخ م ١٤٠ قسم ٧ ، م ١٤٢ قسم ٥ ، م ١٤٤ قسم ١  
فيينا ١٨٩٩ - ١٩٠١ \*

المقدسي : ابو عبدالله محمد بن احمد ( كتب سنة ١٩٨٥ م )  
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم \* طبعه م . ج . ديخويه في مكتبته  
الجغرافية العربية م ٣ الطبعة الثانية \* ليدن ١٩٠٦  
المقريزي : ابو العباس احمد بن على بن عبد القادر بن محمد الحسيني  
تقى الدين ( ت ١٤٤٢ م )

(١) المواظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار \* مخطوطة رقم ٩٠٨  
(٦٦) المكتبة الوطنية في فيينا ، طبعة جاستون فييت

مجلدين • القاهرة ١٩١١ - ١٩١٣  
 (٢) السلوك لمعرفة دول الملوك • ترجم قسم منه ي • م • كاترمير  
 في مجلدين • باريس ١٨٣٧ - ١٨٤٥ وترجم القسم الثاني ا • بلوشيه  
 الهمداني : ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب ( ٩٤٥ م )  
 صفة جزيرة العرب • طبعه د • ه • مولر • مجلدين • لندن ١٨٨٤ -  
 • ١٨٩١

الواقدي : ( منسوب له )  
 فتوح الجزيرة • طبعه ج • ه • ا • ايولد في جوتنجن ١٨٢٧ م •  
 ياقوت بن عبدالله الرومي ( ١٢٢٤ م )  
 كتاب معجم البلدان • طبعه فرديناند وستنفلد ونشره بستة مجلدان في  
 ليزج ١٨٦٦ - ١٨٧٣

اليقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب ( حوالى ٨٩١ م )  
 (١) التاريخ • طبعه م • ث • هوتسما في لندن ١٨٨٣ م •  
 (٢) كتاب البلدان • طبعه م • ج • دى غويه • الطبعة الثانية في لندن  
 ١٨٩٢ م ص ٢٣١ - ٣٧٣ من مكتبته الجغرافية العربية ( ص ٢٣١ -  
 ( ٣٧٣

## (٢) المراجع الاجنبى

- Ahûdemme (6th — 7th c.). History : edition and French translation by F. Nau entitled *Histoire de Mar Ahoudemme*, in *Patrologia orientalis*, Vol. 3, No. 1, Paris, 1906, pp. 7 — 51.
- Ambrose ( bishop of Milan ) (d. 397). *Epistolae* in duas classes distributae : in J. P. Migne, *Patrologiae cursus completus...*, series latina, Vol. 16, Paris, 1845, cols. 914 — 1346.
- Ammianus Marcellinus (d. c. 391). *Rerum gestarum libri* [ qui supersunt ] : edited by V. Gardthausen, 2 vols., Leipzig, 1874 — 1875.
- Analecta bollandiana ediderunt Carolus de Smedt et alii, Paris and Brussels, 1882 ff. (33 vols. have appeared, 1926).
- Antonine of Piacenza (6th c.). *Itinerarium*. edited by Paul Geyer in his *Itinera hierosolymitana*, constituting *Corpus scriptorum ecclesiasticorum*, Vol. 39, Vienna, 1898 (also 1913), pp. 157—191 (another version of same, *ibid.*, pp. 193 — 218).
- Appian (c. 160). I. *Historia romana* : Vol. 1 edited by Ludwig Mendelssohn ; Vol. 2, second edition, edited by Paul Viereck, Leipzig, 1878, 1905. II. *Historia syriaca* : edited by Ludwig Mendelssohn, *op. cit.*, Vol. 1, pp. 371 — 441. III. *Bella civilia* : edited by Paul Viereck, *op. cit.*, Vol. 2, pp. 565 — 1189.
- Arrian (Flavius Arrianus) (d. c. 175). I. *Anabasis* : edited by A. G. Roos, Leipzig, 1907. II. *Fragments* : edited by Carl Müller in his *Fragmenta historicorum graecorum*, Vol. 3, Paris, 1849, pp. 586 — 601.
- Asinius Quadratus (2nd c.). *Fragments* : edited by Carl Müller in his *Fragmenta historicorum graecorum*, Vol. 3, Paris, 1849, pp. 659 — 662.
- Assemanus, J. S. *Bibliotheca orientalis*, 4 vols., Rome, 1719 — 1728.
- Assurbanipal. See Streck, Assurbanipal.
- Barhebraeus, Gregorius (d. 1286). I. *Chronicon ecclesiasticum* : edited by J. B. Abbeloos and T. J. Lamy, 3 vols., Louvain,

- 1872 — 1877. II. *Chronicon syriacum* : edited by Paul Bedjan, Paris, 1890.
- Bedjan, Paul. *Acta martyrum et sanctorum*, 7 vols., Paris and Leipzig, 1890 — 1897.
- Berliner, A. Beiträge zur Geographie und Ethnographie Babylonien im Talmud und Midrasch, in *Jahresberichte des Rabbiner-Seminar zu Berlin* pro 5643, Vol. 3, Berlin, 1882 — 1883.
- Biblia hebraica*, edited by Rudolf Kittel, 2nd edition, 2 vols., Leipzig, 1913.
- Bolland, Johann (and others). *Acta sanctorum, quotquot toto orbe coluntur, vel à catholicis scriptoribus celebrantur, quae ex Latinis & Graecis aliarumque gentium antiquis monumentis collegit, digessit, notis illustravit Joannes Bollandus ...*, October, Vol. 3. Antwerp, 1770.
- Braun, Oskar. *Ausgewählte Akten persischer Märtyrer*, in *Bibliothek der Kirchenväter*, Vol. 22, Kempten, 1915.
- Budge, E. A. Wallis. *The Histories of Rabban Hôrmîzd the Persian and Rabban Bar'Idtâ, constituting Syriac Texts*, Vol. 1, in *Luzac's Semitic Text and Translation Series* (Vol. 9 of the series), London, 1902.
- Budge, E. A. W., and L. W. King. editors. *Annals of the Kings of Assyria. The Cuneiform Texts with Translations, Transliterations, etc., from the Original Documents in the British Museum*, Vol. 1, London 1902.
- Caetani, Leone (Principe di Teano). *Annali dell'Islâm*, 8 vols., Milan, 1905 — 1918.
- Cassius Dio Cocceianus (c. 235). *Historiae-romanae*: edited by U. P. Boissvain, 3 vols., Berlin, 1895 — 1901.
- Chabot, J. B. *Synodicon orientale, ou Recueil des synodes nestoriens*, publié, traduit et annoté par, constituting *Notices et extraits*

des manuscrits de la Bibliothèque nationale et autres bibliothèques, Vol. 37, Paris, 1902.

Chiha, Habib K. La province de Bagdad, Cairo, 1908.

Chronica minora: edition by Ign. Guidi, E. W. Brooks, and J. B. Chabot, constituting Corpus scriptorum christianorum orientalium, Ser. 3, ( Scriptores Syri ), Vol. 4, 3 parts, Paris, 1905.

Chronicle of Arbela: translation by Eduard Sachau entitled Die Chronik von Arbela. Ein Beitrag zur Kenntnis des ältesten Christentums im Orient, constituting Abhandlungen der Königl. Preussischen Akademie der Wissenschaften, Philosophisch-historische Klasse, No. 6, Berlin, 1915.

Chronicle of Edessa : edition and translation by Ludwig Hallier entitled Untersuchungen über die edessenische Chronik mit dem syrischen Text und einer Uebersetzung, in Texts und Untersuchungen zur Geschichte der altchristlichen Literatur herausgegeben von Oscar von Gebhardt und Adolf Harnack, Vol. 9, No. 1, Leipzig, 1893, pp. 1 — 170.

Chronicon paschale: in J. P. Migne, Patrologiae cursus completus..., series graeca, Vol. 92, Paris, 1860, cols. 1 — 1146.

Codex Justinianus : edition by Paul Krüger (constituting: T. Mommsen, P. Krüger, R. Schoell, and W. Kroll, editors, Corpus iuris civilis, Vol. 2), Berlin, 1906.

Corpus inscriptionum graecarum, auctoritate et impensis Academiae Litterarum Regiae Borussicae, edited by August Boeckh, 4 vols. in 8, Berlin, 1828 — 1877.

Corpus inscriptionum semiticarum ab Academia Inscriptionum et Litterarum Humaniorum conditum atque digestum, 4 parts, Paris 1881 — 1911.

De Vogüé, Melchior. Syrie centrale, inscriptions sémitiques, Paris, 1868.

Delaporte, L. Dignitaires de l'Eglise Nestorienne, in Zeitsch-

- rift für Assyriologie, Vol. 23, Strassburg, 1909, pp. 378 — 390.
- Denha (d. 660). History of Marûta' (d. 649): edition and translation by F. Nau entitled *Histoire de Marouta*, in *Patrologia orientalis*, Vol. 3, Paris, 1906, pp. 52 — 96.
- Dio, Cassius. See Cassius Dio.
- Diodorus Siculus (c. 20 C.). *Bibliotheca historica*: Vols. 1 — 3 edited by Friedrich Vogel, Vols. 4, 5 by C. T. Fischer, Leipzig, 1888 — 1906.
- Dionysius of Tell Mahre'. See Pseudo-Dionysius of Tell Mahre'.
- Documenta ad origenes monophysitarum illustrandas: edition by Friedrich Vogel, Vols. 4, 5 by C. T. Fischer, Leipzig, 1888—1906.
- Dionysius of Tell Mahre'. See Pseudo-Dionysius of Tell Mahre'.
- Documenta ad origenes monophysitarum illustrandas: edition by J. B. Chabot, constituting *Corpus scriptorum christianorum orientalium*, Ser. 2, Vol. 37, Paris, 1908.
- Droysen, J. G. *Geschichte des Hellenismus*, 3 vols., 2nd edition, Gotha, 1877 — 1878.
- Edessa, Chronicle of See Chroniele of Edessa.
- Elijah (or Elias) of Nisibis (1008). *Opus chronologicum*: edited and translated by E. W. Brooks (Part 1) and J. B. Chabot (Part 2), constituting *Corpus scriptorum christianorum orientalium*, Ser. 3, Vols. 7 and 8, Paris, 1909 — 1911.
- Eusebius of Caesarea (d. 337 or 340). I. *Chronicorum libri duo*: edited by Alfred Schoene, 2 vols., Berlin, 1866 — 1875. II. *Preparationis evangelicae libri I-XV*: edited by Wilhelm Dindorf in his *Eusebii Caesariensis opera*, Vol. 1 and 2, Leipzig, 1867.
- Eutropius (mid-4th c.). *Breviarium ab urbe condita*: edited by F. Ruehl, Leipzig, 1887.
- Evagrius Scholasticus (c. 600). *Ecclesiasticae historiae libri sex*: in

- J. P. Migne, *Patrologiae cursus completus...*, series graeca, Vol. 86, Part 2, Paris, 1865, cols. 2405 — 2906.
- Evlija Celebi (d. c. 1679). *Ta'rih-i sejjâh*: translation by Joseph von Hammer entitled *Narrative of Travels in Europe, Asia, and Africa in the Seventeenth Century*, 2 vols., London, 1834—1850.
- Florus, L. Annaeus (2nd c.). *Epitomae libri duo* : edition by O. Rossbach in his *L. Annaei Flori epitomae libri duo et P. Annii Flori fragmentum de Vergilio oratore an poeta*, Leipzig, 1896, pp. 1 — 182.
- Forrer, Emil. *Die Provinzeinteilung des assyrischen Reiches*, Leipzig, 1921.
- Forrer, Emil. *Zur Chronologie der neuassyrischen Zeit*, constituting *Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft*, 1915, Part 3, Leipzig, 1916.
- Fronto, M. Cornelius (2nd c.). *Epistula ad Verum* : edited by S. A. Naber in his *Epistulae M. Cornelii Frontonis et M. Aurelii Imperatoris*, Leipzig, 1867, pp. 113 — 138.
- Gadd, C. J. *The Fall of Nineveh*, London, 1923.
- Georgius Cyprius (c. 610). *Descriptio orbis romani*: edited by H. Gelzer, Leipzig, 1890.
- Glaucus (date unknown). *Fragments*: edited by Carl Müller in his *Fragmenta historicorum graecorum*, Vol. 4, p. 409.
- Guidi, Ignazio. Un nuovo testo siriano sulla storia degli  
niCMF VB GVB GXZ½ VBG VBG 789 ultimi Sassa-  
nidi, in *Actes du huitième Congrès International des Orientalistes*,  
tenu en 1889 à Stockholm et à Christiania. Section I : Sémitique  
(B), Leiden, 1893, pp. 1 — 36.
- Hagen, O. E. *Keilinschrifturkunden zur Geschichte des Königs  
Cyrus*, in *Beiträge zur Assyriologie*, Vol. 2, Part 1, Leipzig,  
1891, pp. 205 — 248.



- Hammer-Purgstall, Joseph von. *Geschichte des osmanischen Reiches*, 10 vols., Pest, 1827 — 1835.
- Hammurabi. See King, Hammurabi.
- Herodianus (c. 240). *Ab excessu Divi Marci libri octo*: edited by L. Mendelssohn, Leipzig, 1883.
- Herodotus (d. c. 430 B. C.). *Historiarum libri IX*: edited by H. R. Dietsch. 2nd edition by H. Kallenberg, 2 vols, Leipzig, 1884 — 1885.
- Herzfeld, Ernst. *Hana et Mari*, in *Revue d'Assyriologie et d'Archéologie orientale* publiée sous la direction de V. Scheil et F. Thureau-Dangin, Vol. 11, Paris 1914, pp. 131 — 139.
- Herzfeld, Ernst. See Sarre and Herzfeld.
- Hierocles (c. 535). *Synecdemus*: edited by A. Burckhardt, Leipzig, 1893; also an edition by Gustavus Parthey entitled *Hieroclis Synecdemus et Notitiae graecae episcopatum*, Berlin, 1866.
- Historiae augustae, Scriptores*: edited by H. Peter, 2 vols., Leipzig, 1884.
- Hoffmann, Georg. *Auszüge aus syrischen Akten persischer Märtyrer*, übersetzt und durch Untersuchungen zur historischen Topographie erläutert von, constituting *Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes*, Vol. 7, No. 3, Leipzig, 1880.
- Isidore of Charax (date uncertain). *Mansiones parthicae*: edited by Carl Müller in his *Geographi graeci minores*, Vol. 1, Paris, 1882, pp. 244 — 254.
- Itinera hierosolymitana et descriptiones terrae sanctae bellis sacris anteriora et latina lingua exarata*: Vol. 1 edited by T. Tobler and A. Molinier, constituting *Publications de la Société de l' Orient Latn*, No. 1, Geneva, 1879; Vol. 2 edited by A. Molinier and C. Kohler, constituting *op. cit.*, No. 4, Geneva, 1885.
- Itinera hierosolymitana saeculi III-VIII*: edited by Paul Geyer in

- Corpus scriptorum ecclesiasticorum latinorum, Vol. 39, Vienna, 1913.
- James of Edessa (d. 708). Chronological Canon: edition by E. W. Brooks entitled *The Chronological Canon of James of Edessa*, in *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, Vol. 53, Leipzig, 1889, pp. 261 — 327.
- John of Aphthonia (d. 538). Life of Severus: edition and French translation by M. A. Kugener entitled *Jean, supérieur du monastère de Beith-Aphthonia. Vie de Sévère, suivie d'un recueil de fragments historiques syriaques, grecs, latins, et arabes relatifs à Sévère (Notices relatives à Sévère)*, in *Patrologia orientalis*, Vol. 2, No. 3, Paris, 1905, pp. 205 — 400.
- John of Ephesus (d. c. 585). Ecclesiastical History: Part 3 edited by William Cureton, Oxford, 1853.
- John of Epiphania (c. end of 6th c.) Fragments, edited by C. Müller in his *Fragmenta historicorum graecorum*, Vol. 4, Paris, 1851, pp. 272 — 276.
- John Malalas (after 573). Chronographia: in J. P. Migne, *Patrologiae cursus completus...*, series graeca, Vol. 97, Paris, 1865, cols. 65 — 716; also edited by L. Dindorf, Bonn, 1831.
- Joshua the Stylite (c. 515). Chronicle: edited and translated into French by Paulin Martin, in *Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes*, Vol. 6, No. 1, Leipzig, 1876.
- Julius Capitolinus (beginning of the 4th c.). Gordiani tres: edition by H. Peter in his *Scriptores historiae augustae*, XX, Vol. 2, Leipzig, 1884, pp. 30 — 56.
- Kiepert, Heinrich. *Formae orbis antiqui*, edited by Richard Kiepert, Map 5, Mesopotamia, Syria, Armenia, Berlin, 1909.
- Kiepert, Heinrich. *Nouvelle carte générale des provinces asiatiques de l'Empire Ottoman*, Berlin, 1884.
- King, L. W. *Chronicles Concerning Early Babylonian Kings*,

- Including Records of the Early History of the Kassites and the Country of the Sea, 2 vols., London, 1907.
- King, L. W. The Letters and Inscriptions of Hammurabi, King of Babylon, About B. C. 2200, to Which are Added a Series of Letters of Other Kings of the First Dynasty of Babylon, Vol. 1, Introduction and Babylonian Texts; Vol. 2, Babylonian Texts (continued); Vol. 3, Transliterations, English Translations, Vocabularies, Indices, etc.; in Luzac's Semitic Text and Translation Series, Vols. 2, 3, 8, London, 1898 — 1900.
- Kremer, A. von. Ueber das Einnahmebudget des Abbassiden-Reiches vom Jahre 306 H. (918 — 919), Vienna, 1887.
- Langdon, Stephen. Building Inscriptions of the Neo-Babylonian Empire, Paris, 1905.
- Layard, A. H. Inscriptions in the Cuneiform Character from Assyrian Monuments, London, 1851.
- Libanius the Sophist (d. 393). Epistolae: edited and translated into Latin by J. Ch. Wolf, Amsterdam, 1738.
- Liber chalipharum: edited by J. P. N. Land in his Anecdota syriaca, Vol. 1, Leiden, 1862, pp. 1 — 22.
- Lucian (168). De historia conscribenda: edited by Carl Jacobitz in his Luciani Samosatensis opera, Vol. 2, Leipzig, 1887, pp. 1 — 30.
- Lyon, D. G. Keilschrifttexte Sargon's, Königs von Assyrien (722 — 705 v. Chr.). Nach den Originalen neu herausgegeben, umschrieben, übersetzt und erklärt von Dr. , constituting Assyriologische Bibliothek herausgegeben von Friedrich Delitzsch und Paul Haupt, Vol. 5, Leipzig, 1883. -
- Magnus Carrhenus. Eutychianus Cappadox (4th c.). Fragments : edited by Carl Müller in his Fragmenta historicorum graecorum, Vol. 4, Paris, 1851, pp. 4 — 6.
- Malalas, John. See John Malalas.
- Joannes Dominicus. Sacrorum conciliorum nova, et amplis-

- sima collectio, 31 vols., Florence and Venetiae, 1759 — 1798.  
(Continuation, Vols. 31b — 53, Paris, Arnheim, and Leipzig,  
1901 — 1927).
- Marûta'. See Denha.
- Messerschmidt, L. Keilschrifttexte aus Assur historischen Inhalts,  
Part 1, Autographien, constituting Wissenschaftliche Veröffentlichungen der Deutschen Orient-Gesellschaft, No. 16, Leipzig,  
1911.
- Miehael the Syrian. Chronicle: edition and French transl. by J. B.  
Chabot entitled *Chronique de Michel le Syrien, patriarche  
jacobite d'Antioche* (1166 — 1199), 4 vols., Paris, 1899 — 1906.
- Moritz, Bernhard. Zur antiken Topographie der Palmyrene, in  
Abhandlungen der Königlich Preussischen Akademie der  
Wissenschaften, Berlin, 1889.
- Nicephorus Uranus. Vita sancti Symeonis Junioris (d. e. 596): in  
J. P. Migne, *Patrologiae cursus completus...*, series graeca, Vol.  
86, Part 2, Paris, 1865, cols. 2987 — 3216.
- Niebuhr, C. Reisebeschreibung nach Arabien und anderen umliegenden  
Ländern, 3 vols., Copenhagen and Hamburg, 1774 — 1837.
- Nöldeke, Th. Die von Guidi herausgegebene syrische Chronik, in  
Sitzungsberichte der kaiserlichen Akademie der Wissenschaften,  
philosophisch-historische Klasse, Vol. 128, Vienna, 1893.
- Notitia Antiochiae ac Ierosolymae patriarchatum: in *Itinera  
hierosolymitana*, Vol. 1, Geneva, 1879, pp. 331 — 343.
- Notitia dignitatum: aecedunt notitia urbis constantinopolitanae et  
laterculi provinciarum: edited by Otto Seeck, Berlin, 1876.
- Notitiae graecae episcopatum. See Hierocles.
- Oppenheim, V. Vom Mittelmeer zum Persischen Golfe, 2 vols.,  
Berlin, 1899 — 1900.
- Passio antiquior SS. Sergii et Bacchi: Greek text in *Analecta  
bollandiana*, Vol. 14, Brussels 1895, pp. 373 — 395.

- Patrum nicaenorum nomina : edition by H. Gelzer, H. Hilgenfeld, and Otto Cuntz; constituting *Scriptores sacri et profani*, No. 2, Leipzig, 1898.
- Peiser, F. E. Studien zur orientalischen Altertuhskunde, No. 4, constituting *Mitteilungen der vorderasiatischen Gesellschaft*, Vol. 6, Leipzig, 1901.
- Peutinger Table. See *Tabula peutingeriana*.
- Philip the Carmelite : *Orientalische Rãisebeschreibung*, Frankfurt, 1671.
- Pliny (C. Plinius Secundus) (d. 79). *Naturalis historia* : edited by C. Mayhoff, 2nd edition, 6 vols., Leipzig, 1892 — 1909; see also: D. Detlefsen, editor, *Die geographischen Bücher* (II, 242-VI Schluss) der *Naturalis historia* des C. Plinius Secundus mit vollständigem kritischen Apparat, constituting *Quellen und Forschungen zur alten Geschichte und Geographie* herausgegeben von W. Sieglin, Vol. 9, Berlin, 1904.
- Plutarch (c. 46 — 120). I. Alexander : edited by C. Sintenis in his *Plutarchi vitae parallelae*, Vol. 3, Leipzig, 1891, pp. 279 — 364. II. Artoxerxes : edited by Cl. Lindskog and K. Ziegler in their *Plutarchi vitae parallelae*, Vol. 3, Part 1, Leipzig, 1915, pp. 365 — 404.
- Polybius of Megalopolis (d. 120 B. C.). *Historiae*: edited by Ludwig Dindorf, revised by Theodore Büttner-Wobst, 4 vols., Leipzig, Vol. 1, 2nd edition, 1905, Vol. 2, 1889; Vol. 3, 1893; Vol. 4, 1904.
- Procopius of Caesarea (c. 560). I. *De bello persico*, edition by J. Haury, constituting his *Procopii Caesariensis opera omnia*, Vol. 1, Leipzig, 1905. II. *De aedificiis* : edited by J. Haury, op. cit., Vol. 3, Leipzig, 1913.
- Pseudo-Dionysius of Tell Mahre'. *Chronicle* : edition and French translation by J. B. Chabot entitled *Chronique de Denys de Tell-Mahré*, constituting *Bibliothèque de l'Ecole des Hautes Etudes*, No. 112, Paris, 1895.

- Ptolemy (Claudius Ptolemaeus) (c. 150). *Geographia*: edited by C. F. A. Nobbe, 3 vols., Leipzig, 1843 — 1845; bks. i — v edited with Latin translation and atlas, Vol. 1, Part 1, by Carl Müller, Paris, 1884; Vol. 1, Part 2, by C. Th. Fischer, Paris, 1901.
- Ravenna Geographer, The Anonymous (7th cent.). *Cosmographia* : edited by M. Pinder and G. Parthey in their *Ravennatis anonumi cosmographia et Guidonis Geographica*, Berlin, 1860, pp. 1 — 445.
- Rawlinson, H. C. *Cuneiform Inscriptions of Western Asia*, 5 vols., London, 1861 — 1884.
- Riepl, Wolfgang. *Das Nachrichtenwesen des Altertums mit besonderer Rücksicht auf die Römer*, Leipzig, 1912.
- Roos, A. G. *Studia arrianea*, Leipzig, 1913.
- Rost, Paul. *Die Keilschrifttexte Tiglat Pileser III*, 2 vols., Leipzig, 1893.
- [ Rousseau, Jean Baptiste Louis Jacques.] *Description du Pachalik de Bagdad suivie d'une notice historique sur les Wahabis et de quelques autres pièces relative à l'histoire et à la littérature de l'orient*, Paris, 1809.
- Rycaut, Paul. *The Present State of the Ottoman Empire...*, 3rd edition, London, 1670.
- Sargon. See Lyon.
- Sarre, Friedrich, and Ernst Herzfeld. *Archäologische Reise im Euphratund Tigris-Gebiet*, 4 vols., Berlin, 1911 — 1920.
- Sayce, A. H. An Early Babylonian Document Relating to the Shuhites, in *Proceedings of the Society of Biblical Archaeology*, London, 1899, pp. 24 f.
- Scheil, V., and J.-Et. Gautier. *Annales de Tukulti Ninip II, roi d'Assyrie 889 — 884*, constituting *Bibliothèque de l'Ecole des Hautes Etudes*, No. 178, Paris, 1909.
- Schnabel, Paul. *Berosos und die babylonisch-hellenistische Litteratur*, Leipzig, 1923.

- Schraeder, Eberhard, editor. Keilinschriftliche Bibliothek: Sammlung von assyrischen und babylonischen Texten in Umschrift und Uebersetzung..., 6 vols., Berlin, 1889 — 1900.
- Smith, Sidney. Babylonian Historical Texts Relating to the Capture and Downfall of Babylon, London, 1924.
- Socrates (d. 439). *Historia ecclesiastica*: in J. P. Migne, *Patrologiae cursus completus...*, series graeca, Vol. 67, Paris, 1859, cols. 30 — 842.
- Stephen of Byzantium (c. 600). *Ethnica* : edition by August Meineke, *Ethnicorum quae supersunt*, Vol. 1 (only volume published), Berlin, 1879.
- Strabo (c. 63 B. C. — c. 19 A. D.). *Geographia*: edited by August Meineke, 3 vols., Leipzig, 1907 — 1913.
- Streck, Maximilian. Assurbanipal und die letzten assyrischen Könige, constituting Vorderasiatische Bibliothek, No. 7, 3 vols., Leipzig, 1916.
- Streck, Maximilian. Keilinschriftliche Beiträge zur Geographie Vorderasiens. Die nomadischen Völkerschaften Babyloniens und des angrenzenden Elams, constituting Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, Vol. 11. No. 3, Leipzig, 1906.
- Suidas (10th c.) *Lexicon*: edited by Imh. Bekker, Berlin, 1854.
- Syriac Chronicle of the Year 846, A : edited by E. W. Brooks, in *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, Vol. 51, Leipzig, 1897, pp. 569 — 588.
- Tabula Peutingeriana (12th century MS copy of Roman map of time of the Empire) : photographic edition in 11 sheets entitled *Peutingeriana tabula itineraria... nunc primum arte photographica expressa*, Vienna, 1888.
- Tavernier, J. B. *Les six voyages... en Turquie, en Perse et aux Indes*, 2 parts, Paris, 1676.

- Teixeira, Pedro (c. 1600). The Travels : translated by William Sinclair in publications of The Hakluyt Society, Ser. 2, No. 9, London, 1902.
- Theodoretus of Cyrrhus (wrote 450). Religiosa historia : in J. P. Migne, Patrologiae cursus completus..., series graeca, Vol. 82, Paris, 1864, cols. 1283 — 1496.
- Theodosius (c. 530). De situ terrae sanctae : edited by Paul Geyer in Itinera hierosolymitana, Vienna, 1913, pp. 135 — 150.
- Theophanes the Confessor (c. 758 — 818). Chronographia : in J. P. Migne, Patrologiae cursus completus..., series graeca, Vol. 108, Paris, 1863, cols. 1 — 1010; also edited by C. de Boor, Leipzig, 1883.
- Theophylactus Simocatta (c. 610 — 640). Historiae : edited by C. de Boor, Leipzig, 1887.
- Thevenot, Jean de. Voyages en Europe, Asie, et Afrique, 5 vols., Amsterdam, 1727.
- Thureau-Dangin, Fr. La chronologie des dynasties de Sumer et d'Accad, Paris, 1918.
- Thureau-Dangin, Fr. Lettres et contrats de l' époque de première dynastie babylonienne, Paris, 1910.
- Thureau-Dangin, Fr. Un contrat de Hana, in Journal asiatique, Ser. 10, Vol. 14, Paris, 1909, pp. 149 — 155.
- Unger, Eckhard. Reliefstele Adadnirari's III aus Saba'a, constituting Publicationen der Kaiserlich Osmanischen Museen, Vol. 2, Constantinople, 1916.
- Uranus (date unknown). Fragments : edited by Carl Müller in his Fragmenta historicorum graecorum, Vol. 4, p. 529.
- Valle, Pietro della. Viaggi, 4 vols., Venice, 1664.
- Velenovsky, J. Arabské rostliny z posledni cesty Musilovy r. 1915. Plantae arabicae ex ultimo itinere A. Musili a. 1915: constituting



- Vestník kral. české společnosti nauk. Trida II. na rok 1921 —  
Société Royale des Sciences de Bohême, 1922 (Mémoires de la  
Classe des Sciences, 1921 — 1922), No. 6, Prague, 1923.
- Velenovsky, J. *Plantae arabicae musiliana* : constituting Vestník  
kral. české společnosti nauk. Trida mathematicko-prirodovede-  
cka (Sitzungsberichte der königl. böhm. Gesellschaft der  
Wissenschaften, Mathnaturwiss. Classe), 1911, No. 11, Prague,  
1912.
- Vitae virorum apud monophysitas celeberrimorum: edited and  
translated by E. W. Brooks, in *Corpus scriptorum christianorum  
orientalium*, Ser. 3, Vol. 25, Paris, 1907.
- Weissbach, F. H. *Babylonische Miscellen*, constituting *Wissenschaft-  
liche Veröffentlichungen der Deutschen Orient-Gesellschaft*,  
No. 4, Leipzig, 1903.
- Weissbach, F. H. *Die Inschriften Nebukadnezars II im Wadi Brisa  
und am Nahr el-Kelb*, constituting *Wissenschaftliche Veröffent-  
lichungen der Deutschen Orient-Gesellschaft*, No. 5, Leipzig,  
1906.
- Wellhausen, G. *Skizzen und Vorarbeiten*, 6 vols., Berlin, 1884 —  
1899.
- William of Tyre (d. c. 1148). *Historia rerum in partibus transmarinis  
gestarum*, edition by A. Beugnot and A. Langlois, constituting  
*Recueil des historiens des croisades, Historiens occidentaux*,  
Vol. 1, Part 1, Paris, 1844.
- Wright, W. *Catalogue of the Syriac Manuscripts in the British  
Museum*, 3 vols., London, 1870 — 1872.
- Xenophon (d. c. 345). *Anabasis* : édition by W. Gemoll entitled  
*Xenophontis expeditio Cyri*, 2nd edition, Leipzig, 1909.
- Zosimus (491 — 518). *Historia nova* : edited by L. Mendelssohn,  
Leipzig, 1887.

## ثبت المحتويات

تقديم (٣ - ٦)

الوا موزيل ٣ - مؤلفاته ٤ - كتاب الفرات الاوسط وترجمته  
٥ - مقدمة المؤلف ٧ - اغراضه ٨ - المراجع والمصطلحات ٩ - المسهمون  
في الترجمة : الدكتور صدقي حمدي ١٠ - الدكتور عبدالمطلب عبدالرحمن  
١١ •

الفصل الاول : دير الزور الى الفحيمي ١٥ - ٤٣ •  
دير الزور الى الساحل ١٥ - الساحل الى الشيخ علي ٢٠ - الشيخ  
علي الى الصالحية ٢٦ - الصالحية الى القائم ٢٩ - القائم الى عانة  
٣٤ - عانة الى الفحيمي ٤٢ •

الفصل الثاني : الفحيمي الى الرمادي ٤٤ - ٥٨ •  
الفحيمي الى وادي حوران ٤٤ - وادي حوران الى هيت ٤٧ -

الفصل الثالث : النجف الى بغداد مروراً بـ كربلاء ٥٩ - ٧٧ •  
النجف الى خان المصلي ٥٩ - خان المصلي الى كربلاء ٦٣ - كربلاء  
الى خان المحاويل : اطلال كربلاء ٧٠ - خان المحاويل الى بغداد  
٧٤ - ٨٨ •

الفصل الرابع : بغداد الى تكريت ٧٨ •  
بغداد الى بئر الحصيني ٧٨ - بئر الحصيني الى كهف الكلب ٨١ -  
كهف الكلب الى تكريت ٨٤ -

الفصل الخامس : تكريت الى راوة مروراً بالثرثار ٨٩ - ١١١ •  
 تكريت الى شعيب شيشين ٨٩ - شعيب شيشين الى الجمعة ٩٢ -  
 الجمعة الى المستفيض ٩٧ - المستفيض الى بئر ابو درج ١٠٠ - بئر  
 ابو درج الى طريق الموصل العام ١٠٣ - منطقة شمال عانة ١٠٥ -  
 قرت السناجرة الى راوة ١٠٧ •

الفصل السادس : راوة الى الرقة بطريق الصوار ١١٢ - ١٣٧ •  
 راوة الى سهل اراقرته : قبيلة النقيديات ١١٢ - سهل الاقرقة الى  
 الخابور ١١٩ - وادي الخابور : قبيلة الجبور ١٢٣ - راوة الى الرقة  
 ١٢٥ - نهر الخابور الى بير الزهمك ١٣٠ - بئر الزهمك الى الرقة  
 ١٣٣ •

الفصل السابع : الرقة الى ابو هريرة ١٣٨ - ١٤٢ •

الفصل الثامن : اطراف الحيرة ١٤٥ - ١٧٤ •  
 بعثة الى دغيم بن براق ١٤٥ - زيارة الى الخورتق وابر صخير ١٤٩ -  
 من مخيمنا قرب الكوفة الى القادسية ١٥٩ - القادسية الى الرجة  
 ١٦٢ - الرجة الى القايم ١٦٤ - عودة الى الحيرة ١٧١ •

الفصل التاسع : الحيرة الى بغداد مروراً بالفلوجة ١٧٥ - ١٩٤ •  
 الحيرة الى المسيب ١٧٥ - المسيب الى الفلوجة ١٧٧ - الفلوجة الى  
 بغداد ١٨٤ - بغداد ابان الحرب ١٨٨ •

الفصل العاشر : بغداد الى الثرثار بطريق مسكن ١٩٥ - ٢١٦ •  
 بغداد الى خان المشاهدة ١٩٥ - خان المشاهدة الى السميكة ١٠٠ -  
 السميكة الى سهل الشنانات ٢٠٥ - سهل الشنانات الى ام رحل ٢٠٩  
 منخفض أم رحل ٢١٢ •

الفصل الحادي عشر : الثرثار الى الخابور بمحاذاة الفرات ٢١٧ - ٢٥٨٠  
ام رحل خان المشاهدة ٢١٧ - خان المشاهدة الى الوشاش ٢١٩ -  
الوشاش الى الصيب ٢٢٣ - الصيب الى المحبوبة ٢٣٠ - المحبوبة  
الى شعب ادمامة ٢٣٥ - شعب ادمامة الى راوة ٢٣٨ - راوة الى  
السوسة ٢٤٤ - السوسة الى المروانية ٢٤٩ - المروانية الى البسيرة  
على الخابور ٢٥٤ - البسيرة ٢٥٨ \*

الفصل الثاني عشر : الخابور الى بالس بطريق دير الزور ٢٥٩ - ٢٧٧ \*  
البسيرة الى دير الزور ٢٥٩ - دير الزور الى الطريفراوي ٢٦١ -  
الطريفراوي الى المعدان ٢٦٤ - المعدان الى خرائب سوريا ٢٦٩ -  
خرائب سوريا الى بالس ٢٧٤ \*

## الملاحق التاريخية<sup>(١)</sup>

الملحق الاول : الفرات الاوسط في العصر الاشوري ٢٨١ - ٣١٣ •  
 وادي الفرات الاوسط ٢٨١ - السجلات المبكرة ٢٨٣ - طريق  
 توكولتي انورثا الثاني ٢٨٦ - تفاصيل طريق توكولتي انورثا ٢٨٧ -  
 اعادة تحديد طريق توكولتي انورثا ٢٨٩ - حملات اشور ناصربال  
 وطرقها ٢٩٨ - تفاصيل حملة اشور ناصربال الاول ٢٩٩ - اعادة تنظيم  
 هيكل حملة اشور ناصر بال الاولى ٣٠٠ - تفاصيل حملة اشور ناصر  
 بال الثانية ٣٠١ - اقليم رصبا ٣٠٧ - السجلات الاشورية والكلدانية  
 المتأخرة ٣١٠ -

الملحق الثاني : زينوفون على الفرات الاوسط ٣١٤ - ٣٣٨ •  
 وصف زينوفون لطريق العشرة الاف ٣١٤ - اعادة هيكل طريق  
 العشرة الاف ٣١٩ - موقع نياكوس ٣٢١ - فيرناندوس الى نياكوس  
 ٣٢٧ - ثيساكوس الى بلاية ٨٢٣ - بلاية الى كوناصا ٣٣٢ - كوناصا  
 الى الزيتاس ٣٣٥ •

الملحق الثالث : ايسيدور الكرخي يتحدث عن الفرات الاوسط ٣٣٩ - ٣٤٩ •  
 وحدة القياس ( السكونوس ) عند ايسيدور ٣٣٩ - اعادة تنظيم  
 هيكل خط رحلة ايسيدور نيقفورهم الى فاليكا ٣٤٢ - فاليكا الى  
 ايس ٣٤٤ - ايس الى سلوقية ٣٤٦ •

---

(١) قام بترجمة الملاحق التاريخية بأكملها ( ص ص ٢٨١ - ٦٠٥ ) الاستاذ  
 عبدالمطلب عبدالرحمن داود وراجعها الاستاذ الدكتور صالح احمد العلي،  
 رئيس المجمع العلمي العراقي •

الملحق الرابع : زحف الامبراطور جوليان في عام ٣٦٣ م ٣٥٠ - ٣٦٨ .  
 زحف جوليان كما رواه اميانوس مارسلينوس ٣٥٠ - زحف جوليان  
 كما يرويه زوسيموس ٣٥٥ - اعادة تركيب طريق جوليان ٣٥٨ -  
 الملحق الخامس : الطريق البرية على الفرات الاوسط وفقا للمراجع العربية  
 ٣٦٩-٣٩٨ - الطريق من بغداد الى الكوفة ٣٦٩ - الطريق من بغداد  
 الى الشام ٣٧٨ - وصف قدامة للطريق من بغداد الى الرقة ٣٨٦ -  
 وصف الاصطخرى والمقدسى للطريق من بغداد الى الرقة ٣٩١ -  
 وصف الادريس للطريق من بغداد الى الرقة ٣٩٢ - بيانات اخرى عن  
 عن طريق محاذية للفرات ٣٩٦ \*

الملحق السادس : انهار الفرت لاوسط ٣٩٩ - ٤٤٢ .  
 ملاحظات عامة ٣٩٩ - سد نبوخذنصر وخزان الماء ٤٠١ - موقع  
 اوبيس وعلاقته بخزان نبوخذ نصر ٤٠٨ - قنوات الفرات الاوسط  
 ٤١٥ - نظام القنوات في اقصى الشمال : اقوال المراجع الكلاسيكية  
 ٤١٦ - نظام اقصى الشمال في المراجع العربية ٤١٩ - نهر صرصر  
 ٤٢٤ - النهر الملكي ٤٢٥ - نهر كوئي وسورا ٤٢٩١ - انهار على  
 الضفة اليمنى من الفرات : المحدود والمارسارس والعقبي ٤٣٥ -  
 قناة البلكوتاس او القلوجة ٤٣٨ \*

الملحق السابع : معارك خالد بن الوليد على امتداد الفرات ٤٤٣ - ٤٤٩  
 زحف خالد على الحيرة ٤٤٣ - رواية مدرسة المدينة : حديث  
 البلاذري عن خفان والحلف مع قبيلة بكر ٤٤٤ - روايات الواقدي  
 والمدائني وابن نيشه ٤٤٨ - الحيرة ٤٥١ - رواية ابن اسحق  
 ٤٥٢ - رواية ابي يوسف ٤٥٤ - رواية هشام بن الكلبي ٤٥٨ -  
 الخلاصة ٤٦٠ - رواية اهل الكوفة : سيف بن عمر ٤٦١ .  
 الخلاصة ٤٦٦ - خالد في الأنبار ٤٦٦ - خالد عند عين التمر

وصندودا ٤٧٠ - حملة خالد على قبيلة تغلب ٤٧٥ - رواية جماعة  
اهل المدينة - رواية ابي يوسف ٤٧٦ - رواية اليعقوبي والدينوري  
٤٧٩ - رواية البلاذري ٤٨١ - رواية الواقدي ٤٨٣ - رواية جماعة  
الكوفة : رواية سيف بن عمر من الحيرة الى عين التمر ٤٨٥ - عين التمر  
الى المصيخ ٤٩٠ - خبر الحصيد ٤٩١ - الخنافس ٤٩١ - الى البشر  
والعودة الى الحيرة ٤٩٥ \*

الملحق الثامن : براليوس وبالس وثيساكوس ٥٠٠ - ٥١٢  
براليوس وبالس ٥٠٠ - ثيساكوس عند زينوفون ٥٠٨ - ابانيس  
وسموما ٥١٠

الملحق التاسع : سبي صفين وابو هريرة ٥١٣ - ٥١٧

الملحق العاشر : سورا أو سوريا ٥١٨ - ٥٢١

الملحق الحادي عشر : نيقفوريم ، كالينيكوس ، الرقة ٥٢٢ - ٥٣٣  
نيقفوريم ٥٢٢ - كالينيكوس ٥٢٦ - الرقة ٥٣٠

الملحق الثاني عشر : بيرثا وزنويا وحلبية ٥٣٤ - ٥٣٨  
حلبية : مدينة زنويا والزباء ٥٣٤ - زلبية ٥٣٦ - بيرثا ٥٣٧

الملحق الثالث عشر : فاليك وقرقيسيوم وقرقيسياء ٥٣٩ -  
فاليك ٥٣٩ - قرقيسيوم ٥٤٠

الملحق الرابع عشر : زيتا ، ودورا ، وساكوذاس ٥٤٦ - ٥٥٠

الملحق الخامس عشر : ثيساكوس عند بطليموس والرجبة عند العرب  
ثيساكوس ٥٥١ - رجبة مالك بن طوق ٥٥٢

الملحق السادس عشر : اتنا وعانة ٥٦٠ - ٥٦٩

الملحق السابع عشر : إداو هيت ٥٧٠ - ٥٧٧

الملحق الثامن عشر : بيرسابوراس أو الانبار ٥٧٨ - ٥٨٤

الملحق التاسع عشر : خفان أو القايم ٥٨٥ - ٥٩٠

الملحق العشرون : أهاوا ، مسكنه ، مسيحين ٥٩١ - ٥٩٥

الملحق الحادي والعشرون : برتو و تكريت ٥٩٦ - ٦٠٤

فهرس لوحات الصور ٦٠٥ - ٦٠٦

ثبت مراجع الكتاب :

المراجع العربية والتركية ٦٠٧ - المراجع الاجنبية ٦١٦







رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببيغداد ١٩٠٧ لسنة ١٩٩٠

## جدول الخطأ والصواب

الصفحة السطر الخطأ	الصواب
١٧ (١٣) كان له	كان لهما
١٧ (١٦) دينار تركي	ليرة تركية
١٧ (٢٣) ٢٣ (٥) المياذين	المياذين
٣٦ (١٨) أبو الجروة	أبو القزوة
٣٦ (٢٣) شعيبان الصخرة	شعب الصخرة
٤٥ (١٣) القلائس	القلانسي
٤٥ (٢٧) بين الأنبار وعانة	تحت عانة وفوق الأنبار
٥٠ (٢٣) المقابلة لشعيب	المقابلة لشعب
٦٥ (١٣) طويريج	طويريق
٨٩ ٩٢ (١٤) شعيب شيشين	شعب شيشين
١٠٧ (٣١) ١٠٨/ (١) قرت	قارة السناجرة*
١٠٧ (١٨) قرت السناجرة	قارة السناجرة
١٠٧ (١٩) بقرت أبو القزوة	قارة الفبين
١٠٧ (٢٠) قرت الفبين	قارة أبو القزوة
١٠٨ (١٢) قرت أبو بطيحة	قارة أبو بطيحة
١٠٨ (١٩) قرت العناب	قارة العناب
١٠٨ (٢١) قرت الصوفي	قارة الصوفي
١١٢ (١) سهل أراقوته	سهل الاقرقة ( العنوان )
١١٦ (١٢) قرت السكة	قارة السكة
١١٦ (٢٠) قرت أم عذير	قارة أم غدير
١٣٢ (٣) م	مع
١٣٢ (٤) وتة	وتقع

\* جاء في المنجد « قارة » والقارة : ج قار وقارات وقور وقيران :  
 الجبل الصغير المنقطع عن الجبال ، وذكر ياقوت في المعجم ( ج ٤ / ٢٩٥ )  
 قال ابن شميل : القارة جبل مستنق ملموم في السبأ لا يقود في الأرض  
 كأنه جنة وهو عظيم مستدير ، وقال الاصمعي : القارة أصغر من الجبل .  
 المراجع

الصفحة	الاسم	المصواب
١١٢	(٤) فوميا	قنمها
١٢٤	(١٠) يشهر	تنتوي
١٢٦	(٤) اجردا	اجرد
١٢٨	(٦) وكان اقرو	كان المرو
١٤٥	(١٤) كل احتاد	كل
١٦٢	(يحدث السطر الاول من الهامش)	
٢٨٢	٣	ابو وير
٢٨٥	٣	طويل وحل
	٢١	كيلومتر
٢٨٦	٢	طريقه
٢٨٨	٩	ماء بات
٢٩٠	١٤	كور يكالزو
	١٥	يتر بترع
	١٦	وترع للري متعددة (تعداد)
	٢١	الزوجه
٢٩١	١٧	الشرائط
٢٩٢	٢	المجرم
٢٩٣	٢١	عانة الحديثه
٢٩٤	١٣	بجيانه
	١٤	ويتع
	١٩	بنصيب
٢٩٥	٩	ص ٥
	١٥	قرياطامة
٢٩٩	١	اشور نصرال
	١١	خدي
	١٩	وبعد اقتحامه
٣٠٠	(١٤)/٢٠١ (٤) كرابية	كريانه
	٣١	محلة
٣٠٣	٥	وحوصر
٣٠٥	٦	قري سكان
٣٠٦	١	القرية
٣٠٧	٨	ان
	٢١	الثالثة

الصفحة	الاسم	العدد	الاسم
٣٠٨	٢٠	وفزى	ومرى
٣٠٩	٧	او	و
	٢٤	تبعدا كثر	تبعدا اكثر
٣١٠	١٢	قصيرة	قصيره
	١٦	كذلك بلدة	كذلك اسس بلدة
	١٨	نومانو	تومانو
٣١٢	٧	وبالنحو	وباليتو
	١٢	عن	على
٣١٤	هامش ١	بلزم	بلشرم
٣١٧	٢	كيلر-خوس	كلير-خوس
٣١٨	١٢	يتسافرنس	تيسافرنس
٣١٩	١١	فيسكوس وعرضه	فيسكوس على سبعة وثلاثين ثاربا وجاؤه بعد مسيرات شهرين فرسنا
	١٩	بين	يؤدى
٣٢٠	٧	اجد	جدا
	١٢	اتصير	اقصر
٣٢٤	٥	راحل	مراحل
٣٢٥	١٩	ثديين	ثديين حيث يحاه
٣٢٧	١٢	موضوع	موضع
	١٤	فيها	منها
	١٦	فيرنادروس	ميرنادروس
	٢٣	الاغريقة	الاغريقية
٣٢٨	٣	جالوس	خالوس
٣٢٩	٢١	كوروسته	كوروسته
٣٣٠	١٢	جافا تشعب	جافا بل تشعب
٣٣١	٢	العقه	العقبه
٣٣٣	١٢	بالقدمه	بالقرمه
	١٨	ميسرة	مسيرة
٣٣٤	١١	خنلر	خط
٣٣٥	٥	الماء	المسما
٣٤٠	١٨	٤١	١٤
	٢٠	اسكونس	اسكونس يساوى

الصفحة	المصدر	الخطا	الصواب
٣٤٢	١	الكونوس	السكونوس
٣٤٣	٢٢	ارتميس (في الاخيرة منهما	ارتميس في الاخيرة منهما
٣٤٤	١٣	قرى	قرية
	١٨	وسماها الاغريق	( تحذف )
٢٤٥	١	توروبس	يوروبوس
٢٤٧	٦	الفرات نهر	الفرات ونهر
	١٢	منه	منها
	١٥	ماسكين	ماسيكن
	١٥	الصيفة لبسيخانا	الصيفة العربية لبسيخانا
	٢٠	٥٣	٣٤١
	٢١	سكونوس خاليكا	سكونوس من خاليكا
٢٤٨	١١	بتر المطابقة لبلدة	المطابقة لخرائب بشر
٢٤٩	١٦	ويبدو لم	ويبدوان المذر لم
٣٥٢	١٦	محاملة	محاوله
	١٢	اخياخالا	اخياخالا
٣٥٣	١٨	الصفة	الصفة
٣٥٤	١٧	فيدوس	فيدروس
٣٥٥	١٧	كالينيوس	كالينيوس
٣٥٦	١٥/١٣	هورمسداس	هرمزاس
٣٥٩	٧	نقل	لنقل
	١٥	مايقارب ميلا	مايقارب عشرين ميلا
	١٧	٨/٦	٨.٦ ميلا
	٢٠	لان ٨٠-٦٠	لان ٨٠ + ٦٠
٣٦٠	٥	» بعدها سطر ناقص تسلم قائده مكافاة وتفهم سبب نقل السكان الى بلدة خالكيس (قنشرين)	
٣٦٦	١	مايوزا بلخا	مايوزا ملخا (المحوزة الملكية)
	١٦	مياس	ميناس
٣٦٧	٧	ان	ان قيام
٣٦٨	١٢	٥ ٥	٥ و ٥
٣٦٩	٧	٥٢	٣٤٠
	١٠	٨٣	٣٧٩
٣٧٠		٤ ٤ ٩	٤٩
٦٤٢			

الصفحة	المستط	الخطا	الصواب
٣٧١	٧	المخاجضة	المخاضة
٣٧٢	٢	تفاصيل اضافليه	تفاصيل اضافية تتعلق بهذا الطريق
٣٧٣	٤	( يضاف بعده )	ويقدم قدامة (الموضع نفسه) التفاصيل التالية
٣٧٧	١٩	يزى	يرى
٣٧٨	١٤	بعلوظه	بطوظة
٣٧٩	١١	كيلو . متراً	كيلومتراً
٣٨٠	١٤	الناووسه ووصف	الناووسه ، الوسه ، هيت ، الانبار ، ووصف
٣٨٣	٢	٧٥	٣٦٩
٣٨٨	٤	الرزقة	الرزقة
٣٩٢	٤	وتناد	وتسكاد
٣٩٣	١	سياني	سياني
٣٩٤	١٠	٢. ميلا	١٢. ميلا
٣٩٤	١٦	مرحليان	مرحلتان
٣٩٥	٢٠	الوراقى (الرازقى)	الوراقى ( الذارقى )
٤٠١	٧	واحتسبة	واحتسبت
٤٠٤	١٥	منها	منه
٤٠٥	٢٤	القره	الفرضة
٤٠٦	٦	بان	بالغرات الذي كان
٤١٠	٢١	الملك	الملك
٤١١	٥	ولايد الخزان	ولايد أن الخزان
٤١٢	٣	( ابراتوشينيا )	( ابراتو سينيا )
٤١٣	١٦	الاويبط	( يحذف ما بعد الاوسط )
٤١٤	١٥	استدل	استبدل
٤١٥	١٠	تاريه	تاريخيه
٤١٦	١١	المعاكش	المعاكس
٤١٧	١	رواية	رواية اريان
٤١٨	١١	يقوم	يقول
٤١٩	٥	كانت	كانت سيتاس
٤٢٠	٩	السرر	السور
٤٢١	١٠	الانابيس	الاناباسيس

الصفحة	العدد	الخط	الصواب
٤١٨	١٢	(ص ٦٤ و ٧١)	(ص ٣٥٥ و ٣٦٣)
٤٢٢	١٤	أبر	أبو
٤٢٤	٢٢	أبوب	أبواب
٤٢٥	٢	لا يذكر	كما أنه لا يذكر
٤٢٦	٤	٧١	٣٦٣
	٥	١٠٢	٤٠٤
	٨	١٠٧	٤٠٧
٤٢٧	٢	٥٧	٣٤٨
	١٠/١٠	١٠٢	٤٠٤
	٢٤	١١١-١١٧	٤١٥ - ٤٢٣
٤٢٩	١٥	نهر	نهر
٤٣٣	١٣	صراء	الصراة
	١٧	صب	نهر
٤٣٧	١٧	بترا	بثرا
٤٣٨	٧	ان الفرات . يمر	ان « الفرات يمر
٤٤٠	١٣	ميه	مياه
٤٤٢	٧	المؤلفان	المؤلفون
٤٦٠	٢	انه	انها
٤٦٣	١٨	الطبيع	بالطبع
٤٦٥	٢٤	اجتمعوا	اجتموا
٤٦٨	١٨	فرى	قرى
٤٧٧	٢١	الفرى	القرى
	٢٣	نعود	تعود
٤٨٠	٢	للجمع	للتجمع
٤٨١	١١	الزحف الى غير	الزحف غير
٤٨٥	٤	نسطونا	نسطونا
	١٥	علها	عليها
٤٨٨	١٣	لما	لذا
٤٩٠	٩	فذهب	ذهب
٤٩١	٤	لا يتحر كان	لا يتحر كان
	١٣	المهيودان	المهيودان
	١٩	الها	اليها
	٢٣	المتنى	المتنى



المصنوعات	المصنوع	العدد	الصفحة
والتشكك	واتهام التشكك	٢٤	٤٩٣
( تحذف )	وزحف القعقاع	١٨	٤٩٥
يعتقدون	يمتقدون	١٤	٤٩٧
انه في	انه وفي	١١	٤٩٨
هيرا بوليس	هيرا بوليس	٦	٥٠١
الكنسي	الكني	٨	
للقرات	للقرات	٢	٥٠٢
القرس	الف الفرس	١٥	
جابر	جابر	٢٢	
الدبس	الدبسي	٥	٥٠٤
انصمرت	انصمرت	١٧	
يسكنه	يسكنه فيه	١٥	٥٠٥
ثبساكوس	هاكوس	٧	٥٠٩
منذ	منذ	٢٠	
التي	الت	٦	٥١٠
الاجناس	الاجباس	١١	
القرات	من القرات	٢٣	٥١٦
وعندما	عندما	١٠	٥٢٠
بن	بين	١٥	٥٢١
ربما	ريما	٨	٥٢٣
كالينيكون	كالينيكون	٥	٥٢٦
القائد	القائد	٧	٥٢٧
كالينيكون	كالينيكون	٤	٥٢٨
بالانتقال	بالانتقال	١٣	٥٢٩
ابن العبري	ابن الطبري	٢٠/١٨	٥٣١
مضر	مطر	٢٤	
جران	جرال	٤	٥٣٢
مسالكه	مالكه	٧	
يقيم	يقيم	٢٥	
يفيض	بفيض	١٠	٥٣٥
اديسا	ديسا	١٧	
بثارة	بثارا	٢٤	
	( السطر الاول يحذف )		٥٣٦
ورجما	ورجيا		

الصفحة	المستند	الخطا	الصواب
٥٣٧	١	سمير وحفرت عنده	سمير وحفرت عنده
٥٣٨	١	فقدو نوبوليس	مقدرونوبوليس
	٧	دير من كفرا	دير كفرا
	١١	٩١ - ٢ - ٤	٤٩١
	١٥	اسوسوم	الموسوم
٥٣٩	٣	سلوس	سلوقس
	٥	السوري	السرياني
	٢٣	الفرات ، مكانا	الفرات يذكر مكانا
٥٤٠	١٩	ديو كليشيان	دقليانس
٥٤٢	٨	الافسوس	الافسوسي
٥٤٤	٦	الخابر	الخابور
	٢٤	أم	أمر
٥٥٤	١٤	قفد	فقد
٥٦٢	٢٤	( هيت غيرها	هيت وغيرها
٥٦٣	٣	ويجعلها	ويجعلها
٥٦٨	٤	ويعود	تعود
٥٧٩	١٨	وعنما	وعندما
	١٩	حوت	حيث
٥٨٠	٩	اباريون	اباريون
٥٨٤	١٧	كايتالي	كايتاني
٥٨٨	٧	يقو	يقول
٦٠٤	١٠	جهيان	جيهان

ووردت « تباكوس » خطأ والصحيح « تبساكوس » ( ٣٢٠ - ٢١ ؛  
 ٣٢١ - ٢٠ ، ٣٢٧ - ١٦ ؛ ٥٠٩ - ٧ ) .  
 ووردت « ستياس » خطأ والصحيح « سيتاس » ( ٣٣٥ - ٢٢ ؛ ٣٣٧ -  
 ١ ؛ ٣٣٨ - ١٤ ؛ ٤١٤ - ٢٤ ) .



